

حياة الحيوان الكبرى

لكمال الدين محمد بن موسى القمي

(٧٤٢ - ٨٠٨ هـ)

وكتابه

بحار البحار

وغرائب الموجودات

للإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود القزويني

٦٠٠ - ٦٨٢ هـ

جزء الثاني

انتشارات ناصر خسرو

طهران - ايران



BOBST LIBRARY
3 1142 01272 0002

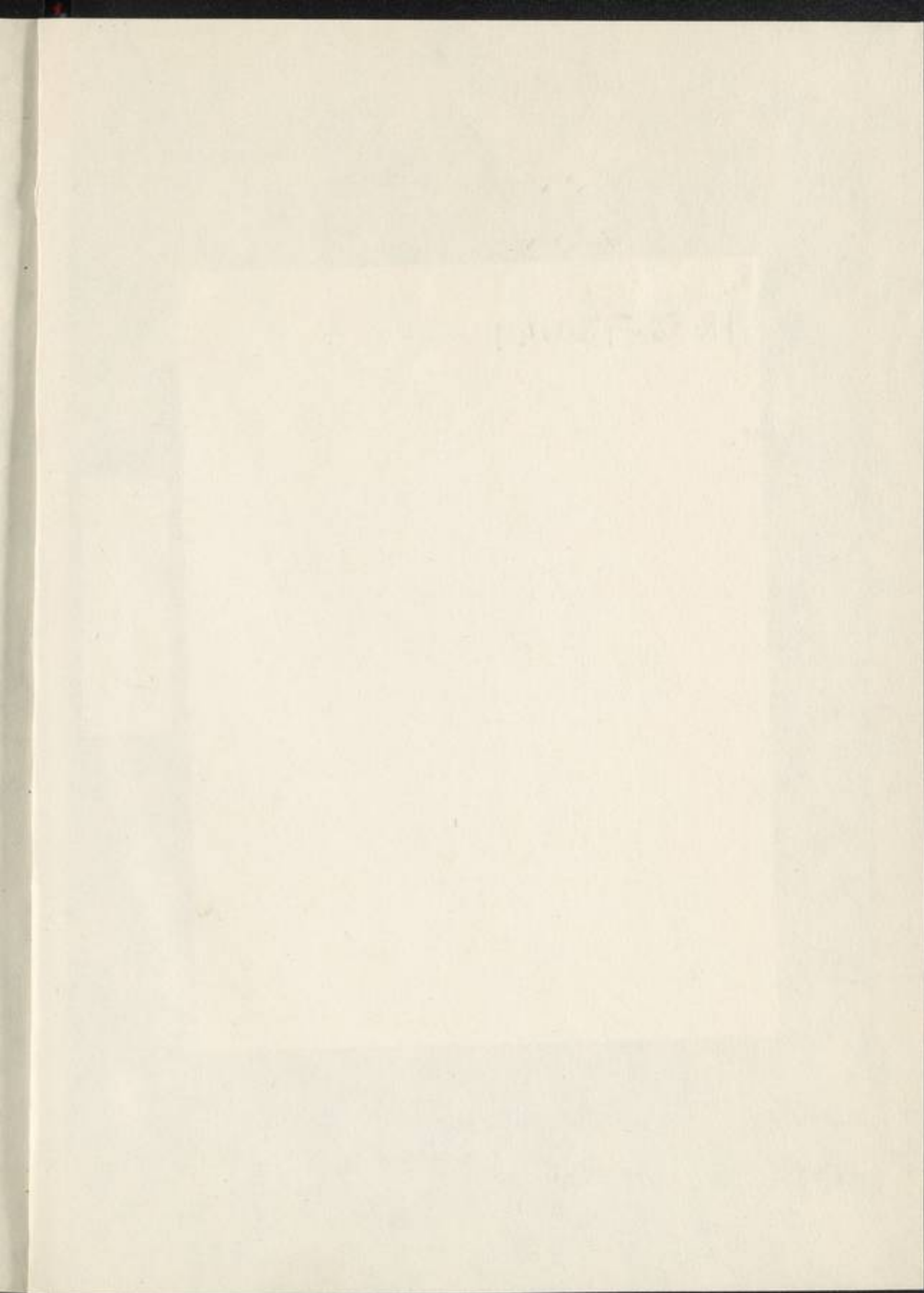
3744

(29)

IR-
V, 2

DATE DUE

DATE DUE	



Damirī, Muḥammad ibn Mūsá

/Hayāt al-hayawān al-kubrā/

حياة الحيوان الكبرى

لكمال الدين محمد بن موسى الدميري

(٧٤٢ - ٨٠٨ هـ)

ويليه:

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

للعامة زكريا بن محمد بن محمود القزويني

(٦٠٠ - ٦٨٢ هـ)

الجزء الثاني

مكتبة الطبع والنشر
شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمد محمود الحايي وشركاه - خافض

94
41
D3
1985
V.2
C.2

الجزء الثاني	٤٤٨ صفحة + كتاب عجائب المخلوقات ٣١٩ صفحة
الكتاب	حياة الحيوان الكبرى
المؤلف	كمال الدين محمد بن موسى الدميري
الناشر	منشورات الرضى قم - منشورات ناصر خسرو طهران
الجزء الثاني	٧٦٨ صفحة . وزيرى
سنة الطبع	١٣٦٤ هـ - ش
عدد النسخ	١٠٠٠
الطبعة	الثانية
المطبعة	مطبعة أمير - قم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب الظاء المعجمة

﴿الظي﴾ : الغزال ، والجمع أظب وظباء وظبي والأنثى ظبية والجمع ظبيات بالتحريك وظباء ، وأرض مظبية أى كثيرة الظباء ، وظبية اسم امرأة تخرج قبل الدجال تنذر المسلمين به قاله ابن سيده . قال الكرخي : الظباء ذكور الغزلان والأنثى الغزال . قال الإمام : وهذا وهم فإن الغزال ولد الظبية إلى أن يشتد ويطلع قرناه . قال الإمام النووي : الذى قاله الإمام هو المعتمد . وقول صاحب التنبيه : فإن أتلف ظبيا ماخضا ، قال النووي : صوابه ظبية ماخضا لأن الماخض الحامل ولا يقال فى الأنثى إلا ظبية والذكر ظبي ، وجمعت الظبية على ظباء كزكوة وركاء لأن ما كان على فعلة بفتح أوله من المعتل فجمعه ممدود ، ولم يخالف هذا إلا القسرية فإنها جمعت على قرى على غير قياس فجاء مخالفا للباب فلا يقاس عليه . قاله الجوهري . وتكنى الظبية : أم الخشف وأم شادن وأم الطلاء ، والظباء مختلفة الألوان وهى ثلاثة أصناف : صنف يقال له الآرام وهى ظباء بيض خالصة البياض الواحد منها ريم ، ومساكنها الرمال ، ويقال إنها ضأن الظباء لأنها أكثر لحوما وشحوما : وصنف يسمى العفر وألوانها حمراء وهى قصار الأعناق وهى أضعف الظباء عدوا تألف المواضع المرتفعة من الأرض والأماكن الصلبة قال السكيت :

وكنا إذا جبار قوم أرادنا بكيد حملناه على قرن أعفرا

يعنى نقتله ونحمل رأسه على السنان وكانت الأسنة فيما مضى من القرون ، وصنف يسمى الأدم طوال الأعناق والقوائم بيض البطون ، وتوصف الظباء بحدّة البصر وهى أشدّ الحيوان نفورا . ومن كيس الظبي أنه إذا أراد أن يدخل كناسه يدخل مستديرا ويستقبل بعينه ما يخافه على نفسه وخشفاً ، فإن رأى أن أحداً أبصره حين دخوله لا يدخل وإلا دخل ، ويستطيب الحنظل ويلتذ بأكله ويرد البحر فيشرب من مائه المر الزعاق . قال ابن قتيبة : ولد الظبية أول سنة طلاء بفتح الطاء وخشف بكسر الخاء المعجمة ، ثم فى السنة الثانية جذع ، ثم فى الثالثة ثنى ثم لا يزال ثنيا حتى يموت .

وذكر ابن خلكان في ترجمة جعفر الصادق أنه سأل أبا حنيفة رضى الله تعالى عنهما ما تقول في محرم كسر رباعية ظبي؟ فقال: يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أعلم ما فيه، فقال: إن الظبي لا يكون رباعيا وهو ثني أبدا كذا حكاه كشاجم في كتاب المصايد والمطارذ وقال الجوهري في مادة س ن ن في قول الشاعر في وصف الإبل:

فجاءت كسن الظبي لم أر مثلها شفاء عليل أو حلوبة جائع

أى هي ثنيات لأن الثني هو الذى يلتقى ثنيته والظبي لا تثبت له ثنية قط فهو ثني أبدا . وقال ابن شبرمة : دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد الصادق فقلت : هذا رجل فقيه من العراق ، فقال : لعله الذى يقيس الدين برأيه أهو النعمان بن ثابت ؟ قال : ولم أعلم باسمه إلا ذلك اليوم ؟ فقال له أبو حنيفة : نعم أنا ذلك أصلحك الله ، فقال له جعفر : اتق الله ولا تقس الدين برأيك فإن أول من قاس برأيه إبليس إذ - قال أنا خير منه - فأخطأ بقياسه فضل ، ثم قال له : أتحنن أن تقيس رأسك من جسدك ؟ قال : لا . قال جعفر : فأخبرني لم جعل الله الملوحة في العينين والمرارة في الأذنين والماء في المنخرين والعذوبة في الشفتين لأى شيء جعل الله ذلك ؟ قال : لا أدري . قال جعفر : إن الله تعالى خلق العينين فجعلهما شحمتين وخلق الملوحة فيهما منا منه على ابن آدم ولولا ذلك لذابتا فذهبتا ، وجعل المرارة في الأذنين منا منه عليه ولولا ذلك لهجمت الدواب فأكلت دماغه ، وجعل الماء في المنخرين ليصعد منه النفس وينزل ويجد منه الريح الطيبة من الريح الرديئة ، وجعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم لذة المطعم والمشرب . ثم قال لأبي حنيفة : أخبرني عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان ؟ قال : لا أدري . قال جعفر : هي كلمة لا إله إلا الله فإله الله ثم سكت كان شركا ، ثم قال : ويحك أيما أعظم عند الله إنما قتل النفس التي حرم الله بغير حق أو الزنا ؟ قال : بل قتل النفس . قال جعفر : إن الله تعالى قد قبل في قتل النفس شهادة شاهدين ولم يقبل في الزنا إلا شهادة أربعة فأنى يقوم لك القياس ؟ ثم قال : أيما أعظم عند الله الصوم أو الصلاة ؟ قال : الصلاة ، قال : فما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ؟ اتق الله يا عبد الله ولا تقس الدين برأيك فإننا نقف غدا ومن خالفنا بين يدي الله فنقول : قال الله وقال رسول الله ، وتقول أنت وأصحابك : سمعنا ورأينا فينزل الله بنا وبكم ما يشاء .

والجواب في أن الزنا لا يقبل فيه إلا أربعة طلبا للستر ، وفي أن الحائض لا تقضى الصلاة دفعا للمشفقة لأن الصلاة متكررة في اليوم والليلة خمس مرات بخلاف الصوم فإنه في السنة مرة والله أعلم . وجعفر الصادق هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين . وجعفر أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب

الإمامية من سادات أهل البيت، ولقب الصادق لصدقه في مقالته، وله مقال في صنعة الكيمياء والزجر والقال .

وتقدم في باب الجيم في الجفرة عن ابن قتيبة أنه قال في كتابه [أدب الكاتب] : إن كتاب الجفر جلد جفرة كتب فيه الإمام جعفر الصادق لأهل البيت كل ما يحتاجون إلى علمه وكل ما يكون إلى يوم القيامة ، وكذا حكاه ابن خلكان عنه أيضا، وكثير من الناس ينسبون كتاب الجفر إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وهو وهم ، والصواب أن الذي وضعه جعفر الصادق كما تقدم .

وأوصى جعفر ابنه موسى الكاظم فقال : يا بني احفظ وصيتي تعش سعيدا وتمت شهيدا ، يا بني إن من قنع بما قسم له استغنى ، ومن مد عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيرا ، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم في قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استعظم زلة نفسه استصغر زلة غيره ، يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغي قتل به ، ومن احتفر لأخيه بئرا سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، يا بني قل الحق نك أو عليك ، وإياك والنيمة فإنها تزرع الشحنة في قلوب الرجال ، يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه . وروى أنه قيل لجعفر الصادق ، ما بال الناس في الغلاء يزداد جوعهم بخلاف العادة في الرخص ؟ فقال : لأنهم خلقوا من الأرض وهم بنوها فإذا أقحطت أقحطوا وإذا أخصبت أخصبوا .

ولد جعفر رحمة الله تعالى عليه سنة ثمانين من الهجرة ، وقيل سنة ثلاث وثمانين ، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة ، وفي الحديث « أن النبي صلى الله عليه وسلم مر هو وأصحابه وهم محرمون بظبي حاقف في ظل شجرة فقال يا فلان لأحد أصحابه : قف ها هنا حتى يمر الناس لا يريه أحد بشئ » أي لا يتعرض له . وفي المستدرک عن قبيصة بن جابر الأسدي قال : كنت محرما فرأيت ظبيا فرميته فأصبتته فمات فوق في نفسي من ذلك شئ ، فأتيت عمر أسأله فوجدت إلى جنبه رجلا أبيض رقيق الوجه وإذا هو عبد الرحمن بن عوف ، فسألت عمر فالتفت إلى عبد الرحمن فقال : ترى شاة تكفيه ؟ قال : نعم ، فأمرني أن أذبح شاة ، فلما قمنا من عنده قال صاحب لي : إن أمير المؤمنين لم يحسن أن يفتيك حتى سأل الرجل فسمع عمر بعض كلامه فعلاه بالدرة ضربا ثم أقبل على ليضربني فقلت : يا أمير المؤمنين إني لم أقل شيئا إنما هو قاله ، فتركني ثم قال : أردت أن تفعل الحرام وتتعدى في الفتيا ، ثم قال إن في الإنسان عشرة أخلاق : تسعة حسنة وواحد سيئة فيفسدها ذلك السيئة ، ثم قال : إياك وعثرات اللسان .

وحكى المبرد عن الأصمعي أنه قال : حدثت أن رجلا نظر إلى ظبية ترد الماء ، فقال له
أعرابي : أتحب أن تكون لك ؟ قال : نعم ، قال : فأعطني أربعة دراهم حتى أردتها إليك
فأعطاه فخرج يمحص في أثرها فوجدت وجد حتى أخذ بقرنيها فأعطاه إياها وهو يقول :
وهي على البعد تلوى خدها تزيغ شدى وأزيغ شدها
كيف ترى عدوى غلام ردها وكلما جدت تراني عندها

وذكر ابن خلكان : أن كثير عزة دخل يوما على عبد الملك بن مروان ، فقال له
عبد الملك : هل رأيت أحدا أعشقت منك ؟ قال : نعم ، بينا أنا أسير في فلاة إذا أنا برجل
قد نصب حباله وهو جالس ، فقلت له : ما أجلسك ها هنا ؟ فقال : أهلكني وقومي الجوع
فنصبت حبالتي هذه لأصيب لهم شيئا ولننسى ، فقلت : رأيت إن أقت معك أتجعل لي
جزءا من صيدك ؟ قال : نعم ، فبينما نحن كذلك إذ وقعت ظبية في الحباله فبدرني إليها فحلها
وأطلقها ، فقلت : ما حملك على ذلك ؟ قال : رق قلبي بها لشبهها بليلي ، وأنشد يقول :
أيا شبه ليلى لا تراعى فإنني لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها فأنت لليلى ما حبيت طليق

وفي كتاب [ثمار القلوب] للنعالي في الباب الثالث عشر منه : أن الملك بهرام جور
لم يكن في العجم أرمي منه ، ومن غريب ما اتفق له أنه خرج يوما يتصيد على جمل وقد أردف
جارية يعشقها فعرضت له ظباء فقال للجارية : في أي موضع تريد أن أضع السهم من
هذه الظباء ؟ فقالت : أريد أن تشبه ذكرانها بإنائها وإنائها بذكرانها ، فرمى ظبيا ذكرا
بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ، ورمى ظبية بنشابتين أثبتهما في موضع القرنين ، ثم سأله
أن يجمع ظلف الظبي وأذنه بنشابة واحدة ، فرمى أصل أذن الظبي ببندقة فلما أهوى بيده إلى
أذنه ليحرك رماه بنشابة فوصل أذنه بظلفه ، ثم أهوى إلى الجارية مع هواه لها فرمى بها إلى
الأرض وأوطأها الجمل بسبب ما اشتطت عليه وقال : ما أرادت إلا إظهار عجزى ، فلم
تلبث إلا يسيرا وماتت .

(فصل) يلتحق بهذا النوع غزال المسك ولونه أسود ويشبه ما تقدم في القد ودقة القوائم
وافتراق الأظلاف غير أن لكل منهما نابين أبيضين خفيفين خارجين من فيه في فكاه الأسفل
قائمين في وجهه كمناب الخنزير كل واحد منهما دون الفتر ، ويقال إنه يسافر من التبت إلى
الهند فيلحق ذلك المسك هناك فيكون رديئا ، وحقيقة ذلك المسك دم يجتمع في سرتها في وقت
معلوم من السنة بمنزلة المواد التي تنصب إلى الأعضاء وهذه السرة جعلها الله تعالى معادنا
للمسك فهي تثمر كل سنة كالشجرة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، وإذا حصل ذلك
انورم مرضت له الظباء إلى أن يتكامل ، ويقال إن أهل التبت يضربون لها أوتادا في البرية

تحتك بها ليستقط عندها . وذكر القزويني في الأشكال : أن دابة المسك تخرج من الماء كالظباء تخرج في وقت معلوم والناس يصيدون منها شيئا كثيرا فتذبح فيوجد في سررها دم وهو المسك ولا يوجد له هناك رائحة حتى يحمل إلى غير ذلك الموضع من البلاد انتهى ، وهذا غريب - والمعروف ما تقدم . وفي مشكل الوسيط لابن الصلاح عن ابن عقيل البغدادي أن النافجة في جوف الظبية كالأنفحة في جوف الجحدي ، وأنه سافر إلى بلاد المشرق حتى حمل هذه الدابة إلى بلاد المغرب لخلاف جرى فيها ، ونقل في كتاب العطر له عن علي بن مهدي الطبري أحد أئمة أصحابنا أنها تلقى من جوفها كما تلقى الدجاجة البيضة انتهى . قلت : والمشهور أنها ليست مودعة في الظبية بل هي خارجة ملتحمة في سرتها كما تقدم والله أعلم .

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كانت امرأة من بني إسرائيل قصيرة تمشي مع امرأتين طويلتين فاتخذت رجلين من خشب وخاتما من ذهب وخشته مسكا والمسك أطيب الطيب ، فمرت بين المرأتين فلم يعرفوها فقالت بيدها هكذا ونفض شعبة يده » . قال النووي : دل الحديث على أن المسك أطيب الطيب وأفضله وأنه ظاهر يجوز استعماله في البدن والثوب ويجوز بيعه وهذا كله مجمع عليه : ونقل أصحابنا عن الشيعة فيه مذهبا باطلا وهم محجوجون بإجماع المسلمين وبالأحاديث الصحيحة في استعمال النبي صلى الله عليه وسلم واستعمال الصحابة رضي الله تعالى عنهم . قال أصحابنا وغيرهم : هو مستثنى من القاعدة المعروفة أن ما أبين من حي فهو ميتة . قال : وأما اتخاذ المرأة القصيرة رجلين من خشب حتى مشت بين الطويلتين فلم تعرف ، فحكمه في شرعنا أنها إن قصدت به مقصودا صحيحا شرعيا لتستر نفسها لثلاث تعرف فتقصد بالأذى ونحو ذلك فلا بأس به ، وإن قصدت به التعاضم أو التشبه بالكاملات وتزويرا على الرجال وغيرهم فهو حرام .

(فائدة) روى الدارقطني والطبراني في معجمه الأوسط عن أنس بن مالك والبيهقي في شعبه عن أبي سعيد الخدري قال « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم قد صادوا ظبية وشدوها إلى عمود فسقاط فقالت : يا رسول الله إني وضعت ولي خشقان فاستأذن لي أن أرضعهما ثم أعود إليهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : خالوا عنها حتى تأتي خشفها ترضعهما وتأتي إليكم . قالوا : ومن لنا بذلك يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أنا ، فأطلقوها فذهبت فأرضعهما ثم عادت إليهم فأوثقوها ، فقال صلى الله عليه وسلم : أتبيعونيها؟ قالوا : هي لك يا رسول الله ، فخالوا عنها فأطلقها » وفي رواية عن زيد بن أرقم قال « لما أطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتهما تسبح في البرية وهي تقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله » وروى الطبراني عن أم سلمة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحراء فإذا مناد ينادي يا رسول الله فالتفت فلم ير أحدا ثم التفت فإذا ظبية موثوقة فقالت : ادن مني

يا رسول الله ، فدنا منها فقال : ما حاجتك ؟ فقالت : إن لي خشفين في هذا الجبل فحلني حتى أذهب فأرضعهما ثم أرجع إليك ، فقال صلى الله عليه وسلم : وتفعلين؟ قالت : عذبنى الله عذاب العشار إن لم أفعل ، فأطلقها فذهبت فأرضعت خشفيها ثم رجعت فأوثقها ، وانتبه الأعرابي فقال : ألك حاجة يا رسول الله ؟ قال نعم تطلق هذه ، فأطلقها فخرجت تعدو وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله « وفي دلائل النبوة للبيهقي عن أبي سعيد قال « مر النبي صلى الله عليه وسلم بظبية مربوطة إلى خباء فقالت : يا رسول الله حلني حتى أذهب فأرضع خشفي ثم أرجع فتربطني ، فقال صلى الله عليه وسلم : صيد قوم وربيطه قوم ، فأخذ عليها فحلقت له فحلها فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت وقد نفضت ما في ضرعها ، فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى إلى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوا له فحلها ثم قال صلى الله عليه وسلم : لو علمت البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا أبدا « وفي ذلك يقول صالح الشافعي من قصيدة له :

وجاء امرؤ قد صاد يوما غزالة لها ولد خشف، تخلف بالكدي
فنادت رسول الله والقوم حضر فأطلقها والقوم قد سمعوا النداء

وسياتي إن شاء الله تعالى في العشاء بيتان آخران .

(الحكم) يحل أكلها بجميع أنواعها ، ووقع لجماعة من الأصحاب أنهم قالوا : يجب على المحرم في قتل الظبي عنز ، كذا قاله الإمام وارتضاه الرافعي وصوبه النووي وهو وهم فإن الظبي ذكر والعنز أنثى فالصواب أن في الظبي ثنيا ، وأما المسك فظاهر وكذا فأرته في الأصح لكن شرط طهارتها انفصالها حال حياة الظبية . وقيد الخاملي في كتاب اللباب المسك بالظبي فقال : والمسك من الظبي طاهر : أي المسك المأخوذ من الظبي احتريز بذلك عن المسك التبتى المأخوذ من الفأرة الآتى ذكرها في باب الفاء إن شاء الله تعالى وهو نجس ، ويستدل به على منع أكلها إذ لو كانت مأكولة لا لتحق مسكها بمسك الظبية ، والطيبون يسمون المسك التبتى المسك التركي وهو عندهم أجود المسك وأغلى ثمنا وينبغي التحرز من استعماله لنجاسته ، وسياتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء ما قاله الجاحظ في فأرة المسك : ونقل الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح عن القفال الشاشي : أن فأرة المسك يعنى النافجة تدبغ بما فيها من المسك فتطهر طهارة المدبوغات . وذكر بعض شراح غنية ابن سريج أن الشعر الذى على فأرة المسك يعنى المافجة نجس بلا خلاف لأن المسك يدبغ ملاقاه من الجلد الخاذى له فيطهر وما لم يلاقه من أطراف النافجة نجس . وهذا الذى قاله ظاهر إلا قوله إن شعرها نجس بلا خلاف فليس بظاهر لأن في طهارة الشعر تبعا للجلد المدبوغ خلافا عندنا ، وهى رواية الربيع الجيزى عن الشافعي واختاره السبكي وغيره وصححه الأستاذ أبو إسحاق الاسفراينى والرويانى

وابن أبي عصرون وغيرهم كما تقدم في باب السين المهملة في الكلام على السنجاب ، وذكر الأزرقى في تعظيم صيد الحرم عن عبد العزيز بن أبي رواد : أن قوما انتهوا إلى ذى طوى وزلوا بها فإذا ظبي من ظباء الحرم قد دنا منهم فأخذ رجل منهم بقائمة من قوائمهم فقال له أصحابه : ويالك أرسله ، فجعل يضحك وأبى أن يرسله ، فبعر الظبي وبال ثم أرسله فناموا في القائلة فانتبه بعضهم فإذا هو بحية منطوية على بطن الرجل الذى أخذ الظبي ، فقال له أصحابه ويحك لا تتحرك فلم تنزل الحية عنه حتى كان منه من الحدث مثل ما كان من الظبي ، ثم روى عن مجاهد قال : دخل مكة قوم تجار من الشام في الجاهلية بعد قصى بن كلاب فنزلوا بوادى طوى تحت سميرات يستظلون بها ، فاخترتوا على ملة لهم ولم يكن معهم آدم فقام رجل منهم إلى قوسه فوضع عليها سهما ثم رمى به ظبية من ظباء الحرم وهى حولهم ترعى فقاموا إليها فسلخواها وطبخوها ليأتمدوا بها ، فبينما هم كذلك وقدرهم على النار تغلى بها وبعضهم يشوى إذ خرجت من تحت القدر عنق من النار عظيمة فأحرقت القوم جميعا ولم تحرق ثيابهم ولا أمتعتهم ولا السميرات التى كانوا تحتها .

(الأمثال) قالوا : آمن من ظباء الحرم ، وقالوا : ترك الظبي ظله ، وهو كقولهم : أتركه ترك الغزال ظله . يضرب للرجل النفور ، وظله كناسه الذى يستظل به من شدة الحر وهو إذا نفر منه لا يعود إليه أبدا ، وسيأتى إن شاء الله تعالى في باب العين أيضا . (الخواص) قال ابن وحشية : قرنه ينحت ويبخر به البيت يطرد الهوام ، ولسانه يجفف في الظل ويطعم للمرأة السلطة تزول سلاطتها ، ومرارته تقطر في الأذن الوجعة يزول وجعها ويعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان في طعام الصبي فيأكله فينشأ ذكيا فصيحاً حافظاً ذلقاً ، ومسكه يقوى البصر وينشف الرطوبات ويقوى القاب والدماع ويجلو بياض العين وينفع من الخنقان وهو ترياق للسموم إلا أنه يورث تصغير الوجه . ومن خواص المسك أن استعماله في الطعام يورث البخر .

(فصل) المسك حار يابس وأجوده الصفدى المجلوب من تبت إلا أنه يضر بالأدمغة الحارة ودفع ضرره استعماله بالكافور ، وتوافق رائحته الأمزجة الباردة والشيوخ . قال الرازى : لحم الظبي حار يابس وهو أصلح لحوم الصيد ، وأجوده الخشف وهو نافع للقولنج والقالج والأبدان الكثيرة الفضول لكنه يجفف الأعضاء ، ويدفع ضرره الأدهان والحوامض وهو يولد دما حارا وأصلح ما أكل في الشتاء .

(فائدة) نوافج التبتى نوع رقاق ، والجرجارى ضده في الرقة والرائحة ، والقونوى متوسط بينهما ، والصنوبرى دون ذلك ، ويجاب في قوارير منفرقا في نوافجه ، وكالما بعد حيوانه عن البحر كان مسكه ألد وأذكى .

(التعبير) الطيبي في المنام : امرأة حسناء عربية فمن رأى أنه يملك ظبية بصيد فإنه يملك جارية بمكر وخديعة أو يقزوج امرأة، ومن رأى أنه ذبح ظبية افتض جارية ومن رمى ظبية لغير الصيد فإنه يقذف امرأة ومن رمى ظبية وكان عزمه الصيد نال مالا من امرأة، ومن رأى أنه صاد ظبيا أصابته لداذة في الدنيا، ومن رأى أنه أخذ ظبيا نال ميراثا وخيرا كثيرا، ومن رأى أنه سلخ ظبية فجر بامرأة، ومن رأى ظبيا وثب عليه فإن امرأته تعصيه في جميع أموره . وقال جاماسب : من رأى أنه يمشى في أثر ظبي زادت قوته، ومهما ملك الإنسان من قرون الطباء أو شعورها أو جلودها فهي أموال من قبل النساء .

(خاتمة) المسك في المنام حبيب أو جارية ، ومن حمل المسك من اللصوص فإنه يمسك لأن الرائحة الذكية تنم على صاحبها وحاملها وتغشى سره ، ويدل أيضا على المال لأنه أكثر ثمنا من الذهب وغيره ، ويدل على طيب عيش وخير طيب يرد على من شمه أو ملكه ، ويدل على براءة المتهمين ، وقيل هو ولد ، وقيل هو امرأة ، والله تعالى أعلم ؟

(فائدة) رأيت في مختصر الإحياء للشيخ شرف الدين بن يونس شارح التنبيه في باب الإخلاص : أن من أخلص لله تعالى في العمل ولم ينوبه مقابلا ظهرت آثار بركته عليه وعلى عقبه إلى يوم القيامة ، كما قيل إنه لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض جاءته وحوش الفلاة تسلم عليه وتزوره فكان يدعو لكل جنس بما يليق به ، فجاءته طائفة من الطباء فدعا لهم ومسح على ظهورهم فظهر فيهم نوافج المسك، فلما رأى بواقها ذلك قان من أين هذا لكن؟ فقلن : زرنا صفي الله آدم فدعا لنا ومسح على ظهورنا فضى البواقى إليه فدعا لهم ومسح على ظهورهم فلم يظهر بهن من ذلك شيء ، فقان : قد فعلنا كما فعلن فلم نر شيئا مما حصل لكن ، فقيل أنتن كان عملكن لتنن كما نال إخوانكن وأولئك كان عملهن لله من غير شيء فظهر ذلك في نسلهن وعقبهن إلى يوم القيامة انتهى . وهذه من زياداته على الإحياء وقد تكلمنا على الإخلاص والرياء في كتاب الجوهر الفريد في الجزء الرابع فليُنظر هناك .

﴿ الظربان ﴾ : بفتح الظاء المشالة مثل القطران : دوية فوق جرو الكلب منتنة الريح كثيرة الفسو ، وقد عرف الظربان ذلك من نفسه فجعل ذلك سلاحا له كما عرفت الحبارى مافي سلاحها من السلاح إذا قرب الصقر منها ، كذلك الظربان يقصد جحر الضب وفيه حسوله ويبيضه فيأتي أصبغ موضع فيه فيسده بذنبه ويحول دبره إليه فلا يفسو ثلاث فسوات حتى يغشى على الضب فيأكله ثم يقيم في جحره حتى يأتي على آخر حسوله ، وتزعم الأعراب أنها تفسو في ثوب أحدهم إذا صادها فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب .

(فائدة) سأل أبو علي الفارسي أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر وكان مكثرا من تنقل اللغة كم لنا من الجمع على وزن فعلى ؟ فقال في الحال : حجلي وظربي . قال أبو علي : فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال فلم أجد لهما ثالثا ، وقد تقدم هذا في باب الحاء المهملة ، والظربان على قدر الهرة والسكاب القلطي وهو منتن الريح ظاهرا وباطنا له صماخان بغير أذنين قصير اليدين وفيهما برائن حداد طويل الذنب ليس لظهره فقار ولا فيه مفصل بل عظم واحد من مفصل الرأس إلى مفصل الذنب ، وربما ظفر الناس به فيضربونه بالسيف فلا تعمل فيه حتى تصيب طرف أنفه لأن جلده مثل القدي في الصلابة . ومن عاداته أنه إذا رأى الثعبان دنا منه ووثب عليه فإذا أخذه تضاعف في الطول حتى يبقى شبيها بقطعة جبل فينطوي الثعبان عليه فإذا انطوى عليه نفخ ثم زفر زفرة يتقطع منها الثعبان قطعا قطعا ، وله قوة في تسلق الحيطان في طلب الطير فإذا سقط نفخ بطنه فلا يضره السقوط ، ويتوسط الهجمة من الإبل فيفسو فيها فتتفرق تلك الإبل كتفرقها من مبرك فيه قردان فلا يردھا الراعي إلا بجهد ولهذا سمته العرب مفرق النعم وهو كثير ببلاد العرب ، والهجمة مائة من الإبل .

(وحكمه) تحريم الأكل لاستخباته ، ولا يدفع ذلك قول ابن قتيبة العرب تصيد الظربان فيفسر في أحكامهم لأنهم لا يسمون صيدا إلا المأكول .

(الأمثال) قالوا : فسا بينهم الظربان إذا تقاطع القوم قال الشاعر :

ألا أبلغا قيسا وجندب أننى ضربت كثيرا مضرب الظربان

﴿ الظلميم ﴾ : ذكر النعام ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب النون ، وكنيته : أبو البيض وأبو ثلاثين وأبو الصحاري ، وجمعه ظلمان كوليده وولدان . قال زهير :

من الظلمان جؤجؤه هواء .

وقال تعالى - ويطوف عليهم ولدان مخلدون - ونظيرهما قضيب وقضبان وعريض وعرضان وفصيل وفصائلان ، ذكر سيبويه هذه الألفاظ سوى الولدان وقال : إنه قليل ، وحكى غيره : القرى وهو مجرى الماء والجمع قريان وسرى وسريان وصبي وصبيان وخصي وخصيان .

(خاتمة) يقال عار الظلم يعار عرارا بكسر العين المهملة وهو صوته . قال ابن خلكان وغيره : ومنه أخذ اسم عرار ، وهو عرار بن عمرو بن شاس الأسدي الذي قال فيه أبوه :

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم
فإن عرارا إن يكن غير واضح فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

وكان والده له امرأة من قومه وابنه عرار هذا كان من أمة ، وكان قد وقع بين عرار

وبين امرأة أبيه عداوة فاجتهد أبوه عمرو على أن يصلح بينه وبين امرأته فلم يمكنه فطلقها ثم ندم ، وكان عرار فصيحا عاقلا . توجه عن المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج بن يوسف الثقفي رسولا في بعض المهمات ، فلما مثل بين يديه لم يعرفه وازدراه فلما استنطقه أبان عن فضل وأعرب إلى أن بلغ الغاية ، فأنشد الحجاج متمثلا :

أرادت عراراً بالهوان ومن يرد عراراً العمرى بالهوان فقد ظلم البيت
فقال عرار : أيدك الله أنا عرار ، فأعجب به وبذلك الاتفاق . قالت : وهذه الحكاية
نظير مارواه الدينوري في المجالسة وقاله الحريري في الدررة : أن عبيد بن شربة الجرهمي
عاش ثلثمائة سنة وأدرك الإسلام فأسلم ودخل على معاوية بن أبي سفيان بالشام وهو خليفة
فقال له : حدثني بأعجب ما رأيت . قال : مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتا لهم ، فلما
انتهيت إليهم اغرورقت عيناي بالدموع فتمثلت بقول الشاعر :

يا قلب إنك من أسماء مغرور فاذكر وهل ينفعك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ماتخفيه من أحد حتى جرت لك أطلاقا محاضير
فلست تدري وما يدري أعاجلها أدنى لرشدك أم مافيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به فبينما العسر إذ دارت مياشير
وبينما المرء في الأحياء مغتبط إذا هو الرمنس تعفوه الأعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحى مسرور

قال : فقال لي رجل : أتعرف من يقول هذه الأبيات ؟ قلت : لا والله إلا أنى أرويهما
منذ زمان ، فقال : والذي تحلف به إن قائلها صاحبنا الذي دفناه آنفا الساعة ، وأنت
الغريب الذي تبكي عليه ولست تعرفه ، وهذا الذي خرج من قبره أمس الناس به رحما وهو
أسرهم بموته كما وصف ، فعمجت لما ذكره من شعره والذي صار إليه من قوله كأنه ينظر
من مكانه إلى جنازته فقلت : إن البلاء موكل بالمنطق ، فذهبت مثلا : فقال له معاوية :
لقد رأيت عجبا فمن الميت ؟ قال : هو عثير بن لبيد العذري .

باب العين المبهمة

﴿ العاتق ﴾ : قال الجوهري : هو فرخ الطائر فوق الناهض يقال أخذت فرخ قطة
عاتقا وذلك إذا طار واستقل . قال أبو عبيدة : نرى أنه من السبق كأنه يعتق أو يسبق اه .
وقال ابن سيده : العاتق الناهض من فرخ القطا وهو أول ما ينحسر ريشه الأول وينبت له
ريش جديد ، وقيل العاتق من الحمام ما لم يسن ويستحكم والجمع عواتق ، والفرس العتيق

الرائع الكريم ، وامرأة عتيقة أى جميلة كريمة . وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود « أنه كان يقول فى سورة بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : لمنن من العتاق الأول وهن من تلامدى » أراد بالعتاق جمع عتيق ، والعرب تسمى كل شىء بلغ الغاية فى الجودة عتيقا ، يريد تفضيل هذه السور لما تتضمن من ذكر القصص وأخبار الأنبياء وأخبار الأمم ، والتلاد ما كان قديما من المال ، يريد أنها من أوائل السور المنزلة فى أول الإسلام لأنها مكية وأنها من أول ما قرئ وحفظ من القرآن .

﴿ العاتك ﴾ : الفرس والجمع العواتك . قال الشاعر :

تبعهم خيلا لنا عواتكا فى الحرب جردا تركب المهالكا

(فائدة) روى عبد الباقي بن قانع فى معجمه والحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفى من حديث سيانة بن عاصم وسيانة بسين مهملة ثم ياء مثناة من تحت وبعد الألف نون ثم هاء له صحبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين « أنا ابن العواتك من سليم » العواتك ثلاث نسوة من بنى سليم كن من أمهات النبي صلى الله عليه وسلم : إحداهن عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان السلمية وهى أم عبد مناف بن قصى ، والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج السلمية وهى أم هاشم بن عبد مناف ، والثالثة عاتكة بنت الأوقص ابن مرة بن هلال السلمية وهى أم وهب أبي أمية أم النبي صلى الله عليه وسلم . فالأولى من العواتك عمه الثانية وعمه الثالثة ، وبنو سليم تفخر بهذه الولادة ، ولبنى سليم مفاخر أخرى : منها أنها آلفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : أى شهد معه منهم ألف ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم لواءهم يومئذ على الألوية وكان أحمر ، ومنها أن عمر رضى الله تعالى عنه كتب إلى أهل الكوفة والبصرة ومصر والشام : أن ابعثوا إلى من كل بلد أفضله رجلا ، فبعث أهل الكوفة عتبة بن فرقد السامى ، وبعث أهل مصر معن أبى الأعور السلمى ، وبعث أهل البصرة مجاشع بن مسعود السلمى ، وبعث أهل مصر معن ابن يزيد السلمى ، كذا قاله جماعة ، والصواب أن بنى سليم كانوا يوم الفتح تسعمائة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « هل لكم فى رجل يعدل مائة فيؤيكم ألفا ؟ قالوا : نعم ، فوقاهم بالضحاك بن سفيان وكان رئيسهم » وإنما جعله عليهم لأن جميعهم من قيس غيلان .

﴿ عتاق الطير ﴾ : هى الجوارح ، قاله الجوهري .

﴿ العتلة ﴾ : هى الناقة التى لاتلقح فهى أبدا قوية ، قاله أبو نصر ، وسيأتى إن شاء الله تعالى لفظ الناقة فى باب النون .

﴿ العاضة والعاضة ﴾ : حية يموت الذى تسعه من ساعته ، وقد تقدم لفظ الحية فى باب الحاء المهملة :

﴿ العاسل ﴾ : الذئب والجمع العسل والعواسل والأنثى عسلى ، وقد تقدم لفظ الذئب فى باب الذال المعجمة .

﴿ العاطوس ﴾ : دابة يتشام بها ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكرها فى باب الفاء فى الفاعوس .

﴿ العافية ﴾ : كل طالب رزق من إنسان أو بهيمة أو طائر مأخوذ من عفوته إذا أتته تطلب معروفه .

(فائدة) فى الحديث « من أحيا أرضا ميتة فهى له ، وما أكلت العافية منها فهو له صدقة » . وفى رواية « العوافى » وهى جمع عافية رواه النسائى والبيهقى وصححه ابن حبان من رواية جابر بن عبد الله ، وفى صحيح مسلم من رواية الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافى » يريد عوافى السباع والطيور « ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعمقان بغنمهما فيجدانها وحشا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما » . قال الإمام النووى : المختار أن هذا الترك للمدينة يكون فى آخر الزمان عند قيام الساعة ، ويوضحه قصة الراعيين من مزينة فلئنهما يخران على وجوههما حين تدركهما الساعة وهما آخر من يحشر كما ثبت فى صحيح البخارى انتهى . وقال القاصى عياض : هذا مما جرى فى العصر الأول وانقضى وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة منها إلى الشام والعراق ، وذلك الوقت أحسن ما كانت للدين والدنيا أما الدين فلكثرة العلماء بها ، وأما الدنيا فلعمارتها وقرسها واتساع حال أهلها . قال : وذكر الأخباريون فى بعض الفتن التى جرت بالمدينة وخاف أهلها أنه رحل عنها أكثر الناس وبقيت ثمارها أو أكثرها للعوافى وخلت مدة ثم تراجع الناس إليها . قال : وحالها اليوم قريب من هذا وقد خرب أطرافها .

﴿ العائز ﴾ : بالذال المعجمة الناقة التى معها ولدها ، وقيل الناقة إذا وضعت وبعد ماتضع أياما حتى يقوى ولدها ، وفى الحديث « أن قریشا خرجت لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها العوذ المطافيل » وهى جمع عائذ ، يريد أنهم خرجوا بدوات الألبان من الإبل ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى ينجزوا محمدا وأصحابه فى زعمهم ، ووقع فى نهاية

الغريب أن العوذ المطافيل يريد بها النساء والصبيان وإنما قيل للناقة عائذ وإن كان الولد هو الذى يعوذ بها لأنها عاطف عليه كما قالوا تجارة رابحة وإن كانت مربوحا فيها لأنها فى معنى نامية وزاكية ، وكذلك عيشة راضية لأنها فى معنى صالحة .

﴿ العقبص العبقوص ﴾ : دويبة ، قالوا ابن سيده .

﴿ العبور ﴾ : الجذعة من الغنم أو أصغر ، وعين اللحيانى ذلك للصغير فقال : هى بعد الفطم والجمع عبائر ، قاله ابن سيده أيضا .

﴿ العترانه ﴾ : بضم العين الديك ، وقد تقدم لفظ الديك فى باب الدال المهملة . قال عدى بن زيد :

ثلاثة أحوال وشهرا محرما أقضى كعين العتران المحارب

﴿ العنبر ﴾ : بفتح العين الصغير من أولاد المعز إذا قوى ورعى وأتى عليه حول والجمع أعتدة وعدان وأصله عتدان فأدغم . روى مسلم عن عقبة بن عامر « أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه غنا يقسمها بين أصحابه فبقى عتود فقال : ضح به أنت » قال البيهقى وسائر أصحابنا كانت هذه رخصة لعقبة بن عامر خاصة كأبى بردة هانى بن نيار البلوى . وروى البيهقى « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعقبة بن عامر : ضح بها أنت ولا رخصة لأحد فيها بعدك » وفى سنن أبى داود « أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص فى مثل ذلك لزيد بن خالد » فالذين خصوا بذلك ثلاثة : أبو بردة وعقبة بن عامر وزيد بن خالد .

﴿ العتذ ﴾ : بضم العين وتشديد التاء المثلثة دويبة تلحس الثياب والصوف والجمع عث وعتث وأكثر ما تكون فى الصوف . وقال فى المحكم : هى دويبة تعلق بالإهاب تأكله هذا قول ابن الأعرابى ، وقال ابن دريد : العث بغير هاء دويبة تقع فى الصوف فدل هذا على أن الجمع عث ، وقال ابن قتيبة : إنها دويبة تأكل الأديم وغازير بينها وبين الأرضة ؛ وقال الجوهري : العثة السوسة التى تلحس الصوف .

(وحكمها) تحريم الأكل .

(الأمثال) قالوا : عثينة تقرم جلدا أملس ، يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر فى الشىء فلا يقدر عليه . قاله الأحنف بن قيس لحارثة بن زيد لما طلب من على رضى الله تعالى عنه أن يدخله فى الحكومة : وفى الفائق أن الأحنف قاله لرجل هجاه كما قيل :

فإن تشتمونا على لؤمكم فقد تقرم العث ملس الأدم

﴿ العنثمة ﴾ : الشديدة من النوق والذكر عثمم والعنثم الأسد قاله الجوهري ، قال ويقال ذلك من ثمل وطئه . قال الراجز :
 • خبعثن مشيته عثمم •

﴿ العثمان ﴾ : بضم العين وإسكان التاء المثلثة وباليم والنون بينهما ألف فرخ الحبارى وفرخ الثعبان والحية أو فرخها .

﴿ العثوثج ﴾ : بثاءين مثلثين مفتوحتين بينهما واو وأوله عين وآخره جيم البعير الضخم .

﴿ العجروف ﴾ : بضم العين دويبة ذات قوائم طوال ، وقيل هي النملة الطويلة الأرجل .

﴿ العجل ﴾ : ولد البقرة والجمع العجول ، ويقال في المفرد أيضا عجول بكسر وتشديد الجيم مفتوحة والجمع العجاجيل والأثني عجلة ، وبقرة معجل : أى ذات عجل .

(فائدة) قيل سمي عجلا لاستعجال بني إسرائيل عبادته وكانت مدة عبادتهم له أربعين يوما ففوقوا في التيه أربعين سنة فجعل الله كل سنة في مقابلة يوم ، وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لكل أمة عجل وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم » قال حجة الإسلام الغزالي : وكان أصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة . وقال الجوهري : قال بعضهم في قوله تعالى — عجلا جسدا — أى من ذهب أحمر اه .

والسبب في عبادة بني إسرائيل العجل أن موسى عليه الصلاة والسلام وقت الله تعالى له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر ، فلما عبر بهم البحر في يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه مروا على قوم لهم أوثان يعبدونها من دون الله تعالى على تماثيل البقر . قال ابن جريج : وكان ذلك أول شأن العجل فقال بنو إسرائيل لما رأوا ذلك — يا موسى اجعل لنا إلها — أى تماثلا لعبده — كما لهم آلهة — ولم يكن ذلك شكاً من بني إسرائيل في وحدانية الله تعالى وإنما معناه اجعل لنا شيئاً نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله ووطنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم كما قال الله تعالى — إنكم قوم تجهلون — وكان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر أن الله إذا أهلك عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون ، فلما فعل الله ذلك لهم سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوماً ، فلما تمت الثلاثون أنكر خلوف فبه فاستاك بعود خروب ، وقيل أكل من لحاء شجرة فقالت له الملائكة : كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك فأتمها بعشر ، فلما مضت ثلاثون كانت فنتهم في العشر التي زادها ، وكان السامري من قوم يعبدون البقر ، وكان قد أظهر الإسلام وفي قلبه من حب عبادة البقر شيء فابتلى الله به بني إسرائيل ، فقال لهم السامري واسمه موسى

ابن ظفر : اثتوني بحلى بنى إسرائيل ، فجمعوه له فاتخذهم منه عجلا جسدا له خوار وألقى في فمه قبضة من تراب أثر فرس جبريل فتحول عجلا جسدا لحما ودما له خوار وهو صوت البقر كذا قاله ابن عباس والحسن وقتادة وأكثر أهل التفسير وهو الأصح كما في البغوى وغيره وقيل كان جسدا مجسدا من ذهب لا روح فيه وكان يسمع منه صوت ، وقيل إنه ما خار إلا مرة واحدة فعكف عليه القوم للعبادة من دون الله تعالى يرقصون حوله ويتواجدون ، وقيل إنه كان يخور كثيرا كلما خار سجدوا له وإذا سكت رفعوا رءوسهم . وقال وهب : كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك . وقال السدى : كان يخور ويمشى ، والجسد بدن الإنسان ولا يقال لغيره من الأجسام المتغذية جسدا ، وقد يقال للجن أجساد فكان عجل بنى إسرائيل جسدا يصيح كما تقدم ولا يأكل ولا يشرب قال الله تعالى - وأشربوا في قلوبهم العجل - أى حب العجل ، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام - فجاء بعجل سمين - قال قتادة : كان عامة مال إبراهيم عليه السلام البقر واختاره سمينا زيادة في إكرامهم . وقال القرطبي : العجل في بعض اللغات الشاة . ذكره القشيري . وكان عليه الصلاة والسلام مضيافا ، وحسبك أنه وقف للضيافة أوقافا تمضيها الأمم على اختلاف أديانها وأجناسها . قال عون بن شداد : مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام مسرعا حتى لحق بأمه .

(ومما يحكى) من محاسن القاضى محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة ووفاته سنة ثلاثين وثلثمائة : أن العباس بن المعلى الكاتب كتب إليه : ما يقول القاضى وفقه الله تعالى فى يهودى زنى بنصرانية فولدت ولدا جسمه للبشر ووجهه للبقر ، وقد قبض عليهما فما يرى القاضى فيهما ؟ فكتب الجواب بديها : هذا من أعدل الشهود على الملاحين اليهود فإنهم أشربوا حب العجل فى صدورهم حتى خرج من أيورهم ، وأرى أن يناط برأس اليهودى رأس العجل ، ويصلب على عنق النصرانية الرأمن مع الرجل ، ويسحب على الأرض وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض ، والسلام :

(فائدة أخرى) نقل القرطبي عن أبى بكر الطرطوشى رحمهما الله تعالى : أنه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان يقرءون شيئا من القرآن ، ثم ينشد لهم منشد شيئا من الشعر فيرقصون ويطربون ويضربون بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم لا؟ فأجاب : مذهب السادة الصوفية أن هذا بطالة وجهالة وضلالة إلى آخر كلامه . قلت : وقد رأيت أنه أجاب بلفظ غير هذا وهو أنه قال : مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل ، وإنما كان مجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رءوسهم الطير من

الوقار : فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم ، هذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم من أئمة المسلمين .

(فائدة أخرى) روى أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه ، فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحوّله إلى قرية أخرى فألقاه بفنائها ثم أصبح يطلب بثأره ، وجاء بناس إلى موسى عليه الصلاة والسلام فادعى عليهم القتل ، فسألمهم موسى فوجدوا فاشبهه أمر القتل على موسى . قال السكابي : وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ذلك فدعا الله فأوحى إليه أن يعلمهم أن الله يأمرهم أن يذبحوا بقرة :

وروى أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح وله طفل له عجلة فأتى بها إلى غيضة وقال : اللهم إنى أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ، ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها ، فلما كبر الابن وكان بارا بأمه كان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا ، وكان إذا أصبح انطاق فاحتطب على ظهره وأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطى أمه ثلثه ، فقالت أمه له يوما : إن أباك ورتلك عجلة استودعها الله في غيضة كذا وكذا فانطلق وادع له إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أن يردها عليك ، وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها ، فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال : أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أن تأتي ، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وأقبل يقودها ، فتكلمت العجلة بإذن الله تعالى وقالت : أيها الفتى البار بوالدته اركبني فإن ذلك أهون عليك ، فقال الفتى : إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها ، فقالت : وإله بني إسرائيل لوركتبني لما قدرت على أبدا فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبعرك بأملك ، فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له : إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة . قال : بكم أبيعها ؟ قالت : بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة إذ ذاك ثلاثة دنانير ، فانطلق بها إلى السوق فبعث الله إليه ملكا يرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله عليما خبيرا ، فقال له الملك : بكم تباع هذه البقرة ؟ قال : بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتي ، فقال له الملك : فإني أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك ، فقال الفتى : لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضا والدتي ، ثم إن الفتى رجع إلى أمه وأخبرها بالثمن : فقالت له : ارجع وبعها بستة دنانير على رضا مني

فانطلق بها إلى السوق فأتاه الملك فقال له : استأمرت أمك ؟ فقال له الفتى : إنها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها ، فقال له الملك : فإني أعطيك اثني عشر دينارا على أن لا تستأمرها ، فأبى الفتى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك فقالت له : إن الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليجربك فإذا أتاك فقل له : أتأمرنا أن نبيع هذه أم لا نفعل ؟ فقال له الملك : اذهب إلى أمك وقل لها : أمسكي هذه البقرة فإن موسى يشتريها منك لقتيل من بني إسرائيل ، فلا تتبعها إلا بجمء مسكها ذهباً . أي جلدها دنانير ، فأمسكوها وقدر الله عز وجل على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بأمه فضلاً منه ورحمة ، فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة بعينها .

واختلف العلماء في لونها فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : شديدة الصفرة . وقال قتادة : لونها صاف . وقال الحسن البصري : الصفراء السوداء والأول أصح لأنه لا يقال أسود فاقع وإنما يقال أصفر فاقع وأسود حالك وأحمر قان وأخضر ناظر وأبيض يقق للمبالغة ، فلما ذبحوها أمرهم الله أن يضربوا القتيل ببعضها . واختلف في ذلك البعض فقال ابن عباس وجهور المفسرين : ضربه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقبل . وقال مجاهد وسعيد بن جبير : يعجب الذنب لأنه أول ما يخلق وآخر ما يبلى ويركب عليه الخلق وقال الضحاك : بلسانها لأنه آلة الكلام . وقال عكرمة والكلبي : بفخذها الأيمن ، وقيل بعضو منها لا بعينه ، ففعلوا ذلك فقام القتيل حياً بإذن الله تعالى وأوداجه تشخب دماً وقال : قتلني فلان ، ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث ، وفي الخبر « ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة » واسم القتيل عاميل قاله البيهقي وغيره . قال الزمخشري وغيره : روى أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال : اللهم إني أستودعكها لابني حتى يكبر ، فكبر الولد وكان باراً بأمه فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه ، فساموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بجمء جلدها ذهباً ، وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير .

وذكر الزمخشري وغيره : أن بني إسرائيل كانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة ، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو اعترضوا أي بقرة كانت فذبحوها لكفتمهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشد الله عليهم ، والاستقصاء شؤم » .

(وعن بعض الخلفاء) أنه كتب إلى عامله : أن يذهب إلى قوم فيقطع أشجارهم ويهدم دورهم ، فكتب إليه : بأيهما أبدأ ؟ فقال : إن قلت لك بقطع الشجر سألتني بأي نوع منها أبدأ .

(وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى) أنه كتب إلى عامله قال : إذا أمرتك أن تعطي فلاناً شاة سألتني أضنان أم معز ؟ فإن بينت لك قلت أذكر أم أنثى ؟ فإن أخبرتك قلت أسوداء أم بيضاء ؟ فإذا أمرتك بشيء فلا تراجعني فيه .

(تتمة) فيما يتعلق بهذه الفائدة من الأحكام إذا وجد قتيل في مكان ولم يعرف قاتله فإن كان ثم لوث على أنساب واللوث ما يغلب على القلب صدق المدعى بأن اجتمع جماعة في بيت أو صحراء ثم تفرقوا عن قتيل يغلب على الظن أن القاتل منهم ، أو وجد قتيل في محلة أو قرية كلهم أعداء القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على القلب أنهم قتلوه وادعى الولي فيحلف المدعى خمسين يمينا على من يدعى عليه، فإن كان الأولياء جماعة توزع الأيمان عليهم ، ثم بعد الأيمان تؤخذ الدية من عاقلة المدعى عليه إن ادعى عليه قتل خطأ ، وإن ادعى عليه قتل عمد فمن ماله ولا قود على قول الأكثرين . وقال عمر بن عبد العزيز : يجب القود ، وبه قال مالك وأحمد ، وإن لم يكن لوث فالقول قول المدعى عليه مع يمينه ، وهل يحلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا ؟ قولان : أحدهما يمينا واحدة كما في سائر الدعاوى ، والثاني خمسين يمينا تغليظا لأمر الدم ، وعند أبي حنيفة لا حكم للوث ولا يبتدئ بيمين المدعى بل إذا وجد قتيل في محلة أو قرية يختار الإمام خمسين رجلا من صلحاء أهلها ويحلفهم أنهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلا ثم يأخذ الدية من سكانها .

والدليل على البداءة بيمين المدعى عند وجود اللوث ما روى الشافعي عن سهل بن أبي خيثمة : أن عبد الله بن سهل ومحبيصة بن مسعود خرجا لخير فتفرقا لحاجتهما فقتل عبد الله بن سهل ، فانطلق محبيصة بن مسعود وعبد الرحمن أخو القتيل وحويصة بن مسعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له قتل عبد الله بن سهل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم صاحبكم ؟ فقالوا : يا رسول الله لم نشهد ولم نحضر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتهربكم يهود بخمسين يمينا ، فقالوا : يا رسول الله وكيف يقبل إيمان قوم كفار ؟ فزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم عقله من عنده » قال البغوي في معالم التنزيل : وجه الدليل من الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بإيمان المدعين لقوة جانبهم باللوث ، وهو أن عبد الله بن سهل وجد قتيل في خير ، وكانت العداوة ظاهرة بين الأنصار وبين أهل خير ، وكان يغلب على الظن أنهم قتلوه ، واليمين أبدا تكون حجة لمن يقوى جانبه ، وعند عدم اللوث يقوى جانب المدعى عليه حيث أن الأصل براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه انتهى .

(الخواص) قال القزويني : خصية العجل تجفف وتشرب بعلحرقها تهيج الباه وتعين على كثرة الجماع حتى عجميا ، وقضيب العجل إذا جفف وأجيد سحقه واستف منه إنسان وزن درهم فإنه يمكن الشيخ العاجز من افتضاض البكر فإن سحقه وألقى على البيض التيمرشت وتحسى منه فإنه يزيد في الباه زيادة لم ير مثلها ، وقال غيره : خصية العجل تجفف وتشرب مسحوقا تهيج الباه وتنعظ وتعين على كثرة الجماع ، وقضيبه إذا أحرق وسحق وشرب نفع من وجع الأسنان وإذا شرب مع السكنجبين منع الطحال .

(التعبير) العجل في المنام : ولد ذكر ، وإذا كان مشويا فهو أمن من الخوف لقصة إبراهيم صلى الله عليه وسلم قال تعالى - فما لبث أن جاء بعجل حنيذ - إلى قوله : - لا تخف - .

(خاتمة) بنو عجل قبيلة كبيرة من العرب شهيرة ينسبون إلى عجل بن لجيم بضم اللام وفتح الجيم ، وكان عجل المذكور يعد من الحمقى من أجل أنه كان له فرس جواد فقيل له إن لكل فرس جواد اسما فما اسم فرسك ؟ فقال : لم اسمه بعد ، فقيل له سمه ، ففقأ إحدى عينيه ثم قال : سميته الأعور ، وفيه قال بعض شعراء العرب :

رمتني بنو عجل بداء أبيهم وهل أحد في الناس أحق من عجل
أليس أبوهم عار عين جواده فسارت به الأمثال في الناس بالجهل
يقال عار عينه بالمهملة إذا فقأها :

﴿ العجمجمة ﴾ : الشديدة من النوق : قال الجوهري : مثل العشممة ، وأنشد :

بات يبارى ورشات كالمقطا عجمجمات خشقا تحت السرى

﴿ أم عجممة ﴾ : طائر معروف ، قاله الجوهري :

﴿ العجوز ﴾ : الأرنب والأسد والبقر والثور والذئب والذئبة والرخم والرمكة والضبع وعانة الوحش والعقرب والفرس والكلب :

﴿ عدس ﴾ : البغل سموه بزجره قال الشاعر :

إذا حملت بزقي على عدس على الذي بين الحمار والفرس
فما أبالي من عدا ومن جلس

وعدس زجر البغل . قال يزيد بن مفرغ :

عدس ما لعباد عليك إماراة نجوت وهذا تحملين طليق

﴿ العذفوط ﴾ : بالضم دويبة بيضاء ناعمة يشبه بها أصابع الجوارى .

﴿ العريج ﴾ : كلب الصيد قاله في المدخل :

﴿ عرار ﴾ : مثل قطام اسم بقرة ، وفي المثل : بادت عرار بكحل ، وهما بقرتان انتطحتا فانتا جميعا .

﴿ العريض ﴾ : الجدى كذا قاله في المدخل ، وقد تقدم لفظ الجدى في باب الجيم .

﴿ العسجدية ﴾ : ركاب الملوك . قال الجوهري : وهي إبل كانت تزبن للنعمان :

- ﴿العربى﴾ : مثال سلفه ملحق بمجرد حل حية تنفخ ولا تؤذى ، وقد تقدم ذكرها في الحيات والعريضة سوء الخلق ، وقولهم : رجل عربى مأخوذ من هذا قاله ابن قتيبة وغيره ،
- ﴿العريضة والعرباض﴾ : البقر القوى الكلكل قاله ابن سيده .
- ﴿العرس﴾ : لبوة الأسد والجمع أعراس . قال مالك بن خويلد الخناعى : ليث هزبر مدل عند خيسته بالرقمتين له أجر وأعراس
- ﴿العريضة﴾ : بالصاد المهملة دويرة عريضة كالجعل .
- ﴿العريضة والعريضة﴾ : بالطاء المهملة دويرة عريضة .
- ﴿العزة﴾ : بالفتح بنت الظبية ، وبها سميت المرأة عزة . قاله الجوهري :
- ﴿العسا﴾ : بفتح العين المهملة الأثني من الجراد ، وقد تقدم لفظ الجراد في باب الجيم ،
- ﴿العساس﴾ : بفتح العين القنفاذ الكبيرة سميت بذلك لكثرة تردها في الليل .
- ﴿العساس﴾ : الذئب ، وقد تقدم في باب الذال المعجمة .
- ﴿العسايل﴾ : الإبل المهزولة الواحدة عسول :
- ﴿العسبار﴾ : بكسر العين وبالسين الساكنة والأثني عسبارة ولد الضبيع من الذئب وجمعه عسبار .
- (وحكمه) تحريم الأكل لأنه متولد بين مأكول وغير مأكول ،
- ﴿العسور﴾ : ولد الكلب من الذئبة ، والعسبار ولد الذئب أو ولد الضبيع من الذئب كما تقدم . قال الجوهري في ع و ل قال الكميث :
- كما خامرت في حضنها أم عامر لذي الجبل حتى عال أوس عياها
- أشار بذلك إلى أن الضبيع إذا صيدت ولها ولد من الذئب لم يزل الذئب يطعم ولدها إلى أن يكبر ، وقد تقدم ذلك في لفظ أوس .
- ﴿العسلو﴾ : كل سبع جرىء . والعسلق الظليم ، وقيل الثعلب حكاه ابن سيده .
- ﴿العسج﴾ : كعسل الظليم أيضا ، وقد تقدم لفظ الظليم في باب الظاء المشالة المعجمة ،
- ﴿العشرا﴾ : الناقة التي أتى عليها من يوم أرسل عليها الفحل عشرة أشهر وزال عنها اسم الخاض ، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع أيضا يقال ناقتان عشراوان

ونوق عشار ، وليس في الكلام فعلاء يجمع على فعال غير عشاء جمع على عشار ونفساء جمع على نفاس .

(فائدة) قال الشيخ أبو عبد الله بن النعمان في كتاب [المستغنين بخير الأنام] : حديث حنين الجذع الذي كان يخطب إليه النبي صلى الله عليه وسلم حنين العشار متواتر . رواه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم العند الكثير والجهم الغفير : منهم جابر بن عبد الله وابن عمرو من طريقهما خرجه البخاري وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد الساعدي وأبو سعيد الخدري وبريدة أم سلمة والمطلب بن أبي وداعة ، قال جابر في حديثه : فصاحت الحشبة صباح الصبي فضمها إليه . وفي حديثه أيضا « سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار » وفي رواية ابن عمر رضي الله تعالى عنهما « فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح بيده عليه » وفي بعض الروايات « والذي نفسى بيده لو لم ألزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة » تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال : يا عباد الله الحشبة نحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه وأتم أحق أن تشاقروا إلى لقائه ، ونظم صالح الشافعي في ذلك فقال :

وحن إليه الجذع شوقا ورقة ورجع صوتا كالعشار مرددا

فبادره ضما فقرر لوقته لكل امرئ من دهره ما تعودا

وحنين الجذع إليه وتسليم الحجر عليه لم يثبت لواحد من الأنبياء إلا له صلى الله عليه وسلم .

﴿ العصارى ﴾ : بضم العين وفتح الصاد المهملة والراء في آخره بعدها ياء مثناة من تحت نوع من الجراد أسود شبيه بالخنافس .
(وحكمه) حل الأكل .

حكى أبو عاصم العبادي عن أبي طاهر الزيادي أنه قال : كنا نراه حراما ونفتى بتحريمه حتى ورد علينا الأستاذ أبو الحسن الماسرجسي فقال : إنه حلال ، فبعثنا منه جرابا للبادية وسألنا عنه العرب فقالوا : هذا هو الجراد المبارك فرجعوا إلى قول العرب فيه .

﴿ العصفور ﴾ : بضم العين ، وحكى ابن رشيق في كتاب [الغرائب والشذوذ] عصفور يالفتح والأنثى عصفورة . قال الشاعر :

كعصفورة في كف طفل يسومها حياض للردى والطفل يلهو ويلعب

وكنيته : أبو الصعو وأبو محرز وأبو مزاحم وأبو يعقوب .

قال حمزة : سمي عصفورا لأنه عصي وفر ، وهو أنواع : منها ما يطرب بصوته ويعجب

بصوته وحسنه وسأني إن شاء الله تعالى . والعصفور الصرار وهو الذي يجيب إذا دعى من الصيرورة ، وعصفور الجنة وهو الخطاف وقد تقدم ذكرهما في بايهما . وأما العصفور الدوري البيوتي فإن في طباعه اختلافاً وذلك أن فيه من طبائع السباع وهو أكل اللحم ولا يزق فراخه ؛ ومن البهائم أنه ليس بذى مخلب ولا منسر ، وإذا سقط على عود قدم أصابعه الثلاث وأخر الدابرة وسائر أنواع الطير تقدم أصبعين وتؤخر أصبعين ، ويأكل الحب والبقول ، ويتميز الذكر منها بلحية سوداء كما للرجل والنيس والديك ، وليس في الأرض طائر من سبع ولا بهيمة أحنى من العصفور على ولده ولا أشد له عشقا وذلك مشاهد عند أخذ فراخها ، ووكره في العمران تحت السقوف خوفاً من الجوارح ، وإذا نخلت مدينته من أهلها ذهبت العصافير منها فإذا عادوا إليها عادت العصافير ، والعصفور لا يعرف المشي إنما يثب وثبا ، وهو كثير السفاد فربما سفد في الساعة الواحدة مائة مرة ولذلك قصر عمره فإنه لا يعيش في الغالب أكثر من سنة ، ولفرخه تدرّب على الطيران حتى إنه يدعى فيجيب .

قال الجاحظ : بلغني أنه رجع من فرسخ . ومن أنواعه عصفور الشوك وأكثر ماواه السياج . وزعم أرسطو أن بينسه وبين الحمام عداوة لأن الحمام إذا كان به در حكه في الشوك الذي يأوى إليه هذا العصفور فيقتله ، وربما نهق الحمام فتستقط فراخه أو بيضه من جوف وكره فلذلك هذا العصفور إذا رأى الحمام رفرف فوق رأسه وعلى عينيه وآذاه بطيرانه وصياحه . ومن أنواعه القبرة وسأني إن شاء الله تعالى في باب القاف . ومن أنواعه حسون وقد تقدم في باب الحاء والليل والصعو والحمرة والعندليب والمكاكي والصارف والتنوط والوصع والبراقش والتبعة وكلها في أماكنها المذكورة .

وفي الأذكياء لابن الجوزي : أن رجلا رمى عصفورا فأخطأه ، فقال له رجل : أحسنت ، فغضب وقال : أتتهزأني ؟ قال : لا ولكن أحسنت إلى العصفور إذ لم تصبه ، ورأيت في بعض التعاليق : أن المتوكل رمى عصفورا فلم يصبه وطار ، فقال له ابن حمدان : أحسنت ، فقال له المتوكل : كيف أحسنت ؟ قال : أحسنت إلى العصفور . وروى عن الجنيدي أنه قال : أخبرني محمد بن وهب عن بعض أصحابه أنه حج مع أيوب الجمال قال : فلما دخلنا البادية وسرنا منازل إذ بعصفور يحوم حولنا ، فرفع أيوب رأسه إليه وقال له : قد جئت إلى هنا ، فأخذ كسرة خبز ففتها في كفه فانحط العصفور وقعد على كفه فأكل منها ثم صب له ماء فشربه ثم قال : اذهب الآن فطار العصفور ، فلما كان من الغد رجع العصفور ففعل أيوب مثل فعله في اليوم الأول ، فلم يزل كل يوم يفعل به مثل ذلك إلى آخر السفر ، ثم قال أيوب : أتدرى ما قصة هذا العصفور ؟ قال : لا . قال : إنه كان يجيئني في منزلي كل يوم فكنت أفعل به ما رأيت ، فلما خرجنا تبعنا يطلب منا ما كنت أفعل به في المنزل .

روى البيهقي وابن عساكر بسندهما إلى أبي مالك قال : مر سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام بعصفور يدور حول عصفورة فقال لأصحابه : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : وما يقول يابني الله ؟ قال : يخطبها لنفسه ويقول : تزوجيني أسكنك أي قصور دمشق شئت . قال سليمان : وإنه عرف أن قصور دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها لكن كل خاطب كذاب ، وسيأتي إن شاء الله تعالى له نظيره في باب الغاء في الفاختة ، وكان سليمان عليه السلام يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغاتها ويعبر للناس عن مقاصدها وإرادتها كما تقدم في باب الطاء المهملة في الطيطوى . قال الله تعالى حكاية عنه - يأبها الناس علمنا منطق الطير - وكذلك كان يعرف لغات ماعداها من الحيوانات وسائر صنوف مخلوقات :

(فائدة) روى مسلم عن عائشة رضی الله تعالى عنها أنها قالت حين توفي صبي من الأنصار بين أبيين مسلمين « طوبى له عصفور من عصفير الجنة ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : أو غير ذلك إن الله تعالى خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم » ومن الناس من قلدح في هذا الحديث بأنه من رواية طلحة بن يحيى وهو متكلم فيه ، والصواب صحته وهو في صحيح مسلم ، ولسكنه صلى الله عليه وسلم نهانا عن المسارعة إلى القطع أو أنه قال ذلك قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة كذا قال بعضهم ، وليس بصحيح لأن سورة الطور مكية ودلت على تبعيتهم ، أو أن قطع عائشة بذلك قطع بإيمان أبيه . ويحتمل أن يكونا منافقين فيكون الصبي ابن كافرين . وروى ابن قانع في ترجمة الشريد بن سويد الثقفي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قتل عصفورا عبثا عجز إلى الله يوم القيامة فقال يارب عبدك قتلتني عبثا ولم يتلاني لمنفعة » وروى في حديث آخر « أن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت له أمه : هنيئًا لك عصفور من عصفير الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا ينفعه ويمنع مالا يضره » وروى البيهقي في الشعب عن مالك بن دينار قال « مثل قراء هذا الزمان مثل رجل نصب فخا فجاء عصفور فوقع في فخه فقال : مالي أراك مغيبا في التراب ؟ قال : للتواضع قال : فهم حنيت ؟ قال : من طول العبادة . قال : فما هذه الحبة في فيك ؟ قال : أعددتها للصائمين ، فلما أمسى تناول الحبة فوقع الفخ في عنقه فخنقه ، فقال العصفور : إن كان العباد يخنقون خنقك فلا خير في العباد اليوم » وفيه أيضا عن الحسن أن لقمان قال لابنه : يابني حملت الجنادل والحديد وكل حمل ثقيل فلم أجد شيئا أثقل من الحار السوء ، وذقت المرار كله فلم أذق شيئا أمر من الفقر ، يابني لا ترسل رسولا جاهلا فإن لم تجد حكما فكن رسول نفسك ، يابني إياك والكذب فإنه شهى كلحم العصفور وعمال قليل يقبل صاحبه ، يابني احضر الجنائز ولا تحضر

العرس فإن الجنائز تذكر الآخرة والعرس يشهيك الدنيا ، يا بني لا تأكل شبعاً على شبع فإنك إن تلقيه إلى الكلب خير لك من أن تأكله ، يا بني لا تكن حلوا فتبلع ولا مرا فتلفظ . ورأيت في بعض الجاميع عن الحسن أن لقمان قال لابنه : يا بني اعلم أنه لا يبطأ بساطك إلا راغب فيك أو راهب منك ، فأما الراهب منك الخائف فأذن مجلسه وتهلل في وجهه وإياك والغمز من ورائه ، وأما الراهب فيك فأظهر له البشاشة مع صفاء الباطن له وابدأه بالنوال قبل السؤال فإنك إن تلجئه إلى السؤال منك تأخذ من حر وجهه ضعف مانعته وأنشدوا على هذا :

إذا أعطيتني بسؤال وجهي فقد أعطيتني وأخذت مني
ولبعضهم أيضاً زيادة على هذا :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله بدلا وإن نال الغنى بسؤال
وإذا النوال مع السؤال وزنته رجح السؤال وخف كل نوال
ولبعضهم أيضاً زيادة في هذا المعنى :

تلحى على النحل البخيل بماله أفلا تكون بماء وجهك أخلا
أكرم يديك عن السؤال فإنما قدر الحياة أقل من أن تسألا
ولقد أضم إلى فضل قناعتي وأبيت مشتملا به مترملا
وأرى العدو على الخصاصة حالة تصف الغنى فيخالني متمولا
وإن امرؤ أفي الليالي حسرة وندامة أفنيتن توكللا

يا بني ابسط حلمك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم والثيم، وصل أقاربك، وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك اه . وقد أذكرني هذا ما حكاه بعض أشياخي أن الإسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك الشرق فعاد رسوله برسالة شك الإسكندر في حرف منها ، فقال له الإسكندر : ويحك إن الملوك لا يخاف عليها إلا إذا مالت بطاتها ، وقد جئتني برسالة صحيحة الألفاظ بينة العبارة غير أن فيها حرفا ينقصها فعلى يقين أنت منه أم شك فيه ؟ فقال الرسول : على يقين ، فأمر الإسكندر أن تكتب ألفاظها حرفا حرفا وتعاد إلى الملك مع رسول آخر فتقرأ عليه وترجم له ، فلما قرئ الكتاب على الملك مر بذلك الحرف فأنكره فقال للمترجم : ضع يدك على هذا الحرف فوضعها وأمر أن يقطع ذلك الحرف فقطع من الكتاب ، وكتب إلى الإسكندر : رأس المملكة صحة فطنة الملك ، ورأس الملك صدق لهجة رسوله إذا كان عن لسانه ينطق وإلى أذنه يؤدي وقد قطعت مالم يكن من كلامي إذ لم أجد إلى قطع لسان رسولا سبيلا ، فلما جاء الرسول بهذا إلى الإسكندر دعا الرسول الأول وقال له : ما حلك على كلمة أردت بها الفساد بين ملكين ؟ فأقر الرسول

أن ذلك التقصير رآه من الموجه إليه ، فقال له الإسكندر : ما أراك سميت إلا لنفسك لا لنا فلما فانتك ما أملت جعلت لك ثارا في الأنفس الخطيرة الرفيعة ، ثم أمر بلسانه ففزع من قفاه . وقال يحيى بن خالد بن برمك : ثلاثة أشياء تدل على عقول الرجال : الهدية والرسول والكتاب .

وسمع أبو الأسود الدؤلي رجلا ينشد :

إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيمًا ولا توصه
وإن باب أمر عليك التوى فشاور حكيمًا ولا تعصه
وإن ناصح منك يوما دنا فلا تباعده ولا تقصه
فقال قد أساء قائل هذا أي علم الغيب إذا لم يوصه كيف يعلم ما في نفسه هلا قال :
إذا أرسلت في أمر رسولا فأفهمه وأرسله أديبا
ولا تترك وصيته بشيء وإن هو كان ذا عقل أريبا
فإن ضيعت ذلك فلا تلمه على أن لم يكن علم الغيوبيا

وفي تاريخ ابن خلكان وغيره من التواريخ : أن الزنخشري كان مقطوع الرجل ، فمستل عن ذلك فقال : دعاء الوالدة وذلك أتى كنت في صباى أمسكت عصفورا وربطته بخيط في رجله فأفلت من يدي وأدركته وقد دخل في خرق من الحدار فجذبتة فانقطعت رجله بالخيط ، فتألمت والدتي لذلك وقالت : قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله ، فلما وصلت إلى سن الطلب رحلت إلى بخارى لطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي وعملت عملا أوجب قطعها .

وفي الحلية للحافظ أبي نعيم في ترجمة زين العابدين . قال أبو حمزة اليماني : كنت عند علي ابن الحسين فإذا عصفير يطرن حوله ويصرخن ، فقال يا أبا حمزة : هل تدري ما تقول هذه ؟ قال : العصفير . قلت : لا . قال : إنها تقدر ربهما جل وعلا وتسأله قوت يومها . وفي الصحيحين وسنن النسائي وجامع الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن أبي بن كعب وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قام موسى خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا أعلم ، فعتب الله تعالى عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إلى موسى إن عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك » وفي الرواية الأخرى « أنه قيل له هل تعلم أحدا أعلم منك ؟ قال موسى : لا ، فأوحى الله تعالى إلى موسى بل عبدا خضر ، فقال : يارب وكيف به ؟ فقال له : احمل حوتا في مكنتك ، فإذا فقدته فهو ثم ، فانطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون وحمل حوتا في مكنت حتى إذا كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما فناما ، وانسل الحوت من المكنت فاتخذ سبيله في البحر

سربا وكان لموسى وافتاه عجبا ، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما حتى أصبحا فقال موسى لفتاه :
 آتنا غدائنا لقد ثقتنا من سفرنا هذا نصبا ، ولم يجد موسى شيئا من النصب حتى جاوز المكان
 الذى أمر به ، فقال له فتاه : أرأيت إذ أويانا إلى الصخرة فإني نسيت الخوت قال موسى :
 ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا ، فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل مسجى بثوب
 أو قال تسجى بثوبه فسلم موسى « وفي الرواية الأخرى « وكان يتبع أثر الخوت في البحر ،
 فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام ؟ فقال : أنا موسى ، قال : موسى بنى إسرائيل ؟
 قال : نعم ، قال : ثم هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ؟ قال : إنك لن تستطيع معي
 صبرا ، يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وإنك على علم علمك الله أعلمه .
 قال : ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر
 فرأيا سفينة فكلموهم أن يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول ، فجاء عصفور فرقع
 على حرف السفينة فتمتر نقرة أو نقرتين في البحر ، فقال الخضر : يا موسى مانقص علمي
 وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور « وفي الرواية الأخرى « إلا مثل مانقص هذا
 العصفور من هذا البحر ، وعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فزعه ، فقال موسى :
 قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ؟ قال : ألم أقل إنك لن تستطيع
 معي صبرا ! قال : لا تأخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا ، فكانت الأولى
 من موسى نسيانا ، فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقطع
 رأسه بيده ، فقال موسى : أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا . قال :
 ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا ! قال ابن عيينة : وهذا أوكد ، فانطلقا حتى إذا أتيا
 أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه الخضر
 بيديه ، فقال موسى : لو شئت لاتخذت عليه أجرا . قال : هذا فراق بيني وبينك سأنبئك
 بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أخى موسى لو دنا
 أن لو صبر حتى يقص الله علينا من آياتهما « وفي الرواية الأخرى « رحم الله موسى لو كان
 صبر لقص علينا من أمرهما « وعن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس إن نوحا البكالى
 يزعم أن موسى ليس بموسى بنى إسرائيل وإنما هو موسى آخر . قال : كذب عدو الله
 حدثني أبي بن كعب وذكر الحديث وذكر قصة موسى والخضر بطولها قال « وجاء عصفور
 حتى وقع على حرف السفينة ثم نقر في البحر فقال له الخضر : مانقص علمي وعلمك من
 علم الله إلا مثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر « قال العلماء : لفظ النقص ليس هنا
 على ظاهره وإنما معناه إنما علمي وعلمك بالنسبة إلى علم الله كنسبة مانقص هذا العصفور
 من هذا البحر . قلت : وهذا على التقريب للأفهام وإلا فنسبة علمهما أقل وأحقر .

(وحكمه) حل الأكل . قال عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من إنسان يقتل عصفورة فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عنها . قيل : يا رسول الله وما حقها؟ قال : أن يذبحها فإكلها وأن لا يقطع رأسها فيرى به » رواه النسائي . وروى الحاكم عن خالد بن معدان عن أبي عبيدة بن الجراح قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن قلب ابن آدم مثل العصفور يقرب في اليوم سبع مرات » . ومن أحكام العصافير أنها على اختلاف أنواعها جنس واحد في باب الربا والبطوط جنس والسكركى جنس والخبارى جنس والإوز جنس والدجاج جنس والحمام جنس وتقدم في بابه ، ومن أحكامها أنه لا يجوز عتقها على الأصح ، وقيل يجوز لما روى الحافظ أبو نعيم عن أبي الدرداء أنه كان يشتري العصافير من الصبيان ويرسلها . قال ابن الصلاح والخلاف فيما يملك بالأصطياد أما البهائم الإنسانية فإن إعتاقها من قبيل سوائب الجاهلية وذلك باطل قطعاً . وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازى فى كتاب [عيون المسائل] : إن ذرق العصافير غير معفو عنه ، والمشهور أن فيه الخلاف الذى فى بول ما يؤكل لحمه .

(الأمثال) قال : أخف حلما من عصفور : وقال حسان رضى الله تعالى عنه :
لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير
وقال قعنب :

إن يسمعوا ربية طاروا بها فرحا منى وما سمعوا من صالح دفنوا
مثل العصافير أحلاما ومقدرة لو يوزنون برق الريش ما وزنوا
وقالوا : صاحت عصافير بطنه إذا جاع . قال الأصمعى : العصافير هنا الأمعاء .
قال الجوهري : والمصير المعى وهو فعيل والجمع المصران مثل رغيف ورغفان ثم المصارين جمع الجمع ، ونقله فى المحكم عن سيبويه سميت مصارين لصيرورة الطعام فيها ، وقالوا : أسفد من عصفور .

(الخواص) لحم العصافير حار يابس أصلب من لحم الدجاج وأجودها الشتوية السمان وأكلها يزيد فى المنى والباه لكنه يضر أصحاب الرطوبات الأصلية ويدفع ضررها دهن اللوز وهى تولد خلطا صفراويا يوافق من الأسنان الشيوخ ومن الأمزجة الباردة ومن الأزمان الشتاء . قال الختار بن عبدون : يكره أكل لحم العصافير لأن اليسير من عظامها إذا سبق فى أكل شىء منها أحدث شحما فى المرئ والمعى ، وإذا اتخذ من فراخها عجة بالبيض والبصل زادت فى الباه ، وأمراتها تحل الطبع ولحومها تعقله ولا سيما إذا كانت مهزولة هزالا فاضحا وأضر العصافير ما سمن فى البيوت . وقال غيره : إذا أخذ دماغ العصفور وأضيف إلى ماء السداب وشىء من عسل وشرب على الريق فإنه نافع لأوجاع البواسير ، وإذا خلط ذرق العصافير

بلعاب الإنسان وطلّى به على التأليل قلعتها مجرب : وإذا أخذ عصفور وذوّب دماغه بشرج وسقى لمن يحب شرب التبيذ فإنه يبغضه وهو عجيب مجرب ، وإذا أكل عصفور الشوك مشويا ومملوحا فتت الحصى الذى فى المثانة والسكى . وقال مهران بن يونس : إذا ذبح العصفور وقطر دمه على دقيق العدس وجعل بنادق وجفف فإنه يهبج الباه ، وإذا أخذت منه بندقة وخلطت بزيت وطلّى بها الإحليل ولا يبطأ على الأرض فإنه يبطأ ما شاء .

(فائدة) قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى : أربعة أشياء : تزيد فى الجماع أكل العصافير وأكل الإطريفل الأكبر وأكل الفستق وأكل الجوز . وأربعة أشياء تزيد فى العقل : ترك الفضول من الكلام واستعمال السواك ومجالسة الصالحين والعمل بالعلم . وأربعة أشياء توهن البدن : أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع وليس الكتان . وأربعة أشياء توهن البدن وتسقمه : كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الحموضة . (فائدة أخرى) من أكثر من الجماع وجعله دأبه أورثه حكمة فى بدنه وضعفا فى قوته وبصره وعدم لذة الجماع وشاب عاجلا ، ومن دافع البول والغائط ولم يقم إذا دعياه ضعفت مثانته وغلظ جلده وأورثه حرق البول والرمل والحصى وضعف البصر ، ومن أكثر من حك رجله بالنخالة والملح أحدّ بصره وعوفى من ضعفه ، ومن بصق فى بوله وأدمن على ذلك أمن وجع العصب قاله القزوينى نقلا عن أبقرات وغيره وذكر أنه امتحنه وجربه .

(التعبير) العصفور فى المنام : رجل قاص صاحب لحو وحكايات يضحك الناس ، وقيل إنه ولد ذكر فمن رأى أنه ذبح عصفورا وله ولد مريض خشى عليه من الموت ؛ وربما دل على رجل شيخ ضخم كثير المال يمتلئ فى الأمور كامل فى رياسته مدبر ، وربما دل على امرأة حسناء شفيقة ، وأصوات العصافير كلام حسن أو دراسة فى العلم ، والعصافير الكثيرة أموال لمن حواها فى المنام ، وتعبير العصافير بالأولاد والصبيان . ومن الرؤيا المعبرة أن رجلا أتى ابن سيرين فقال له : رأيت كأنى أخذ العصافير فأدق أجنتها وأجعلها فى حجرى ، فقال ابن سيرين : أتعلم كتاب الله أنت ؟ قال : نعم ، فقال : اتق الله فى أولاد المسلمين ، وأتاه رجل فقال : رأيت كأن فى يدي عصفورا وقد همت بذبحه ، فقال : لا يحل لك أن تأكلنى ، فقال له ابن سيرين : أنت رجل تتناول الصدقة ولست مستحقها ، فقال له الرجل : تقول لى ذلك ؟ فقال : نعم ، ولو شئت قلت لك كم درهما هى ؟ فقال : كم هى ؟ قال ابن سيرين : ستة دراهم ، فقال الرجل : ها هى فى كفى وأنا تائب لا أعود لى تناول الصدقة فقيل له من أين أخذت ذلك ؟ فقال : العصفور ينطق فى الرؤيا بالحق وهو ستة أعضاء فبقوله لا يحل لك أن تأكلنى علمت بذلك أنه يتناول مالا يستحق . ومن الرؤيا المعبرة أيضا عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه أنه أتاه رجل فقال : رأيت كأن فى يدي عصفورا ، فقال له جعفر :

تال عشرة دنانير ، فر الرجل فوق في يده تسعة دنانير فأتى إلى جعفر وأخبره بذلك ، فقال اقصص على الرؤيا ثانيا ، فقال : رأيت كأن بيدي عصفورا وأنا أقبه فلم أر له ذنبا ، فقال له جعفر : لو كان له ذنب لكانت الدنانير عشرة والله أعلم .

﴿ العضل ﴾ : بضم العين وفتح الضاد المعجمة الجرذ والجمع العضلان ، وقد تقدم ذكر الجرذ في باب الجيم .

﴿ العرفوط ﴾ : بكسر العين ودووية لا خير فيها تذكر العرب أنها لا تبول إلا شغرت ببوها إلى صوب القبلة والحيات تأكلها :

﴿ العريقة ﴾ : دووية عريضة وهي العريقتان . قاله الجوهري هـ

﴿ العضمجة ﴾ : الثعلبية ، وقد تقدم ذكر الثعلب وما فيه في باب لثاء المثلثة في أول الكتاب ،

﴿ العصرفوط ﴾ : العظاءة الذكر وتصغيره وعصيريف وعصيرف قاله الجوهري .
(فائدة) قال ابن عطية في تفسير قوله تعالى : - قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم - . روى أن الغراب كان ينقل الحطب إلى نار إبراهيم وأن الوزغة كانت تنفخ النار عليه لتضرم وكذلك البغل . وروى أن الخطاف والصفدع والعضرفوط كن ينقلن الماء ليطفئن النار فأبى الله على هذه وقاية وسلط على تلك النواذب والأذى هـ .

وقد أفادني بعض الأشياخ أن يكتب لسائر الحميات - قلنا يا نار كوني بردا وسلاما - سلاما سلاما على ثلاث وورقات ويشرب المحموم كل يوم ورقة منها على الريق ، أو عند ما تأخذ الحمى فإنها تذهب بإذن الله تعالى . وهو عجيب مجرب ، وسيأتي إن شاء الله تعالى قريبا أن العظاءة هي السحلية وهي مباركة ،

﴿ عطار ﴾ : قال القزويني : في الأشكال : إنه صنف من الدواب الصدفية يوجد ببلاد الهند في المياه القائمة ويوجد أيضا بأرض بابل ، وهو من أعجب الحيوانات له بيت صدف يخرج منه وله رأس وأذنان وعينان وفم ، فإذا دخل في بيته يحسبه الإنسان صدفة ، فإذا خرج منه ينساب في الأرض ويمر بيته معه ، فإذا جفت الأرض في الصيف يجتمع ، ورائحته عطرة .

(ومن خواصه) أنه إذا نجر به ينفع من الصرع ، وإذا أحرق فرماده يجلو الأسنان ، فإذا وضع على حرق النار وترك حتى يجف نفعه نفعنا بينا .

﴿ العطاط ﴾ : بالفتح الأسمد ، وقال صاحب الكامل في تفسير خطبة الحجاج لأهل الكوفة : العطاط بضم العين وقيل بفتحها ضرب من الطير معروف .

﴿ العطرف ﴾ : بالكسر الأفعى الكبيرة ؛ وقد تقدم لفظ الأفعى في باب الهمزة .

﴿ العظاءة ﴾ : بالطاء المعجمة المفتوحة والمد دويبة أكبر من الوزغة ، ويقال في الواحدة عظاية أيضا والجمع عطاء وعظايا . قال عبد الرحمن بن عوف :
 • كمثل الهر يلتمس العظايا •

وقال الأزهرى : هى دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيرا تشبه سام أبرص إلا أنها أحسن منه ولا تؤذى وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل . وهى أنواع كثيرة : منها الأبيض والأحمر والأصفر والأخضر ، وكلها منقطة بالسواد ، وهذه الألوان بحسب مساكنها فإن منها ما يسكن الرمال ، ومنها ما يسكن قريبا من الماء والعشب ، ومنها ما يألّف الناس ، وتبقى في جحرها أربعة أشهر لا تطعم شيئا ، ومن طبعها محبة الشمس لتصلب فيها .

ومن خرافات العرب قالوا : إن السموم لما فرقت على الحيوانات احتبست العظاءة عند التفرقة حتى نغد السم وأخذ كل حيوان قسطه منه على قدر سبق إليه فلم يكن لها فيه نصيب ومن طبعها أنها تمشى مشيا سريعا ثم تقف ، ويقال إن ذلك لما يعرض لها من التذكر والأسف على ما فاتها من السم ، وهذه تسمى بأرض مصر السحلية .
 (وهى محرمة الأكل) وقد تقدم ذكرها في باب السين .

(الخواص) من علق عليه يدها اليمنى ورجلها اليسرى في خرقة جامع ما شاء ، وإن علقت في خرقة سوداء على من به حمى الربع المزمنة أبرأته ، وقلبا إذا علق على امرأة منعها أن تلد ما دام عليها ، وإن طبخت بسمن البقر حتى تهرى ومسح بها الملسوع أبرأه ، وإن جعلت في قارورة وملئت زيتا وجعلت في الشمس حتى تهرى كان ذلك الزيت سما قاتلا .
 (وهى في الرؤيا) تدل على التلبيس واختلاف الأسرار ، والله أعلم .

﴿ العفر ﴾ : ولدا الأروية .

(وفي المثل) أوقل من عفر ، والعفر بالكسر الخنزير الذكور والعفر الرجل الخبيث المداهن والمرأة عفرة يقال عفرية نفرية كما يقال عفرية نفرية .

﴿ العفريت ﴾ : القوى المارد من الشياطين والثاء فيه زائدة قال تعالى - قال عفريت من الجن أنا آتيتك به - قرأ أبو رجاء العطاردي وعيسى الثقفي عفرية ، ورويت عن أبي بكر الصديق رضی الله تعالى عنه ، وقرأت فرقة عفر وكل ذلك لغات ، وقال وهب : اسم هذا العفريت كوزا ، وقيل ذكوان ، وقال ابن عباس : وهو صخر الجنى .

واختلفوا في غرض سليمان عليه الصلاة والسلام في استدعاء عرش بلقيس ، فقال قتادة وغيره : لأنه أعجبه وصفه لما وصفه الهدهد بالعظم فأراد أخذه قبل أن يعصمها وقومها

الإسلام . وقال الأثرون : إن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها فأراد أن يأخذ عرشها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها : وقال ابن زيد : استدعاه ليربها القدرة التي هي من عند الله ، وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها .

روى أن عرشها كان من فضة وذهب مرصعا بالياقوت والجوهر وأنه كان في جوف سبعة أبيات عليه سبعة أغلاق . وفي الكشف والبيان للثعلبي أن عرشها كان سريرا ضخما حسنا ، وكان مقدمه من ذهب منضما بالياقوت الأحمر والزمرد الأخضر ، ومؤخره من فضة مكلا بأشكال الجواهر وله أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أصفر وقائمة من زبرجد أخضر وقائمة من در أبيض ، وصفائح السرير من ذهب ، وكانت قد أمرت به فجعل في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصورها على كل بيت باب مغلق .

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا وارتفاعه في الهواء ثلاثين ذراعا . وقال مقاتل : كان ثمانين ، وقيل كان طوله ثمانين ذراعا وعرضه أربعين ذراعا وارتفاعه ثلاثين ذراعا .

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : كان سليمان عليه السلام مهيبا لا يبدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فرأى ذات يوم وهجا قريبا منه فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا عرش بلقيس ، فقال - يا أيها الملك أيكم يأتي بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك - وكان سليمان يجلس في مجلس الحكم من الصباح إلى الظهر - وإلى عليه - أي على الإتيان به - لقوى - على حمله - أمين - لا أختلس منه شيئا - قال الذي عنده علم من الكتاب - قال البغوي وغيره : والأثرون على أنه آصف بن برخيا ، وكان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى - أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك - قال سعيد بن جبير : يعني من قبل أن يرجع إليك أقصى من تراه ، ومعناه قبل أن يصل إليك . من كان منك على مد بصرك . وقال قتادة : قبل أن يأتيتك الشخص من مد البصر . وقال مجاهد : يعني إدامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئا . وقال وهب : تمد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه حتى أمثله بين يديك ، وقيل إن الذي عنده علم من الكتاب اسمه أسطوم : وقيل هو جبريل ، وقيل هو سليمان نفسه : قال له عالم من بني إسرائيل قيل اسمه أسطوم آناه الله معرفة وفهما : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك . قال سليمان : قال أنت النبي وابن النبي وليس أحد أوجه عند الله منك فإن دعوت الله وظللت عنه كان عندك قال صدقت :

والعلم الذي أوتيته قيل هو الاسم الأعظم ، وفي الكلام حذف تقديره فدعا باسم الله

الأعظم وهو : يا حي يا قيوم يا إلها وإله كل شئ * إلها واحدا لا إله إلا أنت ، وقيل يا ذا الجلال والإكرام . قيل شقت الأرض بالعرش فغار في الأرض حتى نبع بين يدي سليمان . قاله الكلبي . وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض يحدون الأرض خدا حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدي سليمان ، وقيل جيء به في الهواء وكان بين سليمان والعرش مسيرة شهرين للمجد ، فلما رآه مستقرا عنده جعل يشكر نعمة الله تعالى بعبارة فيها تعليم للناس وعرضة للاقتباس ، ثم قال نكروا لها عرشها — أراد بالتنكير تجربة تمييزها ونظرها وليزيد في الإغراب عليها . وروت فرقة أن الجن لما أحست من سليمان أنه ربما يتزوج بلقيس فتفشى له أخبار الجن لأن أمها كانت جنية ، وأنها ربما تلد ولدا فينقل الملك إليه فلا ينفكون من تسخير سليمان وولده من بعده فأساءوا الثناء عليها وظلموها عنده ليزهدوه فيها فقالوا : إنها غير عاقلة ولا مميزة وإن رجلها كحافر فرس . وقيل كحافر حمار وإنها شعراء الساقين فجرب عقلها بتذكير العرش واختبر أمر رجلها بالصرح لتكشف عن ساقها ، وتنكيره بأن يزيد فيه وينقص منه ، والقصة في ذلك مشهورة في كتب التفسير ، ولما أسلمت وأذعنت وأقرت على نفسها بالظلم : روى أنه تزوجها وردها إلى ملكها باليمن ، وكان يأتيها على الريح في كل شهر مرة فولدت له غلاما فسماه داود ومات في حياته . وقيل أنه جعل يعني لما زاد في العرش ونقص منه مكان الجواهر الأخضر أحمر ومكان الأحمر أخضر — فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو — وقيل عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها . قاله مقاتل : وقال عكرمة : كانت بلقيس حكيمة لم تقل نعم خوفا من أن تكذب ولم تقل لا خوفا من التنكيت عليها بل قالت — كأنه هو — عرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر ، وقيل إنه اشتبه عليها أمر العرش لأنها لما أرادت الشخصوخ إلى سليمان دعت قومها وقالت لهم : والله ما هذا ملك وما لنا به من طاقة ، ثم أرسلت إلى سليمان : إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما الذي تدعو إليه من دينك ؟ ثم أمرت بعرشها وكان من ذهب وفضة مرصعا بالياقوت والجواهر فجعلته في جوف سبعة أبيات عليه سبعة أغلاق كما تقدم ووكلت به حراسا يحفظونه ، ثم قالت لمن خلقتة على سلطانها : احتفظ بما قبلك لا يخلص إليه أحد ولا تريته أحدا حتى آتيك وشخصت إلى سليمان باثني عشر ألف قيل من أقيال اليمن تحت كل قيل ألوف كثيرة ، فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ؟ فاشتبه عليها أمر العرش فقالت : كأنه هو ، ثم قيل لها : ادخلي الصرح ، قيل إنه قصر من زجاج كأنه الماء بياضا ، وقيل الصرح الصحن في الدار وأجرى تحته الماء وأتى فيه هينا كثيرا من دواب البحر كالسماك والضفادع وغيرها ، ثم وضع سرير سليمان في صدره فكان الصرح إذا رآه أحد حسبه لجة ماء ، قيل إنما بنى الصرح لأنه أراد أن ينظر إلى قدميها وساقها من غير

أن يسألها كشفها ، وقيل أراد أن يختبر فهمها كما فعات هي بالوصفاء والوصائف ، وقد تقدم ذكر ذلك في باب الدال المهملة في الدود ، فجلس سليمان عليه السلام على السرير ودعا بلقيس فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح ، فلما رآته حسبته لجة وهي معظم الماء وكشفت عن ساقها لتخوضها إلى سليمان فنظر سايمان فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدماء إلا شعر الساقين ، فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها ونادها إنه صرح بمرد من قوارير وليس بماء ، ثم دعاها إلى الإسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح فأجابت ، وقيل لأنها لما بلغت الصرح وحسبته لجة قالت في نفسها : إن سايمان يريد أن يغرقتي وكان القتل أهون على من هذا فقولها : ظلمت نفسي يعني بذلك الظن .

وقيل إنه عليه السلام لما أراد أن يتزوجها كره ما رأى من كثرة شعر ساقها فسأل الإنس ما يذهب هذا ؟ قالوا : الموسيقى . قالت : لا تمسني حديدة قط ، وكره سليمان الموسيقى وقال : لأنها تقطع ساقها ، فسأل الجن فقالوا : لا ندرى ، فسأل الشياطين فقالوا : إنا نحتاج لك حتى يكونا كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام ، ومن يومئذ ظهرت النورة والحمامات ولم تكن قبل ذلك ، فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها ، وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا ، وهي سيلجين وبينون وغمدان ، ثم كان سليمان عليه السلام يزورها في كل شهر مرة ويقم عندها ثلاثة أيام يتسكّر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام على الريح ، وولدت له غلاما سماه داود فمات في حياته .

وبلقيس هي بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان ، وكان أبوها ملكا عظيم الشأن قد ولده أربعون ملكا هو آخرهم ، وكان ملك أرض اليمن كلها ، وكان يقول للملوك الأطراف : ليس أحد منكم كفؤا لي وأبي أن يتزوج منهم ، ولأنه تزوج امرأة من الجن اسمها ريمحانة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها ، وقد جاء في الحديث ما يؤيد هذا وهو قوله « إن أحد أبوي بلقيس كان جنيا » فلما مات أبوها طمعت في الملك وطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها آخرون ، وملكوا عليهم رجلا واقتروا فرقتين كل فرقة استولت على طرف من أرض اليمن ، ثم إن الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده إلى حرم رعيته ويفجر بين فأراد قومه خلعه فلم يقدرُوا على ذلك ، فلما رأت بلقيس أدركتها الغيرة فأرسلت إليه تعرض نفسها عليه فأجابها وقال : ما منغني أن أبتدئك بالخطبة إلا اليأس منك ، فقالت : لا أرغب عنك وأنت كفاء كريم فاجمع رجال قومي واخطبني إليهم ، فجمعهم فخطبها إليهم فذكروا لها ذلك ، فقالت : أجبت ، فزوجوها به ، فلما زفت إليه ودخلت عليه سقته الخمر حتى سكر وغلب على نفسه ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها وأمرت بنصب رأسه على باب دارها ، فلما رأى الناس ذلك

علموا أن تلك المناكحة كانت مكررا وخديعة منها فاجتمعوا إليها وملكوها عليهم؛ وفي الحديث عن أبي بكره قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال : « إن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » رواه البخارى .

(تذييب) اعلم أن الحكماء قد ذكروا أن للحمام والنورة منافع ومضار : فمن منفعه أنه يوسع المسام ، ويستفرغ الفضول ، ويحلل الرياح ، ويحسب الطبيعة من هيضة ورطوبة ، وينظف البدن من الوسخ والعرق ، ويذهب الحكة والجرب والإعياء ، ويلين الجسد ، ويجيد الهضم ، ويعد البدن لاستعداد الغذاء ، وينشط الأعضاء المتشنجة ، وينضج النزلات والزركام ، وينفع من حميات يوم والدق والربع والبلغمية بعد نضجها ، قلت : إذا دبر ذلك طيب حاذق ، ومن مضاره : تسهيل صب الفضول إلى الأعضاء الضعيفة ويرسخ البدن ويضعف الحرارة الغريزية والأعضاء العصبية ويضعف الباه . ووقته بعد الرياضة وقبل الغذاء إلا لمتخلخل الأبدان الكثيرة المرار : وإياك أن تدخل الحمام وتخرج منه بحميتك . وإذا أردت الخروج فاخرج إلى المسلخ متدرجا وأفرغ عليك ثوبا نظيفا مبخرا واجتنب النساء يوما وليلة ، وتكره الحمامة في الحمام لأنها تورث الاستسقاء وأمراضا رديئة . ويكره للإنسان شرب الماء البارد عقب الطعام الحار والحلو والتعب والحمامة والحمام والأكل فإن ذلك مضر جدا . وأجود الحمامات القديمة الشاهقة العذبة : وأما النورة فهي حارة يابسة . قال الغزالي في الإحياء : إن النورة بعد الحمام أمان من الجذام : وغسل الرجلين بالماء البارد في الصيف أمان من النقرس وبولة في الحمام من قيام في الشتاء أنفع من شربة دواء . قال : ويكره إلصاق الظهر إلى حائط الحمام اه . ومعناه أن يطلى جسده بالنورة أولا قبل أن يسكب على جسده الماء ثم يستحم بعد ذلك . وينبغي أن يستعمل قبل النورة الحطمي ليأمن من حرقتها ثم يغتسل بالماء البارد وينشف البدن منه . وإن أحب استعمال النورة أولا ليأمن من الجذام كما قاله الغزالي وغيره : فليأخذ على أصبعه شيئا من النورة ويشمها ويقول : صلى الله على سليمان بن داود ويكتب ذلك على فخذه الأيمن فإنه يعرق قبل النورة فيمسح العرق ويطلق ويكون ذلك في البيت الحار ليعرق سريعا ، ويستعمل بعد هذا العصفر وبزر البطيخ ودقيق الأرز ويعجن ذلك بماء الآس والتفاح وماء الورد ويسخن في إناء ويطلق به الجسد مع العسل ، فإن ذلك ينقي البدن وينفي عنه ثلاثين داء كالجذام والبرص والبهاق والبثر والنفطات ونحوها . قال القزويني : إذا طرح في النورة زرنينج ورماد السكرم وطلّى به الجسد ثم غسل بعدها بدقيق الشعير والباقلان وبزر البطيخ مرارا فإن الشعر يضعف حتى لا يكاد أن يعود . وقال الإمام العلامة فخر الدين الرازي رحمة الله تعالى عليه : النورة التي قبل الزرنينج ربما أحدثت كلفا ويدفع ضررها بالأرز والعصفر طلاء ؛ وأن تعجن للمحرورين بماء الشعير والأرز والبطيخ والبيض ، وللمبر ودين

بماء المرزنجوش أو التمام : وينبغي أن يخلط مع النورة الصبر والمر والحنظل من كل واحد درهم ليأمن من الحكة والبثر ، والله أعلم .

(خاتمة) روى مالك في الموطأ من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بنى عقرينتا من الجن يطلبني بشعلة من نار كلما التفت رأيتهم ، فقال جبريل : ألا أعلمك كلمات تقولن فتنتظي شعلته ويحرق لفيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ، فقال جبريل : قل : أعوذ بوجه الله الكريم وبكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارق يطرق بخير يا رحمن » وقد تقدم في باب الجحيم في الجن حديث العقرية الذي تفلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يقطع عميه صلواته فخنقه النبي صلى الله عليه وسلم وأراد أن يربطه في سارية من سواري المسجد :

﴿ العفر ﴾ : بالكسر والضم قاله ابن الأثير في النهاية وهو الجحش والأثني عفرة .

﴿ العقاب ﴾ : طائر معروف ، والجمع أعقاب لأنها مؤنثة وأفعال بناء يختص به جمع الإناث مثل عناق وأعناق وذراع وأذرع والكثير عقبان وعقابين جمع الجمع . قال الشاعر :

• عقابين يوم الجمع تعلقو وتسفل •

وكنيته : أبو الأشيم وأبو الحجاج وأبو حسان وأبو الدهر وأبو الهيثم ، والأثني أم الحوار وأم الشعو وأم طلبة وأم لوح وأم الهيثم ، والعرب تسمى العقاب الكاسر ، ويقال لها الخدارية للونها وهي مؤنثة اللفظ ، وقيل العقاب يقع على الذكر والأثني وتمييزه باسم الإشارة : وقال في الكامل : العقاب سيد الطيور والنسر عريفها . والعقاب : قال ابن ظفر : حاد البصر ، ولذلك قالت العرب : أبصر من عقاب ، والأثني منه تسمى لقوة . قال البطلوني في الشرح : قال الخليل : اللقوة والقوة بالفتح والكسر العقاب السريعة الطيران اه ، وتسمى العقاب عنقاء مغرب لأنها تأتي من مكان بعيد ، وليس هو العنقاء الآتي ذكرها وبهذا فسر قول أبي العلاء المعري :

أرى العنقاء تكبر أن تصادا	فعماند من تطيق له عننادا
وظن بسائر الإخوان شرا	ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبري	لما طلعت مخافة أن تصادا
وكم عين تؤمل أن تراني	وتفقد عند رؤيتي السوادا

وله من قصيدة قد أبدع فيها :

فإن كنت تهوى العيش فابغ توسطاً فعند التناهي يقصر المتناول
ويوافي البدور النقص وهي أهلة ويدركها النقصان وهي كوامل
وفي المعنى لابن العفيف التلمساني :

أيسعدني يا طلعة البدر طالع ومن شقوتي خط بخديك نازل
نعم قد تناهى في الحفاء تطاولاً وعند التناهي يقصر المتناول

وتقدم أن العقاب إذا صاحت تقول : في البعد عن الناس راحة .

وهي نوعان : عقاب وزميج ، فأما العقاب فمنها السود والخوخية والسفع والأبيض والأشقر ، ومنها ما يأوى الجبال وما يأوى الصحارى وما يأوى الغياض وما يأوى حول المدن ، ويقال إن ذكورها من طير لطف الحرم لا يساوى شيئاً . وقال ابن خلكان في آخر ترجمة العماد الكاتب : ويقال إن العقاب جميعه أنثى وأن الذى يسافده طير آخر من غير جنسه ، وقيل إن الثعلب يسافده : قال : وهذا من العجائب والابن عنين الشاعر في هجوه شخص يقال له ابن سيده :

ما أنت إلا كالعقاب فأمه معروفة وله أب مجهول

والعقاب تبيض ثلاث بيضات في الغالب وتحضنها ثلاثين يوماً ، وما عداها من الجوارح تبيض بيضتين ويحضن عشرين يوماً فإذا خرجت فراخ العقاب ألفت واحداً منها لأنه يتقل عليها طم الثلاث وذلك لقلة صبرها ، والفرخ الذى تلقيه يعطف عليه طائر آخر يسمى كاسر العظام ويسمى المكلفة فيربيه ، ومن عادة هذا الطائر أن يزق كل فرخ ضائع .

والعقاب إذا صادت شيئاً لا تحمله على الفور إلى مكانها بل تنقله من موضع إلى موضع ولا تتعد إلا على الأماكن المرتفعة ، وإذا صادت الأرناب تبدأ بصيد الصغار ثم الكبار .

وهي أشد أجوارح حرارة وأقواها حركة وأبيسها مزاجاً وهي خفيفة الجناح سريعة الطيران تتغذى بالعراق وتتغشى باليمن ، وريشها الذى عليها فروتها في الشتاء وحليتها في الصيف ، ومتى ثقلت عن النهوض وعميت حملتها الفراخ على ظهورها ونقلتها من مكان إلى مكان ، فعند ذلك تلمس لها عينا صافية بأرض الهند على رأس جبل فتغمسها فيها ثم تضعها في شعاع الشمس فيسقط ريشها وينبت لها ريش جديد وتذهب ظلمة بصرها ، ثم تغوص في تلك العين فإذا هي قد عادت شابة كما كانت فسبحان القادر على كل شيء الملمهم كل نفس هداها .

قال في التوحيد : ومن عجيب ما ألهمته أنها إذا اشتكت أكبادها أكلت أكباد الأرناب والثعالب فتبرأ ، وهي تأكل الحيات إلا رءوسها ، والطيور إلا قلوبها ، وبدل لهذا قول امرئ القيس :

كان قلوب الطير رطبا ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي
ومنه قول طرفة بن العبد :

كان قلوب الطير في قعر عشا نوى القسب ملقى عند بعض المآذب
وقيل لبشار بن برد الأعمى الشاعر : لو خيرك الله أن تكون حيواناً ما إذا كنت تختار ؟
قال : العقاب لأنها تلبث حيث لا يبلغها سبع ولا ذو أربع ، وتحيد عنها سباع الطير ، ولا تعانى
الصيد إلا قليلاً بل تسلب كل ذى صيد صيده .

ومن شأنها أن جناحها لا يزال يخفق ، قال عمرو بن حزام .

لقد تركت عفراء قلبي كأنه جناح عقاب دائم الخفقان

وفي عجائب المخلوقات في ذكر الأحجار أن حجر العقاب حجر يشبه نوى التمرهندي
إذا حرك يسمع منه صوت وإذا كسر لا يوجد فيه شئ* يوجد في عش العقاب والعقاب تجلبه
من أرض الهند ، وإذا قصد الإنسان عشه يرمى إليه بهذا الحجر ليأخذه ويرجع فكأنه عرف
أن قصدهم إياه لخاصيته . فمن خواصه : أنه إذا علق على من بها عسر الولادة تضع سريعاً ،
ومن جعله تحت لسانه فإنه يغلب الخصم في المقاتلة ويبقى مقضى الحاجة ، وسيأتي إن شاء الله
تعالى في باب النون نظير هذا في لفظ النسر : وأول من صاد بها وأدبها أهل المغرب :

يحكى أن قيصر ملك الروم أهدى إلى كسرى ملك فارس عقاباً وكتب إليه : علمها فإنها
تعمل عملاً لا يدركه أكثر الصقور ، فأمر بها فعملت وصاد بها فأعجبته ، ثم جوعها ليصيد
بها فوثبت على صبي من حاشيته فقتلته فقال كسرى : غزانا قيصر في بلادنا بغير جيش ،
ثم أهدى كسرى إليه نمراً أو فهداً وكتب إليه : قد بعثت إليك بما تقتل به الظباء وما قرب
منها من الوحش ، وكتب عليه ما صنعت العقاب ، فأعجب به قيصر إذ وافقت صفته ما وصف
فغفل عنه يوماً فافترس قتي من بعض فتيانه فقال : صادنا كسرى فإن كنا قد صدناه فلا بأس
فلما بلغ ذلك كسرى قال : أنا أبو ساسان .

وذكر ابن خلكان في ترجمة جعفر بن يحيى البرمكي وغيره عن الأصمعي قال : لما قتل
الرشيد جعفرًا طلبني ليلاً فجننته وأنا خائف ، فأوماً إلى بالجلوس فجلست فالتفت إلى وقال :
أبيات أحببت أن تسمعها : قلت : إن شاء أمير المؤمنين ، فأنشدني :

لأن جعفر خاف أسباب الردى لنجا به منها طمر ما جم
ولسكان من حذر المنية حيث لا يرجو للحاق به العقاب القشعم
لكنه لما أتاه يومه لم يدفع الحدثن عنه منجم

فعلمت أنها له فقلت : إنها أحسن أبيات ، فقال : الحق الآن بأهلك ، ففكرت فلم
أعرف لذلك معنى إلا أنه أراد أن يسمعي شعره وأحكيه . وقد حكى أهل التاريخ في سبب

قتل جعفر حكايات مختلفة منها ما روى عن أبي محمد الزيدى أنه قال : من قال إن الرشيد قتل جعفرا بغير سبب يحيى بن عبد الله العلوى فلا تصدقه ، وذلك أن الرشيد دفع يحيى إلى جعفر فحبسه ، ثم إن جعفر بن حسن دعا به ليلة من الليالي وسأله عن أمره فأجابته ، ثم إن يحيى قال له : اتق الله في يا جعفر ولا تتعرض إلى دمي فيكون رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمك يوم القيامة فوالله ما أحدثت حدثا ولا آويت محدثا ، فرق له جعفر وأطلقه بعد أن استحلفه أن لا يحدث حدثا ، وبعث معه من أوصله إلى مأمنه ، فنقل ذلك إلى الرشيد فقال لجعفر : ما فعل يحيى بن عبد الله؟ قال : على حاله يا أمير المؤمنين في السجن والأكبال الثقيلة ، فقال : بحياتي ، فأحجم لها جعفر وكان من أصح الناس فكرا فهجس في نفسه أنه قد علم شيئا من أمره ، فقال : لا وحياتك يا أمير المؤمنين بل أطلقته لعلمي أن لا مكروه لديه ، فأظهر الرشيد الاستحسان لذلك وأسرها في نفسه وقال : نعم ما فعلت ، ما عدوت عما كان في خاطري ، فلما خرج أتبعه الرشيد بصره وقال : قتلتني الله بسيوف العدا على الضلالة إن لم أقتلك .

وفي تاريخ صاحب حماة وغيره أن الرشيد كان لا يبصر عن جعفر ولا عن أخته عباسة بنت المهدي فقال لجعفر : أزوجكها ليحل لك النظر إليها ولا تمسها ، فكانا يحضران مجلسه ثم يقوم الرشيد من المجلس فيمثلان من الشراب وهما شابان فيقوم إليها جعفر فيجامعها فحملت وولدت غلاما وخافت الرشيد ، فوجهت المولود مع خواص لها إلى مكة ولم يزل الأمر مستورا حتى وقع بين عباسة وبين بعض جوارها شر فأنهت أمر الصبي وأخبرت بمكانه ومن معه من جوارها وماعه من الخلى ، فلما حج الرشيد أرسل من أتاه بالصبي وخواصه فوجد الأمر صحيحا فأوقع بالبرامكة .

وقيل إنما قتل الرشيد جعفرا لأنه كان قد حاز ضياع الدنيا لنفسه ، وكان الرشيد إذا سافر لا يمر بضيعة ولا بستان إلا قيل هذا لجعفر ، فلم يزل كذلك حتى جنى جعفر عن نفسه بأن وجه فقطع رأس بعض الطالبين من غير أن يكون أمر بقتله فاستحل الرشيد بذلك دمه .

وقيل كان سبب قتله أنه رفعت إلى الرشيد قصة لم يعرف رافعها وفيها هذه الأبيات :

قل لأمين الله في أرضه	ومن إليه الحل والعقد
هذا ابن يحيى قد غدا مالكا	مثلك ما بينكما حسد
أمرك مردود إلى أمره	وأمره ليس له رد
وقد بنى الدار التي ما بنى	الفرس لها مثلا ولا الهند
والدر والياقوت حصباؤها	وتربها العنبر والنمد
ونحن نخشى أنه وارث	ملكك إن غيبك اللحد

ولن يباهى العبد أربابه إلا إذا ما بطر العبيد

فلما وقف الرشيد عليها أضمر له الشر وأوقع به .

وقيل بل أرادت البرامكة لإظهار الزندقة وفساد الملك فأوقع بهم وقتلهم ، قلت : وهو

قول بعيد لأعتقد صحته ٥

وقيل إن مسرورا قال : سمعت الرشيد سنة حجج وهي سنة ست وثمانين ومائة يقول

في الطواف : اللهم إنك تعلم أن جعفرًا قد وجب عليه القتل وأنا أستخيرك في قتله فخر لي ؛

وإن الرشيد لما عاد إلى الأنبار بعث إليه بمسرور وحماد قوافياه والمغني يغنيه :

فلا تبعد فكل فتى سيأتى عليه الموت يطرق أو يغادى

فقال مسرور : لذلك جئت قد والله طرقتك الأمر أجب أمير المؤمنين فتصدق بأمواله

وأعتق عبيده وأبرأ الناس من حقوقه ثم أتى به إلى المنزل الذي فيه الرشيد فحبسه وقيده بقيده

حمار وأخبر الرشيد فقال : ائتني برأسه فعاوده فيه مرتين فشتمه وصاح عليه فدخل عليه واحترز

رأسه وجاء به إليه ، وذلك في مستهل صفر سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة

ثم صلب رأسه على الجسر وصلب كل قطعة على جسر فلم يزل كذلك حتى مر عليه الرشيد عند

خروجه إلى خراسان فقال : ينبغي أن يحرق هذا فأحرق ، ولما قتله أحاط بجميع البرامكة

وأتباعهم ونودي أن لا أمان لهم إلا لمحمد بن خالد بن برمك وولده وجماعته لما عرف من براءة

محمد بن خالد وولده وجماعته :

وقيل إن عليّة بنت المهدي قالت للرشيد : لأى شيء قتلت جعفرًا ؟ فقال : لو علمت

أن قيصي يعلم سبب قتل جعفر لأحرقته ، ولما صلب جعفر وقف عليه يزيد الرقاشي وقال

من أبيات :

أما والله لولا خوف واش وعين للخليفة لانتم

لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام

فما أبصرت قبلك يا ابن يحيى حساما فله السيف الحسام

على اللذات والدنيا جميعا لدولة آل برمك السلام

فبلغ الرشيد مقاتله فأحضره وقال : ما حملك على ما فعلت وقد بلغك ماتوعدنا به كل من

يقف عليه أو يرثيه ؟ قال : كان يعطيني كل سنة ألف دينار ، فأمر له الرشيد بأني دينار

وقال : هي لك منا مادنا في قيد الحياة .

ويروى أن امرأة وقف على جعفر ونظرت إلى رأسه معلقا فقالت : أما والله لئن صرت

اليوم آية لقد كنت في المكارم غاية ، ثم أنشدت تقول :

ولما رأيت السيف خالط جعفرا
ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وأيقنت أنما
قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا
وما هي إلا دولة بعد دولة
تخول ذا نعمى وتعقب ذا بلوى
إذا أنزلت هذا منازل زفعة
من الملك حطت ذا إلى الغاية السفلى
ثم مرت كأنها الريح ولم تقف .

ولما بلغ سفیان بن عيينة قتل جعفر وما نزل بالبرامكة حول وجهه إلى القبلة وقال :
اللهم إن جعفرا كان قد كفاني مؤنة الدنيا فاكفه مؤنة الآخرة ، وكان جعفر من الكرم والعطاء
على جانب عظيم وأخباره في ذلك مشهورة وفي الدفاتر مسطورة ولم يبلغ أحد من الوزراء منزلة
بلاغها جعفر من الرشيد وكان الرشيد يسميه أخا ويدخله معه في ثوبه وأن الرشيد لما قتل جعفر اخذ
أباه يحيى في السجن ، وكانت البرامكة في الغاية من الجود والكرم كما هو مشهور عنهم
وكانت مدة وزارتهم للرشيد سبع عشرة سنة .

وذكر ابن إسحاق قال : قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من شأن الحية التي كانت
قريش تهاب بنيان الكعبة لأجلها حتى اختطفها العقاب :

عجبت لما تصوبت العقاب إلى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش وأحيانا يكون لها وثاب
إذا قمنا إلى التأسيس شددت فهبنا للبناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الزجر جاءت عقاب حلقت ولها انصباب
فضممتها إليها ثم خلت لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا جاشدين إلى بناء لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه وليس على مساوينا ثياب
أعز به المليك بنى لوى فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدى ومرة قد تعهدا كلاب
فبوأنا المليك بذلك عزا وعند الله يلتمس الثواب

وذكر ابن عبد البر في التمهيد عن عمرو بن دينار أنه قال : لما أرادت قريش بناء الكعبة
خرجت منها حية فحالت بينهم وبينها ، فجاء عقاب أبيض فأخذها ورمى بها نحو أجياد كذا
في بعض نسخ التمهيد وفي بعضها طائر أبيض .

(فائدة) روى ابن عباس أن سليمان بن داود عليهما السلام لما فقد الهدد دعا بالعقاب
سنيد الطير وأحزمه وأشده بأسا فقال : على بالهدد الساعة ، فرفع العقاب نفسه نحو السماء
حتى التصق بالهواء فصار ينظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي الرجل ثم التفت يمينا وشمالا فرأى

المهدد مقبلا من نحو اليمن فانتقض عليه فقال المهدد : أسألك بحق الذى أقدرك على وقواك إلا ما رحمتي ؟ فقال له : الويل لك إن نبي الله سليمان حلف أن يعذبك أو يذبحك ، ثم أتى به فلقيته الذنور وعساكر الطيور فخوفوه وأخبروه بتوعد سليمان فقال المهدد : ما قدرى وما أنا أو ما استثنى نبي الله ؟ قالوا : بلى . قال : أو ليأتيني بسُلطان مبین . قال المهدد : نجوت إذن ، فلما دخل على سليمان رفع رأسه وأرخص ذنبه وجناحيه تواضعا لسليمان ، فقال له سليمان أين غبت عن خدمتك ومكانك لأعذبك عذابا شديدا أو لأذبحك ، فقال المهدد : يانبي الله أذكر وقوفك بين يدي الله بمنزلة وقوفى بين يديك فاقشعر جلد سليمان وارتعد وعقا عنه ، وسيأتى إن شاء الله تعالى نظير هذا فى باب الهاء فى المهدد .

(الحكم) يحرم أكل العقاب لأنه ذو مخلب : واختلف فى أنه هل يستحب قتله أم لا ؟ فجزم الرافعى والنورى فى الحجج باستحباب قتله ، وجزم فى شرح المهذب بأنه من القسم الذى لا يستحب قتله ولا يكره وهو الذى فيه نفع ومضرة ، قلت : وهذا الذى جزم به القاضى أبو الطيب الطبرى وهو المعتمد .

(الأمثال) قالوا : أمنع من عقاب الجوى ، قاله عمرو بن عدى لقصير بن سعد فى قصة الزباء المشهورة ، وفى ذلك يقول ابن دريد فى مقصورته :

واخترم الوضاح من دون التى أملها سيف الحمام المنتضى
وقد سما عمرو إلى أوتاره فاحتط منها كل على المنتهى
فاستزل الزباء قسرا وهى من عقاب لوح الجوى أعلى منتمى

جعلها لامتناعها بمنزلة لوح الجوى ، واللوح الهواء بين السماء والأرض ، والجوى أيضا ما بينهما . والقصة فى ذلك ما ذكره الأخباريون ابن هشام وابن الجوزى وغيرهم قالوا : وقد دخل كلام بعضهم فى بعض أن جذيمة الأبرش كان ملكا على الحيرة وما حولها من السواد ملك ستين سنة ، وكان شديد السلطان قد خافه القريب وهابه البعيد . وهو أول من أوقدت الشموع بين يديه ، وأول من نصب المجانيق فى الحرب ، وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق فغزا مليح بن البراء ، وكان ملكا على الحضرم وهو الحاجز بين الروم والفرس وهو الذى ذكره عدى بن زيد بقوله :

وأخو الحضرم إذ بناه وإذ دج لمة تجي إليه والخابور
شاده مرمرًا وجله كلاً سا فلطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون وبادال ملك عنه قبايه مهجور

فقتله جذيمة وطرده بنته الزباء فلحقت بالروم ، وكانت الزباء عاقلة أديبة عربية اللسان حسنة البيان شديدة السلطان كبيرة الهمة . قال ابن الكلبي : ولم يكن فى نساء عصرها أجمل

منها ، وكان اسمها فارعة ، وكان لها شعر إذا مشت سحبتة وراءها وإذا نشرته جللها فسميت الزباء لذلك ، قال : وكان قتل أبيها قبل مبعث عيسى بن مريم عليهما السلام ، فبلغت بها همتها أن جمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى ديار أبيها ومملكته فأزالت جذيمة عنها وابتنت على عراقى الفرات مدينتين متقابلتين في شرقي الفرات وغريبه ، وجعلت بينهما نفقا تحت الفرات فكانت إذا رهقتها الأعداء أوت إليه وتحصنت ، وكانت قد اعتزلت الرجال فهى عذراء بتول ، وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة فحدثته نفسه بخطبتها ، فجمع خاصته وشاورهم في ذلك فسكت القوم وتكلم قصير وكان ابن عمه وكان عاقلا ليديا وكان خازنه وصاحب أمره وعميد دولته فقال : أبيت اللعن أيها الملك إن الزباء امرأة حرمت الرجال فهى عذراء بتول لا ترغب في مال ولا جمال ، ولها عندك ثأر والدم لا ينام وإنما هى تاركتك رهبة وحذرا والحققد دفين في سويداء القلب له كمون ككمون النار في الحجر إن قدحته أورى وإن تركته توارى ، وللملك في بنات الملوك الأكلفاء متسع ولهن فيه منتفع ، ولقد رفع الله قدرك عن الطمع فيمن هو دونك وعظم الرب شأنك فما أحد فوقك ؛ هكذا حكاه ابن الجوزى وغيره ، وذكر ابن هشام شارح الدرديسة وغيره : أن الزباء هى التى أرسلت إليه تخطبه وتعرض عليه نفسها ليتصل ملكه بملكها فدعته نفسه إلى ذلك فاستشار وزراءه فكل واحد منهم رأى ذلك مصلحة إلا قصيرا فإنه قال : أيها الملك هذه خديعة ومكر فلم يسمع منه قال : ولم يكن قصيرا ولكن سمي به اه .

قال ابن الجوزى : فقال جذيمة : يا قصير الرأى ما رأيتك وقلته ولكن النفس تواقفة وإلى ما تحب وتهوى مشتاقفة ولكل امرئ قدر لا مفر منه ولاوزر ، ثم وجه إليها مخاطبا وقال له : اذكر لها ما ترغبها فيه وتصبو إليه ، فجاءها خطيبه فلما سمعت كلامه وعرفت مراده قالت : أنعم بك عينا وبما جئت به ، وأظهرت له السرور والرغبة فيه وأكرمت مقدمه ورفعت موضعه وقالت : قد كنت أضربت عن هذا مخافة أن لا أجد كفوفا ولكن الملك فوق قدرى وأنا دون قدره قد أجببت إلى ما سأل ورغبت فيما قال ، ولولا أن السعى في مثل هذا الأمر بالرجال أمثل لسرت إليه ولنزلت عليه ، وأهدت له هدية سنوية ساقته إليه فيها العبيد والإماء والكراغ والسلاح والأموال والإبل والغنم وغير ذلك من الثياب والأمتعة والجواهر شيئا عظيما ، فلما رجع إليه خطيبه أعجبه ما سمع من الجواب وأبهجه ما رأى من اللطف الذى تحير فيه عقول ذوى الألباب ، وظن أن ذلك منها للحصول رغبة فأعجبه نفسه وسار من فورهِ فيمن يثق به من خاصته وأهل مملكته وفيهم قصير خازنه ، وقد استخلف على مملكته عمرو بن عدى اللخمى وهو أول من ملك الحيرة من لحم ، وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة ، وهو الذى اختطفته الجن وهو صبي ثم رده وقد شب وكبر

فألبسته أمه طوقاً من ذهب وأمرته بزيارة خاله جذيمة ، فلما رأى جذيمة لحيته والطوق في عنقه قال : شب عمرو عن الطوق ، فأرسلها مثلاً .
وقال ابن هشام : إنه ملك مائة وثمانى عشرة سنة .

قال ابن الجوزى : فاستخلفه وسار إلى الزبء فوصل إلى قرية على الفرات يقال لها نيفة فنزل بها وتصيد وأكل وشرب ، واستعاد المشورة والرأى من أصحابه فسكت القوم وافتتح قصير الكلام فقال : أيها الملك كل عزم لا يؤيد بجزم فإلى أين يكون كونه فلا تثق بزخرف قول لا محصول له ، ولا تقذف الرأى بالهوى فيفسد ولا الخزم بالمنى فيبعد ، والرأى عندى سملك أن يعتقب أمره بالتثبت ويأخذ حذره بالتيقظ ، ولولا أن الأمور تجرى بالمقدور لعزمت على الملك عزماً بتأ أن لا يفعل ، فأقبل جذيمة على الجماعة وقال : ما عندكم أنتم في هذا الأمر ؟ فتكلموا بحسب ما عرفوا من رغبته في ذلك وصوبوا رأيه وقووا عزمه ، فقال جذيمة الرأى مع الجماعة والصواب ما رأيتم ، فقال قصير : أرى القدر يسابق الحذر ، فلا يطاع لقصير أمر ، فأرسلها مثلاً . ثم سار جذيمة ، فلما قرب من ديار الزبء أرسل إليها يعلمها بمجيئه فأظهرت السرور به والرغبة فيه وأمرت بحمل الميرة إليه ، وقالت لجندها وللخاصة أهل مملكتها وعمامة أهل دولتها ورعيتهما : تلقوا سيدكم وملك دولتكم ، فعاد الرسول إليه بالجواب وأخبره بما رأى وسمع ، فلما أراد جذيمة أن يسير دعا قصيراً وقال : أنت على رأيل؟ قال : نعم ، وقد زادت بصيرتى فيه : أفأنت على عزمك ؟ قال : نعم ، وقد زادت رغبتي فيه فقال قصير : ليس الدهر بصاحب لمن لم ينظر في العواقب ، فأرسلها مثلاً ، ثم قال : وقد استدرك الأمر قبل فوته ، وفي يد الملك بقية هو بها مسلط على استدراك الصواب ، فإنك إن وثقت بأنك ذو ملك وسلطان وعشيرة وأعوان فإنك قد نزعت يدك من سلطانتك وفارقت عشيرتك وأعوانك ، وألقيتها في يد من لست آمن عليك مكره وغدره فإن كنت ولا بد فاعلا وهواك تابعا فإن القوم إن يلقوك غدا رزدقا واحدا وقاموا لك صفيين حتى إذا توسطتهم أطبقوا عليك من كل جانب وأحذقوا بك فقد ملكوك وصرت في قبضتهم وهذه العصا لا يسبق غبارها ، وكان لجذيمة فرس تسبق الطير وتجارى الرياح يقال لها العصا ، فإذا رأيت الأمر كذلك فتجلل ظهرها فهى ناجية بك إن ملكت ناصيتها ، فسمع جذيمة كلامه ولم يرد جوابه وسار ، وكانت الزبء لما رجع رسول جذيمة من عندها قالت لجندها : إذا أقبل جذيمة غدا فتلقوه بأجمعكم وقوموا له صفيين عن يمينه وعن شماله فإذا توسط جمعكم فانقضوا عليه من كل جانب حتى تحذقوا به ، وإياكم أن يفوتكم ، وسار جذيمة وقصير عن يمينه فلما لقيه القوم رزدقا واحدا قاموا له صفيين فاما توسطتهم انقضوا عليه من كل جانب ففعل أنهم قد ملكوه ، وكان قصير يسايره فأقبل جذيمة عليه وقال : صدقت يا قصير ،

فقال : هذه العصا فدونهاك لعلك تنجو بها ، فأنف جذيمة من ذلك وسارت به الجيوش ، فلما رأى قصير أن جذيمة قد استسلم للأمر وأيقن بالقتل جمع نفسه ووثب على ظهر العصا . وقال ابن هشام : إن قصيرا قدم العصا إلى جذيمة فشغل عنها جذيمة بنفسه فركبها قصير وأعطاهما عنانها وزجرها فذهبت تهوى به هوى الريح ، فنظر إليه جذيمة وهى تطاول به وأشرفت عليه الزباء من قصرها فقالت له : ما أحسنك من عروس تجلى على وتزف إلى حتى دخلوا به على الزباء ولم يكن معها فى قصرها إلا جوار أبكار ، وهى جالسة على سريرها وحولها ألف وصيفة كل واحدة لا تشبه صاحبها فى خلق ولا زى ، وهى بينهن كأنها قمر قد حفت به النجوم .

قال ابن هشام : وكانت الزباء قد ربت شعر عاتقها حولاً ، فلما دخل عليها جذيمة تكشفت له وقالت : أمتع عروس ترى ؟ فقال : بل متاع أمة بظراء ، فأمرت به فأجلس على نطع ، وقيل إنه لما أدخل عليها أمرت بالأنطاع فبسطت وقالت لوصائفها : اخذن بيد سيدكن وبعل مولاتكن ، فأخذن بيده وأجلسنه على الأنطاع بحيث تراه ويراه وتسمع كلامه ويسمع كلامها ، ثم أمرت الجوارى فقطعن رواهشه ووضعن الطست بين يديه فجعلت دماؤه تشخب فى الطست ، فقطرت قطرة على النطع فقالت لجواربها : لاتضيعوا دم الملك ، فقال جذيمة : لا يحزنك دم أراقه أهله ، فقالت : والله ما وفى دمك ولا شقى قتلك ، ولكنه غيض من فيض ، فأرسلتها مثلاً ، فلما قضى أمرت به فدفن .

وأما عمرو فكان يخرج كل يوم إلى ظهر الحيرة يطلب الخبر ويقتنى من حاله الأثر ، فخرج ذات يوم فإذا فارس قد أقبل تهوى به الفرس هوى الريح ، فقال عمرو بن عدى : أما الفرس ففرس فجذيمة وأما الراكب فكالهيمه لأمر ما جاءت العصا ، فأرسلها مثلاً . فأشرف قصير فقال : ما وراءك ؟ قال : سعى القدر بالملك إلى حتفه على الرغم من أنى وأنفه ، ثم قال لعمرو بن عدى : اطلب بئارك من الزباء ، فقال عمرو : وأنى يطلب من الزباء وهى أمتع من عقاب الجو . فأرسلها مثلاً ، فقال له قصير : قد علمت نصحى لخالك وكان الأجل طالبه ، وأنا والله لا أنام عن الطلب بدمه ملاح نجم أو طلعت شمس أو أدرك به ثاراً أو تحترم نفسى فأعذر ، ثم إنه عمداً إلى أنفه فجذعه .

وقال ابن هشام : إن قصيرا قال لعمرو : اجدع أنى واقطع آذانى واضرب ظهرى حتى يؤثر فيه ودعنى وإياها ففعل به عمرو ذلك . وذكر الأخباريون : أن عمرا أبى عليه ففعل هو بنفسه ذلك ، فقيل : لأمر ما جدع قصير أنفه .

قال ابن الجوزى : ثم إن قصيرا لحق بالزباء هارباً من عمرو بن عدى ، فقيل لها هذا قصير ابن عم جذيمة وخازنه وصاحب أمره قد أتاك هارباً ، فأذنت له وقالت : ما الذى

جاء بك إلينا يا قصير وبيننا وبينك دم عظيم الخطر؟ فقال: يا ابنة الملوك العظام لقد آتيت فيما يأتي فيه مثلي إلى مثلك، ولقد كان دم الملك يعني أباه يطلب جذيمة حتى أدركه، وقد جئتك مستجيرا من عمرو بن عدى فإنه اتهمني بخاله لمشورتى عليه فى المسير إليك، فجدع أنى وأخذ مالى وجلد ظهرى وقطع آذانى وحال بينى وبين أهلى وتهددنى بالقتل، وإنى خشيت على نفسى فهربت منه إليك، وأنا مستجير بك ومستند إلى كنف عزك، فقالت له: أهلا وسهلا لك حق الجوار وذمة المستجير، وأمرت به فأنزل وأجرت له النفقات ووصلته وكسته وأخدمته وزادت فى إكرامه، فأقام مدة لا يكلمها ولا تكلمه وهو يطلب الحيل عليها وموضع الفرصة منها، وكانت ممنعة بقصر مشيد على باب النفق تعصم به فلا يقدر أحد عليها، فقال لها قصير يوما: إن لى فى العراق مالا كثيرا وذخائر نفيسة مما يصلح للملوك، فإذا أذنتى فى الخروج إلى العراق وأعطينتى شيئا أتعلل به فى التجارة وأجعله سببا إلى الوصول إلى مالى أيتك بما قدرت عليه من ذلك، فأذنت له وأعطته مالا فقدم به إلى العراق وأخذ مالا جزيلًا ثم رجع إلى الزباء وقد استصحب من طرائف العراق ولطائفها وزادها مالا كثيرا إلى ماله، قال: فلما قدم عليها أعجبها ذلك وأبهجها وعظمت منزلته عندها، ثم إنه عاد إلى العراق ثانية وقدم عليها بأكثر من النوبة الأولى وزادها أضعافا من الجوهر والخز والبز والقرز والديباج فازداد مكانه منها وعظمت منزلته عندها ورغبتها فيه، ولم يزل قصير يتلطف فى الحيلة حتى عرف موضع النفق الذى تحت الفرات والطريق إليه، ثم خرج ثلاثة فقدم بأكثر من المرتين الأوليين طرائف ولطائف فبلغ مكانة عظيمة منها حتى إنها كانت تستعين به فى مهماتها واسترسلت إليه وعولت فى أمورها عليه، وكان قصير رجلا حسن العقل والوجه أديبا لييبا، فقالت له يوما: إنى أريد أن أغزو البلد الفلانية من أرض الشام فاخرج إلى العراق وائتنى بكذا وكذا من الدروع والكراع والعبيد والثياب، فقال قصير: لى ببلاد عمرو بن عدى ألف بغير وخزانة من المسال وخزانة من السلاح فيها كذا وكذا، وما لعمرو بها من علم ولو علم بها لأخذها واستعان بها على حرب الملكة، وقد كنت أترى به ريب المتون وها أنا أخرج متنكرا من حيث لا يعلم فأتى الملكة بذلك مع الذى سألت، فأعطته من المال ما أراد وقالت: يا قصير الملك يحسن بمثلك وعلى يد مثلك يصلح أمره، وقد بلغنى أن جذيمة كان لإيراده وإصداره إليك، وما أقصر بك عن شيء تناله يدي ولا يقعد بك حال تنهض بى، فسمع كلامها رجل من خاصة قومها فقال: إنه أسد خادر وليث نائر قد تحفز للوثبة، ولما عرف قصير مكانه منها وتمسكه من قلبها قال: الآن طاب الخداع، وخرج من عندها فأتى عمرو بن عدى فقال: قد أصبت الفرصة من الزباء، فقال له عمرو: قل أسمع ومر أقبل فأنت طيب هذه القرحة، فقال: الرجال

والأموال ، فقال عمرو : حكمتك فيما عندي مسلط ، فعمد إلى ألقى رجل من فئتك قومه وصناديد أهل مملكته فحملهم على ألف بعير في الغرائر السود بالأسلحة وجعل ربطها من داخل الجوائق ، وكان عمرو منهم ، وساق الخيل والكرراع والسلاح والإبل محملة .
قال ابن هشام : فكان يسير الليل ويكمن بالنهار وكانت الزباء قد صور لها عمرو قائما وقاعدا وراكبا وعمى عليها أمر قصير فسألت عنه فقيل أخذ الغوير ، فقالت : عسى الغوير أبو سا ، فأرسلتها مثلا ، وعسى في المثل بمعنى صار ولذلك أتى الخبر بغير الفعل ، فلما قدم قصير دخل على الزباء وكان قد تقدم على العير فقال لها : قتي وانظري إلى العير ، فصعدت على سطح قصرها وجعلت تنظر إلى العير مثقلة بحمل الرجال ، فقالت : يا قصير :

ما للجمال مشيها وثيدا أجنديا يحملن أم تحديدا
أم صرفانا باردا شديدا أم الرجال جثما قعودا ؟

وكان قصير قد وصف لعمرو الزباء وشأن النفق ، فلما دخلت العير المدينة وكان على باب الزباء بوابون من النبط وفيهم رجل بيده منحصرة فطعن جوالقا فأصابته المنحصرة رجال منهم فضرط ، فقال البواب بالنبطية : بشا بشا أي الشر الشر ، فاستل قصير سيفه وضرب به البواب فقتله ، وكان عمرو على فرسه فدخل الحصن عقب الإبل وحل الرجال الجوائق فظهروا في المدينة ووقف عمرو على باب النفق ، فلما رأت الزباء عمرا عرفته بالصفة فصت خاتما في يدها مسموما وقالت : بيدي لا يبد عمرو فمات ، ويقال إن عمرا قتلها بالسيف .
وقال ابن الجوزي : إن الزباء لما رأت الإبل تهادى بأحمالها ارتابت بها ، وكان قد وشى بقصير إليها ففدح ما رأت من كثرة الإبل وعظم أحمالها في نفسها مع ما عندها من قول الواشي به فقالت :

• أرى الجمال مشيها وثيدا •

لأنه ذكر عوض • أم الرجال جثما قعودا • أم الرجال في الغرار السودا .
ثم قالت لجواربها : أرى الموت الأحمر في الغرائر السودا : فذهبت مثلا ، وذكر القصة إلى آخرها فاحتوى عمرو على بلادها :

وإن الزباء اسمها نائلة في قول محمد بن جرير الطبري ويعقوب بن السكيت ، واستشهد ابن جرير الطبري بقول الشاعر :

أتعرف منزلا بين النقاء وبين ممر نائلة القديم

وميسون في قول ابن دريد ، وفارعة في قول ابن هشام وابن الجوزي وغيرهما كما تقدم . قلت : وفي النهاية لابن الأثير أن قوما من الجن تذاكروا عيافة بني أسد ووصفهم بها ، فأتوهم فقالوا : ضلت لنا ناقة فلو أرسلتم معنا من يعيف ، فقالوا لغلام لهم : انطلق معهم

فاستردفه أحدهم ، ثم ساروا فلقبهم عقاب كاسرة لإحدى جناحيها فاقشعر الغلام وبكى فقالوا : مالك يا غلام ؟ فقال : كسرت جناحا ورفعت جناحا وحلفت بالله صراحا ما أنت بيا نسي ولا تبغى لقاها ، وقالوا : أطير من عقاب الجو ، وأبصر من عقاب وأحزم . فإن قيل ما حزمه ؟ قيل إنه يخرج من بيضته على رأس جبل عال فلا يتحرك حتى يتكامل ريشه ولو تحرك لستقط ، ويقال أيضا : أسمع من فرخ عقاب ، وأعز من عقاب الجو .
(عجيبة) نقل ابن زهر عن أرسطاطاليس أن العقاب تصير حداة والحداة عقابا يتبادلان في كل سنة .

(الخواص) قال صاحب عين الخواص : قال عطار بن محمد : إن العقاب يهرب من الصبر ، وإذا شم رائحته غشى عليه ، وريش العقاب إذا دخن به البيت ماتت حياته ، ومرارته تنفع من الظلمة والماء الذي في العينين احتمالا قاله القزويني .
(التعبير) العقاب تدل رؤيته لمن هو في حرب على النصر والظفر على الأعداء لأنها كانت راية النبي صلى الله عليه وسلم ، والعقاب تدل على العقاب لمن حل عنده . ومن رأى أنه ملك عقابا أو نسرا وتحكم عليه نال عزا وسلطانا ونصرة على عدوه وعاش عمرا طويلا فإن كان الرائي من أهل الجد والاجتهاد انقطع عن الناس واعتزلهم وعاش منفردا لا يأوى إلى أحد ، وإن كان ملكا اصطاح مع الأعداء وأمن من شرهم ومكايدهم وانتفع بما عندهم من السلاح والمال لأن أرباشها السهام وهي أموال أيضا ، وصغارها أولاد زنا قاله ابن المقرئ : وقال المقدسي : من رأى عقابا ضربه بمخالبه ناله شدة في ماله ، وأكل لحم العقاب يدل على الحرص ، وربما دلت رؤيته أعنى العقاب على رجل صاحب حرب لا يأمنه قريب ولا بعيد ، وإذا رؤى على سطح أو دار أو بيت فهو ملك الموت ، ومن ركب عقابا في منامه وكان فقيرا نال خيرا ، وإن كان غنيا أو من أشرف الناس فإنه يموت لأن في الزمان المتقدم كانوا يصوتون صورة الميت من الأغنياء والأمراء على صورة عقاب ، ومن رأت من النساء كأنها ولدت عقابا اتصل ولدها بالملك في خدمة أو صراع ، والله أعلم .

﴿ العقر ﴾ : الجمل الصغير القوائم الطويل السنام ، فإذا مشى مع الجمال قصر عن طولها وإذا برك معها طأطا طول سنامه ، ولذلك يقول ثعلبة :

أرسلت فيها جملا لسكالكا يقصر مشيا ويطول باركا

﴿ العقاب ﴾ : القلوص الفتية ، والعقاب زكاة العام من الإبل والغنم . قال الشاعر :

سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا فكيف لو قد سعى عمرو عقالين

﴿ العقرب ﴾ : دويبة من الهوام تكون للذكر والأنثى بلفظ واحد واحدة العقارب ،

وقد يقال للأثني عقربة وعقرباء ممدود غير مصروف ويصغر على عقيرب كما تصغر زينب على زينب والذكر عقربان بضم العين والراء ، وهو دابة له أرجل طوال وليس ذنبه كذنب العقارب قال الشاعر :

كأن مرعى أممك إذ غدت عقربة يكومها عقربان
أى ينزو عليها ومكان معقرب بكسر الراء ذو عقارب ، وصدغ معقرب بفتح الراء أى معطوف ، وكنيتها : أم عريط وأم ساهرة ، واسمها بالفارسية الرشك كما تقدم ، ومنها السود والخضر والصفير ، وهن قواتل وأشدّها بلاء الخضر ، وهى مائة الطباع كثيرة الولد تشبه السمك والضب ، وعمامة هذا النوع إذا حملت الأثني منه يكون حنفها فى ولادتها لأن أولادها إذا استوى خلقها تأكل إبطنها وتخرج فتموت الأم ، وأنشدوا قول الشاعر :

وحاملة لا يحمل الدهر حملها تموت وينمى حملها حين تعطب
والجاحظ لا يعجبه هذا القول ويقول : قد أخبرنى من أثق به أنه رأى العقرب تلد من فيها وتحمل أولادها على ظهرها ، وهى على قدر القمل كثيرة العدد . قلت : والذى ذهب إليه الجاحظ هو الصواب . والعقرب أشد ماتكون إذا كانت حاملا ولها ثمانية أرجل وعيناها فى ظهرها . ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب الميت ولا النائم حتى يتحرك بشيء من بدنه فإنها عند ذلك تضربه . وهى تأوى إلى الخنافس وتسلمها ، وربما لسعت الأفعى فتموت ، وهى يلسع بعضها بعضا فتموت قاله الجاحظ .

وفى كتاب القزوينى أن العقرب إذا لسعت الحية فإن أدركتها وأكلتها برئت وإلامات . وقد أشار إلى ذلك الفقيه عمارة الجبى فى أبياته بقوله :

إذا لم يسلمك الزمان فحارب وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فر بما تموت الأفاعى من سموم العقارب
فقد هدد قدماعرش بلقيس هدهد وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
إذا كان رأس المال عمرك فاحترز عليه من الإنفاق فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك يكر علينا جيشه بالعجائب

وفى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة الفقيه عمارة بن على بن زيدان الجبى أن قاسم بن هاشم صاحب مكة وجهه رسولا إلى الديار المصرية فدخلها فى ربيع الأول سنة خمسين وخمسة ، وصاحبها يومئذ الفأز والوزير الصالح بن رزيك فأنشدهما قصيدته الميمية التى أولها :

• الحمد للعيس بعد العزم والهمم •

وفى آخرها :

ليت الكواكب تدنولى فأنظمها عقود مدح فأرضى لسقم كلمى

خليفة ووزير مدّ عدلها ظلا على مفرق الإسلام والأمم
زيادة النيل نقص عند فيضهما فما عسى يتعاطى منة الديم

فاستحسننا قصيدته وأجزلا صلته وعاد إلى مكة ثم إلى زيد ثم أعاده صاحب مكة رسولا إلى مصر أيضا فاستوطنها وأحسن الصالح وبنوه إليه ، فلما ملك السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب مدحه ومدح جماعة من أهل بيته ، ثم إنه شرع في الاتفاق مع جماعة من الرؤساء على إعادة دولة المصريين ووافقهم جماعة من أمراء الملك الناصر واتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من صقلية ومن سواحل الشام إلى ديار مصر على شيء يبذلونه لهم من المال والبلاد ، فعلم صلاح الدين بذلك فقبض عليهم وسألهم عن ذلك فأقروا فصلبهم في رمضان سنة تسع وعشرين وخمسة ، وهذا التاريخ مناقض لما تقدم من أنه كان رسولا لصاحب مكة في سنة خمسين وخمسة . قلت : والصواب أن صلبهم كان في سنة تسع وستين يوم السبت الثاني من شهر رمضان ، وكان القبض عليهم يوم الأحد السادس والعشرين من شعبان من السنة المذكورة ، وكان عمارة شافعيًا وينسب إليه بيت قاله أو وضع عليه ، والله أعلم بذلك :

فقد كان أول هذا الدين من رجل سعى إلى أن دعوه سيد الأمم
فأفتى فقهاء مصر بقتله ولم يتعرض السلطان صلاح الدين إلى من نافق عليه من أجناده ولا أظهر لهم أنه علم بشيء من أمرهم . ومن العجيب أن الفقيه عمارة قال قبل صلبه بأيام قلائل في مصلوب :

ورأت يده عظيم ماجتنا ففررن ذى شرقا وذى غربا
وأمال نحو الصدر منه فما ليلوم في أفعاله القلبا
فكأنه كان لسان حاله .

ومن شأنها إذا لسعت الإنسان فرت فرارا مسيئا يخشى العقاب . قال الجاحظ :
ومن عجيب أمرها أنها لا تسبح ولا تتحرك إذا ألقيت في الماء سواء كان الماء ساكنا أو جاريا .
قال : والعنارب تخرج من بيوتها للجراد لأنها حريصة على أكله .

وطريق صيدها أن تشبك الجرادة في عود ثم تدخل في جحرها فإذا عاينت العقرب تعلقت فيها . ومتى أدخل الكراث في جحرها وأخرج فإنها تتبعه أيضا وربما ضربت الحجر والمدر ، ومن أحسن ما قيل في ذلك :

رأيت على صخرة عقربا وقد جعلت ضربها ديدنا
فقلت لها إنها صخرة وطبعك من طبعها ألينا

فقال صدقت ولكني أريد أعرفها من أنا

والعقارب القاتلة تكون في موضعين بشهر زور وبعسكر مكرم ، وهي جرارات تلسع فتقتل كما تقدم ، وربما تناثر لحم من لسعته أو عفن لحمه واسترخى حتى إنه لا يدنو منه أحد إلا وهو يمسك أنفه مخافة إعدائه .

ومن لطيف أمرها أنها مع صغرها تقتل الفيل والبعير بلسعها .

ومن نوع العقارب الطيارة : قال القزويني والجاحظ : وهذا النوع يقتل غالبا . قال الرافعي : وحكى العبادي وجها أنه يصح بيع النمل بنصيبين لأنه يعالج به العقارب الطيارة التي بها ، وسيأتي إن شاء الله تعالى هذا أيضا في باب النون في حكم النمل ، ولعل مراده أن النمل يعمل مع أدوية ويعالج بها لدغتها ، وبنصيبين عقارب قتالة يقال إن أصلها من شهر زور ، وأن بعض الملوك حاصر نصيبين وأتى بالعقارب منها وجعلها في كيزان الفقاع ورمى بها في المجانيق . قال الجاحظ : وكان في دار نصر بن حجاج السلمي عقارب إذا لسعت قتلت ، فدب ضيف لهم إلى بعض أهل الدار فضربته عقرب في مذاكيره ، فقال نصر يعرض به :

ودارى إذا نام سكانها أقام الحدود بها العقرب
إذا غفل الناس عن دينهم فإن عقاربها تضرب
فلا تأمن سرى عقرب بليل إذا أذنب المذنب

فدخل حوالى الدار وقال : هذه عقارب تسقى من أسود سالخ ، ونظر إلى موضع في الدار وقال : احفروا هاهنا فحفروا فوجدوا أسودين ذكرا وأنثى . وروى الطبراني وأبو يعلى الموصلى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت « دخل على بن أبى طالب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقام إلى جنبه فصلى بصلاته فجاءت عقرب حتى انتهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركته وذهبت نحو على فضربها بنعله حتى قتلها فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها بأسا » في إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو ضعيف : وروى ابن ماجه عن أبى رافع « أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل عقربا وهو يصلى » .

وفيه أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : لدغت النبي صلى الله عليه وسلم عقرب وهو في الصلاة فقال « لعن الله العقرب ماتدع مصليا ولا غير مصلى اقلوها في الحل والحرم » .

وروى الحافظ أبو نعيم في تاريخ أصبهان والمستغفرى في الدعوات والبيهقى في الشعب عن على رضى الله تعالى عنه قال : « لدغت النبي صلى الله عليه وسلم عقرب وهو في الصلاة ،

فلما فرغ من صلاته قال « لعن الله العقرب ماتدع مصليا ولاغيره ولانبيا ولاغيره إلا لدغته ، وتناول نعله فقتلها به ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ - قل هو الله أجد - والمعوذتين وفي تاريخ نيسابور عن الضحاك بن قيس الفهرى قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل يتهدد فلدغته عقرب في أصبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله العقرب ماتكاد تدع أحدا ثم دعا بماء في قدح وقرأ عليه - قل هو الله أحد الله الصمد - ثلاث مرات ثم صب على أصبعه ، ثم رأى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على المنبر عاصبا أصبعه من لدغة العقرب » .

وفي [عوارف المعارف] عن عائشة رضی الله تعالى عنها قالت « لدغت رسول الله صلى الله عليه وسلم عقرب في إبهامه من رجله اليسرى فقال : على بذلك الأبيض الذي يكون في العجين ، فجئنا بملح فوضعه صلى الله عليه وسلم في كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه » .

وروى ابن أبي شيبه عن جابر بن عبد الله « أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس وهو عاصب أصبعه من لدغة عقرب فقال : إنكم تقولون لاعدوى ولا تزالون تقاتلون عدوا حتى تقاتلوا بأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعاف من كل حدب ينسلون وكان وجوههم المجان المطرقة » .

(غريبة) في تاريخ شيخنا اليافعي رحمه الله تعالى في حوادث سنة تسع وخمسمائة ذكر أن بعض الملوك قال له منجموه إنه يموت في الساعة الفلانية في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني من سنة كذا من عقرب تلدغه ، فلما كانت الساعة المذكورة تجرد من جميع ثيابه سوى ما يستر عورته وركب فرسا بعد أن غسله ونظفه وسرح شعره ودخل به البحر حذارا مما ذكر له منجموه ، فبينما هو كذلك عطست الفرس فخرج من أنفها عقرب فلدغته فمات فما أغناه الحذر عن القدر .

وعن معروف الكرخي قال : بلغنا أن ذا النون المصري خرج ذات يوم يريد غسل ثيابه فإذا هو بعقرب قد أقبل عليه كأعظم ما يكون من الأشياء . قال : ففزع منها فزعا شديدا واستعاذ بالله منها فكفي شرها ، فأقبلت حتى وافت النيل فإذا هي بضعفدع قد خرج من الماء فاحتملها على ظهره وعبر بها إلى الجانب الآخر ، فقال ذو النون : فاتزرت بمزرى ونزلت في الماء ولم أزل أرقبها إلى أن أتت إلى الجانب الآخر فصعدت ، ثم سعت وأنا أتبعها إلى أن أتت شجرة كثيرة الأغصان كثيرة الظل ، وإذا بغلام أمرد أبيض نائم تحتها وهو مخمور فقلت : لاقوة إلا بالله أتت العقرب من ذلك الجانب للدغ هذا الفتى ، فإذا أنا بتنين قد أقبل

يريد قتل النبي فظفرت العقرب به ولزمت دماغه حتى قتلته ورجعت إلى الماء وعبرت على ظهر الضفدع إلى الجانب الآخر ، فأشدد ذو النون يقول :

ياراقدا والجليل يحفظه من كل سوء يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك تأتيك منه فوائد النعم

قال : فانتبه النبي على كلام ذي النون فأخبره الخبر فتاب ونزع لباس اللهو ولبس ثوب السياحة وساح ومات على تلك الحالة رحمه الله تعالى .

واسم ذي النون : ثوبان بن إبراهيم ، وقيل الفيض بن إبراهيم . ومن كلامه رحمه الله تعالى : حقيقة المحبة أن تحب ما أحبه الله وتبغض ما أبغضه الله وتطلب رضاه وترفض جميع ما يشغلك عنه ، وأن لا تخاف فيه لومة لأثم ، وأن تعزل نفسك عن رؤيتها وتديبها فإن أشد الحجاب رؤية النفس وتديبها ؛ وقال رحمه الله : لا يزال العارف مادام في الدنيا بين الفخر والفقر فإذا ذكر الله افتخر وإذا ذكر نفسه افتقر : وقال : ليس بذى لب من جد في أمر دنياه وتهاون في أمر آخرته ، ولا من سفه في مواطن حلمه ، ولا من تكبر في مواطن تواضعه ، ولا من فقدت منه التقوى في مواطن طمعه ، ولا من غضب من حق إن قيل له ، ولا من زهد فيما يرغب العقلاء فيه ، ولا من رغب فيما يزهده العقلاء فيه ، ولا من طلب الإنصاف من غيره لنفسه ، ولا من نسى الله تعالى في مواطن طاعته وذكر الله في مواطن الحاجة إليه ، ولا من جمع العلم ليعرف به ثم أثر عليه هواه بعد تعلمه ، ولا من قل منه الحياء من الله تعالى على جميل ستره ، ولا من أغفل الشكر على إظهار نعمه ، ولا من عجز عن مجاهدة عدوه ، ولا من جعل مروءته لباسه ولم يجعل أدبه درعه وتقواه لباسه ، ولا من جعل علمه ومعرفته تظرفا وتزينا في مجلسه ، ثم قال : أستغفر الله العظيم إن الكلام كثير وإن لم تقطعه لم ينقطع .

وحكى لي بعض أشياخي عن ذي النون أنه قال لبعض الرهبان : ما معنى المحبة ؟ فقال : لا يطيق العبد حمل محبتين من أحب الله لا يحب الأغيار ومن أحب الأغيار لا يحب الله خالصا ، فتفكر في حالك من أي القبيلين أنت ؟ قال : قلت : صف لي المحبة ؟ فقال : المحبة عقل ذاهب ودمع ساكب ونوم طريد وشوق شديد والحبيب يفعل ما يريد . قال ذو النون : ففعل هذا الكلام معي فعلمت أنه خرج من المعدن وأن الراهب مسلم ثم فارقت ، فبينما أنا أطوف بالكعبة وإذا بالراهب يطوف وقد نحل فقال لي يا أبا الفيض تم الصلح وانفتح باب المؤانسة ومن الله على الإسلام : وحملتني ما عجزت عنه السموات والأرض . قال ذو النون : حمل نفسه محبة الله تعالى التي عجزت عنها السموات والأرض وصم الجمال وحملها أجداد الرجال بلطائف الأحوال ، وأنشد يقول :

حكك يا سسؤلى ويا منيقى قد أنحل الجسم وقد كده
لو أن ما فى القلب من حككم بالجنندل الصلدا لقد هده

ثم قال ذو النون : لا أحياء ولا أموات ولا صحاة ولا سكرى ولا مقيمون ولا ظاعنون ولا مفيقون ولا صرعى ولا أصحاء ولا مرضى ولا منتبهون ولا نيام . فهم كأصحاب الكهف فى فجوة الكهف لا يدرون ما يفعل بهم — ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال — قال الإمام أبو الفرج بن الجوزى . ذو النون رحمه الله تعالى أصله من النوبة ؛ وكان من أهل أحميم فنزل مصر وسكنها ، ويقال اسمه الفيض وذو النون لقب . وقال الإمام أبو القاسم القشيري فى رسالته : كان ذو النون قد فاق أهل هذا الشأن وصار واحداً وقته علماً وورعاً وأدباً وحالاً ، وكانت وفاته بالجيزة لليلتين خلتا من ذى القعدة سنة ست وأربعين ومائتين . قال ابن خلكان : ودفن بالقرافة الصغرى :

وأما معروف فهو ابن قيس الكرخى كان مشهوراً بإجابة الدعوة ، وأهل بغداد يستسقون بقبيره ويقولون : قبر معروف تريق مجرب . وكان سرى السقطى تلميذه ، وقيل لمعروف فى مرض موته أوص فقال : إذا مت فتصدقوا بقميصى فىنى أريد أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا . ومر معروف رحمه الله تعالى يوماً بسقاء وهو يقول : يرحم الله من يشرب . وكان ضامماً فتقدم وشرب ، فقيل له ألم تكن ضامماً ؟ قال : بلى ولكن رجوت دعاءه ، توفي رحمه الله تعالى سنة ثلثمائة :

وقال الزمخشري فى ربيع الأبرار : زعموا أن أرض حمص لا تعيش فيها العقارب وزعم أهلها أن ذلك لطلسم هناك ، قالوا : وإن طرحت فيها عقرب غريبة ماتت من ساعتها ، وحمص مدينة معروفة من مشارق الشام لا تنصرف للعلمية والعجمة والتأنيث ، وهى من المدن الفاضلة : وفى حديث ضعيف أنها من مدن الجنة ، وكانت فى أول الأمر أشهر بالفضل من دمشق ، وذكر الثعلبى أنه نزلها سبعائة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم .

(فائدة) رقية العقرب جائزة لما روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال « لدغت رجلاً عقرب ونحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل : يا رسول الله أرقيه ؟ قال صلى الله عليه وسلم : من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » وفى رواية : « فجاء آل عمرو بن حزم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب وإنك نهييت عن الرقى ، فقال صلى الله عليه وسلم : اعرضوا عن رقاكم ، فعرضوها عليه فقال صلى الله عليه وسلم : ما أرى بها بأساً من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » . وفى رواية : « اعرضوا على رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شيء » . قاله فى رواية بكتاب الله أو بذكره . ومنهى عنها إذا كانت بالفارسية أو بالعجمية أو بما لا يدرى

معناه لجواز أن يكون فيه كفر . واختلفوا في رقية أهل الكتاب فجوّزها أبو حنيفة وكرهها مالك خوفاً أن تكون مما بدلوا .

فمن الرقي النافعة المحرّبة أن يسأل الرّاقى المملدوغ إلى أين انتهى الوجع من العضو ثم يضع على أعلاه حديدية ويقرأ العزيمة ويكررها وهو يجرد موضع الألم بالحديدية من فوق حتى ينتهي في جرد السم إلى أسفل الوجع ، فإذا اجتمع في أسفله جعل يمص ذلك الموضع حتى يذهب جميع الألم ، ولا اعتبار بفتور العضو بعد ذلك وهي هذه - سلام على نوح في العالمين - وعلى محمد في المرسلين من حاملات السم أجمعين لا دابة بين السماء والأرض إلا ربي أخذ بناصيتها أجمعين كذلك يجزى عباده المحسنين - إن ربي على صراط مستقيم - نوح نوح قال لكم نوح من ذكرني لا تأكلوه إن ربي بكل شيء عليم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ورأيت بخط ابن الصلاح في رحلته رقية للعقرب قال : ذكر أن الإنسان يرقى بها فلا تلدغه عقرب وإن أخذها بيده لا تلدغه وإن لدغته لا تضره وهي بسم الله وبالله وبسم جبريل وميكائيل كازم كازم ريزازم فتيز إلى مرن إلى مرن يتشامرا يتشامرا هوذا هوذا هي لمظا أنا الرّاقى والله الشافي .

(صفة خاتم) نافع للسع العقرب وإلفاقه المحنون وللرعاف ولوجع العين إذا كان من ربيع باردة ينقش على خاتم بلور أحمر هذه الأسماء (خطلسلسه كطوده دل صحوه أو شططا أبي ممة بيدهى سفاهة سفاهة) فللعقرب : يغمس في ماء نظيف ويجعل في موضع اللسع ، وللمجنون : يديم النظر إلى الخاتم فإنه يفتيق بإذن الله تعالى ، وللرعاف : يكتب على الجبهة . وللحمى : يكتب على ورق الزيتون ويعلق . وللربيع : يجعل الخاتم في موضع الريح ويمسحه .

ومما يكتب للحمى أيضاً على ثلاث ورقات ويبخر بها المحموم الأولى : ١١١ ط لا والثانية : ١١١ ط ط والثالثة ١١١ الخ لوم و . وللحمى أيضاً : يكتب على ثلاث ورقات ويأكل كل يوم ورقة إذا حم : الأولى : بسم الله نارت واستنارت : الثانية : بسم الله في علم الغيب غارت . الثالثة : بسم الله حول العرش دارت .

ومما يكتب للرعاف أيضاً وللزيف : لوطا لوطا لوطا يكتب ثلاثة أسطر : وذكر صاحب عين الخواص تكتب هذه الأسماء في ورقة أو على طاسة اسبادرية صحيحة غير مشعوبة أو قصعة جوز بلا شعب ، ويكتب اسم أبيه وأمه ويسقى للموعوك ، وإن سقيت للملسوع أفاق لوقته وهي هذه :

(سارا سارا إلى سارا مالى برن برن إلى بامال واصال باطوطو كالعو ماراسب يا فارهن

اردد بابتها كانا ما ! بين لها نارا انار كاس متمرنا كاطن صلوا بيرص صاروب اناوين ودي) هذا للمسوع الحية : قال : وهو مما جرب فوجد نافعا ، وقد تقدم في باب الحياء المهمة في الحية ما يقرب من هذا .

وقال بعض العلماء المتقدمين : من قال في أول الليل وأول النهار : عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق بقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أمن من الحية والعقرب والسارق .

وروى مالك والجماعة إلا البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتي البارحة ، فقال صلى الله عليه وسلم : أما إنك لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك إن شاء الله تعالى » وفي كامل ابن عدى في ترجمة وهب بن راشد الرقي أن الرجل المذكور بلال ، وفي رواية للترمذي « من قال حين يمسي ثلاث مرات أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضره حمة تلك الليلة » قال سهيل : فكان أهلنا يقولونها كل ليلة فلدغت جارية منهم فلم تجدها وجعا ، وقال هذا حديث حسن .

كلمات الله التامات . ومعنى تمامها : أن لا يدخلها نقص ولا عيب كما يدخل كلام الناس ، وقيل هي النافعات الكافيات عن كل ما يتعوذ به . قال البيهقي : وإنما سماها تامة لأنه لا يجوز أن يكون في كلامه تعالى نقص أو عيب كما يكون في كلام الآدميين : قال : وبلغني عن الإمام أحمد بن حنبل أنه كان يستدل بذلك على أن القرآن غير مخلوق كما سيأتي إن شاء الله تعالى في باب الهاء في الهامة .

وذكر أبو عمر بن عبد البر في التمهيد عن سعيد بن المسيب قال : بلغني أن من قال حين يمسي : سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب .

وقال عمرو بن دينار : إن مما أخذ على العقرب أن لا تضرب أحدا قال في ليل أو نهار : سلام على نوح في العالمين .

وفي التمهيد لابن عبد البر في ترجمة يحيى بن سعيد الأنصاري في بلاغاته في الثاني عشر قال ابن وهب : وأخبرني ابن سمعان قال : سمعت رجلا من أهل العلم يقولون : إذا لدغ الإنسان فنهشته حية أو لدغته عقرب فليقرأ الملدوغ هذه الآية - نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين - .

وقال الشيخ أبو القاسم القشيري في تفسيره في بعض التفاسير : إن الحية والعقرب أتتا نوحا عليه الصلاة والسلام فقالتا احملنا ، فقال نوح : لا أحملكما فإنكما سبب للبلاء والضرر ، فقالتا احملنا ونحن نعاهدك ونضمن لك أن لا نضرب أحدا ذكرك فعاهدما وحملهما ، فن قرأ

من كان يخاف مضرتها حين يمسي وحين يصبح - سلام على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي
المحسنين إنا من عبادنا المؤمنين - ماضرتاه. ثم روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن نوحا
عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة في سنتين، وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا
وسمكها ثلاثين ذراعا، وكانت من خشب الساج، وجعل لها ثلاثة بطون: في البطن الأسفل
الوحوش والسباع والحوام، وفي البطن الثاني وهو الأوسط الدواب والأنعام، وركب هو
ومن معه في البطن الأعلى مع ما احتاج إليه من الزاد.

وروي عن الشيخ الإمام الحافظ فخر الدين عثمان بن محمد بن عثمان التوريزي نزيل مكة
المشرفة أنه قال: كنت أقرأ بمكة الفرائض على الشيخ تقي الدين الحوراني، فبينما نحن جلوس
وإذا بعقرب تمشي فأخذها الشيخ بيده وجعل يقلبها في يده فوضعت الكتاب من يدي فقال
اقرأ، فقلت: حتى أتعلم هذه الفائدة، فقال: هي عندك، قلت: ماهي؟ قال: ثبت
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من قال حين يصبح وحين يمسي بسم الله الذي لا يضر
مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لم يضره شيء» وقد قلتها أول النهار
ومما يدفع شر الحية والعقرب: أن يقرأ عند النوم ثلاث مرات: أعوذ برب أوصافه
سمية من كل عقرب وحية سلام على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي الحسنين أعوذ بكلمات
الله التامات من شر ما خلق.

(فائدة) يقال لدغته العقرب تلدعه لدغا وتلدغا فهو ملدوغ ولدبغ.

قال أبو داود الطيالسي في قوله صلى الله عليه وسلم «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»
معناه أن المؤمن لا يعاقب على ذنبه في الدنيا ثم يعاقب عليه في الآخرة، والذي قال فيه النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك هو أبو عزة الجمحي الشاعر واسمه عمرو وقع في الأسر يوم بدر ولم يكن
معه مال فقال: يا رسول الله إني ذو عيلة فأطلقه لبناته الخمس على أن لا يرجع للقتال، فرجع
إلى مكة ومسح عارضيه وقال: خدعت محمدا مرتين، ثم عاد عام أحد مع المشركين،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللهم لا تغفلته فلم يقع في الأسر غيره فقال: يا محمد إني
ذو عيلة فأطلقني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»
وأمر بقتله، والحديث المذكور رواه الشافعي ومسلم وابن ماجه، وقوله لا يلدغ يروي بضم الغين
على الخبر يعني أن المؤمن حازم لا يخدع مرة بعد مرة ولا يفتن لذلك، وقيل أراد به الخداع
في أمر الآخرة دون الدنيا، ويروي بكسر الغين نهي أي لا يؤتى من جهة الغفلة وهذا
يصح أن يتوجه إلى أمر الدنيا والآخرة أيضا، ويؤيد ما قاله أبو داود الطيالسي ما رواه
النسائي في مسنده على عن أبي سخيطة أنه سمع عليا رضي الله تعالى عنه يقول: ألا أخبركم
بأفضل آية في كتاب الله تعالى؟ قالوا: بلى، قال: قوله تعالى - وما أصابكم من مصيبة
فبها كسبت أيديكم ويعفو عن كثير - قاله في رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي ما أصابك

من بلاء أو عقوبة أو مرض في الدنيا فيما كسبت يداك ، والله أكرم من أن يثني على عبده في الآخرة العقوبة ، وما عفا الله عنه الدنيا فالله أكرم وأحلم من أن يعود بالعقوبة بعد عفوهِ انتهى . ولذلك قال الواحدى : إن هذه الآية أرجى آية في القرآن لأنه جعل ذنوب المؤمنين صنفين صنف كفره بالمصائب وصنف عفا عنه ، وهو جل وعلا كريم لا يعود في عفوهِ .
(فائدة أخرى) يقال : لسعته العقرب والحية تسعه لسعا فهو ملسوع ، وما أحسن قول القائل :

قالوا حبيبك ملسوع فقلت لهم من عقرب الصلغ أم من حية الشعر
قالوا بلى من أفاعى الأرض قلت لهم وكيف تسعى أفاعى الأرض للقمير
ويقال في الحية : عضمت بعض ونهشت تنهش ونشطت تنشط ونكزت بأنفها تنكز ،
وأشدنى شيخنا الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى قال أنشدنا شيخنا الشيخ أثير الدين
أبو حيان قال : أنشدنا الحافظ رضى الدين أبو عبيد الله الشاطبي قال : أنشدنا أبو الربيع
سليمان بن سالم الناقد قال : أنشدنا أبو عبد الله بن رافع القيسى قال : أنشدنا أبو القاسم
ابن حبيش قال : أنشدنا أبو عبد الله محمد بن الفراء الضرير الخطيب بقصبة المرية لنفسه :

يا حسنا مالك لم تحسن إلى نفوس في الهوى متعبه
رقت بالورد وبالسوسن صفحة خد بالسنا مذهبه
وقد أبى صدغك أن أجتني منه وقد ألدغني عقربه
يا حسنه إذ قال ما أحسنى ويا لذلك اللفظ ما أعذبه
قلت له كلك عندى سنا وكل ألفاظك مستعذبه
ف فوق السهم ولم يخطني ومذ رآنى ميثا أعجبه
وقال كم عاش وكم حبنى وجهه إياى قد أتعبه
يرحمه الله على أننى قتلى له لم أدر ما أوجبه

قال الحريرى في درة الغواص : السوسن بفتح السين ، وقد أذكرنى السوسن أبياتا أنشدنيها
على ابن عبد العزيز الأديب المغربي لأبى بكر بن القوطية الأندلسى يصف فيها الورد والسوسن
كما أبدع فيه وأحسن ، فأوردتها على وجه التسديد لسمط هذا الفصل والتأسى بمن درج من
أهل الفضل وهى :

قم فاستقنيها على الورد الذى نعا وباكر السوسن الغض الذى نجما
كأتما ارتضعا خلقي سمائهما فارتضعت لبنا هذا وذاك دما
جسمان قدكفرا الكافور ذاك وقد عتق العقيق احمرارا ذا وما ظلما
كأن ذا طلية نصت اعترض وذلك خد غداة البين قد لعلما

أولا فذاك أنابيب اللجين وذا جمر الغضى حركته الريح فاضطرما
وقالت العرب : قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعا من الزنبور فإذا هو هي ، وقالوا
أيضا : فإذا هو إياها ، وهذا الوجه هو الذى أنكره سيويه لما سأله الكسائى بمحضرة يحيى
ابن خالد البرمكى ، فقال له الكسائى : إن العرب ترفع كل ذلك وتنصبه ، فقال له يحيى :
قد اختلفتما وأنتما رئيسا ببلديكما ، فقال له الكسائى : هذه العرب ببابك قد سمع منهم أهل
البلدين فيحضرون ويسألون ، فأحضروا وسئلوا فوافقوا الكسائى ، فأمر يحيى لسيويه بعشرة
آلاف درهم ، ورحل سيويه من فوره إلى بلاد فارس فأقام بها حتى مات في سنة ثمانين ومائة
وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة ، وقيل اثنتان وثلاثون سنة ، ويقال إن العرب علموا منزلة
الكسائى عند الرشيد فقالوا القول قول الكسائى ولم ينطقوا بالنصب ، وإن سيويه قال ليحيى : مرهم
أن ينطقوا بذلك فإن ألسنتهم لا تطاوعهم على النطق به ، وقد أشار إلى ذلك حازم في منظومته بقوله :

والعرب قد تحذف الأخبار بعد إذا	إذا عنت فجأة الأمر الذى دهما
وربما نصبوا بالحال بعد إذا	وربما رفعوا من بعدها ربما
فإن توالى ضمير ان اكتسى بهما	وجه الحقيقة من إشكاله عما
لذلك أعييت على الأفهام مسألة	أهدت إلى سيويه الحتف والغما
قد كانت العقرب العرجاء أحسبها	قدما أشد من الزنبور وقع حما
وفي الجواب عليها هل إذا هو هي	أو هل إذا هو إياها قد اختصما
فخطأ ابن زياد وابن حمزة في	ما قال فيها أبا بشر وقد ظلما
وغاظ عمرا على في حكومته	ياليته لم يكن في أمره حكما
كفيظ عمرو عليا في حكومته	ياليته لم يكن في أمره حكما
وفجع ابن زياد كل منتحب	من أهله إذ غدا منه يفيض دما
وأصبحت بعده الأنفاس باكية	في كل طرس كدمع سح وانسجما
وليس يخلو امرؤ من حاسد أضم	لولا التنافس في الدنيا لما أضما
والغبن في العلم أشجى محنة علمت	وأترح الناس شجوا عالم هضمما

(الحكم) يحرم أكل العقرب وبيعها وتقتل في الحل والحرم ، وإذا ماتت في مائع نجسته
على المشهور ، وقيل لا تنجسه كالوزغة ، ونقل الخطابي عن يحيى بن أبي كثير : أن العقرب
إذا ماتت في الماء نجسته ، ثم قال : وعامة أهل العلم على خلافه .

(الأمثال) قال الشاعر :

ومن لم يكن عقربا يتقى مشت بين أثوابه العقرب
وقالوا في النصح : لسع العقارب ، وقالوا : أعدى من العقرب وهو من العداوة ، وقالوا

العقرب تلدغ وتصى . يضرب للظالم في صفة المتظلم ، وقالوا : تحككت العقرب بالأفعى يضرب لمن ينازع أو يخاصم من هو أكثر منه شرا يقال تحكك به إذا تعرض لشره ، وقولهم أنجر من عقرب وأمطل من عقرب : هو اسم تاجر بالمدينة وكان من أكثر الناس تجارة وأشدهم تسويقا حتى ضربوا بمطله المثل ، فاتفق أن الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي هب وكان من أشد الناس اقتضاء عامله ، فقال الناس : ننظر الآن ما يصنعان ، فلما جاء المال لزم الفضل باب عقرب وشد حماره ببابه وقعد يقرأ القرآن ، فأقام عقرب على المطل غير مكترث به فعدل الفضل عن ملازمة بابه إلى هجاء عرضه ، فما سار عنه قوله فيه :

كل عدو كيده في إسته فغيره ليس الأذى ضائره
قد تجرت في سواقنا عقرب لامرحبا بالعقرب التاجره
كل عدو يتقى مقبلا وعقرب يخشى من الذابره
إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضره

وقد أذكرني قوله : إن عادت العقرب عدنا لها ... البيت ما حكاها الشيخ كمال الدين الأدفولى في كتابه [الطالع السعيد] أن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد كان في صباه يلعب الشطرنج مع زوج أخته الشيخ تقي الدين ابن الشيخ ضياء الدين ، فأذن بالعشاء فقاما فصليا ثم قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد : أما تعود ؟ فقال صهره :

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضره

فأنف الشيخ تقي الدين من ذلك فلم يعد يلعبها إلى أن مات .

(فائدة) قال ابن خلكان في ترجمة أبي بكر الصولى الكاتب المشهور : إنه كان أوحد أهل زمانه في لعب الشطرنج والناس إلى الآن يضربون المثل به في ذلك ، وزعم كثير من الناس أنه الذى وضع الشطرنج وهو غلط ، وواضعه رجل يقال له صصة بصادين مهملتين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة مشددة وضعه لملك الهند شهرام بكسر الشين المعجمة ، وكان أردشير بن بابك أول ملوك الفرس المؤرخة به قد وضع الترد ولذلك قيل له التردشير نسبة إلى واضعه المذكور ، وجعله مثالا للعالم وأهلها ؛ فجعل الرقعة اثني عشر بيتا بعدد شهور السنة وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر وجعل الفصول مثل القضاء والقدر وتقلبه في الدنيا فافتخرت الفرس بوضع الترد فوضع صصة الهندى الحكيم الشطرنج لملك الهند فقضت حكماء ذلك العصر بترجيح الشطرنج على الترد ، وأردشير بالراء المهملة وقيل بالزاي هو الذى أباد ملوك الطوائف ومهد لنفسه الملك وهو جسد ملوك الفرس الذين آخرهم يزدجرد بكسر الجيم ؛ وانقرض ملكهم في خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة انتهى . والصواب أن الملك الذى وضع له الشطرنج بلهيت كما قاله شيخنا الياضى وغيره

وأنه لما قدمه للملك وأراه طريقة اللعب به أعجب الملك إعجابا عظيما وقال له : تمنّ علىّ . فقال : أتمنى عليك أيها الملك أن يوضع درهم في أول بيوت الرقعة ويضاعف إلى آخرها ، فقال له الملك : ما هذا القدر أفسدت علينا ما صنعت ، فقال الوزير : مهلا أيها الملك فإن خزائنك وخزائن ملوك أهل الأرض تنفذ دون ذلك .

وقد أغفل ابن خلكان من وصف الترد أشياء : منها أن الاثني عشر بيتا التي في الرقعة مقسومة أربعة على عدد فصول السنة ، ومنها أن الثلاثين قطعة بيض وسود كالأيام والليالي ، ومنها أن الفصوص مسدسة لإشارة إلى أن الجهات ست لا سابع لها ، ومنها أن مافوق الفصوص وتحتها كيفما وقعت سبع نقط عدد الأفلاك وعدد الأرضين وعدد السموات وعدد الكواكب السيارة ، ومنها أنه جعل تصرف اللاعب في تلك الأعداد لاختياره وحسن التدبير بعقله كما يرزق العاقل شيئا قليلا فيحسن التدبير فيه ويرزق المفرط شيئا كثيرا فلا يحسن التصرف فيه فالترد جامع لحكم القضاء والقدر وحسن التصرف لاختيار لاعبه ، والشطرنج مفوض لاختيار اللاعب وعقله وتصرفه الجيد أو الرديء ، وتفضيل الشطرنج على الترد فيه نظر ، والشطرنج بكسر السين المهملة على وزن جردحل وهو الضخم من الإبل ، وقد جوز في الشطرنج أن يقال بالشين المعجمة لجواز اشتقاقه من المشاطرة ، وأن يقال بالسين المهملة لجواز أن يكون اشتق من التسطير عند التغية قاله في درة الغواص : ومما قيل في الشطرنج :

وخيل قد رأيت لزاء خيل يساق بها كأكياس الرياح
بميمنة وميسرة وقلوب كتعبية الكتائب للبطاح
إذا ماقتلوا نشروا وعادوا صحاحا لم يصابوا بالجراح
بغير عداوة كانت قديما ولكن للتلذذ والمزاح

(إشارة) لعب الشطرنج مكروه كراهة تنزيه ، وقيل حرام ، وقيل مباح والأول أصح وقال مالك وأبو حنيفة وأحمد : إنه حرام ، ووافقهم من أصحابنا الحليني والرويانى . وروى البيهقي : أن محمد بن سيرين وهشام بن عروة بن الزبير وجرير بن حكيم والشعبي وسعيد بن جبير كانوا يلعبون بالشطرنج . وقال الشافعي : كان سعيد بن جبير يلعب بالشطرنج استدبارا من وراء ظهره ، وروى الصعلوكي تجويزه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأبي اليسر وأبي هريرة والحسن البصرى والقاسم بن محمد وأبي قلابة وأبي مجاز وعطاء والزهرى وربيعة بن عبد الرحمن وأبي الزناد رحمهم الله تعالى . والمروى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه من اللعب به مشهور في كتب الفقه ، وروى الصولى في جزء قد جمعه في الشطرنج : أن أبا هريرة وعلى بن الحسين زين العابدين وسعيد بن المسيب ومحمد بن المنكدر والأعمش وناجية وعكرمة وأبا إسحاق السبيعي وإبراهيم بن سعد وإبراهيم بن طلحة بن عبد الله بن معمر كانوا

يلعبون بالشطرنج . وقد ذكرت الأسانيد عن هؤلاء وتكلمت على أدلة المخالفين بكلام ،
يشفي النفس ويذهب اللبس في جزء أفردته في الشطرنج والرد نحو عشرين كراسة فاعلم ذلك
والله تعالى أعلم .

قال أصحابنا : ولأن الشطرنج فيها تدبير الحروب فأشبهت اللعب بالحرب ولم يثبت عن
النبي صلى الله عليه وسلم نهى صحيح عن اللعب به . وأقوى ما يحتج به القائلون بالتحريم
ما روى عن ابن عمر أنه سئل عن الشطرنج فقال : هي شر من الرد . قالوا : والرد حرام
فيكون الشطرنج كذلك . قال الإمام تاج الدين السبكي في الجواب عن هذا الأثر : إنا لانعلم
مذهب ابن عمر في الرد واهله كان يقول بحله وهو وجه لأصحابنا ، ولا يلزم حينئذ من كون
الشطرنج شرا من الحلال باعتبار ما أن يكون حراما ، وأيضا فإن المسئلة مسألة اجتهادية ،
ولعل ابن عمر كان يذهب إلى التحريم ، ورأى الشافعي معروف . وعلى قول من قال إن قول
الصحابي حجة يشترط فيه أن لا يعارضه قول صحابي آخر وهذا قد عارضه قول جماعة من
الصحابة بالجواز . وأيضا هذا الأثر لم يقل بظاهرة أحد من العلماء وذلك أن ظاهره أن الشطرنج
شر من الرد سواء اشتمل على عوض أم لا . وبعض العلماء قال : إن الشطرنج شر من الرد
لكن شرط فيه أن يكون مشتملا على عوض . وأما إذا لم يكن مشتملا على عوض فلم نعلم
أن أحدا من العلماء قال إنه في هذه الحالة شر من الرد ، وإذا كان الأثر مردود الظاهر
بالإجماع سقط الاحتجاج به انتهى .

وروى الآجري عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إذا مرتتم بهؤلاء الذين يلعبون بالأزلام الشطرنج والرد فلا تسلموا عليهم » هذا
حديث ضعيف لأن في سنده سليمان اليماني ، وقد قال ابن معين فيه ليس بشيء* ، وقال
البخاري منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه ، وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول هو منكر
الحديث لا أعلم له حديثا صحيحا انتهى . فأما إذا انضم إليه اشتغال عن صلاة أو غيرها بالتحريم
إذ ذلك ليس للشطرنج نفسه ، وهو مكروه إذا لم يواظب عليه فإن واظب عليه فإنه يصير
صغيرة كما ذكره الغزالي في كتاب التوبة من الإحياء ، أسكن ذكر ابن الصباغ في الشامل
خلافه . وأما الرد فحرام على الأصح لقوله صلى الله عليه وسلم « من لعب بالرد فقد عصى
الله ورسوله » ولقوله صلى الله عليه وسلم « مثل الذى يلعب بالرد ثم يقوم فيصلى مثل الذى
يتوضأ بالقبيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلى » .

ومن محاسن شعر الإمام العلامة حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى في التشبيه :

حلت عقارب صدغه من خده قبرا يحل به عن التشبيه
ولقد عهدناه يحل ببرجها ومن العجائب كيف حلت فيه

وقد تقدم ذكر وفاته وطرف من أخباره في باب الحاء المهملة في الحمام . وقد أجاد أبو الحسن يوسف بن الشواء في وصف غلام أرسل أحد صدغيه وعقد الآخر فقال :

أرسل صدغا ولوى قاتلي صدغا فأعيا بهما واصفـه
فخلت ذا في خده حية تسعى وهذا عقربا واقفه
ذا ألف ليست لوصل وذا واو ولكن ليست العاطفه

ومن محاسن شعره رحمه الله أيضا :

قالوا حبيـك قد تـضوَّع نشره حتى غدا منه الفضاء معطرأ
فأجبتهم والحال يعلو خده أو ما ترى النيران تحرق عنبرأ

(الخواص) قال صاحب عين الخواص : العقرب إذا رأت الوزغة ماتت ويست من ساعتها ، وقيل إن العقرب إذا أحرقت ودخن بها البيت هربت العقارب منه ، وإذا طبخت بزيت ووضع على لدغ العقارب سكن الوجع ، ورماد العقارب يفتت الحصى ، وإن أخذت عقرب وقد بقي من الشهر ثلاثة أيام وجعلت في إناء وصب عليها رطل زيت وسد رأس الإناء وترك حتى يأخذ الزيت قوتها ثم ادهن به من به وجع الظهر والفخذين فإنه ينفعه ويقويه ، وإن شرب بزر الخس بشراب أمن شارب من لسع العقارب ، وإن طرحت قطعة من فجل على قدر لم تدب عليها عقرب إلا ماتت من وقتها ، وإذا ديف ورق الخس بدهن وطلي به على لسعة العقرب أبرأها ، وإن طبخت العقرب بسمن البقر وطلي به موضع لسعتها سكنها من وقته . وقال ابن السويدي : إذا وضعت العقرب في إناء فخار وسد رأسه ثم وضع في تنور إلى أن تصير رمادا وسقى من ذلك الرماد من به الحصى نفعه وفتتها ، وإذا بخر البيت بعقرب اجتمعت فيه العقارب كذا قال أرسطو وقال غيره تهرب منه العقارب ، وإذا غرزت شوكة العقرب في ثوب إنسان لم يزل سقيما حتى تزول منه ، وإن دقت العقارب وألصقت على لسعتها أبرأتها وإن وقعت في ماء وشرب منه إنسان وهو لا يعلم امتلأ جسده قروحا ، وإن بخر البيت بزرنبيخ أحمر وشحم البقر هربت منه العقارب ، وقال القزويني والرافعي : من شرب مثقالين من حب الأترج بعسد دقه ناعما أبرأ ذلك من لسعة العقرب والحية وغيرهما من ذوات السموم وهو عجيب مجرب . وفي [عجائب المخلوقات] : أنه إذا علق شيء من عروق شجرة الزيتون على من لسعته العقرب برى من وقته ، وشجر الرمان إذا بخر بحطبه طردها ، وشحم الماعز والسمن البقري والزرنبيخ الأصفر وحافر الحمار والكبريت ورش البيت بالماء المنقوع فيه الجلثيت ووضع قشور الفجل في البيت كل ذلك يطردها وهو عجيب أيضا مجرب ذكر ذلك في المنتخب . وفي الموجز : الفجل المشدوخ وعصارته إذا أمسكت وورقه والباذروج يطردها ، وإن وضع الفجل المقطوع على جحرها

لم تجرأ على الخروج ، وفيها أن تفل الصائم يقتل الحيات والعقارب ، وفي المنتخب أن تفل الحمار المزاج يفعل مثل ذلك ، ورؤية السها تؤمن من لسعة العقرب والسارق ، وقد ذكر ذلك الرئيس أبو علي بن سينا في أرجوزته ، وقيل لأنها لابن شيخ حطين ، وهي تشتمل على خواص مجربة وأسرار من علم الطب فلنأت بها بكمالها لنتم الفائدة وهي هذه :

بدأت بسم الله في نظم حسن
ما هو بالطبع وبالخواص
في شوكة العقرب نجم توأم
إذا تراه امرآن اصطحبا
الاسما إن قيل ذا محبب
وتوأم نجمان في سعد بلع
ومثله أيضاً لسعد الذابح
تخبر من شئت به فيعجب
فينشأ الود باذن الله
كف الخضيب فرقة إلى الأبد
ينظره الإنسان أو جماعة
نجم السها مأمنة من سارق
ومن رأى عشية نجم السها
وقيل لا يدنو إليه سارق
الطخ على الحزاز دهن القمح
فإنه يذهب منها سبعها
أكوروس كل ثؤلول يرى
ومثله رعوس قش الحلبة
تخطيطك الأظفار بعد الصبح
وطبقك الأضراس في الثاؤب
أعنى عروض القلع إن تقرحت
تفرغر العليل ذو الخناق
لاسيا إن شابه كشوث
ابلع من الصابون وزن درهم
وامسح على الأضراس والأسنان

أذكر ما جربت في طول الزمن
لكل عام ولكل خاص
تراه عين من يراه يعلم
وانفقا وذا تحايا
بعض لبعض كوكبان كوكب
رؤيته لكل ود قد جمع
رؤيته لكل ود صالح
ثم يقول كوكبان كوكب
بينهما فلا تكن باللاهي
لكائن من كان من كل أحد
يفترقوا إلى قيام الساعة
ومن سموم عقرب وطارق
لم تدن منه عقرب يمسا
في سفر ولا بسوء طارق
مع وسخ الأسنان بعد المسح
كالنار فيها ثم يورى نقيها
بعودتين قد حرقت أخضرا
تذهب بالثؤلول منه الرعبه
بكذلك عرضاً وزيل القاح
يمنع من هذا لذى التجارب
كذلك إن تحفرت واصطلمت
بمرق الضبار كالترياق
لذى الخلاط نفعه موروث
تنج من القولنج غير المحكم
لو كاهها بطرف اللسان

وقد حرمت الأكل من لحم الفرس
وذلك عند رؤية الهلال
كذلك في كل هلال يجتلي
لا تغسلن ثيابك الكتنانا
عند اجتماع النيرين تبلى
اتخذ البرمة من زجاج
والنار جزل إن تشا أو فحم
وكرر الطبخ بها أياما
وذلك سهل ليس بالعسير
وتتخذ كحلا جديداً محرقا
ومثله من حجر الخنود
مطيباً بالمسك طيب الإئمد
ثم اكتحل منه على مر المدى
واكحل المحبوب بالحديد
فيسحر العينين منه فيرى
ولا يكاد يستطيع صبوا
نشادر الدخان بالحمام
فريجه يقتل الأفاعى
ووزن مثقال إذا ما شربا
يخلص المسموم من ممانه
هذا إذا دبر بالإتقان
وكل ماجاد بسحق فاعبر
مرارة الحية سم قاتل
إذا سقى المسموم منها حبه
وإن سقى منها صحيح مانا

شهباً ولا من هندبا تبغى الحرس
فتأمن الأضراس من إعلال
فإنها مأمنة من البلا
ولا تصد فيها كذا حيثانا
وفي السرار فاتخذة أصلا
من غير تلون ولا علاج
ينضج فيها اللحم ثم الشحم
وأشهرها إن شئت أو أعواما
من غير تقشير ولا تكثير
منعماً مصولاً مروفاً
ذى الخاصة الجاذبة الحديد
واكحل به من شئت فرد مرود
لأنه لم يتخذ كحلا سدى
يهواك في الوقت بلا مزيد
وجهك شمساً باهياً أو قرأ
عنك ولو حرقت منه الصدرا
ينضحه الفخار من مسام
من الهوام والديب الساعى
مع وزنه من الرجيع انتخبها
من بعد يأس الأهل من حياته
بالسحق والترويق فى الأواني
وفيه يا هذا تفهم واختبر
وهى للملذوغ بها تقابل
نجا من السم بتلك الشربة
من يومه وفارق الحياتا

(التعبير) العقرب فى المنام : رجل تمام فمن نازعته عقرب فإنه ينازع رجلاً تماماً ،
ومن أخذ عقرباً فى منامه فألقاها على زوجته فإنه يأتيها فى الدبر وإن سبها على الناس فإنه
رجل لوطى ، ومن قتل عقرباً خرج منه مال وعاد إليه ، والعقرب فى السراويل رجل
فاسق يداخل امرأة من ورائها فى سراويله ، ومن أكل لحم عقرب مطبوخاً فإنه يرث مالا

وإن كان نينا اغتاب رجلا فاسقا وكذلك كل حيوان لا يؤكل إذا أكل لحمه في المنام ؛
والعقرب رجل يظهر ما في بطنه لسانه ، والعقارب في البطن أولاد أعداء ونزول العقرب
من الدبر ولد عاق ، وربما دلت رؤية العقرب على الافتتان بمن يشبه العقرب بصدغه إذا
بدا فيه الشعر ، والله أعلم .

﴿ العقربان ﴾ : دويبة تدخل الأذن وهي هذه الطويلة الصفراء الكثيرة القوائم قاله
ابن سيده :

﴿ العقف ﴾ : الثعالب . قال حميد بن ثور الهلالي :
كأنه عقف تولى يهرب من أكلب تعقفهن أكلب
يقال : عقفت الشيء فانعقف أي عطفته فانعطف .

﴿ العقور ﴾ : كتعلب ويسمى كندشاً بالشين المعجمة وصوته الععقة ، وهو طائر على
قدر الحمامة وهو على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحي الحمامة ، وهو ذو لونين
أبيض وأسود طويل الذنب ويقال له القعقع أيضا ، وهو لا يأوى تحت سقف ولا يستظل به
بل يهيم ، وكره في المواضع المشرفة ، وفي طبعه الزنا والخيانة ويوصف بالسرقة والخبث ،
والعرب تضرب به المثل في جميع ذلك ، وإذا باضت الأنثى أخفت بيضها بورق الدلب خوفا
من الخفاش فإنه متى قرب من البيض مذر وفسد وتغير من ساعته .

حكى الزرخشري وغيره في تفسير قوله تعالى - وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله
يرزقها - عن سفیان بن عيينة أنه قال : ليس شيء من الحيوان نجباً قوته إلا الإنسان والنمل
والفأر والعقق . وعن بعضهم أنه قال : رأيت البلبل يحتكر ، ويقال إن للعقق مخاين إلا
أنه ينساها ، وفي طبعه شدة الاختطاف لما يراه من الحلبي فكمن عقدين اختطفه من شمال
ويمين . قال الشاعر :

إذا بارك الله في طائر فلا بارك الله في العقق
قصير الذنابي طويل الجناح متى ما يجذ غفلة يسرق
يقلب عينيه في رأسه كأنهما قطرتا زئبق

(فائدة) اختلفوا في سبب تسميته عققا فقال الجاحظ لأنه يعق فراخه فيتركهم
بلا طعام وبهذا يظهر أنه نوع من الغربان لأن جميعها يفعل ذلك ، وقيل اشتق له هذا الاسم
من صوته .

(الحكم) في حله وجهان : أحدهما يؤكل كغراب الزرع ، والثاني يحرم وهو الأصح

في الروضة تبعاً للبغوى والبوسنجى ، وسئل الإمام أحمد عنه فقال : إن لم يأكل الجيف فلا بأس به . وقال بعض أصحابه : إنه يأكلها فيكون على قوله محرماً .
 (فائدة) حكى الجوهري : أن العرب تشاءم به وبصياحه لأنهم كانوا يشتقون في الطيرة مما يسمعون ويشاهدون فكانوا إذا سمعوا العقق اشتقوا منه العقوق ، وإذا سمعوا العقاب اشتقوا منه العقوبة ، وإذا رأوا شجر الخلاف وهو الصفصاف اشتقوا منه الخلاف والخلاف بتخفيف اللام ضد الوفاق وكذلك الخلاف الذى هو الصفصاف بتخفيف اللام أيضاً . وحكى الرافعى الخلاف عن الخنفة فيمن خرج لسفر فسمع صوت عقق فرجع هل يكفر أم لا ؟ قيل إنه يكفر وكذلك رأيت في فتاوى قاضيخان . قال النووي : الصحيح أنه لا يكفر عندنا بمجرد ذلك .

(الأمثال) قالوا : ألص من عقق وأحق من عقق : لأنه كالنعامة التى تضيع بيضها وأفراخها وتشتغل ببيض غيرها ، وإياها عنى هدبة بقوله :

كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا

(الخواص) إذا جعل دماغه على قطنة وألصق على موضع النصل أو الشوكة الغائضين في البدن أخرجهما بسهولة ، ولحمه حار يابس رديء الكيموس .
 (التعبير) العقق في الرؤيا : رجل لا أمان له ولا وفاء ، ومن رأى أنه كلمه عقق جاءه خبر من غائب ، والعقق رجل حكار يطلب الغلاء ، والله أعلم .

﴿ العقيب ﴾ : طائر لا يستعمل إلا مصغراً .

﴿ العطاش ﴾ : كرمان ذكر العنكبوت عن كراع .

﴿ العكرمة ﴾ : بكسر العين والراء المهملتين وبالشين المعجمة في آخره الأرنب الأثني ، وفي الحديث « أن رجلاً سأل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال : عنت لى عكرشة وأنا محرم فقتلتها ؟ فقال : فيها جفرة » .

﴿ العكرمة ﴾ : بكسر العين والراء المهملتين الأثني من الحمام ، وسمى بها الإنسان أيضاً كعكرمة مولى ابن عباس أحد أوعية العلم ، ولما مات مولاه عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما كان عكرمة رقيقاً لم يعتقه فباعه ولده على بن عبد الله بن عباس لخالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ، فقال عكرمة لعلى : بعث علم أبك بأربعة آلاف دينار ، فاستقال خالداً فأقاله ثم أعتقه .

مات عكرمة وكثير عزة الشاعر في يوم واحد بالمدينة سنة خمس ومائة وصلى عليهما في مكان واحد فقال الناس : مات اليوم أعلم الناس وأشعر الناس رحمهما الله تعالى :

قال ابن خلكان وغيره : وكثيرة عزة أحد شعراء العرب ومتميها وكان كيسانيا ، والكيسانية : فرقة من الروافض يعتقدون إمامة محمد بن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه وهو المعروف بمحمد بن الحنفية ، ويقولون إنه مقيم بجبل رضوى ومعه أربعون نفرا من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر ، ويقولون إنهم أحياء يرزقون وإنه سيرجع إلى الدنيا ويملؤها عدلا وفي ذلك يقول كثير عزة :

وسبب لا يذوق الموت حتى تعود الخليل يقدمها اللواء

يغيب فلا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء

قلت : الصواب أنهما للحميري . قال : وكانت وفاة محمد بن الحنفية سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين من الهجرة ، والله أعلم .

﴿ العليج ﴾ : بكسر العين وإسكان اللام حمار الوحش السمين القوى والرجل من كفار العجم ، والجمع علوج وأعلاج ومعلوجاء وعلجة :

﴿ العل ﴾ : بالفتح القراد المهزول .

﴿ العلبرم ﴾ : بضم العين وسكون اللام وضم الجيم الضفدع الذكر ، وقيل البطة الذكر كذا حكاه ابن سيده .

﴿ العلام ﴾ : بضم العين وتشديد اللام وبالميم في آخره الباشق :

﴿ العلوسه ﴾ : بكسر العين وفتح اللام المشددة على وزن سنور ابن آوى والذئب ودويبه وضرب من السباع : قال ابن رشيق في كتاب [الغرائب والشذوذ] : قال الخليل : ليس في كلام العرب كلمة تجتمع فيها شين ولام إلا والشين قبل اللام إلا العلوش فإن اللام فيه تقدمت على الشين وهو مفرد في الكلام .

﴿ العلهانه ﴾ : كالكروان العظيم وقد مر .

﴿ العلس ﴾ : محركة القراد الضخم لأنه أول ما يكون ققامة ثم يصير حنانة ثم حلمة ثم علسا . ومن الألفاظ القديمة : يجب في العلس زكاة إذا بلغ خمسة أوسق أو أكثر منها ؟ قال : لا ، وإذا علم بذلك الساعى أعرض عنها .

﴿ العلامات ﴾ : قال ابن عطية : حدثني أبي رحمه الله تعالى أنه سمع بعض أهل العلم بالمشرق يقول : إن في بحر الهند حيثانا طرالا رقاقا كالحليات في ألوانها وحركاتها وإنها تسمى العلامات ، وذلك أنها علامات الوصول إلى بلاد الهند وأمارات النجاة من المهالك لطول ذلك

البحر وصعوبته ، وأن بعض الناس قال : إنها المراد بقوله تعالى - وعلامات وبالنجم هم يهتدون - قال : وأما من شاهد تلك العلامات في البحر فحدثني منهم عدد كثير .

وقال ابن عباس رضی الله تعالى عنهما : العلامات معالم الطرق بالنهار والنجوم هداية بالليل . وقال الكلبي : هي الجبال . وقال مجاهد والنخعي : هي النجوم ، منها ما يسمى علامات ومنها ما يهتدى به .

﴿ العلهز ﴾ : بكسر العين وإسكان اللام وكسر الهاء قبل الزاي القراد الضخم ، وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام لما دعا على قريش بقوله « اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف » أكلوا العلهز ، وقيل المراد به الوبر المخلوط بالدم .

﴿ العلق ﴾ : كقوله : الذكر من القنابر .

﴿ العلق ﴾ : بفتح العين واللام دود أسود وأحمر يكون بالماء يعلق بالبدن ويمص الدم وهو من أدوية الحلق والأورام الدموية لامتصاصه الدم الغالب على الإنسان الواحدة علقه . وفي حديث عامر « خير الدواء العلق والحجامة » .

والعلق الشجرة التي آنس موسى عليه الصلاة والسلام منها النار قاله ابن سيده . وقيل إنها العوسج ، والعوسج إذا عظم قيل له الغرقد ، وفي الحديث « إنه شجر اليهود فلا ينطق » يعني إذا نزل عيسى عليه السلام وقتل اليهود فلا ينطق * أحد منهم خلف شجرة إلا نظقت . وقالت : يا مسلم هذا يهودى خلا ، فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجرهم فلا ينطق .

(فائدة) ذكر الثعلبي في تفسير قوله تعالى - أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين : يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم - عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري يعني قدس من في النار وهو الله سبحانه وتعالى عنى به نفسه : قال : وتأويل هذا القول أنه كان فيها لاعلى سبيلى تمكن الأجسام بل على أنه جل وعلا نادى موسى عليه الصلاة والسلام وأسمعه كلامه من جهتها وأظهر له ربوبيته من ناحيتها ، فالشجرة مظهر لكلامه تعالى ، وهو كما روى أنه مكتوب في التوراة : جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران . فجيئته من سيناء بعثه موسى منها ، وإشراقه من ساعير بعثه عيسى عليه السلام منه ، واستعلاؤه من جبال فاران بعثه المصطفى صلى الله عليه وسلم منها ، وفاران مكة المشرفة ، وقيل كانت النار نوره عز وجل وإنما ذكره بلفظ النار لأن موسى عليه الصلاة والسلام حسبه ناراً والعرب تضع أحدهما موضع الآخر : وقال سعيد بن جبير ، كانت هي النار بعينها وهي أحد حجبه تعالى وقيل بورك من في النار سلطانه وقدرته وفيمن حولها ، وتأويل هذا القول أنه عائد إلى موسى والملائكة عليهم الصلاة والسلام ، ومجاز الآية أن بورك من في طاب النار

وقصدها وبالقرب منها ، ومعنى الآية : أن بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين حول النار ، وهذه تحية من الله عز وجل لموسى عليه السلام وتكرمة له كما حيا إبراهيم عليه السلام على أسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا - رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد - فحمد نفسه تعالى بواسطة فعله . قلت : وكذلك إذا ذكر العبد ربه أو حمده فما ذكر الله إلا الله ولاحمد الله إلا الله لأنه تعالى ذكر نفسه وحمدها بواسطة فعله والعبد آلة ليس له شئ عقال تعالى - ليس لك من الأمر شئ - وقال تعالى - وإليه يرجع الأمر كله - ففعل العبد ينسب إلى الله نسبة خلق وإيجاد قال الله تعالى - والله خلقكم وما تعملون - وينسب إلى العبد نسبة كسب وإسناد ليعاقب عليه أو يثاب ، والله تعالى أعلم . وقال بعضهم : هذه البركة راجعة إلى النار نفسها .

وأما وجه قوله تعالى - بورك من في النار - فإن العرب تقول : بارك الله لك وبارك فيك وبارك عليك وباركك أربع لغات . قال الشاعر :

فبوركت مولوداً وبوركت ناشئاً وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب

وأما الكلام المسموع من الشجرة فاعلم أن مذهب أهل الحق أن الله تعالى مستغن عن الحد والكلام والمكان والجهة والزمان لأن ذلك من أمارات الحدوث وهي خلقه وملكه ، وهو سبحانه أجل وأعظم من أن يوصف بالجهات أو يحد بالصفات أو تحصيه الأوقات أو تحويه الأماكن والأقطار . ولما كان جل وعلا كذلك استحال أن توصف ذاته بأنها مخصصة بجهة أو منتقلة من مكان إلى مكان أو حالة في مكان . روى أن موسى عليه السلام لما كلمه الله تعالى سمع الكلام من سائر الجهات ولم يسمعه من جهة واحدة فعلم بذلك أنه كلام الله تعالى ، وإذا ثبت هذا لم يجوز أن يوصف تعالى بأنه يحل موضعاً أو ينزل مكاناً كما لا يوصف بأنه جوهر ولا عرض ، ولا يوصف كلامه بحرف ولا صوت خلافاً للحنابلة الحشوية بل هو صفة قائمة بذاته تعالى يوصف بها فينتفي عنه بها آفات الحرش والبكم وما يليق بجلاله وكماله ، ولا تقبل الانفصال والفراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق .

وأما الإفهام والإسماع فيجوز أن يكون في موضع دون موضع ومكان دون مكان ، وحيث لم يقع إحاطة ولا إدراك بالوقوف على كنه ذاته قال تعالى - ليس كمثله شئ وهو السميع البصير - وأما الهاء في قوله تعالى - يا موسى إنه - فهو عماد وليس بكناية .

(فائدة أخرى) اختلف في أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه ليلة الإسراء بغير واسطة أم لا ؟ فذهب ابن عباس وابن مسعود وجعفر الصادق وأبو الحسن الأشعري وطائفة من المتكلمين إلى أنه صلى الله عليه وسلم كلم الله بغير واسطة ، وذهب جماعة إلى تنقي ذلك :

واختلف في جواز الرؤية ، فأكثر المبتدعة على إنكار جوازها في الدنيا والآخرة .
وأكثر أهل السنة والسلف على جوازها فيهما ووقوعها في الآخرة .

واختلف العلماء من السلف والخلف في أنه هل رأى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ربه تعالى أم لا ؟ فأنكرته عائشة وأبو هريرة وابن مسعود وجماعة من السلف ، وبه قال جماعة من المتكلمين والمحدثين ، وأجازه جماعة من السلف ، وأنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة الإسراء بعيني رأسه وهو قول ابن عباس وأبي ذر وكعب الأحمق والحسن البصري والشافعي وأحمد بن حنبل . وحكى أيضا عن ابن مسعود وأبي هريرة والمشهور عنهما الأول ، وبهذا القول الثاني قال أبو الحسن وجماعة من أصحابه وهو الأصح ، وهو مذهب المحققين من السادة الصوفية .

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : اختص موسى بالكلام ، وإبراهيم بالخلة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم بالرؤية ، وذهب جماعة من العلماء إلى الوقف وقالوا : ليس عليه دليل قاطع نفيًا ولا إثباتًا ولكنه جائز عقلا وصححه القرطبي وغيره .

قلت : رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة جائزة بالأدلة العقلية والنقلية . أما العقلية : فعروفة في علم الكلام ، وأما النقلية : ففيها سؤال موسى عليه السلام رؤية الله تعالى ووجه التمسك بذلك علم موسى بذلك ولو علم استحالة ذلك لما سأله ، ومحال أن يجهل موسى جواز ذلك إذ يلزم منه أن يكون مع علو منصبه في النبوة وانتهاه إلى أن اصطفاه الله تعالى على الناس وأسمعه كلامه بلا واسطة جاهلا بما يجب لله ويستحيل عليه ويجوز ولم يترجم هذا كافر نعوذ بالله من اعتقاد ذلك .

ومنها امتنانه تعالى على عباده بالنظر إلى وجهه في الدار الآخرة بقوله تعالى - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - وإذا جاز أن يروه في الدار الآخرة جاز أن يروه في الدنيا لتساوي النظر بالنسبة إلى الأحكام .

ومنها ما تواترت به الأحاديث من أخباره صلى الله عليه وسلم برؤية الله تعالى في الدار الآخرة ، ووقوع ذلك كرامة للمؤمنين فهذه الأدلة دالة على جواز رؤيته تعالى في الدنيا والآخرة . وأما استدلال عائشة رضي الله تعالى عنها على عدم الرؤية بقوله تعالى - لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار - ففيه بعد إذ يقال بين الإدراك والإبصار فرق فيكون معنى لا تدركه الأبصار أي لا تحيط به مع أنها تبصره قاله سعيد بن المسيب وغيره . وقد نفى الإدراك مع وجود الرؤية في قوله تعالى - فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا - أي لا يدركونكم ، وأيضا فإن الإبصار عموم وهو قابل للتخصيص فيخص المنع بالكافرين كما قال تعالى عنهم - كلا إنهم عن ربهم يومئذ محجوبون - ويكرم المؤمنين أو من شاء الله منهم

بالرؤية كما قال تعالى - وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة - وبالجملة فالآية ليست نصا ولا من الظواهر الجلية في عدم جواز الرؤية فلا حجة فيها ، والله أعلم . ولهذا المسألة أسرار وأغوار تركناها لأن ذلك ليس من مقصود الكتاب ، فن أراد تحقيق هذه المسألة وغيرها من المسائل المهمة فعليه بكتابتنا [الجوهر الفريد] فإننا ذكرنا فيه اختلاف الفرق وأقوال علماء الظاهر والباطن وما اخترناه وما أيدناه ، وهو كتاب مهم عمدة في هذا الشأن لا يستغنى عنه طالب ، وهو في ثمان مجلدات ضخمة جدا ، وبالله التوفيق .

(فائدة أخرى) قوله تعالى - اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق - هذه السورة أول ما نزل من القرآن كما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضی الله تعالى عنها . قيل وجه المناسبة بين الخلق من علق والتعليم بالقلم وتعليم العلم أن أدنى مراتب الإنسان كونه علقه وأعلىها كونه عالما فكأنه سبحانه وتعالى امتن على الإنسان بنقله من أخس المراتب وهي العلقه إلى أعلىها وهي العلم . قال الزمخشري : فإن قلت لم قال من علق وإنما خلق من علقه واحدة كقوله تعالى - من نطفة ثم من علقه - قلت : لأن الإنسان في معنى الجمع كقوله تعالى - إن الإنسان لفي خسر - والأكرم هو الذي له الكمال في زيادة تكريمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عليهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الأوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقرارهم العظام فما لكرمه غاية ولا أمد ، وكأنه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العظيمة تكرم حيث قال - الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ونبه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو ، وما دونت العلوم الأول ولا قيدت الحكم ولا ضبقت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ، ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا ، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به .

(فائدة أخرى) سئل شيخ الإسلام الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى عن العلقه السوداء التي أخرجت من قلب النبي صلى الله عليه وسلم في صغره حين شق فؤاده وقول الملك : هذا حظ الشيطان منك . فأجاب بقوله : تلك العلقه خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فأزيلت من قلبه عليه الصلاة والسلام فلم يبق فيه مكان قابل لأن يلقي الشيطان فيه شيئا هذا معنى الحديث ، ولم يكن للشيطان فيه صلى الله عليه وسلم حظ قط وإنما الذي نفاه الملك أمر هو في الجبلات البشرية فأزيل القابل الذي لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف في قلبه عليه الصلاة والسلام ، فقليل له لم خلق الله هذا القابل في هذا الذات

الشريفة وكان يمكنه أن لا يخلقه فيها ؟ فقال : لأنه من جملة الأجزاء الإنسانية فخلقه تكملة
للخلق الإنساني فلا بد منه ، وزعه كرامة ربانية طرأت بعده انتهى .

(الحكم) يحرم أكل العلق ويجوز بيعه لما فيه من المنفعة ، ويستثنى بيع القرمز من عدم
جواز بيع الحشرات كما تقدم .

(فرع) العلقه فيها وجهان : أحدهما أنها نجسة لأنها دم خارج من الرحم كالحيض .
والثاني أنها طاهرة لأنها دم غير مسفوح فهي كالسكبد والطحال نقله أبو حامد عن الصيرفي ،
وصرح بتصحيحه الشيخ أبو حامد والحاملي والرافعي في المحرر وهو الأصح كما صرح به
في المنهاج .

والعلقه هي المنى إذا استحال في الرحم فصار دما غليظا ، فإذا استحال بعد فصار قطعة
لحم فهو مضغة . قال النووي في شرح المهذب : إن المذهب القطع بطهارة المضغة ، وقيل
على وجهين والصواب خلاف ما في شرح المهذب لأن المضغة إما كميته الآدمي وفيها قولان
في الجديده أو كجزؤه المنفصل وفيه طريقتان حاكية للخلاف وقاطعة بالنجاسة ، وحكى الرافعي
فيها وجهين أصحهما الطهارة نعم يشترط في المضغة والعلقه على قاعدة الرافعي أن يكونا من
الآدمي فان منى غيره نجس عنده فالعلقه والمضغة أولى بالنجاسة من المنى ، ويدل عليه ترده
في المنهاج في نجاستهما مع جزمه فيه بطهارة المنى : قال شيخنا : ولك أن تمنع كونهما أولى
بالنجاسة من المنى بأنهما صارا أقرب إلى الحيوانية منه وهو أقرب إلى الدموية منهما ،
والله تعالى أعلم .

(الأمثال) قالوا : أعلق من العلق :

(الخواص) ينفع تعليقا على صاحب الأعضاء الضعيفة التركيب مثل الآماق والوجنات
والمواضع الثقلة لأنها تقوم مقام الحجامة في امتصاصها الدم الفاسد لاسيما في الأطفال والنساء
وأهل الرفاهية ، وهي تمس الدم الفاسد من الأجفان وغيرها ، وربما كان العلق في الماء
فيشربه الإنسان فينشب بخلقه ؛ وطريق إخراجه من الحلق أن يبخر بوبر الثعلب فإذا أصابه
دخانه سقط في الحال ، وكذلك إذا بخر بظلف الإبل يموت مجرب ، ذكر ذلك في المنتخب
وقال القزويني وصاحب الذخيرة الحميدة : إذا كان العلق في الحلق يتغرغر بخل خمر وبوزن
درهم من الذباب الذي في الباقلاء فإن العلق يسقط ، وإذا أرادوا إخراج دم من موضع
مخصوص أخذوا هذا الدود في قطعة طين وقربوه من العضو فانه ينشب به ويمص الدم منه ،
فإذا أرادوا سقوطه عنه رشوا عليه ماء الملح فإنه يسقط في الحال . وقال صاحب الخواص
إذا يبس العلق في الظل وسحق مع نشادر وطلبي به موضع داء الثعلب نبت الشعر عليه . وقال
غيره : إذا بخر البيت بالعلق هرب ما فيه من البق والبعوض وأمثالها ، وإذا ترك العلق

فى قارورة حتى يموت ثم يسحق وينتف الشعر ويطلى به فإنه لا ينبت أبدا . ومن الخواص
المجربة النافعة أن تؤخذ العلق الكبار التى تكون فى الأنهار والأماكن الندية فتلقى بالزيت
الطيب ثم تسحق بالخل حتى تصير مثل المرهم وتتؤخذ فى صوفة ويتحمل بها صاحب البواسير
غيراً ، وقيل إنه يرى من القطنى ومن خواصه العجيبة : أنه إذا نخر به حانوت زجاج تكسر
جميع ما فيه ، وإذا أخذ العلق وهو رطب ودهن به الإحليل فإنه يكبر من غير وجع .

(التعبير) العلق فى الرؤيا بمنزلة الدود وهم أولاد لقوله تعالى - خلق الإنسان من علق -
فمن رأى علقه دم خرجت من أنفه أو ذكره أو دبره أو بطنه أو فمه فإن امرأته تسقط ولدا
قبل كمال خلقه ، وقيل العلق والقراد والدم والنمل وما أشبه ذلك تدل على الأعداء والحساد
الأخساء . ومن الرؤيا المعبرة : أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أتاه رجل فقال :
يا خليفة رسول الله رأيت كأن فى يدي كيسا وأنا أفرغ ما فيه حتى لم يبق فيه شئ فخرج
منه علقه ؟ فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : أخرج من بين يدي ، فخرج من بين يديه
ومشى خطوات فرمته دابة فقتلته ، فأخبر بذلك أبو بكر فقال : والله ما وددت أن يموت
بين يدي ، فنزل الكيس بمنزلة الآدمى والدرهم بمنزلة العمر والعلقة بمنزلة الروح لقوله تعالى
- خلق الإنسان من علق - والله تعالى أعلم .

﴿ العطب ﴾ : تيس الجبل كذا قاله صاحب كتاب المداخل فى اللغة أحمد بن يحيى .

﴿ العمروس ﴾ : بضم العين الخروف والجمع عماريس . قال الشاعر :

وكان كذئب السوء إذ قال مرة لعمروسة والذئب غرثان مرمل
أنت التى من غير ذئب شتمتى فقالت متى ذا قال ذا عام أول
فقال ولدت الآن بل رمت غدرة فدونك كنى لا هنالك ماكل

﴿ العملىس ﴾ : بفتح العين والميم وتشديد اللام الذئب الخبيث والكلب الخبيث ، وأما
قولهم : أبر من العملىس ، فإنه رجل كان باراً بأمه يحملها على عاتقه ويحجج بها على ظهره كل
سنة ، فضربوا به المثل ليتأسى به البنون فى بر الأمهات ، وأشرت إلى ذلك فى المنظومة بقولى :

وضربوا الأمثال بالعملىس فى البركى به البنون تأسى

﴿ العمىل ﴾ : الأسد قاله أبو زيد فى كتاب [الإبل] وبه كنى عبد الله بن خليل الشاعر

البليغ ، وكان يفخم الكلام ويعر به وكان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره وكان عارفاً باللغة
فمن شعره فى عبد الله المذكور :

يا من يحاول أن تكون صفاته كصفات عبد الله أنصت واسمع

فلأنصححك في المشورة والذي حجج الحجيج إليه فاسمع أودع
أصدق وعف وبر واصبر واحتمل واصفح وكاف ودار واحلم واشجع
والطف ولن وتأن وارفق واتند واحزم وجد وحام واحمل وادفع
فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتي وهديت للنهيج الأسد المهيع

وقبل يوم ما كف عبد الله بن طاهر فاستخشن مس شاربه فقال أبو العميثل في الحال : شوك
القنفذ لا يؤلم كف الأسد ، فأعجبه كلامه وأمر له بجائزة سنوية ، وصنف أبو العميثل كتاباً
مفيدة منها كتاب [ما اتفق لفظه واختلف معناه] وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين . وقال
الأصمعي : العميثل الذيال بذنبه . وقال الخليل : العميثل البطي* الذي يسبل ثيابه كالوادغ
الذي يكفي العمل انتهى .

﴿ العناق ﴾ : الأثني من ولد المعز ، والجمع أعنق وعنوق . روى عن الأصمعي أنه قال
بيننا أنا أشير في طريق اليمن إذ أنا بغلام واقف في الطريق في أذنيه قرطان في كل قرط جوهر
يضيء وجهه من ضوء الجوهرة وهو يمجدر به بأبيات من الشعر وهي هذه :

يا فاطر الخلق البديع وكافلا رزق الجميع سبحانه جودك هائل
يا مسبغ البر الجزيل ومسبل السستر الجميل عميم طولك طائل
يا عالم السر الخفي ومنجز الوعد الوفي قضاء حكمك عادل
عظمت صفاتك يا عظيم فجعل أن يحصى الثناء عليك فيها قائل
الذنب أنت له بمنك غافر ولتوبة العاصي بحلمك قابل
رب يربي العالمين ببره ونواله أبدأ إليهم واصل
تعصيه وهو يسوق نحوك دائماً مالا تكون لبعضه تستأهل
متفضل أبداً وأنت - لجوده بقبائح العصيان منك تقابل
وإذا دجاليل الخطوب وأظلمت سبل الخلاص وخاب فيها الآمل
وأبست من وجه النجاة فما لها سبب ولا يدنو لها متناول
يأتيك من أطفاه الفرج الذي لم تحتسبه وأنت عنه غافل
يا موجد الأشياء من ألقى إلى أبواب غيرك فهو غر جاهل
ومن استراح بغير ذكرك أوجا أحدا سواك فذاك ظل زائل
رأى يلم إذا عرته ملمة بسوى جنابك فهو رأى مائل
عمل أريد به سواك فإنه عمل وإن زعم المرأى باطل
وإذا رضيت فكل شيء هين وإذا حصلت فكل شيء حاصل

أنا عبد سوء أبق كل على مولاه أوزار الكبائر حامل
 قد أنقلت ظهري الذنوب وسودت صفى العيوب وستر عفوك شامل
 ها قد أتيت وحسن ظني شافعي ووسائل ندم ودمع وسائل
 فاغفر لعبدك ما مضى وارزقه تو فيقا لما ترضى ففضلك كامل
 وافعل به ما أنت أهل جميله والظن كل الظن أنك فاعل

قال : فدنوت منه وسلمت عليه فقال : ما أنا برآد عليك حتى تؤدى من حتى الذى يجب
 على عليك ، قلت : وما حقدك ؟ قال : أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل عليه السلام لا أتعدى
 ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين فى طلب الضيف ، فأجبت به إلى ذلك فرحب بي
 وسرت معه حتى قربنا من خيمة فصاح يا أختاه فأجابته بجارية من الخيمة بالبكاء فقال قومي ،
 إلى ضيفنا ، فقالت الجارية : حتى أبدأ بشكر الله الذى ساق لنا هذا الضيف ، ثم قامت
 فصلت ركعتين شكرا لله تعالى. قال : فأدخلني الشاب الخيمة وأجاسني ثم أخذ الغلام الشفرة
 وعمد إلى عناق فذبحها. قال : فلما جلست فى الخيمة نظرت إلى الجارية فإذا هى أحسن الناس
 وجها فكانت أسارقها النظر ففطنت لبعض لحظاتي إليها فقالت لى : مه أما علمت أنه نقل
 عن صاحب طيبة عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن زنا العينين النظر » أما لى ما أردت
 بهذا أن أوبخك ولكنى أردت أن أؤدبك لى لا تعود لى مثل هذا . قال فلما كان النوم
 يت وأنا والغلام خارج الخيمة وباتت الجارية من داخلها فكانت أسمع دوى القرآن لى السحر
 بأحسن صوت يكون وأرقه ، ثم سمعت أبياتا من الشعر بأعذب لفظ وأشجى نغمة وهى هذه :
 أبى الحب أن يخفى وكم قد كتمته فأصبح عندى قد أناخ وطبنا
 إذا اشتد شوقى هام قلبى بذكره وإن رمت قربا من حبيبى تقربا
 ويبدو فأفنى ثم أحيا بذكره ويسعدنى حتى ألد وأطربا
 قال : فلما أصبحت قلت للغلام : صوت من كان ذاك ؟ قال : تلك أختى وهذا شأنها
 كل ليلة فقلت : يا غلام كنت أنت أحق بهذا العمل من أختك إذ أنت رجل وهى امرأة
 قال : فتبسم وقال : ويحك أما علمت أنه موفق ومخذول ومقرب ومبعد . قال الأصمعى :
 فودعتهما وانصرفت .

(وحكمها) الحل ، وتفدى بها الأرنب إذا قتلها الحرم لقضاء الصحابة بذلك ، ولا تجزى
 فى الأضحية لما روى الشيخان وغيرهما عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال : خطبنا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأضحى بعد الصلاة فقال « من صلى صلاتنا ونسك نسكنا
 فقد أصاب النسك ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له ، فقال أبو بردة بن نيار وهو خال البراء
 ابن عازب : يا رسول الله لى نسكت شاتى قبل الصلاة وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب

فأحببت أن تكون شاتي أول شاة تذبح في بيتي فذبحتها وتغذيت قبل أن آتي الصلاة ، فقال صلى الله عليه وسلم : شاتك شاة لحم . قال : يا رسول الله فإن عندى عناقا هي أحب إلى من شاتين أفنجزى عنى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : نعم ، ولن تجزى عن أحد بعدك .
 ووقع في أصل الروضة أن العناق الأنثى من المعز من حين تولد إلى أن ترعى ؛ والجفرد الأنثى من ولد المعز حين تنظم وتفصل عن أمها فتأخذ في الرعى وذلك بعد أربعة أشهر ، والذكر جفرد : وقال في لغات التنبيه ودقائق المنهاج : العناق الأنثى من ولد المعز مالم تستكمل سنة ؛ ونقل مثل هذا عن الأزهرى في تهذيب الأسماء واللغات وكلام الأزهرى لا يوافق ذلك .

وروى الحاكم بإسناد صحيح وأبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب عن قيس بن النعمان رضى الله تعالى عنه قال « لما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله تعالى عنه مستخفين مرآ بعبد يرعى غنما فاستسقياه من اللبن فقال : ما عندى شاة تحلب غير أن هاهنا عناقا حملت أول الشتاء وما بقى لها لبن ، قال صلى الله عليه وسلم : أدع بها ، فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها حتى أزلت ، وجاء أبو بكر بمجن فحلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب صلى الله عليه وسلم فقال الراعى : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط ؟ قال : أو تراك تسكتم على حتى أخبرك ؟ قال : نعم . قال : فأني محمد رسول الله . قال : أنت الذى تزعم قريش أنك صابى ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك . قال : أشهد أنك نبي وأن ماجئت به حق وأنا متبعك . قال صلى الله عليه وسلم : إنك لاتستطيع ذلك يومك هذا فإذا بلغك أنى قد ظهرت فأتنا . »

(خاتمة) روى أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم عن ٤ روى بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رجل يقال له مرثد بن أبى مرثد وكان يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة : قال : وكانت امرأة بغى بمكة يقال لها عناق كقطام وكانت صديقة له ؛ وإنه كان واعد رجلا من الأسارى بمكة أن يأتيه فيحمله . قال : فجيئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة . قال : فجاءت عناق فأبصرت سواد ظل يجنب الحائط فلما انتهت إلى قالت : مرثد ؟ قلت : مرثد : قالت : مرحبا وأهلا وسهلا لم فبت عندنا الليلة فقلت : يا عناق قد حرم الله الزنا . قالت : يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم . قال : فتبعنى ثمانية رجال وسلكت الخندمة فانهيت إلى غار أو كهف ، فجاءوا حتى وقفوا على رأى وبالوا فظل بولهم ينزل على رأسى وأعمامهم الله عنى ، فرجعوا ورجعت إلى صاحبي فحماته وكان رجلا ثقيلا حتى انتهيت به إلى الإذخر ففككت عنه أكاه ، وجعلت أحمله ، وبعينى حتى قدمت به المدينة ، فأثيت به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله أنكح عناق

فأمسك ولم يرد على شيئاً حتى نزلت - الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يامرئذ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك فلا تنكحها» قال الخطابي: هذا خاص بهذه المرأة إذ كانت كافرة فأما الزانية المسلمة فإن العقد عليها صحيح لا يفسخ. وقال الشافعي رحمه الله تعالى: قال عكرمة: معنى الآية أن الزاني لا يريد ولا يقصد إلا نكاح زانية؟ قال: والأشبه ما قاله سعيد بن المسيب: إن هذه الآية منسوخة نسخها قوله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم - وهي من أيامى المسلمين.

(الأمثال) قال: لا تنفط في هذا الأمر عناق: أى لاتعطس، والتفيط من العناق مثل العطاس من الإنسان وهو كقولهم: لا تنتطح فيها عززان، وسيأتى إن شاء الله تعالى في محله.

﴿عناق الأرض﴾: دويبة أصغر من الفهد طويل الظهر يصيد كل شيء حتى الطير وهو النفة الذي تقدم ذكره في باب الناء المثناة فوق وقال في [نهاية الغريب] قال قتادة: عناق الأرض من الجوارح دابة وحشية أكبر من السنور وأصغر من الكلب والجمع عنوق، يقال في المثل: لقي عناق الأرض، وأدنى عناق أى داهية يريد أنها من الحيوان الذى يصاد به إذا علم.

﴿العنيس﴾: الأسد وبه سمى الرجل، وهو فعل من العبوس والعنابس من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر، وهم ستة حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو وسموا بالأسد والباقون يقال لهم الأعياص.

﴿العنس﴾: الناقة القوية الصلبة ويقال هى التى اعنونس ذنبها أى وفر. قاله الجوهري والعنسة أيضاً اسم للأسد علم مشتق من العنوس قاله ابن سيده:

﴿العنبر﴾: سمكة بحرية كبيرة يتخذ من جلودها الترس ويقال للترس عنبر، وقد تقدم ذكرها في باب الباء الموحدة.

روى البخارى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال «بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر علينا أبا عبيدة نلتقى عبرا لقريش وزودنا جرابا فيه تمر لم يجد لنا غيره فساكن أبو عبيدة يطعمنا ثمرة تمر. قال: فقلت كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: كنا نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها الماء فتكفيينا يوماً إلى الليل وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله، فانطلقنا على ساحل البحر فرجع لنا شيء كههيئة الكتيب الضخم فأثيناها فإذا هى دابة تدعى العنبر. قال: فقال أبو عبيدة إنها ميتة، ثم قال: لا بل نحن نرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفى سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا : قال : فأقنا عليها شهرا ونحن ثلاثمائة حتى سمعنا ،
يعنى تقوينا وزال ضعفنا وإلا فإنا كانوا سمانا قط : قال : ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينها
بالقلال الدهن ونقتطع القطعة قدر الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم
فى عينها وأخذ ضلعا من أضلاعها فأقامه ثم رحل أعظم بعير معنا فر من تحتها وتزودنا من لحمها
فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال : هو رزق أخرجه
الله لكم فهل معكم من لحمه شئ فتطعمونا ؟ قال : فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم منه فأكله « سرية أبى عبيدة هذه يقال لها سرية الخبط وكانت فى رجب سنة ثمان
من الهجرة ، وكان فيها عمر بن الخطاب وقيس بن سعد مع أبى عبيدة رضى الله تعالى عنهم ،
وحديثها رويناه فى الغيلانيات وهو : أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث أبى عبيدة رضى الله
تعالى عنه فى سرية فيها المهاجرون والأنصار ثلثمائة رجلا إلى ساحل البحر إلى حى من جهينة
فأصابهم جوع شديد ، فقال قيس بن سعد : من يشتري منى تمرا بجزور يوفىنى الجزور هاهنا وأوفيه
التمر بالمدينة ، فجعل عمر يقول : واعجبا لهذا الغلام لامال له بدين فى مال غيره ، فوجد رجلا
من جهينة ، فقال له قيس : بعنى جزورا أوفيكه وسقا من تمر المدينة ؛ فقال الجهنى : ما أعرفك
فمن أنت ؟ فقال : أنا ابن سعد بن عبادة بن دليم ، فقال الجهنى : ما أعرفنى بنسبك وذكر
كلاما فابتاع منه خمس جزائر كل جزور بوسق من تمر يشترط عليه البدوى تمر ذخيرة مصلية
من تمر آل دليم فيقول قيس : نعم . قال : فأشهد لى . قال : فأشهد له نفرا من الأنصار
ومعهم نفر من المهاجرين . قال قيس : إنما أشهد من تحب ، وكان فيمن أشهد عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه ، فقال عمر : ما أشهد على هذا بدين ولا مال له إنما المال لأبيه ، فقال
الجهنى : والله ما كان سعد ليبخس فى وسقة من تمر وإنى أرى وجهها حسنا وفعالا شريفة
فكان بين عمر وقيس كلام حتى أغلظ عمر لقيس ، ثم أخذ الجزور فتحرها لهم فى مواطن
ثلاثة كل يوم جزورا ، فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره وقال له : أتريد أن تخفر ذمتك ولا
مال لك . قال : فأقبل أبو عبيدة ومعه عمر فقال : عزمت عليك أن لاتنحر ، فقال قيس : يا أبى
عبيدة أترى أبى ثابت يقضى ديون الناس ويحمل الكل ويطعم فى المجاعة ولا يقضى عنى وسقة
من تمر لقوم مجاهدين فى سبيل الله . فكاد أبو عبيدة أن يلين له ؛ وجعل عمر يقول : اعزم
عليه فعزم عليه ، وبلغ سعدا ما أصاب القوم من المجاعة فقال : إن يكن قيس كما أعرف فسینحر
للقوم ، فلما قدم قيس لقيه سعد فقال : ما صنعت فى مجاعة القوم ؟ قال : نحرته . قال :
أصبت ثم ماذا ؟ قال : نحرته . قال : أصبت ثم ماذا ؟ قال : نحرته . قال : أصبت . ثم ماذا ؟
قال : نهيت . قال : ومن نهاك ؟ قال : أبو عبيدة أميرى . قال : ولم ؟ قال : زعم أنه لامال
لى وإنما المال لأبيك ، فقلت : إن أبى يقضى عن الأباعد ويحمل الكل ويطعم فى المجاعة

ولا يصنع هذا بي : قال : تلك أربع حوائط أذناها حائط نجد منه خمسين وسقا : قال : وقد قدم البدوي مع قيس فأوفاه وسقته وحمله وكساه ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من فعل قيس فقال : إنه من قلب جود .

والعنبر المشموم قيل إنه يخرج من قعر البحر يأكله بعض دوابه للسمومته فيقذفه رجيعا فيوجد كالحجارة الكبار فيطفو على الماء فتلقيه الرياح إلى الساحل ، وهو يقوى القلب والدماغ نافع من الفالج والقوة والبلغم الغليظ . وقال ابن سيده : العنبر يخرج من البحر وأجوده الأشهب ثم الأزرق ثم الأصفر ثم الأسود . قال : وكثيرا ما يوجد في أجواف السمك الذي يأكله ويموت ، وزعم بعض التجار أن بحر الزنج يقذفه كجمجمة الإنسان ، وأكبرها وزنه ألف مثقال ، وكثيرا ما تأكله الحيتان فتموت ، والدابة التي تأكله تدعى العنبر .

(الحكم) قال الماوردي والرويانى في كتاب الزكاة : لازكاة في العنبر والمسك : وقال أبو يوسف : فيها الخمس . وقال الحسن وعمر بن عبد العزيز وعبد الله العنبري وإسحاق : يجب الخمس في العنبر ، واحتج الشافعي عليهم بقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في العنبر : إنما هو شيء دسره البحر : أى لفظه ، وليس بمعدن حتى يجب فيه الخمس ، وروى عنه صريحا أنه قال : لازكاة فيه ، وروى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « العنبر ليس بغنيمة » وهذا يبنى وجوب الزكاة فيه ، قال : أى الماوردي والرويانى وأكثر الفقهاء على أن العنبر طاهر . وقال الشافعي : سمعت من قال : رأيت العنبر نابتا في البحر ملتويا مثل عنق الشاة . وقيل إن أصله نبت في البحر وله رائحة ذكية وفي البحر دويبة تقصده لذكاه رائحته وهو سمها فتأكله فيقتلها ويلفظها البحر فيخرج العنبر من بطنها ، وقال في كتاب السلم : يجوز السلم في العنبر ، ولا بد من بيان أنواعه ووزنه فالعنبر منه الأشهب والأبيض والأخضر والأسود ولا يجوز حتى يسمى ذلك . وقال الشافعي : يجوز بيع العنبر . وقال أهل العلم به : إنه نبات والنبات لا يحرم منه شيء . قال : وحدثني بعضهم أنه ركب البحر فوقع إلى جزيرة فيه فنظر إلى شجرة مثل عنق الشاة فإذا ثمرها عنبر . قال فتركناه حتى يكبر ثم نأخذه فهبت الرياح فألقته في البحر . قال الشافعي : والسمك ودواب البحر تبتلعه أول ما يقع منه لأنه لين فإذا ابتلعه قلما يسلم منها إلا قتلها لفرط الحرارة فيه ، فإذا أخذ الصياد السمكة وجده في بطنها فيقدر أنه منها وإنما هو ثمرة نبت .

(وأما خواصه) فقال المختار بن عبدون : العنبر حار يابس وهو دون المسك وأجوده الأشهب الخفيف الدسم ، وهو يقوى القلب والدماغ ويزيد في الروح وينفع من الفالج والقوة والبلغم الغليظ ويولد شجاعة لكنه يضر من اعتاده الباسور وتدفع مضرته بالكافور

وشم الخيار ، ويوافق الأمزجة الباردة الرطبة والمشايخ وأجود ما استعمل في الشتاء . قالوا :
والعنبر جماجم أكبرها ألف مثقال تبرز من عيون في البحر تطفو على الماء فيسقط عليها
الطير فتأكلها فتهلك ، وقيل إنه روث دابة ، وقيل إنه من غناء البحر ، وأجوده
الأشهب وضده الحمري وله زهومة لابتنلاع السمك له ويتصنى منه عند عمله رمل ،
والله تعالى أعلم .

﴿ العنتر ﴾ : الذباب الأزرق ، وقيل مطلق الذباب ، وفي الصحيحين عن عبد الرحمن
ابن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما في حديثه الطويل المشتمل على كرامات ظاهرة
للصديق رضي الله تعالى عنه ، ومعناه : أن الصديق ضيف جماعة وأجلسهم في محله وانصرف
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأخر رجوعه فلما رجع قال : أعشيتموهم ؟ قالوا : لا ،
فأقبل على ابنه عبد الرحمن وقال : يا عنتر فجدع وسب ، ومعناه دعا عليه بقطع الأنف
ونحوه ، وجاء يا عنتر مصغرا شبهه بذلك تحقيرا له ، وقيل شبهه بالذباب الأزرق لشدة
أذاه ، وروى بالغين المعجمة وبالطاء المثلثة وهو الأكثر ومعناه يالئيم ، وعنتره اسم رجل
وهو عنتره بن شداد بن معاوية العبسي وهو أحد فرسان العرب وشعرائها ومتميها وهو من
أبطال الجاهلية ويضرب المثل بشجاعته . قال سيديويه : نون عنتره ليست زائدة .

﴿ العنديل ﴾ : الهزار بفتح الهاء والجمع العنادل لأنك ترده إلى الرباعي ثم تبني منه
الجمع والتصغير ، والبلبل يعندل إذا صوت ، وما أحسن قول أبي سعيد المؤيد بن محمد
الأندلسي الشاعر الجيد في وصف طنبور :

وطنبور مليح الشكل يحكي
روى لما ذوى نغما فصاحا
كذا من عاشر العلماء طفلا
ومن محاسن شعره قوله :

أحب العذول لتكراره
وأهوى الرقيب لأن الرقيب
ومما يستجاد من محاسن شعره أيضا :

إحذر صديقا ماذا
يخصى الذنوب عليك أي
ومما أحسن قوله :

ونهاية الدنيا وغاية أهلها
ملك يزول وستر قوم يهتك .

تخلو فتعقب غصة ومرارة ونحب وهي بنا تصول وتفتك
 وكانت وفاته سنة سبع وخمسين وخمسة :
 (وحكمه) حل الأكل لأنه من الطيبات :
 (وهو في الرؤيا) يدل على ولد ذكي ، والله أعلم .

﴿ العنبر ﴾ : البعير الضخم الرأس يستوى فيه الذكر والأنثى :

﴿ العنز ﴾ : الأنثى من المعز والجمع أعنز وعنوز : روى البخارى وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز مامن عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديقا بموعودها إلا أدخله الله الجنة » قال حسان بن عطية الراوى عن أبي كبشة : فعددنا مادون منيحة العنز من رد السلام وتشميت العاطس وإماطة الأذى عن الطريق ونحوه فما استطعنا أن نصل إلى خمس عشرة خصلة . قال ابن بطال : لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم الخصال في الحديث ، ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان عالما بها لا محالة إلا أنه صلى الله عليه وسلم لم يذكرها لمعنى هو أنفع لنا من ذكرها ، وذلك والله أعلم خشية أن يكون التعيين لها زهد في غيرها من أبواب المعروف وسبل الخير ، وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام من الحث والحض على أبواب من الخير والبر ما لا يحصى كثرة . قال : وقد بلغنى عن بعض أهل عصرنا أنه تتبعها في الأحاديث فوجدها تزيد على أربعين خصلة ثم ذكرها إلى آخرها .

قلت : وتشميت العاطس بالشين المعجمة وبالسين المهملة فالأول إشارة إلى جمع الشمل لأن العرب تقول : أشمت الإبل إذا اجتمعت في المرعى . وقيل معناه الدعاء لشواتمه وهو اسم للأطراف ، والثاني إشارة إلى أن يرزق السم السم الحسن .

قلت : وقد روى صاحب الترغيب والترهيب في باب قضاء حوائج المسلمين عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقا لبراءة له منها إلا بالأداء أو العفو : يغفر زلته ، ويرحم عبرته ، ويستتر عورته ، ويقبل عثرته ، ويقبل معذرتة ، ويرد غيبته ، ويديم نصيحته ، ويحفظ خلته ، ويرعى ذمته ، ويعود مرضته ، ويشهد منيته ، ويحجب دعوته ، ويقبل هديته ، ويكافئ صلته ، ويشكر نعمته ، ويحسن نصرته ، ويحفظ حليلته ، ويقضى حاجته . ويشفع مسألته ، ويقبل شفاعته ، ولا ينجيب مقصده ، ويشمت عطسته ، وينشد ضالته ، ويرد سلامه ، ويطيب كلامه ، ويزيد إنعامه ، ويصدق إقسامه ، وينصره ظلما أو مظلوما : أما نصره ظلما فإفردته عن ظلمه ، وأما نصره مظلوما فيعينه على أخذ حقه ،

ويواليه ولا يعاديه ويسلمه ولا يخذله ، ويجب له من الخير ما يجب لنفسه ويكره له من الشر ما يكره لنفسه » ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أحذكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة » ثم قال على رضى الله تعالى عنه : إن أحذكم ليدع تسميت أخيه إذا عطس فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له عليه .

فهذه مع ماعده حسان بن عطية مجتمع منها أكثر من أربعين خصلة :

(فائدة) روى أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبري في كتاب [الدعوات] بإسناده عن سويد ابن غفلة قال « أصابت على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه فاقة فقال لفاطمة رضى الله تعالى عنها : لو أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنته وكان عند أم أيمن فدقت الباب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأم أيمن : إن هذا الدق لدق فاطمة ولقد أتتنا في ساعة ما عودتنا أن تأتينا في مثلها فقوى فافتحى لها الباب . قال : فقامت أم أيمن ففتحت لها الباب ، فلما دخلت قال صلى الله عليه وسلم : يا فاطمة لقد أتيتنا في ساعة ما عودتنا أن تأتينا في مثلها ، فقالت : يا رسول الله هذه الملائكة طعامها التسييح والتحميد والتقديس فما طعامنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : والذي بعثني بالحق ما اقتبس في آل محمد نار منذ ثلاثين يوماً ، وقد أتتنا أعز فإن شئت أمرت لك بخمسة أعز وإن شئت علمتك خمس كلمات علمنهن جبريل أنفا ؟ قالت : بل علمني الخمس التي علمك جبريل . قال صلى الله عليه وسلم : قولى : يا أول الأولين ويا آخر الآخرين ، ويا ذا القوة المتين ، ويا أرحم المساكين ، ويا أرحم الراحمين . قال : فانصرفت حتى دخلت على علي بن أبي طالب فقالت : ذهبت من عندك إلى الدنيا فأنتيتك بالآخرة ، وذكرت له ذلك فقال : خير أيامك خير أيامك » .

وفي كتاب [صفوة التصوف] للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسى « أن جابر ابن عبد الله رضى الله تعالى عنهما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا جابر هؤلاء الأعز إحدى عشرة عزاً في الدار أحب إليك أم كلمات علمنهن جبريل أنفا يجمعن لك خير الدنيا والآخرة ؟ فقال : يا رسول الله والله إنى لاحتاج وهذه الكلمات أحب إلى ، فقال صلى الله عليه وسلم : قل : اللهم إنك خلاق عليم ، اللهم إنك غفور حلیم ، اللهم إنك تواب رحيم ، اللهم إنك رب العرش العظيم ، اللهم إنك البر الجواد الكريم اغفرلى وارحمنى واجبرنى ووقفنى وارزقنى واهدنى ونجنى وعافنى واسترنى ولا تضلنى ، وأدخلنى الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين . قال : فطفق يرددهن حتى حفظتهن ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : تعلمهن وعلمهن عقبك من بعدك ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : يا جابر استقهن معك . قال : فاستقهن معى » .

وفي تفسير القشيري وغيره : أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما هاجر بولده إسماعيل

وأمه هاجر إلى مكة مر على قوم من العماليق فوهبوا لإسماعيل عليه الصلاة والسلام عشرة أعنز فجميع أعنز مكة من نسلها ، وهذا نظير ماتقدم في حمام الحرم وأنه من نسل الحمامتين اللتين عشتنا على النبي صلى الله عليه وسلم في الغار .

(فائدة أخرى) قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا ينتطح فيها عنزان » والسبب في ذلك أن امرأة من خطمة كان يقال لها عصماء بنت مروان من بني أمية كانت تحرض على المسلمين وتؤذيهم وتقول الشعر ، فجعل عمير بن عدى عليه نذرا لله عز وجل أن رد الله رسوله سالما من بدر ليقتلنها ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر عدا عليها عمير في جوف الليل فقتلها ثم لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وصلى معه الصبح ، فلما قام صلى الله عليه وسلم ليدخل مجلسه قال لعمير بن عدى : أقتلت عصماء ؟ قال : نعم فهل علي في قتلها من شيء ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : لا ينتطح فيها عنزان « فأول ما سمعت هذه الكلمة منه صلى الله عليه وسلم ، وهى من الكلام الموجز البديع المفرد الذى لم يسبق إليه ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « حى الوطيس ، ومات حتف أنفه ، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، وياخيل الله اركبى ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، وكل الصيد في جوف الفرا ، والحرب خدعة ، وإياكم وخضراء الدمن ، وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم ، والأنصار كرشى وعيبتى ، ولا يجنى على المرء إلا يده ، والشديد من غلب على نفسه عند الغضب ، وليس الخبر كالمعاينة ، والمجالس بالأمانة ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، والبلاء موكل بالمنطق ، والناس كأسنان المشط ، وترك الشر صدقة ، وأى داء أدوأ من البخل ، والأعمال بالنيات ، والحياة خير كله ، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع ، وسيد القوم خادهم ، وفضل العلم خير من فضل العبادة ، والخيل معقود في نواصيها الخير ، وأعجل الأشياء عقوبة البغى ، وإن من الشعر لحكمة ، والصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، ونية المؤمن خير من عمله ونية المنافق شر من عمله ، والولد للوطء ، واستعينوا على قضاء الحوائج بالسكتمان فإن كل ذى نعمة محسود ، والمكر والخديعة في النار ، ومن غشنا ليس منا ، والمستشار مؤتمن ، والندم توبة ، والدال على الخير كفاعله ، وحبك الشيء يعمى ويصم ، والعارية مؤداة ، والإيمان قيد الفتك » وأمثال ذلك من كلامه صلى الله عليه وسلم ، وإنما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم العنز دون سائر الغنم لأن العنز إنما تشام العنز ثم تفارقها ، وليس كمنطاح الكباش وغيرها .

وروى ابن دريد أن عدى بن حاتم لما قتل عثمان رضى الله تعالى عنه قال : لا ينتطح فيها عنزان ، فلما كان يوم الجمل فقتت عينه ، فقيل له لا ينتطح في قتل عثمان عنزان . قال : بلى وتفقا عيون كثيرة كذا ذكر هذا الخبر ابن إسحاق والدمياطى وغيرهما ، وعن أبي هريرة

رضى الله تعالى عنه قال : حدثني الصادق المصدوق أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « أن أول خصم يقضى عليه يوم القيامة عنزان ذات قرن وغير ذات قرن » رواه الطبراني في معجمه الأوسط وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف :

(وحكمها) الحل ويفدى بها الغزال إذا قتله المحرم ، وسيأتي تحقيق ذلك إن شاء الله تعالى في باب الغين المعجمة :

(الأمثال) قد تقدم في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام « لا ينتطح فيها عنزان » أي لا يلتقي فيها اثنان ضعيفان لأن النطاح من شأن الثيوس والكباش لا العنوز ، وهو إشارة إلى قضية مخصوصة لا يجري فيها خلف ولا نزاع . وقالوا : فلان أضرط من عنز . وقالوا : عنز بها كل داء ، يضرب للكثير العيوب من الناس والدواب . قال الفزاري : للعنز تسعة وتسعون داء ، والعنز العقاب الأثني في قول الشاعر :

إذا ما العنز من حلق تدلت ضحيا وهي طاوية تحوم

فمراده بالعنز هنا العقاب الأثني :

(الخواص) مرارة العنز إذ خلطت بنوشادر وبتف شعر من مكان في البدن وطلبي به ذلك الموضع لم ينبت فيه شعر البتة . وقال أرسطو : مرارة العنز إذا خلطت بكراث وطلبي بها مكان الشعر المنتوف لم ينبت فيه شعر البتة ، وإذا غسلت ساقها وسقى من به سلس البول أبراه ، وإن كتبت بلبنها على قرطاس لم تبين كتابته فإن ذر عليه رماد ظهرت الكتابة . وقال هرمس : إذا أخذ من دماغ العنز ومن دم الضبوع وزن دائق من كل واحد مع وزن حبتين من كافور وعمجن باسم شخص تولد فيه روحانية المحبة إذا طعم ذلك ، ومن أخذ من مرارتها وزن دائق ومثله من دمها ومن دماغ سنور أسود نصف دائق وأطعمه إنسانا قطع عنه شهوة الجماع ولا يصل إلى امرأة حتى يحل عنه ، وحله أن يسقى أنفحة ظبية في لبن عنز ويكون سخنا : والله تعالى أعلم .

﴿ العنظب ﴾ : الذكر من الجراد وفتح الظاء لغة فيه . قال الكسائي : يقال العنظب والعنظاب والعنظوب والأثني عنظوبة ، والجمع في المذكر عناظب . قال الشاعر :

• رعوس العناظب كالعنجد •

والجمع في المؤنث عنظوبات ، وفي كتاب سيبويه العنظباء بالمد والضم :

﴿ العنظوانة ﴾ : الجراد الأثني والجمع عنظوانات ، وقد تقدم ذكر الجراد وما فيه في باب الجيم .

﴿ عنقاء مغرب ومغربة ﴾ : من الألفاظ الدالة على غير معنى . قال بعضهم : وهو طير

غريب بيض بيضا كالجبال ويبعد في طيرانه ، وقيل سميت بذلك لأنه كان في عنقها بياض كالطوق ، وقيل هو طائر يكون عند مغرب الشمس .

وقال الفزويني : إنها أعظم الطير جثة وأكبرها خلقة تحطف القليل كما تحطف الخدأة الفأر ، وكانت في قديم الزمان بين الناس فتأذوا منها إلى أن سلبت يوما عروسا بحليها فدعا عليها حنظلة النبي عليه السلام فذهب الله بها إلى بعض جزائر البحر المحيط وراء خط الاستواء وهي جزيرة لا يصل إليها الناس ، وفيها حيوان كثير كالفيل والكركند والجاموس والبقر وسائر أنواع السباع وجوارح الطير ، وعند طيران عنقاء مغرب يسمع لأجنحتها دوى كدوى الرعد القاصف والسيل ، وتعيش ألى سنة وتزاوج إذا مضى لها خمسمائة سنة فإذا كان وقت بياضها يظهر بها ألم شديد ثم أطال في وصفها .

وذكر أرسطاطاليس في النعوت : أن عنقاء مغرب قد تصاد فيصنع من مخالبها أقذاح عظام للشرب . قال : وكيفية صيدها أنهم يوقفون ثورين ويجعلون بينهما عجلة ويثقلونها بالحجارة العظام ، ويجعلون بين يدي العجلة بيتا يخبئ فيه رجل معه نار فتنزل العنقاء على الثورين لتخطفهما فإذا نشبت أظفارها في الثورين أو أحدهما لم تقدر على اقتلاعهما لما عليهما من الحجارة الثقيلة ، ولم تقدر على الاستقلال لتخالص مخالبها فيخرج الرجل بالنار فيحرق أجنحتها . قال : والعنقاء لها بطن كبطن الثور وعظام كعظام السبع وهي من أعظم سباع الطير انتهى .

وقال الإمام العلامة أبو البقاء العكبري في شرح المقامات : إن أهل الرس كان بأرضهم جبل يقال له مخ صاعد في السماء قدر ميل ، وكان به طيور كثيرة وكانت العنقاء به وهي عظيمة الخلق لها وجه كوجه الإنسان وفيها من كل حيوان شبه ، وهي من أحسن الطيور ، وكانت تأتي هذا الجبل في السنة مرة فتلتقط طيوره فجاعت في بعض السنين وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به ثم ذهبت بجارية أخرى فشكوا ذلك إلى نبيهم حنظلة بن صفوان عليه السلام فدعا عليها فأصابها صاعقة فاحترقت ، وكان حنظلة بن صفوان عليه السلام في زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام انتهى . وذكر غيره : أن الجبل يقال له فتح وسميت العنقاء لطول عنقها ثم إنهم قتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى :

وذكر السهيلي في [التعريف والأعلام] في قوله تعالى - وبئر معطلة وقصر مشيد - إن البئر هي الرس وكانت بعدن لأمة من بقايا نمرود ، وكان لهم ملك عدل حسن السيرة يقال له العلس ، وكانت البئر تسقى المدينة كلها وباديتها وجميع ما فيها من الدواب والغنم والبقر وغير ذلك ، وكانت لهم بركات كثيرة عليها ورجال كثيرون موكلون بها وأوان من رخام ، وهي شبه الحياض كثيرة يملاها الناس منها وآخر للدواب والقوم عليها يستقون الليل والنهار

يتداوون ذلك ولم يكن لهم ماء غيرها ، وطال عمر الملك فلما جاءه الموت طلوه بدهن لتبقى صورته ولا يتغير وكذلك كانوا يفعلون بموتاهم إذا كانوا ممن يكرم عليهم ، فلما مات شق عليهم ورأوا أن أمرهم قد فسد وضجوا بالبكاء فاغتمها الشيطان منهم فدخل في جثة الملك بعد موته بأيام كثيرة وأخبرهم أنه لم يموت ولا يموت أبدا ثم قال : ولكن تغيبت عنكم حتى أرى صنعكم ففرحوا أشد الفرح وأمر خاصته أن يضربوا له حجبا بينه وبينهم ليسكلمهم من ورائه كي لا يعرف الموت في صورته فنصبوه صنما من وراء حجاب وأخبرهم أنه لا يأكل ولا يشرب ولا يموت أبدا وأنه لهم إله ، وكان ذلك كله يتكلم به الشيطان على لسانه فصدق كثير منهم ذلك وارتاب بعضهم ، وكان المؤمن المكذب له أقل من المصدق له ، وكان كلما تكلم ناصح منهم زجر وقهر وفشا الكفر فيهم وأقبلوا على عبادته ، فبعث الله إليهم نبيا كان ينزل الوحي عليه في النوم دون اليقظة اسمه حنظلة بن صفوان ، فأعلمهم أن الصورة صنم لا روح له وأن الشيطان قد أضلهم وأن الله سبحانه لا يمثل بالخلق وأن الملك لا يجوز أن لا يكون شريكا لله تعالى ، ووعظهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربهم ونقمته فأذوه وعادوه وهو يعظهم وينصح لهم حتى قتلوه وطرحوه في بئر فعند ذلك حلت عليهم النقمة فباتوا شباعا رواء من الماء فأصبحوا والبئر قد غار ماؤها وتعطلت رشاؤها فصاحوا بأجمعهم ، وضج النساء والولدان وأخذهم العطش وبهائمهم حتى عمهم الموت وشملهم الهلاك ، وخلفهم في أرضهم السباع وفي منازلهم الثعالب والضباع ، وتبدلت جناتهم بالسدر وشوك القتاد فلا يسمع فيها إلا عزيف الجن وزئير الأسد نعوذ بالله من سطواته ومن الإصرار على ما يوجب نقمته . قال : وأما القصر المشيد فقصر بناه شداد بن عاد بن إرم ولم يبن في الأرض مثله فيما ذكر ، وحاله كحال هذه البئر في إبحاشه بعد الأنس وإفقاره بعد العمران فلا يستطيع أحد أن يدنو منه على أميال لما يسمع من عزيف الجن والأصوات المنسكرة بعد التعم والعيش الرغد وانتظام الأهل كالسلك فبادوا وما عادوا ، فذكروهم الله تعالى في هذه الآية موعظة وذكري وتحذيرا من غب المعصية وسوء عاقبة المخالفة نعوذ بالله من ذلك .

وروى محمد بن إسحق عن محمد بن كعب القرظي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول الناس دخولا الجنة يوم القيامة عبد أسود ، وذلك أن الله تعالى بعث نبيا إلى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها أحد إلا ذلك العبد الأسود ، ثم إن أهل تلك القرية عدوا على ذلك النبي فحفروا له بئرا فألقوه فيها ثم ألقوا عليه حجرا ضخما ، فكان ذلك العبد الأسود يذهب ويحتطب على ظهره ثم يأتي بحطبه فيبيعه ويشتري به طعاما وشرابا ثم يأتي إلى تلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويعينه الله عليها ثم يندى إليه طعامه وشرابه ثم يرد الصخرة كما كانت ، فسكت كذلك ما شاء الله ثم ذهب يحتطب يوما كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها ، فلما

أراد أن يحملها أخذته سنة من النوم فاضطجع فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين ، ثم إنه هب فتمطى لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين ، ثم إنه هب فاحتمل حزمته ولا يحسب أنه نام إلا ساعة من نهار فجاء إلى القرية فباع حزمته ، ثم إنه اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ثم ذهب إلى البئر والتمس النبي فلم يجده وقد كان بدا لقومه مابدا فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه فكان النبي يسألهم عن ذلك العبد الأسود ما فعل به فيقولون لاندري حتى قبض الله ذلك النبي وأهب الله ذلك العبد الأسود من نومته بعد ذلك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن ذلك العبد الأسود لأول من يدخل الجنة » .

قلت : قد ذكر في هذا الحديث أنهم آمنوا بنبيهم الذي استخرجوه من الحفرة فلا ينبغي أن يكونوا المعنيين بقوله تعالى — وأصحاب الرس — لأن الله تعالى أخبر عن أصحاب الرس أنه دمرهم تدميرا إلا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذي استخرجوه من الحفرة وآمنوا به فيكون ذلك وجهها .

قال ابن خلكان : ورأيت في تاريخ أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغاني نزيل مصر أن العزيز بن نزار بن المعز صاحب مصر اجتمع عنده من غرائب الحيوان ما لم يجتمع عند غيره فمن ذلك العنقاء ، وهو طائر جاءه من صعيد مصر في طول البلشون لكنه أعظم جسما منه له لحية وعلى رأسه وقاية وفيه عدة ألوان ومشابهة من طيور كثيرة ؛ وقد تقدم عن الزمخشري أن العنقاء انقطع نسلها فلا يوجد اليوم في الدنيا .

وفي آخر [ربيع الأبرار] في باب الطير عن ابن عباس قال : إن الله تعالى خلق في زمن موسى عليه الصلاة والسلام طائرا يسمى العنقاء لها أربعة أجنحة من كل جانب ووجه كوجه الإنسان ، وأعطاهما الله تعالى من كل شيء قسطا ، وخلق لها ذكرا مثلها ، وأوحى إلى موسى أني خلقت طائرين عجيبين وجعلت رزقهما في الوحوش التي حول بيت المقدس وجعلتهما زيادة فيما وصلت به بنو إسرائيل فتناسلا وكثر نسلهما ، فلما توفي موسى عليه الصلاة والسلام انتقلت ف وقعت بنجد والحجاز ، فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان إلى أن نبي خالد بن سنان العبسي من بني عبس قبل النبي صلى الله عليه وسلم فشكوا إليه ما يلقون منها فدعا الله عليها فانقطع نسلها وانقرضت فلا توجد اليوم في الدنيا .

وفي كتاب [البدء] لابن أبي خيثمة ذكر خالد بن سنان العبسي وذكر نبوته وذكر أنه كان وكل به من الملائكة مالك خازن النار ، وأنه كان من أعلام نبوته أن نارا يقال لها نار الحدثان كانت تخرج على الناس من مقازة فتأكل الناس والدواب ولا يستطيعون ردها فردها خالد بن سنان فلم تخرج بعد ذلك ، وذكر شراح [الفصوص] لابن عربي له قصة غريبة بعد موته ، وستأتي إن شاء الله تعالى الإشارة إلى شيء من ذلك في لفظ العير .

وروى الدارقطني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كان نبيا ضيعه قومه » يعني جبالد بن سنان ، وذكر غيره من العلماء « أن ابنته أتت النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه وقال : أهلا ببنت خير نبي أو نحو ذلك » وذكر الكواشي والزيجشري أنه كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم أربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان العبسي : وذكر البغوي أنه لا نبي بينهما والله أعلم ، وكان القاضي الفاضل ينشد كثيرا :

وإذا السعادة لاحظتك عيونها نم فالخواف كلهن أمان

واصطد بها العنقاء فهي حباله واقتد بها الجوزاء فهي عنان

وتقدم في العقاب أنه مراد أبي العلاء المعري بقوله :

هي العنقاء تكبر أن تصاد فعاند من تطيق له عنادا

(الأمثال) يقال حلأت به عنقاء مغرب ، يضرب لمن يثس منه . قال الشاعر :

الجود والغول والعنقاء ثلاثة أسماء أشياء فلم توجد ولم تكن

وسأقي إن شاء الله تعالى ذكر هذا البيت في الغرل أيضا .

(التعبير) العنقاء في المنام : رجل رفيع مبتدع لا يصحب أحدا . ومن رأى العنقاء كلمته

نال رزقا من قبل الخليفة وربما يصير وزيرا ، ومن ركب العنقاء غلب شخصا لا يكون له نظير ، ومن صاها فإنه يتزوج بامرأة جميلة ، وربما تعبر العنقاء بولد ذكر شجاع لمن أخذها واه امرأة حامل ، والله أعلم .

﴿ العنكبوت ﴾ : دويبة تنسج في الهواء وجمعها عناكب والذكر عنكب ، وكنيته :

أبو خيثمة وأبو قشعم ، والأثني : أم قشعم ، ووزنه فعللوت ، وهي قصار الأرجل كبار

العيون للواحد ثمانية أرجل وست عيون فإذا أراد صيد الذباب لطأ بالأرض وسكن أطرافه

وجمع نفسه ثم وثب على الذباب فلا يخطئه . قال أفلاطون : أحرص الأشياء الذباب وأقنع

الأشياء العنكبوت فجعل الله رزق أقنع الأشياء في أحرص الأشياء فسبحان اللطيف الخبير ،

وهذا النوع يسمى الذباب ، ومنها نوع يضرب إلى الحمرة له زغب وله في رأسه أربع إبر

ينهش بها وهو لا ينسج بل يحفر بيته في الأرض ويخرج في الليل كسائر الحوام ، ومنها الرتيلاء

وقد تقدم الكلام عليها في باب الرء المهمله . وقال الجاحظ : ولد العنكبوت أعجب من

الفروج الذي يخرج إلى الدنيا كاسبا كاسيا لأن ولد العنكبوت يقوى على النسج ساعة يولد

من غير تلتهن ولا تعلم ويبيض ويحضن ، وأول ما يولد دودا صغارا ثم يتغير ويصير عنكبوتا

وتكمل صورته عند ثلاثة أيام ، وهو يطاول السفاد فإذا أراد الذكر الأثني جذب بعض

خيوط نسجها من الوسط فإذا فعل ذلك فعلت الأثني مثله فلا يزالان يتدانيان حتى تتشابكا

فيصير بطن الذكر قبالة بطن الأنثى ، وهذا النوع من العناكب حكيم ومن حكمته أنه يمد السدى ثم يعمل اللحمه ويبتدىء من الوسط ويهيء موضعا لما يصيده من مكان آخر كأنخزاة فإذا وقع شيء فيما نسجه وتحرك عمداليه وشبك عليه حتى يضعفه فإذا علم ضعفه حملاه وذهب به إلى خزانته ، فإذا حرق الصيد من النسج شيئا عاد إليه ورمه ، والذي ينسجه لا يخرج من جوفه بل من خارج جلده ، وفمه مشقوق بالطول وهذا النوع ينسج بيته دائما مثلث الشكل وتكون سعة بيته بحيث يغيب فيه شخصه .

(فائدة) أسند الثعلبي وابن عطية وغيرهما عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال « طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فإن تركه في البيت يورث الفقر » وفي مراسيل أبي داود عن يزيد بن يزيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن العنكبوت شيطان فاقبلوه » وهو في كامل ابن عدى في ترجمة مسلمة بن علي الخثني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ولفظه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « العنكبوت شيطان مسخه الله فاقبلوه » وهو حديث ضعيف ، ويزيد بن يزيد الحمداني الصنعاني الدمشقي أدرك عبادة بن الصامت وشداد بن أوس وهو القائل : والله لو أن الله تعالى توعدني إن أنا عصيت أن يسجنني في الحمام لكان حريا أن لا تجف لي عين ، وطلبوه للقضاء ففقد يأكل في السوق فتخلص بذلك منهم ، وروى أبو نعيم في الحلية في ترجمة مجاهد أنه قال في قوله تعالى - أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة - أنه قال : كان فيمن كان قبلكم امرأة وكان لها أجير فولدت جارية فقالت لأجيرها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب رجلا فقال له الرجل : ما ولدت هذه المرأة؟ فقال : جارية ، فقال : أما إن هذه الجارية لا تموت حتى تبغى بمائة رجل ويتزوج بها أجيرها ويكون موتها بالعنكبوت ، فقال الأجير في نفسه : فأنا والله ما أريد هذه بعد أن تبغى بمائة لأقتلنها ، فأخذ شفرة ودخل فشق بطن الجارية وخرج على وجهه فركب البحر ، فخيطن بطن الصبية وعولجت فشفيت وشبت وطلعت من أجل نساء عصرها ، وكانت تبغى فأتت ساحلا من سواحل البحر وأقامت هناك تبغى ، ولبث الرجل ما شاء الله ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال كثير ، فقال لامرأة من أهل ساحل البحر : ابغيني لي أجل امرأة في القرية أتزوجها ، فقالت : ها هنا امرأة من أجل النساء ولكنها تبغى ، فقال : اثنييني بها ، فأتتها فقالت : قد قدم رجل له مال كثير وقال لي كذا وكذا فقلت كذا وكذا ، فقالت : إني قد تركت البغاء ولكن إن أراد تزوجته : قال : فتزوجها فوقع منه موقعا عظيما وأحبها حباً شديداً فبينما هو يوماً عندها إذ أخبرها بأمره ، فقالت : أنا تلك الجارية وأرته الشق في بطنها ، ثم قالت وقد كنت أبغى فإدرى بمائة أو أقل أو أكثر . قال : فإنه قد قال لي يكون موتها بالعنكبوت فبني لها برجاً في الصحراء وشيده ، فبينما هو وإياها يوماً

في ذلك البرج إذا عنكبوت في السقف، فقالت: هذا يقتلني لا يقتله أحد غيري، فحركته فسقط فأنته فوضعت إبهام رجلها عليه فشدخته فساح سمه بين أطفارها ولحمها فاسودت رجلها وماتت فأنزل الله تعالى هذه الآية - أيها تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة - وقال أكثر المفسرين: إن هذه الآية نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلي أحد: لو كانوا عندنا ماتوا وما قتلوا، فرد الله عليهم بقوله - أيها تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة - والبروج: الحصون والقلاع المشيدة المرفوعة المطولة. وقال قتادة: معناد في قصور محصنة: وقال عكرمة: مجصصة: والمشيذ المحمص، ويكنى العنكبوت فخرا وشرفا نسجها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار والقصة في ذلك مشهورة في كتب التفاسير والسير وغيرها، ونسجت أيضا على الغار الذي دخله عبد الله بن أنيس رضي الله عنه لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لقتل خالد بن نبيح الهذلي بالعروة فقتله، ثم احتمل رأسه ودخل في غار فنسجت عليه العنكبوت وجاء الطلب فلم يجدوا شيئا فانصرفوا راجعين، ثم خرج فسار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والرأس معه فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال «قد أفلح الوجه» قال: وجهك يا رسول الله، ووضع الرأس بين يديه وأخبره الخبر، فدفع إليه النبي صلى الله عليه وسلم عصا كانت بيده وقال «تخطر بهذه في الجنة» فكانت عنده إلى أن حضرته الوفاة فأوصى أهله أن يدفنها في كفنه ففعلوا، وكانت مدة غيبته ثمان عشرة ليلة.

وفي الحلية للحافظ أبي نعيم عن عطاء بن ميسرة قال: نسجت العنكبوت مرتين على نبيين على داود حين كان جالوت يطلبه، وعلى النبي صلى الله عليه وسلم في الغار.

وفي تاريخ الإمام الحافظ أبي القاسم بن عساكر: أن العنكبوت نسجت أيضا على عورة زين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم لما صلب عريانا في سنة إحدى وعشرين ومائة فأقام مصلوبا أربع سنين وكانوا وجهوه لغير القبلة فدارت خشبته إلى القبلة، ثم أحرقوا خشبته وجسده رحمه الله، وكان قد بايعه خلق كثير وحارب متولى العراق يوسف بن عمران ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفي فظفر به يوسف ففعل به ذلك، وكان ظهوره في أيام هشام بن عبد الملك، ولما خرج أتاه طائفة كثيرة من أهل الكوفة وقالوا له: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نبايعك فأبى، فقالوا: إذن نرفضك، فن ذلك سموا الرافضة. وأما الزيدية فقالوا: لانتولاهما وتبرأ من تبرأ منها وخرجوا مع زيد فسموا الزيدية، وروى زيد عن أبيه زين العابدين وجماعة، وروى له أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(تنمة) ذكر ابن خلكان في ترجمة يعقوب بن جابر المنجنيقي: أنه وقف بالقاهرة.

على كراريس من شعره ، ورأى فيها البيتين المشهورين المنسوبين إلى جماعة من الشعراء ،
ولا يعرف قائلهما على الحقيقة وهما :

ألقى في لظى فإن أحرقتني فتيقن أن لست بالياقوت
جمع النسيج كل من حاك لكن ليس داود فيه كالعنكبوت
قال : فعمل يعقوب بن صابر في جوابهما هذه الأبيات :

أيها المدعى الفخار دع الفخ ر لذي الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغا ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النا ر مزيل فضيلة الياقوت
وكذلك النعام يلتقم الجمه ر وما الجمر للنعام بقوت
وقد تقدم في السمندل الإشارة إلى هذه الأبيات ،

(وحكم العنكبوت) تحريم الأكل لاستفادها :

(الأمثال) قالوا : أغزل من عنكبوت : وقالوا : أوهن من بيت العنكبوت . قال الله
تعالى - مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كما اتخذت العنكبوت بيتا وإن أوهن البيوت
بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم
وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - فضرب الله بيئها المثل لمن اتخذ من دونه
آلهة لا تضره ولا تنفعه فكما أن بيت العنكبوت لا يقبها حرا ولا بردا ولا قصد أحد إليها
فكذلك ما اكتسبوه من الكفر واتخذوه من الأصنام لا يدفع عنهم غدا شيئا : والعالمون
كل من عقل عن الله عز وجل وعمل بطاعته وانتهى عن معصيته فهم يعقلون صحة هذه
الأمثال وحسنها وفائدتها ، وكان جهلة قريش يقولون إن رب محمد يضرب الأمثال
بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك وما علموا أن الأمثال تبرز المعاني الخفية في
الصور الجلية :

(الخواص) إذا وضع نسج العنكبوت على الجراحات الطرية في ظاهر البدن حفظها
بلاورم ويقطع سيلان الدم إذا وضع عليه ، وإذا دلكت الفضة المتغيرة بنسجه جلاها ،
والعنكبوت الذي ينسج على الكتياف إذا علق على المحموم يبرأ بإذن الله تعالى ، وإن لف
في خرقة وعلق على صاحب حمى الربيع نفعه وأذهبها ، وكذلك إذا سحق العنكبوت وهو حي
ومرغ به صاحب الحميات أذهبها ، وإذا نجر البيت بورق الآس الرطب هرب منه العنكبوت
قاله صاحب عين الخواص .

(التعبير) العنكبوت في المنام : رجل قريب العهد بالزهد ، وقيل : العنكبوت امرأة
معلونة تهجر فراش زوجها ، وبيت العنكبوت ونسجها وهن في الدين للآية الكريمة المتقدم

ذكرها في الأمثال . وقيل العنكبوت في الرؤيا نساج فمن نازع العنكبوت نازع رجلا نساجا .
أو امرأة والله أعلم .

﴿ العرد ﴾ : المسن من الإبل وهو الذي جاوز في السن البازل والخلف وجمعه عودة والناقعة عودة ، ويقال في المثل : زاحم بعود أودع : أى استعن على أمرك بأهل السن وأهل المعرفة .
فإن رأى الشيخ المسن خير من رأى الغلام ومعرفته : والعود المطافيل تقدم ذكرها في أول
الباب في لفظ عائذ قال الجوهرى : يقال لها ذلك إذا ولدت لعشرة أيام أو خمسة عشر يوما .
ثم هى مطلق بعد والجمع مطافيل ومطافل .

﴿ العراساء ﴾ : بفتح العين ممدودا الحامل من الخنافس حكاه أبو عبيدة .

﴿ العرسى ﴾ : بالضم ضرب من الغنم يقال كبش عوسى .

﴿ العرمة ﴾ : بالضم دويبة تسبح في الماء كأنها فص أسود مدملكة والجمع عوم . قاله

الجوهرى .

﴿ العرهره ﴾ : الخطاف الجبلى ويقال للغراب الأسود ويقال للبعير الأسود الجسيم .
والعوهق الطويل يستوى فيه الذكر والأنثى .

﴿ العرد ﴾ : التقطأ وسيأتى إن شاء الله تعالى في باب القاف .

﴿ العردم ﴾ : الباشق ، وقد تقدم ذكره في باب الباء .

﴿ العيثوم ﴾ : الضبع حكاه الجوهرى عن أبي عبيدة . وقال غيره : العيثوم أنثى الفيل .

﴿ العير ﴾ : الحمار الوحشى والأهلى أيضا والجمع أعيار ومعبوراء وعيور . روى

ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد السلمى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أتى أحدكم
أهله فليستتر ولا يتجردن تجرد العيرين » ورواه البزار من حديث أبي هريرة رضى الله تعالى
عنه والطبرانى من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه ، وروى النسائى في عشرة
النساء من حديث عبد بن سرجس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أتى أحدكم أهله فليأتى
على نفسه ثوبا ولا يتجردن تجرد العيرين » .

وروى أبو منصور الديلمى من حديث أنس رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال « لا يقعن أحدكم على أهله كما يقع الحمار وليسكن بينهما رسول . قالوا : وما
الرسول ؟ قال : القبلة والكلام اللين » .

وفي الحديث « إذا أراد الله بعبد سوءا أمسك عليه ذنوبه حتى يوفيه يوم القيامة كأنه عير » شبه لعظم ذنوبه بالحمار الوحشى ، وقيل أراد الجبل الذى بالمدينة اسمه عير ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرهه فكان يضرب به المثل فى المكروهات غالبا ، وعير العين جفنها : قال الشاعر :

زعموا أن كل من ضرب العير ر موال لنا وأنى الولاء
قال أبو عمرو بن العلاء : ذهب من كان يعرف معنى هذا البيت .

(فائدة) روى أن خالد بن سنان العيسى لما حضرته الوفاة قال لقومه : إذا أنا دفنت فإنه سيجيء عانة من حير يقدمها عير فيضرب قبرى بحافره فإذا أنتم رأيتم ذلك فانبشوا عنى فإنى سأخرج فأخبركم بعلم الأولين والآخرين ، فلما مات وافق ما قاله لقومه أرادوا أن يخرجوه فكره ذلك بعض ولده وقالوا : إنا نخاف أن ينسب إلينا أن أنبشنا قبر أبينا ، ولو فعلوا لخرج إليهم وأخبرهم لكن أراد الله غير ذلك ، وقد تقدم أن ابنته أنت النبي صلى الله عليه وسلم فيسط لها رداءه وقال لها : « أهلا بنت خير نبي » أو نحو ذلك . وروى أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ — قل هو الله أحد — فقالت : كان أبى يقرأ هذا . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ذلك نبي أضاعه قومه » وقال الشاعر يهجو رجلا :
لو كنت سيفا كنت غير غضب أو كنت ماء كنت غير غذب
أو كنت لحما كنت لحم كلب أو كنت عيرا كنت غير ندب
أى غير سريع فى الحاجات .

(الأمثال) قالت العرب : معيورا تكادم الأعيار جمع عير والتكادم التعاض يضرب مثلا للسفهاء تتهارش . وقالوا : أنجى عير سمته . قال أبو زيد : زعموا أن حمرا كانت هزالا فهلكت فى جادب ونجا منها حمار كان سمينا ، فضرب به المثل فى الحزم قبل وقوع الأمر : أى انج قبل أن لا تقدر على ذلك ، ويضرب أيضا لمن خلاصه ماله من مكروه . وقالت العرب : قد حيل بين العير والنزوان يضرب لمن أيس منه : قال الشاعر :

أهم بأمر الحزم أو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

وذكر ابن خلكان فى ترجمة أبى أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري من ذلك شيئا ينبغى الوقوف عليه ، قال : كان الصاحب بن عباد يود الاجتماع بأبى أحمد العسكري ولا يجد إليه سبيلا ، فقال لخدومه مؤيد الدولة بن بويه : أن عسكر مكرم قد اختلت أحوالها واحتاج إلى أن أكشفها بنفسى فأذن له فى ذلك ، فلما أتاها توقع أن يزوره أبو أحمد المذكور فلم يزره فكتب الصاحب إليه :

ولما أبيتهم أن تزوروا وقلتم ضعفنا فلم نقدر على الوخدان

أتيناكم من بعد أرض نزوركم وكم منزل بكر لنا وعوان
 نسائلكم هل من قرى لنزيلكم بملء جفون لا بملء جفان
 وكتب مع هذه الأبيات شيئا من النثر ، فجأوبه أبو أحمد عن النثر بنثر مثله وعن هذه
 الأبيات بالبيت المشهور وهو :

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والفرزان
 فلما وقف الصاحب على الجواب عجب من اتفاق هذا البيت له وقال : والله لو علمت
 أنه يقع له هذا البيت لما كتبت إليه على هذا الروى . وهذا البيت لصخر أخى الخنساء وهو
 من جملة أبيات مشهورة ، وكان صخر المذكور قد حضر محاربة بنى أسد فطعنه ربيعة بن ثور
 الأسدى فأدخل بعض حلقات الدرع فى جنبه وبقي مدة حول فى أشد ما يكون من المرض ،
 وأمه وزوجته سليمة يمرضانه فضجرت زوجته منه ، فمرت بها امرأة فسألته عن حاله
 فقالت : لا هو حى فيرجى ولا ميت فينسى ، فسمعها صخر فأنشد :

أرى أم صخر لا تملى عيادتي وملت سليمة مضجعي ومكاني
 وما كنت أخشى أن أكون جنازة عليك ومن يعترى بالحدثان
 لعمرى لقد نهيت من كان نائما وأسمعت من كانت له أذنان
 وأى امرئ ساوى بأمر حليمة فلا عاش إلا فى شقا وهوان
 أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقل حيل بين العير والفرزان
 فللموت خير من حياة كأنها معرس يعسوب برأس سنان

وقالوا : كل شواء العير جوفان . قيل : اجتمع فزارى وثعلبى وكلبى فى سفر فاشتروا
 حمرا وحشيا ، فغاب الفزارى فى بعض حاجاته فأكل صاحباها العير واختبأ له غرموله ،
 فلما جاء قدماء له وقالوا هذا قد اختبأناه لك فجعل يأكل ولا يسيغه فضحكا منه فاخترط سيفه
 وقال : لأقتلكنما إن لم تأكلاه فأبى أحدهما فضربه بالسيف فأبان رأسه وكان اسمه مرقمة ،
 فقال صاحبه : طاح مرقمة ، فقال الفزارى : وأنت إن لم تلقمه أراد إن لم تلقمها طرحت
 رأسك ، وقد عيرت فزارة بهذا الخبر حتى قال سالم بن دارة فى ذلك :

لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصلك واكتبها بأسيار
 لا تأمننه ولا تأمن بوائقه بعد الذى امتل أير العير بالنار
 أطعمتم الضيف جوفانا محاتلة فلا سقاكم إلهى الخالق البارى

وقالوا : أذل من عير . قيل : المراد به الوند لأنه يشج رأسه أبدا ، وقيل المراد به
 الحمار . وقال الشاعر :

ولا يقيم على خسف يراد به
 هذا على الخسف مربوط برمته
 إلا الأذلان عير الحى والوند
 وذا يشج فلا يرثى له أحد

وقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه عند موته : لقيت كذا وكذا زحفا وما
فى جسدى موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ثم ها أنا أموت
حتف أنى كما يموت العير لا نامت أعين الجبناء .

﴿ العير ﴾ : بالسكسر الإبل التى تحمل الميرة ويجوز أن تجمع على عيرات ، وفى الحديث
« إنهم كانوا يترصدون عيرات قريش » .

(فائدة) قال الله تعالى - وأسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها - قال
ابن عطية : القرية مصر . قاله ابن عباس وغيره وهو مجاز والمراد أهلها ، وكذلك قوله والعير
هذا قول الجمهور وهو الصحيح ، وحكى أبو المعالى فى [التامخيص] عن بعض المتكلمين
أنه قال : هذا من الحذف وليس من المجاز ، قال : وإنما المجاز لفظة تستعار لغير ما هى له ،
وحذف المضاف هو غير المجاز هذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر وليس كل حذف
مجازا ، ورجح أبو المعالى فى هذه الآية أنه مجاز ، وحكى أنه قول الجمهور أو نحو هذا .
وقالت فرقة : بل أحالوه على سؤال الجمادات والبهايم حقيقة من حيث هو نبي فلا يبعد أن
تخبره بالحقيقة . قال : وهذا وإن جوز فبئيد .

(فائدة أخرى) أول من قال : لافى العير ولا فى النفير أبو سفيان بن حرب ، وذلك
أنه لما أقبل بعير قريش وكان النبي صلى الله عليه وسلم تخمين انصرفها من الشام فندب المسلمين
للخروج معه ، وأقبل أبو سفيان حتى دنا من المدينة وقد خاف خوفا شديدا فقال للمجد
ابن عمرو : هل أحسست بأحد من أصحاب محمد ؟ فقال : ما رأيت أحدا أذكره إلا راكبين
أتيا إلى هذا المسكان ، وأشار إلى مكان عديا وبسلسا عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأخذ أبو سفيان أبعارا من أبعار بعيريهما وفركها فإذا فيها نوى ، فقال : علائف يثرب
هذه عيون محمد فضرب وجوه غيره عن يسار بدر ، وقد كان بعث إلى قريش يخبرهم بما
يخافه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فأقبلت قريش من مكة فأرسل إليهم أبو سفيان يخبرهم
أنه قد أحرز العير ويأمرهم بالرجوع ، فأبت قريش أن ترجع ومضت إلى بدر ورجع
بنو زهرة فنصرفوا إلى مكة فصادفهم أبو سفيان فقال : يا بنى زهرة لافى العير ولا فى النفير .
قالوا : أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع ومضت قريش إلى بدر فأظهر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم عليهم ، ولم يشهد بدرا من بنى زهرة أحد . قال الأصمعى : يضرب هذا المثل
للرجل يحط أمره ويصغر قدره ، والله تعالى أعلم .

﴿ عير السراة ﴾ : طائر كهيئة الحمامة .

﴿ العيس ﴾ : بكسر العين الإبل البيض يخالط بياضها شئ* من الشقرة واحدها أعيس والأثني عيساء ويقال هي كرام الإبل ، وما أحسن قول الأول :
ومن العجائب والعجائب جمّة قرب الحبيب وما إليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول
وفي حديث سواد بن قارب « وشدت العيس بأحلاسها » .

﴿ العيساء ﴾ : بفتح العين الأثني من الجراد ، وقد تقدم ما في الجراد في باب الجيم :

﴿ العيسوم ﴾ : والعيلان بفتح العين فيهما الذكر من الضباع ، وفي الحديث « إن الخليل عليه الصلاة والسلام يريد أن يحمل أباه آزر ليحوز به الصراط فينظر إليه فإذا هو عيلام أمدر » والعيلام ذكر الضباع والياء والألف زائدتان . قاله في نهاية الغريب .

﴿ العيثوم ﴾ : الضبع عن أبي عبيدة ، وقد تقدم قبل ذلك بورقة : وقال الغنوي :
والعيثوم الأثني من الفيلة ، وأنشد الأخطل :

تركوا أسامة في اللقاء كأنما وطئت عليه بنحفها العيثوم

﴿ العيين ﴾ : من الألفاظ المشتركة . قال بعض أهل اللغة ممن تتكلم على الألفاظ المشتركة إن العين طائر أصفر البطن والظهر في حد القمري .

﴿ العيرل ﴾ : الناقة السربية : قال أبو حاتم : ولا يقال حمل عيرل :

﴿ عيجلوف ﴾ : كعجربون اسم الغنمة المذكورة في القرآن ، وسيأتي إن شاء الله تعالى .
اختلاف العلماء في اسمها في باب النون في لفظ الغل .

﴿ ابن عرس ﴾ : وكنيته : أبو الحكم وأبو الوثاب ، وهي دابة تسمى بالفارسية راسو وهي بكسر العين وإسكان الراء المهملتين تجمع على بنات عرس وبنى عرس حكاه الأخفش . قال القزويني : هو حيوان دقيق يعادى الفأر يدخل جحره ويخرجه ، ويعادى التمساح فإن التمساح لا يزال مفتوح الفم وابن عرس يدخل فيه وينزل جوفه ويأكل أحشائه ويمزقها ويخرج ، ويعادى الحية أيضا ويقتلها ، وإذا مرض يأكل بيض الدجاج فيزول مرضه .

وحكى أن ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة فلم يزل يتبعها حتى انتهت إلى رأس الغصن ولم يبق لها مهرب ، فنزلت على ورقة وعضت طرفها وعلقت نفسها بها فعند ذلك صاح ابن عرس فجاءته زوجته ، فلما انتهت إلى تحت الشجرة قطع ابن عرس الورقة التي عضتها فأرة فسقطت فاصطادها ابن عرس التي كانت تحت الشجرة .

وقال عبد اللطيف البغدادي : وأظنه الحيوان المسمى بالدلق وإنما يختلف لونه ووبره بحسب البلاد . قال : وفي طبعه أنه يسرق ما وجد من فضة وذهب كما يفعل الفأر ، وربما عادى الفأر فقتله ولكن خوف الفأر من السنور أشد من خوفه منه : قال : وهو كثير الوجود في منازل أهل مصر . قال : وقد حكى من فطنته أن رجلا صاد فرخا منها وحبسه في قفص بحيث تراه أمه ، فلما رأته ذهبت ثم جاءت وفي فمها دينار فألقته بين يديه كأنها تفتدى ولدها فلم يتركه لها ، فذهبت وعادت بدينار آخر حتى كمل العدد خمسا ، فلما رأت أنه لا يطلقه ذهبت وعادت بخزقة كأنها تشير إلى فراغ حاصلها فلم يكثر بها ، فلما رأت ذلك منه عادت إلى دينار منها لتأخذه فخشى الرجل من ذلك فأطلق لها ولدها ، وقد تقدم في باب الجيم في الجرذ حديث ضباة بنت الزبير : أن المقداد بن الأسود ذهب يقضى حاجته فإذا جرذ يخرج من جحره دينارا ثم دينارا ثم لم يزل كذلك إلى أن أخرج سبعة عشر دينارا ثم أخرج خزقة حمراء قد بقي فيها دينار واحد فكانت ثمانية عشر ، فذهب بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره وقال : خذ صدقتها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « هل هويت إلى الحجر بيديك ؟ » فقال : لا فقال له عليه الصلاة والسلام : بارك الله لك فيها » قال الجاحظ : ابن عرس نوع من الفأر وأنشد قول الشمقمق :

نزل الفارات بيتي رفقة من بعد رفقه

ثم قال :

وابن عرس رأس بيتي صاعدا في رأس طبقه

ثم قال يصفه :

صبغة أبصرت منها في سواد العين زرقه

مثل هذا في ابن عرس أغبش تعلوه بقله

فوصفه بكونه أغبش أبلق وأنه من الفأر ، وهو أنواع ثلاثة عشر ستأتي في أماكنها إن شاء الله تعالى . وقال أرسطاطاليس في [نعوت الحيوان] و [التوحيد في الامتناع والمؤانسة] إن الأنثى من بنات عرس تلقح من أفواهاها وتلد من أذنانها . وقال في [كفاية المتحفظ] ابن عرس هو السرعوب ويقال له النمس وهو غلظ والذي قبله قريب منه ، والجمع بينه وبين كلام الجاحظ عسر لأن النمس ليس من جنس الفأر ، والصواب ما قاله الجاحظ من أنه نوع من الفأر ، وقال الشيخ قطب الدين السنباطي : بنات عرس هي هذه التي في بيوت مصر ، وفيما قاله قصور فإن بنات عرس أنواع كما يأتي عن الرافعي قريبا .

(الحكم) قيل يحرم أكله لأنه كالفأر ، والمشهور حله بل قال في [شرح المهذب] : يحل بلا خلاف ، وفيه وجه حكاه الماوردي أنه يحرم ، وحكى في [الشرح الصغير] الوجهين

وقال الأظهر الحل ، وهذه المسألة ساقطة من الشرح الكبير والروضة والأشبه أنه من صنيع النساخ وإلا فكلام الشرح لا يستقيم إلا بذكرها ، ولذلك كتبها فيه كما في الشرح الصغير الشيخ عز الدين النشائي على حاشية نسخته قال الرافعي في كتاب [الحج] إن بذت عرس أنواع . والغزالي قال : إنه يشبه الثعلب ، وكلام الغزالي يقتضى أن ابن عرس هو النفس لأنه يشبه الثعلب بأسنانه وطول ذنبه وإن كان أصغر منه جثة . وقال القاضي أبو الطيب : لأعلم خلافا بين الأصحاب في حل ابن عرس لأنه لا يتقوى بناه وكذا ذكر صاحب [البحر] والمشهور الحل كما في الشرح الصغير والمختصرات المشهورة [كالتنبيه والوجيز والحاوي الصغير] .

(الخواص) دماغه يكتحل به فينفع من ظلمة العين ، وإن جفف وشرب بخل نفع من الصرع ، ولحمه يستعمل ضمادات لوجع المفاصل ، وشحمه يطلى به السن تقع سريعا ، ومرارته إن شربت وهي حارة قتلت من وقتها ، ودمه يطلى به الخنازير يجلها ، وإن خلط دمه بدم الفار ومزج بماء ورش في بيت وقعت الخصومة بين أهله ، وإن دفن ابن عرس وفأرة في بيت فعل كما يفعل الدم ، وزبله يجعل على الجراحات يقطع الدم ، وإن أخذ كفاه وعلقنا على امرأة لم تحبل ما دام ذلك عليها ، والله تعالى أعلم .
(وهو في الرؤيا) يدل على الزواج للأعزب بامرأة صبية ، والله تعالى أعلم .

﴿ أم عجبونه ﴾ : طائر . قاله الجوهري . وقال ابن الأثير : طائر أسود يقال له قويم ، وقيل طائر أسود أبيض الذنب يكثر تحريك ذنبه يقال له الفجاج .

﴿ أم عزة ﴾ : الطيبة وعزة ابنتها .

﴿ أم عريف ﴾ : دويبة صغيرة ضخمة الرأس مخضرة لها ذنب طويل وأربعة أجنحة إذا رأت الإنسان قامت على ذنبها ونشرت أجنحتها ، وهي لا تطير ويقال لها ناشرة برديها يلعب بها الصبيان ويقولون لها :

أم عوف انشري برديك ثم طيري بين صحراويك
إن الأمير مخاطب بنتيك بجيشه وناظر إليك

كذا قاله في [المرصع] وهذه تشبه أن تكون أم حبين المتقدمة في باب الحناء المهملة .

﴿ أم العيزار ﴾ : السبطار ووقع في [المهذب] في باب الهدنة أن عاقر ناقة صالح اسمه العيزار بن سالف وهو تصحيف بلا خلاف ، وإنما عاقر الناقة اسمه قدار بضم القاف ثم دال مهملة مخففة ثم ألف ثم راء مهملة هكذا ذكره جميع أهل التواريخ والتفصيص والأسماء وأهل اللغة كالجوهري وغيره ونبه عليه النووي رحمه الله تعالى .

باب الغين المعجمة

﴿ الغاق ﴾ : والغاقة نوع من طير الماء معروف مشهور .

﴿ الغراف ﴾ : غراب الغيط وجمعه غدقان بكسر الغين المعجمة ، وربما سموا النسر الكثير الريش غدافا ، وكذلك الشعر الأسود الطويل . وقال ابن فارس : الغداف هو الغراب الضخم . وقال العبدري وغيره من أئمة أصحابنا : هو غراب صغير أسود لونه كلون الرماد . (الحكم) أباح الشعبي أكل الغراب الأسود الكبير الذى يأكل الحبوب والزرع فأشبهه الحجل . وقال أبو حنيفة : الغرابان كلها حلال ، وروى هشام بن عروة عن أبيه عروة ابن الزبير عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : لى لأعجب ممن يأكل الغراب وقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم فى قتله للمحرم وسماه فاسقا والله ما هو من الطيبات . وأما مذهب الشافعى فحاصل ما فى الروضة أن الغداف يحرم أكله ، والذى فى الرافعى أنه حلال وهذا هو المعتمد فى الفتوى كما نبه عليه شيخنا فى المهمات .

(الخواص) قال القزوينى : إذا أخذت شحم الغداف مع دهن ورد ودهنت به وجهك ودخلت على السلطان قضى حاجتك .

﴿ الغذى ﴾ : السخلة والجمع غذاء مثل فصيل وفصال ، ومنه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لعامل الصدقة : احتسب عليهم بالغذاء ولا تأخذها منهم وأنشد الأصمعى :
لو أنى كنت من عاد ومن لرم غذى بهم ولقمانا وذا جدن
ورواه خلف الأحمر غذى بالتصغير حكاه الجوهرى وغيره .

﴿ الغراب ﴾ : معروف وسمى بذلك لسواده ، ومنه قوله تعالى - وغرابيب سود - وهما لفظان بمعنى واحد ، ومن أحاديث راشد بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى يبغض الشيخ الغريب » فسرّه راشد بن سعد بالذى يخضب بالسواد وجمعه غرابان وأغربة وأغرب وغرابين وغرب وقد جمعها ابن مالك فى قوله :

بالغرب اجمع غرابا ثم أغربة وأغرب وغرابين وغرابان
وكنتيته : أبو حاتم وأبو حجاج وأبو الجراح وأبو حذر وأبو زيدان وأبو زاجر
وأبو الشؤم وأبو غياث وأبو القعقاع وأبو المرقال الشاعر :

إن الغراب وكان يمشى مشية فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطاة ورام يمشى مشيا فأصابه ضرب من العقال
فأصل مشيته وأخطأ مشيا فلذلك سموه أبا المرقال

ويقال له ابن الأبرص وابن بريح وابن داية ، وهو أصناف : الغداف والزاع والأكل

وغراب الزرع والأورق وهذا الصنف يحكى جميع ما يسمعه ، والغراب الأعصم عزيز الوجود قالت العرب : أعز من الغراب الأعصم ، وقال صلى الله عليه وسلم « مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم في مائة غراب » رواه الطبراني من حديث أبي أمامة ، وفي رواية ابن أبي شيبة « قيل يا رسول الله وما الغراب الأعصم ؟ قال : الذى لإحدى رجله بيضاء » وروى الإمام أحمد والحاكم فى مستدركه عن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه قال « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فإذا بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين فقال صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب فى هذه الغربان » وإسناده صحيح وهو فى السنن الكبرى للنسائي . قال فى الإحياء : الأعصم أبيض البطن ، وقال غيره : الأعصم أبيض الجناحين وقيل أبيض الرجلين ، أراد عليه الصلاة والسلام قلة الصالحة فى النساء وقلة من يدخل الجنة منهم لأن هذا الوصف فى الغربان عزيز قليل . وفى وصية لقمان لابنه : يا بني اتق المرأة السوء فإنها تشبيك قلب المشيب واتق شرار النساء فإنهن لا يدعون إلى خير وكن من خيارهن على حذر . وقال الحسن : والله ما أصبح رجل يطبع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله فى النار . وقال عمر رضى الله تعالى عنه : خالفوا النساء فإن فى خلفهن البركة . وقد قيل شاوروهن وخالفوهن . وفى السيرة فى قصة حفر زمزم لما رأى عبد المطلب قائلاً يقول له : احفر طيبة . قال : وما طيبة قال : زمزم . قال : وما علامتها؟ قال : بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم . قال السهيلي . فى ذلك إشارة إلى أن الذى يهدم الكعبة صفته كصفة الغراب وهو ذو السويقتين .

روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يخرب الكعبة ذو السويقتين رجل من الحبشة » وفى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كأتى به أسود أفحج يقلعها حجرا حجرا » وفى حديث حذيفة الطويل « كأتى بحبشى أفحج الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن وأصحابه ينقضونها حجرا حجرا ويتناولونها حتى يرموا بها إلى البحر » يعنى الكعبة ذكره أبو الفرج ابن الجوزى ، وذكر الحلیمی أن هذا يكون فى زمن عيسى عليه السلام ، وفى الحديث « استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع فى الثالثة » وغراب الليل قال الجاحظ : هو غراب ترك أخلاق الغربان وتشبه بأخلاق البوم فهو من طير الليل وسمعت بعض الثقات يقول : إن هذا الغراب يشاهد كثيرا فى الليل ، وقال أرسطاطاليس فى [النعوت] : الغربان أربعة أجناس . أسود حالك وأبلق ومطرف بدياض لطيف الجرم يأكل الحب وأسود طاوسى براق الريش ورجلاه كلون المرجان يعرف بالزراغ ، وفى الغراب كله الاستتار عند السفاد وهو يسفد مواجهة ولا يعود إلى الأثنى بعد ذلك لقلة وفائه ، والأثنى تبيض أربع

بيضات وخمسا ، وإذا خرجت الفراخ من البيض طردتها لأنها تخرج قبيحة المنظر جداً إذ تكون صغار الأجرام كبيرة الرؤوس والمناقير جرداء اللون متفاوتة الأعضاء فالأبوان ينظران الفرح كذلك فيتركانه فيجعل الله قوته في الذباب والبعوض الكائن في عشه إلى أن يقوى وينبت ريشه فيعود إليه أبواه وعلى الأنثى أن تحضن وعلى الذكر أن يأتيها بالمطعم ، وفي طبعه أنه لا يتعاطى الصيد بل إن وجد جيفة أكل منها وإلامات جوعاً ويتقمم كما يتقمم ضعاف الطير ، وفيه حذر شديد وتنافر والغداف يقاتل اليوم ويخطف بيضها ويأكله . ومن عجيب أمره أن الإنسان إذا أراد أن يأخذ فراخه يحمل الذكر والأنثى في أرجلها حجارة ويتحلقان الجوى ويطرحان الحجارة عليه يريدان بذلك دفعه . قال الجاحظ ، قال صاحب [منطق الطير] الغراب من لثام الطير وليس من كرامها ولا من أحرارها ، ومن شأنه أكل الجيف والقمامات وهو إما حالك السواد شديد الإحترق ، ويكون مثله في الناس الزنج فإنهم شرار الخلق تركيباً ومزاجاً كمن بردت بلاده ولم تنضج الأرحام أو سخنت بلاده فأحرقته الأرحام ، وإنما صارت عقول أهل بابل فوق العقول وكالمهم فوق الكمال لأجل ما فيها من الاعتدال ، فالغراب الشديد السواد ليس له معرفة ولا كمال والغراب الأبقع كثير المعرفة وهو الأم من الأسود انتهى .

والعرب تشاءم بالغراب ولذا اشتقوا من اسمه الغربة والأغتراب والغريب .

(فائدة أجنبية) اسم الغربة مجموع من أسماء دالة على محصول اسم الغربة فالغين من غدر ووغرور وغيبة وغم وغلة وهي حرارة الحزن وغرة وغول وهي كل مهلكة ، والراء من جزء وردع وردى وهو الهلاك ، والباء من بلوى وبؤس وبرح وهو الداهية وبوار وهو الهلاك ، والهاء من هوان وهزل وهم وهلك . قاله محمد بن ظفر في السلوان . وغراب البين الأبقع . قال الجوهري : هو الذي فيه سواد وبياض . وقال صاحب [المجالسة] سمي غراب البين لأنه بان عن نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لما وجهه لينظر إلى الماء فذهب ولم يرجع ولذلك تشاءموا به . وذكر ابن قتيبة : أنه سمي فاسقاً فيما أرى تخلفه حين أرسله نوح عليه السلام ليأتيه بخبر الأرض فترك أمره ووقع على جيفة . قال عنتره :

ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرى بيبيتهم الغراب الأبقع

وقال صاحب [منطق الطير] : الغرابان جنس من الأجناس التي أمر بقتلها في الحل والحرم من الفواسق اشتق لها ذلك الاسم من اسم إبليس لما يعطاه من الفساد الذي هو شأن إبليس واشتق ذلك أيضاً لكل شيء اشتد أذاه ، وأصل الفسق الخروج عن الشيء وفي الشرع الخرج عن الطاعة اه .

قال الجاحظ : غراب البين نوعان أحدهما غراب صغير معروف باللؤم والضعف ،

وأما الآخر فإنه ينزل في دور الناس ويقع على مواضع إقامتهم إذا ارتحلوا عنها وبنوا منها ، قال : وكل غراب غراب البين إذا أرادوا به الشؤم لا غراب البين نفسه الذي هو غراب صغير أبقع ، وإنما قيل لكل غراب غراب البين لأنه يسقط في منازلهم إذا ساروا منها وبنوا منها ، فلما كان هذا الغراب لا يوجد إلا عند بينوتهم عن منازلهم اشتقوا له هذا الاسم من بينونة ، وقال المقدسي في [كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار] في صفة غراب البين : هو غراب أسود ينوح نوح الحزين المصاب وينعق بين الخلان والأحباب إذا رأى شملا مجتمعا أنذر بشتاته ، وإن شاهد ربعا عامرا بشر بخرابه ودروس عرصاته يعرف النازل والساكن بخراب الدور والمساكن ويحذر الآكل غصنة المأكل ويبشر الراحل بقرب المرحل ينعق بصوت فيه تحزين كما يصيح المغلن بالتأذين ، وأنشد على لسان حاله :

أنوح على ذهاب العمر مني	وحق أن أنوح وأن أنادى
وأنذب كلما عاينت ركبا	حدا بهم لوشك البين حادى
يعنفنى الجهول إذا رآنى	وقد ألبست أثواب الحداد.
فقلت له اتعظ بلسان حالى	فإنى قد نصحتك باجتهاد.
وهنا أنا كالخطيب وليس بدعا	على الخطباء أثواب السواد
ألم ترنى إذا عاينت ركبا	أنادى بالنوى في كل ناد
أنوح على الطلول فلم يجبنى	بساحتها سوى خرس الجهاد
فأكثر فى نواحيها نواحى	من البين المقتت للفؤاد
تيقظ يا ثقبيل السمع وافهم	إشارة من تسير به الغوادى
فما من شاهد فى الكون إلا	عاه من شهود الغيب بادى
وكم من رائح فيها وغاد	ينادى من دنو أو بعادى
لقد أسمعت لو ناديت حيا	ولكن لا حياة لمن تنادى

فدل قوله وقد ألبست أثواب الحداد وليس بدعا على الخطباء أثواب السواد أنه أسود ، وقوله فلم يجبنى بساحتها سوى خرس الجهاد أنه يوجد عندهم فارقة أهل المواضع لها . وأما قوله وينعق بين الخلان والأحباب فهو بالغين المعجمة عند جمهور أهل اللغة وهو الذى قاله ابن قتيبة وجعل غيره خطأ ، ونقل البطليوسى عن صاحب المنطق أنه قال : نعق الغراب ونعق : قال : وهو بالغين المعجمة أحسن ، وحكى ابن جنى مثل ذلك ، وقد أحسن الصحاح بهاء الدين زهير وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكاهل محمد بقوله فى البين من أبيات :

لقد ظلمتنى واستطالت يد النوى	وقد طمعت فى جانبي كل مطمع
إلى كم أفاسى فرقة بعد فرقة	وحتى متى يا بين أنت معى معى
وقالت علمنا ما جرى منك بعدنا	فلا تظلمينى ما جرى غير أدمعى

وله ملغزا في قفل وقد أجاد :

وأسود عار أنحل البرد جسمه وما زال من أوصافه الحرص والمنع
وأعجب شيء كونه الدهر حارسا وليس له عين وليس له سمع
وله شعر جيد وشعره عند أهل الصناعة يسمى السهل الممتنع : وكان متمكنا من الملك
الصالح ولا يتوسط إلا بالخير وكانت وفاته سنة ست وخمسين وستائة رحمه الله تعالى ، ويقال
إذا صاح الغراب مرتين فهو شر وإذا صاح ثلاث مرات فهو خير على قدر عدد الحروف ،
ولما كان صافي العين حاد البصر سموه أعور . وقال الجاحظ : إنهم إنما سموه بالأعور تطيرا
منه وتشاؤما به وليس به عور ؛ وقيل إنما سموه أعور تفاؤلا بالسلامة منه كما سموا البرية
بالمفازة واليد الشمال باليسار . والتطير أصله من الطير إذا مر بارحاً أو سانحاً أو قعيداً أو ناطحاً
فالبارح ما أتى من ناحية الميامن والسانح بالنون والحاء المهملة ما أتى من ناحية المياسر والناطح
ما تلقاك والقعيد ما استدبرك ، وإنما كان الغراب هو المقدم عندهم في باب الشؤم لأنه لما كان
أسود ولونه مختلفا إن كان أبقع ولم يكن على إبلهم شيء أشد من الغراب ، وكان حديد
البصر يخاف من عينيه كما يخاف من عين المعيان قدموه في باب الشؤم انتهى . وقيل : إنما
سموه أعور لتغميض إحدى عينيه أبدا من قوة بصره . قاله ابن الأعرابي ، وسيأتي في الأمثال
شيء من هذا .

(فائدة) قال صاحب العشرات : لاسم الغراب من الأسماء المشتركة يقع على الثلج
وعلى الضفيرة من الشعر وعلى المعول وعلى رأس الورك وعلى الغراب نفسه . قال : أنشدني
أبو عبد الله المهلبى يعنى نفظويه كنى عنه لأنه كان في زمانه عن ثعلب عن ابن الأعرابي :
يا عجبا للعجب العجاب خمسة غربان على غراب

وقال أرسطاطاليس في [النعوت] : غراب البين جسمه أسود ومنقاره ورجلاه صفر
ومأكله من جميع النيات واللحوم ، وفي الحديث « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن نقرة
الغراب » يريد بذلك تخفيف السجود وأنه لا يمكن فيه إلا قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد
أكله ، وروى البخارى في الأدب والحاكم في المستدرک والبيهقى في الشعب وابن عبد البر
وغيرهم عن عبد الله بن الحارث الأموى عن أمه ربيعة بنت مسلم عن أبيها أنه قال « شهدت
مع النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ فقال : ما اسمك ؟ قلت : اسمى غراب ، فقال صلى الله
عليه وسلم : بل أنت مسلم » وإنما غير النبي صلى الله عليه وسلم اسمه لأنه حيوان خبيث الفعل
خبيث المطعم ولذلك أمر صلى الله عليه وسلم بقتله في الحل والحرم . وفي سنن أبى داود
« أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال : ما اسمك ؟ قال : أصرم . قال : بل أنت
زرعة » وإنما غيره لما فيه من معنى الصرم وهو القطع . قال أبو داود : وغير النبي صلى الله

عليه وسلم اسم العاص وعزير وعقلة وشيطان والحكم وحباب وشهاب ، وأرض تسمى عفرة فسمها النبي صلى الله عليه وسلم خضرة ، فالعاص كرهه لمعنى العصيان وإنما صفة المؤمن الطاعة والاستسلام ، وعزير إنما غيره لأن العزة لله تعالى وشعار العبد الذلة والاستكانة وقد قال الله تعالى عند ما قرع بعض أهدائه - ذق إنك أنت العزيز الكريم - وعقلة معناه الشدة والغلظة ومن صفة المؤمن اللين والسهولة قال صلى الله عليه وسلم « المؤمنون هينون لينون » والشيطان اشتقاقه من البعد عن الخير . والحكم هو الحاكم الذي لا يرد حكمه وهذه الصفة لا تليق بغير الله سبحانه وتعالى ، والحباب اسم الشيطان ، والشهاب اسم للشعلة من النار والنار عقوبة الله تعالى وهي محرقة مهلكة ننال الله النجاة منها . وأما عفرة فهو نعت لأرض لا تنبت شيئاً فسمها خضرة على معنى التفاؤل لتخضر وترزع ، وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث عبدالرحمن بن شبل وليس له في الكتب الستة سواه « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى المصلي عن نقرة الغراب » ورواه الحاكم بلفظ « نهى عن نقرة الغراب واقتراش السبع وأن يوطن الرجل المكان كما يوطنه البعير » يريد بنقرة الغراب تخفيف السجود وأنه لا يمكث فيه إلا قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد أكله .

وروى أبو يعلى الموصلي والطبراني في معجمه الأوسط عن سلمة بن قيصر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صام يوماً ابتغاء وجه الله باعده الله من النار كبعث غراب طار وهو فرخ حتى مات هرما » وفي إسناده ابن لهيعة وفيه كلام . وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه مثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورواه الإمام أحمد في الزهد والبخار وفيه رجل لم يسم ، وقد تقدم في باب الحياء المهملة في لفظ الحية مارواه الدار قطني عن أبي أمامة قال « دعا النبي صلى الله عليه وسلم بخفيه ليلبسهما فلبس أحدهما ثم جاء غراب فاحتمل الآخر ورمى به فخرجت منه حية ، فقال صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما » وفي إسناده هشام بن عمرو ذكره ابن حبان في الثقات وهو حديث صحيح إن شاء الله تعالى .

وقد تقدم في الأسرود السالخ حديث نظير هذا :

وروى الإمام أحمد في الزهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه كان إذا نعب الغراب قال : « اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك » وروينا عن ابن طبرزد بإسناده إلى الحكم بن عبد الله بن حطان عن الزهري عن أبي واقد عن روح بن حبيب قال : بينما أنا عند أبي بكر رضي الله تعالى عنه إذ أتى بغراب فلما رآه بجناحين حمد الله تعالى ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما صيد قط صيدا إلا ينقص من تسبيح ، ولا أنبت الله تعالى نابتة إلا وكل بها ملكا يحصى تسبيحها حتى يأتي به يوم القيامة ،

ولا عضدت شجرة ولا قطعت إلا بنقص من تسبيح ، ولا دخل على امرئ مكروه إلا بذنب ، وما عفا الله عنه أكثر يا غراب اعبد الله ثم خلى سبيله « وسأأتى نظير هذا في لفظ القسورة من كلام عمر رضى الله تعالى عنه .

(فائدة أخرى.) قال أبو الهيثم : يقال إن الغراب يبصر من تحت الأرض بقدر منقاره ، والحكمة في أن الله تعالى بعث إلى قابيل لما قتل أخاه هاويل غرابا ولم يبعث له غيره من الطير ولا من الوحش أن القتل كان مستغربا جدا إذ لم يكن معهودا قبل ذلك فناسب بعث الغراب قال الله تعالى - وائل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا - الآيات . قال المفسرون : كان قابيل صاحب زرع فقرب أرذل ما عنده وأدناه ، وكان هاويل صاحب غنم فعمد إلى أفضل كباشه فقربه ، وكان دليل القبول أن تأتي نار تأكل القربان فأخذت النار الكبش الذى يقربه هاويل فكان ذلك الكبش يرعى في الجنة حتى أهبط إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام في فداء ولده إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وكان قابيل أسن ولد آدم عليه الصلاة والسلام : وروى أن آدم حجج إلى مكة وجعل قابيل وصيا على بنيهِ فقتل قابيل هاويل ، فلما رجع آدم قال : أين هاويل ؟ فقال : لا أدري . فقال آدم : اللهم العن أرضا شربت دمه ، فمن ذلك الوقت لم تشرب الأرض دما ، ثم إن آدم بقي مائة عام لا يتبسم حتى جاءه ملك الموت فقال له : حيالك الله يا آدم وبياك . قال : وما بياك ؟ قال : أضحكك : وروى أن قابيل حمل أخاه هاويل ومشى به حتى أروح ولم يدر ما يصنع به ، فبعث الله غرابين فقتل أحدهما الآخر ، ثم بحث في الأرض بمنقاره ودفنه ، فاقتدى به قابيل ، فكان بعث الغراب حكمة كبرى ليرى ابن آدم كيف المواراة ؛ وهو معنى قوله تعالى : - ثم أماته فأقبره - .

وروى أنس رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « امتن الله تعالى على ابن آدم بالريح بعد الروح ، ولولا ذلك مادفن حبيب حبيبا » . وقابيل أول من يساق إلى النار من ولد آدم . قال الله تعالى : - ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس - وهما قابيل وإبليس .

وروى أنس رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الثلاثاء ؟ فقال : « يوم الدم فيه حاضت حواء ، وفيه قتل ابن آدم أخاه » . قال مقاتل : وكان قبل ذلك السباع والطيور تستأنس بآدم ، فلما قتل قابيل هاويل هربت منه الطير والوحش ؛ وشاكت الأشجار ، وحمضت الفواكه ، وملحت المياه ، واغبرت الأرض .

وروى أبو داود عن سعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه « أنه قال يا رسول الله : إن دخل على إنسان في الفتنة وبسط إلى يده فقال : كن كخير ابنى آدم وتلا هذه الآية » . (عجيبة) : نقل القزويني عن أبي حامد الأندلسي أن على البحر الأسود من ناحية

الأندلس كنيسة من الصخر منقورة في الجبل عليها قبة عظيمة ، وعلى القبة غراب لا يبرح ، وفي مقابل القبة مسجد يزوره الناس يقولون إن الدعاء فيه مستجاب ، وقد شرط على القسيسين ضيافة من يزور ذلك المسجد من المسلمين ، فإذا قدم زائر أدخل الغراب رأسه في روزنة على تلك القبة وصاح صيحة ، وإذا قدم اثنان صاح صيحتين وهكذا كلما وصل زوار صاح على عددهم ، فتخرج الرهبان بطعام يكفي الزائرين ، وتعرف تلك الكنيسة بكنيسة الغراب ، وزعم القسيسون أنهم مازالوا يرون غرابا على تلك القبة ولا يدرون من أين يأكل أو يشرب .

(عجيبة أخرى) : قال أبو الفرج المعافى بن زكريا في كتاب [الجليس والأئيس] له : كنا نجلس في حضرة القاضي أبي الحسن فجلنا على العادة فجلنا عند بابيه ، وإذا أعرابي جالس كانت له حاجة إذ وقع غراب على نخلة في الدار فصرخ ثم طار . فقال الأعرابي : إن هذا الغراب يقول : إن صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام . قال : فزجرناه فقام وانصرف ، ثم خرج الإذن من القاضي إلينا ، فدخلنا فوجدناه متغير اللون مغتما ، فقلنا له ما الخبر ؟ فقال : رأيت البارحة في النوم شخصا يقول :

منازل آل عباد بن زيد على أهليك والنعم السلام

وقد ضاق صدرى لذلك ، فدعونا له وانصرفنا ، فلما كان في اليوم السابع من ذلك اليوم دفن . قال القاضي أبو الطيب الطبري : سمعت هذه الحكاية من لفظ شيخنا أبي الفرج المذكور .

(عجيبة أخرى) قال يعقوب بن السكيت : كان أمية بن أبي الصلت في بعض الأيام يشرب فجاء غراب فنعب نعبه : فقال له أمية : بفيك التراب ، ثم نعب أخرى فقال له أمية : بفيك التراب ثم أقبل على أصحابه فقال : أتدرون مايقول هذا الغراب ؟ زعم أني أشرب هذا الكأس فأموت ، وأمارة ذلك أنه يذهب إلى هذا الكوم فيبتلع عظما فيموت . قال : فذهب الغراب إلى الكوم فابتلع عظما فمات ، ثم شرب أمية الكأس فمات من حينه اه .

قلت : وأمية بن أبي الصلت الكافر المذكور في مختصر المنزى والمذهب وغيرهما في كتاب الشهادات ، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم شعره الذي فيه حكمه ، وإقراره بالوحدانية والبعث ، واسم أبي الصلت عبد الله بن ربيعة بن عوف ، وكان أمية يتعبد في الجاهلية ويؤمن بالبعث ، وينشد في ذلك الشعر الحسن ، وأدرك الإسلام ولم يسلم .

وروى الترمذي والنسائي وابن ماجه عن الشريد بن سويد رضى الله تعالى عنه قال :

« ردت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت : نعم فقال : هيه ، فأنشده بيتاً ، فقال : هيه ، ثم أنشده بيتاً ، فقال : هيه ، حتى أنشده مائة بيت . فقال صلى الله عليه وسلم : إن كاد ليسلم . » وفي رواية : « لقد كاد أن يسلم بشعره » وإنما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لما سمع قوله :

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا فلا شيء أعلى منك حمداً وأمجداً

وفي مسند الدارمي من حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : صدق النبي صلى الله عليه وسلم أمية بن أبي الصلت في أبيات من شعره في قوله :

زحل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال صلى الله عليه وسلم : صدق ، قال :

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها متورد

فقال صلى الله عليه وسلم : صدق ، قال :

تأبى فما تبدو لنا في رسلها إلا معذبة وإلا تجلد

فقال صلى الله عليه وسلم : صدق .

قال السهيلي في التعريف والإعلام : قوله تعالى : - واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها - الآية . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : إنها نزلت في بلعام بن باعوراء . وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما : إنها نزلت في أمية ابن أبي الصلت النقي ، وكان قد قرأ التوراة والإنجيل في الجاهلية ، وكان يعلم أنه سيبعث نبي من العرب فطمع أن يكون هو ، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخرجت النبوة عن أمية حسده وكفر ، وهو أول من كتب باسمك اللهم ، ومنه تعلمت قريش فكانت تكتب به في الجاهلية ، ولتعلم أمية هذه الكلمة نبأ عجيب ذكره المسعودي ، وذلك أن أمية كان مصحوباً تبدو له الجن ، فخرج في غير من قريش فرت بهم حية فقتلواها ، فاعترضت لهم حية أخرى تطلب بنأرها وقالت : قتلتم فلانا ، ثم ضربت الأرض بقضيب فنفرت الأبل فلم يقدرُوا عليها إلا بعد عناء شديد ، فلما جمعوا جاءت فضربت ثانية فنفرت فلم يقدرُوا عليها إلا بعد نصف الليل ، ثم جاءت فضربت ثالثة فنفرتها فلم يقدرُوا عليها حتى كادوا أن يهلكوا بها عطشا وعناء ، وهم في مفازة لا ماء فيها فقالوا لأمية : هل عندك من حيلة ؟ قال : لعلها ، ثم ذهب حتى جاوز كتيبا ، فرأى ضوء نار على بعد فأتبعه حتى أتى على شبيخ في خيابه ، فشكا إليه ما نزل به وبصحبته وكان الشيخ جنيا فقال : اذهب فإن جاءتكم فقولوا باسمك اللهم سبعا ، فارجع إليهم وقد أشرفوا على الهلكة فأخبرهم بذلك ، فلما جاءتهم الحية قالوا ذلك فقالت :

تبالكم من علمكم هذا؟ ثم ذهبت وأخذوا إبلهم ، وكان فيهم حرب بن أمية بن عبدشمس جد معاوية بن أبي سفيان فقتله الحن بعد ذلك بثأر الحية المذكورة وقالوا فيه :
 وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر
 وقد أسلمت عاتكة أخت أمية بن أبي الصلت هذا وأخبرت عنه بنجر ذكره عبد الرزاق في تفسيره ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب في باب النون في الكلام على النسر ما يوافق ذلك..

(الحكم) يحرم أكل الغراب الأبقع الفاسق ، وأما الأسود الكبير وهو الجبلى فهو حرام أيضا على الأصح وبه قطع جماعة . وغراب الزرع حلال على الأصح ، وقد تقدم حكم العقوق والغداف ، وقال أبو حنيفة : الغرابان كلاهما حلال .

روى البخارى في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خمس من الدواب ليس على قاتلهن جناح : الغراب والحدأة والفأرة والحية والكلب العتور » وفي سنن ابن ماجه والبيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحية فاسقة . والفأرة فاسقة . والغراب فاسق » وفي سنن ابن ماجه أيضا قيل لابن عمر رضى الله تعالى عنهما أيؤكل الغراب؟ قال : ومن يأكله بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه « إنه فاسق » وهذه القواسق الخمس لا ملك لأحد فيها ولا اختصاص كذا نقله الرافعى في كتاب [ضمان البهائم] عن الإمام وأقره ، وعلى هذا فلا يجب ردها على غاصبها ،
 (الأمثال) قال الشاعر :

ومن يكن الغراب له دليلا يمر به على جيف الكلاب

وقالوا : لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب : أى لا أفعل ذلك أبدا ، لأن الغراب لا يشيب أبدا :

روى الحافظ أبو نعيم في حليته في ترجمة سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام : أن رجلا ركب البحر فانكسرت السفينة فوقع في جزيرة فكثت ثلاثة أيام لم ير أحدا ولم يأكل ولم يشرب فتمثل بقول القائل :

إذا شاب الغراب أتيت أهلى وصار القار كاللبن الحليب
 فأجابه صوت مجيب لا يراه :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراء فرج قريب

فنظر فإذا سفينة قد أقبلت فلوح إليهم فأتوه فحملوه فأصاب خيرا كثيرا . وقالوا : أبصر من غراب : زعم ابن الأعرابي أن العرب تسمى الغراب الأعور لأنه يغمض أبدا

إحدى عينيه ويقتصر على النظر بإحدهما من قبة بصره . وقال غيره : إنما سموه أعور لحدّة بصره على طريق التفاؤل . قال بشار بن برد الأعمى :

وقد ظلّموه حين سموه سيّداً كما ظلّم الناس الغراب بأعورا

وقد تقدم عن أبي الهيثم : أن الغراب يبصر من تحت الأرض بقدر منقاره . وقالوا : أخيل من غراب ، وأزهى وأبكر من غراب ، فإنه أشد الطير بكورا . وقالوا : أبطأ من غراب نوح ، وذلك أن نوحا عليه الصلاة والسلام أرسله لينظر هل غرقت البلاد ويأتيه بالخبر ، فوجد جيفة طافية على وجه الماء فاشتغل بها ولم يأته بالخبر ، فدعا عليه فعقلت رجلاه وخاف من الناس . وقالوا : كأنهم كانوا غرابا واقعا ، يضرب فيما ينقضى سريعا ، فإن الغراب إذا وقع لا يلبث أن يطير . وقالوا : كالغراب والذئب ، يضرب للرجلين بينهما موافقة فلا يختلفان ، لأن الذئب إذا أغار على غنم تبعه الغراب ليأكل ما فضل منه . وقالوا : الغراب أعرف بالتمر ، وذلك أن الغراب لا يأخذ إلا الأجود منه ، ولذلك يقال وجد تمر الغراب إذا وجد شيئا نفيسا . وقالوا : أشأم من غراب البين ، وإنما لزمه هذا الاسم لأنه إذا بان أهل الدار للنجعة وقع في موضع بيوتهم يلتمس ويتمتم فيتشاءموا به ويتطيروا منه إذ كان لا يعترى منازلهم إلا إذا بانوا فلذلك سموه غراب البين ؛ وقال فيه شاعرهم :

وصاح غراب فوق أعواد بانه بأخبار أحبابي فهيمنى الفسکر

فقلت غراب باغتراب وبانه بين النوى تلك العيافة والزجر

وهبت جنوب باجتنابي منهم وهاجت صبا قلت الصبا بة والهجر

وقالوا : أحذر من غراب :

حكى المسعودى عن بعض حكماء الفرس أنه قال : أخذت من كل شيء أحسن ما فيه حتى انتهى إلى ذلك إلى السكلب والهرة والخنزير والغراب . قيل له : فما أخذت من السكلب؟ قال : إلفه لأهله وذبه عن صاحبه . قيل : فما أخذت من الهرة؟ قال : حسن تأنيها وتملقها عند المسئلة . قيل : فما أخذت من الخنزير؟ قال : بكوره في حوائجه . قيل : فما أخذت من الغراب؟ قال : شدة حذره . وقالوا : أغرب من غراب ، وأشبهه بالغراب من الغراب .

(غريبة) رأيت في كتاب [الدعوات] للإمام أبي القاسم الطبراني ، وفي تاريخ ابن النجار في ترجمة أبي يعقوب يوسف بن الفضل الصيدلاني ، وفي [الإحياء] في كتاب آداب السفر عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : بينما عمر رضى الله تعالى عنه جالس يعرض الناس إذ هو برجل معه ابنة فقال له : ويحك ما رأيت غرابا أشبه بغراب من هذا بك قط . قال : يا أمير المؤمنين هذا ما ولدته أمه إلا وهى ميتة ، فاستوى عمر جالسا وقال له :

حدثني حديثه . قال : يا أمير المؤمنين خرجت لسفر وأمه حامل به فقالت : تخرج وتركني على هذه الحال حاملا مثقلة ؟ فقلت : أستودع الله ماني بطنك ، ثم خرجت فغبت أعواما ثم قدمت فإذا بابي مغلق فقلت : ما فعلت فلانة ؟ قالوا : ماتت ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم انطلقت إلى قبرها فبكيته عندها ثم رجعت فجلست إلى بني عمي ، فبينما أنا كذلك إذ ارتفعت لي نار من بين القبور فقلت لبني عمي : ما هذه النار ؟ فقالوا : ترى على قبر فلانة كل ليلة ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أما والله لقد كانت صوامة قوامة عفيفة مسلمة انطلقوا بنا إليها ، فانطلقنا فأخبرت الناس وأتيت القبر فإذا القبر مفتوح وإذا هي جالسة وهذا الوليد يدور حولها ، وإذا مناد ينادي : أيها المستودع ربه وديعته خذ وديعتك أما والله لو استودعت أمه لوجدتها ، فأخذته وعاد القبر كما كان والله يا أمير المؤمنين . قال أبو يعقوب : فحدثت بهذا الحديث في الكوفة فقالوا : نعم هذا الرجل كان يقال له خزين القبور .

وقريب من هذا الخبر في غريب اتفاقه ولطيف مساقه ما حكاه الحافظ المزني في تهذيبه في ترجمة عبيد بن واقد الليثي البصري أنه قال : خرجت أريد الحج فوقف على رجل بين يديه غلام من أحسن الغلمان صورة وأكثرهم حركة فقلت : من هذا ومن يكون ؟ قال : ابني ، وسأحدثك عنه : خرجت مرة حاجا ومعى أم هذا الغلام وهي حامل به فلما كنا في بعض الطريق ضربها الطلق فولدت هذا الغلام وماتت ، وحضر الرحيل فأخذت الصبي فلففته في خرقة وجعلته في غار وبنيت عليه أحجارا ، وارتحلت وأنا أرى أنه يموت من ساعته ، فقضينا الحج ورجعنا ، فلما نزلنا ذلك المنزل بادر بعض أصحابي إلى الغار فنقض الأحجار فإذا هو بالصبي يلتقم إبهاميه ، فنظرنا فإذا اللبن يخرج منهما فاحتملته معي هو الذي ترى :

(الخواص) إذا علق منقار الغراب على إنسان حفظ من العين ، وكبده تذهب الغشاوة اكتحالاً ؛ وإذا علق طحالها على إنسان هيج الشبق ، وإذا سقى إنسان من دمه مع نبيذ أبغض النبيذ حتى لا يرجع يشربه ، ويبيضه إذا طرح في النورة نفع مستعمله ، ودمه إذا جفف وحشي به البواسير أبرأها ، وقلبه ورأسه إذا طرحا في النبيذ وسقى الإنسان منه من يريد محبته فإن الشارب يحب الساقى محبة عظيمة ؛ ولحم المطوق إذا أكل مشويا نفع القولنج ، ومرارة الغراب إذا طلى بها إنسان مسحور بطل عنه السحر ، وإذا غمس الغراب الأسود بريشه في الخل وطلّى به الشعر سوده ، وزبل الغراب الأبلق الذي يسمى اليهودي ينفع الخنازير والخوانيق ، وإن صر في خرقة وعلق على الصبي الذي لم يبلغ الحلم نفعه من السعال المزمن وقطعه ؛ وإذا أكل الغراب الكتلة سقط ولم يقدر على الطيران لاسياً في زمن الصيف .

(التعبير) الغراب في المنام : يدل على رجل مخامر غدار واقف مع حظ نفسه ؛ وربما يدل على الحرص في المعاش ، وربما كان حفارا ومن يستحل قتل النفس ، وربما دل على الخفر في الأرض ودفن الأموات لقوله تعالى : - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض - الآية ، وربما دل الغراب على الغربة والتشاؤم بالأخبار والغموم والأنكاد وطول السفر ، وعلى ما يوجب الدعاء عليه من أهله وأقاربه أو سلطانه لسوء تدبيره .

وغراب الزرع : يدل على ولد الزنا والرجل الممزوج بالخير والشر ، والغراب الأبقع يدل على رجل معجب بنفسه كثير الخلاف وهو من الممسوخ ، فمن صاد غرابا نال مالا حراما في ضيق بمكابدة ولحم كل طير وريشه وعظمه مال لمن حواه في المنام ، وإذا رأى الغراب على زرع أو شجر فإنه شؤم ، ومن رأى غرابا في داره فإن فاسقا يخونه في امرأته ، ومن رأى غرابا يحدته فإنه يرزق ولدا خبيثا . وقال ابن سيرين : بل يغم غما شديدا ثم يفرج عنه ، ومن رأى كأنه يأكل لحم غراب فإنه يأخذ مالا من قبل اللصوص ، ومن رأى غرابا على باب الملك فإنه ينجى جناية يندم عليها أو يقتل أخاه ثم يندم على ذلك لقوله تعالى - فأصبح من النادمين - فإن رأى الغراب يبحث فالدليل قوى على قتل الأخ ، ومن رأى غرابا خدشه فإنه يهلك في البرية أو يناله ألم ووجع ، ومن رأى كأنه أعطى غرابا نال سرورا : وقال أراطميدورس : الغراب الأبقع يدل على طول الحياة وبقاء المتاع ، وربما دل على العجائز وذلك لطول عمر الغراب وهن رسل النساء ، ومن الرؤيا المعبرة أن رجلا رأى كأن غرابا سقط على الكعبة فقصها على ابن سيرين فقال : رجل فاسق يتزوج بامرأة شريفة ، فتزوج الحجاج بابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

﴿ الغر ﴾ : بضم الغين ضرب من طير الماء أسود الواحدة غرة الذكر والأنثى في ذلك سواء ، قاله ابن سيده :

﴿ الغرنيق ﴾ : بضم الغين وفتح النون قال الجوهري والزمخشري : إنه طائر أبيض طويل العنق من طير الماء . وقال في نهاية الغريب : إنه الذكر من طير الماء ، ويقال له غرنوق وغرنوق ، وقيل هو السكركي ، وعن أبي صبرة الأعرابي : أنه إنما سمي بذلك لبياضه . قال الهذلي يصف غواصا :

أجاز إليها لجة بعد لجة أزل كغرنيق الضححول عموج

وإذ وصف به الرجال فواحدهم غرنيق وغرنوق بكسر الغين وفتح النون فهما وغرنوق بالضم فهما ، وقيل الغرائيق والغرائقة طيور سود في قدر البط .

روى الطبراني بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير أنه قال : مات ابن عباس رضى الله تعالى

عنهما بالطائف فشهدنا جنازته ، فجاء طائر لم ير مثله على خلقة الغزنيق حتى دخل في نعشه ثم لم ير خارجا منه ، فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لم ندر من تلاها - يأيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي - ثم روى مسلم عن عبد الله بن ياسين نحوه إلا أنه قال : جاء طائر أبيض يقال له الغرنوق ، وفي رواية : كأنه قبطية ، والقبطية : ثياب بيض من كتان نسج مصر تنسب إلى القبط بالضم فرقا بين الأيام والثياب والجمع القباطي .

قال القزويني : الغرنوق من الطيور القواطع ، وهي إذا أحست بتغير الزمان عزمت على الرجوع إلى بلادها فعند ذلك تتخذ قائدا حارسا ثم تنهض معاً ، فإذا طارت ترتفع في الهواء حتى لا يعرض لها شيء من السباع ، فإذا رأت غيا أو غشياً الليل أو سقطت للطعم أمسكت عن الصياح كي لا يحس بها العدو ، وإذا أرادت النوم أدخل كل واحد منها رأسه تحت جناحه . لعلمه أن الجناح أهل للصدمة من الرأس لما فيه من العين التي هي أشرف الأعضاء والدماغ الذي هو ملاك البدن ، وينام كل واحد منها قائماً على إحدى رجليه حتى لا يكون نومه ثقيلاً وأما قائدها وحارسها فلا ينام ولا يدخل رأسه في جناحه ولا يزال ينظر في جميع الجوانب فإذا أحس بأحد صاح بأعلى صوته . ثم حكى عن يعقوب بن إسحاق السراج أنه قال : رأيت رجلاً من أهل رومية قال : ركبت بحر الزنج فألقنتي الريح إلى بعض الجزائر ، فوصلت منها إلى مدينة أهلها أناس قامتهم قدر ذراع وأكثرهم عور ، فاجتمع على منهم جمع فأخذوني واتهوا بي إلى ملكهم ، فأمر بحبسي فحبست في شبه قفص ، ثم رأيتهم في بعض الأيام يستعدون للقتال ، فسألتهم فقالوا : لنا عدو يأتينا في مثل هذه الأيام ، فلم نلبث إلا وقد طلعت عليهم عصابة من الغرائيق وكان عورهم من نقرها أعينهم ، فأخذت عصا وشدت عليها فطارت وهربت فأكرموني لذلك .

(فائدة) قال القاضي عياض وغيره « إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال - أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى - قال : تلك الغرائيق العلاء وإنشفاعتهن لترجي ، فلما ختم السورة سجد وسجد من معه من المسلمين والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم ثم أنزل الله تعالى عليه - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته - . الآية » وأجابوا عنه بضعف الحديث فإنه لم يخرج أحد من أهل الصحيح ولا رواه ثقة بإسناد صحيح سليم متصل ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولوعون بكل غريب المتلفون لسكل صحيح وسقيم ، والذي منه في الصحيح « أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس » هذا توهينه من جهة النقل ، وأما من جهة المعنى فقد قامت الحججة وأجمعت الأمة على عصمته

صلى الله عليه وسلم وزاھته عن مثل هذا ، ولم يجعل الله تعالى للشيطان عليه ولا على أحد من الأنبياء سبيلاً ؛ وعلى تقدير صحة ما رويته وقد أعادنا الله من صحته فالراجح في تأويله عند المحققين أنه عليه الصلاة والسلام كان كما أمره الله تعالى يرتل القرآن ترتيلاً ويفصل الآيات تفصيلاً في قراءته ؛ فمن ثم ترصد الشيطان لتلك السكنات ودس كلاماً في تلك الكلمات محاكياً نغمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من قوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يقدح ذلك عند المسلمين بل روى محمد بن عقبه أن المسلمين لم يسمعوها وإنما ألقاها الشيطان في أسماع الكفار وعقولهم ، وأيضاً فجاهد والكاتب فسر الغرائيق العلاء بأنها الملائكة ، وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله تعالى كما حكاه جل وعلا عنهم ورد عليهم في السورة بقوله تعالى - ألكم الذكر وله الأنثى - فأنكر الله تعالى كل ذلك من قولهم ، ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح ، فلما تأوله المشركون على أن المراد به ذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم وألقاه لإيهام نسخ الله تعالى ما أنقى الشيطان وأحكم آياته ورفع تلاوة ما حاوله الشيطان كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في إنزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكم ليضل به من يشاء ويهدى به من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين - ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لن في شقاق بعيد ، وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله هادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم - .

(فائدة أخرى) روى الإمام محمد بن الربيع الجيزي في مسنده من دخل مصر من الصحابة رضى الله تعالى عنهم عن عقبه بن عامر رضى الله تعالى عنه أنه قال « كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخدمه فإذا أنا برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف أو كتب فقالوا استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرفت إليه فأخبرته بمكانهم فقال صلى الله عليه وسلم : مالي ولهم يسألوني عما لا أدري إنما أنا عبد لا أعلم لي إلا ما علمني ربي عز وجل ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : أبغني وضوءاً نتوضأ ، ثم قام إلى مسجد في بيته فركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرفت السرور في وجهه والبشر ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : اذهب فأدخلهم ومن وجدت من أصحابي بالباب فأدخله معهم . قال : فأدخلتهم ، فلما رفعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن شئتم أخبركم عما أردتم أن تسألوني قبل أن تتكلموا ، وإن شئتم تكلموا به وأخبركم فقالوا : بل أخبرنا قبل أن نتكلم . قال صلى الله عليه وسلم : جئتم تسألوني عن ذى القرنين وسأخبركم عما تجدونه مكتوباً عنكم : إن أول أمره أنه غلام من الروم أعطى ملكاً فسار حتى بلغ ساحل أرض مصر فابتنى عنده مدينة يقال لها الإسكندرية ، فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فخرج به حتى استقله فرفعه ثم قال له : انظر ماذا ترى تحتك ؟ قال : أرى مدينتي وأرى مدائن معها ، ثم عرج به وقال : انظر ماذا تحتك ؟ قال : قد اختلطت مدينتي مع المدائن

فلا أعرفها ، ثم زاد فقال : انظر . فقال : أرى مدينتي وحدها لأرى معها غيرها ، فقال له الملك : إنما تلك الأرض كلها والذي ترى محيطا بها هو البحر ، وإنما أرا ربك عز وجل أن يريك الأرض ، وقد جعل لك سلطانا وسوف يعلم الجاهل ويثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ، ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ، ثم أتى السدين وهما جبلان لبنان يزلق عنهما كل شيء فبنى السد ثم جاء بأجوج ومأجوج ، ثم قطعهم فوجد قوما وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون بأجوج ومأجوج ، ثم قطعهم فوجد قوما قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ، ثم مضى فوجد أمة من الغرائيق يقاتلون القوم القصار ، ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتمم الحية منها الصخرة العظيمة ، ثم أفضى إلى البحر المحيط بالأرض ، فقالوا : نشهد أن أمره كان هكذا كما ذكرت ، وإنما نجده هكذا في كتبنا .

وروى أن ذا القرنين لما بنى السد وأحكمه انطلق يسير حتى وقع على أمة صالحه يهودون بالحق وبه يعدلون متنسطة مقتصدة يقسمون بالسوية ، ويحكمون بالعدل ويتراحمون حالهم واحدة ، وكلمتهم واحدة وأخلاقهم مستقيمة ، وطريقتهم مستوية ، وقبورهم بأبواب بيوتهم ، وليس لبيوتهم أغلاق ، وليس عليهم أمراء ، ولا بينهم قضاة ، ولا بينهم أغنياء ولا فقراء ، ولا أشرف ولا ملوك ، لا يختلفون ولا يتفاضلون ولا يتنازعون ولا يتسابون ولا يقتتلون ولا يضحكون ولا يحزنون ولا نصيبهم الآفات التي بصيب الناس ، وهم أطول الناس أعمارا ، وليس فيهم مسكين ولا فقير ، ولا فظ غليظ . فلما رأى ذلك ذو القرنين عجب من أمرهم وقال : خبروني أيها القوم خبركم ، فإنني قد أحصيت الدنيا كلها ، برها وبحرها ، شرقها وغربها ، فلم أر أحدا مثلكم ، فخبروني خبركم . قالوا : نعم . فسل عما تريد فقال : خبروني ما بال قبوركم على أبواب بيوتكم ؟ قالوا : عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت ، ولئلا يخرج ذكره من قلوبنا . قال : فما بال بيوتكم ليس عليها أغلاق ؟ قالوا : ليس فينا متهم ، وليس منا إلا أمين . قال : فما بالسكم ليس عليكم أمراء ؟ قالوا : لا حاجة لنا بذلك . قال : فما بالسكم ليس عليكم حكام ؟ قالوا : لأننا لا نختصم . قال : فما بالسكم ليس فيكم أغنياء ؟ قالوا : لأننا لا نتكاثر بالأموال . قال : فما بالسكم ليس فيكم ملوك ؟ قالوا : لأننا لا نرغب في ملك الدنيا . قال : فما بالسكم ليس فيكم أشرف ؟ قالوا ، لأننا لا نتفاخر . قال : فما بالسكم لا تتنازعون ولا تختلفون ؟ قالوا : من صلاح ذات بيننا . قال : فما بالسكم لا تقتتلون ؟ قالوا : من أجل أنا أسسنا أنفسنا بالحلم . قال : فما بال كلمتكم واحدة ، وطريقتكم مستقيمة ؟ قالوا : من قبل أنا لا نتكاذب ولا نتخادع ، ولا يغتاب بعضنا بعضا . قال : فأخبروني . قال : شيء تشابهت قلوبكم ، واعتدلت سرائركم ؟ قالوا : صحت نياتنا ، ففرع بذلك الغل من صدورنا ، والحسد من قلوبنا . قال : فما بالسكم ليس فيكم مسكين ولا فقير ؟ قالوا : من

قبل أنا نقتسم بالسرية. قال: فما بالكم ليس فيكم فظ غليظ؟ قالوا: من قبل الذل والتواضع لربنا. قال: فلأى شيء أنتم أطول الناس أعمارا؟ قالوا: من قبل أنا نتعاطى بالحق ونحكم بالعدل. قال: فلأى شيء لا تضحكون؟ قالوا: لئلا نغفل عن الاستغفار. قال: فما بالكم لا تحزنون؟ قالوا: من أجل أنا وطننا أنفسنا للبلاء مذكنا أطفالا فأحببناه وحرصنا عليه. قال: فلأى شيء لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس؟ قالوا: لأننا لا نتوكل على غير الله تعالى ولا نعمل بالأنوار والنجوم. قال: حدثوني هكذا وجدتم آباءكم قالوا: نعم ، وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم ، ويواسون فقراءهم ، ويعفون عن ظلمهم ، ويحسنون إلى من أساء إليهم ، ويحلمون على من جهل عليهم ، ويصلون أرحامهم ، ويؤدون أماناتهم ، ويحفظون وقت صلواتهم ، ويوفون بعهودهم : ويصدقون في مواعيدهم فأصلح الله بذلك أمرهم وحفظهم ما داموا أحياء ، وكان حقا عليه أن يخلفهم بذلك في عقبهم ، فقال ذو القرنين : لو كنت مقيا عند أحد لأقت عندكم ولكن لم أؤمر بالإقامة ، وقد ذكرنا الإختلاف بين العلماء في نسبه واسمه ونبوته في باب السين المهملة في السعلاة .

(الحكم) يحل أكل الغرائيق لأنها من الطيبات .

(الخواص) زبل الغرينيق يسحق بالماء وتبل فيه فتيلة ويجعل في الأنف ينفع من كل فرحة تكون فيها ، والله أعلم .

﴿ الفرغر ﴾ : بالسكسر الدجاج البرى الواحد غرغرة ، وأنشد أبو عمرو لابن أحر :

ألفهم بالسيف من كل جانب كما لفت العقبان حجلى وغرغرا

وفي كتاب [الغريب] قال الأزهرى : كانوا بنى إسرائيل من أهل تهامة أعز الناس على الله فقالوا قولاً لم يقله أحد فعاقبهم الله تعالى بعقوبة ترونها الآن بأعينكم : جعل رجالهم القردة وبرهم الذرة وكلابهم الأسود ورماتهم الحنظل وعنبهم الأراك وجوزهم السرو ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبش لا ينتفع بلحمه لرائحته .

(وحكمه) حل الأكل لأن العرب لا تستخبئه ، والله أعلم .

﴿ الفرناو ﴾ : بالسكسر طائر : حكاه ابن سيده .

﴿ الغزال ﴾ : ولد الظبية إلى أن يقوى ويطلع قرناه والجمع غزلة وغزلان مثل غلمة

وغلمان والأنثى غزاة كذا قاله ابن سيده وغيره ، واستعمله الحريرى في آخر المقامة الخامسة كذلك في قوله : فلما ذر قرن الغزاة طمر طمور الغزاة أراد بالأول الشمس وبالثنى الأثنى من أولاد الظباء ، وقد غلظه في ذلك بعضهم والصواب عدم تغليظه فإنه مسموع مستعمل نظماً ونثراً . قال الصلاح الصفدى في شرح لامية العجم وما أحسن قول القائل :

غدوت مفكرا في سر أفق إذا ما العلم مبدؤه الجهاله

فما طويت له سبل الدرارى إلى أن أظفرتة بالغراله

قال : وأنشدني لنفسه العلامة أبو الثناء محمود في وصف العقاب :

ترى الطير والوحش في كفها ومستقارها ذا عظام مزاله

فلو أمكن الشمس من خوفها إذا طلعت ما تسمت غزاله

قال : وقد غلظوا الحريري في قوله : فلما ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة . قالوا :

لم تقل العرب الغزالة إلا للشمس ، فلما أرادوا تأنيث الغزال قالوا الظبية ثم هي بعد ذلك ظبية

والذكر ظبي قاله في التحرير وقال : اعتمده فقد وقع فيه تخليط في كتب الفقهاء . قلت :

وقد وقع هو في ذلك في باب محرمات الإحرام ووقع للرافعي أيضا بعض اختلاف تقدم التنيبه

على بعضه في الكلام على حكم الظبي وقد تنازع جمال الدين يحيى بن مطروح وأبو الفضل

جعفر بن شمس الخلافة في بيت كل منهما ادعاه وهو هذا :

وأقول يا أخت الغزال ملاحه فنقول لا عاش الغزال ولا بقي

وبها سميت المرأة غزالة ، وهي امرأة شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي خرج في خلافة

عبد الملك بن مروان والحجاج أمير العراق يومئذ ، وخرج بالموصل وهزم عساكر الحجاج

وحصره في قصر الكوفة وضرب باب القصر بعموده فنقبه وبقيت الضربة فيه إلى أن خرب

قصر الإمارة ، وكانت زوجته غزالة نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما

بسورة البقرة وآل عمران ففعلت ، وكانت شجيعة وقيل فيها :

وفت - غزالة نذرها يارب لا تغفر لها

وهرب الحجاج في بعض حرابه مع شبيب من غزالة فعيّره عمران بن قطان السدوسي

بقوله :

أسد على وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا كررت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر

وحكى أن الحجاج لما برز له شبيب الخارجي في بعض أيام محاربه أبرز إليه غلاما له

ألبسه لباسه المعروف به وأركبه فرسه الذي لم يكن يقاتل إلا عليه ، فلما رآه شبيب غمس نفسه

في الحرب إلى أن خلص إليه فضربه بعمود كان بيده وهو يظنه الحجاج ، فلما أحس الغلام

بالضربة قال أخ بالخاء المعجمة فعرف شبيب منه بهذه اللفظة أنه عبد فائتي عنه وقال :

قبح الله ابن أم الحجاج أيتقى الموت بالعبيد . قال الجوهرى : والعرب إنما تنطق بهذه اللفظة

بالخاء المهملة ، ولما عجز الحجاج عن شبيب بعث إليه عبدا الملك عساكر كثيرة من الشام

فتكاثروا على شبيب فهرب ، فلما حصل على جسر دجلة بالأهواز نفر به فرسه وعليه

الحديد الثقيل من درع ونحوه فألقاه في الماء فقال له بعض أصحابه : أغرقا يا أمير المؤمنين ؟

قال : ذلك تقدير العزيز العليم ، فلما غرق ألقاه دجلة إلى الساحل فحملوه إلى الحجاج فشق

بطنه واستخرج قلبه ، فإذا هو كالحجر إذا ضربت به الأرض نبا عنها فشق ، فكان داخله قلب صغير كالكرة فشق فأصيب فيه علقمة من الدم ، وكان شبيب إذا صاح على الجيش لا يلوى أحد على أحد ، ولما غرق أحضر عبد الملك عتبان الحرورى وهو يرى رأى الخوارج فقال : يا عدو الله ألسنت القائل :

فإن يك منكم كابن مروان وابنه وعمرو ومنكم هاشم وحنيب
فنا حصين والبطين وقعب ونا أمير المؤمنين شبيب

فقال : لم أقل ذلك يا أمير المؤمنين ، وإنما قلت : ونا أمير المؤمنين شبيب ، فقبل قوله وعفا عنه ، وهذا الجواب فى نهاية الحسن ، فإنه إذا كان قوله ونا أمير المؤمنين شبيب مرفوعا كان مبتدأ فيسكون شبيب أمير المؤمنين ، وإذا نصب كان معناه : ونا يا أمير المؤمنين شبيب ، ولم يخرج عليهم أحد مثل شبيب ، فإن أيامه طالت وهزم عساكر كثير وجبى الخراج . وقال أبو يوسف الجوهري :

وإذا الغزاة فى السماء ترفعت وبدا النهار لوقته يترجل
أبدت لقرن الشمس وجها مثله تلقى السماء بمثل ما تستقبل

أراد بالغزاة الشمس وقت ارتفاعها فيقال طلعت الغزاة ولا يقال غربت الغزاة ، وقد أبدع الصنى الحلى فى غلام قلع ضرسه وأجاد حيث قال :

لحى الله الطيب لقد تعدى وجاء لقطع ضرسك بالمحال
أعاق الظبي فى كلنا يديه وسلط كلبتين على غزال

وفى سنن أبى داود من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الذى رواه مسلم « أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة قال المشركون : إنه يقدم عليكم غدا قوم وهنتهم الحمى فلما كان الغد جلسوا مما بلى الحجر ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يرموا ثلاثة أشواط ويمشوا ما بين الركبتين ليرى المشركون جلدتهم . فقال المشركون : هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء كأنهم الغزلان » فإن قيل هذا الحديث يعارضه ما فى صحيح مسلم عن ابن عمر وجابر رضى الله تعالى عنهم قالوا « إن النبي صلى الله عليه وسلم رمل من الحجر الأسود حتى انتهى إليه ثلاثة أطواف » فالجواب أن حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان فى عمرة القضاء سنة سبع قبل فتح مكة وكان أهلها مشركون حينئذ ، وحديث ابن عمر وجابر رضى الله تعالى عنهم كان فى حجة الوداع فىكون متأخرا ، فتعين الأخذ به وهو الصحيح من المذهب :

(وحكم الغزال الحل) كما تقدم فى باب الظاء فى لفظ الظبي ، وفيه إذا قتله المحرم أو فى الحرم عز كذا فى المحرم والمنهاج والتنبيه والمناسك وغيرها ، واستدلوا لذلك بقضاء الصحابة

رضى الله عنهم فيه بذلك ، والذي في زوائد الروضة وصححه في شرح المهذب تبعاً للإمام :
أن الغزال اسم للصغير من ولد الظباء ذكرًا كان أو أنثى إلى أن يطلع قرناه ثم الذكر صبي
والأنثى ظبية ، ففي الغزال ما في الصغار فإن كان ذكر فجدى وإن كان أنثى فعناق .
(الأمثال) قالوا : أنوم من غزال لأنه إذا رضع أمه فروى امتلاً نوما ، وقال : تركت
الشيء ترك الغزال لظله ، وظله كناسه الذي يستظل به من شدة الحر ، وهو إذا نفر منه
لا يعود إليه ألبنة ، وقالوا : أغزل من غزال ، ومغازلة النساء محادثتهن ، ويوصف بالغزل
غير الغزال من الحيوان كما قيل :

قد ألبستني في الهوى ملابس الصب الغزل

إنسانة إنسانة بدر الدجى منها خجل

إذا زنت عيني بها فبالدموع تغتسل

وقد تقدم في الظبي قولهم : ترك الغزال لظله ، ومن محاسن شعر المتنبي :

بدت قرأ ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وأشد الثعالي لبعض شعراء عصره :

رنا ظبيا وغنى عندليبيا ولاح شقائقا ومشى قضيبا

(الخواص) دماغ الغزال يداغ بدهن الفأر ويغلى ثم يؤخذ منه فيداغ بماء الكمون
ويشرب منه قدر جرعة ينفع للسعال ، ومرارته تخلط بقطران وملح ويشرب منها صاحب السعال
الذي يقذف القيح والدم جزءا بماء حار يبرأ بإذن الله تعالى ، وشحمه إذا طلى به إنسان
إحليله وجامع امرأته لم تحب سواه ، وقد تقدم في خواص الظبي أن لحم الغزال حار يابس
وأنه ينفع من القولنج والفالج وأنه أصلح لحوم الصيد ، والله أعلم .

﴿ الغضارة ﴾ : القطاة قاله ابن سيده ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب القاف .

﴿ الغضب ﴾ : الثور والأسد ، وقد تقدما في باب الحمزة والياء المثلثة .

﴿ الغضب ﴾ : القطا الجوني شكل معروف عند العرب .

﴿ الغضروف ﴾ : الأسد والحية الخبيثة ، وقد تقدما في باب الحمزة والياء المهملة .

﴿ الغضيض ﴾ : ولد البقرة الوحشية ، وقد تقدم لفظ البقرة الوحشية في باب الباء

الموحدة :

﴿ الغطرب ﴾ : الأفعى عن كراع ، وقال بعضهم : هذا تصحيف إنما هو بالعين المهملة

والطاء المعجمة .

﴿ الغطريف ﴾ : فرخ البازى ، والذباب ، والسيد الشريف ، والسحى : والجمع غطرفة .

﴿ الغطلس ﴾ : كعملس الذئب ، وقد تقدم فى باب الذال المعجمة

﴿ الغطاطا ﴾ : بالفتح ضرب من القطا ، غير الظهور والبطون والأبدان ، سود بطون الأجنحة ، طوال الأرجل والأعناق لطاف . لا تجتمع أسرابا وأكثر ما تكون ثلاثا أو اثنتين الواحدة غطاطة كذا قاله الجوهري . وقال ابن سيده : الغطاط القطا ، وقيل : القطا ضربان فالقصار الأرجل الصفر الأعناق السود القوادم الصهب الخوائى هى الكدرية والجنونية ، والطوال الأرجل البيض البطون الغير الظهور الواسعة العيون هى الغطاط وقيل الغطاط ضرب من الطير ليس من القطا .

﴿ الغفر ﴾ : بالضم ولد الأروية والجمع أغفار ، والغفر بالكسر ولد البقرة الوحشية .

﴿ الغمات ﴾ : مشددة طائر ينغمس فى الماء كثيراً ، ولذلك عدوه من طير المساء ، والجمع غماس .

﴿ الغنافر ﴾ : بالضم الضبعان الكثير الشعر ، وقد تقدم لفظ الضبع فى باب الضاد المعجمة .

﴿ الغنم ﴾ : الشاء لا واحد له من لفظه ، والجمع أغنام وغنوم وأغانم ، وغنم مغنمة : أى كثيرة : هذه عبارة المحكم : وقال الجوهري : الغنم اسم مؤنث موضوع للجنس يقع على الذكور والإناث وعليهما جميعاً ، وإذا صغرتها ألحقها الماء فقلت غنيمة ، لأن أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم يقال له خمس من الغنم ذكور فتؤنث العدد ، وإن عنت الكباش إذا كان يليه من الغنم ذكور لأن العدد يجرى فى تكبيره وتأنيثه على اللفظ لا على المعنى ، والإبل كالغنم فى جميع ما ذكرناه ، وقد أجاد الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه حيث يقول :

سأكنم علمى عن ذوى الجهل طاقى
فإن يسر الله الكريم بفضله
بثت مفيدا واستفدت ودادهم
فن منع الجهال علما أضاعه
ولا أنثر الدر النفيس على الغنم
وصادفت أجيالا للعلوم وللحكم
وإلا فمخزون لدى ومكتم
ومن منع المستوجبين فقد ظلم

روى عبد بن حميد بسنده إلى عطية عن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه . قال :
« افتخر أهل الإبل وأهل الغنم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام
« السكينة والوقار فى أهل الغنم ، والنخز والخيلاء فى أهل الإبل » وهو فى الصحيحين بالفاظ

مختلفة: منها «السكينة والوقار في أهل الغنم، والفخر والرياء في الفدادين أهل الخيل والوبر» وفي لفظ «الفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أصحاب الشاء» أراد بالسكينة السكون، وبالوقار التواضع، وأراد بالفخر التفاحز بكثرة المال والجاه وغير ذلك من مراتب أهل الدنيا، وبالخيلاء التكبر والتعظيم ومنه قوله تعالى - إن الله لا يحب كل مختال فخور - ومراده بالوبر أهل الإبل لأنه لها كالصوف للضأن والشعر للمعز، ولذلك قال الله تعالى - ومن أوصافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين - وهذا منه صلى الله عليه وسلم إخبار عن أكثر حال أهل الغنم وأهل الإبل وأغلبه، وقيل أراد به عليه الصلاة والسلام أى بأهل الغنم أهل اليمن لأن أكثرهم أهل غنم بخلاف ربيعة ومضر فانهم أصحاب إبل، وروى مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه «أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه غنما بين جبلين فأنى قومه فقال: يا قوم أسلموا، فوالله إن محمداً ليعطى عطاء رجل لا يخاف الفقر» وقد تقدم في باب الدال المهملة في الكلام على الدجاج الحديث الذي رواه ابن ماجه «أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الأغنياء باتخاذ الغنم، وأمر الفقراء باتخاذ الدجاج» وقال «عند اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله بهلاك القرى» وقد بينا معناه في شرح سنن ابن ماجه، وبيننا أن في إسناده على بن عروة الدمشقي، وأن ابن حبان قال: كان يضع الحديث والغنم على ضربين ضائنة وما عزة: قال الجاحظ: اتفقوا على أن الضأن أفضل من المعز: قلت: وصرح الأصحاب بذلك في الأضحية أو غيرها، واستدلوا على أفضليته بأوجه: منها أن الله تعالى بدأ ذكر الضأن في القرآن فقال - ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين - ومنها قوله تعالى حكاية عن الخصمين - إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة - ولم يقل تسع وتسعون نعجة وإنما عز واحدة: ومنها قوله تعالى: - وفديناه بذيبح عظيم - وأجمعوا كما قال الحافظ أنه كبش وسأى الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى في باب الكاف. ومنها أن الضأن تلد في السنة مرة وتفرد غالباً، والمعز تلد مرتين وقد تثني وتثالث، والبركة أكثر في الضأن: ومنها أن الضأن إذا رعت شيئاً من الكايل فإنه ينبت، وإذا رعت المعز شيئاً لا ينبت، وقد تقدم لأن المعز تقلعه من أصوله والضأن ترعى ما على وجه الأرض: ومنها أن صوف الضأن أفضل من شعر المعز وأعز قيمة وليس الصوف إلا للضأن. ومنها أنهم كانوا إذا مدحوا شخصاً قالوا: إنما هو كبش، وإذا ذموا قالوا: إنما هو تيس، وإذا أرادوا المبالغة في الذم قالوا: إنما هو تيس في سفينة. ومما أهان الله به التيس أن جعله مهتوك الستر مكشوف القبل والدبر بخلاف الكبش، ولهذا شبه النبي صلى الله عليه وسلم الخليل بالتيس المستعار: ومنها أن رءوس الضأن أطيب وأفضل من رءوس الماعز وكذلك لحمها، فإن أكل لحم الماعز يحرك المرة السوداء ويولد البلغم ويورث النسيان ويفسد الدم، ولحم الضأن عكس ذلك انتهى:

(فائدة) قال أبو زيد : يقال لما تضعه الغنم من الضأن والمعز حال وضعه سخلة ذكرا كان أو أنثى والجمع سخل بفتح السين وسخال بكسرها ، ثم لا يزال اسمه ذلك ما دام يرضع اللبن ، ثم يقال للذكر والأنثى بهمة بفتح الباء والجمع بهم بضمها ، ويقال لولد المعز حين يولد سليل وسليط فإذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه وأكل من البقل ، فإذا كان من أولاد المعز فهو جفر والأنثى جفرة والجمع جفار . وذكر في كفاية المتحفظ أن الجفتر والجفرة يقعان على الطفل والطفلة من بني آدم حين يأكلان الطعام انتهى . فإذا قوى وأتى عليه حول فهو عريض بفتح العين المهملة وكسر الراء والياء المثناة التحتية وبالضاد المعجمة في آخره وجمعه عرضان بكسر العين ، والعنود نوع منه وجمعه أعتدة وعتدان . وقال يونس : جمعه أعتدة وعتدة وهو في كل ذلك جدى والأنثى عناق إذا كان من أولاد المعز ، ويقال له إذا تبع أمه تلو لأنه يتلو أمه ، ويقال للجدى أمر بضم الهمزة وتشديد الميم وبالراء المهملة في آخره يقال له هلع وهلعة بضم الهاء وتشديد اللام والبكرة العناق أيضا ، والعطعط الجدى فإذا أتى عليه حول فالذكر تيس والأنثى عنز ثم يكون جذعا في السنة الثالثة والأنثى جذعة ؛ فإذا طعن في السنة الثالثة فهو ثنى والأنثى ثنية ، فإذا طعن في السنة الرابعة كان رباعيا والأنثى رباعية ثم يكون خماسيا والأنثى خماسية ، ثم يكون سداسيا والأنثى سداسيا ، ثم يكون صالغا والأنثى كذلك ، ويقال صلغ يصلغ صلوغا والجمع الصلغ بتشديد الصاد واللام . قال الأصمعي : الحلان والحلام من أولاد المعز خاصة . وفي الحديث « في الأرنب يصيبها الحرم حلان » قال الجاحظ : وقد قالوا في أولاد الضأن كما قالوا في أولاد المعز إلا في مواضع . قال الكسائي : هو خروف في العريض من أولاد المعز والأنثى خروفة ويقال له حمل والأنثى رخل بفتح الراء المهملة وكسر الخاء المعجمة وجمعه رخال بضم الراء المهملة وهو ما جمع على غير قياس كما قالوا في المرضع ظئر وظؤار ، وفي ولد البقرة الوحشية فرير وفرار ، وللشاة القريبة العهد بالنتاج ربي ورباب ، وللعظم الذى عليه بقية من اللحم عرق وعراق ، وللمولود مع قرينه توأم وتوأم ، والبهمة للذكر والأنثى من أولاد الضأن والمعز جميعا ولا يزال كذلك حتى يأكل ويحتر ، ثم هو قرقر بقافين مكسورتين والجمع قرقار وقرقور وهذا كله حين يأكل ويحتر ، والحلام بكسر الحيم الجدى أيضا ، والبذج بفتح الباء الموحدة والذال المعجمة وبالجم في آخره من أولاد الضأن خاصة والجمع بذجان . روى ابن ماجه وشيخه ابن أبى شيبة بإسناد صحيح عن أم هانئ رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها « أتخذى غنما فإن فيها بركة » وشكت إليه امرأة أن غنمها لا تزكو فقال لها صلى الله عليه وسلم « ما ألوانها ؟ قالت : سود ، فقال : غفري : أى استبدلى أغناما بيضا فإن البركة فيها » وفي الحديث « صلوا في مراض الغنم وامسحوا رغامها » والرغام ما يسيل من الأنف ، وقد تقدم البيهية

مارواه أبو داود في أبواب الطهارة عن لقيط بن صبرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مائة شاة لا يريد أن تزيد ، وكانت كلما ولدت سخلة ذبح مكانها شاة » . وروى مالك والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » شعف الجبال بفتح الشين المعجمة والعين المهملة رءوسها وشعف كل شيء أعلاه : قال ابن بطلال : قال أبو الزناد : خص النبي صلى الله عليه وسلم الغنم من بين سائر الأشياء حضاً على التواضع وتنبئها على إثثار الخمول وترك الاستعلاء والظهور ، وقد رعى الأنبياء والصالحون الغنم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله نبياً إلا رعى غنماً » وأخبر صلى الله عليه وسلم أن السكينة في أهل الغنم .

وروى الطبراني والبيهقي في الشعب عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه خرج في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له فوضعوا له السفرة فربهم راعي غنم فسلم ، فقال له ابن عمر : هلم ياراعي فكل معنا ، فقال : إني صائم ، فقال له ابن عمر رضي الله تعالى عنهما : أتصوم في هذا اليوم الشديد الحر وأنت في هذه الجبال ترعى هذه الغنم ؟ فقال له : إني والله أبادر أيامي هذه الخالية ، فقال له ابن عمر - يريد أن يختبر ورعه - هل لك أن تبئعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ونطعمك من لحمها فنقطر عليه ؟ فقال : إنها ليست لي إنها غنم سيدي ، فقال له ابن عمر : وما عسى سيدك فاعلا إذا فقدتها وقلت أكلها الذئب ، فولى الراعي عنه وهو يقول : فأين الله ، يرفع بها صوته ويشير بأصبعه إلى السماء ، فجعل ابن عمر يردد قول الراعي ذلك ، فلما قدم المدينة اشترى العبد الراعي والغنم ، وأعتق العبد ووهب منه الأغنام .

وروى أحمد بإسناد صحيح عن أبي اليسر عمرو بن كعب رضي الله عنه قال « والله إني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر عشية إذ أقبلت غنم لرجل من اليهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يطعمنا من هذه الغنم ؟ قلت : أنا يا رسول الله . قال : فافعل . قال : فخرجت أشد مثل الدليم ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مولياً قال : اللهم أمتعنا به ، فأدركت الغنم وقد وصل أوائلها الحصن ، فأخذت شاتين من آخرها فاحتضنتهما تحت يدي ، ثم أقبلت بهما أشد كأنه ليس معي شيء حتى ألقىتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحوهما وأكلوهما » وكان أبو اليسر رضي الله عنه من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وموتا ، وكان إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال : أمتعوني بعمرى حتى صرت آخرهم موتاهم : وكان أبو اليسر آخر البدرين موتا رضي الله عنهم .

وفي الاستيعاب وغيره قصة إسلام الأسود الحبشي الذي كان يرعى غنما لعامر اليهودي « أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه الغنم فقال: يا رسول الله اعرض علي الإسلام ، فعرضه عليه فأسلم ثم قال : يا رسول الله إني كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم وهي أمانة عندي فكيف أصنع فيها ؟ فقال : اضرب في وجوهها فتسترجع إلى ربها ، فقام الأسود فأخذ حفنة من حصي ورمى بها في وجوهها وقال : ارجعي إلى صاحبك فوالله لا أصحبك بعدها أبدا ، فرجعت الغنم مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم يقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله وما صلى الله صلاة قط ، فأتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد سجي بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله لم أعرضت عنه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إن معه الآن زوجتيه من الحور العين ينفضان التراب عن وجهه ويقولان : ترَبَّ الله وجهه من تراب وجهك وقتل من قتلك » قال أبو عمرو : إنما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنم إلى الحصن لأن ذلك كان مصالحا عليه أو كان قبل حل الغنائم . وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال « ما من نبي إلا وقد رعى الغنم . قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا » .

وثبت في صحيح البخاري وسنن ابن ماجه واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما بعث الله نبيا إلا راعى غنم ، فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا كنت أرهاها لأهل مكة بالقراريط » قال سويد : يعني كل شاة بقيراط ، وفي غريب الحديث للقعنبي « بعث موسى عليه الصلاة والسلام وهو راعى غنم ، وبعث داود عليه السلام وهو راعى غنم ، وبعثت أنا راعى غنم أهلي بأجياد » وفي الحديث « أجر موسى عليه الصلاة والسلام نفسه بعفة فرجه وشبع بطنه ، فقال له خنته شعيب عليه السلام : إن لك في غنمي ما جاءت به قالب لون » جاء تفسيره في الحديث أنها جاءت على غير ألوان أمهاتها كان لونها قد انقلب . والحكمة في أن الله تعالى جعل الرعى في الأنبياء تتقدمة لهم ليكونوا رعاة الخلق ولتكون أمهم رعايا لهم .

وروى الحاكم في مستدركه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت غنما سودا دخلت فيها غنم كثير بيض : قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : العجم يشركونكم في دينكم وأنسابكم . قالوا : العجم يا رسول الله ! قال : لو كان الإيمان معلقا بالتراب لنالته رجال من العجم » وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم « رأيت نبي المنام غنما سودا يتبعها غنم عفر يا أبا بكر عبرها : قال : هي العرب تتبعك ثم يتبعها العجم ، فقال صلى الله عليه وسلم : هكذا عبرها الملك سحرا » وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم أنه ينزع في قلبه وحوله أغنام سود وغنم عفر ، ثم جاء أبو بكر ففزع نزعاً

ضعيفا والله يغفر له ، ثم جاء عمر فاستحالت غربا يعنى الدلو فلم أر عبقر يا يفرى فرية فأولها
الناس بالخلافة لأبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، ولو ذكر الغنم السود والعفر لبعدت الرؤية
عن معنى الخلافة والرعاية إذ الغنم السود والعفر عبارة عن العرب والعجم ، وأكثر الحديثين
لم يذكروا الغنم فى هذا الحديث وذكره الإمام أحمد والبخارى فى مسنديهما وبه يصح المعنى :

ودخل أبو مسلم الخولاني على معاوية فقال : السلام عليك أيها الأجير ، فقالوا : قل
السلام عليك أيها الأمير ، فقال : السلام عليك أيها الأجير ، فقالوا : قل السلام عليك أيها
الأمير ، فقال : السلام عليك أيها الأجير ، فقال لهم معاوية : دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما
يقول ، فقال أبو مسلم : إنما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها فإن أنت هنأت
جرباها وداويت مرضاها وحبست أولاها على آخرها وقاك سيدها ، وإن أنت لم تنهأ
جرباها ولم تداو مرضاها ولم تحبس أولاها على آخرها عاقبك سيدها :

وفى رسالة القشيري فى باب الدعاء « أن موسى عليه الصلاة والسلام مر برجل يدعو
ويتضرع فقال موسى : إلهى لو كانت حاجته بيدي لقضيتها ، فأوحى الله تعالى إليه :
يا موسى أنا أرحم به منك ، ولكنه يدغونى وله غنم وقلبه عند غنمه ، وأنا لا أستجيب
لغبنه يدغونى وقلبه عند غيرى » فذكر موسى للرجل ذلك فانقطع إلى الله تعالى بقلبه.
فقضيت حاجته :

وفى المجالس للدينورى من حديث حماد بن زيد عن موسى بن أعين الراعى قال : كانت
الغنم والأسد والوحش ترعى فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه فى موضع واحد
فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب فقلت - إنا لله وإنا إليه راجعون - ما أرى الرجل الصالح
إلا قد هلك : قال : فحسبناه فوجدناه قد مات فى تلك الساعة : وعن عبد الواحد بن زيد
قال : سألت الله ثلاث ليال أن يرينى رفيقى فى الجنة ، فقبل لى : يا عبد الواحد رفيقك
فى الجنة ميمونة السوداء ، فقلت : وأين هى ؟ فقبل لى : هى فى بنى فلان فى الكوفة ،
فذهبت إلى الكوفة أسأل عنها فإذا هى ترعى غنما ، فأتيت إليها فإذا غنمها ترعى مع الذئب
وهى قائمة تصلى ، فلما فرغت من صلاتها قالت : يا ابن زيد ليس هذا الموعد إنما الموعد
الجنة ، فقلت لها : وما أدراك أنى ابن زيد ، فقالت : أما علمت أن الأرواح جنود مجندة
ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، فقلت لها : عظيبي ، فقالت : واعجبنا لو اعظ
يوعظ ، فقلت لها : مالى أرى أغنامك ترعى مع الذئب ؟ قالت : إني أصلمت ما بينى
وبين الله فأصلح ما بينى وبين غنمى والذئب .

(فائدة) فى الموطأ عن أنى هريرة رضى الله تعالى عنه وزيد بن خالد الجهني رضى الله
عنه قالا وإن رجلين اختصما إلى رسول الله صلى عليه وسلم فقال أحدهما : اقض بيننا يا رسول الله

بكتاب الله تعالى . وقال الآخر ، وكان أفقههما : أجل يا رسول الله افض بيننا بكتاب الله . واثنى لي أن أتكلم ، فقال له : تكلم ، فقال : إن ابني كان عسيفاً على هذا فزني بامرأته . فأخبروني أن علي ابني الرجم فافتديته من غنمي بمائة شاة وبجارية لي ، ثم إنني سألت أهل العلم فأخبروني أن علي ابني جلد مائة وتغريب عام وإنما الرجم على امرأته ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى ، أما غنمك وجارياتك فرد عليك ويجلد ابنتك مائة ويغرب عاما ، وأمر صلى الله عليه وسلم أنيسا الأسلمي أن يأتي امرأة الآخر فإن اعترفت فليبرجها ، فاعترفت فبرجها » وهذا الحديث مذكور في الصحيحين .

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال عمر رضي الله تعالى عنه « إن الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب ، وكان مما أنزل الله عليه آية الرجم قرأناها وعقلناها ووعيناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، وأخشى إن طال على الناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحمل أو الاعتراف والرجم نسخت تلاوته وبقي حكمه . وقال أبو حنيفة : التغريب منسوخ في حق البكر وعامة أهل العلم على أنه ثابت لما روى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما « أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب ، وأن أبا بكر ضرب وغرب وأن عمر ضرب وغرب » والمحصن من اجتمعت فيه أربعة أو صاف : العقل والبلوغ والحرية والإصابة فإن زنى فحدته الرجم مسلما كان أو ذميا . وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الإسلام من شرائط الأحصان فلا رجم على الذمي عندهم . ودليلنا : أنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه رجم يهوديين كانا قد أحصنا » وإن كان الزاني غير محصن بأن لم يجتمع فيه هذه الأوصاف الأربعة نظر إن كان غير بالغ أو كان مجنوناً فلا حد عليه ، وإن كان حراً بالغاً عاقلاً غير أنه لم يصب بنكاح صحيح فعليه جلد مائة وتغريب عام ، وإن كان عبداً فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان ، فإن قلنا يغرب فتقولان أصحهما نصف سنة كما يجلد خمسين ، ولهذا المسئلة تنمات المذكورات في كتب الفقه :

وذكر المفسرون في قوله تعالى - وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم - الآية عن ابن عباس وقتادة والزهري أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم ، فقال صاحب الزرع : إن هذا تفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فأفسدته ولم تبق منه شيئا ، فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث ، فنخرجنا من عنده فمرا على سليمان عليه السلام فقال : كيف قضى بينكما ؟ فأخبراه ، فقال سليمان : لو وليت أمركما لتقضيت بغير هذا ، فدعاه داود فقال له : بحق النبوة والأبوة يا بني

إلا ما حدثني بالذى هو أرفق بالفريقين؟ فقال سليمان: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدها ونسلها وصوفها وينافعها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع إلى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه، فقال داود: التقضاء كما قضيت، وكان عمر سليمان يوم حكم بهذا الحكم إحدى عشرة سنة، والنفس الرعى بالليل، والحمل الرعى بالنهار، وهما الرعى بلا راع.

ونحتم الكلام على الغنم بما في أول عجائب المخلوقات عن موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام أنه اجتاز بعين ماء في سفح جبل فتوضأ منها، ثم ارتقى الجبل ليصلي إذ أقبل فارس فشرب من ماء العين وترك عندها كيسا فيه دراهم وذهب مارا، فجاء بعده راعي غنم فرأى الكيس فأخذه ومضى، ثم جاء بعده شيخ عليه أثر البؤس وعلى رأسه حزمة حطب فوضعها هناك ثم استلقى ليستريح، فما كان إلا قليلا حتى عاد الفارس يطلب كيسه فلم يجده، فأقبل على الشيخ يطالبه به فأنكر فلم يزال كذلك حتى ضربه ولم يزل يضربه حتى قتله، فقال موسى: يارب كيف العدل في هذه الأمور؟ فأوحى الله تعالى إليه إن الشيخ كان قد قتل أبا الفارس، وكان على الفارس دين لأبي الراعي مقدار مائتي الكيس، فجرى بينهما القصاص وقضى الدين وأنا حكم عدل.

قال في كتاب المحكم والغايات: قال أصحاب التجارب: ومما يورث الغنم المشى بين الأغنام، والتعمم جالسا، ولبس السراويل قائما، وقص اللحية (١) بالأسنان، والقعود على أسكفة الباب، والأكل بالشمال، ومسح الوجه بالأذبال، والمشى على قشور البيض، والاستنجاء باليمين، والضحك في المقابر.

(الحكم) يحل أكل الغنم ويبيعها بالنص والإجماع، ويجب في سائمتها الزكاة ففي كل أربعين شاة شاة جذعة ضأن أو ثنية معز، وفي مائة وإحدى وعشرين شاتان، وفي مائتين وواحدة ثلاث شياه، وفي أربع مائة أربع شياه ثم في كل مائة شاة شاة، والسنة أن تقلد إذا جعلت هديا إلى البيت العتيق لما روى البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت «كنت أقتل قلائد الهدى للنبي صلى الله عليه وسلم فتقلد الغنم» وهذا الحديث حجة للشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور في مشروعية ذلك. وقال مالك وأبو حنيفة: لا تقلد الغنم، والظاهر أن الحديث لم يبلغهما.

(فرع) فتح إنسان مراح غنم فخرجت ليلا ورعت زرا، فإن كان الذي فتحه المالك ضمن الزرع وإن كان غير المالك لم يضمن، والفرق أن المالك يلزمه حفظها في الليل فإذا

(١) لعلها قس الأظافر اه مصححه.

افتتح عليها ضمن ، وغير المالك لا يلزمه حفظها فإذا فتح عليها لم يضمن . قاله في البحر ، وسيأتي في باب الميم الإشارة إلى إتلاف الماشية .

(وأما الأمثال) فقد تقدم بعضها في باب الجيم وبعضها في باب الشين المعجمة وكذلك الخواص ، وسيأتي طرف منها في المعز في باب الميم إن شاء الله تعالى .

(التعبير) الغنم في الرؤيا : رعية صالحة طائعة وتدل على الغنيمة والأزواج والأولاد والأملك والزرع والأشجار الخافلة بالثمار ، فذوات الصوف نساء كريمات جميلات ذوات مال وعرض مستور ، والشعاري نساء صالحات فقيرات ذوات عرض مبذول بكشف عوراتهن خلافا لذوات الصوف فإن عوراتهن مستورة بالألية . قاله ابن المقرئ . وقال المقدسي : من رأى أنه يسوق معزاً وضائفاً فإنه يلى على عرب وعمجم فإن أخذ من ألبانها وأصوافها فإنه يجنى منهم أموالاً ، ومن رأى غنماً واقفة في مكان فإنهم رجال يجتمعون في ذلك الموضع في أمر من الأمور ، ومن رأى غنماً استقبلته فإنهم أعداء يظفر بهم ، ومن رأى شاة تمشى أمامه وهو يمشى خلفها ولا يدركها تعطلت عليه معيشته وربما تبع امرأة ولا تحصل له وألية الغنم مال المرأة ، ومن رأى كأنه يجز شعر الغنم فليحذر من الخروج من داره ثلاثة أيام . وقال جاماسب : من رأى قطيع غنم سر دائماً ، ومن رأى شاة واحدة سر سنة ، والنعجة امرأة فن ذبح نعجة افنض امرأة مباركة لقوله تعالى - إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة - ومن رأى أن صورته تحولت على صورة غنمة نال غنيمة .

﴿ الفواص ﴾ : طائر تسميه أهل مصر الغطاس ، وهو القرئ الآتي في باب القاف إن شاء الله تعالى . قال القزويني في الأشكال : هو طائر يوجد بأطراف الأنهار يغطس في الماء ويصطاد السمك فيتقوت منه ، وكيفية صيده أنه يغوص في الماء منكوساً بقوة شديدة ويمكث تحت الماء إلى أن يرى شيئاً من السمك فيأخذه ويصعد به . ومن العجائب لبثه تحت الماء ، ويوجد كثيراً بأرض البصرة انتهى . قال بعضهم : رأيت غواصاً غاص فطلع بسمكة فغلبه غراب عليها فأخذها منه ، فغاص مرة أخرى وطلع بسمكة أخرى فأخذها منه الغراب ، ثم الثالثة كذلك ، فلما اشتغل الغراب بالسمكة وثب الفواص فأخذ برجل الغراب وغاص به تحت الماء حتى مات الغراب ثم خرج هو من الماء .

(الحكم) قال القزويني : إن أكله حلال ، وهو المفهوم من كلام الرافعي وغيره . (الخواص) دمه يجفف ويسحق مع شعر إنسان فإنه ينفع من الطحال ، وكذلك عظمه يفعل به مثل ذلك ، والله أعلم .

﴿ الفوغاء ﴾ : الجراد إذا احمر وبدت أجنحته ، وهو يذكر ويؤنث ويصرف

ولا يصرف ، واحدته غوغاء و غوغاوة وبه سميت سفلة الناس المنتسبون إلى الشر المسرعون .
إليه ، قال أبو العباس الروباني : الغوغاءة من يخالط المفسدين والمجرمين ويخاصم الناس
بلا حاجة ، ولذلك قالوا : أكثر من الغوغاء . وفي تاريخ ابن النجار عن ابن المبارك قال :
قدمت على سفيان الثوري بمكة فوجدته مريضاً شارب دواء ، فقلت له : إني أريد أن أسألك
عن أشياء ؟ قال : قل : قلت : أخبرني من الناس ؟ قال : الفقهاء . قلت : فمن الملوك ؟
قال : الزهاد . قلت : فمن الأشراف ؟ قال : الأتقياء . قلت : فمن الغوغاء ؟ قال : الذين
يكتبون الحديث يريدون أن يأكلوا به أموال الناس : قلت : فمن السفلة ؟ قال :
الظلمة . انتهى .

والغوغاء أيضا : شيء يشبه البعوض إلا أنه لا يعض ولا يؤذى .

﴿ الغول ﴾ : بالضم أحد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين وهم سحرتهم .
قال الجوهري : هو من السعالى والجمع أغوال وغيلان ، وكل ما اغتال الإنسان فأهلكه
فهو غول والتغول التلون : قال كعب بن زهير بن أبي سلمى رضى الله تعالى عنه :
فما تدوم على حال تسكون بها كما تلون في أثوابها الغول
ويقال تغولت المرأة إذا تلونت ، ويقال غالته غول إذا وقع في مهلكة ، والغضب
غول الحلم .

(فائدة) سأل رجل أبا عبيدة عن قوله تعالى - طلعتها كأنه رعوس الشياطين - وإنما
يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف ؟ فأجابه بأن الله تعالى كلم العرب على قدر
كلامهم ، أما سمعت امرأ القيس كيف قال :

أبقتلنى والمشرقى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ولكنه لما كان يهولهم أوعدوا به . قال أبو عبيدة : ومن يومئذ
عملت كتابي الذي سميته [اجاز] ، وأبو عبيدة كنيته ، واسمه معمر بن المنفى البصرى النحوى
العلامة كان يعرف أنواعا من العلوم ، وكانت العربية وأخبار العرب وأيامها أغلب عليه ،
وكان مع معرفته يكسر الشعر إذا أنشده ويلحن إذا قرأ القرآن ، وكان يرى رأى الخوارج ،
وكان لا يقبل شهادته أحد من الحكام ، وأنه كان يتهم بالميل إلى الغلمان : قال الأصمعي
دخلت يوما أنا وأبو عبيدة إلى المسجد فإذا على الأسطوانة التي يجلس إليها أبو عبيدة
مكتوب :

صلى الإله على لوط وشيعته أبا عبيدة قل بالله آمينا

قال : فقال لى يا أصمعي امح هذا فركبت ظهره ومحوته ، ثم قلت : قد بقيت الطاء .

فقال : هي شر الحروف الطامة في الطاء امحها ، وقيل إنه وجدت ورقة في مجلس أبي عبيدة فيها هذا البيت وبعده :

فأنت عندي بلا شك بقيتهم منذ احتملت وقد جاوزت تسعيناً

وروى أن أبا عبيدة خرج إلى بلاد فارس قاصداً موسى بن عبد الرحمن الهلالي ، فلما قدم عليه قال لغلمانه : احترزوا من أبي عبيدة فإن كلامه كله دق . ثم حضر الطعام فصب بعض الغلمان على ذيله مرقا ، فقال له موسى : قد أصاب ثوبك مرق وأنا أعطيك عوضه عشرة أثواب ، فقال أبو عبيدة : لا عليك فإن مرقكم لا يؤذى : أي مافيه دهن ، ففطن لها موسى وسكت . توفي أبو عبيدة في سنة تسع ومائتين وهذا أبو عبيدة بالهاء والقاسم بن سلام أبو عبيد بغير هاء وكلاهما من أهل اللغة ، ومعمربفتح الميمين بينهما عين مهملة ساكنة وآخره راء مهملة ، وكان والد أبي عبيدة من قرية من أعمال الرقة يقال لها باجروان ، وهي القرية التي استطعم أهلها موسى والخضر عليهما السلام كذا قاله ابن خلكان وغيره ، وتقدم في باب الحاء المهملة في الحوت عن السهيلي أن القرية المذكورة في القرآن برية والله تعالى أعلم .

وروى الطبراني في الدعوات والبخاري رجال ثقات من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا تغولت لكم الغيلان فنادوا الأذان ، فإن الشيطان إذا سمع النداء أدبر وله حصاص » أي ضراط ، قال النووي في الأذكار : إنه حديث صحيح أرشد صلى الله عليه وسلم إلى دفع ضررها بذكر الله تعالى ، ورواه النسائي في آخر سننه الكبرى من حديث الحسن عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه بلفظ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « عليكم بالدبجة فإن الأرض تطوى بالليل ، فإذا تغولت لكم الغيلان فبادروا بالأذان » .

قال النووي رحمه الله تعالى : ولذلك ينبغي أن يؤذن أذان الصلاة إذا عرض للإنسان شيطان ، لما روى مسلم عن سهيل بن أبي صالح أنه قال : أرساني أبي إلى بني حارثة ومعى غلام لنا أو صاحب لنا ، فناداه مناد من حائط باسمه فأشرف الذي معى على الحائط فلم ير شيئا ، فذكرت ذلك لأبي فقال : لو شعرت أنك ترى هذا ما أرسلتك ، ولكن إذا سمعت صوتا فناد بالصلاة ، فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الشيطان إذا نودي بالصلاة أدبر » ،

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله أنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا عدوى ولا طيرة ولا غول » قال جمهور العلماء : كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات ، وهي جنس من الشياطين تراءى للناس وتتغول تغولا : أي تتلون تلونا ، فضللهم عن الطريق

وتهلكهم ، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، وقال آخرون : ليس المراد بالحديث نفي وجود الغول وإنما معناه إبطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها . قالوا : ومعنى لاغول : أى لا تستطيع أن تضل أحدا ويشهد له حديث آخر « لاغول ولكن السعالى » قال العلماء السعالى بالسین المهملة المفتوحة والعين المهملة سحرة الجن كما تقدم . ومنه ما روى الترمذى والحاكم عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنه أنه قال « كانت لى سهوة فيها تمر فكانت تجيء الغول كهيئة السنور فتأخذ منه فشكوت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اذهب فإذا رأيتها قتل : بسم الله أجيبي رسول الله . قال : فأخذها فحلفت أن لا تعود فأرسلها ، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما فعل أسيرك ؟ قال : حلفت ألا تعود . قال صلى الله عليه وسلم : كذبت وهى معاودة للكذب . قال : فأخذها مرة أخرى فحلفت ألا تعود فأرسلها ، ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما فعل أسيرك ؟ قال : حلفت ألا تعود . قال صلى الله عليه وسلم : كذبت وهى معاودة للكذب . قال : فأخذها وقال ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : إني ذاكرة لك شيئا آية الكرسي اقرأها في بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره ، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما فعل أسيرك ؟ فأخبره بما قالت ، فقال صلى الله عليه وسلم : صدقت وهى كذوب . »

وقال أبو عيسى الترمذى : هذا حديث حسن غريب ، وهذا روى مثله البخارى فقال قال عثمان بن الهيثم : حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال « وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ الزكاة رمضان وذكر القصة وفيها : فقلت يا رسول الله زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله ، فقال صلى الله عليه وسلم ما هى ؟ قلت قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي كلها فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص شىء على الخير ، فقال صلى الله عليه وسلم : أما إنه صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليل يا أبا هريرة ؟ قال لا : قال صلى الله عليه وسلم : ذلك الشيطان . »

قال النووى رحمه الله : وهذا الحديث متصل فإن عثمان بن الهيثم أحد شيوخ البخارى الذين روى عنهم فى صحيحه ، وأما قول أبى عبد الله الحميدى فى الجمع بين الصحيحين أن البخارى أخرجه تعاليفا فغير مقبول ، فإن المذهب الصحيح المختار عند العلماء والذى عليه المحققون أن قول البخارى وغيره قال فلان محمول على سماعه منه واتصاله إذا لم يكن مدلسا وكان قد لقيه وهذا من ذلك ، وإنما المعلق ما أسقط البخارى فيه شيخه أو أكثر بأن يقول فى مثل هذا الحديث قال عوف أو قال محمد بن سيرين أو قال أبو هريرة :

وروى الحاكم فى المستدرک وابن حبان عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه أنه كان له

جرين تمر وكان يجده ينقص فحرسه ليلة فإذا هو بمثل الغلام المحتلم . قال : فسلمت فرد على السلام ، فقلت : من أنت ؟ ناولني يدك فناولني فإذا يد كلب وشعر كلب ، فقلت : أجنى أم إنسى ؟ فقال : بل جنى ، فقلت : إني أراك ضئيل الحلقة أهكذا خلق الجن ؟ قال : لقد علمت الجن أن ما فيهم أشد مني ، فقلت : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : بلغني أنك رجل تحب الصدقة فأحببت أن أصيب من طعامك ، فقلت : فما يجيرنا منكم ؟ قال : تقرأ آية الكرسي فإنك إن قرأتها غدوة أجرت منا حتى تمشي ، وإن قرأتها حين تمشي أجرت منا حتى تصبح . قال : فغدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : « صدقك الحديث » ثم قال : صحيح الإسناد .

وروى الحاكم أيضا عن أبي الأسود الدؤلي قال : قلت لمعاذ بن جبل حدثني عن قصة الشيطان حين أخذته فقال « جعلاني رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقة المسلمين فجعلت التمر في غرفة فوجدت فيه نقصانا فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هذا الشيطان يأخذ منه . قال : فدخلت الغرفة وأغلقت الباب على ، فجاءت ظلمة عظيمة فغشيت الباب ثم تصور في صورة أخرى ثم دخل إلى من شق الباب ، فشددت إزارى على ، فجعل يأكل من التمر ، فوثبت عليه فضبطته فالتفت يداى عليه فقلت : يا عدو الله ما جاء بك ها هنا ؟ فقال : خل عنى فإني شيخ كبير ذو عيال ، وأنا فقير وأنا من جن نصيدين ، وكانت لنا هذه القرية قبل أن يبعث صاحبكم فلما بعث أخرجنا منها فخل عنى فلن أعود إليك ، فخلت عنه وجاء جبريل عليه السلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما قال : قال : فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ، ثم نادى مناديه أين معاذ ؟ فقلت إليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما فعل أسيرك يا معاذ ؟ فأخبرته فقال : أما إنه سيعود . قال : فعدت فدخلت الغرفة وأغلقت على الباب ، فجاء الشيطان فدخل من شق الباب فجعل يأكل من التمر ، فصنعت به كما صنعت في المرة الأولى فقال : خل عنى فإني لن أعود إليك ؟ فقلت : يا عدو الله ألم تقل في المرة الأولى لن أعود ثم عدت ؟ قال : فإني لن أعود وآية ذلك أن لا يقرأ أحد منكم خاتمة سورة البقرة فيدخل أحد منا في بيته تلك الليلة » ثم قال : صحيح الإسناد :

وفي مسند الدارمي عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن فقال له : هل لك أن تصارعنى فإن صرعتنى علمتلك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان . فصارعه فصرعه الإنسى أو قال : إني أراك ضئلا شخيتا كأن ذراعيك ذراع كلب ، أفهكذا أنتم أيها الجن كلستم أم أنت من بينهم ؟ فقال : إني منهم لضليع ، ولكن عاودنى الثانية فإن صرعتنى علمتلك ، فصرعه الإنسى ، فقال : تقرأ آية الكرسي فإنها لا تقرأ في بيت إلا خرج منه الشيطان له حيح كحيح الحمام ثم لا يدخله

حتى يصبح ، فقيل لعبد الله : أهو عمر ؟ قال : ومن عسى أن يكون إلا عمر قوله الضئيل :
معناه الدقيق النحيف ، والشمخيت : الهزيل الخسيس الجفرتين ، والصلبيع : الوافر
الأضلاع ، والحيجح : الضراط ، وقوله إلا عمر بالرفع بدل من محل من ومحل الرفع بالابتداء ،
وقد تقدم في باب الجيم في الكلام على لفظ الجن حديث في مسند الدارمي بهذا المعنى ، والذي
ذهب إليه المحققون أن الغول شيء يخوف به ولا وجود له كما قال الشاعر :

الغول والخل والعنقاء الثالثة أسماء أشياء لم توجد ولم تكن

ولذلك سمو الغول خيتعورا وهو كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب ،
وكالذي ينزل من السكوى في شدة الحر كنسج العنكبوت : قال الشاعر :

كل أنثى وإن بدا لك منها آية الحب حبها خيتعورا

وقال قوم : الغول ساحرة الجن وهي تتصور في صور شتى ، وأخذوا ذلك من قول
كعب بن زهير بن أبي سلمى رضي الله تعالى عنه :

فما تكون على حال تدوم بها كما تلون في أثوابها الغول

وقد تقدم ذلك قريبا . وفي دلائل النبوة والبيهقي في أواخره عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه أنه قال « إذا تغولت لأحدكم الغيلان فليؤذن فإن ذلك لا يضره » وترجم العرب أنه إذا
انفرد الرجل في الصحراء ظهرت له في خلقة الإنسان ، فلا يزال يتبعها حتى يضل عن الطريق
فتدنو منه وتمثل له في صور مختلفة قتهلكه روعا . وقالوا : إذا أرادت أن تضل إنسانا
أوقدت له نارا فيتمصدها فتفعل به ذلك : قالوا : وخلقتها خلقة إنسان ورجلاها رجلا حمار :
قال القزويني : ورأى الغول جماعة من الصحابة منهم عمر رضي الله تعالى عنه حين سافر إلى
الشام قبل الإسلام فضربها بالسيف . وذكر عن ثابت بن جابر الفهري أنه لقي الغول وذكر
أبياته النونية في ذلك :

(الأمثال) قالت العرب : فلان أقبح من الغول ومن زوال النعمة ومن قول بلا فعل ،
والله تعالى أعلم .

﴿ الغيداق ﴾ : بفتح الغين ولد الضب وهو أكبر من الحسل ، وقال خلف الأحمر :
الغيداق الحيات :

﴿ الغيطة ﴾ : بالفتح أيضا الهقرة الوحشية : قاله ابن سيده . ويقال لجماعة البقر الوحشي
الربرب بباين موحدتين ورايين مهملتين ، وكذلك الإجد بكسر الهمزة والجيم قاله
في الكفاية .

﴿ الغيلم ﴾ : كديلم ذكر السلاحف ، وقد تقدم ذكر السلاحف في باب السين المهملة :

﴿ الغيب ﴾ : ذكر النعام ، والغيب الذى لا عقل له . قاله السهيلي في تفسير شعر مكرز
ابن حفص في أوائل غزوة بدر ، والله تعالى أعلم .

باب الفاء

﴿ الفاختة ﴾ : واحدة الفواخت من ذوات الأطواق وهى بفتح الفاء وكسر الخاء المعجمة
وبالتاء المثناة فى آخرها قاله فى الكفاية ، ويقال للفاختة الصلصل أيضا بضم الصادين المهملتين
انتهى ، وزعموا أن الحيات تهرب من صوتها . ويحكى أن الحيات كثرت فى أرض فشكوا
ذلك إلى بعض الحكماء فأمرهم بنقل الفواخت إليها ففعلوا ذلك فانقطعت الحيات عنها ، وهى
عراقية وليست بحجازية ، وفيها فصاحة وحسن صوت وصوتها يشبه المثلث ، وفى طبعها
الأنس بالناس وتعيش فى الدور ، والعرب تصفها بالكذب فإن صوتها عندهم هذا أوان
الرطب ، وتقول ذلك والنخل لم يطلع : قال الشاعر :

أكذب من فاخنة تقول وسط الكرب
والطلع لم يبد طأ هذا أوان الرطب

قلت : ويحتمل أنها إنما وصفت بالكذب لما قاله الغزالي رحمه الله تعالى فى الإحياء فى
أواخر كتاب الصبر والشكر : إن كلام العشاق الذين أفرط حبهم يستلذ بسماعه ولا يعول عليه
كما حكى أن فاخنة كان يراودها زوجها فنعتة نفسها فقال لها : ما الذى يمنحك عنى ولو أردت
أن أقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلت لأجلك ؟ فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه
وقال : ما حملك على ما قلت ؟ فقال : يا نبي الله إني محب والحب لا يلام وكلام العشاق
يطوى ولا يحكى ، وهو كما قال الشاعر :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

وقد تقدم فى العصفور نظير هذا .

(فائدة) اعلم أن الناس قد كثرت كلامهم فى وصف المحبة ونعت العشق فسلك كل منهم
مذهبا أداه إليه نظره واجتهاده ، وسأختصر من أقوالهم قدرا يسيرا كافيا .

قال عبد الرحمن بن نصر : إن أهل الطب يجعلون العشق مرضا يتولد من النظر والسمع
ويجعلون له علاجا كسائر الأمراض البدنية وهو مراتب ودرجات بعضها فوق بعض ، فأول
مرتبة منه تسمى الاستحسان وهى المتولدة من النظر والسمع ، ثم تقوى هذه المرتبة بطول
الذكر فى محاسن المحبوب وصفاته الحميلة فتصير مودة وهى الميل إليه والتألف بشخصه ،
ثم تتأكد المودة فتصير محبة والمحبة هى الائتلاف الروحاني ، فإذا قويت هذه المرتبة صارت

خلة والخلة من الآدميين هي تمكن محبة أحدهما من قلب صاحبه حتى تسقط بينهما السرائر ، فإذا قويت هذه المرتبة صارت هوى والهوى هو أن الحب لا يحاطه في محبة محبوبه تغير ولا يداخله تلون ، ثم يزيد الحال فيصير عشقا والعشق هو إفراط المحبة حتى لا يخلو المعشوق من تخيل العاشق وفكره وذكره لا يغيب عن خاطره وذهنه فعند ذلك تشتغل النفس عن تنبه القوى الشهوانية فيمتنع من الطعام والشراب لاشتغال النفس عن تنبه القوى الشهوانية ، ويمتنع من الفكر والذكر والتخيل والنوم لاستمرار الدماغ ، فإذا قوى العشق صار تنبها وفي هذه الحالة لا يوجد في قلبه فضل لغير صورة المعشوق ولا ترضى نفسه سواها فإذا تزايد الحال صار ولها والوله هو الخروج عن الحدود والقيود فتتغير صفاته ولا تنضبط أحواله ويصير موسوسا لا يدري ما يقول ولا أين يذهب فحينئذ تعجز الأطباء عن مداواته وتقصر آراؤهم عن معالجته لخروجه عن الحد الضابط ، وقد أجاد القائل حيث قال :

يقول أناس لو نعت لنا الهوى ووالله ما أدري لهم كيف أنعت
فليس لشيء منه حد أحده وليس لشيء منه وقت موقت
إذا اشتد ما بي كان آخر حيلتي له وضع كفي فوق خدي وأصمت
وأنضح وجه الأرض طورا بعبرتي وأقرعها طورا بظفري وأنكت
وقد زعم الواشون أني سلوتها فإلى أراها من بعيد فأهت

قال جالينوس : العشق من فعل النفس وهو كامن في الدماغ والقلب والكبد ، وفي الدماغ ثلاثة مساكن : التخيل في مقدمه والفكر في وسطه والذكر في مؤخره ، فلا يكون أحد عاشقا إلا إذا كان بحيث إذا فارق معشوقه لم يخل منه تخيله وفكره وذكره ، فيمتنع من الطعام والشراب لاشتغال قلبه وكبدته ، ومن النوم لاشتغال الدماغ بالتخيل ، والفكر للمعشوق فتكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به ومتى لم يكن كذلك لم يكن عاشقا ، فإذا لها العاشق خلت هذه المساكن فرجع إلى حال الاعتدال .

وقال أبو علي الدقاق : العشق تجاوز الحد في المحبة ولهذا لا يوصف الله تعالى بالعشق لأنه لا يوصف بأن يتجاوز الحد في محبة العبد ، وإنما يوصف بالمحبة كما قال تعالى - يحبهم ويحبونه - فمحبة الله تعالى للعبد هي إرادته لإنعام مخصوص عليه كما أن رحمته إرادة الإنعام . وقال قوم محبة الله تعالى للعبد مدحه وثناؤه عليه ، وقيل بل محبة الله للعبد صفة من صفات فعله فهو إحسان مخصوص يليق بالعبد . وأما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها في قلبه يحصل منها التعظيم له وإيثاره رضاه وقلة الصبر عنه والاحتياج إليه والاستئناس بذكره .

وقد اختلف في اشتقاق المحبة والعشق ، فقال بعضهم : الحب اسم لصفاء المودة ، لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها : حبيب ، وقيل هو مشتق من حباب الماء

بفتح الحاء وهو معظمه لأن الحبة معظم ما في القلوب من المهمات ، وقيل اشتقاقه من اللزوم والثبات يقال أحب البعير إذا برك فلم يقم فكأن المحب لا ينزع قلبه عن ذكر محبوبه .
وأما العشق فاشتقاقه من العشقة وهو نبات يلتف بأصول الشجر التي يقاربها في منبتها فلا تكاد تنخلص منه إلا بالموت ، وقيل إن العشقة نبات أصفر متغير الأوراق فسمى العاشق به لاصفراره وتغير حاله . وقيل أعم حالات الحب وأشهرها وأعظم صفات الهوى وأظهرها ثلاثة أوصاف : ملازمة لا يستطيعون دفعها وهي النحول والسقم والذبول والله أعلم .

وهذا الطائر يعمر كثير اوقد ظهر منه ماعاش خمسا وعشرين سنة وما عاش أربعين سنة كما حكاه أبو حيان التوحيدى وأرسطو قبله .

(الحكم) يحل أكلها وبيعها بالانفاق .

(الأمثال) قالوا أكتب من فاختة ، وقالوا فلان الفاختة عنده أبو ذر .

(الخواص) دمها ودم الحمام الأسود إذا طلى بهما البرص غير لونه ؛ وزبلها إذا علق على صبي يصرع أبراه ، ودمها إذا قطر في العين أذهب الآثار المزممة من ضربة أو قرحة أو غيرها .

(التعبير) قال ابن المقرئ : الفواخت والقمارى والدبسى وما أشبهها يدل ملكها في الرؤيا على العز والجاه وظهور النعم لأنها لا تكون في الغالب إلا عند المتنعمين ، وربما دلت على أهل العبادة والانقطاع والقراءة والتسبيح والتهليل . قال الله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - وربما دلت على المطربين وأصحاب اللهو والغناء والرقص ، وربما دلت على الزوجات والإماء ، وقال المقدسى : الفاختة في المنام ولد كذاب ، وقيل الفاختة امرأة كذابة غير ألفة وفي دينها نقص . وقال أرتاميدورس : الفاختة امرأة صاحبة مروءة وشكل والله أعلم .

﴿ الفأر ﴾ : بالهمز جمع فأرة ومكان فئر أى كثير الفأر وأرض فئرة أى ذات فأر ، وكنية الفأرة : أم خراب وأم راشد ، وهى أصناف : الجرذ والفأر المعروفان وهما كالجواموس والبقر والبخاى والعراب ، ومنها البرابيع والزباب والخلد ، فالزباب أصم والخلد أعمى وفأرة البيش وفأرة الإبل وفأرة المسك وذات النطاق وفأرة البيت وهى الفويسقة التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتلها فى الحل والحرم ، وأصل الفسق الخروج عن الاستقامة والجور وبه سمى العاصى فاسقا ، وإنما سميت هذه الحيوانات فواسق على الاستعارة لخبثهن ، وقيل لخروجهن عن الحرمة فى الحل والحرم أى لا حرمة لهن بحال ، وقيل سميت بذلك لأنها عمدت إلى حبال سفينة نوح عليه الصلاة والسلام فقطعتها .

وروى الطحاوى فى أحكام القرآن بإسناده عن يزيد بن أبى نعيم أنه سأل أبا سعيد

الخدري رضى الله تعالى عنه : لم سميت الفأرة الفويسمة؟ فقال « استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقد أخذت فأرة فتيلة السراج لتتحرق على رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت ، فقام إليها وقتلها وأجل قتلها للحلال والحرم » . وفي سنن أبي داود عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال « جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة فجاءت بها فألقها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخمرة التي كان قاعدا عليها فأحرقت منها موضع درهم » الخمرة : السجادة التي يسجد عليها المصلي سميت بذلك لأنها تحمر الوجه أى تغطيه . ورواه الحاكم عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة فذهبت الجارية تزجرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « دعها فجاءت بها فألقها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم على الخمرة التي كان قاعدا عليها فأحرقت منها موضع درهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : إذا تمت فأطفئوا سراجكم فإن الشيطان يدل مثل هذه على هذا فتحرقكم » ثم قال : صحيح الإسناد .

وفي صحيح مسلم وغيره « أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بإطفاء النار عند النوم » وعلل ذلك بأن الفويسمة تضرم على أهل البيت بيئهم نارا ، وفي الصحيح أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون حتى تطفئوها » . قال النووي رحمه الله تعالى : هذا عام يدخل فيه نار السراج وغيرها . وأما القناديل المعلقة في المساجد وغيرها فإن خيف حريق بسببها دخلت في الأمر بالإطفاء ، وإن أمن ذلك كما هو الغالب فالظاهر أنه لا بأس بتركها لانتفاء العلة التي علل بها النبي صلى الله عليه وسلم وإذا انتفت العلة زال المنع ، وقد تقدم في باب الصاد المهملة في لفظ الصيد الكلام على الفواسق الخمس وما ألحقت بها مما يبالح قتله للمحرم وفي الحرم ، والفأر نوعان : جرذان وقثران ، وكلاهما له حاسة السمع والبصر ، وليست الحيوانات أفسد من الفأر ولا أعدم أذى منه لأنه لا يبقى على حقير ولا جليل ولا يأت على شيء إلا أهلكه وأتلفه ، ويكفيه ما يحكى عنه في قصة سد مأرب وقد تقدمت في باب الخاء المعجمة في لفظ الخلد . ومن شأنه أنه يأتي القارورة الضيقة الرأس فيحتال حتى يدخل فيها ذنبه فكلما ابتل بالدهن أخرجه وامتصه حتى لا يدع فيها شيئا ، ولا يخفى ما بين الفأر والهر من العداوة ، والسبب في ذلك ما تقدم في أول خواص الأسد من حديث زيار ابن أسلم رضى الله تعالى عنه أن نوحا عليه الصلاة والسلام لما حمل في السفينة من كل زوجين اثنين شكى أهل السفينة الفأرة وأنها تفسد طعامهم ومتاعهم ، فأوحى الله تعالى إلى الأسد فعطس فخرجت منه المرة فتخبأت الفأرة منها .

(تذنيب) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : اتخذ نوح السفينة في سنتين وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب

الساج ، وجعل لها ثلاث بطون . فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والموام ، وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام ، وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد . وروى أن الطبقة السفلى كانت للدواب والوحوش : والوسطى للإنس ، والعليا للطير ، فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام أن اغمز ذنب الفيل ففعل فوقه منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث ، فلما وقع الفأر بحرف السفينة جعل يقرضها وحبالها فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بين عيني الأسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر . وعن الحسن قال : كان طول السفينة ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستائة ذراع ، والمعروف ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن طولها ثلثمائة ذراع وعرضها ستائة ذراع ، وقال قتادة رضى الله تعالى عنه : كان بابها في عرضها ، وقال زيد بن أسلم : مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الأشجار ويقطعها ومائة عام يعمل الفلك . وقال كعب الأحبار : مكث نوح عليه السلام في عمل السفينة ثلاثين سنة ، وقيل غرس الشجر أربعين سنة وجففه أربعين سنة : وزعم أهل التوراة أن الله تعالى أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وأن يضعه أزور وأن يظليه بالقار من داخله ومن خارجه ، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا ، والذراع إلى المنكب ، وأن يجعله ثلاث أطباق سفلى ووسطى وعليا ، وأن يجعل فيه كوى فصنعه نوح كما أمر الله تعالى .

(وأما الزباب والخلد) فتقدما .

(وأما اليربوع) فسيأتي في بابه ، وقد تقدم في باب العين المهملة في لفظ العتق عن سفيان بن عيينة أنه قال : ليس شيء من الحيوان يخبأ قوته إلا الإنسان والتملة والفأرة والعتق وبه جزم في الإحياء في باب التوكل ، وعن بعضهم قال : رأيت البلبل يحتكر ، ويقال إن للعتق مخابا إلا أنه ينساها ، وفي البخارى ومسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « فقدت أمة من بنى إسرائيل ولا يدري ما فعلت ولا أراها إلا الفأر ، ألا تراها إذا وضع لها لبن الإبل لم تشربه وإذا وضع لها لبن الشاء شربته » قال النووي وغيره : ومعنى هذا أن لحوم الإبل وألبانها حرمت على بنى إسرائيل دون لحوم الغنم وألبانها ، فدل امتناع الفأرة من لبن الإبل دون لبن الغنم على أنها مسخ من بنى إسرائيل .

(وأما فأرة البيض) وهو بكسر الباء الموحدة وبالياء المثناة تحت وبالشين المعجمة في آخره وهو السم فدوية تشبه الفأرة وايسر بفأرة ولكن هكذا تسمى ، وتكون في الغياض والرياض وهي تتخللها طلبا للمتابت السموم فتأكلها فلا تضرها ، وكثيرا ما تطلب البيض وهو سم قاتل كما تقدم هنا وفي باب السين المهملة في لفظ السمندل . قاله القزويني في الأشكال .

(وأما ذات النطاق) فهي فأرة منقطة ببياض وأعلاها أسود شبهوها بالمرأة ذات النطاق وهي التي تلبس قميصين ملونين وتشد وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل . قاله القزويني أيضا :

(وأما فأرة المسك) فهي غير مهموزة لأنها من فار يفور وهي النافجة كذا قاله الجوهري . وفي التحرير : فأرة المسك مهموزة كفأر الحيوان ويجوز ترك المهمزة كما في نظائر . وقال الجوهري وابن مكي : ليست مهموزة وهو شذوذ منهما ، وقول الشاعر :

كأن بين فكها والفك فأرة مسك ذبحت في سك

مراده شقت والذبح أصله الشق والقطع والسك ضرب من الطيب يركب من مسك وغيره . وقال الجاحظ : فأرة المسك نوعان : النوع الأول دويبة تكون في بلاد التبت تصاد لنوافجها وسررها ، فإذا صيدت شدت بعصائب وتبقى متدلالية فيجتمع فيها دمها ، فإذا أحكم ذلك ذبحت ، فإذا ماتت قورت السرة التي عصبت ثم تدفن في الشعير حينئذ حتى يستحيل ذلك الدم المختق هناك الجلامد بعد موتها مسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام نتنا ، وما أكثر من يأكلها أي الفأرة عندنا

قلت : وتعجبه من كثرة آكلها يدل على استطابتها والفقهاء لم يتعرضوا لهذا النوع ، ثم قال : والنوع الثاني جردان سود تكون في البيوت ليس عندها إلا تلك الرائحة اللازمة ، وهذا النوع رائحته كرائحة المسك إلا أنه لا يؤخذ منه المسك ، وقد تقدم في باب الطاء المشالة في لفظ الطبي ذكر المسك وحكمه : قلت : والمشهور أن فأرة المسك سرر الأطباء كما تقدم .

(وأما فأرة الإبل) فقال في الصحاح : هي أن تفوح منها ريح طيبة ، وذلك إذا رعت العشب وزهره ثم شربت وصدرت عن الماء نديت جلودها ففاحت منها رائحة طيبة ، فيقال لتلك الرائحة فأرة الإبل ، عن يعقوب قال الراعي يصف إبلا :

لها فأرة ذفراء كل عشية كمافتق الكافور بالمسك فاتقه

(وأما الفأرة التي خربت سد مأرب) فهي الخلد ، وقد تقدم ذكر قصتها في باب الخلاء المعجمة ، وروى الحاكم والبيهقي عن مجاهد في تفسير قوله تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - يعني حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيسلم كل يهودي وكل نصراني وكل صاحب ملة وتأمّن الفأرة الحر والشاة الذئب ولا تقرض فأرة جرابا ؛ وتذهب العداوة من الأشياء كلها ، وذلك ظهور الإسلام على الدين كله :

(الحكم) يحرم أكل جميع أنواع الفأر إلا البربوع كما سيأتي في بابه إن شاء الله تعالى :

ويكره أكل سؤر الفأر: وقال ابن وهب عن الليث: كان ابن شهاب يعني الزهري يكره أكل التفاح الحامض وسؤر الفأر ويقول إنهما يورثان النسيان، وكان يشرب العسل ويقول لأنه يورث الذكاء، وقد جمع الشيخ علم الدين السخاوي ما يورث النسيان في أبيات فقال:

توق خصالا خوف نسيان ماضى	قراءة ألواح القبور تديمها
وأكلك للتفاح ما كان حامضا	وكزبرة خضراء فيها مومها
كذا المشى ما بين القطار وحجمك الـ	تقاء ومنها الهم وهو عظيمها
ومن ذاك بول المرء في الماء راكدا	كذلك نبذ القمل لست تقيمها
ولا تنظر المصلوب في حال صلبه	وأكلك سؤر الفأر وهو تميمها

(تتمة) روى البخاري عن ابن عباس عن ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت «إن فأرة وقعت في سمن فاستل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال: ألقوها وما حوفا وكلوه» ورواه أبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بمعناه ورواه الترمذي عنه ثم قال: وهو غير محفوظ سمعت البخاري يقول إنه خطأ يعني من طريق أبي هريرة. (قلت) والصواب أنه صحيح، ورواه الطحاوي في بيان المشكل عنه بلفظ «إن كان جامدا فخذوها وما حوفا فألقوه وإن كان ذائبا فاستصبحوا به» وإنما لم يدخل البخاري في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم «وإن كان مائعا فأريقوه» لأنه من رواية معمر عن الزهري فاستراب بانفراد معمر بها، والعلماء مجمعون على أن حكم السمن الجامد تقع فيه الميتة أنها تلتقي وما حوفا ويؤكل بقيته، وأما المائع كالحل والزيت والسمن المائع واللبن والشيرج والعسل المائع فلا خلاف أنه لا يؤكل، والمشهور جواز الاستصباح به لكن يكره، وقيل لا يجوز لقوله تعالى - والرجز فاهجر - قال أبو العالية والربيع: الرجز بالضم والكسر النجاسة والمعصية، وكل هذا في غير المساجد فأما المساجد فلا يستصبح به فيها جزما، ويحل دهن السفن به وأن يتخذ صابونا يغسل به ولا يباع. وقال أبو حنيفة والليث: يجوز بيع الدهن النجس إذا بين نجاسته: وقال أهل الظاهر: لا يجوز بيع السمن ولا الانتفاع به إذا وقعت فيه الفأرة، ويجوز بيع الزيت والحل والعسل وجميع المائعات إذا وقعت فيها. قالوا: لأن النهى إنما ورد في السمن دون غيره.

(الأمثال) قالوا: ألص من فأرة، وأكسب من فأرة، وأسرق من زبابة، وهي الفأرة البرية تسرق كل ما تحتاج إليه وما تستغنى عنه.

(الخواص) قال في كتاب [عين الخواص] رأس الفأرة يشد في خرقه كتان ويلق على رأس صاحب الصداع الشديد يزول صداعه وينفع من الصرع، وعين الفأر تشد في قلنسوة

إنسان يسهل المشى عليه ، وإن بخر البيت بزبل ذئب أو زبل كلب هربت منه الفيران ، وإنه خلط العجين بزبل حمام وأكله الفأر أو أى حيوان كان مات ، وإن دق بصل الفأر وجعل على أبواب حجرتين فأى فأر شم رائحته مات ، وإن جعل على باب جحر الفأر ورق الدفلى مع القلقند لم تبقى فيه فأرة ، وإن دق عظم ساق الجمل دقا ناعما وديف بماء وسكب فى حجرة الفئران فإنه يقتلهم ، وإن أخذت فأرة وقطع ذنبها ودفنت وسط البيت لم يدخل ذلك البيت فأر مادامت فيه ، وإذا بخر بكمون ولوز ونظرون عند حجرتين متن من ساعتين ، وإن بخر البيت بحافر بغل أسود هرب منه الفأر ، وإن علق عين فأرة على من به حمى الربيع أبرأته ، وذئب الفأر إذا جعل فى جلد حمار وجعلا فى خرقه حرير وعلق على اليد اليسرى فمن يكون له حاجة فإنها تقضى عند الماوك وغيرهم ، وبول الفأر يقلع الكتابة من الورق وطريق أخذ بوله أن يصاد فى مصيدة بحديدة ويوضع إناء وتجعل المصيدة من ناحية الحديدية على فم الإناء ويرى الفأر والسنور فإنه يبول من ساعته لشدة خوفه ، ويكتب للفأر على أربع صفائح قصدير وتجعل فى أوكار الفأر وهو هذا ياربيق ياساويرا .

(قلت) وقد أذكرنى هذا ما يقلع الزيت وغيره من الأدهان من القرطاس والجلد والريش وغير ذلك أن يؤخذ التراب الذى يجعله النساء فى رؤوسهن فى الحمام الأزرق المحترق فيدق ناعما كالسكحل ويوضع على القرطاس الذى أصابه الزيت أو غيره وتنقيلا جيدا يوما وليلة ثم يرفع فإن القرطاس يصير نقيا ليس به أثر وهو سر عجيب مجرب ، وأما سم الفأر فهو التراب المالك عند أهل العراق وهو السك يؤتى به من خراسان من معادن الفضة ، وهو نوعان أبيض وأصفر إن جعل فى عجين وطرح فى البيت وأكل منه الفأر مات ، وكذلك كل فأرة تجد ربح تلك الفأرة حتى يموت الجميع .

(التعبير) قال المعبرون : الفأرة فى الرؤيا امرأة فاسقة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اقتلوا الفويسقة » وقيل الفأرة امرأة يهودية نائحة ملعونة أو رجل يهودى فاسق أو لص نقاب ، وربما دل الفأر على الرزق فمن رأى فأرا فى بيته كثيرا كثر رزقه لأنه لا يكون إلا فى مكان فيه رزق ، ومن خرج الفأر من منزله قات برسته ونعمته ، ومن ملك فأرا ملك خادما لأن الفأر يأكل مما يأكل الإنسان وكذلك الخادم يأكل مما يأكل سيده ، ومن رأى فأرا يلعب فى داره نال خصبا فى تلك السنة لأن اللعب لا يكون إلا من الشبع ، وأما الفأر الأبيض والأسود فإنه يدل على الليل والنهار فمن رآه يغدو ويروح فإنه يدل على طول حياته ، ومن رأى الفأر كأنه يقرض فى ثيابه فهو معلن بما يمر من أجله ، ومن رأى فأرا ينقب فإنه لص نقاب فليحذره والله تعالى أعلم .

﴿ الفأر ﴾ : المسن من الأوعال .

﴿ الفازر ﴾ : بالزاي قبل الراء نمل أسود فيه حمرة :

﴿ الفاشية ﴾ : الماشية وجمعها فواش وهي التي تفشو من المال كالإبل والبقر والغنم السائمة لأنها تفشو أي تنتشر في الأرض ، ويقال أفشى الرجل إذا كثرت مواشيه روى مسلم في الأشربة وأبو داود في الجهاد من حديث أبي خيثمة عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ترسلوا مواشيكم وصديانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء » زاد أبو داود : فإن الشياطين تعبت إذا غابت الشمس وفحمة العشاء ظلمتها واسودادها شبه سوادها بالفحم ، وفسرها بعضهم بإقبال أول ظلامه ، وفي الحديث « ضموا مواشيتكم إذا دخل الليل » وسيأتي في باب الميم إن شاء الله تعالى ذكر هذا الكلام .

﴿ الفاعوس ﴾ : كجاموس الحية والوعل والأفعى قاله ابن الأعرابي ، وأنشد في ذلك :

قد يهلك الأرقم والفاعوس والأمسد المدرع النهوس

قال : ولم يأت في الكلام فاعول لام الفعل منه سين إلا الفاعوس وهو الحية والوعل والبابوس وهو الصبي الرضيع ، والراموس وهو القبر ، والقاموس وهو وسط البحر ، والقابوس وهو الحميل الوجه ، والعاطوس وهو دابة يتشام بها ، والفانوس وهو التمام ، والجاموس وهو ضرب من البقر ، والجاروش وهو الكثير الأكل : وقال ابن دريسد : والكابوس وهو الذي يقع على الإنسان في نومه ، والناموس وهو صاحب سر الخير ، والحاسوس وهو صاحب سر الشر . وفي الصحيحين أن ورقة بن نوفل قال : هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم . قال النووي وغيره : اتفقوا على أن المراد به هنا جبريل عليه الصلاة والسلام ، وسمى بذلك لأن الله تعالى خصه بالوحي وعلم الغيب ، وسيأتي ههنا أيضا في باب النون إن شاء الله تعالى في لفظ الناموس ، والله تعالى أعلم .

﴿ الفاطوس ﴾ : سمكة عظيمة تكسر السفن ، والملاحون يعرفونها فيتمخذون خرق الحيفض

يعلقانها على السفينة فلإنها تهرب منهم . قال القزويني . ولعل هذا هو حوت الحيفض ، وقد تقدم ذكره في باب الحاء المهملة .

﴿ الفاليج ﴾ : بالميم في آخره الحمل الضخم ذو السنامين يحمل من الهند وهو الدهاييج

بفتح الدال وبالميم في آخره كما تقدم في باب الدال المهملة ، وفي الحديث أن فالجا تردى في بئر .

﴿ فالبة الأنعامي ﴾ : بنات وردان ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في آخر باب الواو : وقيل

هي ضرب من الخنافس رقط تألف العقارب ، جحرة الضب .

(الأمثال) قالت العرب : آياتكم فالية الأفاعى وجمعها القوالى لأنها إذا خرجت يعلم أن الضب خارج لامحالة ، وإذا رؤيت فى الحجر علم أن وراءها العقارب والحيات والأفاعى يضرب لأول شر ينتظر بعاهه شر منه ، والله تعالى أعلم :

﴿ فتاح ﴾ : كصياح طائر يكنى أم عجلان تقدم فى آخر باب العين المهملة .

﴿ الفتح ﴾ : دود أحمر يأكل الخشب . قال الشاعر :

غداة غادرتهم قتلى كأنهم خشب تقصف فى أجوافها الفتح

الواحدة فتعة قاله ابن سيده .

﴿ الفحل ﴾ : الذكر من ذى الحافر والظلف والخف وغير ذلك من ذى الروح وجمعه أفحل . وفحول وفحولة وفحال وفحالة . قال البخارى فى الجهاد : وقال راشد بن سعد : كان السلف يستحبون الفحولة من الخليل لأنها أجرى وأجرأ أى أسرع وأجسر . وروى الحافظ أبو نعيم من طريق غيلان بن سلمة الثقفى قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفارة فرأينا منه عجبا جاء رجل فقال : يا رسول الله إنه كان لى حائط فيه عيشى وعيش عيالى ولى فيه ناضحان فحلان ، وقد منعانى أنفسهما وحائطى وما فيه فلا يقدر أحد أن يندو منهما ، فنهض نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الحائط فقل لصاحبه : افتح ، فقال إن أمرهما عظيم فقال صلى الله عليه وسلم افتح فلما حرك الباب أقبلا ولهما رغاء وجابة ، فلما انفرج الباب ونظرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بركا ثم سجدا ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم برعوسهما ثم دفعهما إلى صاحبهما وقال : استعماهما وأحسن عافهما ، فقال القوم ، نسجد لك البهائم أفلا تأذن لنا بالسجود لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن السجود لا ينبغى إلا للحى القيوم الذى لا يموت ولو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » ورواه الطبرانى من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال ورجاله ثقات :

وروى الحافظ الدمياطى فى كتاب [الخليل] عن عروة البارقي أنه قال : كانت لى أفراس وفيها فحل شراؤه عشرون ألف درهم فقفا عينه دهقان . فأتيت عمر رضى الله تعالى عنه فأخبرته فكتب إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه : أن خير الدهقان بين أن يعطيه عشرين ألفاً ويأخذ الفحل وبين أن يغرم ربع الثمن ، فقال الدهقان : ما أصنع بالفحل ؟ وغرم ربع الثمن ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا فى لفظ الحيوان ، وفى الصحيحين وغيرهما .

« بعض أحدم أخاه كما بعض الفحل » وفى السنن « يضرب أحدم امرأته ضرب الفحل » . وروى الشافعى رحمه الله تعالى فى مسنده بإسناد على شرط مسلم عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما أنه قال : إن لبن الفحل لا يحرم ومعناه أن حرمة الرضاع لا تثبت بين

المرتضع وبين زوج المرضعة الذى اللبن منه وإنما تنتشر الحرمة إلى أقارب المرضعة لا غير، وروى هذا عن ابن عمر وابن الزبير رضى الله تعالى عنهم، وبه قال داود الأصم وهو اختيار عبد الرحمن ابن بنت الشافعى، والذى ذهب إليه الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء الأمة: أن حرمة الرضاع تثبت بين المرتضع وبين المرضعة وبين زوجها الذى منه اللبن فتكون المرضعة أمه له وزوجها أباه كما إذا ولدته من مائه وكانا أبوين له لحديث عائشة رضى الله تعالى عنها المتفق على صحته فى قصة أفلح بن أبي القعيس، وحديثها أيضا المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» وإنما تثبت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما: أن يكون قبل المولود حولين لقوله تعالى - والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين - ولقوله صلى الله عليه وسلم «لا يحرم من الرضاع إلا ما يفتق الأمعاء» وفى رواية «لارضاع إلا ما نشر العظم وأنت اللحم» وإنما يكون هذا فى حال الصغر وعند أبى حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى - وحمله وفصاله ثلاثون شهرا - والشرط الثانى: أن يكون خمس رضعات متفرقات كل رضعة إلى الشبع، روى ذلك عن عائشة وعبد الله ابن الزبير رضى الله تعالى عنهم، وبه قال مالك والشافعى، وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن قليل الرضاع وكثيره محرم وهو قول ابن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم. وروى عن سعيد بن المسيب وإليه ذهب الثورى ومالك فى إحدى الروايات، والأوزاعى وعبد الله ابن المبارك وأبو حنيفة: فإن كان للرجل خمس بنات أو زوجات أو أمهات أو أولاد فأرضعت كل واحدة رضعة واحدة جنيينا واحدا ففيه ثلاثة أوجه: أحدها لا يقع التحريم، والثانى يصير ابنا للمرضعات، والثالث يصير ابنا له وللمرضعات، فإن وصل اللبن إلى جوفه بحقنه ففيه قولان، وإن اختلط اللبن بمائع ووصل إلى جوفه ثبتت الحرمة وإن كان مغلوبا على أصح القولين، وللمسألة فروع مبسوطة فى كتب الفقه.

(قلت) وقد أذكرنى اللبن حديثا رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لأخاف على أمتى إلا اللبن فإن الشيطان بين الرغوة والضرع».

وروى أيضا من حديث عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «سيهلك من أمتى أهل اللبن. قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: أناس يحبون اللبن فيخرجون من الجماعات ويتركون الجمعة» قال الحرثى: أظنه أراد يتباعدون عن الأمصار وعن صلاة الجماعة ويطلبون مواضع اللبن فى المراعى والبرارى والبوادرى. وقال غيره: أراد قوما أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، وفى صحيح البخارى من حديث عمر رضى الله تعالى عنهما «أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن عسب الفحل» والأشهر فى تفسيره أنه ضراب الفحل كما

قال الشاعر :

ولولا عسبه لرددتموه وشر منيحة فحل يعار
وقيل المراد ثمن مائه ففي رواية الشافعي وأحمد وأبي داود في بعض نسخه « نهى عن ثمن
عسب الفحل » وقيل العسب أجرة ضرايه فيحرم ثمن مائه وكذا أجرته في الأصح .
(الأمثال) قال العسكري : ومن الأمثال المستحسنة قولهم ذلك الفحل لا يقدر أنفه ،
وقد تمثل به ورقة بن نوفل في النبي صلى الله عليه وسلم حين خطب خديجة بنت خويلد
رضي الله تعالى عنها ، ويقال بل تمثل به أبو سفيان بن حرب حين خطب النبي صلى الله عليه
وسلم ابنته أم حبيبة رضي الله تعالى عنها . قال : وأصحاب الحديث يروونه الفحل : لا يقرع أنفه .
بالراء اه : قال الشماخ :

إذا ما استافهن ضربن منه مكان الرمح من أنف القدوع
قوله استافهن يعني حمارا يستاف أنثى فيربحنه إذا استافهن ، والسوف الشم ، وقوله مكان
الرمح من أنف القدوع أراد بالقدوع المقدوع ، وهذا من الأضداد يقال طريق ركوب إذا
كانت تركب ، ورجل ركوب للدواب إذا كان يركبها ، وناقاة رغوثة إذا كانت ترضع ،
وحوار رغوثة إذا كان يرضع ، وشاة حلوب إذا كانت تحلب ، ورجل حلوب إذا كان يحلب .
الشاة ، والقدوع هنا البعير قدع أنفه وهو أن يريد الناقاة الكريمة ولا يكون كريما فيضرب
أنفه بالرمح حتى يرجع يقال قدع أنفه عن كذا أي منع عنه ، وأنشد الشيخ شرف الدين
الدمياطى في أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب لعبد الله بن يزيد الهلالى :

ما أنجيت نجبية من فحل يجبل نعلمه أو سهل
كسته من بطن أم الفضل زوجة عم المصطفى ذى الفضل
خاتم الأنبياء وخير الرسل أكرم بها من كهلة وكهل

وقالوا : الفحل يحمى شوله معقولا ، والشول تقدم في باب الشين المعجمة أنها النوق
التي جف لبها وارتفع ضرعها وأنى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية الواحدة شائلة والشول
جمع على غير قياس ، ومعقولا نصب على الحال أى أن الحر يحتمل الأمر الجليل في حفظ
أهله وحريمه وإن كانت به علة ، وقد تمثل بذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص أخى سعد
ابن أبي وقاص حين فقتت عينه بالبرموك ، وهو الذى افتتح جلولاً من بلاد فارس وهزم
الفرس ، وكانت جلولاً تسمى فتح الفتوح وبلغت غنائمها ثمانية عشر ألف ألف ؛
وشهد صفين مع على رضي الله عنه وكانت معه الراية وهو على الرجالة ، وقتل يومئذ .
وهو يقول :

أعور يبغى أهله محلا قد عالج الحياة حتى ملا
لا بد أن يفلا أو يفلا

فقطعت رجله يومئذ وهو يقاتل من دنا منه وهو بارك ويقول: الفحل يحمى شوله معقولا وفيه يقول أبو الطفيل عامر بن وائلة رضى الله عنه :

ياهاشم الخير جزيت الجنة قاتلت في الله عدو السنة

ومن أحكام الفحل : أن من غصب فحلا وأنزاه على شاته فالولد للغاصب ولا شئ عليه للإنزاء لكن إذا نقص الفحل بذلك غرم أرش نقصه ، وإن غصب شاة وأنزى عليها فحلا فالولد لصاحب الشاة :

(تذييب) قال يونس : جميع الألبان معتدلة . وقال الرازى : الحلو حار وأجوده ما كان من ضأن فتى ، وهو ينفع الصدر والرئة ويضر أصحاب الحيات ، وهو يولد غذاء جيدا ويوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة والصبيان وأجود أكله في الربيع ، وأما اللبن الحامض فيبارد رطب وأجود الكثير الزبد ، وهو ينفع لتسكين العطش ويضر بالأسنان واللثة ويدفع ضره التخمض بماء العسل ، ويولد خلطا محمودا ويوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة والعلمان وأجود استعماله في الصيف ، ويختار اللبن بعد الولادة بأربعين يوما ويختلف بحسب صفة المطبوخ مع الخلطة والأرز يوافق أصحاب الأمزجة الحارة ، وما نزع زبده ومائته ويقال له الودع ينفع الأمزجة الحارة ، وإذا ألتى في اللبن الحصا المحمى حتى تذهب مائته نفع من الذرب ، والذي أخرج غلظه بالأنفحة إذا خلط بالسكنجيين السكرى نفع من الحسكة والجرب ، ولبن الأتن ينفع من السل والدق ، ولبن اللقاح نافع من الاستسقاء إذا خلط مع أبوالها ، وما خثر من اللبن فهو بارد يمسك الطبع ويولد خلطا غليظا وسددا وحجارة في الكلى انتهى .

(تمة) اللبن في المنام : فطرة الإسلام ، وهو مال حلال يناله بلا تعب لقوله تعالى : - لبنا خالصا سائغا للشاربين - وأما الرائب فهو مال حرام لحموضته وخروج دسومته ، ولبن الغنم مال شريف ، ولبن البقر غنى ، ولبن الخيل ثناء حسن ، ولبن الثعلب شفاء من مرض ولبن البغل عسر وهول ، ولبن النمر عدو يظهر ، ولبن الأسد مال من سلطان ، ولبن حمار الوحش شك في الدين ، ولبن الخنزير مصيبة في العقل ومال لمن شربه في المنام ، وقيل لإصابة مال عظيم لكن يخشى على عقل شاربه ، ولبن ابن آدم زيادة في المال إذ هو زاد في الثدي ولا يحمد لمن رضعه فإنه يدل على داء مكروه . قال محمد بن سيرين : لا أحب الراضع ولا المرضع ، فإن شربه المريض شفى من مرضه لأن به كان نشؤه وقوته ، ومن بدد اللبن فقد ضيع دينه ومن رأى اللبن يخرج من الأرض فإنها فتنة يراق فيها الدم على قدر ذلك اللبن ولبن الكلاب والذئاب والسنابير خوف أو مرض ، وقيل إن لبن الذئب مال من سلطان ورياسة على قوم ، ولبن الهوام من شربه فإنه يصلح أعداءه ، والله تعالى أعلم .

﴿ القدس ﴾ : بالضم العنكبوت والجمع فدية كقردة .

﴿ الفراء ﴾ : الحمار الوحشى والجمع الفراء مثل جبل وجبال وفى المثل « كل الصيد فى جوف الفراء » قاله النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان بن الحرث ، وقيل لأبي سفيان بن حرب كذا قاله أبو عمر بن عبد البر ، وقال السهيلي : الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله لابن حرب يتألفه به ، وذلك أنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فحجب قليلاً ثم أذن له فلما دخل قال : ما كدت تأذن لى حتى تأذن لـحجارة الجلهتين ، وهما جانب الوادى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا أبا سفيان أنت كبا قيل كل الصيد فى جوف الفراء » قال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك يتألفه على الإسلام يعنى إذا حجبك منع كل محجوب ، وقال فى كلامه على فتح مكة : الأصح أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله لأبي سفيان بن الحرث ، وكان رضيع النبي صلى الله عليه وسلم أرضعتها حليمة ، وكان آلف الناس له قبل النبوة لا يفارقه ، فلما بعث صلى الله عليه وسلم كان أبعد الناس وأهجاجهم له إلى أن أسلم فكان أصح الناس إيماناً وأزهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصل هذا المثل أن جماعة ذهبوا إلى الصيد فصاد أحدهم ظيباً والآخرون أرنبا والآخرون حمار وحش ، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا وتطاولا على الثالث : فقال الثالث كل الصيد فى جوف الفراء : أى الذى رزقت وظفرت به مشتمل على ما عندكما وذلك أنه ليس فيما يصيده الناس أعظم من حمار الوحش ، ثم اشتهر ذلك المثل واستعمل فى كل حاو لغيره وجامع له قال الشاعر :

يقولون كافات الشتاء كثيرة وما هى إلا واحد غير ممتري
إذا صح كاف الكيس فالكل حاصل لديك وكل الصيد فى جوف الفراء

﴿ الفراش ﴾ : دواب مثل البعوض واحداً فراشة وهى التى تطير وتهافت فى السراج لضعف إبصارها فهى بسبب ذلك تطلب ضوء النهار ، فإذا رأت فتيلة السراج باللبل ظنت أنها فى بيت مظلم وأن السراج كوة فى البيت المظلم إلى الموضع المضىء فلا تزال تطلب الضوء وترمى بنفسها إلى النار ، فإذا جاوزتها ورأت الظلام ظنت أنها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود إليها مرة بعد مرة حتى تحترق . قال الإمام حجة الإسلام الغزالي : ولعلك تظن أن هذا لنقصان فهمها وجهلها ، ثم قال : فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جهلها ، بل صورة الإنسان فى الإكباب على الشبهوات والتهافت فيها أعظم جهالة منها لأنه لا يزال يرمى بنفسه فيها إلى أن ينغمس فيها ويهلك هلاكاً مؤبداً ، فليت جهل الآدمى كان كجهل الفراش فإنها باعترارها بظواهر الضوء إن احترقت تخلصت فى الحال ، والآدمى يبقى فى النار أبد الآبأد أو مدة مديدة ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنكم تنهافتون فى النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم » انتهى . ولقد أجاد مهلهل بن يموت فى قوله :

جلت محاسنه عن كل تشبيه وجل عن واصف فى الحسن يحكيه

انظر إلى حسنه واستغن عن صفتي سبحان خالقه سبحان باريه
الترجس الغض والورد الجنى له والأقحوان النظير الغض في فيه
دعا بألحاظه قلبي إلى عطبي فجاءه مسرعاً طوعاً بليبه
مثل الفراشة تأتي إذ ترى لها إلى السراج فتلقى نفسها فيه
وقال عون الدين العجمي :

لهيب الخلد حين بدا لطرفي هوى قلبي عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالاً وها أثر الدخان على الخواشي

(فائدة) قال الله تعالى - يوم يكون الناس كالفراش المبيثوث - شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطير إلى الداعي من كل جانب كما يتطير الفراش. روى مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبحن عنها ، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تتفلتون من يدي » .

وروى مسلم أيضاً عن ابن مسعود قال : لما أمرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدره المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال تبارك وتعالى - إذ يغشى السدره ما يغشى - قال : فراش من ذهب . وروى البيهقي في الشعب عن النّوأس بن سمعان رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مالي أراكم تهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب إلا الكذب في الحرب ، والكذب في إصلاح ذات البين ، وكذب الرجل على امرأته ليرضيها » .

(الحكم) تحريم الأكل .

(الأمثال) قالوا : أطيش من فراشة وأضعف وأذل وأجهل وأخف وأخطأ من فراشة لأنها تلتقي نفسها في النار ، كما قالوا : أخطأ وأجهل من ذباب ، لأنه يلتقي نفسه في الطعام الحار وفيما يهلكه . قال الشاعر :

سفاهة سنور وحلم فراشة وإنك من كلب المنهارش أجهل

(التعبير) الفراش في المنام : عدو ضعيف مهين عظيم الكلام . وقال ارطاميدورس :
الفراش للفلاحين يدل على البطالة ، والله تعالى أعلم :

﴿ الفرافصة ﴾ : بالضم إسم للأسد وبالفتح إسم لرجل ، وقيل كل فرافصة في العرب فهو بالضم إلا فرافصة أبا نائلة صهر عثمان رضي الله تعالى عنه فإنه بالفتح ، وهو الذي ذكره مالك في الموطأ في أبواب الصلاة عن يحيى بن سعيد عن ربيعة بن عبد الرحمن عن القاسم بن محمد

أن الفرافصة بن عمير الحنفي قال : ما أخذت سورة يوسف إلا من قراءة عثمان بن عفان إياها في الصبح من كثرة ما كان يرددها .

﴿ الفرخ ﴾ : ولد الطائر هذا هو الأصل وقد استعمل في كل صغير من الحيوان والنبات والأشئ فرخة ، وجمع القلة أفرخ وأفراخ والكثرة فراخ :

روى أبو داود بإسناد صحيح على شرط الشيخين عن عبد الله بن جعفر « أن النبي صلى الله عليه وسلم أمهل آل جعفر ثلاثا ثم أتاهم فقال : لا تبكوا على أخي بعد اليوم ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : ادعوا إلى بني أخي ، فجيء بنا كأننا أفرخ فقال صلى الله عليه وسلم : ادعوا إلى الخلاق ، فأمره فخلق رؤوسنا » وروى البزار عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بعض مغازيه فيبيناهم يسرون إذ أخذوا فرخ طير فأقبل أحد أبويه حتى سقط على أيدي الذين أخذوا الفرخ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تعجبون لهذا الطير أخذ فرخه فأقبل حتى سقط في أيديهم؟ قالوا : بلى يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم : والله لله أرحم بعباده من هذا الطير بفرخه . »

وفي سنن أبي داود في أوائل كتاب [الجنائز] من حديث عامر الرام أخى الخضر بضم الخاء وإسكان الضاد المعجمتين وهو فرد في الأسماء قال « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل عليه كساء وفي يده شئ قد لف عليه طرف كسائه فقال : يا رسول الله إنى لما رأيتك أقيت فررت بغیضة شجر فسمعت فيها أصوات فراخ طائر فأخذتهن فوضعتهن في كسائي ، فجاءت أمهن فاستدارت على رأسي فكشفت لها عنهن فوقعت عليهن فلففتها معهن وهاهن فيه معي ، فقال صلى الله عليه وسلم : ضعهن عنك فوضعهن وأبت أمهن إلا لزومهن ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أتعجبون لرحمة أم الفراخ فراخها؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال صلى الله عليه وسلم : فوالذي بعثني بالحق نبيا لله أرحم بعباده من أم هؤلاء الأفراخ بفراخها ، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن ، فرجع بهن وأمهن ترفرف عليهن . »

وروى مسلم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن لله مائة رحمة قسم منها رحمة في دار الدنيا فيها يعطف الرجل على ولده والطير على فراخه ، فإذا كان يوم القيامة صيرها مائة رحمة فعاد بها على الخلق » قال أبو أيوب السجستاني : إن رحمة الله قسمها في دار الدنيا وأصابني منها الإسلام ، وإني لأرجو من تسع وتسعين رحمة ما هو أكثر من ذلك .

وروى مسلم أيضا والنسائي والترمذي عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفت » وفي رواية الترمذي « قد جهد فصار

مثل الفرخ ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه ؟ قال : نعم كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعبه لي في الدنيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه : أفلا قلت : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . قال : فدعا الله به فشفاه » ومعنى قوله مثل الفرخ أنه ضعف ونخل جسمه وخفى كلامه ، وتشبيهه له بالفرخ يدل على أنه تناثر أكثر شعره ، ويحتمل أن يكون شبهه به لضعفه والأول أوقع في التشبيه ، ومعلوم أن مثل هذا المرض لا يبقى معه شعر ولا قوة ، وفي هذا الحديث النهي عن الدعاء بتعجيل العقوبة وفيه فضل الدعاء « باللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وفيه جواز التعجب بقول « سبحان الله » وقوله صلى الله عليه وسلم « إنك لا تطيقه » يعني أن عذاب الآخرة لا يطيقه أحد في الدنيا لأن نشأة الدنيا ضعيفة لا تحتمل العذاب الشديد والألم العظيم بل إذا عظم على الإنسان هلك ومات ، وأما الآخرة فهي للبقاء إما في النعيم أو العذاب إذ لا موت كما قال الله تعالى في حق الكفار - كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب - نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة ، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أرشده إلى أحسن ما يقال لأنها من الدعوات الجوامع التي تتضمن خير الدنيا والآخرة ، وذلك أن النكرة في سياق الطلب إغامة فكأنه يقول : اعطني كل حالة حسنة في الدنيا والآخرة ، وقد اختلفت أقوال المفسرين في الآية اختلافا يدل على عدم التوفيق وعلى قلة التأمل لوضع الكلمة فتبيل الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة والمغفرة ، وقيل العافية ، وقيل المال وحسن المال ، وقيل المرأة الصالحة والخور العين ، والصحيح الحمل على العموم .

قال النووي : وأظهر الأقوال في تفسير الحسنة أنها في الدنيا العبادة والعافية وفي الآخرة الجنة والمغفرة ، وقيل الحسنة نعيم الدنيا ونعيم الآخرة ، وفي تاريخ ابن النجار وعوالى أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن المثني بن أنس بن مالك الأنصاري قاضي البصرة وعالمها ومسندها ، وهو من كبار شيوخ البخاري من حديث الحسن بن أبي الحسن عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم رجل يأتي وكر طائر كلما أفرخ أحد فراخه فشكا ذلك الطائر إلى الله تعالى ما يفعل به فأوحى الله تعالى إليه إن عاد فسأهلكه ، فلما أفرخ ذلك الطير خرج ذلك الرجل كما كان يخرج فيبينا هو في بعض الطريق سأله سائل فأعطاه رغيفا كان معه يتغذاه ، ثم مضى حتى أتى الوكر ووضع سلمه ثم صعد فأخذ الفرخين وأبواهما ينظران إليه فقالا : ربنا إنك لا تحلف الميعاد وقد وعدتنا أنك تهلك هذا إذا عاد وقد عاد وأخذ فرخيننا ولم تهلكه ، فأوحى الله إليهما ألم تعلمتا أني لا أهلك أحد تصدق بصدقة نبي يومه بموتة سوء وقد تصدق » .

(فائدة) كانت رؤية فرخ الطائر سببا لتفى حنة امرأة عمران الولد وذلك أنها كانت عاقرا لم تلد إلى أن عجزت ، فبينما هي في ظل شجرة إذ رأت طائرا يزق فرخا فتحركت نفسها للولد ونمتته فقالت - رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم - أي السميع لدعائي العليم بضميرى فنذرت أن تتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمته ، وكان ذلك في شريعتهم جائزا فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل - فلما وضعها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعوذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا - ووصفها بأنها أحصنت فرجها .

قال الزمخشري : إحصانا كليا عن الحلال والحرام جميعا كما قال تعالى - ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا - وقال السهيلي : أحصنت فرجها يريد فرج القميص أى لم يتعاق بشوبها ريبة . فهى طاهرة الأنواب ، وفروج القميص أربعة : الكمان والأعلى والأسفل فلا يذهب فكرك إلى غير هذا ، وهذا من لطيف الكناية لأن القرآن أنزه معنى وأوجز لفظا وأطف إشارة وأحسن عبارة من أن يريد ما يذهب إليه وهم الجاهل لاسيما النفخ من روح القدس بأمر القدوس فأضف القدس إلى القدوس ونزه المقدسة عن الظن الكاذب والحدس وبالله التوفيق .

(فرع) ومن أحكام الفرخ أنه إذا غضب إنسان بيضا فحضنه دجاجة كانت الفراخ لصاحب البيض لأنها من عين المغصوب . وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه . يضمن البيض ولا يرد الفراخ واستدل على ذلك بأنه خلق سوى البيض قال تعالى فى سورة المؤمنون - ثم أنشأناه خلقا آخر - وفى التحفة المسكية للقاضى نصر العبادى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه قال : بلغنى أنه كان رجل من بنى إسرائيل ذبح عجلا بين يدي أمه فأبىس الله يده ، فبينما هو ذات يوم جالس وإذا بفرخ طائر سقط من وكره فجعل ينظر ويصبص إلى أبويه وأبواه ينظران ويصبصان إليه ، فأخذ ذلك الرجل ورده إلى وكره رحمة له فرحمه الله لرحمته لذلك الفرخ ورد عليه يده بما صنع ، والله تعالى أعلم .

(التعبير) الفراخ المشوية المنام : مال ورزق يتعب لمسه النار ، فمن رأى أنه أكل لحم فراخ نيا يغتاب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وأشرف الناس ، ومن أكل لحم فراخ السباع من الطير كالشاهين والصقر والعقاب ونحوها فإنه يغتاب أولاد الملوك أو ينكحهم ، ومن اشترى فرخا مشويا فإنه يستأجر أجيرا ، والله تعالى أعلم .

(الفرس) : واحد الخيل والجمع أفراس الذكر والأنثى فى ذلك سواء وأصله التأنيث . وحكى ابن جنى والفراء فرسة ، وقال الجوهري : هو اسم يقع على الذكر والأنثى ولا يقال

للأنثى فرسة وتصغير الفرس فريس ، وإن أردت الأنثى خاصة لم تقل إلا فريسه بالهاء ، ولفظها مشتق من الافتراس لأنها تفترس الأرض بسرعة مشيها ، وراكب الفرس فارس وهو مثل لابن وتامر : أى صاحب لبن وصاحب تمر ، وفارس : أى صاحب فرس ، ويجمع على فوارس وهو شاذ لا يقاس عليه . روى أبو داود والحاكم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الأنثى من الخيل فرسا » قال ابن السكيت : يقال لراكب ذى الحافر من فرس أو بغل أو حمارة فارس : قال الشاعر :

وإني امرؤ للخيل عندى مزية على فارس البرذون أو فارس البغل

وقال عمارة بن عتيق بن بلال بن جرير : لا أقول لصاحب البغل فارس ولكن أقول بغال ، ولا أقول لصاحب الحمار فارس ولكن أقول حمار وكنية الفرس : أبو شجاع وأبو طالب وأبو مدرك وأبومضى وأبو المضمار وأبو المنجى ، والفرس أشبه الحيوان بالإنسان لما يوجد فيه من الكرم وشرف النفس وعلو الهمة ، وتزعم العرب أنه كان وحشيا وأول من ذلله وركبه إسماعيل عليه السلام ، ومن الخيل مالا يبول ولا يروث ما دام راكمه عليه ، ومنها ما يعرف صاحبه ولا يمكن غيره من الركوب عليه ، وكان لسليمان عليه السلام خيل ذوات أجنحة ، والخيل نوعان : هجين وعتيق ، والفرق بينهما أن عظم البرذون أعظم من عظم الفرس ، وعظم الفرس أصلب وأثقل من عظم البرذون ، والبرذون أحمل من الفرس ، والفرس أسرع من البرذون ، والعتيق بمنزلة الغزال والبرذون بمنزلة الشاة فالعتيق من الخيل ما أبواه عربيان سمى بذلك لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه بالأموال المنقصة ، والعتيق الكريم من كل شيء والخيار من كل شيء التمر والماء والبازي والشحم ، وسميت الكعبة البيت العتيق لسلامتها من عيب الرق لأنها لم يملكها ملك من الملوك الجبابرة قط ، وسمى أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه عتيقا لجماله ، ويقال لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : أنت عتيق الرحمن من النار ولم يزل يعين الرضا من الله ، ويقال لأن أمه كان لا يعيش لها ولد ، فلما عاش سمته عتيقا لأنه عتق من الموت .

(فائدة) قال الزمخشري في تفسيره سورة الأنفال : وفي الحديث « إن الشيطان لا يقرب صاحب فرس عتيق ولا دارا فيها فرس عتيق » وروى الحافظ شرف الدين الدمياطى في كتاب [الخيل] حديثا عزاه إلى ابن منده في كتاب [الصحابة] وإلى ابن سعد في [الطبقات] وإلى ابن قانع في [معجم الصحابة] من حديث عبد الله بن عريب الميمكي عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الشيطان لا يجبل أحدا في دار فيها فرس عتيق » انتهى . وكذلك رواه الحرث بن أبي أسامة عن الميمكي عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ورواه الطبراني في معجمه ، وابن عدى في كامله في ترجمة سعيد بن سنان ثم ضعفه .

وروى القاضي أبو القاسم علي بن محمد النخعي كتاب [الخليل] وهو كتاب لطف نسخته موقوفة بالفاضلية قال : حدثنا الحسن بن علي بن عفان قال : حدثنا الحسن بن عطية عن طلحة بن زيد عن الوضين بن عطاء عن سليمان بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية - وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم - قال : هم الجن لا يدخلون دارا فيها فرس عتيق . وقال مجاهد في تفسير هذه الآية : هم بنو قريظة . وقال السدي : هم أهل فارس . وقال الحسن : هم المنافقون ، وقيل هم كفار الجن كما تقدم . قال ابن عبد البر في [التمهيد] : الفرس العتيق هو الفاره عندنا ، وقال صاحب [العين] هو السابق ، وفي [المستدرک] من حديث معاوية بن خديج بالحاء المهملة المضمومة والذال المهملة المفتوحة وبالجم في آخره ، وهو الذي أحرق محمد بن أبي بكر بمصر رضى الله تعالى عنه عن أبي ذر رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من فرس عربي إلا يؤذن له كل يوم بدعوتين يقول : اللهم كما خولتني من خولتني فاجعلني من أحب ماله إليه » ثم قال : صحيح الإسناد ، ولهذا الحديث قصة ذكرها النسائي في كتاب [الخليل] من سننه فقال : قال أبو عبيدة : قال معاوية بن خديج : لما افتتحت مصر كان لكل قوم مراغة يمرغون فيها دوابهم ، فر معاوية بأبي ذر رضى الله تعالى عنهما وهو يمرغ فرساً له فسلم عليه ثم قال : يا أبا ذر ما هذا الفرس ؟ فقال : هذا فرس لا أراه إلا مستجاب الدعاء . قال : وهل تدعو الخليل وتجاب ؟ قال : نعم ، ليس من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه فيقول : رب إنك سمعرتني لابن آدم وجعلت رزقي في يده اللهم فاجعني أحب إليه من أهله وولده ، فمنها المستجاب ومنها غير المستجاب ولا أرى فرساً هذا إلا مستجابا . وروى الحاكم عن عقبه بن عامر رضى الله تعالى عنه مرفوعا قال : إذا أردت أن تغزو فاشتر فرسا أدهم محجلا طلق اليمين فإنك تغنم وتسلم ، ثم قال : صحيح على شرط مسلم ، والهجين الذي أبوه عربي وأمه عجمية ، والمقرف وهو بضم الميم وإسكان القاف وبالراء المهملة والفاء في آخره عكسه وكذلك في بني آدم ، وأنشد أبو عبيد القاسم بن سلام لهند ابنة النعمان بن بشير :

وهل هند إلا مهرة عربية سلية أفراس تحللها بغل

فإن نتجت مهرا كرى فبالحرى وإن يك إقراف فن قبل الفحل

قال البطليوسي في شرحه : هكذا رويناها : فن قبل الفحل ، والرواية الأخرى .

وإن يك إقراف فما أنجب الفحل

وقال : وقد روى هذا الشعر لحميدة بنت النعمان بن بشير وأنها قالت في الفيض بن عقيل

الثقفي ، فن رواه لحميدة روى :

وما أنا إلا مهرة عربية

وكانت حميدة في أول أمرها تحت الحرث بن خالد الخزومي فتركته وقالت فيه :
 فقدت الشيوخ وأشياهم وذلك من بعض أقواله
 ترى زوجة الشيخ مغمومة وتسمى لصحبته قاليه
 فطلقها الحرث وتزوجها روح بن زنباع فتركته وقلته وهجته فقالت فيه :
 بكى الخبز من روح وأنكر جلده وعجت عجيجا من جذام المطارف
 وقال العباء نحن كنا ثيابهم وأكسية مطروحة وقطائف
 فطلقها روح وقال : ساق الله إليك قتي يسكر وبقء في حجرك ، فتزوجها الفيض
 ابن عميل الثقفي فكان يسكر وبقء في حجرها فكانت تقول : أجيبت في دعوة روح
 ابن زنباع ، وكانت تهجوه وتقول :

سميت فيضا وما شئء تفيض به إلا بسلكك بين الباب والدار
 فتلك دعوة روح الخبير أعرفها سقى الإله ثراه الأوظف السارى

قال البطليوسي : قد أنكر كثير من الناس رواية بغل بالباء لأن البغل لا ينتج : قالوا :
 والصواب نغل بالنون وهو الخسيس من الدواب : وفي سنن البيهقي في كتاب البيوع
 « أن عبد الرحمن بن عوف اشترى من عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما فرساً بأربعين
 ألفاً ، والفرس الذى اشتراه النبي صلى الله عليه وسلم من الأعرابي وشهد له به خزيمة اسمه
 المرتجز واسم الأعرابي سواد بن الحرث الحاربي ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ابتاعه منه
 فاستبغه ليقبض ثمنه منه فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم المشى وأبطأ الأعرابي فساومه
 رجال لا يشعرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاعه منه ، فنادى الأعرابي إن كنت مبتاعا
 هذا الفرس وإلا بعته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أو ليس قد ابتعته منك ؟ فقال
 الأعرابي : لا والله ، وطفق الأعرابي يقول : هلم بشهيد ، فقال خزيمة : أنا أشهد ، فأقبل
 النبي صلى الله عليه وسلم على خزيمة فقال : بم تشهد ؟ قال : بتصديقك يا رسول الله ،
 فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة بشهادة رجلين « أخرجه أبو داود والنسائي
 والحاكم ، وفي رواية في الحديث « هل حضرتنا يا خزيمة ؟ قال : لا : قال : فكيف تشهد
 بذلك ؟ فقال خزيمة : بأبي أنت وأمي يا رسول الله أصدقك على أخبار السماء وما يكون في غد
 ولا أصدقك في ابتياعك هذا الفرس ! فقال عليه الصلاة والسلام : إنك لذو الشهادتين
 يا خزيمة » وفي رواية صحيحة عند الطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من شهد له
 خزيمة أو شهد عليه فحسبه » قال السهيلي : وفي مسند الحرث زيادة وهى أن النبي صلى الله
 عليه وسلم رد الفرس على ذلك الأعرابي وقال « لا بارك الله لك فيها » فأصبحت من الغد
 شائلة برجلها : أى ماتت ، ومن أغرب ما اتفق لخزيمة رضى الله تعالى عنه مارواه الإمام

أحمد من عدة طرق برجال ثقات : أنه رأى في النوم أنه سجد على جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فاضطجع له النبي صلى الله عليه وسلم فسجد خزيمة على جبهته . وفي مسند الإمام أحمد عن روح بن زنباع أنه روى عن تميم الدارى رضى الله تعالى عنه أنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من نقى لفرسه شعيرا ثم جاءه حتى يعلفه كتب الله له بكل شعيرة حسنة » ورواه ابن ماجه بمعناه .

وفي كتب الغريب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الله عز وجل يحب الرجل القوى المبدى المعيد على الفرس » أى المبدى المعيد الذى أبدى فى غزوه وأعاد فغزا مرة بعد مرة أى جرب الأمور طورا بعد طور ، والفرس المبدى المعيد الذى غزا عليه صاحبه مرة بعد أخرى ، وقيل هو الذى قد ربيض وأدب وصار طوع راكبه :

وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب فرسا معرورا لأبي طلحة وقال « إن وجدناه لبحرا » وفى الغائق إن أهل المدينة فزعوا مرة فركب صلى الله عليه وسلم فرسا مقرفا وركض فى آثارهم فلما رجع قال « إن وجدناه لبحرا » قال حماد بن سلمة : كان هذا الفرس بطيئا فلما قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا القول صار سابقا لا يلحق .

وروى النسائي والطبراني من حديث عبد الله بن أبي الجعد أخى سالم بن أبي الجعد عن جعيل الأشجعي رضى الله تعالى عنه قال « خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته وأنا على فرس عجفاء فكنت فى آخر الناس فلحقنى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : سر يا صاحب الفرس فقلت : يا رسول الله إنها فرس عجفاء ضعيفة . قال : فرفع صلى الله عليه وسلم مخففة كانت معه فضربها بها وقال : اللهم بارك له فيها ، فلقد رأيتنى ما أملك رأسها حتى صرت قدام القوم ، ولقد بعث من بطنها بائنى عشر ألفا » .

وروى عن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه : أنه كان لا يركب فى القتال إلا الإناث لقلة صهيلها : قال ابن محيريز : كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف وإناث الخيل عند البيات والغارات .

روى البخارى عن سعيد المقبرى أنه قال : سمعت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم « من احتبس فرسا فى سبيل الله تعالى إيمانا بالله عز وجل واحتسابا وتصديقا بوعدده ، فإن شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة » يعنى حسنات .

وروى مالك عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الخيل لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر ، فأما الذى همى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله تعالى فأطال لها فى مرج أو روضة فإصابته فى طيلها ذلك

من المرج أو الروضة كانت له حسنات ؛ ولو أنها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفا أو شرفين كانت أبوالها وأرواؤها له حسنات ، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن تسقى منه كان ذلك له حسنات فهي لذلك أجر ؛ ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله تعالى في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك سترا ، ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لأهل الإسلام فهي على ذلك وزر «
« وسئل صلى الله عليه وسلم عن الخمر فقال : ما أنزل الله على فيها شيئا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - وقد تقدم قريب من ذلك .

وروى ابن حبان في صحيحه عن أبي عامر الهوزني عن ابن كبشة الأتقاري واسمه عمرو بن سعد أنه أتاه فقال : اطرقني فرسك ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أطرق فرسا فعقب له كان له كأجر سبعين فرسا حمل عليها في سبيل الله تعالى : وإن لم يعقب كان كأجر فرس حمل عليها في سبيل الله » .

وفي طبع الفرس الزهو والخيلاء والسرور بنفسه والمحبة لصاحبه ، ومن أخلاقه الدالة على شرف نفسه وكرمه أنه لا يأكل بقية علف غيره ، ومن علو همته أن أشقر مروان كان سائسه لا يدخل عليه إلا بإذن وهو أن يحرك له الخلاة فإن حمحم دخل وإن دخل ولم يحمحم شد عليه والأثني من الخيل ذات شق شديد ولذلك تطيع الفحل من غير نوعها وجنسها . قال الجاحظ والحبيص يعرض للأناث منهن لسكنه قليل ، والذكر ينزو إلى تمام أربعين سنة وربما عمر إلى تسعين ، والفرس يرى المنامات كبنى آدم ، وفي طبعه أنه لا يشرب الماء إلا كدرا فإذا رآه صافيا كدره ، ويوصف بحدة البصر ، وإذا وطئ على أثر الذئب خدرت قوائمه حتى لا يكاد يتحرك ويخرج الدخان من جلده .

قال الجوهري : ويقال إن الفرس لا طحال له وهو مثل لسرعتة وحركته ، كما يقال البعير لا مرارة له أي لا جسارة له .

وأفاد الإمام أبو الفرج ابن الجوزي : أن من واظب على البداء في لبس النعل باليمين والخلع باليسار أمن من وجع الطحال .

وأفاد غيره : أن سورة الممتحنة إذا كتبت وغسلت وسقى المطحول ماءها فإنه يبرأ بإذن الله تعالى .

ومما جرب أيضا فوجد نافعا أن تكتب هذه الحروف على قطعة فروة وتعلق على الجانب الأيسر وتترك بطول الجمعة وهذه صورة ما تكتب :

اداح ح هم مامل ملما	محمد إلى راى	٠٨٩٧٣
---------------------	--------------	-------

صالح ضح وصح م له صالح دو مانع من إلى أن تنصره ومره

ومما جرب للطحال أيضا أن يكتب ويعلق على العضد الأيسر وهو هذا :

ح د صوع ٢٥٩٤٨١٩٢٣ ح د صوع

ومما جرب للطحال أيضا أن يكتب في ورقة ويحرق في ملعقة على الطحال : وعلم تضميرهم

ومما جرب أيضا أن يكتب في يوم السبت قبل طواع الشمس ويربط بخيط صوف ويعلق

على الجانب الأيمن مثل تعليق السيف ، وهو هذا

ح ح ه د م ص ها اص
اح الح ماتت إلى الأبد

كما ترى :

وروينا في كتاب [المجالسة] للدينوري المالسكي في آخر الجزء العاشر عن إسماعيل بن يونس قال : سمعت الرياشي يقول : عن أبي عبيدة وأبي زيد أنهما قالا : الفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له والظلم لا مخ له . قال أبو زيد : وكذلك طير الماء وحيثان البحر لألسنة لها ولا أدمغة . والسمك لا رئة له ولذلك لا يتنفس وكل ذى رئة يتنفس .

وروى الجماعة إلا ابن ماجه من حديث مالك عن الزهري عن سالم وحزرة ابني عبد الله ابن عمر عن أبيهما رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن يكن الخير في شيء ففي ثلاث : المرأة والدار والفرس » وفي رواية « الشؤم في ثلاث : المرأة والدار والفرس » وفي رواية « الشؤم في أربع ، المرأة والدار والفرس والخادم » .

(قلت) وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث ، فقيل معناه على اعتقاد الناس في ذلك لأنه خبر من النبي صلى الله عليه وسلم عن إثبات الشؤم .

وروى ذلك عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، ففي مسند أبي داود الطيالسي عنها أنه قيل لها : إن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشؤم في ثلاث : المرأة والدار والفرس ، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها : لم يحفظ أبو هريرة لأنه دخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قاتل الله اليهود يقولون الشؤم في ثلاث : المرأة والدار والفرس » فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله اه . قال البطلوسي : وهذا غير منكر أن يعرض لأنه عليه الصلاة والسلام كان يذكر في مجالسه الأخبار حكاية ويتكلم بها لا يريد به أمرا ولا نهيا ولا أن يجعله أصلا في دينه ، وذلك معلوم من فعاه مشهور من قوله وهذا نظير ما اتفق في قوله صلى الله عليه وسلم « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » وهو في الصحيحين لكن قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : إنما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية وهم يبكون عليها فقال عليه الصلاة والسلام « إنهم يبكون وإنها لتعذب ببكاء أهلها عليها » وقال مالك وطائفة قوله صلى الله عليه وسلم « الشؤم في ثلاث » الحديث على ظاهره .

فإن الدار قد يجعل الله سكنها سببا للضرر والهلاك ، وكذلك المرأة والفرس والخادم يجعل الله الهلاك أو الضرر عند وجودهم بقضاء الله وقدره. وقال ابن القاسم : سئل مالك عن هذا فقال : كم من دار سكنها قوم فهلكوا ثم سكنها آخرون فهلكوا يعني أنه عام على ظاهره : وقال الخطابي وكثيرون : هو في معنى الاستثناء من الطيرة : أي إن الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يكره سكنها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس أو خادم يكره إقامتهما ، فليفارق الجميع بالبيع ونحوه وطلاق المرأة وقال آخرون : شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلطة لسانها وتعرضها للريب وشؤم الفرس أن لا يغزى عليها ، وقيل حرانها وغلاء ثمنها ، وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض إليه ، وقيل المراد بالشؤم هنا عدم الموافقة .

واعترض بعض الملحد بحدِيث لا طيرة على هذا وأجاب ابن قتيبة وغيره بأن هذا مخصوص من حديث لا طيرة أي لا طيرة إلا في هذه الثلاثة . قال الحافظ الديلمي : ومن أغرب ما وقع لي في تأويله ما روينا به بالإسناد الصحيح عن يوسف بن موسى القطان عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « البركة في ثلاث في الفرس والمرأة والدار » قال يوسف : سألت سفيان بن عيينة عن معنى هذا الحديث ، فقال سفيان : سألت عنه الزهري ، فقال الزهري : سألت عنه سالما ، فقال سالم : سألت عنه أبي عبد الله بن عمر ، فقال عبد الله بن عمر : سألت عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤوم ، وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجها غير زوجها فحنت إلى الزوج الأول فهي مشؤومة ، وإذا كانت الدار بعيدة عن المسجد فلا يسمع فيها الأذان والإقامة فهي مشؤومة ، وإذا كن بغير هذه الصفات فهن مباركات ، » وفي الموطأ أن رجلا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم سكنوا دارا وعددهم كثير والمحم وافر فقل العدد وذهب المال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « دعوها ذميمة » وأمرهم صلى الله عليه وسلم بالخروج منها لاعتقادهم ذلك فيها وظنهم أن الذهب للعدد والنفاذ للمال إنما كان منها وليس كما ظنوا ، ولكن الباري سبحانه وتعالى جعل ذلك وقتا لظهور قضائه وقدره فيجعل الخلق ذلك فينسبون به إلى الجماد الذي لا ينفع ولا يضر وهذا كقوله عليه الصلاة والسلام : « لا عدو ولا طيرة ولا يورد ممرض على مصحح » لأن الله تعالى يخلق الجرب في الصحيح فيعتقد المصحح أن ذلك من الجرب فيتأذى قلبه ودينه ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك ، وهذه الدار كانت دار الأسود بن عوف أخي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وهو السائل : وفي سنن أبي داود من حديث فروة بن مسيك رضي الله تعالى عنه قال : « قلت : يا رسول الله أرض عندنا يقال لها أرض أبين هي أرض ريفنا وميرتنا وإنما وبثة أوقال وباؤها شديد ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعها عنك فإن من القرف التلثف» قال ابن الأثير: القرف ملابسة الداء ومدانة المرض والتلف الهلاك ، وهذا ليس من باب العدوى وإنما هو من باب الطب فإن استصلاح الهواء من أعون الأشياء على صحة الأبدان ، وفساد الهواء من أسرع الأشياء إلى الأسقام .

(فائدة) قال النهيلي في الكلام على غزوة ذي قرد : في الفرس عشرون عضوا كل عضو منها يسمى باسم طائر فمنها النسر والنعامة والهامة والباز والسمامة والسعدانة وهي الحمامة والقطة والذباب والعصفور والغراب والصدرد والحرب وهو ذكر الحبارى ، والناهض وهو فرخ العقاب والخطاف ذكرها وبقيتها الأصمعي وروى فيها شعرا لجرير .

(تمة) روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي الطفيل « أن رجلا ولد له غلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عليه الصلاة والسلام ببشرة جبهته ودعا له بالبركة فنبتت شعرة جبهته كهيئة غرة الفرس وشب الغلام ، فلما كان زمن الخوارج أحبهم فسقطت الشعرة من جبهته فأخذه أبوه فقيدته وحبسه مخافة أن يلحق بهم قال : فدخلنا عليه فوعظناه وقلنا له : ألم تر إلى بركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف وقعت من جبهتك ؟ فما زلنا به حتى رجع عن رأيهم فرد الله عز وجل الشعرة بعد في جبهته وتاب ولم تزل إلى أن مات » .

وروى الطبراني عن عائذ بن عمرو رضى الله تعالى عنه قال « أصابتني رمية وأنا أقاتل مع رسول الله عليه وسلم يوم خيبر في وجهي ، فلما سالت الدماء على وجهي ولحيتي وصدري سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم الدماء عنى ثم دعا لي فكان ذلك الموضع الذي أصابته يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدري له غرة سائلة كغرة الفرس » .

وذكر ابن ظفر في [أعلام النبوة] أن جبرا يهوديا أوطن مكة فأتى ذات غدوة إلى مجلس فيه ملاء من بنى عبد مناف وبنى مخزوم فقال : هل ولد الليلة فيكم مولود ؟ فقالوا : مانعلمه فقال : أما إذا أخطاكم فاحفظوا ما أقول لكم : ولد الليلة نبي هذه الأمة الآخرة ، وآيته أن بين كتفيه شامة صفراء حولها شعرات متتابعات كأنهن عرف فرس يمنع من الرضاع ليلتين فتصدع القوم من مجلسهم يتعجبون لقوله ، فلما صاروا إلى منازلهم أخبرهم نساؤهم أنه قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام ، فلما التقوا في ناديتهم تحدتوا بذلك ، وجاءهم اليهودي فأخبروه فقال : اذهبوا بي إليه حتى أراه ، فخرجوا به فدخلوا على أمته وقالوا : اخرجني إلينا ابنتك ، فأخرجته لهم فكشفوا عن ظهره فرأوا خاتم النبوة فأغشى على اليهودي ، فلما أفاق سأله فقال : خرجت النبوة من بنى إسرائيل ، ثم قال : لا تفرحوا به فوالله ليسطون عليكم سطوة يخرج خبرها إلى المشرق والمغرب :

وذكر الكلبي في نفسه - قوله تعالى : - وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم - الآية : أن النصارى كانوا على دين الإسلام إحدى وأثمانين سنة بعد ما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام يصلون إلى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب ، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس ، وكان قتل جملة من أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام فقال يوماً لليهود : إن كان الحق مع عيسى فكفرنا به فالنار مصيرنا فنحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار ولكن سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار ، وكان له فرس يقال له العقاب يقاتل عليه فعرقب فرسه وأظهر الندامة ووضع على رأسه التراب ، فقالت له النصارى : من أنت ؟ فقال : بولس عدوكم ، وقد نوديت من السماء أن ليس لك توبة إلا أن تنصر وقد تبت ، فأدخلوه الكنيسة فدخل بيتاً فيها فأقام سنة لا يخرج منه لاليل ولا نهار حتى تعلم الإنجيل ثم خرج فقال : نوديت إن الله تعالى قد قبل توبتك فصدقه وأجبهه ، ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطورا وعلمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال لهم : لم يكن عيسى بلنس ولا بجن ولكنه ابن الله ، وعلم ذلك رجلاً يقال له يعقوب ، ثم دعا رجلاً يقال له ملكان وقال له : إن الإله لم يزل ولا يزال عيسى ، فلما استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحداً واحداً وقال لكل واحد منهم : أنت خالصتي وقد رأيت عيسى في المنام فرضى عني ، وقال لكل واحد منهم : إني غدا أذبح نفسي فادع الناس إلى نخلتك ، ثم دخل المذبح فذبح نفسه وقال إنما أفعل ذلك لمرضاة عيسى ، فلما كان يوم ثالثه دعا كل واحد منهم الناس إلى نخلته فتبع كل واحد منهم طائفة من الناس فاقتربت النصارى ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية ، فاختلَفوا واقتتلوا فقال الله تعالى - وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم - الآية . قال أهل المعاني : لم يذكر الله تعالى قولاً مقروناً بالأفواه والألسن إلا كان ذلك زوراً .

وذكر الإمام ابن بليان والغزالي وغيرهما : أن الرشيد لما ولي الخلافة زاره العلماء بأسرهم إلا سفيان الثوري فإنه لم يأت ، وكان بينه وبينه وصية فشق عليه ذلك فكتب إليه الرشيد كتاباً يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون أمير المؤمنين إلى أخيه في الله سفيان بن سعيد الثوري ، أما بعد يا أخي فقد علمت أن الله آخى بين المؤمنين وقد آخيتك في الله مؤاخاة لم أصرم فيها حبلك ولم أقطع منها ودك ، وإني منطو لك على أفضل المحبة وأتم الإرادة ، ولولا هذه القلادة التي قلدها الله تعالى لأيتتك ولو حبوا لما أجد لك في قلبي من المحبة ، وإنه لم يبق أجد من إخواني وإخوانك إلا زارني وهنأني بما صرت إليه ، وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيهم من المواهب السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني ، وقد استبطأتك ، وقد كتبت كتاباً مني إليك أعلمك بالشوق الشديد إليك ، وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل

زيارة المؤمن ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي هذا فالعجل العجل ، ثم أعطى الكتاب لعباد الطالقاتي وأمره بإيصاله إليه وأن يحصي عليه بسمعه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به .
قال عباد : فانطلقت إلى الكوفة فوجدت سفيان في مسجده فلما رأيته على بعد قام وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير .
قال : فنزلت عن فرسي بباب المسجد فقام يصلي ولم يكن وقت صلاة ، فدخلت وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه إلي . قال : فبقيت واقفا وما منهم أحد يعرض علي الجلوس .
وقد علمتني من هيبتهم الرعدة فرميت بالكتاب إليه ، فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم ، وأدخل يده في كفه وأخذه وقلبه بيده ورماه إلى من كان خلفه وقال : ليقرأه بعضكم فإني أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده .

قال عباد : فقد بعضهم يده إليه وهو يرتعد كأنه حية تنهشه ثم قرأه فجعل سفيان يتبسم تبسم المتعجب ، فلما فرغ من قراءته قال : اقبلوه واكتبوا للظالم على ظهره ، فقبيل له يا أبا عبد الله ، إنه خليفة فلو كتبت إليه في بياض تقي لكان أحسن ، فقال : اكتبوا للظالم في ظهر كتابه فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزي به وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلي به ولا يبقى شيء مسه ظالم بيده عندنا فيفسد علينا ديننا ، فقبيل له ما نكتب إليه ؟ قال اكتبوا له :
بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الميت سفيان إلى العبد المغرور بالآمال هرون الذي سلب حلاوة الإيمان ولذة قراءة القرآن ، أما بعد فإني كتبت إليك أعلمك أني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وإنك قد جعلتني شاهدا عليك بإقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه وأنفذته بغير حكمة ، ولم ترض بما فعلته وأنت ناء عني حتى كتبت إلى تشهدني على نفسك ، فأما أنا فإني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين حضروا قراءة كتابك وسنودي الشهادة غدا بين يدي الله الحكيم العدل : ياهرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضيت بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ؟ أم رضيت بذلك حملة القرآن وأهل العلم ؟ يعني العاملين ، أم رضيت بفعلك الأيتام والأرامل ؟ أم رضيت بذلك خلق من رعيته ؟ فشد ياهرون منترك وأعد للمساءلة جوابا وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكيم العدل فاتق الله في نفسك إذا سلبت حلاوة العلم والزهد ولذة قراءة القرآن ومجالسة الأخيار ، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين إماما ، ياهرون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت ستورا دون بابك وتشبهت بالحجة رب العالمين ، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا يتصفون ، ويشربون الخمر ويحدون الشارب ، ويزنون ويحدون الزاني ، ويسرقون ويقطعون السارق ، ويقتلون ، ويقتلون القاتل ، أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل

أن يحكموا بها على الناس ؟ فكيف بك يا هرون غدا إذا نادى المنادى من قبل الله احشروا الظلمة وأعوانهم فتقدمت بين يدي الله ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك وأنت لهم إمام أو سائق إلى النار ؟ وكأني بك يا هرون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة ، فاتق الله يا هرون في رعبتك واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته ، واعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك إلا وهو صائر إلى غيرك ، وكذلك الدنيا تفعل بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته ، وإياك ثم إياك أن تكتب إلى بعد هذا فإني لأجيبك والسلام ، وألقى الكتاب منشورا من غير طي ولا ختم ، فأخذته وأقبلت به إلى سوق الكوفة وقد وقعت المرعظة بقلبي ، فنادت يا أهل الكوفة من يشتري رجلا هرب إلى الله ؟ فأقبلوا إلى بالدراهم والدنانير ، فقلت : لاجحة لي بالمال ، ولكن جبة صوف وعباءة قطوانية ، فأتيت بذلك فنزعت ما كان على من الثياب التي كنت أجالس بها أمير المؤمنين ، وأقبلت أقود الفرس الذي كان معي إلى أن أتيت باب الرشيد حافيا راجلا ، فهزأ بي من كان على الباب ثم استؤذن لي ، فلما رأني على تلك الحالة قام وقعد وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول : انتفع الرسول وخاب المرسل مالى وللدنيا والمالك يزول عنى سريعا ، فألقيت الكتاب إليه مثل مادفع إلى ، فأقبل يقرؤه ودموعه تتحدر على وجهه وهو يشق ، فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين قد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه بالسجن فجعلته عبرة لغيره ، فقال هرون : اتركوا سفيان وشأنه ، يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقي والله حقا من جالستموه إن سفيان أمة وحده ، ولم يزل كتاب سفيان عند الرشيد يقرؤه دبر كل صلاة ويبكي حتى توفي رحمه الله تعالى :

وذكر ابن السمعاني وغيره أن المنصور كان يبلغه عن سفيان الإنكار عليه في عدم إقامة الحق فتعالمبه المنصور فهرب إلى مكة ، فلما حجج المنصور بعث بالخشابين أمامه وقال : حيثما وجدتم سفيان فاصلبوه ، فوصل الخشابون ونصبوا الخشب ، فأتى الخبر بذلك وسفيان نائم ورأسه في حجر الفضيل بن عياض ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة ، فقال له خوفا عليه وشفقة : لانتمت بنا الأعداء ، فقام ومشى إلى الكعبة والتزم أستارها عند الملتزم ثم قال : ورب هذه البنية لا يدخلها : يعني المنصور ، فزلقت راحته في الحجون فوقع من على ظهرها فمات لوقته ، فخرج سفيان وصلى عليه ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذكر شيء من مناقبه ووفاته في باب الحاء المهملة في لفظ الحمار .

(الحكم) قال الشافعي رضي الله تعالى عنه : ما لزم اسم الخليل من العراب والمقاريف

والبراذين فأكلها حلال ، وهو قول القاضي شريح والحسن وابن الزبير وعطاء وسعيد بن جبير وحماد بن زيد والليث بن سعد وابن سيرين والأسود بن يزيد وسفيان الثوري وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وابن المبارك وأحمد وإسحاق وأبي ثور وجماعة من السلف . وقال سعيد بن جبير : ما أكلت أطيب من معرفة برذون ودليل هذا ما اتفق عليه البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله تعالى عنه قال : «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمير الأهلية ، وأرخص في لحوم الخليل» .

وذهب أبو حنيفة ومالك والأوزاعي إلى أنها مكروهة ، إلا أن كراهتها عند مالك كراهة تنزيه لا كراهة تحريم ، واستدلوا بما في سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه «أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل لحوم الخليل والبغال والحمير لقوله تعالى - والخليل والبغال والحمير لتركبوها وزينة -» .

وقال صاحب الهداية من الحنفية : فإن قلت الآية خرجت مخرج الإمتنان والأكل من أعلى منافعها ، والحكيم لا يترك الإمتنان بأعلى النعم ويمتن بأدناها .

(قلت) الجواب أن الآية خرجت مخرج الغالب : لأن الغالب في الخليل إنما هو الزينة والركوب دون الأكل كما خرج قوله صلى الله عليه وسلم «وليس تنج بثلاثة أحجار» مخرج الغالب لأن الغالب أن الاستنجاء لا يقع إلا بالأحجار انتهى .

وقال الشافعي ومن وافقه : ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتبنيهم على كمال قدرته وحكمته ، وأما الحديث الذي استدل به أبو حنيفة ومالك ومن وافقهما فقال الإمام أحمد ليس له إسناد جيد ، وفيه رجلان لا يعرفان ولا ندع الأحاديث الصحيحة لهذا الحديث .

وقد روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمير الأهلية وأذن في لحوم الخليل» وفي لفظ «أطعمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الخليل ونهانا عن لحوم الحمير الأهلية» رواه الترمذي وصححه ، وفي لفظ «سافرنا يعنى مع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نأكل لحوم الخليل ونشرب ألبانها» وفي الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما أنها قالت «نحرننا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلناها» وفي رواية «ونحن بالمدينة» وفي مسند الإمام أحمد «نحرننا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلناها نحن وأهل بيته» وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : إن الفرس إذا التقت الفئتان تقول : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، ولذلك كان له من الغنيمة سهمان ، وكذلك رواه عبد الله بن عمر ابن حص بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم

« ولا يعطى إلا لفرس واحد عربيا كان أو غير عربي ، لأن الله سبحانه وتعالى قال : — وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل — » ولم يفرق بين عربي وغيره ، ولم يرد في شيء من الأحاديث تفرقة بل الجمع مثل قوله صلى الله عليه وسلم « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة » .

وقال الإمام أحمد : لما سوى العربي سهم للعربي سهمان ، لأثر ورد في ذلك عن عمر رضى الله تعالى عنه لكنه لم يصح عنه ، ولا يعطى لفرس أعجف وما لا غناء به لأنه كل على صاحبه .

ويتعهد الإمام الخليل إذا دخل دار الحرب ، ولا يدخل إلا فرسا شديدا ، ويسهم للفرس المستعار والمستأجر ، ويكون ذلك للمستعير والمستأجر ، والأصح أنه يسهم للفرس المغصوب لحصول النفع به والأصح أنه للراكب ، وقيل للمالك ، ولو كان القتال في ماء أو حصن وأحضر فرس سهم له لأنه قد يحتاج إليه ، ولو أحضر اثنان فرسا مشتركا بينهما فليل لا يعطيان سهم الفرس لأنه لم يحضر واحد منهما بفرس تام ، وقيل يعطى كل واحد منهما سهم فرس لأن معه فرسا قد يركبها ، وقيل يعطيان سهم فرس مناصفة ولعل هذا هو الأصح ، ولو ركب اثنان فرسا وشهدا الواقعة فعن بعض الأصحاب أنهما كفارسين لهما ستة أسهم ، وعن بعضهم أنهما كراجلين لتعذر السكر والفر ، وقيل لهما أربعة أسهم سهمان لهما وسهمان للفرس ، واختار ابن كعب وجها رابعا حسنا وهو أنه إن كان فيه قوة السكر والفر مع ركوبهما فأربعة أسهم وإلا فسهمان .

(فائدة أجنبية) قال في شرعة الإسلام : إن مقدم العسكر ينبغي له أن يتشبه بأصناف من الخلق فيكون في قاب الأسد لا يجبن ولا يفر ، وفي كبر النمر لا يتواضع للعدو ، وفي شجاعة الدب يقاتل بجميع جوارحه ، وفي الحملة كالخنزير لا يولى دبره إذا حمل ، وفي الغارة كالذئب إذا أيس من وجه أغار من وجهه ، وفي حمل السلاح الثقيل كالمثمة تحمل أضعاف وزن بدنها ، وفي الثبات كالحجر لا يزول عن مكانه ، وفي الصبر كالحمار إذا أنقله ضرب السيوف وطعن الرماح ونصول السهام ، وفي الوفاء كالكلب إذا دخل سيده النار تبعه ، وفي التماس الفرصة كالديك ، وفي الحراسة كالسركى ، وفي التعب كاليعر : وهي دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والسكد والشقاء كما سيأتى إن شاء الله تعالى في باب الياء .

(فرع) حمار نزا على فرس فأحبها يكون لبن الفرس حلالا طاهرا ، ولا حكم للفحل في اللبن في هذا الموضع بخلاف الأناسى ، لأن لبن الفرس حاد من العلف فهو تابع للحمها ولم يسر وطء الفحل إلى هذا اللبن فإنه لا حرمة هناك تنتشر من جهة الفحل إلا إلى الولد خاصة ، فإنه يكون منه ومن الأم فغلب عليه التحريم ، وأما اللبن فلم يتكون بوطئه وإنما تكون من العلف فلم يكن حراما .

(فائدة) كان للنبي صلى الله عليه وسلم أفراس (السكب) اشتراه من أعرابي من بني فزارة بعشرة أواق بالمدينة ، وكان أدهم ، وكان اسمه عند الأعرابي الضرس فسماه النبي صلى الله عليه وسلم السكب وهو من سكب الماء كأنه سيل ، والسكب أيضا شقائق النعمان ، وهو أول فرس غزا عليه النبي صلى الله عليه وسلم (وسبحة) وهو الذي سابق عليه صلى الله عليه وسلم فسبق ففرح بذلك (والمرئز) الذي تقدم ذكره سمي بذلك لحسن صهيله . (ولزاز) قال السهيلي : ومعناه أنه لا يسابق شيئا إلا لزه ، أى أثبته . (الظرب واللخيف) قال السهيلي : كأنه يلحف الأرض بجريه ، ويقال فيه اللخيف بالخاء المعجمة ذكره البخاري في جامعه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (والورد) أهده له تميم الداري فأعطاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فحمل عايه في سبيل الله تعالى ، وهو الذي وجده يباع برخص هذه السبعة متفق عليها وقيل كان له صلى الله عليه وسلم غيرها : وهى الأبلق ، وذو العقال ، والمرتجل ، وذو اللمة ، والسرحان ، واليعسوب ، والبحر ، وكان كميئا ، والأدهم ، وملاوح ، والطرف بكسر الطاء المهملة : والسحا ، والمراوح والمقدام ، ومندوب والضرير ، ذكره السهيلي في أفراسه صلى الله عليه وسلم ، فهذه خمسة عشر فرسا مختلف فيها وقد بسط الكلام عليها الحافظ الدمياطي وغيره .

(الأمثال) قال صلى الله عليه وسلم « بعثت أنا والساعة كفرسى رهان كادت تسبق إحداهما الأخرى بأذنها » وقالوا : هما كفرسى رهان يضرب للثنين يستويان في الشيء ، وهذا التشبيه يقع في الإبتداء لا في الإتهاء ، لأن النهاية تجلي عن سبق أحدهما لآخر ، وقالوا : أبصر من فرس وأطوع وأشد ، وقالوا : فلان كالأشقر إن تقدم نجر وإن تأخر عقر ، لأن العرب تتشام من الأفراس بالأشقر .

(تمة) ذكر في [الإحياء] في الباب الثالث من كتاب أحكام الكسب : روى عن بعض الغزاة في سبيل الله قال : حملت على فرسى لأقتل عليجا فقصر بي فرسى فرجعت ، ثم دنا مني العليج فحملت ثانية فقصر بي فرسى ، ثم حملت الثالثة فقصر بي فرسى وكنت لا أعتاد منه ذلك ، فرجعت حزينا وجلست منكس الرأس منكسر القلب لما فاتني من العليج وما ظهر لي من خلق الفرس ، فوضعت رأسي على عمود القسطاط وفرسى قائم ، فرأيت في المنام كأن الفرس يخاطبني ويقول لي : بالله عليك أردت أن تأخذ العليج على ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه درهما زائفا لا يكون هذا أبدا ، فانتهمت فرعا وذهبت إلى العلاف وأبدلت له ذلك الدرهم اه .

(تمة أخرى) روى ابن بشكوال في كتاب [المستغنين بالله عز وجل] عن عبد الله ابن المبارك المجمع على دينه وعلمه وورعه أنه قال : خرجت إلى الجهاد ومعى فرس ، فبينما

أنا في بعض الطريق إذ صرع الفرس ، فمر بي رجل حسن الوجه طيب الرائحة فقال : تحب أن تركب فرسك ؟ قلت : نعم . فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى إلى مؤخره وقال : أقسمت عليك أيها العلة بعزة عزة الله ، وبعظمة عظمة الله ، وبجلال جلال الله ، وبقدرة قدرة الله ، وبسلطان سلطان الله ، وبلا إله إلا الله ، وبما جرى به القلم من عند الله ، وبلا حول ولا قوة إلا بالله ، ألا انصرفت . قال : فانتفض الفرس وقام ، فأخذ الرجل يركبني وقال : اركب ، فركبت ولحقت بأصحابي ، فلما كان من غداة غد وظهرنا على العدو فإذا هو بين أيدينا فقلت : ألسن صاحبي بالأمس ؟ قال : بلى ، فقلت : سألتك بالله من أنت ؟ فوثب قائما فاهتزت الأرض تحته خضراء ، فإذا هو الخضر عليه السلام . قال ابن المبارك رضي الله تعالى عنه : فما قلت هذه الكلمات على عليل إلا شفى بإذن الله تعالى .

(الخواص) إذا علق سن الفرس العربي على صبي سهل طلوع أسنانه بلا ألم ، وإن وضعت سنه تحت رأس من يغط في النوم انقطع غطيظه ، ولحمه يطرد الرياح ، وعرقه يطلى به عانة الصبي ولا يبطه فلا ينبت فيهما شعر ، وهو سم قاتل للسباع والثعابين جميعا ، وإذا أخذت شعرة من ذنب فرس وجعلت على باب بيت ممدودة لم يدخل ذلك البيت بق مادامت الشعرة كذلك ، وإن شربت امرأة دم بردون لم تحبل أبدا ، ورماد حافر الفرس إذا خلط بزيت وجعل على الخنازير أبرأها ، وإذا سقيت امرأة لبن فرس وهي لا تعلم أنه لبن فرس وجامعها زوجها من ساعتها حملت منه بإذن الله تعالى ، وإن شربته بالعسل صارت مجامعتها للذيذة ، وإذا سحق بصمل الفأر ومسح به أسنان الفرس الحرون لأن وذهبت صعوبته ، وزبل للفرس إذا جفف وسحق وذر على الجراحات قطع دمها ، وإن كحل به البياض العارض في العين أزاله ، وإن دخل به أخرج الولد من البطن .

(فصل في صبغ البراذين) قال صاحب عين الخواص : إذا سخن الماء تسخيناً شديداً بحيث يذهب الشعر وصب على البرذون فإنه يحلق شعره ذلك وينبت له شعر مخالف لما ذهب عنه من اللون . قال : ومما يصير الأشهب أدهم أن يؤخذ مرداسنج وعفص وذنجان ونورة وزاج الأساكفة وطين خورى بالسوية يدق الجميع ويعجن بماء حار ويصبغ به الفرس والبرذون ويترك يوماً وليلة ثم يغسل من الغد فيصير أدهم ، وإن طلى بعض جسده بذلك وترك بعضه كان أبلق ، ومما يصير به الأدهم أبرش الخرض إذا طبخ مع ورق الدقلى وصنى ماؤه ثم طبخ أيضاً مع القلى ومخ جوز سائل ثم يغسل به البراذين فتصير شهباء ، ومما يصير الأشهب أدهم أيضاً أن يؤخذ قشور الجوز الرطب وتطبخ مع الآس ووسخ الحديد ، ثم يغسل به البرذون غسلاً نقياً ويطلى بذلك فيصير أدهم ويبقى سواده ستة أشهر ، والله أعلم .

(التعبير) للفرس في الرؤيا تعبر للحامل بولد ذكر فارس ، وتعبر برجل وتجارة وشريك وامرأة ، فمن رأى فرسا مات في يده فذلك موت من ينسب إليه الفرس من الولد أو المرأة أو الشريك ، والفرس الأبلق في الرؤيا أمير مشهور ، وقد تقدم ذكره في باب الخلاء المعجزة في لفظ الخيل ، والفرس الأسود والأدهم يدلان على المال ، والأصفر والمريض يدلان على المرض لمن ركب أحدهما أو كليهما ، والأشقر يدل على دين وحزن ، وقيل فتنه . وقال ابن سيرين رحمه الله : لا أحب الأشقر لشبهه بالدم والأشهب يعبر برجل صاحب قلم كذا عبره ابن سيرين وقال : ألا تراه سوادا في بياض؟ والكهيت يدل على القوة واللهو ، وربما دل على الحرب والضرب ، ومن ركب فرسا وأجراه حتى عرق فإنه يركب أمرا فيه هوى نفس وتلف مال لمكان العرق والعرق أيضا تعب ، وأما الركض فإنه ارتكاب هوى لقوله تعالى - لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترقتم فيه - ومن نزل عن فرسه ولم يكن له نية في الرجوع فإنه يعزل إن كان واليا ، والفرس الجموح رجل مجنون ، والحرون متهاون بطيء بطر ، ومن رأى شعر ذنب فرسه كثيرا زاد ماله وأولاده ، وإن كان سلطانا كثرت جيشه ، ومن قطع ذنب فرسه فإنه لا يخلف ولدا وإن كان له أولاد فإنهم يموتون ، وإن كان سلطانا ذهب جيشه ، وكذلك إذا كان منتوفا تفرق الجيش الذي يتبع صاحب الفرس ، ومن ركب فرسا وكان ممن يليق به ركوب الخيل نال عزا وجاها ومالا لقوله عليه الصلاة والسلام « الخيل معقود في نواصيها الخير » وربما صادف رجلا جوادا وربما سافر لأن السفر مشتق من الفرس ، فإذا كان حصانا تحصن من عدوه ، وإن كان مهرا رزق ولدا جميلا ، وإن كان أكديشا ربما عاش زمانا ، وإن كان بردونا توسط حاله وعاش لا يستغنى ولا يفتقر ، وإن كان الفرس حجرا تزوج إن كان أعزب امرأة ذات جمال ومال ونسل ، والأصيل شريف بالنسبة إلى غير الأصيل ، وربما دلت الفرس على الدار الحسنة البناء .

وقال ابن المقرئ : من رأى أنه ركب فرسا أشهب نال عزا ونصرا على العدو لأنه من خيل الملائكة ، والأدهم هم ، والأغر الخجل علم وورع ودين لقوله صلى الله عليه وسلم « إنكم ستردون على يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء » ومن ركب كميثا ربما شرب خمر لأنه من أسمائها ، ومن ركب فرسا لغيره نال منزلته أو عمل بسنته خصوصا إن كان مركوبا معروفا ويليق به انتهى ، ومن رأى أنه يقود فرسا فإنه يطاب خدمة رجل شريف ، ولا خير في ركوب الفرس في غير محل الركوب كالسطح والحائط والحبس ، وربما دل الفرس الخصى على خدام ، واعتبر بكل مركوب ما يليق فالسرج للفرس والسكرور للجمل وكذلك الحمل والهودج والخفة للبعال والبراذع للحمير ، فمن ركب حيوانا بما يليق به من العدة تكلف أو كلف غيره مالا يليق ، والدابة بلا جام ولا مقود امرأة زانية لأنها كيفما

أرادت مشت ، وكذلك الفرس العائر ، ومن رأى أنه يأكل لحم فرس نال ثناء حسنا واسما صالحا ، وقيل إنه مرض لصفوته ، ومن نازعه فرسه خرج عليه عبده وإن كان تاجرا خرج عليه شريكه .

ومن الرؤيا المعبرة أن رجلا أتى ابن سيرين رحمة الله تعالى عليه فقال : رأيت كأنى راكب على فرس قوائمه من حديد؟ فقال له ابن سيرين رحمه الله : توقع الموت ، والله تعالى أعلم .

﴿ فرس البحر ﴾ : حيوان يوجد في نيل مصر له ناصية كناصرية الفرس ورجلاه مشقوقتان كالبتقر ، وهو أفضس الوجه له ذنب قصير يشبه ذنب الخنزير ، وصورته تشبه صورة الفرس إلا أن وجهه أوسع وجلده غليظ جدا ، وهو يصعد إلى البر فيرعى الزرع ، وربما قتل الإنسان وغيره .

(وحكمه) حل الأكل لأنه كالحليل المتوحشة التي تعدو في غالب أحيائها .
(الخواص) إذا أحرق جلده وخلط بدقيق كرسنة وطلّى به داء السرطان أبرأد في ثلاثة أيام ، ومرارته إذا تركت في الماء ثلاثين يوما ثم سحقته واكتحل بها أربعة عشر يوما أو أربعة وعشرين بعسل لم تصبه النار أذهبت الماء الأسود من العين ، وسنه نافعة لوجع البطن إذا علفت على من أشرف على الموت من وجع المعدة من التخمّة والامتلاء يبرأ بإذن الله تعالى ؛ وجلده إذا دفن في وسط قرية لم يقع فيها شيء من الآفات ، وإذا أحرق وجعل على الورم أذهبه وسكن وجعه .

(التعبير) الفرس البحرى في الرؤيا يدل على كذب وأمر لا يتم .

(فصل) والبحر في الرؤيا يعبر بملك ، وحبس لمن وقع فيه ولم يمكنه الخروج منه ، وبرجل علم وكريم فيقال بحر علم وبحر كرم ، ويعبر بالدنيا فمن رأى كأنه قاعد على متن البحر أو مضطجع عليه فإنه يداخل ملسا ويكون منه على خطر لأن الماء لا يؤمن من الفرق فيه ، ومن رأى أنه شرب من ماء البحر نال مالا من الملك فإن شربه كله نال مال الملائكة ، ومن رأى البحر من بعيد ولم يحالطه فإن ذلك أمر يقوته ، ومن رأى أنه يشرب من مائه وله شريك فإنه يفارقه لقوله تعالى - وإذ فرقنا بكم البحر - ومن رأى كأنه يمشى في البحر في طريق يابس فإنه يأمن من الخوف لقوله تعالى - فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى - ومن رأى أنه غاص في البحر ليخرج شيئا من الدر فإنه يدخل في غامض العلم ، ومن قطع البحر سبعا إلى الجانب الآخر فإنه ينجو من هول وغم ، ومن سبح في البحر في زمن الشتاء ناله هم من قبل ملك أو أصابه مرض أو يحبس أو يناله وجع من الرياح ، وإذا دخل البحر إلى درب الناس وبل القماش أو أكل وحشه طعام الناس

فإن الملك يظلم أهل تلك الناحية ، وربما دل على طول الشقاء في تلك السنة لاسيما إذا كان مضطربا كثير الموج فإنه يدل على مضار كثيرة :

والبحيرة في الرؤيا تدل على القضاة والولاة والموالي الذين يفعلون الأشياء بالأمر ، والبحيرة الصغيرة تدل على امرأة غنية . والبحر إذا كان هادئا دل على البطالة ، والبحيرة للمسافر تدل على تعذر السفر .

(تنمة) وأما النهر في الرؤيا فإنه يدل على رجل جليل ، فمن دخل في نهر فإنه يخالط رجلا من الأكابر ، ولا يحمى الشرب من النهر ، وقيل إنه يدل على سفر لمن دخله لأن ماءه متنقل مسافر ، ومن رأى أنه وثب من النهر إلى الجانب الآخر فإنه ينجو من هم وينصر على عدوه ، والدخول في النهر دخول في عمل السلطان ، وإذا جرى الماء في الأسواق والناس يتوضئون منه وينتفعون به فذلك عدل من السلطان ، فإن جرى فوق الأسطحه وبل قماش الناس في دورهم فذلك جور من السلطان أو عدو يطغى على الناس ، ومن رأى نهرا يخرج من داره ولم يضر أحدا فإنه معروف منه يصل إلى الناس ، ومن رأى أنه صار نهرا فإنه يموت بنزف الدم .

(فصل) وأما رؤية عين الماء فإنها كرامة ونعمة وبلوغ أمنية إذا كان الرائي مستورا ، ومن رأى كأن عينا نبعث من داره دل على مشترى جارية ، فإن خرجت من الدار إلى ظاهرها فإنه مال قد ذهب ، والماء الراكد في الدار هم باق فإن كان صافيا فهم مع صحة جسم ، ولا يكره من العيون إلا ما ركده ماؤه ولم يجر ، ومن شرب من ماء عين أصابه هم ، فإن كان باردا فلا بأس به ، والله تعالى أعلم .

﴿ الفرسة ﴾ : صغار الإبل ، وقيل هو من الإبل والبقر والغنم مالا يصلح إلا للذبح ، ومنه قوله تعالى - حمولة وفرشا - قدم الحمولة على الفرش لأنها أعظم في الانتفاع إذ ينتفع بها في الأكل والحمل . قال الفراء : ولم أسمع للفرش بجمع . قال : ويحتمل أن يكون مصدرا سمى به من قولهم : فرشها الله تعالى فرشا : أي بثها بثا .

﴿ الفرائق ﴾ : بضم الفاء البير البريد وهو الذي ينذر بالأسد ، وقد تقدم في باب الباء الموحدة .

﴿ الفرر ﴾ : كهدهد طير من طيور الماء صغير الجثة على قدر الحمام .

﴿ الفرفور ﴾ : كعصفور طائر . قاله الجوهري : ولعله الذي قبله .

﴿ الفرع ﴾ : بفتح الفاء الرء المهملة وبالعين المهملة في آخره أول نتاج البهيمة ، ثبت

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا فرع ولا عتيرة » وذلك أنهم كانوا يذبحونه ولا يأكونه رجاء البركة في الأم وكثرة نسلها وعتيرة بفتح العين المهملة : ذبيحة كانوا يذبحونها في اليوم الأول من شهر رجب ويسمونها الرجبية .

(الحكم) في كراهتهما وجهان ، الصحيح الذي نص عليه الشافعي واقتضته الأحاديث أنهما لا يكرهان بل يستحبان .

وروى أبو داود بإسناد حسن « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن معاقرة الأعراب » وهي مفاخرتهم ، فإنهم كانوا يتفاخرون بأن يعقر كل واحد منهم عددا من إبله فأبهم كان عقره أكثر كان غالبا ، فذكره النبي صلى الله عليه وسلم لحمها لئلا يكون مما أهل به لغير الله تعالى .

وروى أبو داود أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام المتبارين .
(فائدة) حكى الإمام العلامة أبو الفرج الأصبهاني وغيره : أن الفرزدق الشاعر المشهور واسمه همام بن غالب كان أبوه غالب رئيس قومه ، وأن أهل الكوفة أصابهم مجاعة فعقر غالب أبو الفرزدق المذكور لأهله ناقة وصنع منها طعاما ، وأهدى إلى قوم من بني تميم جفانا من ثريد ، ووجه جفنة منها إلى سحيم بن وثيل الرياحي رئيس قومه ، وهو القائل :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

وقد تمثل بذلك الحجاج في خطبته يوم قدم الكوفة أميرا ، فكفأها سحيم وضرب الذي أتى بها وقال أنا مفتقر إلى طعام غالب إذا نحر هو ناقة نحرنا أنا أخرى ، فوعدت المعاقرة بينهما فعقر سحيم لأهله ناقة فلما أن كان من الغد عقر لهم غالب ناقتين ، فعقر سحيم لأهله ناقتين فلما كان اليوم الثالث عقر غالب لأهله ثلاثا ، فعقر سحيم لأهله ثلاثا فلما كان اليوم الرابع عقر غالب مائة ناقة ، فلم يكن عند سحيم هذا القدر فلم يعقر شيئا وأسرها في نفسه ، فلما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفة قال بنو رياح لسحيم : جررت علينا عار الدهر هلا نحرنا مثل ما نحر غالب وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين ، فاعتذر بأن إبله كانت غائبة ثم عقر ثلاثمائة ناقة ، وقال للناس : شأنكم والأكل ، وكان ذلك في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه ، فاستفتى في حل الأكل منها فقضى بحرمها وقال : هذه ذبحت لغير مأكلة ، ولم يكن المقصود منها إلا المفاخرة والمباهاة ، فألقيت لحومها على كناسة الكوفة فأكلها الكلاب والعقبان والرخم .

﴿ الفرعل ﴾ : كقنفذ ولد الضبع والجمع الفراعل .

روى البيهقي عن عبد الله بن زيد قال : سألت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه عن ولد الضبيع ؟ فقال : ذلك الفرعل فيه نعجة من الغنم . قال أبو عبيد : الفرعل عند العرب ولد الضبيع ، والذي يراد من هذا الحديث قوله نعجة من الغنم يعنى أنها حلال بمنزلة الغنم . قال الكميث :

وتسمع أصوات الفراعل حوله يعاون أولاد الذئباب المقالسا
يعنى حول الماء الذى وردوه .

(الأمثال) قالوا : أغزل من فرعل ، وهو من الغزل والمرادة .

وقال الميداني : هو من الغزل بمعنى الخرق ، يقال غزل الكلب إذا تبع الغزال فإذا أدركه ثغا الغزال فى وجهه ففتر ودهش ، ولعل الفرعل يفعل ذلك إذا تبع صيده فقالوا : أغزل من فرعل انتهى .

وقال ابن هشام : إن عكرمة بن أبي جهل التى رجمه يوم الخندق وانهمزم ، فقال فه حندان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

وفر وألتى لنا رجمه لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظلي م ما أن يجوز عن المعدل
ولم تبق ظهرك مستأنسا كأن قفاك قفا فرعل

﴿ الفرقر ﴾ : ولد البقرة ، وأبو فرقد كنية الثور الوحشى .

﴿ الفرنب ﴾ : بكسر الفاء قال ابن سيده : هو القار ، وقيل ولد القار من البربوع .

﴿ الفرهور ﴾ : كجلمود ولد السبع ، وقيل ولد الوعل ، ويقال أيضا للغلام الغليظ .
وصرفوه فقالوا : تفرهد إذا سمن .

﴿ الفروج ﴾ : الفتى من الدجاج ، والضم فيها لغة حكاها اللحياني ، والجمع الفراريج .
أنشد الجوهري عن الأصمعي :

أقبلن من بئر ومن سواج والقوم قد ملوا من الإدلاج
يمشون أفواجا على أفواج مشى الفراريج مع الدجاج
(وحكمه وخواصه) كالدجاج .

(وأما تعبيره) فالفراريج فى الرؤيا هى أولاد السبى لأن الدجاج جوار ، ومن سمع أصوات الفراريج فإنه يسمع كلام قوم فسقة ، ومن أكل لحم الفراريج أكل مالا من رجل كريم ، والفراريج تدل على أمر يتألف عاجلا بلا تعب لأن الفراريج لا تحتاج إلى كافة التربية ، والله تعالى أعلم .

﴿ الفرير والفرار ﴾ : ولد النعجة والماعزة والبقرة ، ويقال هو من أولاد المعز ماصغر جسمه ، وقيل الفرير واحد والفرار جمع قاله ابن سيده .

﴿ فانس ﴾ : كخنافس حيوان كالقراد شديد التن قاله ابن سينا . وقال القزويني : يشبه أن يكون البق إذا سحق وجعلت في ثقبه الإحليل نفعت من عسر البول ، وقد تقدم في باب الباء الإشارة إلى هذا .

﴿ النصيل ﴾ : ولد الناقة إذا فصل عن رضاع أمه ، وهو فعيل بمعنى مفعول كجريح وتبيل بمعنى مجروح ومقتول ، والجمع فصلان بضم الفاء وفصال بكسرها .

روى الإمام أحمد ومسلم عن زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنه قال « خرج النبي صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون الضحى ، فقال صلى الله عليه وسلم : صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال » وهى أن تحمى الرضعاء وهو الرمل فبترك الفصال من شدة حرها وإحراقها أخفأها .

وروى الإمام أحمد أيضا وأبو داود من حديث دكين بن سعيد الخنعمي قال « أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربعون وأربعمائة راكب نسأله الطعام ، فقال عليه الصلاة والسلام : يا عمر اذهب فأطعمهم ، فقام عمر وقنا معه فصعد بنا إلى غرفة فأخرج المفتاح ففتح الباب فإذا في الغرفة من التمر شبه الفصيل الرابض فقال : شأنكم ، فأخذ كل منا ماشاء من ذلك التمر ثم التنت وإنى لمن آخرهم فكأنما لم نرزأ منه تمرة » .

وقال ابن عطية في تفسير سورة الفلق : حدثني ثقة أنه رأى عند بعضهم خيطا أحمرا قد عقدت فيه عقد على فصلان فنعت بذلك رضاع أمهاتهن ، فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه في الحين فرضع .

(فرع) دخل فصيل رجل في بيت رجل ولم يمكن إخراجه إلا بتقص البناء فإن كان بتفريط صاحب البيت بأن غصبه وأدخله نقض ولم يفرم صاحب الفصيل شيئا ، وإن كان بتفريط صاحب الفصيل نقض البناء ولزمه أرش النقض ، وإن دخل بنفسه نقض أيضا ولزم صاحب الفصيل أرش النقض على المذهب ، وبه قطع العراقيون ، وقيل وجهان ثانيهما لا أرش عليه .

(الأمثال) قالوا : أتخم من فصيل ، لأنه يرضع أكثر مما يطبق ثم يتخم ، وقالوا : كفضل ابن الخاض على الفصيل : أى الذى بينهما من الفضل قليل ، يضرب للمتمارين في رجوليتهم ، وقالوا : استنت الفصال حتى القرعى ، يضرب للذى يتكلم مع الذى لا ينبغي له أن يتكلم بين يديه بجلالة قدره ، والقرعى جمع قريع كمرىض ومرضى ،

وهو الذى به قرع بالتحريك ، وهو بئر أبيض يطلع فى الفصال ، ودواؤه الملح وحباب ألبان الإبل ، والله تعالى أعلم .

(التعبير) الفصيل فى المنام : ولد شريف ، وكل صغير من الحيوان إذا مسه الإنسان فهو هم ، والله أعلم .

﴿ الفلمس ﴾ : كجعفر الدب والكلب المسن ، وفلمس رجل من رؤساء بنى شيبان كان إذا أعطى سهمه من الغنيمة سأل سهمها لامرأته وسهما لناقته فقيل أسأل من فلحس .

﴿ الفلو ﴾ : والفلو والفلو بضم الفاء وفتحها وكسرهما المهر الصغير والجمع أفلاء . قال سيبويه : لم يكسروه على فعل كراهة الإخلال ، ولا كسروه على فعلان كراهة الكسرة قبل الواو ، وإن كان بينهما حاجز لأن الساكن ليس بحاجز حصين . قال ابن سيده ، وقال الجوهري : الفلو بتشديد الواو المهر لأنه يفتل عن أمه أى يفطم ، وقد قالوا للأثني فلوقة كما قالوا عدو وعدوة والجمع أفلاء مثل عدو وأعداء وفلاوى مثل خطايا وأصله فعائل . وقال أبو زيد : إذا فتحت الفاء شددت الواو وإذا كسرت خففت فقلت فلو مثال جرو وفلوته عن أمه وافتلته إذا فطمته ، وفرس مفل ومفلية ذات فلو اه .

وفى الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مانصدق أحد بصدقة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه ، وإن كان تمرة فيريها كما يرى أحدكم فلوه أو قلووه حتى تكون مثل الجبل أو أعظم » . وفى رواية « فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل » .

قال الماوردى وغيره : هذا الحديث وشبهه إنما عبر به النبي صلى الله عليه وسلم على ما اعتاده فى خطابهم ليفهموا ، فكفى هنا عن قبول الصدقة بأخذها بالكف وعن تضعيف أجرها بالتربية . قال القاضى عياض : لما كان الشيء الذى يرتضى ويعز يتاقى باليمين ويؤخذ بها استعمل فى مثل هذا واستعير للقبول والرضا إذ الشمال بضد ذلك فى هذا قال ، وقيل المراد بكف الرحمن هنا وبيمينه كف الذى يدفع إليه الصدقة ويمينه ، وإضافتها إلى الله تعالى إضافة ملك واختصاص لتوضع هذه الصدقة فيها لله عز وجل . قال : وقد قيل فى تربيتها وتعظيمها حتى تكون أعظم من الجبل إن المراد بذلك تعظيم ذاتها ، وبيارك الله تعالى فيها ويزيدها من فضلها حتى تثقل فى الميزان .

وهذا الحديث نحو قوله تعالى : « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » . وفى سنن أبي داود : من حديث الزبير بن العوام أنه حمل على فرس يقال له غمر

أو غمرة ، فرأى مهرا أو مهرة من أفلائها تباع تنسب إلى فرسه فنهى عنها أى نهى عن ابتياعها وعن إدخالها في ملكه بعد أن تصدق بها ، والله تعالى أعلم .

﴿ الفناء ﴾ : البقرة والجمع فنوات ،

﴿ الفنك ﴾ : كالعسل دوية يؤخذ منها الفرو . وقال ابن البيطار : إنه أطيب من جميع الفراء يجلب كثيرا من بلاد الصقالبة ، ويشبه أن يكون في لحمه حلاوة ، وهو أبرد من السمور وأعدل وأحر من السنجاب يصلح لأصحاب الأمزجة المعتدلة .

(وحكمه) الحل لأنه من الطيبات ، ونقل الإمام أبو عمر بن عبد البر في التمهيد عن أبي يوسف أنه قال في الفنك والسنجاب والسمور : كل ذلك سبع مثل الثعلب وابن عرس .

﴿ الفنيق ﴾ : الفحل الكريم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم ، وجمعه فنيق وأفناق ، ومنه حديث الحجاج لما حصر ابن الزبير بمكة ونصب المنجنيق عليها ، وقال : حظاؤه كالحمل الفنيق .

﴿ الفهرم ﴾ : واحد الفهود ، وفهد الرجل أشبه الفهد في كثرة نومه وتمرده ، وفي حديث أم ذرع « إن دخل فهد » وزعمه أرسطو : أنه يتولد بين نمر وأسد ومزاجه كمزاج النمر ، وفي طبعه مشابهة لطبع الكلب في أدوائه ودوائه ، ويقال إن الفهدة إذا أثقلت بالحمل حن عليها كل ذكر يراها من الفهود ويواسيها من صيده ، فإذا أرادت الولادة هربت إلى موضع قد أعدته لذلك .

ويضرب بالفهد المثل في كثرة النوم ، وهو ثقيل الجثة يحطم ظهر الحيوان في ركوبه ، ومن خلقه الغضب ، وذلك أنه إذا وثب على فريسة لا يتنفس حتى ينالها فيحجمي لذلك وتمتلى رثته من الهواء الذي حبسه ، فإذا أخطأ صيده رجع مغضبا وربما قتل سائسه .

قال ابن الجوزي : إن الفهد يصاد بالصوت الحسن : قال : ومتى وثب على الصيد ثلاث مرات ولم يدركه غضب ، ومن خلقه أنه يأنس لمن يحسن إليه ، وكبار الفهود أقبل للتأديب من صغارها ، وأول من اصطاد به كليب بن وائل ، وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان ، وأكثر من اشتهر باللعب بها أبو مسلم الخراساني .

(فائدة) سئل الكيا الهراسي الفقيه الشافعي عن يزيد بن معاوية هل هو من الصحابة أم لا ؟ وهل يجوز لعنه أم لا ؟ فأجاب إنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد في أيام عثمان . رضى الله تعالى عنه ، وأما قول السلف فقيه لكل واحد من أبي حنيفة ومالك وأحمد قولان تصريح وتلويح ، ولنا قول واحد التصريح دون التلويح ، وكيف لا يكون كذلك وهو المتصيد بالفهد واللاعب بالترد ومدمن الخمر ، ومن شعره في الخمر قوله :

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم وداعى صبايات الهوى يترنم
خذوا بنصيب من نعيم ولذة فكل وإن طال المدى يتصرم
وكتب فصلا طويلا أضربنا عن ذكره ، ثم قلب الورقة وكتب : ولو مددت ببياض
لأطلقت العنان وبسطت الكلام فى مخازى هذا الرجل .

وقد أقتى الغزالي فى هذه المسألة بخلاف ذلك ، فإنه سئل عن بصريح بلعن يزيد بن معاوية
هل يحكم بفسقه أم يكون ذلك مرخصا فيه؟ وهل كان يريد قتل الحسين أم كان قصده الدفع؟
وهل يسوغ الترحم عليه أم السكوت عنه أفضل؟ فأجاب لا يجوز لعن المسلم أصلا ومن لعن
المسلم فهو الملعون . وقد قال عليه الصلاة والسلام « المسلم ليس بلعان » وكيف يجوز لعن المسلم
وقد ورد النهى عن ذلك؟ وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص من النبى صلى الله
عليه وسلم ، ويزيد صبح إسلامه وما صح قتله للحسين رضى الله تعالى عنه ولا أمره ولا رضاه
بذلك ، ومهما لم يصح ذلك عنه لم يجوز أن يظن ذلك به ، فإن إساءة الظن أيضا بالمسلم حرام
قال الله تعالى : - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - وقال صلى الله
عليه وسلم « إن الله حرم من المسلم دمه وماله وعرضه ، وأن يظن به ظن السوء » ومن أراد
أن يعلم حقيقة من الذى أمر بقتله لم يقدر على ذلك ، وإذا لم يعلم وجب إحسان الظن بكل مسلم
يمكن إحسان الظن به ، ومع هذا لو ثبت على مسلم أنه قتل مسلما فذهب أهل الحق أنه ليس
بكافر والقتل ليس بكفر بل هو معصية ، وإذا مات القاتل فرجما مات بعد التوبة والكافر
لو تاب من كفره لم يجوز لعنه فكيف من تاب من قتل؟ ولم يعرف أنه قاتل الحسين مات
قبل التوبة وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ، فإذا لا يجوز لعن أحد من مات من المسلمين
ومن لعنه كان فاسقا عاصيا لله عز وجل ، ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصيا بالإجماع بل
لو لم يلعن إبليس طول عمره لا يقال له فى القيامة لم لم تلعن إبليس ، ويقال للاعن لم لعنت ومن
أين عرفت أنه ملعون؟ والملعون هو المبعد عن الله عز وجل ، وذلك لا يعرف إلا فيمن مات
كافرا فإن ذلك علم بالشرع ، وأما الترحم عليه فجاز بل مستحب بل داخل فى قولنا اللهم
اغفر للمؤمنين والمؤمنات فإنه كان مؤمنا .

والسكيا الهراسى هو أبو الحسن عماد الدين على بن محمد الطبرى كان من رءوس معيذى
لإمام الحرمين وثانى الغزالي ، وتوفى فى الحرم سنة أربع وخمسةائة ببغداد ، وحضر دفنه الشريف
أبو طالب الزينبي وقاضى القضاة أبو الحسن بن الداغانى مقديما الطائفة الحنفية ، وكان بينهما وبينه
فى حال الحياة منافسة ، فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال ابن الداغانى :
وما تغنى النوادب والبواكى وقد أصبحت مثل حديث أمس

وأشدد الزينبي :

عقم النساء فلا يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم
وقد تقدم في باب الحاء المهملة في الحمام ذكر شئ* من مناقب الإمام الغزالي ، ووفاته
رحمه الله تعالى .

وذكر ابن خلكان : أن الرشيد خرج مرة إلى الصيد فانتهى به الطرد إلى موضع قبر
على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه الآن ، فأرسل فهودا على صيد فتبعته الصيد إلى موضع
قبره ووقفت الفهود عند موضع القبر الآن ، ولم تتقدم على الصيد ، فتعجب الرشيد من ذلك
فجاءه رجل من أهل الخبرة ، وقال : يا أمير المؤمنين أرايتك إن دلتك على قبر ابن عمك
على بن أبي طالب مالى عندك ؟ قال : أتم مكرمة . قال : هذا قبره ، فقال له الرشيد : من
أين علمت ذلك ؟ قال : كنت أجيء مع أبي فيزور قبره ، وأخبرني أنه كان يجيء مع جعفر
الصادق رضى الله تعالى عنه فيزوره ، وأن جعفر كان يجيء مع أبيه محمد الباقر فيزوره ،
وإن محمدا كان يجيء مع أبيه على زين العابدين فيزوره ، وأن عليا كان يجيء مع أبيه الحسين
فيزوره ، وكان الحسين أعلمهم بمكان القبر ، فأمر الرشيد أن يحجر الموضع فكان أول
أساس وضع فيه ، ثم تزايدت الأبنية فيه في أيام السامانية وبني حمدان وتفاقم في أيام الديلم :
أى أيام بنى بويه ، قال : وعضد الدولة هو الذى أظهر قبر على بن أبي طالب رضى الله تعالى
عنه ، وعمر المشهد هناك وأوصى أن يدفن فيه . وللناس في هذا القبر اختلاف متباين حتى قيل
إنه قبر المغيرة بن شعبة الثقفى رضى الله تعالى عنه ، وأصح ما قيل إنه مدفون بقصر الإمارة
بالكوفة انتهى .

قلت : وعلى رضى الله تعالى عنه لا يعرف قبره على الحقيقة .

وعضد الدولة اسمه فناخسرو أبو شجاع بن ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه الديلمي
وكان عضد الدولة أعظم بنى بويه مملكة دانت له العباد والبلاذ وأطاعه كل صعب القياد ،
وهو أول من خوطب بالملك في الإسلام كما تقدم ، وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد
الخليفة ويلقب بتاج الملة أيضا ، وكان محبا للعلوم وأهلها ، وكان يحسن إليهم ويجلس معهم
ويفاوضهم ، فقصده العلماء والشعراء من كل بلد وصنفوا له الكتب وامتدحوه ، وقد تقدم
ذكر وفاته في باب الحمزة في لفظ الإوز .

(الحكم) يحرم أكله لأنه ذو ناب فأشبهه الأسد لكنه يجوز بيعه للصيد ولا خلاف

في جواز إجارتة .

(الأمثال) قالوا : أثقل رأسا من الفهد ؛ وأنوم من فهد ، وأوثب من فهد ، وأكسب

من فهد ، وذلك أن الفهود الهرمة التي تعجز عن الصيد لأنفسها تجتمع على فهد قتي فيصيد لها في كل يوم شعبها .

(الخواص) أكل لحمه يورث حدة الذهن وقوة البدن ، ومن سقى من دمه غلبته عليه البلاءة ، وبرئته إذا ترك في موضع هرب منه الفأر . وقال صاحب عين الخواص : قرأت في بعض الكتب أن بول الفهد إذا تحملت به امرأة لم تحبل : وربما تصير عاقرا .

(التعبير) الفهد في المنام عدو مذئذب لا يظهر العداوة ولا الصداقة فمن نازعه نازع إنسانا كذلك . وقال ابن المقرئ : إن رؤيته تدل على العز والرفعة والدلال مع الصخب والعياط ، وربما دل على ما يدل عليه الجراح من الوحش ، والله تعالى أعلم .

﴿ الفور ﴾ : بالضم الطباء وهو جمع لا واحد له من لفظه ، يقال لا أفعل كذا مالا لألت . الفور بأذناها أى حركتها ، ويروى مالا لألت العفر بأذناها وهى الطباء أيضا :

﴿ الفولع ﴾ : طائر أحمر الرجلين كأن رأسه شيب مصبوغ ، ومنها ما يكون أسود الرأس وسائر خلقه أغبر حكاه ابن سيده .

﴿ الفيصور ﴾ : كقبطون الحمار النشيط .

﴿ الفويسقة ﴾ : الفأرة . روى البخارى وأبو داود والترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «خروا الآنية وأوكثوا الأسقية وأجيفوا الأبواب وكفوا صبيانكم فإن للجن سيارة خطفة ، وأطفئوا المصابيح عند الرقاد فإن الفويسقة ربما أخذت الفتيلة وأحرقت أهل البيت» .

قبيل سميت فويسقة لخروجها على الناس واغتيالها إياهم في أمواهم بالفساد وأصل الفسق الخروج ومن هذا سمي الخارج عن الطاعة فاسقا ، يقال فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت عنه .

﴿ الفياد ﴾ : كصياد ذكر البوم ، ويقال الصدى ،

﴿ الفيل ﴾ : معروف وجمعه أفيال وفيول وفيلة : قال ابن السكيت ، ولا تقل أفيلة وصاحبه فيال . قال سيبويه . يجوز أن يكون أصل فيل فعل فكسر من أجل الياء كما قالوا أبيض وبيض ، وكنته أبو الحجاج وأبو الحرمان وأبو دغفل وأبو كلثوم وأبو مزاحم والفيلة أم شبل ، وفي ربيع الأبرار كنية فيل أبرهة ملك الحبشة أبو العباس واسمه محمود وقد ألغز بعضهم في اسمه فقال :

ما اسم شئ* تركيبه من ثلاث وهو دون أربع تعالى الإله
قبيل تصحيفه ولكن إذا ما عكسوه يصير لى ثلثاه

والفيلة ضربان فيل وزندبيل وهما كالبخاني والعراب والجواميس والبقر والخيسل والبراذين والجرد والفار والنمل والذر ، وبعضهم يقول : الفيل الذكر والزندبيل الأنثى ، وهذا النوع لا يلاقح إلا في بلاده ومعادنه ومغارس أعراقه وإن صار أهليا ، وهو إذا اغتم أشبه الجمل في ترك الماء والعلف حتى يتورم رأسه ولم يكن لسواسه إلا الهرب منه وربما جهل جهلا شديدا ، والذكر ينزو إذا مضى له من العمر خمس سنين وزمان نزوه الربيع ، والأنثى تحمل سنتين وإذا حملت لا يقربها الذكر ولا يمسه ولا ينزو عليها إذا وضعت إلا بعد ثلاث سنين ، وقال عبد اللطيف البغدادي . إنها تحمل سبع سنين ولا ينزو إلا على فيلة واحدة وله عليها غير شديدة فإذا تم حملها وأرادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها لأنها لا تلد إلا وهي قائمة ولا فواصل لتقوائمها فتلد والذكر عند ذلك يحرسها ولدها من الحيات ، ويقال إن الفيل يحقد كالجمل فربما قتل سائسه حقدا عليه ، وتزعم الهند أن لسان الفيل مقلوب ولولا ذلك لتكلم ويعظم ناباه وربما بلغ الواحد منهما مائة من^١ وخرطومه من غضروف وهو أنفه ويده التي يوصل بها الطعام والشراب إلى فمه ويقاقل بها ويصيح وليس صياحه على مقدار جثته لأنه كصياح الصبي وله فيه من القوة بحيث يقلع به الشجرة من منابتها ، وفيه من الفهم ما يقبل به التأديب ويفعل ما يأمره به سائسه من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والشر في حالتي السلم والحرب ، وفيه من الأخلاق أن يقاقل بعضه بعضا والمقهور منهما يخضع للقاهر ، والهند تعظمه لما اشتمل عليه من الخصال الحمودة من علو سمكه وعظم صورته وبديع منظره وطول خرطومه وسعة أذنيه وثقل حمله وخفة وطئه فإنه ربما مر بالإنسان فلا يشعر به لحسن خطوه واستقامته ، ويطول عمره : فقد حكى أرسطو أن فيلا ظهر أن عمره أربع مائة سنة واعتبر ذلك بالوسم ، وبينه وبين السنور عداوة طبيعية حتى إن الفيل يهرب منه كما أن السبع يهرب من الديك الأبيض وكما أن العقرب متى أبصرت الوزغة ماتت . وذكر القزويني : أن فرج الفيلة تحت إبطها فإذا كان وقت الضراب ارتفع وبرز للفحل حتى يتمكن من إتيانها فسبحان من لا يعجزه شيء ، وفي الحلية في ترجمة أبي عبد الله القلانسي أنه ركب البحر في بعض سياحاته فعصفت عليهم الرياح فتضرع أهل السفينة إلى الله تعالى ونذروا النذور إن نجاهم الله تعالى ، وألحوا على أبي عبد الله في النذر فأجرى الله على لسانه أن قال : إلى خلصني الله تعالى مما أنا فيه لا آكل لحم الفيل ، فانكسرت السفينة وأنجاهم الله تعالى وجماعة من أهلها إلى الساحل فأقاموا به أياما من غير زاد ، فبينما هم كذلك إذا هم بفيل صغير فذبحوه وأكلوا لحمه سوى أبي عبد الله فلم يأكل منه وفاء بالعهد الذي كان منه . قال : فلما نام القوم جاءت أم ذلك الفيل تتبع أثره وتشم الرائحة فكل من وجدت منه رائحة لحمه داسته بيديها ورجليها إلى أن تقتله . قال : فقتلت الجميع ثم أتت إلى فلم تجد

منى رائحة اللحم ، فأشارت إلى أن اركبها فركبتها فسارت بي سيرا شديدا الليل كله ، ثم أصبحت في أرض ذات حرث وزرع ، فأشارت إلى أن انزل فنزلت عن ظهرها ، فحملني أولئك القوم إلى ملكهم فسألني ترجمانه فأخبرته بالتصبة ، فقال لي : إن الفيلة قد سارت بك في هذه الليلة مسيرة ثمانية أيام : قال : فلبثت عندهم إلى أن حملت ورجعت إلى أهلي .

وفي كتاب [الفرج بعد الشدة] للقاضي التنوخي قال : حدثني الأصبهاني من حفظه قال : قرأت في بعض الأخبار الأوائل أن الإسكندر لما انتهى إلى الصين ونازلها أتاه حاجبه ذات ليلة وقدمضى من اللؤل شطره فقال له : إن رسول ملك الصين يستأذن بالدخول عليك ، فقال : ائذن له ، فلما دخل وقف بين يديه وقبل الأرض ثم قال : إن رأى الملك أن يخلفني فليفعل ، فأمر الإسكندر من بحضرته بالانصراف فانصرفوا ولم يبق سوى حاجبه ، فقال له الرسول : إن الذي جئت له لا يحتمل أن يسمعه أحد غير الملك ، فأمر الإسكندر بتفتيشه ففتش فلم يوجد معه شيء من السلاح ، فوضع الإسكندر بين يديه سيفا مصلتا وقال له : قف مكانك وقل ماشئت وأمر حاجبه بالانصراف ، فلما خلا المكان قال له الرسول : اعلم أني أنا ملك الصين لا رسول له ، وقد حضرت بين يديك لأسألك عما تريد مني ، فإن كان مما يمكن الانقياد له ولو على أصعب الوجوه أجبت إليه واغتنيت أنا وأنت عن الحرب ، فقال له الإسكندر : وما أمرك مني ؟ قال : علمي بأنك رجل عاقل وأنه ليس بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بذحل ، ولعلمي أيضا أنك تعلم أن أهل الصين متى قتلني لا يسلمون إليك ملكهم ولا يمنهم عدمهم إياي أن ينصبوا لأنفسهم ملكا غيري ثم تنسب أنت إلى غير الجميل وضد الحزم ، فأطرق الإسكندر مفكرا في مقالته ثم رفع رأسه إليه وقدمت بين يديه له صدق قوله وعلم أنه رجل عاقل ، فقال له : أريد منك ارتفاع ملكك ثلاث سنين عاجلا ونصف ارتفاعه في كل سنة ، فقال له ملك الصين : هل غير هذا شيء ؟ قال : لا . قال : قد أجبتك إلى ذلك ، قال : فكيف يكون حالك حينئذ ؟ قال : أكون قتيل أول محارب وأكلة أول مفترس . قال : فإن قنعت منك بارتفاع سنتين كيف يكون حالك ؟ قال : أصلح ما يكون ذلك مذهبا لجميع لذاتي . قال : فإن قنعت منك بالسدس ؟ قال : يكون السدس موفرا والباقي للجيش ولأسباب الملك : قال : قد اقتصرت منك على هذا فشكره وانصرف . فلما أصبح الصباح وطلعت الشمس أقبل جيش الصين حتى طبق الأرض كثرة وأحاط بجيش الإسكندر حتى خافوا الهلاك فتواثبوا إلى خيولهم فركبوها واستعدوا ، فبيناهم كذلك إذ ظهر ملك الصين على فيل عظيم وعليه التاج ، فلما رأى الإسكندر ترجل ومشى إليه وقبل الأرض بين يديه ، فقال له الإسكندر : أغدرت ؟ فقال : لا والله ، فقال : ما هذا

الجيش؟ قال: أردت أن أعلمك أنى لم أطعمك من قلة ولا ضعف وأن ترى هذا الجيش وما غاب عنك أكثر منه، لكنى رأيت العالم الأكبر مقبلا عليك يمكننا لك ممن هو أقوى منى ومنك وأكثر عددا، فعلمت أنه من حارب الإله غلب وقهر فأردت طاعته بطاعتك والذلة لأمره بالذلة لك، فقال له الإسكندر: ليس ينبغى أن يؤخذ من مثلك شيء، وما رأيت أحدا يستحق التفضيل والوصف بالعقل غيرك، وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك، فقال له ملك الصين: أما إذ فعلت ذلك فإنك لا تحسر، ثم قدم له ملك الصين من الهدايا والتحف والألطاف أضعاف ما قرره معه، ورحل الإسكندر عنه:

قلت: وقد أذكرتنى هذه الحكاية ما حكاها صاحب [ابتلاء الأخيار] عن الإسكندر مع ملكة الصين الأقصى قال: إن الإسكندر لما سار في الأرض لفتح البلاد سمعت به ملكة الصين فأحضرت من أبصر صورة الإسكندر ممن يعرف التصوير وأمرتهم أن يصوروا صورته في جميع الصنائع خوفا منه، فصوروه في البسط والأواني والرقوم ثم أمرت بوضع ما صنعوه بين يديها وصارت تنظر لذلك حتى أثبتت معرفته، فلما قدم عليها الإسكندر ونازل بلدها قال الإسكندر للخضر يوما: قد خطر لى شيء أقوله لك، قال: وما هو؟ قال: أريد أن أدخل هذه البلدة متكررا وأنظر كيف يعمل فيها؟ قال: افعل ما بدا لك، فلما دخلها الإسكندر نظرت إليه الملكة من حصنها فعرفته للصور التي عندها فأمرت بإحضاره، فلما مثل بين يديها أمرت به فوضع في مطمورة لا يعرف الليل فيها من النهار، فبقى فيها ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب حتى كادت قوته أن تسقط، واختبئ عسكره لأجل غيبته والخضر يسكنهم ويسليمهم، فلما كان اليوم الرابع مدت ملكة الصين سماطا نحو مائة ذراع ووضعت فيه أواني الذهب والفضة والبلور، وملأت أواني الذهب بالؤلؤ والزبرجد، وأواني الفضة بالدر والياقوت الأحمر والأصفر، وأواني البلور بالذهب والفضة، وما في ذلك شيء يؤكل إلا أنه مال لا يعلم قدره إلا الله تعالى، وأمرت فوضع في أسفل السماط صحن فيه رغيف من خبز البر وشربة من الماء، وأمرت بإخراج الإسكندر وأجلسته على رأس السماط فنظر إليه فأبهره ذلك وأخذت تلك الجواهر ببصره ولم يرفيه شيئا للأكل، ثم نظر فرأى في أدنى السماط إناء فيه طعام فقام من مكانه ومشى إليه وجلس عنده وسمى وأكل، فلما فرغ من أكله شرب من الماء قدر كفايته ثم حمد الله تعالى وقام وجلس مكانه أولا، فخرجت عليه فقالت له: يا سلطان بعد ثلاثة أيام ما صد عنك هذا الذهب والفضة والجواهر سلطان الجوع وقد أغناك عن هذا كله ما قيمته درهم واحد: فمالك والتعرض إلى أموال الناس وأنت بهذه المثابة؟ فقال لها الإسكندر: لك بلادك وأموالك ولا بأس عليك بعد اليوم، فقالت له: أما إذ فعلت هذا فإنك لا تحسر، ثم إنهما قدمت له جميع ما كانت قد

أحضرتة وكان شيئا يحير الناظر ويذهل الخاطر ومن المواشى شيئا كثيرا ، فنزل إلى عسكره وقبل هديتها ورحل عنها . وذكر غيره أنه كان في الهدية ثلاثمائة فيل ، وأنه دعاها إلى الله تعالى فأمنت وآمن أهل مملكتها .

(غريبة) ذكر صاحب النشوان أن خارجيا خرج على ملك الهند فأنفذ إليه الجيوش فطلب الأمان فأمنه فسار الخارجي إلى الملك ، فلما قرب من بلد الملك أمر الملك الجيش بالخروج إلى لقائه فخرج الجيش بالآلات الحرب وخرجت العامة تنتظر دخوله ، فلما أبعدوا في الصباحراء وقف الناس ينتظرون قدوم الرجل فأقبل وهو راجل في عدة رجال وعليه ثوب ديباح ومزرق في وسطه جريا على زى القوم ، فتلقوه بالإكرام ومشوا معه حتى انتهى إلى فيلة عظيمة قد أخرجت للزينة وعليها الفيالون وفيها فيل عظيم يختصه الملك لنفسه ويركبه في بعض الأوقات ، فقال له الفيال لما قرب منه : تنح عن طريق فيل الملك ، فلم يبد له جوابا ، فأعاد عليه القول فلم يبد له جوابا ، فقال له : يا هذا احذر على نفسك وتنح عن طريق فيل الملك فقال له الخارجي : قل لفيل الملك يتنحى عن طريقى ، فغضب الفيال وأغرى الفيل به بكلام كالمه به ، فغضب الفيل وعدا إلى الخارجي ولف خرطومه عليه وشاله الفيل شيلا عظيما والناس يرونه ثم خبط به الأرض ، فإذا هو قد وقع منتصبا على قدميه قابضا على خرطوم الفيل ، فزاد غضب الفيل فشاله الثانية أعظم من الأولى وعدا ثم رمى به الأرض فإذا هو قد حصل مستويا على قدميه منتصبا قابضا على الخرطوم ولم ينح يده عنه ، فشاله الفيل الثالثة وفعل به مثل ذلك فحصل على الأرض منتصبا قابضا على الخرطوم وسقط الفيل ميتا لأن قبضه على الخرطوم تلك المدة منعه من التنفس فقتله ، فأخبر الملك بذلك فأمر بقتله ، فقال له بعض وزرائه : يجب أيها الملك أن تستبقي مثل هذا ولا يقتل فإن فيه جمالا للمملكة . ويقال إن للملك خادما قتل فيلا بقوته وحيله من غير سلاح فعفا عنه واستبقاه .

وذكر الطرطوشى وغيره : أن الفيل دخل دمشق في زمن معاوية بن أبي سفيان رضى الله تعالى عنهما . فخرج أهل الشام لينظروه لأنهم لم يكونوا رأوا الفيل قبل ذلك ، وصعد معاوية سطح القصر للفرجة فلاحته منه التفاتة فرأى رجلا مع بعض حظاياها في بعض حجر القصر فنزل مسرعا إلى الحجرة فطرق بابها فقيل : من ؟ قال : أمير المؤمنين ، ففتح الباب إذ لا بد من فتحه طوعا أو كرها ، فدخل أمير المؤمنين معاوية فوقف على رأس الرجل وهو منكس رأسه وقد خاف خوفا عظيما ، فقال له معاوية : يا هذا ما الذى حملك على ما صنعت من دخورك قصرى وجلسك مع بعض حرى ؟ أما خفت نعمتى ؟ أما خشيت سطوتى ؟ أخبرنى يا ويلىك ما الذى حملك على ذلك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين حملنى على ذلك حلمك ، فقال له معاوية : رأيت إن عفوت عنك تسترها على فلا تخبر بها أحدا ؟ قال : نعم ! فعفا عنه

هو وب له الجارية وما في حجرتها وكان شيئا له قيمة عظيمة ، قال الطرطوشي : فانظر إلى هذا الدهاء العظيم والحلم الواسع كيف طلب الستر من الخاني ! انتهى .

(فائدة) لما كان أول المحرم سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ حلالاً بطن أمه حضر أبرهة الأشرم ملك الحبشة يريد هدم الكعبة وكان قد بنى كنيسة بصنعاء وأراد أن يصرف إليها الحاج ، فخرج رجل من بني كنانة فقعده فيها ليلاً فأغضبه ذلك وحلف ليهدم الكعبة ، فخرج ومعه جيش عظيم ومعه فيله محمود وكان قويا عظيماً واثني عشر فيلاً غيره ، وقيل ثمانية ، فلما بلغ المغمس وهو على ثلثي فرسخ من مكة مات دليله أبو رغال هناك ، فرجعت العرب قبره والناس يرجونه إلى الآن .

وروى أبو علي بن السكن في سننه الصحاح « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا كان بمكة وأراد أن يقضى حاجة الإنسان خرج إلى المغمس » ثم إن أبرهة بعث خيلاً له إلى مكة فأخذت مائتي بعير لعبد المطلب ، فهم أهل الحرم بقتاله ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوه وبعث أبرهة إلى أهل مكة يقول لهم : إني لم آت للحربكم وإنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تعترضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم ، فقال عبد المطلب للرسول : والله لا يريد حربيه وما لنا به من حاجة ، هذا بيت الله وبيت خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم فهو يحميه ممن يريد هدمه ، ثم خرج عبد المطلب إلى أبرهة ، وكان عبد المطلب جسيماً وسياً ما رآه أحد إلا أحبه وكان مجاب الدعوة ، فقيل لأبرهة هذا سيد قريش الذي يطعم الناس في السهل ويطعم الوحش والطيور في رعوس الجبال : فلما رآه أجله وأجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه : قل له سل حاجتك ؟ فقال : حاجتي أن يرد الملك عليّ مائتي بعير أصابها لي ، فلما قال ذلك قال له أبرهة : قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتني أتكلمني في مائتي بعير وتترك بيتنا هو دينك ودين آبائك ؟ قد جئت لهدمه فلم تكلمني فيه ، فقال عبد المطلب : إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه منك ، قال أبرهة : ما كان يمتنع مني ؟ فقال عبد المطلب : أنت وذاك ، فرد أبرهة على عبد المطلب إبله ، ثم انصرف إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة إلى الجبال والشعاب ، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ودعا الله تعالى ثم قال :

لا همّ إن المرء يمسح رجليه فامنع حلالك
وانصر على آل الصديق وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليهم ومحالمهم أبدا محالك

ثم أرسل حلقة الباب وانطلق هو ومن معه من قريش إلى الجبال ينظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها ؟ فحينئذ جاءت قدرة الواحد الأحد القادر المقتدر ، فأصبح أبرهة متهيباً

لدخول مكة وهدم البيت وقدم فيه محمودا أمام جيشه ، فلما وجه القبيل إلى مكة أقبل
 نفيل بن حبيب كذا في سيرة ابن هشام. وقال السهيلي : نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك
 فأخذ بأذن القبيل وقال : ابرك محمود أو ارجع راشدا فإنك في بلد الله الحرام ، ثم أرسل
 أذنه له فبرك القبيل فضر به بالحديد حتى أدموه ليقوم فأبى فوجهوه إلى اليمن فقام بهرول فوجهوه
 إلى الشام ففعل مثل ذلك فوجهوه إلى مكة فبرك . فعند ذلك أرسل الله عليهم طيرا أبايل
 ترميهم بحجارة من سجيل ، فتساقطوا بكل طريق وهلكوا على كل منهل ، وأصيب أبرهة
 حتى تساقطت أتملة أتملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فمات حتى انصدع
 قلبه عن صدره ، وانفلت وزيره وطائر يخلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما
 أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه ، وإلى هذه القصة أشار النبي صلى الله عليه وسلم
 بقوله في الحديث الصحيح : « إن الله تعالى حبس عن مكة القبيل وسلط عليها رسوله
 والمؤمنين » .

وفي صحيح البخاري وسنن أبي داود والنسائي من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم
 رضي الله تعالى عنهما يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قال « خرج رسول الله صلى الله عليه
 وسلم زمن الحديبية حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس حل حل
 فألحت ، فقالوا : خلأت القصواء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما خلأت القصواء وما ذاك لها
 يخلق ، ولكن حبسها حابس القبيل » الخلاء في الإبل كالخران في الخيل ، والمعنى في التمثيل
 بحبس القبيل أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم لو دخلوا مكة لوقع بينهم وبين قريش قتال في
 الحرم وأريق فيه دماء وكان منه الفساد ، ولعل الله سبحانه وتعالى قد سبق في علمه ومضى في
 قضائه أنه سيسلم جماعة من أولئك الكفار ، وسيخرج من أصلابهم قوم مؤمنون ، فلو
 استبيحت مكة لا تقطع ذلك النسل وتعطلت تلك العواقب ، والله أعلم .

قبيل : كان أبرهة المذكور جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ،
 وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام القبيل بعد هلاك أصحاب القبيل بخمسين يوما ،
 قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : رأيت قائد القبيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان
 الناس بمكة .

وروى أن عبد الملك بن مروان قال لقبائث بن أشيم السكناني : يا قبائث أنت أكبر أم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني ، وأنا أسن منه .
 ولد صلى الله عليه وسلم عام القبيل ، ووقفت في أمي على روث القبيل ، وهو أخضر وأنا أعقله .
 قال السهيلي : قوله فبرك القبيل فيه نظر لأن القبيل لا يبرك فيحتمل أن يكون فعل فعل
 اليارك الذي يلزمه وضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك ، ويحتمل أن يكون بروك سقوطه

إلى الأرض لما دهمه من أمر الله سبحانه وتعالى - قال : وقد سمعت من يقول : إن في القبيلة صنفًا يبرك كما يبرك الجمل فإن صح وإلا فتأويله كما قدمناه . قال : وقول عبد المطلب لا هم الخ إن العرب تحذف الألف واللام من اللهم وتكتفي بما بقي ، والحلال متاع البيت وأراد به سكان الحرم ، ومعنى محالك كيدك وقوتك ، والكنيسة التي بناها أبرهة بصنعاء تسمى القليس مثل القبيط سميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها ، ومنه القلانس لأنها في أعلى الرعوس يقال تقلس الرجل وتقلنس إذا لبس القلنسوة ، وتقلس طعاما إذا ارتفع من معدته إلى فيه ، وكان أبرهة قد استنزل أهل اليمن في بنائها وكلفهم فيها أنواعا من السخر : وكان ينقل إليها الرخام الحزق والحجارة المنقوشة بالذهب والفضة من قصر بقليس صاحبة سلمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس ، وكان يشرف منها على عدن ، وكان حكمه في العامل فيها إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يعمل قطع يده ، فنام رجل من العمال ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت أمه معه وهي امرأة عجوز فنضرت إليه تستشفع لابنها فأبى إلا قطع يده ، فقالت : اضرب بعمولك اليوم فالיום لك وغدا لغيرك ، فقال : ويحك ! ما قلت ؟ قالت : نعم ، كما صار هذا الملك من غيرك إليك فهو خارج عن يدك بمنزل ما صار إليك ، فأخذته موعظتها وعفا عن ولدها وأعفى الناس من السخر فيها ، فلما هلك ومزقت الحبيشة كل ممزق أقفر ما حول هذه الكنيسة وكثر حولها السباع والحيات ، وكان كل من أراد أن يأخذ منها شيئا أصابته الجن فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد والخشب المرصع بالذهب والآلات المنفضضة التي تساوى قناطير مقنطرة من الأموال إلى زمن أبي العباس السفاح فذكروا له أمرها وما يتبيب من جنها ، فلم يرعه ذلك وبعث إليها أبا العباس بن الربيع عامله على اليمن ومعه أهل الحزم والجلادة فخرّبها واستأصلها وحصل منها مالا كثيرا ، وباع منها ما أمكن بيعه من رخامها وآلاتها فخفي بعد ذلك رسمها وانتقطع خبرها ودرست آثارها وكان الذي يصيبهم من الجن ينسبونهم إلى كعيب وامراته وهما صنهان كانت الكنيسة بذيت عليهما فلما كسر كعيب وامراته أصيب الذي كسرهما بالجذام ، فافتتن بذلك رعاع اليمن وطغاهم . وذكر أبو الوليد الأزرق أن كعيبا كان من خشب ، وأن طوله كان ستين ذراعا ، وإلى قصة أبرهة أشرت بقولي في المنظومة في أول كتاب السير :

فجاءهم	أبرهة	بالقبيلة	وبجوش	أقبلت	محتفله
وأهمهم	في	عسكر	كالليل	مستظهرا	برجله
وقد	أتى	الأسود	نحو	الحرم	واستاق
فأم	ذلك	الوقت	عبد	المطلب	أبرهة
				والسعى	في
				الخير	طاب

فذ رأى أبرهة وجها سما
 انحط عن سريره منهبطا
 وقال سل ماشئت من أمور
 قد أخذت من جملة الأموال
 لو قلت لى لا تهدمن البيت
 قابلت ماقلت بالامثال
 فقال هدى إيلى وهذا
 لأسأل اليوم سواء فيه
 ثم أتى شيبة باب الكعبة
 يارب لا أرجو لهم سواكا
 إن عدو البيت من عاداكا
 فأجلبوا برجلهم والخيل
 محموده من فوقه مذموم
 يروم هدم البيت ذى الأركان
 ويستحل الحرم المعظما
 فقام يدعو الله عبد المطلب
 فى يده حلقته الوثقى التى
 فأنجز الله له ما طلبه
 وفيلهم محمود ليل داجى
 وقال قوم بأبى العباس
 أمسكه بأذنه نفيل
 ابرك وارجع راشدا محمود
 فأوجعوه بالحديد ضربا
 وإن يوجه لسواه يبتدر
 فأرسل الله على الذى فجر
 مهيا للقوم من سجيل
 والملك المطاع عضوا عضوا
 وكان عام القبيل عام المولد

مهابة عظمه رب السما
 وقعدا على بساط بسطا
 فقال رد مائتى بعير
 فقال قد هونت فى السؤال
 وارجع وعد من حيثما أتينا
 من غير إمهال ولا إهمال
 بيت له خالقه أعادا
 إن له ربا حلا يحميه
 فقال إذ يسأل فيه ربه
 يارب فامنع عنهم حاك
 فامنعهم أن يخربوا قراكا
 وأقبلوا كقطع من ليل
 بهيمة سواده بهيم
 وقتل من فيه من السكان
 ويستبيح البلد المحرما
 بدعوات جيشهن ماغلب
 خاب من أمسكها فى أزمة
 وأنجح الرب العظيم مطلبه
 وكان بكنى بأبى الحجاج
 وكان معروفا بعظم الباس
 قال له وشاع هذا القبيل
 فإن هذا بلد محمود
 للسير نحو البيت وهو بأبى
 ثم عليه أحد لم يقتدر
 طير أبابيل رمت جنس الحجر
 فهم كعصف بعدها مأكول
 مزق ثم لم ينل مرجوا
 لأحمد خير الورى محمد

(فائدة أخرى) إذا دخل إنسان على من يخاف شره فليقرأ: «كهعيص - حم عسق»

وعدد حروف الكلمتين عشرة يعقد لكل حرف أصبعاً من أصابعه يبدأ بإبهام يده اليمنى ويختم بإبهام يده اليسرى ، فإذا فرغ عقد جميع الأصابع قرأ في نفسه سورة القيل فإذا وصل إلى قوله تعالى : - ترميمهم - كرر لفظ ترميمهم عشر مرات يفتح في كل مرة أصبعاً من الأصابع المعقودة فإذا فعل ذلك أمن شره ، وهو عجيب مجرب .

(ومن الفوائد المخربة) ما أفادنيه بعض أهل الخير والصلاح أن من قرأ سورة القيل ألف مرة في كل يوم مائة مرة عشرة أيام متوالية ويقصد من يريده بالضائر ، وفي اليوم العاشر يجلس على ماء جار ويقول : اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضائر ، اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطمع العالم ، اللهم إن فلانا ظلمني وآذاني ولا يشهد بذلك غيرك ، اللهم إنك مالئك أهلكه ، اللهم سربله سربال الهوان وقصه قبيص الردى ، اللهم اقصفه يكرر هذه اللفظة عشر مرات ، ثم يقول - فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق - فإن الله يهلكه ويكفيه شره ، وهو سر لطيف مجرب :

وزوى أن عمرو بن معد يكرب رضى الله تعالى عنه حمل يوم القادسية على رستم ، وهو الذى كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين ، فاستقبل عمرو رستم وكان رستم على فيل عظيم فحذف عمرو قوائمه بضربة فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان عليه فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهمزت العجم ، وهذه الضربة لم يسمع بمثلها في الجاهلية ولا في الإسلام .

وروى أن الروم حملت القوائم المذكورة وعلقوها في كنيسة لهم فكانوا إذا عبروا يانهزم يقولون : لقينا قوما هذه ضربتهم ، فيترجل أبطال الروم فيرونها ويتعجبون من ذلك . وذكر أبو العباس المبرد أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، قال يوماً : من أجود العرب ؟ قيل له حاتم : قال : فمن فارسها ؟ قيل عمرو بن معد يكرب . قال : فمن شاعرها ؟ قيل امرؤ القيس قال : فأى سيوفها أمضى ؟ قيل صمصامة عمرو بن معد يكرب رضى الله عنه فأفاد السهيلي أن صمصامة عمرو بن معد يكرب كانت حديدة وجدت عند الكعبة من دفن بجرهم أو غيره ، وأن ذا الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من تلك الحديدة أيضاً . قال : وإنما سمي ذا الفقار لأنه كان في وسطه مثل فقرات الظهر ، وكان قبله صلى الله عليه وسلم للعاص بن منبه سلبه منه يوم بدر .

(الحكم) يحرم أكل القيل على المشهور ، وعلة في الوسيط بأنه ذوناب مكادح أى مغالب مقاتل ، وفي وجه شاذ حكاه الرافعى عن أبي عبد الله البوشنجى وهو من أئمة أصحابنا أنه حلال ، وقال الإمام أحمد : ليس القيل من أطعمة المسلمين ، وقال الحسن : هو منسوخ وكرهه أبو حنيفة ، ورخص في أكله الشعبي ، ويصح بيعه لأنه يحمل عليه ويقاتل به وعليه ، وراكبه يرضع له من النى أكثر من راكب البغل ، ولا يطهر القيل عندنا

بالذبح ولا يطهر عظمه بالتنقية سواء أخذ منه بعد ذكاته أو بعد موته . ولنا وجه شاذ أن عظام الميتة طاهرة وهو قول أبي حنيفة ومن وافقه لكن المذهب نجاستها مطلقا ، وعند مالك أن عظمه يطهر بصقله كما تقدم في باب السين المهملة في لفظ السلحفاة . ولا يجوز بيعه ولا يحل ثمنه وبهذا قال طاوس وعطاء بن أبي رباح وعمر بن عبدالعزيز ومالك وأحمد ، وقال ابن المنذر : رخص فيه عروة بن الزبير وابن سيرين وابن جريج : وفي الشامل أن جلد الفيل لا يؤثر فيه الدباغ لكثافته . وفي صحة المسابقة على الفيل وجهان ، وقيل قولان أحدهما أنها تصح لما روى الشافعي . وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان وصححه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم « قال لا سبق إلا في خوف أو حافر أو نصل » والسبق بفتح الباء ما يجعل للسبق على سبقه من جعله وجمعه أسباق ، وأما السابق بإسكان الباء فهو مصدر سبقت الرجل سبقة ، والرواية الصحيحة في هذا الحديث لا سبق بفتح الباء وأراد به أن الجعل والعطاء لا يستحق إلا في سباق الخيل والإبل والنصال لأن هذه الأمور عدة في قتال العدو ، وفي بذل الجعل عليها ترغيب في الجهاد ، ولم يذكر الشافعي الفيل . وقال أبو إسحاق : تجوز المسابقة عليه لأنه يلقي عليه العدو كما يلقي على الخيل ولأنه ذو خوف . والصورة النادرة تدخل في العموم على الأصح عند الأصوليين ، ومن الأشحاب من قال لا تصح المسابقة عليه . وبه قال أحمد وأبو حنيفة لأنه لا يحصل الكر والفر عليه فلا معنى للمسابقة عليه . فإن قال قائل فالإبل كالفيل في هذا المعنى ؟ فالجواب أن العرب تقاتل على الإبل أشد القتال وذلك لهم عادة غالبية والفيل ليس كذلك ، ومن قال بالأول قال إنه يسبق الخيل في بلاد الهند ، والله أعلم .

(تذنيب) في سنة تسعين وخمسة سار نيارس أكبر ملوك الهند وقصد بلاد الإسلام ، فطلبه الأمير شهاب الدين الغوري صاحب غزنة فالتقى الجمعان على نهر ماجون . قال ابن الأثير : وكان مع الهندي سبعمائة فيل ومن العسكر ألف ألف نفس فصبر الفريقان وكان النصر لشهاب الدين الغوري ، وكثر القتل في الهنود حتى جافت منهم الأرض ، وأخذ شهاب الدين تسعين فيلا وقتل ملكهم نيارس ، وكان قد شد أسنانه بالذهب فما عرف إلا بذلك ، ودخل شهاب الدين بلاد نيارس وأخذ من خزائنه ألفا وأربعمائة حمل من المال وعاد إلى غزنة . قال : وكان من جملة القبيلة التي أخذها شهاب الدين الغوري فيل أبيض حدثني بذلك من رآه اه .

(الأمثال) قالوا : آكل من فيل وأشد من فيل وأعجب من خلق فيل . روى أنه كان في مجلس الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى جماعة يأخذون عنه العلم ، فقال قائل : قد حضر الفيل ، فخرج أصحابه كلهم للنظر إليه إلا يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي فإنه

لم يخرج ، فقال له مالك : لم لم تخرج لترى هذا الخلق العجيب فإنه لم يكن ببلادك ؟ فقال : إنما جئت من بلدى لأنظر إليك وأتعلم من هديك وعلمك ولم أجدى . لأنظر إلى الفيل ، فأعجب به مالك رضى الله عنه وسماه عاقل أهل الأندلس ، ثم إن يحيى عاد إلى الأندلس وانتهت إليه الرياسة بها ، وبه اشتهر مذهب مالك فى تلك البلاد ، وأشهر روايات الموطأ وأحسنها رواية يحيى ، وكان معظما عند الأمراء ، وكان مجاب الدعوة ، توفى سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وقبره بمقبرة ابن عباس بظاهر قرطبة يستسقى به : ونظير هذه الحكاية ما اتفق لأبى عاصم النبيل واسمه الضحاك بن مخلد بن الضحاك ، فإنه كان بالبصرة فقدمها فبيل فذهب الناس ينظرون إليه ، فقال له ابن جريج : مالك لا تخرج تنظر إلى الفيل ؟ فقال : لأننى لا أجد منك عوضا ، فقال له : أنت النبيل ، فكان إذا أقبل يقول ابن جريج جاء النبيل . قال البخارى : سمعت أبا عاصم يقول : منذ عقلت أن الغيبة حرام ما اغتبت أحدا عطف . وقالوا : أنقل من فيل . قال الشاعر :

أنت يا هذا ذئيل وثقيل وثقيل
أنت فى المنظر إنسا ن وفى الميزان فيل

(الخواص) من سقى من وسخ أذن الفيل ينام سبعة أيام ، ومرارته يطفى بها البرص ويترك ثلاثة أيام فإنه يذهب ، وعظمه يعلق على رقاب الصبيان يدفع عنهم الصرع ، وإذا علق العاج الذى هو عظمه على شجرة لم تثمر تلك السنة ، وإذا بخر السكرم والزرع والشجر بعظمه لم يقرب ذلك المكان دود ، وإن دخن به فى بيت فيه بق مات البق ، ومن سقى من نشارة العاج فى كل يوم وزن درهمين بماء وعسل جاد حفظه ، وإن شربتها المرأة العاقرة سبعة أيام ثم جومت بعد ذلك حبلت بإذن الله تعالى ، وجلده إذا شدمته قطعة على من به حمى نافض تزول عنه ، وإذا نام عليه صاحب التشنج يزول عنه ، وإذا أحرق زبله وسحق بعسل وطفى به الأجنان التى سقط شعرها نبت ، وإذا شربت المرأة بوله وهى لا تعلم ثم جومت لم تحبل ، وزبله إذا علق عليها لم تحبل أيضا ما دام عليها ، ودخان جلده يبرى البواسير .

(التعبير) الفيل فى المنام : ملك أعجمى مهاب بليد القلب حامل الأثقال عارف بالحرب والقتال : فمن ركب فيلا أو ملكه أو تحكم عليه اتصل بسطان ونال منه منزلة سنية وعاش عمرا طويلا فى عز ورفعة : وقيل إن الفيل رجل ضخم أعجمى فمن ركب فيلا وكان ذا طوع له فإنه يقهر رجلا ضخما أعجميا شحيحا ، ومن ركب فيلا فى نومه بالنهار فإنه يطلق زوجته لأنه كان فى الزمن المتقدم فى بلاد الفيلة من طلق زوجته أركب فيلا وطيف به حتى يعلم الناس ، ومن ركب من الملوك فيلا وهو فى حرب فإنه يهلك لقوله تعالى : — ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل — إلى آخر السورة ، ومن ركب فيلا بسرج تزوج بنت رجل

ضحخم أعجمي ، وإن كان تاجرا عظمت تجارته ، ومن افترسه فيل نزلت به آفة من سلطان ، وإن كان مريضاً مات ، ومن رعى قبيلة فإنه يواخي ملوك العجم وينقادون له ، ومن حلب فيلة فإنه يملك برجل أعجمي وينال منه مالا . وقالت اليهود : الفيل في المنام ملك كريم لين الجانب ذو مداراة صبور ، ومن ضربه فيل بخرطومه نال خيرا ، ومن ركبته نال وزارة وولاية ، ومن أخذ شيئا من روثه استغنى ، ويدل أيضا على قوم صالحين ، وقيل من يرى الفيل يرى أمرا شديدا ثم ينجو منه . وقالت النصراني : من رأى فيلا ولم يركبه أصابه نقصان في بدنه أو خسران في ماله ، ومن رأى فيلا مقتولا في بلدة مات ملكها أو يقتل رجل مذكور ، ومن قتل فيلا قهر رجلا أعجميا ، ومن ألقاه الفيل تحته ولم يفارقه فإنه يموت ، وإذا رؤى الفيل في غير بلاد النوبة فإنه يدل على فتنة وذلك لقبح لونه وسماجته ، وإن رؤى في البلاد التي يوجد فيها فهو رجل من أشرف الناس ، والمرأة إذا رأت الفيل فلا يحمدها ذلك على أي صفة رآته ، وتعتبر القبيلة بالسنين كالبقرة ، وخروج الفيل من بلد فيه طاعون دليل خير لهم وزوال الطاعون عنهم ، وإذا ركب الفيل في بلد فيه بحيرة فهو ركوب سفينة ، والله أعلم .

(فصل في فضل العقل وزينه وقبح الجهل وشينه)

قال بعض الحكماء : العقل ما عقل به عن السيئات وحض القلب على الحسنات ، والعقل معقل عن الدنيا ونجاة من المهلكات والنظر في العواقب قبل حلول المصائب والوقوف عند مقادير الأشياء قولاً وفعلاً لقوله صلى الله عليه وسلم « اعقلها وتوكل » وقد أجمع الحكماء والعلماء والفقهاء أن جميع الأمور كلها قليلها وجايلها محتاجة إلى العقل ، والعقل محتاج إلى التجربة ، وقالوا : العقل سلطان وله جنود ؛ فأرأس جنوده التجربة ثم التمييز ثم الفكر ثم الفهم ثم الحفظ ثم سرور الروح ، لأن به ثبات الجسم ، والروح سراج نوره العقل ، وفي الحديث « ما قسم الله لعباده خيرا من العقل » .

وروى أن جبريل عليه السلام أتى آدم عليه السلام فقال إني أمتك بثلاث فاختر واحدة منها . فقال : وما هي ؟ فقال : الحياء والعقل والدين ، فقال آدم عليه السلام : قد اخترت العقل ، فخرج جبريل عليه السلام إلى الحياء والدين فقال : أرجع فقد اختار العقل عايكما ، فقالا : إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان . وقال بعضهم : من استرشد إلى طريق الحزم بغير دليل العقل فقد أخطأ منهاج الصواب ، والعقل مصباح يكشف به عن الجهالة ويبصر به الفضل من الضلالة ، ولو صور العقل لأظلمت معه الشمس ، ولو صور الجهل لأضاء معه الليل ، وما شيء أحسن من عقل زانه أدب ، ومن علم زانه ورع ، ومن حلم زانه رفق ، ومن رفق زانه تقوى .

وروى «أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد أتيتك بمكارم الأخلاق كلها في الدنيا والآخرة ، فقال : وما هي ؟ فقال - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - وهو يا محمد عفوكم عن ظلمكم ، وإعطاء من حرمك ، وصلة من قطعك ، وإحسانك إلى من أساء إليك ، واستغفارك لمن اغتابك ، ونصحك لمن غشك ، وحلمك . وعن أغضبك» فهذه الخصال قد تضمنت مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة ، وأنشد بعضهم في معنى ذلك فقال :

خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلين
ولن في الكلام لكل الأنام فستحسن من ذوى الجاهلين
ومن طرق العمل الحميدة : القناعة كنز لا يفنى ، والصدقة وهى عز باق ، وتمام عز
الرجل استغناؤه عن الناس ، ومن طرقه أيضا الحياء ، وقد قيل :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه إذا قل ماؤه
ومن طرقه أيضا حسن الخلق : روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أكمل المؤمنين
إيمانا أحسنهم خلقا» وروى أن يحيى بن زكريا عليهما السلام أتى عيسى بن مريم عليهما السلام
فتبسم عيسى في وجهه ، فقال يحيى : ما لي أراك لا هيا كأنك آمن ؟ فقال عيسى : ما لي أراك
عابسا كأنك آيس ؟ فقالا لا نبرح حتى ينزل علينا وحى ، فأوحى الله تعالى إليهما : أحبكما
إلى أحسنكما خلقا ،

(تمت) ذكر الغزالي وابن بلبان وغيرهما أن أبا جعفر المنصور حجج ونزل في دار الندوة
وكان يخرج سحرا فيطوف بالبيت ، فخرج ذات ليلة سحرا ، فبينما هو يطوف إذ سمع
قائلا يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البغى والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله
من الطمع ، فهور المنصور في مشيته حتى ملأ مسامعه ، ثم رجع لدار الندوة وقال لصاحب
الشرطة : إن بالبيت رجلا يطوف فائتني به ، فخرج صاحب الشرطة فوجد رجلا عند الركن
اليماني فقال : أجب أمير المؤمنين ، فلما دخل عليه قال : ما الذى سمعتك أنفا تشكو إلى الله
من ظهور البغى والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ! فوالله لقد
حشوت مسامعى ما أمرضنى ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن الذى دخله الطمع حتى حال بين
الحق وأهله وامتألت بلاد الله بذلك بغيا وفسادا أنت ، فقال المنصور : ما هذا أو قال ويحك
كيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء بباني وملك الأرض في قبضتى ؟ فقال الرجل :
سبحان الله يا أمير المؤمنين ! وهل دخل أحدا من مطعم ما دخلك ؟ استرعاك الله أمور
المؤمنين وأموالهم فأهملت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم ، واتخذت بينك وبين رعيتك
حجابا من الحص والآجر وحجبة معهم السلاح ، وأمرت أن لا يدخل عليك إلا فلان وفلان

نفرا استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الجائع ولا العارى ولا أحد إلا وله في هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك تجمع الأموال ولا تقسمها قالوا : هذا قد خان الله ورسوله فإلنا لا نخونه ، فأجمعوا على أن لا يصل إليك من أمور الناس إلا ما أرادوا ، فصار هؤلاء شركاءك في سلطانتك وأنت غافل عنهم ، فإذا جاء المظلوم إلى بابك وجدك قد أوقفت ببابك رجلا ينظر في مظالم الناس فإن كان الظالم من بطانتك علل صاحب المظالم بالمظلوم وسوف به من وقت إلى وقت ، فإذا جهد وظهرت أنت صرخ بين يديك فيضرب ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره وأنت ترى ذلك ولا تنكر ولقد كانت الخلفاء قبلك من بنى أمية إذا انتهت إليهم الظلامة أزيلت في الحال ، ولقد كنت أسافر الصين يا أمير المؤمنين ، فقدمته مرة فوجدت الملك الذى به قد فقد سمعه فبكي ، فقال له وزراؤه : ما يبكيك أيها الملك لا أبسكى الله لك عينا ؟ فقال : والله ما بكيت لمصيبة نزلت بي وإنما أبكى لمظلوم يصرخ بالبواب فلا أسمع صوته ، ثم قال : إن كان سمعى قد ذهب فإن بصرى لم يذهب نادوا في الناس أن لا يلبس أحد ثوبا أحمر إلا مظلوما ، وكان يركب الفيل طرفى النهار ويدور فى البلد لعله يجد أجدا لا بسا ثوبا أحمر فيعلم أنه مظلوم فينصفه ، هذا يا أمير المؤمنين رجل مشرك غلبت رأفته على شح نفسه بالمشركين فكيف لا تغلب رأفتك على شح نفسك بالمؤمنين وأنت مؤمن بالله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا أمير المؤمنين إنما تجمع المال لإحدى ثلاث : إن قلت إنما أجمع المال للولد فقد أراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنه بل ربما مات فقيرا ذليلا حتميرا ، إذ قد يسقط الطفل من بطن أمه وليس له مال ولا على وجه الأرض من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه ، فلم يزل يلفظ الله تعالى بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس فيه ويحوى ما حوته تلك اليد الشحيحة ، ولست بالذى تعطى وإنما الله المعطى ، وإن قلت إنما أجمعه لمصيبة نزلت بي ، فقد أراك الله سبحانه وتعالى عبرة فى الملوك والقرون الذين خلوا من قبلك ، ما أغنى عنهم ما أعدوا من الأموال والرجال والسكران حين أراد الله بهم ما أراد وإن قلت إنما أجمعه لغاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها ، فوالله ما فوق منزلتك إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح ، فبكى المنصور بكاء شديدا ثم قال : كيف أعمل والعلماء قد فرت منى والعباد لم تقرب منى والصالحون لم يدخلوا على ؟ فقال : يا أمير المؤمنين افتتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم ، وخذ من المال ما جل وطاب واقسمه بالحق والعدل وأنا ضامن من هرب منك أن يعود إليك . فقال المنصور : نفعل إن شاء الله تعالى ، وجاءه المؤذنون فأذنوه بالصلاة فقام وصلى ، فلما قضى صلاته طالب الرجل فلم يجده ، فقال لصاحب الشرطة : على بالرجل الساعة ، فمخرج يتطلبه فوجده عند الركن اليماني ، فقال له : أجب

أمير المؤمنين ، فقال له : ليس إلى ذلك سبيل ، فقال : إذن يضرب عنتي ، فقال : لا ولا إلى ضرب عنتك من سبيل ، ثم أخرج من مزود كان معه ورقا مكتوبا فقال خذنه فإن فيه دعاء للفرج من دعا به صباحا ومات من يومه مات شهيدا ، ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيدا ، وذكر له فضلا عظيما وثوابا جزيلا ، فأخذه صاحب الشرطة وأتى المنصور ، فلما رآه قال له : ويحك أو تحسن السحر؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ثم قص عليه القصة ، فأمر المنصور بنقله وأمر له بألف دينار ، وهو هذا : اللهم كما لطفت في عظمتك وقدرتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء ، وعلمت ماتحت أرضك كعلمك مافوق عرشك فكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك ، فانقاد كل شئ لعظمتك. وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك ، اجعل لى من كل غم وهم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا. اللهم إن عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك على قبيح عملى أطمعنى أن أسألك مالا أستوجهه منك بما قصرت فيه فصرت أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا فإنك المحسن إلى وأنا المسئىء إلى نفسى فيما بينى وبينك تتودد إلى بالنعم وأتبغض إليك بالمعاصى ، فلم أجد كرىما أعطف منك على عبد لثيم مثلى ، ولسكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك ، فجد اللهم بفضلك وإحسانك على إنك أنت الرءوف الرحيم .

وروى أن الرجل المذكور كان انخضر عليه السلام .

﴿ الفينة ﴾ : طائر يشبه العقاب إذا خاف البرد انحدر إلى اليمن قاله ابن سيده : والفينات الساعات يقال لقيته الفينة بعد الفينة أى الحين بعد الحين ، وإن شئت حذف الألف واللام فقلت لقيته فينة فكان هذا الطائر لما كان فى حين ينحدر إلى اليمن وفى حين آخر ينحدر عنها سمي باسم الزمان :

﴿ أبو فراس ﴾ : كنية الأسد يقال فرس الأسد فريسته يفرسها فرسا وافرستها أى دق عنتها وأصل الفرس هذا ثم كثر حتى قيل لكل قتل فرس ، وبه سمي أبو فراس بن حمدان أخو سيف الدولة ابن حمدان ، وكان ملكا جليلا وشاعرا مجيدا حتى قيل بدى الشعر بملك وختم بملك بدى بامرى القيس واسمه حنجدج وختم بأبى فراس ، ونظير ذلك قولهم بدئت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد ، والله تعالى أعلم .

باب القاف

﴿ القارمة ﴾ الدودة ؛ يقال قدح الدود في الأسنان والشجر قدحا قاله الجوهري .

﴿ القارة ﴾ : الدبة .

﴿ القارية ﴾ : كسارية ، هذا الطائر القصير الرجلين الطويل المنقار الأخضر الظهر تحبه

العرب وتيمن به ويشبهون به الرجل السخي وهي مخففة : قال الشاعر :

أمن ترجيع قارية تركتم سباياكم وأبتم بالعناق

قال ابن الأعرابي : معنى البيت أفزعتم لما سمعتم ترجيع هذا الطائر وتركتم سباياكم ورجعتم

بالخيبة ، فالعناق هنا الخيبة والجمع القوارى . قال يعقوب : والعامه تقول قارية بالتحديد.

كذا قاله الجوهري . وقال البطليوسي في الشرح : العرب تيمن بالقوارى وتنشأ بهما ، فأما

تيمنهم بها فإنها تبشر بالمطر إذا جاءت والسماء خالية من السحاب . قال النابغة الجعدي :

ولا زال يسقيها ويسقى بلادها من المزن زحاف يسوق القواريا

وأما تشاؤمهم بها فإن أحدهم إذا لقي منها واحدة من غير غيم ولا مطر خاف ورجع :

وقال ابن سيده : القارية طير أخضر يحبها الأعراب ، ويشبهون الرجل السخي بها ، وذلك

لأنها تنذر بالمطر : قال بعضهم : ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « الناس قوارى

الله في الأرض » أي شهوده ، لأن بعضهم يتبع أحوال بعض فلإذا شهدوا الإنسان بخير أو شر

فقد وجب ، والقوارى واحدها قار وهو جمع شاذ :

(قلت) ويدل لصحة هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام : « أنتم شهداء الله

في الأرض » .

(وحكمها) الحل لأن العرب كانت تأكلها قاله الصيمري وغيره : وقالوا في كتاب

الحجج : الحمام يفدى بشاة وما دونه من القوارى وغيرها يفدى بالقيمة ، وهذا دليل على حل

أكلها وتصريح بأن القارية ليست من الحمام ، وكلام أهل اللغة لا يساعده . فقد قال ابن السكيت

في إصلاح المنطق : القوارى طيور خضر لها ترجيع وقد تقدم تفسير هدير الحمام بالترجيع

في صوته ، وتقدم أن غير الحمام يشاركه في العب ، وإذا كان الحمام يشاركها في العب

ألغى اعتباره ووجب اعتبار الهدير وهو الترجيع ، فوجب أن تكون القارية من الحمام

تفدى بشاة دون القيمة كسائر الحمام ، ولتنظر في هذا التعارض مجال :

﴿ القاء ﴾ : طائر مائي طويل العنق :

(وحكمه) حل الأكل كما تقدم .

﴿ القاقم ﴾ : دويبة تشبه السنجاب إلا أنه أبرد منه مزاجا وأرطب ولهذا هو أبيض يقق ، ويشبه جلده جلد الفئك وهو أعز قيمة من السنجاب .

(وحكمه) الحل لأنه من الطيبات .

﴿ القانب ﴾ : الذئب العواء والمقانب الذئاب الضارية ، وقد تقدم لفظ الذئب في باب الذال المعجمة .

﴿ القانر ﴾ : طائر يتخذ وكره على ساحل البحر ويحضن بيضه سبعة أيام في الرمل ويخرج أفراخه في اليوم السابع ثم يزقها سبعة أيام أيضا ، والمسافرون في البحر يتيمنون بهذه الأيام ويوقنون بطيب الوقت وحلول أوان السفر ، وقيل إن الله تعالى إنما يمسك البحر عن هيجانه في زمن الشتاء عن بيض هذا الطائر وفراخه ليره بأبويه عند كبرهما ، وذلك أنهما إذا كبرا حمل إليهما قوتهما وعالهما حياتهما إلى أن يموتا .

وهذا الطائر المتخذ منه شحم القاوند معروف ، وهو يقيم المقعد ويحلل البلاغم المزمنة ، وفي المفردات : دهن القاوند معروف كالسمن يؤتى به من بلاد اليمن أو من الحبشة والهند ، ويقال إنه يستخرج من ثمر شجرة كالجوز ويطحن في المعاصر ويستخرج ينفع الأمراض الباردة وأوجاع الأعصاب .

﴿ القبيج ﴾ : يفتح القاف وإسكان الباء الموحدة وبالجميم في آخره واحده قبجة الحجل ، والقبجة اسم جنس يقع على الذكر والأنثى حتى تقول يعقوب فيختص بالذكر ، وكذلك الدارجة حتى تقول حيقطان ، والبومة حتى تقول صدى أوفبادو الحباري حتى تقول خرب ، وكذا النعامة حتى تقول ظليم ، والنحلة حتى تقول يعسوب ومثله كثير . وقال كراع في الخرد : القبيج فارسي معرب لأن القاف والجميم أو الكاف لا يجتمعان في كلام العرب كالجواقي وجلق والقبيج والكياجة وهو مكيال صغير وما كان نحو ذلك ، وفراخ القبيج تخرج كما تخرج الفراريج كما تقدم ، وإنائه تبيض خمس عشرة بيضة ، والذكر يوصف بالقوة على السفاد كما يوصف الديك والعصفور ، ولكثرة سفاده يقصد موضع البيض فيكسره لثلا تشتغل الأنثى بحضنه عنه ، ولهذا الأنثى إذا أتى أوان بيضها تهرب وتختبئ رغبة في الفراخ ، وهي إذا هربت بهذا السبب ضاربت الذكور بعضها بعضا وكثر صياحها ثم إن المقهور يتبع القاهر ويسفد القوى الضعيف ، والقبيج يغير أصواته بأنواع شتى بقدر حاجته إلى ذلك ، ويعمر خمس عشرة سنة ، ومن عجيب أمرها ما حكاه القزويني : أنها إذا قصدتها الصياد خبأت رأسها تحت البلج وتحسب أن الصياد لا يراها ، وذكرها شديدة الغيرة على إنائها ،

والأنثى تلتح من رائحة الذكر، وهذا النوع كله يحب الغناء والأصوات الطيبة، وربما وقعت من أوكارها عند سماع ذلك فيأخذها الصياد .

(وحكمها) حل الأكل لأنها من الطيبات :

(الخواص) قال عبد الملك بن زهر : مرارة الذكر منها إذا اكتحل بها تنفع من نزول الماء وإن خلطت مع ماء الرازيانج واكتحل بها أبرأت من العشا بالليل، وشحمه ينفع السكتة واللوقة سعوطا . وقال أرسطو : مرارة القبيج إذا خلطت بدهن زئبق وسعط بها المحموم ساعة يحم فإنه يبرأ . قال : وصفة صيدهن أن يعجن لهن دقيق الشعير بالخمير ويوضع لهن حتى يأكلن فإذا أكلنه سكرن فيصدن :

﴿ القبرة ﴾ : بضم القاف وتشديد الباء الموحدة واحدة القبر : قال الجوهري : وقد جاء في الشعر قبرة كما تقول العامة ، وقال البطلوسي في شرح أدب السكاك : وقبرة أيضا بإثبات النون . قال : وهي لغة فصيحة وهو ضرب من الطير يشبه الحمرة ، وكنية الذكر منه أبو صابر وأبو الهيثم ، والأنثى أم العلل : قال طرفة وكان يصطادها :

يا لك من قبرة بمعمر خلاك الجو فيبضي واصفري
قد رفع الفخ فماذا تحذري ونقري ماشئت أن تنقري
قد ذهب الصياد عنك فأبشري لا بد من أخذك يوما فاحذري

والسبب في قوله ذلك أنه كان مع عمه في سفر وهو ابن سبع سنين ففزلوا على ماء فذهب طرفة بفخ فتصبه للقنابر وبقي عامة يومه لم يصد شيئا ، ثم حمل فخه وعاد إلى عمه فحملوا ورحلوا من ذلك المكان فرأى القنابر يلقتن مائثر لهن من الحب فقال ذلك . قال أبو عمرو : والمراد بالجو هنا ما اتسع من الأودية ، وحذف طرفة النون من قوله : فإذا تحذري لوفاق القافية أو لالتقاء الساكنين : قال أبو عبيدة : يروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لابن الزبير حين خرج الحسين رضي الله تعالى عنه إلى العراق :

• خلاك الجو فيبضي واصفري •

ولطرفة بن العبد قصة عجيبة مع عمرو بن المنذر بن امرئ القيس لما كتب له وللمتلحس صحيفتين ويقال له عمرو بن هند ، وكان لا يتبسم ولا يضحك ، وكانت العرب تسميه مضطرب الحجارة لشدة ملكه فإنه ملك ثلاثا وخمسين سنة ، وكانت العرب تهابه هيبه شديدة ، وقال السهيلي : إنه هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء وهندأمه ، وسمى أبوه المنذر بابن ماء السماء لشدة جماله وهو المنذر بن الأسود ويعرف عمرو بمحرق لأنه حرق مدينة يقال لها ملهم وهي عند اليمامة ، وقال العتبي والمبرد : سمي محرقا لأنه حرق مائة من بني تميم ملك ثلاثا وخمسين سنة وكان طرفة غلاما معجبا فجعل يتخلج في مشيته بين يديه فنظر إليه نظرة كادت تبتلعه من

مجلسه ، فقال له المتلمس حين قاما : يا طرفة إني أخاف عليك من نظرتي إليك ، فقال طرفة : كلا ، ثم إنه كتب لهما كتابين إلى المكعب وكان عامله على البحرين وعمان ، فخرجا من عنده وسارا حتى إذا هبطا بأرض قريبة من الحيرة ، فإذا هما بشيخ معه كسرة يأكلها وهو يتبرز ويقصع القمل ، فقال له المتلمس : بالله ما رأيت شيئا أحق وأضعف وأقل إعتلا منك ! فقال له : وما الذي أنكرت علي ؟ فقال : تتبرز وتأكل وتقصع القمل : قال : إني أخرج خبيثا وأدخل طيبا وأقتل عدوا ، ولكن أحق مني وألم حامل حتفه بيمينه لا يدري ما فيه . فتنبه المتلمس وكأنما كان نائما ، فإذا هو بسلام من أهل الحيرة يسقي غنيمة له من نهر الحيرة فقال له المتلمس : يا غلام أقرأ ؟ قال : نعم . قال : اقرأ هذه ، فإذا فيها : باسمك اللهم ، من عمرو بن هند إلى المكعب إذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا ، فأنتي الصحيفة في النهر وقال : يا طرفة معك والله مثلها ؟ فقال : كلا ، ما كان لي كتب لي مثل ذلك ، ثم أتى طرفة إلى المكعب فقطع يديه ورجليه ودفنه حيا ، فضرب المثل بصحيفة المتلمس لمن يسعى في حتفه بنفسه ويغرر بها ، وستأتي الإشارة إلى هذه القصة في باب الكاف في لفظ مكروان ، وكان سبب إحراق عمرو بن هند لبني تميم كما قاله العتبي والمبرد : أن عمرا كان له أخ وهو أسعد بن المنذر وكان مسترضعا في بني دارم ، فانصرف ذات يوم من صيده وبه نبيذ فر بابل لسويد بن ربيعة التميمي فنحر منها بكرة فرماه سويد بسهم فقتله فلما سمع عمرو ، ابن هند بقتل أخيه حلف ليحرقن منهم مائة رجل فأخذ منهم تسعة وتسعين رجلا فقتلهم في النار ، ثم أراد أن يبرقسه بعجوز منهم ليكمل العدد فقالت : هلاقتي يفدى هذه العجوز بنفسه ؟ ثم قالت : هيات صارت الفتيان حمما ، ومر وافد البراجم فاشتم رائحة اللحم فظن أن الملك قد اتخذ طعاما ، فعرج إليه فأتى به إليه فقال له : من أنت ؟ قال : أنا وافد البراجم فقال له عمرو : إن الشقي وافد البراجم . فذهبت مثلا ، ثم أمر به فقتل في النار ، وقد أشار إلى ذلك ابن دريد في مقصورته بقوله :

ثم ابن هند باشرت نيرانه يوم اورات تميما بالصلي

وأورات موضع وهو جمع واحده أواره ، وتميم قبيلة ، والصلي وهج النار والقبرة غبراء كبيرة المنقار كأنما على رأسها قبرة ، وهذا الضرب من العصفور قاسى القلب وفي طبعه أنه لا يهوله صوت صائح ، وربما رمى بالحجارة فاستخف بالراى ولطى بالأرض حتى يتجاوزه الحجر ، وبهذا السبب لا يزال مأخوذا أو مقتولا لأن الراى يحمله الخنق عليه على مداومة ضربه حتى يصيبه ، وهو يضع وكره على الجادة حبا للأنس .

روى الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي بإسناد عن داود بن أبي هند قال : صاد رجل قبرة ، فقالت : ما تريد أن تصنع بي ؟ قال : أذبحك وآكلك ، فقالت : والله إني

لا أسمن ولا أغنى من جوع وما أشقى من قرم ، ولكنى أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلى : أما الواحدة فأعلمك إياها وأنا على يدك ، والثانية إذا صرت على الشجرة ، والثالثة إذا صرت على الجبل . قال : نعم ، فقالت وهي على يده : لا تأسفن على ما فاتك ، فحلى عنها ، فلما صارت على الشجرة قالت : لا تصدقن بما لا يكون ، فلما صارت على الجبل قالت : يا شقى لو ذبحتنى لوجدت فى حوصلتى درة وزنها عشرون مثقالا ، قال : فعض على شفتيه وتلهف ثم قال : هاقى الثالثة ، فقالت : قد نسيت الثنتين الأوليين فكيف أعلمك الثالثة ؟ قال : وكيف ؟ قالت : ألم أقل لك لا تأسفن على ما فاتك وقد تأسفت على ، وقلت لك لا تصدقن بما لا يكون وقد صدقت ، فإنه لو جمعت عظامى وريشى ولحمى لم تبلغ عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درة وزنها عشرون مثقالا ؟ . وحكى القشبرى فى رسالته عن ذى النون المصرى رحمه الله أنه سئل عن سبب توبته فقال : خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت فى بعض الصحارى ، ثم فتحت عيني فإذا أنا بقبرة عمياء سقطت من كرها فانشقت لها الأرض وخرج منها سكرجتان إحداهما فضة والأخرى ذهب فى إحداهما سمنم والأخرى ماء فجعلت تأكل من هذه وتشرب من هذه . قال : فنبت ولزمت الباب إلى أن قبلنى ، وعلمت أن من لم يضع القبرة لا يقصيني .

(وحكمها) حل الأكل بالإجماع ، ووجوب الجزاء على المحرم بقتلها .

(الخواص) لحمها يحبس البطن ويزيد فى الباه ، وبيضها يفعل ذلك ، وإذا ديف زبلها يريق إنسان وطلى به الشآليل قطعها ، وإذا كرهت المرأة زوجها فليطل ذكره بشحمها ويجامعها فإنها تحبه .

(تنمة : فى الأسماء) قنبر بضم القاف وإسكان النون وفتح الباء الموحدة جد سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر وسيبويه لقب له ، وهى لفظة أعجمية معناها رائحة التفاح ، وقنبر بضم تين جد إبراهيم بن على بن قنبر البغدادي بن نصر الله القزاز ، وجد أبى الفتح محمد بن أحمد ابن قنبر البزاز وغيرهما . وأما قنبر بفتح القاف والباء فأبو الشعثاء قنبر ، وهو يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وغيره ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقنبر مولى على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه . قال ابن أبى حاتم : روى عن على كرم الله وجهه ورضى عنه وكان حاجبه . قال الشيخ فى المهذب فى كتاب القضاء : ولا يكره للإمام أن يتخذ حاجبا لأن يرفأ كان حاجب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، والحسن كان حاجب عثمان رضى الله تعالى عنه ، وقنبر كان حاجب على رضى الله تعالى عنه . قال محمد بن السماك : من عرف الناس دارهم ومن جهلهم ما راهم ورأس المداراة ترك المارة . قيل : جلس أبو يوسف يعقوب بن السكيت يوما مع المتوكل وكان يؤدب أولاده ، فجاء المعتز والمؤيد

«ولدا المتوكل فقال له : يا يعقوب أيما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين ؟ فقال : والله إن قنبرا خادما علي بن أبي طالب خير منك ومن ابنك ، فقال المتوكل للأتراك : سلوا لسانه من قفاه ففعلوا به ذلك فمات في ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين ، ثم إن المتوكل أرسل لولده عشرة آلاف درهم وقال هذه دية والدك كذا حكاه ابن خلكان في ترجمته. ومن العجب أنه كان قبل ذلك ييسر أنشد لولدى المتوكل وهو يعلمهما :

يصلب الفتى من عثرة بلسانه
وغيرته بالقول تذهب رأسه
وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
وعثرته بالرجل تبرأ على مهل
ومن محاسن شعر ابن السكيت :

إذا اشتملت على اليأس القلوب
وأوطنت المكاره واستقرت
ولم تر لانكشاف الضر وجها
أتاك على قنوط منك عفو
وكل الحادثات إذا تناهت
فوصول بها فرج قريب

وعرف أبوه بالسكيت لأنه كان كثير السكوت طويل الصمت ، وكل ما كان على «فعل أو فعيل فإنه مكسور الأول ، وكان ابن السكيت رحمه الله إماما في اللغة مكثرا من نقل الغريب ، وله تصانيف مفيدة .

﴿ القبة ﴾ : بضم القاف وتخفيف الباء الموحدة والعين المهملة المفتوحين طير أبقع مثل العصفور يكون عند جحرة الجردان فإذا فزع أو رمى بحجر انقبع فيها ذكره ابن السكيت المذكور قبله ، وقوله انقبع فيها أي دخل الجحر التجأ فيه .

﴿ القبيط ﴾ : كحمير طائر معروف .

﴿ الققع ﴾ : بفتح القاف والتاء المثناة والعين المهملة دود يكون في الخشب يأكله ، الواحدة ققعة يزو ثم يقع .

﴿ ابن قرة ﴾ : ضرب من الحيات لا يسلم من لدغته ، وقيل هو ذكر الأفعى وهو نحو من الشبر ، وأبو قرة كنية إبليس قاله ابن سيده وغيره .

﴿ القرانه ﴾ : بكسر القاف وبالذال المهملة المشددة البراغيث قاله ابن سيده ، وقال

غيره : هو دويبة تقرب من البرغوث تقرص . قال الراجز :

يا أبتا أرقى القندان
فالتوم لا تطعمه العينان

قاله أبو حاتم في كتاب الطير . وقيل القدان يوجد كثيرا بالبلاد والطرق الرملية ، والناس يسمونه الدم يقرص الإبل وغيرها .

﴿ القراد ﴾ : واحد القردان يقال قراد بعيرك أى انزع منه القراد : وقد تقدم الكلام عليه في الحلم . وقد ذكرنا أن مذهبنا استحباب قتل القراد في الإحرام وغيره . وقال العبدري . يجوز للمحرم عندنا أن يقرد بعيره ، وبه قال ابن عمر وابن عباس وأكثر الفقهاء ، وقال مالك لا يقرده . قال ابن المنذر : ومن أباح تقريد البعير عمر وابن عباس وجابر بن زيد وعطاء والشافعي وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي ، وكرهه ابن عمر ومالك .

وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال في المحرم يقتل قرادة يتصدق بتمرة أو تمرتين . قال ابن المنذر : وبالأول أقول ، وتقريد البعير أن ينزع القراد منه ، وفسره ابن الأثير وغيره بأنه الطبوع الذى يلصق بجسمه ، وفي قصيدة كعب بن زهير رضى الله تعالى عنه :

يمشى القراد عليها ثم يزلقه عنها لبان وأقرب زهليل

البان الصدر ، والأقرب الخواصر ، والزهليل الملس : وفي حديث أنى جهل : إن محمدا نزل يثرب وإنه حنق عليكم نقيتمونه نقي القراد عن المسامع يعنى الآذان : أى أخرجتموه من مكة لإخراج استئصال لأن أخذ القراد عن الدابة قلعه بالكلية ، والأذن أخف الأعضاء شعرا بل أكثرها شعرا عليه فيكون النزاع منها أبلغ .

(الأمثال) قالوا : أسمع من قراد ، وذلك أنه يسمع وطء أخفاف الإبل من مسيرة يوم فيتحرك لها . قال أبو زياد الأعرابي : ربما رحل الناس عن ديارهم بالبادية وتركوها ققارا والقردان منتشرة في أعطان الإبل ، ثم لا يعودون إليها عشر سنين وعشرين سنة ولا يخلفهم فيها أحد سواهم ، ثم يرجعون إليها فيجدون القردان في تلك المواضع أحياء وقد أحست روائح الإبل قبل أن توافي فتتحرك لها ، ولذلك قالت العرب : أعرمن قراد . وقال حمزة : العرب تزعم أن القراد يعيش سبعائة سنة وهذا من أكاذيبهم ، وإنما الضجر منهم به دعاهم إلى هذا القول فيه .

(وهو في الرؤيا) يدل على الأعداء والحساد الأخساء ، وإن رأى الدم منتشرا في الأرض والرمل فهو كذلك أيضا ، والله تعالى أعلم .

﴿ القرد ﴾ : حيوان معروف ، وكنيته : أبو خالد وأبو حبيب وأبو خلف وأبوربة . وأبو قشة ، وهو بكسر القاف وسكون الراء وجمعه قردود ، وقد يجمع على قرودة بكسر القاف وفتح الراء المهملة والأنثى قرودة بكسر القاف وإسكان الراء وجمعها قرد بكسر القاف وفتح الراء مثل قرربة وقريب ، وهو حيوان قبيح ملبس ذكى سريع الفهم يتعلم الصنعة .

(حكى) أن ملك النوبة أهدى إلى المتوكل قردا خياطا وآخر صائغا، وأهل اليمن يعلمون القرودة القيام بجوانحهم حتى إن القصاب والبقال يعلم القرد حفظ الدكان حتى يعود صاحبه ، ويعلم السرقة فيسرق :

نقل الشيخان عن القاضي حسين أنه قال : لو علم القرد النزول إلى الدار وإخراج المتاع فنتقب وأرسل القرد فأخرج المتاع ينبغى أن لا يقطع لأن للحيوان اختيارا . ونقل البغوى في حد باب الزنا أن المرأة لو مكنت من نفسها قردا فوطئها فعليها ما على واطىء البهيمة ، فتعزز في الأصح وتحذ في قول وتقتل في قول :

(فائدة) قال ابن عباس وعكرمة رضى الله تعالى عنهم في قوله تعالى : - الذى أحسن كل شئ خلقه - أى أتقنه ، وقالوا ليست است القرد حسنة ولكنها متقنة محكمة ، فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن قال الله تعالى : - لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم - والقرودة تلد فى البطن الواحد العشرة والاثني عشر ، والذكر ذو غيرة شديدة على الإناث ، وهذا الحيوان شبيه بالإنسان فى غالب حالاته ، فإنه يضحك ويطن ويقلع ويحكى ويتناول الشئ بيده ، وله أصابع مفصلة إلى أنامل وأظافر ، ويقبل التلقين والتلميم ويأنس بالناس ، ويمشى على أربع مشية المعتاد ويمشى على رجليه حينما يسيرا ، ولشفر عينيه الأسفل أهداب وليس ذلك لشئ من الحيوان سواه وهو كالإنسان ، وإذا سقط فى الماء غرق كالآدمى الذى لا يحسن السباحة ، ويأخذ نفسه بالزواج والغيرة على الإناث وهما خصلتان من مفاخر الإنسان ، وإذا زاد به الشبق استمنى بفيه ، وتحمل الأنثى أولادها كما تحمل المرأة : ومن سر هذا الحيوان أن الطائفة من هذا النوع إذا أرادت النوم ينام الواحد فى جنب الآخر حتى يكونوا سطورا واحدا ، وإذا تمسكن النوم منها نهض أولها من الطرف الأيسر فإذا قعد صاح فينهض من كان يليه ويفعل كفعله حتى يكون هكذا إلى آخرهم يفعلون ذلك فى الليل كله مرارا . وسبب ذلك أنه بيت فى أرض ويصبح فى أخرى ، وفيه من قبول التأديب والتعليم مالا يخفى ، ولقد درب قرد ليزيد على ركوب الحمار وسابق به مع الخيل ، وفيه يقول يزيد لما سبق بأتان ركبا فارسا :

من مبلغ القرد الذى سبقت به جواد أمير المؤمنين أتان

تعلق بأقاش بها إن ركبتها فليس عليها إن هلكت ضمان

روى ابن عدى فى كامله عن أحمد بن طاهر بن حرملة ابن أخى حرملة بن يحيى أنه قال : رأيت بالرملة قردا بصوغ فإذا أراد أن ينفخ أشار إلى رجل حتى ينفخ له ، وفيه فى ترجمة محمد بن يوسف المنكبى عن جابر رضى الله تعالى عنه . قال « إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى القرد خر ساجدا » وهو فى المستدرک قبيل كتاب الجمعة ذكره شاهدا ، وفيه

في ترجمة ضمام بن إسماعيل أنه روى عن أبي قنبل أن معاوية صعد المنبر يوم الجمعة ، فقال في خطبته : أيها الناس إن المال مالنا والنعى فيؤنا من شئنا أعطينا ومن شئنا منعنا فلم يجبه أحد ، فلما كان في الجمعة الثانية قال كذلك فلم يجبه أحد ، فلما كانت الجمعة الثالثة قال كذلك ، فقام إليه رجل فقال : كلا يا معاوية ، ألا إن المال مالنا والنعى فيؤنا من حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله تعالى بأسيا فانا ، فنزل معاوية وأرسل إلى الرجل فأدخل عليه فقال القوم : هلك الرجل ، ثم فتح معاوية الأبواب فدخل عليه الناس فوجدوا الرجل معه على السرير ، فقال معاوية : أيها الناس إن هذا الرجل أحياني أحياء الله ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ستكون أئمة من بعدى يقولون فلا يرد عليهم يتقاهون في النار كما تتقاهم القرود » وإني تكلمت أول جمعة فلم يرد على أحد شيئا فخشيت أن أكون منهم ، ثم تكلمت في الجمعة الثانية فلم يرد على أحد شيئا فقلت في نفسي : أنت من القوم ، فتكلمت في الجمعة الثالثة فقام إلى هذا الرجل فرد على فأحياني أحياء الله فرجوت أن يخرجني الله منهم ثم أعطاه وأجازته ورواه ابن سبغ في شفاء الصدور كذلك . ورواه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط : ورواه الحافظ أبو يعلى الموصلي ورجاله ثقات .

وذكر القزويني في عجائب المخلوقات أن من تصبح بوجه قرد عشرة أيام أتاه السرور ولا يكاد يحزن واتسع رزقه وأحبته النساء حبا شديدا وأعجب به ، وفيما قال نظر ظاهر . (فائدة أخرى) روى الإمام أحمد عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن رجلا حمل معه خمرا في سفينة ليبيعه ومعه قرد . قال : فكان الرجل إذا باع الخمر شابه بالماء ثم باعه . قال : فأخذ القرد الكيس فصعد به فوق الدقل فجعل يطرح دينارا في البحر ودينارا في السفينة حتى قسمه » . ورواه البيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أيضا بمعناه ولفظه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تشوبوا اللبن بالماء فإن رجلا فيمن كان قبلكم كان يبيع اللبن ويشوبه بالماء فاشترى قردا وركب البحر حتى إذا لجج فيه أطم الله القرد صرة الدنانير فأخذها ، وصعد الدقل ففتح الصرة وصاحبها ينظر إليه فأخذ دينارا فرمى به في البحر ودينارا في السفينة حتى قسمها نصفين ، فألقى ثمن الماء في البحر وثنم اللبن في السفينة » . قال : ومر أبو هريرة رضي الله تعالى عنه بإنسان يحمل لبنا وقد خلطه بالماء فقال له أبو هريرة : كيف بك يوم القيامة حيث يقال لك : خلص الماء من اللبن ؟ وقد تقدم في باب الحمزة في لفظ الأسود السالخ حديث يتعلق بهذا ، والله تعالى أعلم .

(فائدة أخرى) روى الحاكم في المستدرک عن الأصم عن الربيع عن الشافعي عن يحيى بن سليم عن ابن جريج عن عكرمة قال : دخلت على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو

يقرأ في المصحف قبل أن يذهب بصره ويبكي ، فقلت له : ما يبكيك جعلني الله فداءك ؟ فقال هذه الآية : - واسألم عن القرية التي كانت حاضرة البحر - الآية ، ثم قال أتعرف أيلة ؟ قلت : وما أيلة ؟ قال : قرية كان بها أناس من اليهود حرم الله عليهم صيد الحيتان يوم السبت ، فكانت الحيتان تأتهم في يوم سبتهم شرعا بيضا سمانا كأمثال الخاض ، فإذا كان غير يوم السبت لا يجدونها ولا يدركونها إلا بمشقة ومؤنة ، ثم إن رجلا منهم أخذ حوتا يوم السبت فربطه إلى وتد في الساحل وتركه في الماء حتى إذا كان الغد أخذه فأكله ، ففعل ذلك أهل بيت منهم فأخذوا وشووا فوجد جيرانهم ريح الشواء ففعلوا كفعالهم ، وكثر ذلك فيهم فافترقوا فرقا فرقة أكلت وفرقة نهت وفرقة قالت - لم تعظون قوما الله مهلكهم - فقالت الفرقة التي نهت : إنا نخذركم غضب الله وعقابه أن يصيبكم بحسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب والله ما نساكنكم في مكان أنتم فيه ، وخرجوا من السور ثم غدوا عليه من الغد فضربوا باب السور فلم يجهم أحد ، فسور إنسان منهم السور فقال : قرودة والله لها أذنان تتعاوى ثم نزل ففتح الباب ودخل الناس عليهم فعرفت القرودة أنسابها من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القرودة . قال : فيأتي القرود إلى نسيه وقريبه فيحتك به ويلصق إليه ، فيقول الإنسى : أنت فلان فيشير برأسه أن نعم ويبكي ، وتأتي القرودة إلى نسيه وقريبها الإنسى فيقول أنت فلانة فتشير برأسها أن نعم وتبكي . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : فأسمع الله يقول - أنجبنا الذين يهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون - فلا أدري ما فعلت الفرقة الثالثة فكم قد رأينا من منكر ولم ننه عنه . قال عكرمة : فقلت ماترى جعلني الله فداءك إنهم قد أنكروا وكرهوا حين قالوا - لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا - فأعجبه قولى ذلك وأمر لى ببردین غليظين فكسانيهما ، ثم قال : هذا صحيح الإسناد . وأيلة بين مدين والطور على شاطئ البحر . وقال الزهرى : القرية طبرية . وفي معالم التنزيل . قال عكرمة : فقلت له جعلني الله فداءك ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا - لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا - وإن لم يقل الله أنجبهم لم يقل أهلكتهم فأعجبه قولى ورضى به ، وأمر لى ببردین غليظين فكسانيهما وقال : نجت الساكنة .

(وفي المستدرک أيضا) عن مسلم الزنجى عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت في منامى كأن بنى الحكم بن أبى العاص يتزون على منبرى كما تزو القرودة ، فما روى النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى مات » ثم قال : صحيح الإسناد على شرط مسلم . وروى الطبرانى في معجمه الأوسط من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فى آخر الزمان تأتي المرأة فتجد زوجها قد مسخ قردا لأنه لا يؤمن بالقدر » ،

(فائدة أخرى) اختلف العلماء في الممسوخ هل يعقب أم لا؟ على قولين: أحدهما نعم وهو قول الزجاج والقاضي أبي بكر بن العربي المالكي . وقال الجمهور : لا يكون ذلك . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لم يعيش ممسوخ قط أكثر من ثلاثة أيام ولا يأكل ولا يشرب . واحتج الأولون بقوله صلى الله عليه وسلم : « فقدت أمة من بني إسرائيل لا أدري ما فعلت ولا أراها إلا الفأر ، ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربها وإذا وضع لها ألبان غيرها شربتها » خرجه مسلم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ، وبحديث الضب الذى رواه مسلم عن أبي سعيد وجابر قالا « إن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بضب فأنى أن يأكله . وقال : لأدري لعله من القرون التى مسخت » قال أبو بكر بن العربي المالكي : وفى البخارى عن عمرو بن ميمون أنه قال : رأينا فى الجاهلية قرودة قد زنت فرجوها ورجمتها معهم ، ثبت فى بعض نسخ البخارى وسقط من بعضها . والجواب عن ذلك أن الحميدى فى الجمع بين الصحيحين قال : حكى أبو مسعود الدمشقى أن لعمر بن ميمون الأزدي فى الصحيحين حكاية من رواية حصين عنه قال : رأيت فى الجاهلية قرودة قد زنت اجتمع عليها قرودة فرجوها ورجمتها معهم كذا حكاه أبو مسعود ولم يذكر فى أى موضع أخرجه البخارى ، فبحثنا عن ذلك فوجدناه فى بعض النسخ لا فى كلها مذكورا فى كتاب أيام الجاهلية ، وليس فى رواية الفربرى أصلا شىء من هذا الخبر فى القرودة ولعلمها من المقدمات فى كتاب البخارى والذى قاله البخارى فى التاريخ الكبير قال : قال لى نعيم بن حماد : أخبرنا هشيم عن أبي المليح وحصين عن عمرو بن ميمون الأزدي قال : رأيت فى الجاهلية قرودة اجتمع عليها قرودة فرجوها ورجمتها معهم ، وليس فيه قد زنت فلئن صحمت هذه الرواية فلإنما أخرجه البخارى دليلا على أن عمرو بن ميمون قد أدرك الجاهلية ولم يبال بظنه الذى ظنه ، وذكر أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب عمرو بن ميمون وقال : إنه معدود من التابعين من الكوفيين . قال : وهو الذى رأى الرجم فى الجاهلية بين القرودة إن صح ذلك لأن رواته مجهولون ، وذكر البخارى عن نعيم عن هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون الأزدي مختصرا قال : رأيت فى الجاهلية قرودة زنت فرجوها فذكره ثم قال : والقصة بطولها تدور على عبد الملك بن مسلم عن عيسى بن حطان وليس من يحتج بهما ، وهذا عند جماعة من أهل العلم منكر إضافة الزنا إلى غير مكلف وإقامة الحدود على البهائم ، ولو صح لكانوا من الجن لأن العبادات والتكليفات فى الجن والإنس دون غيرها .

وعمر بن ميمون المذكور خرجه له أصحاب الكتب الستة وحجج ستين حجة ، توفى فى سنة سبع وخمسين وكان من الذين إذا رءوا ذكر الله تعالى . وأما حديث الضب والفأر فكان ذلك قبلى أن يوحى إليه صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى لم يجعل للممسوخ نسلا ، فلما أوحى إليه زال عنه ذلك المتخوف وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ فعند ذلك أخبرنا بقوله صلى الله عليه . وسلم لمن سأله عن القرودة والخنزير أهي مما مسخ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لم يهلك قوما :

أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلا وإن القرودة والخنزير كانوا قبل ذلك » وهذا نص صريح رواه عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه ، وقد أخرجه مسلم في كتاب القدر ، وثبتت النصوص بأكل الضب بحضرة صلى الله عليه وسلم وعلى ماثدته فلم ينكره فدل ذلك على صحة ما قلناه . وعن مجاهد في تفسير آية المسخ في بني إسرائيل : إنما مسخت قلوبهم فقط وردت أفهامهم كأفهام القرودة ، وهذا قول تفرد به عن جميع المسلمين .

(الحكم) أكل القرود حرام عندنا وبه قال عكرمة وعطاء ومجاهد والحسن وابن حبيب عن المالكية ، وقال مالك وجهور أصحابه : ليس بحرام . وأما بيعه فيجوز لأنه يقبل التعليم فيمسك الشمعة ويحفظ الأمتعة . وقال ابن عبد البر في أوائل التمهيد : لأعلم بين علماء المسلمين خلافا في أن القرود لا يؤكل ولا يجوز بيعه لأنه مما لا منفعة فيه وما علمت أحدا رخص في أكله والكلب والفيل وذو الناب كله عندى مثله ، والحجة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في قول غيره ، وما يحتاج القرود ومثله إلى النهي عنه لأنه ينهى عن نفسه بزجر الطباع والنفوس لنا عنه ولم يبلغنا عن العرب ولا عن غيرهم أكله ، وروى عن الشعبي قال : « إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لحم القرود لأنه سبع » فيدخل في عموم الخبر .

(الأمثال) منها قوله :

واسجد لقرود السوء في زمانه وداره مادمت في سلطانه
وقالوا : أذى من قرد ، وأحكى من قرد ، لأنه يحكى الإنسان في أفعاله سوى المنطق
قال أبو الطيب :

برومون شاوى فى الكلام وإنما يحاكي الفتى فيها خلا المنطق القرد
وقالوا : أقبح من قرد وأولع من قرد ، لأنه إذا رأى الإنسان تولع بفعل شيء أخذ
يفعله مثله ؛

(الخواص) قال الجاحظ : لحم القرود شبيه لحم الكلب بل هو شر منه وأخبث . قال ابن السويدي : إذا علق سنه على إنسان لم يغلبه النوم ولا الفزع بالليل ، وأكل لحمه يمنع من الجذام ، وجلده إذا علق على شجرة دفع عنها ضرر البرد وإذا اتخذ من جلده غرابا وغر بل به الزريعة وزرعت فإنها تسلم من آفات الجراد ، وإذا سقى إنسان من دم قرد وهو حار خرس من وقته وإذا رأى القرد طعاما مسموما خاف وصاح ، وإذا جعل شعره تحت رأس نائم رأى أهوالا تفزع به ؛

(التعبير) القرود في المنام رجل فيه كل عيب مخالف لأن الله تعالى نهاه فلم ينته فسخره ، ومن رأى قردا يقائله وغلب القرود فإن الرائي يمرض ويبرأ فإن غلبه القرود فلا يرجى برؤه ، ومن رأى أنه أكل لحم قرد فإنه يعالج داء لا يرجى برؤه منه . وقالت النصارى : من أكل لحم قرد لبس جديدا ومن وهب قردا في منامه انتصر على عدوه ، ومن رأى قردا عضه

خاصم لإنسانا ، ومن رأى قردا في فراشه فإن يهوديا يفجر بامرأته وكذا إذا أكل على مائدته والقرود رجل زالت نعمته لكبيرة ارتكبتها ، ومن نكح قردا ارتكب فاحشة أو خاصم إنسانا وقال أراطاميدورس : القرود رجل مكار خداع ويدل على مرض المريض وما يحدث من القمور لأن القرود من حيوان القمر . وقال جاماسب : من صاد قردا انتفع من جهة السحرة والسكينة والله تعالى أعلم :

﴿ القردوح ﴾ : الضمخم من القردان ، قاله ابن سيده :

﴿ القرسة ﴾ : بكسر القاف وإسكان الراء المهملة وبالشين المعجمة في آخره دابة عظيمة من دواب البحر تمتع السفن من السير في البحر وتدفع السفينة فتقلبها وتضربها فتكسرهما . قال الزنجشري : سمعت بعض التجار بمكة ونحن قعود عند باب بني شيبه وهو يصف لي القرش ، فقال : هو مدور الخلقة وعظمه كما من مقامنا هذا إلى الكعبة ، ومن شأنه أن يتعرض للسفن الكبار فلا يردده شيء إلا أن يأخذ أهلها المشاعل فيمر على وجهه مثل البرق ، ولا بهاب شيئا إلا النار وبه سميت قريش قريشا . قال الشاعر :

وقريش هي التي تسكن البحر — ربهما سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تت — رك فيه لذي جناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش — يأكلون البلاد أكلا كيشا
ولهم آخر الزمان نبي — يكتر القتل فيهم والخموشا

الخموش الخدوش وأكلا كيشا أي سريعا . وقال ابن سيده : قريش دابة في البحر لا تدع دابة إلا أكلتها فجميع الدواب تخافها ، ثم أنشد البيت الأول . وقال المطرزي : هي سيدة الدواب البحرية وأشدها وكذلك قريش سادات الناس ، وحكى أبو الخطاب بن دحية في تسمية قريش وفي أول من تسمى به عشرين قولاً .

(فائدة أجنبية) قريش بن مالك بن النضر بن كنانة جد النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي تنسب إليه قريش ، ومن ولده بدر بن قريش الذي سميت به بدر بدراً ، وأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة تزوجها كنانة بعد موت أبيه خزيمة فولدت له النضر على ما كانت الجاهلية تفعله إذا مات الرجل خلفه على زوجته بعده أكبر بنيه من غيرها كذا قاله السهيلي رحمه الله تعالى تبعاً للزبير بن بكار ، قال : ولذلك قال الله عز وجل : — ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف — أي من تحليل ذلك قبل الإسلام ، وفائدة الاستثناء هنا لثلاث يعاب نسب النبي صلى الله عليه وسلم . وإي علم أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن في أجداده نكاح سفاح ، ألا ترى أنه لم يقل في شيء نهى عنه في القرآن نحو — ولا تقرّبوا

الزنا - ولا تقتلوا النفس - ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها - إلا ما قد سلف -
 إلا في هذه الآية ، وفي الجمع بين الأختين فإن الجمع بينهما كان مباحا في شرع من قبلنا ،
 وقد جمع يعقوب عليه الصلاة والسلام بين الأختين وهما راحيل وليا ، فقوله تعالى :
 -إلا ما قد سلف- التفات إلى هذا المعنى . قال : وهذه النسكئة من الإمام بن أبي بكر العربي :
 قال الحافظ قطب الدين عبد الكريم : ولما وقفت على هذا أقمت مفكرا مدة لكون أن برة
 المذكورة كانت زوجا لخزيمة فحلف عليها كنانة بن خزيمة فجاء له منها النضر بن كنانة ، وأن
 هذا وقع في نسب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
 « ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء وإنما ولدت من نكاح كنيكاح الإسلام » إلى
 أن رأيت أبا عثمان عمرو بن بحر الحافظ قال في كتاب له سماه بكتاب الأصنام :
 وخلف كنانة بن خزيمة على زوجة أبيه بعد وفاته وهي برة بنت أد بن طابخة جد
 كنانة بن خزيمة ، ولم تلد لكنانة ولدا ذكرا ولا أنثى ولكن كانت ابنة أخيها برة بنت مر بن
 أد بن طابخة تحت كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة . قال : وإنما غلط كثير من الناس
 لما سمعوا أن كنانة خلفه على زوجة أبيه لاتفق اسمهما وتقارب نسبهما ، وهذا الذي عليه
 مشايخنا وأهل العلم والنسب ، قال : ومعاذ الله أن يكون أصاب نسب النبي صلى الله عليه وسلم
 نكاح مقت ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما زلت أخرج من نكاح كنيكاح الإسلام حتى
 خرجت من بين أبي وأمي » ثم قال : ومن اعتقد غير هذا فقد كفر وشك في هذا الخبر . قال :
 والحمد الذي نزهه عن كل وصم وطهره تطهيرا اه .

قلت : وهذا أرجو به الفوز للحافظ في منقلبه ، وأن يتجاوز الله عنه ما سطره في كتبه
 وأشارت إلى ذلك في أول كتاب السير من المنظومة بقولي :

محمد خير جميع الخلق	جاء من الحق لنا بالحق
دعوة إبراهيم الخليل	بشارة المسيح في التنزيل
الطيب الأصول والفروع	الطاهر المحتد والينبوع
آباؤه قد طهرت أنسابا	وشرفت بين الورى أحسابا
نكاحهم مثل نكاح الإسلام	كذا رواه النجبا الأعلام
ومن أبي أو شك في هذا كفر	وذنبه بما جناه ما اغتفر
نقل ذا الحافظ قطب الدين	عن صاحب البيان والتبيين

(الحكم) أفتى شيخنا جمال الدين الأسنوي رحمه الله تعالى بجل أكل القرش ، وبه صرح
 الشيخ محب الدين الطبري شارح التنبيه في الكلام على التمساح ، ثم استشكل به تحريم التمساح
 وهذا يدل على أنه لا خلاف فيه ، وفي نهاية ابن الأثير التصريح بجله ، لكن قال ابن عباس

رضى الله تعالى عنهما : إنه يأكل ولا يؤكل ، ولعل مراده أنه يأكل الحيوانات البحرية ولا يستطيع أحد منها أن يأكله . والقرش يوجد ببحر القلزم الذى غرق فيه فرعون ، وهو عند عقبة الحاج كما تقدم فى باب السين المهملة فى الكلام على السقنقور ، وإطلاق الجمهور ونص الإمام الشافعى والقرآن العزيز يدل على جواز أكل القرش لأنه من السمك ومما لا يعيش إلا فى الماء ، وقد ذكر النووى فى شرح المهذب أن الصحيح أن كل ما فى البحر حلال ، ويحمل ما استثناه الأصحاب على ما يعيش فى غير الماء .

(التعمير) رؤيته فى المنام تدل على علو الهمة والشرف فى النسب فإنه يعلو ولا يعلو عليه والله تعالى أعلم .

﴿ القرقس ﴾ : بكسر القافين البعوض : قال الأصحاب : يستحب قتل المؤذيات للمحرم وغيره كالحية والعقرب والخنزير والكلب العقور والغراب والحداة والذئب والأسد والنمر والذب والنسر والعقرب والبرغوث والبق والزنبور والقراد والحلمة والقرقس وما أشبهها .

﴿ القرشام ﴾ : والقرشوم والقراشم القراد الضخم .

﴿ القرعلانة ﴾ : دويبة عريضة محببنة الظهر والبطن وأصله قرعل فزيدت فيه ثلاثة أحرف لأن الاسم لا يكون على أكثر من خمسة أحرف وتصغيره قريجة قاله الجوهري .

﴿ القرعوش ﴾ : القراد الغليظ .

﴿ القرقف ﴾ : كهدهد طير صغير .

﴿ القرقفنة ﴾ : بالنون المشددة كذا ضبطه فى العباب : روى الدينورى فى المجالسة وابن الأثير من حديث وهب : إذا كان الرجل لا ينكر عمل السوء على أهله طار طائر يقال له القرقفنة فيقع على مشريق بابه فيمكث هناك أربعين يوما ، فإن أنكر طار وذهب وإن لم ينكر مسح بجانبه على عينيه فصار قندعا ديوثا ، فلو رأى الرجال مع امرأته لم يرد ذلك قبيحا ، فذلك القندع الديوث الدليل لا ينظر الله تعالى إليه :

قال إبراهيم الحربى : مشريق الباب مدخل الشمس ، والقندع الديوث الدليل الذى لا يغار ولا يفهم ، وذكره الهروى بمعناه :

﴿ القرلى ﴾ : بضم القاف وكسرها وفتحها ملاعب ظله ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الميم . قال الجوالقى : هو فارسى معرب . وقال الميدانى : إنه طائر صغير الجرم حديد البصر سريع الاختطاف ، لا يرى إلا فرقا على وجه الماء على جانب كطيران الحداة يهوى

يلحدي عينيه إلى قعر الماء طمعا ويرفع الأخرى إلى الهواء حذرا ، فإن أبصر في الماء ما يستقل بحمله من السمك أو غيره انتقض عليه كالسهم المرسل فأخرجه من قعر الماء ، وإن أبصر في الهواء جارحا مر في الأرض . ومن أسجاع ابنة الخس : كن حذرا كالقرلى إن رأى خيرا تدلى أو رأى شرا تولى . وقال حمزة : قد خالف رواية النسب هذا التفسير فقالوا : إن قرلى اسم رجل من العرب كان لا يتخلف عن طعام أحد ولا يترك موضع طعم إلا قصد إليه ، وإن صادف في طريق قد سلكه خصومة ترك ذلك الطريق ولم يمر به فلذلك قالوا فيه : أطمع من قرولى ، فهذا ما حكاه النسابون في تفسير هذا المثل ، ثم قال : وأنا أقول إنه خليق أن يكون هذا الرجل تشبه بهذا الطائر وتسمى باسمه . قال الشاعر :

يا من جفاني وملا نسيت أهلا وسهلا
ومات مرحب لما رأيت مالى قلا
إني أظنك تحكى بما فعلت القرولى

(الحكم) يحل أكله لأنه من طير الماء .

(الأمثال) قالوا : أخطف وأطمع من قرولى ، وأحذر وأحزم من قرولى .

﴿ القرمل ﴾ : ولد البختى والقرامل الإبل ذوات السنمين : وفي الحديث « تردى قرمل لبعض الأنصار على رأسه في بئر فلم يقدروا على نحره فسألوه صلى الله عليه وسلم فقال : حفره ثم قطعوا أعضائه » وأما قولهم في المثل : ذليل عاذ بقرملة فهى شجرة ضعيفة لاشوك لها . قال جرير :

كان للفرزدق إذ يعوذ بخاله مثل الذليل يعوذ تحت القرمل
يضرب لمن استعان بضعيف لانصرة له ، لأن القرملة شجرة على ساق لا تكن ولا تنظف .

﴿ القرميد ﴾ : الأروية .

﴿ القرمود ﴾ : بفتح القاف ذكر الوعول حكاه ابن سيده .

﴿ القرني ﴾ : متصور دويبة طويلة الرجلين مثل الخنفساء أو أعظم منها يبسير ، وقال الميداني في قولهم : أزرق من القرني إنها الجعل ، وقال في موضع آخر : مثل الخنفس منقطعة الظهر طويلة القوائم ، وفي أدب الكاتب إنها أكبر من الخنفساء . قال الأخطل يصف جارية وبعلمها :

ألا يا عباد الله قلبي متميم
ينام إذا نامت على عكنتها
بأحسن من صلى وأقبحهم بعلا
ويلثم فاما كالسلافة أو أحلى
ديبب القرني بات يعلو نقاسهلا
يدب إلى أحشائها كل ليلة

قال الجاحظ : إنها ثقتان الروث وتطلبه كما يطلبه الجعل .
 (الأمثال) قالوا : القرني في عين أمها حسناء . وقالوا : أنزق من قرني ، لأن كل
 من بات بالصحراء وكل من قام إلى الغائط تتبعه لأنها نوع من الجعل . قال الشاعر :

ولا أطرق الجار بالليل قابعا قبوع القرني أخلفته مجاحره

﴿ القرهه ﴾ : كثعلب الثور المسن قاله الجوهري رحمه الله تعالى وغيره .

﴿ القزرة ﴾ : بكسر القاف وبالراء نوع من السباع . قال الخطيب لما حبسه عمر رضي

الله تعالى عنه :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ
 ألقىت كاسبهم في قعر مظلمة
 أنت الإمام الذي من بعد صاحبه
 لم يؤثروك بها إذ قدموك لها
 فامنن على صبية بالرمل مسكنهم
 أهلى فداؤك كم بينى وبينهم
 خص الحواصل لأماء ولا شجر
 فاغفر عليك سلام الله يا عمر
 ألقى إليك مقاليد النهى البشر
 لكن لأنفسهم كانت لها الأثر
 بين الأباطح يغشاها بها القزرة
 من عرض دوية يفنى بها الخبر

﴿ القرم ﴾ : الفحل الكريم من الإبل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للتحفة .

والجمع قروم والقرم من الرجال السيد العظيم المحرب للأمر ، وعلى المثل من ذلك قال الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكنيبة في المزدهم

عطف صفة على صفة لشيء واحد كقولك جاءني الظريف والعاقل وأنت تريد شخصا

واحدا روى مسلم والنسائي وأبو داود من حديث ابن شهاب أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث

قال « اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب وقالوا : لو بعثنا هذين الغلامين

عبد المطلب بن ربيعة والفضل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلماه فأمرهما على هذه

الصدقات فأديا ما يؤدى الناس وأصابا مما أصاب الناس ، فبينما هما في ذلك إذ جاء علي بن أبي طالب

رضي الله تعالى عنه فوقف عليهما فذكر له ذلك فقال : لا تفعلوا فوالله ما هو بفاعل ، وألقى

علي رداءه ، ثم اضطجع عليه وقال : أنا أبو حسن القرم والله لأبرح من مكاني حتى يرجع

إليكما ابناكما ، فلما رجعا قالوا ذهبنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله أنت

أبر الناس وأوصل الناس وقد بلغنا النكاح وقد جئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقات فنؤدى

إليك ما يؤدى الناس ونصيب مما يصيبون ، فسكت صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال : إن

الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس ادعوا محمثة بن جزء ونوفل بن الحارث بن

عبد المطلب . قالوا : فجاءه فقال لمحمثة : أنكح الفضل ابنتك فأنكحه ، وقال لنوفل بن

الحارث : أنسكح عبد المطلب ابنتك فأنسكحه ، وقال لحمئة أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمله على الأخماس « انتهى ملخصا . قوله وأنا أبو حسن القرم هو بتنوين حسن والقرم مرفوع قال ذلك لأجل الذى كان عنده من علم ذلك ، وكان رضى الله تعالى عنه يقول هذه الكلمة عند الأخذ فى بيان قضية تشكل على غيره وهو يعرفها ، ولذلك جرى كلامه هذا مجرى المثل حتى قالوا : قضية ولاأبا حسن لها : أى هذه قضية مشكلة وليس هناك من بينها كما كان يفعل أبو الحسن رضى الله تعالى عنه الذى هو على بن أبى طالب :

﴿ القرة ﴾ : بالضم الضفدعة ، قاله الجوهري رحمه الله تعالى .

﴿ القسورة ﴾ : الأسد . قال الله تعالى - كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة - .
روى البزار بإسناد صحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال « القسورة الأسد »
قال الشاعر :

مضمر يحذره الأبطال كأنه القسورة الرئبال

وروى ابن طبرزد بإسناده إلى الحكم بن عبد الله بن خطاب عن الزهرى عن أبى واقد قال : لما نزل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الجابية أتاه رجل من بنى تغلب يقال له روح ابن حبيب بأسد فى تابوت حتى وضعه بين يديه فقال رضى الله عنه : أكسرت له نابا أو مخلبا؟ قالوا : لا . قال : الحمد لله ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما صيد مصيد إلا ينقص فى تسبيحه يا قسورة اعبد الله ثم خلى سبيله » وقد تقدم فى باب الغين المعجمة أنه روى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه مثل ذلك فى الغراب : وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى القسورة : هو بلسان العرب الأسد وبلسان الحبشة القسورة وبلسان فارس سير وبلسان النبط أرنا ، وقيل القسورة فعولة من القسر وهو القهر سمي الأسد بذلك لأنه يقهر السباع . وقال ابن جبير : القسورة رجال القنص ، وقيل القسورة الرجال الشداد . وقال ثعلب : القسورة سواد أول الليل خاصة لا آخره ، والمعنى فرت من ظلمة الليل ولاشيء أشد نفارا من حمر الوحش ، واللفظة مأخوذة من القسر الذى هو الغلبة والتهر :

﴿ القشمان ﴾ : كالعقربان والثعلبان النسر . قال الشاعر :

تركت أباك قد أطلت ومالت عليه القشمان من النور
يقال أطلت الرجل أى مالت عنقه للموت أو لغيره .

﴿ القشبة ﴾ : القردة قاله الجوهري رحمه الله تعالى . وقال الأصمعى : هى الصغيره من أولادها .

(الأمثال) قالوا : أكيس من قشبة ، يضرب مثلاً للصغار خاصة .

﴿ القصيرى ﴾ مقصورا مصغرا ضرب من الأفاعى .

﴿ الفط ﴾ : السنور والأثني قطة والجمع قطاط وقططة . قال ابن دريد : لا أحسبها عربية صحيحة . قلت : وهو محجوج بقوله صلى الله عليه وسلم « عرضت على جهنم فرأيت فيها المرأة الحميرية صاحبة القط الذى ربطته فلم تطعمه ولم تسرحه » كذا رواه الربيع الجيزى فيمن ورد مصر من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، ولما اتصلت ميسون بنت بحدل الكلبية أم يزيد بن معاوية بمعاوية وكانت ذات جمال باهر وحسن غامر أعجب بها معاوية رضى الله عنه وهيا لها قصرا مشرفا على الغوطة وزينه بأنواع الزخارف ووضع فيه من أواني الفضة والذهب ما يضاويه ، ونقل إليه من الديباج الرومى الملون والموشى ما هو لائق به ، ثم أسكنها مع وصائفها كأمثال الحور العين ، فلبست يوما أفخر ثيابها ونزيت وتطيبت بما أعد لها من الحلى والجواهر الذى لا يوجد مثله ثم جاست فى روشنها وحولها الوصائف فنظرت إلى الغوطة وأشجارها وسمعت تجاوب الطير فى أوكارها وشمّت نسيم الأزهار وروائح الرياحين والنوار فتذكرت نجدا وحتت إلى أترابها وأناسها ، وتذكرت مسقط رأسها فبكت وتهدت ، فقالت لها بعض حظاياها : ما يبكيك وأنت فى ملك يضاهاى ملك بلقيس ؟ فتنفست الصعداء ثم أنشدت :

لبيت تخفق الأرواح فيه	أحب إلى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني	أحب إلى من لبس الشفوف
وأكل كسيرة فى كسريتي	أحب إلى من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج	أحب إلى من نقر الدفوف
وكلب ينبس الطراق دونى	أحب إلى من قط ألوف
وبكر يتبع الأظعان صعب	أحب إلى من بغل زفوف
وخرق من بنى عمى نحيف	أحب إلى من علج عنوف

فلما دخل معاوية عرفته الحظية بما قالت ، وقيل إنه سمعها وهى تاشد ذلك فقال : ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتنى علجا عنوفا هى طالتي ثلاثا مروها فلتأخذ جميع ما فى القصر فهو لها ، ثم سيرها إلى أهلها بنجد وكانت حاملا بيزيد فولدته بالبادية وأرضعته سنتين ثم أخذه معاوية رضى الله عنه منها بعد ذلك : والأرواح جمع ريح . قال ذو الرمة :

إذا هبت الأرواح من نحو جانب	به أهل حبي حاج قلبى هبوبها
هوى تذرّف العينان منه وإنما	هوى كل نفس حيث حل حبيبها

فقد أبدع وأحسن فن قال : هبت الأرياح فقد أخطأ ووهم ، والصواب هبت الأرواح كما قال ذو الرمة ، وقد تقدم عن ميسون ، والعلة في ذلك أن أصل ريح روح لاشتقاقها من الروح .

وروى هذا الخبر على غير هذا الوجه فأوردته لتحصل منه الفائدة ، وهو : قيل لما اتصلت ميسون بنت بحدل ب معاوية ونقلها من البدو إلى الشام كانت تسكّر الحنين إلى أناسها والتذكر لمسقط رأسها ، فاستمع عليها معاوية ذات يوم وهي تنشد الأبيات المتقدمة ، فلما سمع معاوية الأبيات قال : ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتني علجاً عنوفاً هي طالق .
وحكى ابن خلدكان وغيره في ترجمة الإمام أبي الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي : أنه كان يوماً على سطح جامع مصر يأكل شيئاً وعنده بعض أصحابه فحضرهم قط فرموا له لقمة فأخذها في فيه وغاب عنهم ، ثم عاد إليهم فرموا له لقمة ثانية فأخذها وذهب ، ثم عاد فرموا له شيئاً فأخذه وذهب ، ثم عاد ففعل ذلك مراراً كثيرة وهم يرمون له وهو يأخذ ويتغيب ثم يعود من فوره فتعجبوا منه فتبعوه ، فإذا هو يأخذ ذلك الطعام ويدخل به إلى خربة فيها شبه البيت الخراب ، وفي سطح ذلك البيت قط أعمى ، فإذا هو يضع الطعام بين يديه فتعجبوا من ذلك ، فقال الشيخ : بابشاذ إذا كان هذا حيواناً أخرس قد سخر الله له هذا القط وهو يقوم بكفأيته ولم يحرمه الرزق فكيف يضيع مثلي ، ثم قطع الشيخ علاقته وترك خدمة السلطان ولزم بيته وترك جميع أشغاله توكلأ على الله تعالى إلى أن مات في شهر رجب سنة تسع وستين وأربعمائة ، وبابشاذ كلمة أعجمية يتضمن معناها الفرح والسرور .
(وحكمه) تقدم بعضه في باب السين المهملة في لفظ السنور ، وسيأتي إن شاء الله تعالى بعضه في باب الهاء في لفظ الهر .

(وتعبيره) سيأتي إن شاء الله تعالى أيضاً في باب الهاء .

﴿القطا﴾ : طائر معروف واحده قطاة والجمع قطوات وقطيات . ومن ذكر أن القطا من الحمام الرافعي في كتاب الحج والأطعمة ومن أهل اللغة ابن قتيبة ، وأنشد قول النابغة الذبياني :

واحكم كحكم فناة الحى إذ نظرت إلى حمام شرع وارد التمد
قال الأصمعي : هذه زرقاء الإمامة نظرت إلى قطا . قال البطليوسي في الشرح : وليس في بيت النابغة دليل على أنه أراد بالحمام القطا ، وإنما علم ذلك بالخبر المروى عن زرقاء الإمامة أنها نظرت إلى قطا فقالت :

يا ليت ذا القطا لنا ومثل نصفه معه
إلى قطاة أهلنا إذا لنا قطا مائه

قال : وقوله : واحكم كحكم فناة الحى : أى أصب فى أمرك كإصابة فناة الحى ، فهو من الحكم الذى يراد به الحكمة لامن الحكم الذى يراد به القضاء . قال الله تعالى : - ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما - أى حكمة : قال : وكان الأصمعى يروى شراع بالشين المعجمة يريد الذى شرع فى الماء .

وروى غيره شراع بالشين المهملة . والتد الماء القليل اه وكانت عدة الحمام الذى رآته ستاوستين فتمنت أن يكون لها هذا الحمام ومثل نصفه وهو ثلاثة وثلاثون ومجموع ذلك تسعة وتسعون فإذا ضم إلى حمامتها كان مائة ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك فى باب الحاء المهملة فى الحمام :

ويقال للقطاة أم ثلاث لأنها أكثر ما تبيض ثلاث بيضات : قال الشاعر :
وأم ثلاث إن شبن عققنها وإن متن كان الصبر منها على نصب
يقول : إن شبت فراخها فارقها فكان ذلك عقوقا لها ، وإن متن لم تصبر إلا وهى
حزينة قلقة ، والنصب التعب والبلاء .

ويقال للقطا والحمام وأنواعها أمهات الجوازل ، والجوازل فراخها الواحد جوزل ، قال ذو الرمة :

سوى ما أصاب الذئب منه وسر به أطافت به من أمهات الجوازل
وقد تقدم قريب من هذا فى باب الجيم .
وسميت القطا بحكاية صوتها فإنها تقول ذلك ، ولذلك تصفها العرب بالصدق . قال
الكميت فى وصفها :

لأنكذب القول إن قالت قطا صدقت إذ كل ذى نسبة لا بد ينتحل
وأنشد أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد قول الشاعر ، قال المبرد وأظنه توبة بن الحمير :
كأن القلب حين يقال يغدى بليلى العامرية أو يراح
قطاة غرها شرك فباتت تجاذبه وقد عاق الجناح
فلا فى الليل نالت ما ترجى ولا فى الصبح كان لها يراح

ثم قال : وقوله . غرها قد تصحف عليه ، فقال غرها من الغرور وليس كذلك إنما هو
عزها أى غلبها كما قالت العرب : من عز بز ، ومن غلب سلب . وغلق الجناح بالغين المعجمة
من قولهم لا يغلق الرهن على راهنه ، وقد تصحف بالعين المهملة اه .

(نكتة) ذكر الحريرى فى الدرّة أن ليلى الأخيلىة وهى المذكورة فى الشعر كانت
تتكلم بلغة بهرا ، وذلك أنهم يكسرون حرف المضارعة فيقولون أنت تعلم ، وإنما استأذنت
على عبد الملك بن مروان وبخضرتة الشعبي فقال له : أنأذن لى يا أمير المؤمنين فى أن أضحكك

منها؟ فقال افعل ، فلما استقر بها المجلس قال لها الشعبي : يا ليلي ما بال قومك لا يكتنون ؟
فقال له : ويحك ما كنتي بكسر حرف المضارعة فقال لها : لا والله لو فعلت لاغتسلت ،
فخجلت هند ذلك واستغرق عبد الملك في الضحك
وفي غير رواية ابن هشام في أبيات هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان رضى الله
تعالى عنهم :

نحن بنات طارق نمشى على النمارق
مشى القطا النواتق

كما ذكره الزبير بن بكار وقاله السهيلي في الروض الأنف ، والمراد بالطارق النجم تريد
إن أبانا نجم في شرفه وعلوه : قال الله تعالى : - والسماء والطارق - يعني النجم يطرق ليلا
ويخفى نهاراً . قال الثعلبي : أنشد أبو القاسم الحسن بن محمد المفسر : قال : أنشدني أبو الحسن
الكاظمي قال : أنشدني ابن الرومي :

يا راقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
لا تفرحن بليل طاب أوله فرب آخر ليل أجج النارا

ثم فسره تعالى بأنه النجم الثاقب أى المضيء . قال أبو زيد : كانت العرب تسمى الثريا
النجم الثاقب ، وقيل هو زحل سمى به لارتفاعه .

وروى ابن الجوزي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : الطارق نجم في السماء
السابعة لا يسكنها غيره من النجوم ، فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط وكان معها
ثم رجع إلى مكانه من السماء السابعة وهو زحل ، فهو طارق حين ينزل ، وطارق حين يصعد ،
والنواتق : الكثيرات الأولاد كأنها ترمى بالأولاد رميا ، والنق : الرمي والنفص والحركة ،
والقطا نوعان : كدرى وجونى ، وزاد الجوهري نوعا ثالثا وهو الغطاط ، فالكدرى غير
اللون رقص البطون والظهور صفر الحلوق قصار الأذنان ، وهى أطف من الجونية ،
والجونية سود بطون الأجنحة والقوادم . وظهرها أغبر أرقط تعلوه صفرة ، وهى أكبر من
الكدرى تعدل جونية بكدريتين ، وإنما سميت الجونية لأنها لا تفصح بصوتها إذا صوتت ،
ولأنها تغرغر بصوت فى حلقها ، والكدرية فصيحة تنادى باسمها ، ولا تضع القطاة بيضا
لأفرادها ، وفى طبيعتها أنها إذا أرادت الماء ارتفعت من أفاحيصها أسرابا لا متفرقة عند
طلوع الفجر فتطلع إلى حين طلوع الشمس مسيرة سبع مراحل فحينئذ تقع على الماء فتشرب
نهلا ، والنهل : شرب الإبل والغنم أول مرة ، فإذا شربت أقامت حول الماء متشاغلة إلى
مقدار ساعتين أو ثلاث ثم تعود إلى الماء ثانية . وهذا يبعد ما حكاه الواحدى المفسر فى شرحه
لديوان أبي الطيب المتنبي فى قوله :

وإذا المكارم والصورم والقنا
وبنات أعوج كل شىء مجمع

إن أعوج فحل كريم كان لبني هلال بن عامر ، وإنه قيل لصاحبه ما رأيت من شدة عدوه ؟ فقال : ضللت في بادية وأنا راكبه فرأيت سرب قطا يقصد الماء فتبعته وأنا أغص من لجامه حتى توافينا الماء دفعة واحدة اه .

قلت : وهذا أغرب شيء يكون فإن القطا شديد الطيران ، وإذا قصدت الماء اشتد طيرانها أكثر ، ثم ما كفاه حتى قال : وأنا أغص من لجامه ، ولولا ذلك لكان سبق القطا .

وتوصف القطا بالهداية ، والعرب تضرب بها المثل في ذلك لأنها تبيض في القفر ، وتسقى أولادها من البعد في الليل والنهار ، فتجئ في الليلة المظلمة وفي حواصلها الماء ، فإذا صارت حيال أولادها صاحت قطا قطا ، فلم تخط بلا علم ولا إشارة ولا شجرة ، فسبحان من هداها لذلك قال الشاعر :

والناس أهدى في القبيح من القطا وأضل في الحسنى من الغربان

وقال أبو زياد السكلابي : إن القطا تطلب الماء من مسيرة عشرين ليلة وفوقها ودونها ، والجونية منها تخرج إلى الماء قبل الكدرية ؟ قال عنتره :

وأنت التي كلفتني دلج السرى وجون القطا بالجهلتين جثوم
وقال الشاعر في وصفها :

أما القطة فإني سوف أنعتها نعنا يوافق معنى بعض ما فيها
سكاء مخضوبة في ريشها طرف سود قوادمها صهب خوافيها
وقال مزاحم العقيلي في القطة وفرخها :

فلما دعت بالقطاة أجابها بمثل الذي قالت له لم تبدل
وأشد ياقوت في معجم البلدان لأبي العباس الصيمري :

كم مريض قد عاش من بعد يأس بعد موت الطيب والعواد
قد يصاد القطا فينجو سليما ويحل القضاء بالصياد

ذكر أنه كان بين أبي الفضل المعروف بابن القطا الشاعر المشهور بالبغدادى وبين الحيصن ببيص التميمي الشاعر مناظرات : منها أنهما حضرا على سباط الوزير فأخذ أبو الفضل قطاة مشوية وقدمها إلى الحيصن ببيص ، فقال الحيصن ببيص للوزير : يا مولاي هذا الرجل يؤذيني قال : كيف ؟ قال : يشير إلى قول الشاعر :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المسكارم ضلت
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى جلال الخازي عن تميم تجلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة يكر على صني تميم لولت

ولأبي الفضل نوادر منها أنه قعد يوماً يأكل مع زوجته طعاماً فقال لها : اكشفي رأسك ففعلت فقرأ سورة الإخلاص ، فقالت : ما الخبر ؟ فقال : إذا كشفت المرأة رأسها لم تحضر الملائكة ، وإذا قرئت سورة الإخلاص هربت الشياطين ، وأنا أكره الزحمة على المائدة .
(فائدة) : العرب تصف القطا بحسن المشى لتقارب خطاها ، ومشيها يشبه مشى النساء الخفريات بمشيتهن ، ومن أحسن ما رأيت في ذلك قول هند بنت عتبة يوم أحسد في غير رواية ابن هشام :

نحن بنات طارق نمشى على النمارق
مشى القطا النواتق

إلى آخر الرجز كما رواه الزبير بن بكار كما سبق . قال السهيلي في الروض : يقال إنها تمتل بهذا الرجز وإنه لهند بنت طارق بن فياض الأودية قالته في حرب الفرس لإياد ، فعلى هذا يكون إنشاده بنات طارق بالنصب على الاختصاص كما قال : نحن بنى ضبة أصحاب الجمل ، وإن كانت أرادت النجم فبنات مرفوع لأنه خبر مبتدأ : أى نحن شريفات رفيفات كالنجوم . قال : وهذا التأويل عندي بعيد لأن طارقاً وصف للنجم لطروقه فلو أرادته لقالت : نحن بنات الطارق ، إلا أنى رأيت الزبير بن بكار قال في كتاب أنساب قريش : حدثني يحيى بن عبد الملك الهرمزي قال : جلست ليلة وراء الضحاك بن عثمان الجذامي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متنع فذكر الضحاك وأصحابه قول هند يوم أحد : نحن بنات طارق : ثم قالوا : ما طارق ؟ فقلت : النجم ، فالتفت الضحاك وقال : يا أبا زكريا كيف ذلك ؟ فقلت : قال الله تعالى — والنساء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب — كأنها قالت : نحن بنات النجم ، فقال : أحسنت انتهى . ومرادها بالقطا النواتق الكثيرات الأولاد . قال الجوهري : ننتت المرأة إذا كثرت ولدها فهى نانتق ومنتاق ، ومن هذا الحديث الذى رواه ابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواها وأنتق أرحاما وأرضى باليسير » .

(وحكمها) حل الأكل بالإجماع ، وعد الرافعى والأصحاب في كتاب الحج القطا من الحمام فأوجبوا على المحرم إذا قتل الواحدة شاة وإن كان لا مثل لها من النعم : قال الشيخ محب الدين الطبرى : وكذلك عدّها من الحمام الجوهري والمشهور خلافه .

(الأمثال) قالوا : أنسب من قطاة وهو من النسبة ، وذلك أنها إذا صوتت فإنها تنتسب لأنها تصوت باسم نفسها فتقول : قطا قطا . وقالوا : أصدق من القطاة وأقصر من إبهام القطاة : لو ترك القطا ليلاً لنام . وسببه أن عمر بن أمامة نزل على قوم من مراد فطرقوه ليلاً فأثاروا القطا من أماكنها فرأيتها امرأة طائرة فنهت زوجها فقال : إنما هذه القطا

فقالت : لو ترك القطا ليلا لنام ، يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته ، وقيل قالت امرأة يقال لها حذام لما رأت القطا طار ليلا قالت :

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا ليلا لناما
فلم يلتفتوا إلى قولها وأخلدوا إلى مضاجعهم ، فقام فيهم رجل وقال :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

فنفر القوم وارتحلوا والتجأوا إلى واد قريب منهم فاعتصموا به حتى أصبحوا وامتنعوا من عدوهم ، يضرب هذا البيت لمن ظهر منه الصدق ، وحذام ، مبنى على الكسر مثل أمس . وقالوا : بيض القطا يحضنه الأجدل وقد تقدم . وقالوا : ليس قطا مثل قطي : أى ليس الأكبر مثل الأصغر .

(الخواص) إذا أحرقت عظام القطا وأخذ من رمادها وأغلى بزيت الحار وطلى به رأس الأقرع وموضع الثعلب أنبت الشعر ، وقال ابن زهر إنه جرّبه ، ولحمها عسر الهضم ردىء الغذاء وإذا أخذ رأسها ويبس وصر في خرقة كتان جديدة وعلق على فخذ امرأة وهي نائمة أخبرت بجميع ما في نفسها وبما فعلته ، فإن خلطت في الكلام فارم به عنها ثلاثا توسوس ، وإذا شق بطن قطاين ذكر وأنثى وطبخ بطنهما وأخذ دسهما وجعل في قارورة ودهن به إنسان وهو لا يعلم أحب الداهن حبا شديدا .

(خاتمة) روى ابن حبان وغيره من حديث أبي ذر رضى الله عنه وابن ماجه من حديث جابر رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من بنى لله مسجدا ولو كفح حصص قطاة بنى الله تعالى له في الجنة بيتا » وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة مثله » مفحص القطاة : بفتح الميم موضعها الذى تجثم فيه وتبيض كأنها تفحص عنه التراب : أى تكشفه ، والفحص ، البحث والكشف وخصت القطاة بهذا لأنها لا تبيض في شجر ولا على رأس جبل وإنما تجعل مجثمها على بسيط الأرض دون سائر الطيور فلذلك شبه به المسجد ، ولأنها توصف بالصدق كما تقدم فكانه أشار بذلك إلى الإخلاص في بنائه كما قال سيدى الشيخ العارف بالله تعالى أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى : خالص العبودية الاندماج في طي الأحكام من غير شهوة ولا إرادة وهذا شأن هذا الطائر وقيل إنما شبه بذلك لأن أفحوصها يشبه محراب المسجد في استدارته وتكوينه وقيل خرج ذلك مخرج الترغيب بالقليل عن الكثير كما خرج مخرج التحذير بالقليل عن الكثير ، قوله صلى الله عليه وسلم « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده » ولأن السارق يضرب المثل في الشيء بما لا يكاد يقع كتقوله صلى الله عليه وسلم « ولو سرقت فاطمة بنت محمد ، وهى رضوان الله عليها لا يتوهم منها سرقة ،

وكقوله صلى الله عليه وسلم « اسمعوا وأطيعوا ولو عبدا حبشيا » يعنى فأطيعوه ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الأئمة من قريش » وقيل المراد طاعة من ولاه الإمام عليكم وإن كان عبدا حبشيا .

(التعبير) القطا فى المنام يدل على الصدق والفصاحة والألفة والأنس ، وربما دلت القطاة على امرأة معجبة بنفسها وهى ذات جمال غير ألفة ، والله تعالى أعلم :

﴿ القطا ﴾ : بتشديد الطاء ؛ قال القزوينى : سمكة عظيمة ذكروا أن عظم ضلعها يتخذ منه قنطرة يعبر الناس عليها وشحمه إذا طلى به البرص يزول .

﴿ القطامى ﴾ : الصقر تضم قافه وتفتح ، وهو من أعظم الطيور التى يصاد بها وهو عزيز الوجود .

﴿ قطرب ﴾ : طائر يجول الليل كله لا ينام ، وقالوا : أجول من قطرب وأسهر من قطرب . وقطرب لقب محمد بن المستنير النحوى صاحب المثلث وغيره كان من أهل العربية ، وكان حريصا على الاشتغال والتعلم فكان يبكر إلى سبويه قبل حضور أحد من التلامذة فقال له يوما : ما أنت إلا قطرب ليل ، فبقي عليه هذا اللقب توفى سنة ست ومائتين :

والقطرب والقطروب قال ابن سيده : إنه الذكر من السعالى وقيل هما صغار الجن وقيل القطارب صغار الكلاب واحدها قطرب ، والقطرب دويبة لا تستريح نهارها سعيها . وقال الإمام محمد بن ظفر : القطرب حيوان يكون بالصعيد من أرض مصر يظهر للمنفرد من الناس فرما صده عن نفسه إذا كان شجاعا وإلا لم ينته حتى ينكحه فإذا نكحه هلك ، وهم إذا رأوا من ظهر له القطرب قالوا : أمنكوح أم مروّع ؟ فإن قال : منكوح أبسوا من حياته وإن قال مروّع عاجوه . قال : وقد رأيت أهل مصر يلهجون بذكره انتهى .

والقطرب : الفأر والذئب الأمعط والسفيه ونوع من الما ليخوليا . وفى الحديث : « لا يلفين » أحدهم جيفة ليل قطرب نهار » وهذا من كلام ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ، رواه عنه آدم ابن أبى إياس العسقلانى فى كتاب الثواب موقوفا عليه ، وقيل مرفوعا ، وقالوا فى معناه : إن القطرب لا يستريح فى النهار ، والمراد : لا ينام أحدهم الليل كله كأنه جيفة ثم يكون بالنهار كأنه قطرب ، لسكرة جولانه وطوفانه فى أمر دنياه ، فإذا أمسى كان كالأتعبا فى نيام ليله كله حتى يصبح كالجيفة لا يتحرك .

﴿ القشعبان ﴾ : كهمرجان : دويبة كالخنفساء قاله فى العباب .

﴿ القمود ﴾ : من الإبل ما اتخذها الراعى للركوب وحمل الزاد والجمع أتعدة وقعد وقعدان

وقعائد ، وقيل القعود القلوص ، وقيل البكر قبل أن يثنى ثم هو جمل والقعود الفصيل .

﴿ القمبر ﴾ : بفتح القاف الجراد الذي لم يستو جناحاه ، والقعيد من الوحش الذي يأتيك من ورائك وهو خلاف النطيح .

﴿ القمع ﴾ : كفلفل طائر أبلق ضخم من طير الماء طويل المنقار قاله الجوهري رحمه الله تعالى ، زاد ابن سيده وفيه بياض وسواد .

﴿ القدر ﴾ : بالكسر الحمار الخفيف في السير .

﴿ القلقاني ﴾ : طائر كالفاختة قاله الجوهري وغيره .

﴿ القلوص ﴾ : من النوق الشابة وهي بمنزلة الجارية من النساء وجمعها قلوص وقلائص مثل : قدوم وقدم وقدام . قال الرازي :

متى تقول القلوص الرواسما يحملن أم قاسم وقاسما
نصب القلوص كما ينصب بالظن وهي لغة سليم ، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة :

أما الرحيل فدون بعد غد فتى تقول الدار تجمعنا

وقال العدوي : القلوص أول ما يركب من إناث الإبل إلى أن تثنى فإذا أثنت فهي ناقة : وقد تقدم في باب العين المهملة في الكلام على العير قول سالم بن دارة :

لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار

روى ابن المبارك في الزهد والرقائق عن القاسم مولى معاوية قال : « أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم ، فجعل كلما دنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله نفر به القلوص وجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله ، فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قتله قلوصه حين صرعه ، فقال صلى الله عليه وسلم : نعم وأفواهم ملامى من دمه » كذا رواه ابن المبارك مرسلًا ، وهو في الإحياء في الآفة العاشرة من آفات اللسان .

وفي سنن أبي داود عن إسماعيل بن عبد الله بن الحارث مرسلًا « أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى ببضعة وعشرين قلوصًا حلة فأهداها إلى ذي بز » .

وفي كامل ابن عدي في ترجمة عمارة بن زاذان الصيدلاني عن ثابت عن أنس بن مالك « أن ذابن أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم حلة قوميت بعشرين بعيرا فلبسها صلى الله عليه وسلم ، ثم كساها عمر رضي الله تعالى عنه ، ثم قال : إياك أن تخدع عنها » .

وروى الحاكم عن أبي الزبير عن جابر قال : « استأجرت خديجة رضي الله تعالى عنها

رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرتين إلى جرش كل سفرة بقلوص ، ثم قال صحيح الإسناد ، والمعروف من ذلك ما في طبقات ابن سعد قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له أبو طالب : أنا رجل لا مال لي وقد اشتد علينا الزمان ، وهذه غير قومك قد حضر خروجها إلى الشام : وخديجة بنت خويلد تبعث رجلا من قومك في غيرها فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك ، وباع ذلك خديجة فأرسلت إليه صلى الله عليه وسلم وقالت : أنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلا من قومك ، وفي رواية : أن أبا طالب أتاها فقال : هل لك أن تستأجري محمدا ، فقد بلغنا أنك استأجرت فلاناً بيكرين ولسنا نرضى لمحمد دون أربع بكرات ؟ فقالت خديجة رضى الله عنها : لو سألت ذلك لبعيد بغيض فعلنا فكيف وقد سألت لحبيب قريب ؟ فقال أبو طالب : هذا رزق ساقه الله إليك ، فخرج صلى الله عليه وسلم مع غلامها ميسرة وجعل عموته يوصون به أهل العير حتى قدموا بصري من الشام فنزلوا في ظل شجرة ، فقال نسطورا الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي ، قال السهيلي : يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي ولم يرد ما نزل تحتها قط إلا نبي لبعده العهد بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل ذلك ، والشجرة لا تعمّر في العادة هذا العمر الطويل إلا أن تصح رواية من قال في هذا الحديث لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام فتكون الشجرة على هذا مخصوصة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وذكر أبو عمر بن عبد البر أن نسطورا رآه وقد أظلمته غمامة فقال : هذا نبي وهو آخر الأنبياء : ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته فوقع بينه وبين رجل تلاح فقال : أحلف بالللات والعزى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حلفت بهما قط وإني لأمر بهما فأعرض عنهما ، فقال الرجل : التمر قولك ، وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمس ، وكان الله تعالى قد أتى عليه الحجة من ميسرة رضى الله عنه فكان كأنه عبد له ، وباعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون ، فلما رجعوا وكانوا بمر الظهران تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر خديجة رضى الله عنها بالربح ، ثم قدم ميسرة رضى الله عنه فأخبرها بذلك وبما شاهده من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما قاله الراهب ، فأضعفت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سميت له .

وقد تقدم للقلوص ذكر في لفظ القلوص في قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يرني لصيقة للمتصدق كما يرني أحلكم فلوه أو قلووصه » والقلوص أيضا : الأثني من النعام .

﴿ القليب ﴾ : كالسكين الذئب وكذلك القلوب كالخنوص قال الشاعر :
أيا أمنا أبكى على أم واهب أكيلة قلوب بإحدى المذانب

﴿ القمري ﴾ : طائر مشهور كنيته أبو ذكري وأبو طلحة وهو حسن الصوت والأثني قرية ، والذكر ساق حر والجمع قمارى غير مصروف ، قال ابن السمعاني في الأنساب : القمرة بلدة تشبه الحصص لبياضها وأظنها بمصر منها الحجاج بن سليمان بن أفلاج القمري مصري ، روى عن مالك بن أنس والليث بن سعد وغيرهما مات فجأة سنة ثمان وتسعين ومائة ، وروى عنه محمد بن سلمة المرادي وغيره . قال : والقمري طائر منسوب إلى هذه البلدة هكذا ذكره صاحب الخجل : وقال ابن سيده : القمري طائر صغير من الحمام والأثني قرية وجمعها قمارى وقر انتهى .

وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما لما طلق زوجته عاتكة بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ينشد :

أعاتك لا أنساك ماذر شارق وما ناح قمرى الحمام المطوق
ولم أر مثلى طلق اليوم مثلها ولا مثلها من غير جرم يطلق
أعاتك قلبى كل يوم وليلة إليك بما تحقى النفوس معلق
لها خلق جزل ورأى ومنصب وخلق سوى فى الحياة ومنطقى

فرق له أبوه وأمره أن يراجعها ، والقصة فى ذلك حسنة طويلة جدا مذكورة فى الاستيعاب والتهيد وغيرهما . وقال القزويني : إذا ماتت ذكور القمارى لم تتزوج إنائها بعدها وتنوح عليها إلى أن تموت .

ومن العجب أن بيض القمارى يجعل تحت الفواخت ، وبيض الفواخت تحت القمارى ، وذكر أن الهوام تهرب من صوت القمارى . روى أبو المظفر بن السمعاني عن والده قال : أنشدنا سعيد بن المبارك النحوى لنفسه :

أرى الفضل مناح التأخر أهله وجهل الفتى يسعى له فى التقدم
كذلك أرى الخفاش ينجيه قبجه ويحتبس القمري حسن الترم

(فائدة) كان الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه جالسا بين يدي الإمام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه ، فجاء رجل فقال لمالك : إني رجل أبيع القمارى وإني بعث فى يومى هذا قمرىا ، فرده على المشتري وقال : قمرىك لا يصبح ، فحلفت له بالطلاق إنه لا يهدأ من الصباح ، فقال له الإمام مالك : طلقت زوجتك ولا سبيل لك عليها ، وكان الإمام الشافعى يومئذ ابن أربع عشرة سنة ، فقال لذلك الرجل : أيما أكثر صباح قمرىك أم سكوتة ؟ فقال لا بل صباحه فقال لا طلاق عليك ، فعلم بذلك الإمام مالك فقال : يا غلام من أين لك هذا ؟ فقال : لأنك

حدثني عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أم سلمة « أن فاطمة بنت قيس قالت
بارسول الله إن أبا جهم ومعاوية خطبائي ، فقال صلى الله عليه وسلم : أما معاوية
فصعلوك لا مال له ، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه » وقد علم رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن أبا جهم كان يأكل وينام ويستريح ، وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يضع
عصاه على الخزاز ، والعرب تجعل أغلب الفعلين كمدومته ، ولما كان صباح قمرى هذا أكثر
من سكوته جعلته كصياحه دائماً ، فتعجب الإمام مالك رضى الله تعالى عنه من احتجاجه
وقال له : أفت فقد أن لك أن تفتى : فأفتى من ذلك السن .

(غريبة) ذكر ابن خلكان وابن الأثير في تاريخهما : أن بعض الملوك بقلع الهند
أهدى للسلطان محمود بن سبكتكين هدايا كثيرة من جملتها طائر على هيئة القمري ، من خاصيته
أنه إذا حضر الطعام وفيه سم دعت عيناه وجرى منهما ماء وتحجر فإذا حلك ووضع على
الجرارات الواسعة يختمها ذكر ذلك ابن الأثير في حوادث سنة أربع وعشرين وأربعمائة ،
وذكره ابن خلكان في ترجمة السلطان المذكور ، ثم ذكر ابن خلكان في ترجمته عن إمام
الحرمين عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد عبد الله الجويني : أن السلطان المذكور كان حنفي
المذهب ، وكان مولعا بعلم الحديث ، وكان يسمع عنده الحديث ، وكان يسأل عن معناه
فيجد أكثره موافقا للمذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ، فجمع فقهاء المذهبين والتمس
منهما الكلام في ترجيح أحد المذهبين ، فوقع الاتفاق على أن يصلى بين يديه ركعتان على
مذهب الإمام الشافعي ، ثم على مذهب الإمام أبي حنيفة ركعتان ، فينظر السلطان إلى ذلك
ويختار الأحسن ، فصلى القفال المروزي بطهارة سابعة وشرائط معتبرة من الطهارة والسترة
واستقبال القبلة وأتى بالأركان والهيئات والسنن والأبعاد والآداب على وجه الكمال وكانت
صلاة لا يجوز الشافعي دونها ، ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة رضى الله عنه فلبس
جلد كلب مذبوغا ولطخ بعضه بالنجاسة وتوضأ بذيذ التمر ، وكان ذلك في صميم الصيف
فاجتمع عليه اللباب والبعوض ، وكان وضوءه منكسا منعكسا : ثم استقبل القبلة وأحرم
بالصلاة من غير نية في الوضوء وكبر بالفارسية ثم قرأ بها دو برك سبع ثم نقر كنفترات الدليك
من غير فصل بينها ومن غير طمأنينة ، وتشهد وضرط في آخرها وخرج من غير نية السلام
وقال : أيها السلطان هذه صلاة أبي حنيفة ، فقال السلطان : لو لم تكن هذه صلاة أبي حنيفة
لقتلتك لأن مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذودين ، فأنكرت الحنفية إن تكون هذه الصلاة
جائزة عند أبي حنيفة ، فطلب القفال كتب أبي حنيفة فأمر السلطان باحضارها وأمر نصرانيا
أن يقرأ كتب المذهبين جميعا فوجدت المصلاة التي صلاها القفال جائزة عند أبي حنيفة ، فأعرض
السلطان عن مذهب أبي حنيفة وتمسك بمذهب الشافعي رضى الله عنهما : وتوفي السلطان بغزة

سنة اثنتين وعشرين وأربعمئة وتفسير دو برك سبز ورقتان خضراوتان وهو معنى قوله تعالى - مدهامتان - قلت وقد ذكر أنه أتى بالسنن والأبعاض والآداب والهيئات ، فقوله لا يجوز الشافعي دونها غير مستقيم ، والمشهور أنه أتى بما لا تصح الصلاة إلا به .
(وحكمه) حل الأكل بالإجماع كالحمام لأنه نوع منه كما تقدم .

(التعبير) القمرية في المنام : امرأة دنية ، وقيل القمريّ رجل قارى لقصائد الشعر طيب الخنجر ، وقالت اليهود : من رأى قريبا أو بلبلا أو ما أشبه ذلك نال خيرا وإن كان له مسافر قدم عليه وإن كان غم فرج الله تعالى عنه وإن كانت له حاجة بعيدة قربت ، ومن رأى هذه الأشياء في زمن الربيع قضيت حاجته وإن رآها في غير زمن الربيع تأخرت حاجته إلى زمن الربيع ، وتدل رؤيتها للحامل على وضع ذكره ، والله تعالى أعلم .

﴿ القمعة ﴾ : بالتحريك ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر ، يقال الحمار يتمتع أى يحرك رأسه ، وقال الجاحظ : هو ضرب من ذباب الكلاب . قال في الكفاية : القمعة ذباب أزرق عظيم .

﴿ القمعة والقمعوظة ﴾ : دويبة حكاه ابن سيده .

﴿ القمل ﴾ : معروف واحدته قملة ويقال لها أيضا قمل قاله ابن سيده ، والقمل جمع قملة وقد قل رأسه بالكسر قملا ، وكنية القملة أم عقبة وأم طلحة ، ويقال للذكر أبو عقبة والجمع بنات عقبة وبنات الدروز ، والدروز الخياطة سميت بذلك لملازمتها إياها ، وقملة الزرع دويبة تطير كالجراد في خلقة الحلم وجمعها قمل قاله الجوهري ، والقمل المعروف يتولد من العرق والوسخ إذا أصاب ثوبا أو بدنا أو ريشا أو شعرا حتى يصير المكان عفنا : وقال الجاحظ : ربما كان الإنسان قمل الطبايع وإن تنظف وتعطر وبدل الثياب كما عرض لعبد الرحمن ابن عوف رضى الله تعالى عنه ، والزيبر بن العوام رضى الله تعالى عنه حتى استأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في لبس الحرير فأذن لهما فيه ، ولولا أنهما كانا في حد الضرورة لما أذن لهما فيه مع ما قد جاء في ذلك من التشديد ، فلما كان في خلافة عمر رضى الله تعالى عنه رأى على بعض بني المغيرة من أحواله قميص حرير فعلاه بالدرة ، فقال المغيرة : أو ليس عبد الرحمن بن عوف لبس الحرير ؟ قال عمر رضى الله تعالى عنه : وأنت مثل عبد الرحمن ابن عوف لا أم لك . قال : ومن طبع القمل أن يكون في شعر الرأس الأحمر أحمرو وفي الشعر الأسود أسود وفي الشعر الأبيض أبيض ، ومتى تغير الشعر تغير إلى لونه . قال : وهو من الحيوان الذى إنائه أكبر من ذكوره ، وقيل إن ذكوره الصئبان ، وقيل الصئبان بيضه كما تقدم في باب الصاد المهملة . روى الحاكم في أوائل المستدرک من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه

أنه قال : « يا رسول الله من أشد الناس بلاء ؟ قال صلى الله عليه وسلم : الأنبياء قال : ثم من ؟ قال عليه الصلاة والسلام : العلماء . قال : ثم من ؟ قال عليه الصلاة والسلام : الصالحون كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ، ويبتلى أحدهم بالفقر حتى لا يجد إلا العباءة يلبسها ، ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء » ثم قال صحيح الإسناد على شرط مسلم .

والقمل يسرع إلى الدجاج والحمام ويعرض للقردة .

وأما قملة النسر فهى التى تكون فى بلاد الجبل وتسمى بالفارسية دره ، وهى إذا عضت قتلت ، وهى أعظم من القمل وإنما سميت قملة النسر لأنها تخرج منه .

(فائدة) اختلف العلماء فى القمل المرسل على بنى إسرائيل فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : هو السوس الذى يخرج من الخنطة ، وقال مجاهد والسدى وقتادة والكلبى رضى الله تعالى عنهم : هو الجراد الطيار الذى له أجنحة ، وقيل الدبا وهو الجراد الصغار الذى لا أجنحة له ، وقال عكرمة رضى الله تعالى عنه : بنات الجراد ، وقال أبو عبيد : هو الحمان وهو ضرب من القراد ، وقال أبو زيد : البراغيث ، وقال الحسن وسعيد بن جبير دواب سود صغار ، وقال عطاء الخراسانى رضى الله تعالى عنه : هو القمل المعروف بإسكان الميم .

روى أن موسى عليه السلام مشى بغصاه إلى كتيب أعفر مهيل بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فضربه بعصاه فانتشر كله قملا فى مصر ، فنتبع ما بقى من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكله ولحس الأرض ، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه ، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلى قملا ، فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من ذلك القمل فإنه أخذ بشعورهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم عيونهم وجلودهم كأنه الجدرى فمنهم النوم والقرار ، فصرخوا وصاحوا إلى موسى عليه السلام إنا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء ، فدعا لهم موسى عليه الصلاة والسلام فرفع الله القمل عنهم بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت . والقمل هو أحد الآيات الخمس قال الله تعالى - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات - يتبع بعضها بعضا ، وتفصيلها أن كل عذاب يمتد أسبوعا وبين كل عذابين شهر .

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحاق رضى الله تعالى عنهم فى تفسير هذه الآية : لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتماذى فى الشر فتابع الله عليهم الآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ، فلما أتاهم موسى بالآيات الأربع اليد والعصا والسنين ونقص الثمرات أبوا أن يؤمنوا وأصروا على كفرهم ، فدعا عليهم

موسى عليه الصلاة والسلام فقال : رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغى وعتا ، وإن قومه قد نقضوا عهدك رب فخذهم بعقوبة تجعلها لهم ولقومي ولمن بعدهم آية وعبرة ، فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل الله عليهم السماء ، وكانت بيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة ومختلطة فامتألت بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة ، وركد الماء على أراضيهم لا يقدرين على حرث ولا غيره من الأعمال أسبوعا من السبت إلى السبت. وقال مجاهد وعطاءرضي الله تعالى عنهما : الطوفان الموت ، وقال وهب : الطوفان الطاعون بلغة اليمن ، وقال أبو قلابة : الطوفان الجدري وهو أول ما عذب به فبقى في الأرض. قال نحاة الكوفة : الطوفان مصدر لا يجمع كالرجحان والنقصان ، وقال أهل البصرة : هو جمع واحده طوفانة ، فقالوا لموسى عليه السلام : ادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء فأتين كشف عنا هذا البلاء لنؤمن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فدعا ربه فرفع عنهم الطوفان وأنبت لهم في تلك السنة شيئا لم ينبت لهم قبل ذلك من السكاك والزرع والتمر وأخصبت بلادهم ، فقالوا : ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصبا فلم يؤمنوا وأقاموا شهرا في عافية فبعث الله تعالى عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق الشجر حتى أكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والأمتعة ومسامير الأبواب من الحديد حتى وقعت دورهم وابتلوا بالجوع فكانوا لا يشبعون ، ولم يصب بني إسرائيل من ذلك شيء ، فعجوا وضجوا إلى موسى عليه السلام وسألوه رفع ذلك عنهم ، فدعا لهم فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام أسبوعا من السبت إلى السبت .

روى أن موسى عليه السلام برز إلى القضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت فأقاموا مصرين على كفرهم شهرا في عافية ، ثم بعث الله تعالى عليهم القمل وقد تقدم ذكره فعجوا وضجوا وسألوا رفع ذلك عنهم وقالوا إنا نتوب فدعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه أن يرفع ذلك القمل ، فرفع الله تعالى عنهم القمل بعد ما أقام عليهم أسبوعا من السبت إلى السبت ، فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم فأقاموا شهرا في عافية ، فبعث الله عليهم الضفادع لامتألت منها بيوتهم وأفنيتهم ، وكانت تدخل في فرشهم وبين ثيابهم وأطعمتهم وآيتهم فلا يكشف أحد منهم طعاما ولا إناء إلا وجد فيه الضفادع ، وكان الرجل يجلس في الضفادع إلى ذقنه ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه ، وكانت تأتي نفسها في القدر وهي تغلي فتنفسد طعامهم وتطفىء نيرانهم ولا يعجزون عجزنا إلا انشدخت فيه ، وإذا اضطجع أحدهم تركبه الضفادع حتى تكون عليه ركاما حتى لا يستطيع أن ينصرف إلى شقه الآخر ، فلقوا منها أذى شديدا فضجوا وصرخوا وصاحوا وسألوا موسى عليه السلام فقالوا ادع لنا ربك يكشفها عنا ، فدعا ربه فرفع الله تعالى عنهم الضفادع بعد

ما أقامت عليهم أسبوعا من السبت إلى السبت ، فأقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا العهود وعادوا لكفرهم ، فأرسل الله تعالى عليهم الدم فسال النيل عليهم دما وصارت مياههم دما فما يستقون من الآبار إلا دما عبيطا أحمر ، فشكوا إلى فرعون فقال ليس لنا شراب فقال إنه قد سحركم ، وكان فرعون يجمع بين القبطي والإسرائيلي على الإناء الواحد فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ، حتى كانت المرأة من آل فرعون تأتي المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش فتقول اسقيني من مائك فتصب لها من قربتها فيعود في الإناء دما ، حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم يجبه في في فتأخذ في فيها ماء فإذا مجته في فيها صار دما، وإن فرعون اعتراه العطش حتى إنه اضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها يصير ماؤها في فيه ملحا أجاجا ، فكثروا كذلك أسبوعا من السبت إلى السبت لا يشربون إلا الدم؛ وقال زيد بن أسلم : الدم الذي سلط عليهم كان الرعاف ، فأتوا موسى عليه السلام وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل ، فدعا لهم فرجع عنهم الدم فلم يؤمنوا فذلك قواه عز وجل - فلما كشفنا عنهم الزجر - وهو ما ذكره الله من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم . وقال ابن جبير : الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس حتى مات منهم سبعون ألفا في يوم واحد .

روينا عن عامر بن سعد بن أبي وقاص أنه سمع أباه يسأل أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الطاعون شيئا ؟ فقال أسامة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل أوعلى من قبلكم فإذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » فسألوا موسى عليه السلام فدعا ربه فكشفه عنهم ، فمادوا في كفرهم وطغيانهم إلى أن أغرق الله تعالى فرعون وملائه في اليم ، وقد تقدم ذكر غرقه في باب الحاء المهملة في لفظ الحصان .

قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر : كان ملك فرعون أربعائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لا يرى مكروها ، ولو حصل له في تلك المدة جوع يوم أو حمى ليلة أو وجع ساعة لما ادعى الربوبية قط .

وتند ظنرت بهذه القصة مختصرة فأوردتها عقب هذا لتحصل الفائدة . وهو أن موسى عليه السلام مشى بعصاه إلى كتيب أعفر مهيل فضربه فانتشر كله قتلا في مصر ، ثم لإنهم قالوا ادع لنا ربك في كشف هذا عنا فدعا فكشف عنهم فرجعوا إلى طغيانهم ، فبعث الله عليهم الضفادع فكانت تدخل في فرشهم وبين ثيابهم وإذا هم الرجل أن يتكلم دخلت الضفادع في فيه ، وتلقى نفسها في القدر وهي تغلي ، فقالوا ادع لنا ربك يسكنها ، فكشف عنهم

فرجعوا إلى كفرهم ، فبعث الله تعالى عليهم الدم فرجع ماؤهم الذى كانوا يشربونه دما فكان الرجل منهم إذا استقى من البئر وارتفع إليه الدلو عاد دما ، وقيل سلط الله تعالى عليهم الرعاف .

(فائدة أخرى) نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تقصع القملة بالنواة أى تقتل ، والقصع الدلك بالظفر وإنما خص النوى لأنهم كانوا يأكلونه عند الضرورة ، وقيل لأن النواة كانت مخلوقة من فضلة طينة آدم عليه الصلاة والسلام . وفى الحديث « أكرموا النخلة فإنها عمتمكم وفى حديث آخر « نعمت العمة لكم النخلة » وقيل لأن النوى قوت الدواب ، وقال الجوهري فى الحديث : « إنه نهى عن قصع الرطبة » وهو عصرها لتتشر .

(الحكم) يحرم أكل القمل بالإجماع ، وإذا ظهر على بدن المحرم أو ثيابه لم يكره له تنحيته ، فإن قتله لم يلزمه شيء لكن يكره أن يفلى رأسه أو لحيته فإن فعل وأخرج منها قملة فقتلها تصدق ولو بلقمة . قال الأکثرون : هذا التصديق مستحب ، وقيل واجب لما فيه من إزالة الأذى عن الرأس واللحية ، وليس هذا التصديق فداء للقملة حتى يدل ذلك على حل الأكل ، وإنما التصديق فى مقابلة الترفه الحاصل للمحرم . وأفاد الترمذى الحكيم أنه إذا وجد الجالس على الخلاء قملة لا يقتلها بل يدفنها ، فقد روى أنه من قتل قملة وهو على رأس خلائه بات معه فى شعاره شيطان فينسيه ذكر الله أربعين صباحا ، وقيل من قتل قملة على رأس خلائه لن يكفى الهم ماعاش ، وفى فتاوى قاضى خان : لا بأس بطرح القملة حية والأدب أن يقتلها .

(فرع) يجوز لبس الثوب الحرير لدفع القمل لأنه لا يقمل بالخاصية ، ولذلك رخص النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضى الله تعالى عنهما فى لبسه لذلك كما تقدم ورواه الشيخان ، والأصح أنه لا يختص بالسفر ، وفى وجه اختياره الشيخ أبو محمد الجوينى ، وابن الصلاح يختص به لأن الرواية مفيدة بذلك ، وقال مالك : لا يجوز لبسه مطلقا لأن وقائع الأحوال عنده لاتعم ، وهو وجه بعيد عندنا .

(فرع) إذا رأى المصلى فى ثوبه قملة أو برغوثا قال الشيخ أبو حامد الأولى أن يتغافل عنها فإن ألقاها بيده وأمسكها حتى يفرغ فلا بأس ، فإن قتلها فى الصلاة عنى عن دمها دون جلدتها وإن قتلها وتعلق جلدتها بظفره أو بثوبه بطلت صلاته . قال : ولا بأس بقتلها فى الصلاة كما لا بأس بقتل الحية والعقرب ، فإن ألقى القملة بيده فلا بأس . قال التامولى : وينبغى أن يختص جواز إلقائها بغير المسجد ، والذى قاله صحيح متعين لقوله صلى الله عليه وسلم « إذا وجد أحدكم القملة فى المسجد فليصرها فى ثوبه حتى يخرج من المسجد » رواه أحمد فى مسنده بإسناد صحيح ، وفى المسند أيضا عن شيخ من أهل مكة من قریش قال « وجد رجل فى ثوبه قملة فأخذها

ليطرحها في المسجد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفعل ردها في ثوبك حتى تخرج من المسجد» وإسناده أيضا صحيح، وقال البيهقي إنه مرسل حسن، ثم روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه رأى قملة على ثوب رجل في المسجد فأخذها فدفنها في الحصى ثم قال - ألم نجعل الأرض كفاتنا أحياء وأمواتا - قال: ويذكر نحو هذا عن مجاهد وعن ابن المسيب أنه يدفنها كالنخامة. قال: وروينا عن مالك بن عامر أنه قال: رأيت معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه يقتل البراغيث والقمل في الصلاة، وفي رواية: رأيت معاذ يقتل القمل في الصلاة، ولكن لا يعبت.

وروى البزار والطبراني في معجمه الأوسط عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا وجد أحدكم القملة في المسجد فليدفعها». وقال أبو عمر ابن عبد البر في التمهيد: وأما القملة والبرغوث فأكثر أصحابنا يقولون لا يؤكل طعام مات فيه شيء منهنما لأنهما نجسان، وهما من الحيوان الذي عيشه من دم حيوان لا عيش لها غير الدم ولها دم فهما نجسان. وكان سليمان بن سالم القاضي الكندي من أهل أفريقية يقول: إن ماتت القملة في ماء طرح ولا يشرب، وإن وقعت في دقيق ولم تخرج في الغربال لم يؤكل الخبز، وإن ماتت في شيء جامد طرحت وما حولها كالفأرة. وقال غيره من أصحابنا وغيرهم: إن القملة كالذباب سواء. وقال في التمهيد أيضا: ذكر نعيم بن حماد عن المبارك بن المبارك بن فضالة عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقتل القمل في الصلاة أو قتل القمل في الصلاة» قال نعيم: هذا أول حديث سمعته من ابن المبارك.

(الأمثال) قالت العرب: غل قمل: يضرب للمرأة السيئة الخلق، قال ابن سيد في الحديث: «النساء غل قمل يقذفها الله في عنق من يشاء ثم لا يخرجها إلا هو» وهذا بعض أثر. وفي الفائق في آخر باب الهاء مع الباء: أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: النساء ثلاث هينة لينة عفيفة مسالمة تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها، وأخرى وعاء للولد، وأخرى غل قمل يضعه الله في عنق من يشاء ويكفه عن يشاء. والرجال ثلاثة: رجل ذو رأي وعقل ورجل إذا حزبه أمر أتى ذا رأي فاستشاره، ورجل حائر بائر لا يأتمر رشيدا ولا يطيع مرشدا. وقال الأصمعي: كانوا يغلون الأسير بالقد وعليه الوبر، فإذا طال الغل عليه قمل فيأتي منه جهدا. يضرب لكل من يأتي في شدة، قال: وهذا هو السبب في قول حاتم الطائي: لو غير ذات سوار لطمنتي:

وذلك أنه مر ببلاد نميرة في بعض الأشهر الحرم فناداه أسير لهم يا أبا سفانة أكانى الإيسار والقمل. فقال: ويحك أسأت إذ نوهت باسمي في غير بلاد قومي، فساوم القوم به ثم قال:

أطلقوه واجعلوا يدي في الغل مكانه ففعلوا ، فجاءته امرأة ببعير لتفديه ، فقام فحمره فلطمته فقال : لو غير ذات سوار لطمتني ، يعني إني لا أقتض من النساء فعرف ففدى نفسه :

(الخواص) : قال الجاحظ : القمل يعترى ثياب غير الخجذومين . قال ابن الجوزي : والحكمة في ذلك أنه لما تولع الجذام بأطرافهم صعب عليهم الحك فنع الله عنهم ذلك لطفا بهم ، كما أنه منع عن الأخرس السمع لطفا به ، وإذا ألقيت القملة وهي حية أورثت النسيان كذا رواه ابن عدى في كامله في ترجمة أبي عبد الله الحكم بن عبد الله الأبيلى أنه روى بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ست خصال تورث النسيان : أكل سؤر الفأر ، وإلقاء القملة وهي حية ، والبول في الماء الراكد ، وقطع القطار ، ومضغ العلك ، وأكل التفاح الحامض » وبضد ذلك اللبان الذكر ، وأشار إلى ذلك الجاحظ بقوله : وفي الحديث « إن أكل التفاح الحامض وسؤر الفأر ونبت القملة يورث النسيان » قال : وفي حديث آخر « إن الذي يلقى القملة لا يكفي المم » . وقيل إن قراءة ألواح القبور والمشى بين المرأتين والنظر إلى المصلوب وأكل الكزبرة الخضراء وأكل الخبز الحار يورث النسيان : وأكل الحلوى وشرب العسل وأكل الخبز البارد يورث الذكاء ، والعامية تزعم أن لبس النعال السود يورث النسيان . وإذا أردت أن تعلم هل المرأة حامل بذكر أم بأنثى فخذ قملة واحلب عليها من لبنها في كف إنسان ، فإن خرجت القملة من اللبن فهي حامل بجارية وإن لم تخرج فهي حامل بذكر : وإن احتبس على إنسان بوله فخذ قملة من قمل بدنه واجعلها في إحليله فإنه يبول من وقته . وإن غسلت المرأة أصول شعرها بماء السلق منع القمل : ودهن القرطم إذا دهن به إنسان مات قله ، وإن غسل البدن بمخل وماء البحر قتل القمل . وإذا مسح الرأس والبدن بزيتي مقتول بدهن سمسم منع القمل من الرأس والثياب .

(التعبير) القمل في المنام على وجوه : فإذا كان في قيص جديد فإنه مال ، وهو للسلطان جند وأعوان وللوالى زيادة في ماله . ومن رأى القمل في ثوب خلق فهو دين يخشى زيادته ، والقمل على الأرض قوم ضعاف فإن دب إلى جانب إنسان فإنه يخالطهم . ومن رأى القمل وكرهه فإنه يرى أعداء ولا يقدرون له على مضرة . ومن رأى أنه قرصه القمل فإن قوما ضعفاء يرمونه بكلام ، ومن حكه القمل فلا بد أن يطالب بدين ، والقملة تعبر بامرأة لأن ابن سيرين أتاه رجل فقال رأيت كأن إنسانا أخذ من كمي قملة فألقاها ، فقال ابن سيرين : تطلق زوجتك على يده فكان كذلك . ومن رأى قملة طارت من صدره فإن أجبره أو غلامه أو ولده قد هرب ، والقمل الكثير مرض أو حبس لأنها أكثر ما تحدث على هؤلاء القوم ، وربما دلت رؤية القمل على العيال ، وتعبر رؤية القمل للمالك بجيشه وأعوانه وللوزير

بشرطته وللقاضي بالتوصلين إليه . ومن رأى أنه رمى قملة فإنه مخالف لسنة من السنن لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن رمى القمل ، ومن أكل قملة فإنه يغتاب إنسانا فإن وجد لها دما فإنه يغتاب رجلا ذا مال ، والقمل يعبر بأقوام يمشون بالتميمة بين الأقرباء ، وقتل القمل في المنام قهر الأعداء . وقال جاماسب : من التقط القمل فإنه يكذب عليه كذب فاحش ، والله أعلم .

﴿ القمام ﴾ : صغار القردان ، ضرب من القمل شديد التشبث بأصول الشعر الواحدة تقامة وتسميه العامة الطبوع وقد تقدم .

(الأمثال) قالت العرب :

• تقامة حكك يجنب البازل •

البازل من الإبل ما دخل في السنة التاسعة كما تقدم وهو أقواها ، يضرب للضعيف الدليل يحتك بالقوى العزيز :

﴿ قندر ﴾ : قال القزويني : هو حيوان برى بحرى يكون في الأنهار العظام يتخذ في البر إلى جانب البحر بيتا له بابان يأكل لحم السمك ، وخصيته تسمى الجندبادستر ، وقد تقدم في باب الجيم الكلام على ذلك .

﴿ القندس ﴾ : قال ابن دحية : إنه كلب الماء ، وفسر به حديث أبي هريرة رضى الله تعالى عنه الذى رواه الجماعة غير النسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تقاتلون بين يدي الساعة قوماً نعالهم الشعر » وفي رواية : « يلبسون الشعر ويمشون في الشعر وجوههم كالحجان المطرقة حمر الوجوه ، صغار الأعين ، ذلف الأنوف » قال ابن دحية : قوله يلبسون الشعر إشارة إلى الشرايشى التي يدار عليها بالقندس ، والقندس كلب الماء وهو من ذوات الشعر كالمعز وذوات الصوف الضأن وذوات الوبر الإبل انتهى ، وسيأتى إن شاء الله تعالى في باب الكاف حكم الكلب المائي . وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح : بحثنا عن القندس فلم يتبين لنا أنه ما كؤل أو غيره ، فينبغي أن يتورع عن الصلاة فيه ، ولنا وجهان فيما أشكل من الحيوان فلم يعلم أنه ما كؤل أو غيره .

﴿ القناب ﴾ : كسنجاب : العظيم من الوعول السمين .

﴿ القنفذ ﴾ : بالذال المعجمة وبضم الفاء وفتحها البرى منه كنيته أبو سفيان وأبو الشوك ، والأنثى أم دلدل والجمع القنفاذ ، ويقال لها العساسس لكثرة ترددتها بالليل ، ويقال للقنفذ أنقذ . وهو صنفان : قنفذ يكون بأرض مصر قدر الفأر ، ودلدل يكون بأرض الشام

والعراق في قدر الكلب القلطي، والفرق بينهما كالفرق بين الحرد والفأر. قالوا: إن القنفذ إذا جاع يصعد الكرم منكسا فيقطع العناقيد ويرى بها ثم ينزل فيأكل منها ما أطاق، فإن كان له فراخ تمرغ في الباقي ليستبك في شوكة ويذهب به إلى أولاده وهو لا يظهر إلا ليلا. قال الشاعر:

قنأذ هداجون حول بيوتهم بما كان إياهم عطية عودا

وهو مولع بأكل الأفاعي ولا يتألم بها، وإذا لدغته الحية أكل السعتر البري فيبرأ، وله خمسة أسنان في فيه، والبرية منها تسفد قائمة وظهر الذكر لاصق ببطن الأنثى. روى الطبراني في معجمه الكبير والحافظ ابن منير الحلبي وغيرهما عن قتادة بن النعمان قال: «كانت ليلة شديدة الظلمة والمطر فقلت لو أني اغتنمت الليلة شهود العتمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت، فلما رأيته قال صلى الله عليه وسلم: قتادة؟ قلت: لبيك يا رسول الله، ثم قلت: علمت أن شاهد الصلاة هذه الليلة قليل فأجبت أن أشهدا معك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرفت فائتني، فلما فرغت من الصلاة أتيت إليه فأعطاني عرجونا كان في يده وقال: هذا يضيء أمامك عشرا ومن خلفك عشرا ثم قال صلى الله عليه وسلم: إن الشيطان قد خلفك في أهلك فأذهب بهذا العرجون فاستضيء به حتى تأتي بيتك فتجده في زاوية البيت فاضربه بالعرجون. قال: فخرجت من المسجد فأضاء العرجون مثل الشمعة نورا فاستضأت به وأتيت أهلي فوجدتهم قد رقدوا، فنظرت إلى الزاوية فإذا فيها قنفذ، فلم أزل أضربه بالعرجون حتى خرج» رواه الإمام أحمد والبخاري ورجال أحمد رجال الصحيح.

(فائدة) روى البيهقي في أواخر دلائل النبوة عن أبي دجاجة واسمه سماك بن خرشة قال: «شكوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم أني نمت في فراشي فسمعت صريرا كصرير الرحي ودويا كدوى النحل ولما كلمع البرق، فرفعت رأسي فإذا أنا بظل أسود يعلو ويطول في صحن دارى فسمت جلده فإذا هو كجلد القنفذ فرمى في وجهي مثل شرر النار، فقال صلى الله عليه وسلم: عامر دارك يا أبا دجاجة، ثم طلب صلى الله عليه وسلم دواة وقرطاسا وأمر عليا رضي الله تعالى عنه أن يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول رب العالمين إلى من يطرق الدار من العمار والزوار إلا طارقا يطرق بخير، أما بعد: فإن لنا ولكم في الحق سعة، فإن كنت عاشقا مولعا أو فاجرا ممتحا فهذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحق، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ورسلانا يكتبون ما تمكرون، اتركوا صاحب كتابي هذا وانطلقوا إلى عبدة الأصنام وإلى من يزعم أن مع الله إلها آخر، لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون. حم لا ينصرون. حم عسق تفرق أعداء الله وبلغت حجة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

العلی العظیم - فسیکفیهم الله وهو السميع العليم - قال أبو دجانة رضی الله عنه : فأخذت الكتاب وأدرجته وحملته إلى دارى وجعلته تحت رأسى فبت ليلتى ، فما انتهت إلا من صراخ صارخ يقول : يا أبا دجانة أحرقتنا بهذه الكلمات ، فبحق صاحبك إلا ما رفعت عنا هذه الكلمات فلا عود لنا فى دارك ولا فى جوارك ولا فى موضع يكون فيه هذا الكتاب . قال أبو دجانة : فقلت والله لا أرفعه حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو دجانة : فلقد طالت على ليلتى بما سمعت من أنین الجن وصراخهم وبكائهم حتى أصبحت فغدوت فصليت الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته بما سمعت من الجن ليلتى وما قلت لهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا دجانة ارفع عن القوم فوالذى بعثنى بالحق نبيا إنهم ليجدون ألم العذاب إلى يوم القيامة » قال البيهقى : وقد ورد فى حرز أبى دجانة رضی الله عنه حديث طويل غير هذا موضوع لا تحل روايته ، وهذا الذى رواه البيهقى رواه الديلمى الحافظ فى كتاب الإنابة والقرطبى فى كتاب التذكار فى أفضل الأذكار .

(الحكم) قال الشافعى : يحل أكل القنفذ لأن العرب تستطيبه . وقد أفتى ابن عمر بإباحته . وقال أبو حنيفة والإمام أحمد : لا يحل لما روى أبو داود وحده أن ابن عمر رضی الله عنهما سئل عنه فقرا - قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما - الآية ، فقال شيخ عنده : سمعت أبا هريرة رضی الله تعالى عنه يقول « ذكر القنفذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خبيث من الخباث » فقال ابن عمر رضی الله تعالى عنهما : إن كان قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فهو كما قال . قلت : والجواب أن رواته مجهولون . قال البيهقى : ولم يرو إلا من وجه واحد ضعيف لا يجوز الاحتجاج به ، وما روى عن سعيد بن جبیر أنه قال « جاءت أم حفيد رضی الله عنها بقنفذ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت بين يديه فنحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأكله » فهو مرسل ، وقد روى مسندا وليس فيه ذكر القنفذ ، وقيل أراد أنه خبيث الفعل دون اللحم لما فيه من إخفاء رأسه عند التعرض للذبحه وإبداء شوكة عند أخذه . وسئل مالك عنه فقال : لأدرى ، وقال القفال : إن صح الخبر فهو حرام وإلا رجعنا إلى العرب هل تستطيبه أم لا ؟ وقال الرافعى : يقال إن له كرشا ككرش الشاة . (الأمثال) قالوا : أسرى من قنفذ ، وقالوا : ذهبوا أسراء قنفذ يعنى ذهبوا ليلا لأن القنفذ يسرى فى الليل كثيرا ، وقد تقدم هذا فى باب الحمزة فى لفظ أنقذ .

(الخواص) مرارة البرى منه إذا طلى بها موضع الشعر المتوف لا ينبت فيه شعر أبدا ، وإذا اكتحل بها أزلت البياض من العين ، وإذا خلطت بشىء من الكبريت وطللى بها البهق أزالته ، وإن شرب من مرارته نفع من الجذام والسل والزحير ، وإن خلطت بدهن ورد وقطر فى أذن من به صمم قديم أبرأه إذا داوم عليه أياما ، ولحمه إذا أكل نفع من السل

والجذام والبرص والتشنج ووجع الكلى، وإن مسح بشحمه ودمه وبرائه المعقود عن النساء حله، وطحاله يسقى لمن به وجع الطحال بشراب العسل فإنه يبرئه، وكليته تجفف ويسقى منها وزن درهم مسحوقا بماء الحمص الأسود من به عسر البول فيبرأ سريعا، وإن قتل قنفذ وقطع رأسه بسيف لم يقتل به إنسان وعلق على الخنون والمصروع والخبل أبراه، وإن قطع طرف رجله اليمنى وهو حي وعلقت على صاحب الحمى الحارة والباردة من غير أن يعلم ماهو مربوط في خرقه كتان أبراه، وعينه اليمنى تغلى بشيرج وتجعل في إناء نحاس فن اكتحل به لم يخف عليه شيء في الليل بل يراه كأنه نهار وشار العيارين يفعلون ذلك، وعينه اليسرى تغلى بزيت وترفع في قارورة فإذا أردت أن تنوم إنسانا فخذ منه بطرف الميل وأدنه إلى أنفه فإنه ينام من ساعته، وأظفار يده اليمنى يبكر بها المحموم فتذهب حماه، وطحاله إذا شوى وأكله من به وجع الطحال أبراه والأول أسرع وهو ماتقدم، ومرارته تعجن بسمن عتيق وتحمّل بها المرأة في قبلها فإنها تلتقي ما في جوفها، ودمه يطلى به على عضه الكلب يسكن ألمها، ولحمه المملح ينفع من داء الفيل والجذام وهو جيد لمن يبول في فراشه، وجميع أصناف القنفاذ بيضها أصفر جدا لا يؤكل، وإذا أخذ بول القنفذ وسقى بشراب لمن أعياه مرضه ثلاثة أيام: أبراه، وإن علق قلبه على من به حمى الربيع أبراه، وإذا طلى الجذوم بشحمه نفعه.

(وأما رؤيته في المنام) فإنه يدل على المسكر والخداع والتجسس والاحتقار والشر وضيق القلب وسرعة الغضب وقلة الرحمة، وربما يدل على فتنة يشهر فيها السلاح، والله تعالى أعلم.

﴿ القنفذ البحري ﴾ : قال القزويني : مقدمه يشبه مقدم القنفذ البري ومؤخره يشبه السمك طيب اللحم جدا . قال ابن زهر : ويعالج به عسر البول وريشه أين يشبه الشعر .

﴿ القنفشة ﴾ : دويبة معروفة عند أهل البادية حكاه ابن سيده .

﴿ القريبي ﴾ : بالفتح يعقوب ، وقيل العنكبوت .

﴿ القريبية ﴾ : طائر يكون بهامة فيه بياض وخضرة : وهو نوع من الحجل قاله ابن سيده أيضا .

﴿ القرائر ﴾ : الضفادع ، وقد تقدم ما فيها في باب الضاد المعجمة .

﴿ القواع ﴾ : بضم القاف الذكر من الأرنب .

﴿ القوب ﴾ : الفرخ ، ومنه قولهم في المثل : تخلصت قائمة من قوب : فالقائمة قشر البيضة قال السكيت :

لحن وللمشيب ومن علاها من الأمثال قاقبة وقوب
وقال أعرابي من بنى أسد لناجر استخفروه : إذا بلغت بك مكان كذا وكذا فبرمت
قاقبة من قوب : أى أنا برىء من خفارتك .

﴿ القوبع ﴾ : بضم القاف وفتح الباء الموحدة طائر أسود أبيض الذنب يكثر تحريك ذنبه
وقد تقدم فى آخر باب العين المهمل .

﴿ القوقع ﴾ : بفتح القاف المثلثة الظلم ، وقد تقدم فى باب الظاء المعجمة .

﴿ القوب ﴾ : بالضم طائر مائى طويل العنق قاله فى العباب .

﴿ قوقيس ﴾ : قال القزوينى : إنه طائر بأرض الهند من شأنه أنه عند التزاوج يجمع
حطباً كثيراً فى عشه ، ولا يزال الذكر منه يحك منقاره بمنقار الأنثى حتى تأجج النار من حركتها
فى ذلك الحطب وتشتعل ويحترق فيها ، فإذا سقط المطر على ذلك الرماد تولد منه دود ثم تنبت له
أجنحة ثم يصير طيراً ثم يفعل كفعل الأول من الحك والاحتراق :

﴿ قوقى ﴾ : بضم القاف الأولى وكسر الثانية صنف من السمك عجيب جدا على رأسه
شوكة قوية يضرب بها : حكى الملاحون أن هذه السمكة إذا جاءت رمت نفسها إلى شئ
من الحيوان فيبتلعها ، ثم إنها تضرب بشوكتها أحشاءه حتى تهلكه ، وربما تخرج من شق
بطنه تتغذى منه هى وغيرها ، وإذا قصدها قاصد فى الماء تضربه بالشوكة فيهلك ، ولعلها
تضرب السفينة بالشوكة فتحرقها وتغرق أهلها وتأكل منهم ، والملاحون يعرفون ذلك
فيجملون على السفينة جلد تلك السمكة فإن شوكتها لاتعمل فيه كذا قاله القزوينى :

﴿ قيد الأوابد ﴾ : الفرس الجواد ، قيل له ذلك لأنه يمنع الوحش الفوات لسرعته ،
والأوابد الوحوش . قال امرؤ القيس :

• بمنجرد قيد الأوابد هيكل •

﴿ قيب ﴾ : بكسر أوله طائر على قدر النجامة ، وأهل الشام يسمونه أبا زريق ، وهو
ألوف للناس ، فيه قبول للتعلم وسرعة إدراك لما يعلم ، وقد تقدم فى باب الزاى .

﴿ أم قشعم ﴾ : بفتح القاف النسب والعنكبوت والضبع واللبوة والمنية والداهية والحرب
والدنيا أيضا : قال زهير :

فشدّ ولم ينظر بيوتا كثيرة إلى حيث ألتقت رحلها أم قشعم
قبل أرؤد أحد هذه الأشياء : وقال آخر :

فخر صريعا لليدين وللنم إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم

﴿ أبو قير ﴾ : طائر معروف قاله ابن الأثير وغيره وقد تقدم .

﴿ أم قيس ﴾ : هي بقرة بني إسرائيل ، وقد تقدم ذكرها في باب المباء وفي باب العين المهملة في العجل .

باب الكاف

﴿ الطاسر ﴾ : العقاب يقال كسر الطائر يكسر كسرا وكسورا : إذا ضم جناحيه يريد الوقوع وعقاب كاسر . قال الشاعر :

كأنه بعد كلال الزاجر ومسحه مر عقاب كاسر

ويعدى فيقال كسر جناحيه قاله ابن سيده .

﴿ طاسر العظام ﴾ : المكلفة ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الميم .

﴿ الكبش ﴾ : فحل الضأن في أي سن كان ، وقيل إذا أنثى وقيل إذا أربع والجمع أكباش وكباش .

روى الجماعة عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال «ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين فسمى وكبر ووضع رجله على صفحتها» .

وروى أبو داود وابن ماجه عن جابر رضي الله عنه قال «ذبح النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر كبشين أقرنين أملحين موجودين فلما وجهها قال صلى الله عليه وسلم : إني وجهت وجهي الذي فطر السموات والأرض حنيقا - إلى قوله - وما أنا من المشركين - اللهم منك وإليك عن محمد وأمته ، بسم الله والله أكبر ثم ذبح» قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

قوله أملحين : الأملح الذي بياضه أكثر من سواده ، وقيل هو النقي البياض ، وفي الحديث الآخر في صحيح مسلم «يطأ في سواد ويبرك في سواد وينظر في سواد» ومعناه : أن قوائمه وبطنه وما حول عينيه أسود ، ونقل عن أصحاب الحديث أن معنى كونه ينظر في سواد ويبرك في سواد ويطأ في سواد أن ذلك يكون في ظل نفسه لسمته .

وروى ابن سعد في طبقاته «أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدي له ترس فيه تمثال كبش فوضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال» وفي رواية «أنه كان له صلى الله عليه وسلم ترس فيه تمثال كبش» وفي رواية «تمثال عقاب فسكره النبي صلى الله عليه وسلم مكانه فأصبح وقد أذهب الله تعالى» .

وفي سنن أبي داود وابن ماجه عن أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء: قل للذين يتفقهون لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ، ويلبسون للناس صوف الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياى يخادعون وبى يستهزمون لأنحن لهم فتنة تدع الحكيم حيرانا » .

وروى البيهقي في الشعب عن عمر رضى الله تعالى عنه قال « نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تمنطق به فقال صلى الله عليه وسلم : انظروا إلى هذا الذى نور الله قلبه ، لقد رأيت بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ، ولقد رأيت عليه حلة اشترت بمائتى درهم فدعاها حب الله وحب رسوله إلى ماترونا » انتهى .

وفي الصحيحين عن خباب بن الأرت قال « هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله عز وجل فوق أجرنا على الله فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم نجد له ما نكفنه به إلا نمره كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطينا بها رجله خرج رأسه ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغطي رأسه وأن نجعل على رجله من الإذخر ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها » أى يجتنبها وهو إشارة إلى ما فتح الله عليهم من الدنيا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والكبش هو الذبيح العظيم الذى فدى الله به إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وإنما سمي عظيما لأنه رعى فى الجنة أربعين عاما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : قال : وهو الكبش الذى قرّبه هابيل فتقبل منه . قال : ولو تمت تلك الذبيحة لصارت ستة ولذبح الناس أبناءهم . واستشهد أبو حنيفة رحمه الله تعالى بهذه القصة على أن من نذر ذبيح ولده يازمه ذبيح شاة ، ومنع الجمهور ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم « لا نذر فى معصية الله ولا نذر لابن آدم فيما لا يملك » .

وقد اختلف العلماء فى الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق عليهما الصلاة والسلام ، فذهب قوم إلى أنه إسحاق منهم عمر وعلى وابن مسعود والعباس وكعب وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء والزهرى والسدى ، قالوا كانت هذه القصة بالشام .

وروى عن سعيد بن جبير أنه قال : أرى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح إسحاق فى المنام فسار به مسيرة شهر فى روضة واحدة حتى أتى به المنحر فى منى ، فلما أمره الله تعالى بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر فى روضة واحدة طويت لهما الأودية والجبال . واحتجوا أيضا بقوله تبارك وتعالى — فبشرناه بغلام بلغ معه السعى قال يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك — قالوا : وليس فى القرآن أنه بشر بولد سوى ما قال فى سورة هود— وبشرناه

بإسحاق - ومن ذهب إلى أنه إسحاق شيخ التفسير محمد بن جرير الطبري رحمة الله عليه - وروى عن مالك .

وقالت فرقة : الذبيح إسماعيل ، واحتجوا بأن الله تعالى ذكر البشارة بإسحاق بعد الفراغ من قصة الذبيح قال - وبشرناها بإسحاق ومن راء إسحاق يعقوب - فكيف يأمره بذبح إسحاق . وقد وعده بنافلة منه . قال محمد بن كعب القرظي : سألت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رجلا من علماء يهود وكان قد أسلم وحسن إسلامه أي ابني إبراهيم أمر بذبحه ؟ فقال : إسماعيل ، ثم قال : يا أمير المؤمنين إن يهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم يا معشر العرب على أن يكون أبوكم الذي أمر الله تعالى بذبحه ويزعمون أنه إسحاق أبوهم ، ومن الدليل عليه أن قرني الكبش كانا موطين بالكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت واحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج . قال الشعبي رحمه الله : رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة . وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : والذي نفسى بيده لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد وخش يعني قد يبس . وقال الأصمعي سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق كان أو إسماعيل ؟ فقال : يا أصمعي أين ذهب عقلك متى كان إسحاق بمكة ؟ وإنما كان إسماعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه . قال محمد بن إسحاق : كان إبراهيم إذا زار هاجر وإسماعيل حل على البراق فيعدو من الشام ويقبل بمكة ، ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرمانه أمر في المنام أن يذبحه ، وذلك أنه رأى ليلة التروية كأن قائلًا يقول له : إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا ، فلما أصبح روى في نفسه أي فكر أمن الله هذا أم من الشيطان ؟ فن ثم سمى يوم التروية ، فلما أمسى رأى مارأى في المنام ثانيا ، فلما أصبح عرف أنه من الله تعالى فن ثم سمى يوم عرفة فهم بنحر ابنه ففداه الله تعالى بالكبش :

روى البيهقي في البعث والنشور من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما فدى إسحاق بالكبش قال الله عز وجل : إن لك دعوة مستجابة ، فقال له إبراهيم : تعجل دعوتك لا يدخل الشيطان فيها شيئا . قال إسحاق : اللهم من لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئا فاغفر له » .

وكنية جماعة من الصحابييات رضي الله تعالى عنهن أم كبشة منهن أم كبشة بنت معد بكر بن عمة الأشعث بن قيس .

روى الدارقطني عن معاوية بن حديج بحاء مهملة مضمومة ودال مهملة مفتوحة وبالجم في آخره « أن أم كبشة هذه سألت النبي صلى الله عليه وسلم أنها آلت أن تطوف بالبيت

الحرام حبوا، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: طوفى على رجلك سبعين سبعين يدبك. وسبعا عن رجلك قلت: والحكم المذكور غريب لم أر من صرح به من الفقهاء فلذلك ذكرته هنا وإن لم يكن له تعلق بالكتاب، ثم رأيت بعد ذلك في آخر باب النذر من المحرر لمجد الدين بن تيمية من الخنابلة فقال: ومن نذر أن يطوف على أربع لزمه أن يطوف طوافين نص عليه يعنى الإمام أحمد، ثم رأيت في تاريخ مكة لأبي الوليد الأزرقي مرويا من حديث عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه سئل عن امرأة نذرت أن تطوف على أربع قال: تطوف عن يديها سبعا وعن رجلها سبعا.

(فائدة) روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جيء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ويقال يا أهل الجنة خلودوا بلا موت ويا أهل النار خلودوا بلا موت، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأندرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر» وفي رواية الترمذى «فيقال هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، فيضجع فيذبح، فلولا أن الله تعالى قضى لأهل الجنة بالحياة والبقاء لما اتوا فرحا ولولا أن الله تعالى قضى لأهل النار بالحياة والبقاء لما اتوا ترحا» وإنما جيء بالموت على هيئة كبش لما أن ملك الموت عليه السلام أتى آدم عليه الصلاة والسلام في صورة كبش أملح قد نشر من أجنحته أربعمائة جناح.

قال ابن عباس والكاتبى ومقاتل في قوله تعالى - الذى خالق الموت والحياة - خالقهما جسمين جعل الموت فى هيئة كبش أملح لا يمر على شىء ولا يجد ريحه شىء إلا مات، والحياة على هيئة فرس أنثى بقاء، وهى التى كان جبريل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر على شىء ولا تطأ شيئا ولا يجد ريحها شىء إلا حي، وهى التى أخذ السامرى من ترابها فألقاه على العجل انتهى. وهذه هى الحكمة فى فداء الذبيح بكبش ليكون فدى من الموت بشكل الموت، ولما سر بذبحه سر أهل الجنة أيضا بذبحه منة عليهم. ونقل القرطبي عن كتاب خلع النعائين: أن الذابح للكبش بين الجنة والنار يحبى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فى اسمه إشارة إلى الحياة الأبدية، وذكر صاحب كتاب الفردوس أن الذى يذبحه جبريل عليه السلام.

(فائدة أخرى) قال ابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير والضحاك والحسن رضى الله تعالى عنهم فى قوله تعالى - قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم - أن الذى يكبر فى صدورهم الموت. قال السهيلي: وهو تفسير يحتاج إلى تفسير. قال: وقال

بعض المتأخرين: إن الموت الذى يستعظمونه سيفنى حين يذبح بين الجنة والنار فكذلك أتم فتنون. ورأيت فى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة وهب بن منبه أنه قال: إن لله تعالى فى السماء السابعة دارا يقال لها البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح يسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم.

(فائدة أخرى) قال البونى فى اللمعة النورانية من السر البديع: إذا كان الإنسان يخاف على نفسه من قتل أو عذاب أو غيره فليذبح كبشا سمينا سليما من العيوب كما فى الأضحية يذبحه فى موضع خال ذبحا سريعا موجها إلى القبلة، ويقول عند الذبح: اللهم هذا لك ومنك اللهم إنه فدائى فتقبله منى، ويحفر لدمه حفرة ويردمها بالتراب حتى لا يبطأ أحد على دمه، ويضعه ستين جزءا الجلد جزء والرأس جزء والبطن جزء إلى أن يأتى على الستين جزءا، ولا يأكل منه شيئا لاهو ولا من تجب عليه نفقته ويفرقه على الفقراء والمساكين فإنه يكون فداء له ولا يناله مكروه من جهة الأمر الذى يخشاه، وهو متفق عليه مجرب معمول به والله تعالى المحسن لعبيده المنعم عليهم، قال: وإن كان يخاف من أمر دون ذلك فليطعم ستين مسكينا من أفضل الطعام ويشبعهم ويقول: اللهم إني أستكفي هذا الأمر الذى أخافه بهمم هؤلاء، وأسألك بأنفسهم وأرواحهم وعزائمهم أن تخلصني مما أخاف وأحذر فإنه يفرج عنه، وهذا أيضا متفق عليه معمول به مستفيض عند أهل الطريقة.

(وحكم الكبش) تقدم، ومنه أنه تحرم المناطحة بالكباش، لما روى أبو داود والترمذى من حديث مجاهد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما «أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحريش بين البهائم» والتحريش الإغراء وتهيج بعضها على بعض كما يفعل بين الكبش والديوك وغيرهما. وفى الكامل فى ترجمة غالب بن عبد الله الجزرى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله تعالى لعن من يحرش بين البهائم» قال الحلیمی: وهو حرام ممنوع منه لا يؤذن لأحد فيه، لأن كل واحد من المتحارشين يؤلم صاحبه ويحرجه، ولو أراد المحرش أن يفعل ذلك بيده ما حل له، وعن الإمام أحمد فى ذلك روايتان: التحريم والكراهة.

(الأمثال) قالوا: عند النطاح يظهر الكبش الأجم وهو الذى لا قرن له: يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له. وكان الحسن يقول: يا ابن آدم السكين تحم والتنور يسجر والكبش يعتلف.

روى السهيلي وغيره «أن عبد الله بن الزبير لما ولد قال النبي صلى الله عليه وسلم: هو هو، فلما سمعت بذلك أمه أسماء بنت الصديق رضى الله تعالى عنهما أمسكت عن إرضاعه،

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : أرضعيه ولو بماء عينيك ، كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه .

ومما قيل في ليالى صيفين :

الليل داج والكباش تنتطح نطاح أسد ما أراها تصططح
فن يقاتل في وغاها مانجا ومن نجا برأسه فقد ربح

(الخواص) خصية الكبش تشوى وتطعم لمن يبول في الفراش يبرأ من ذلك إذا داوم عليه . وإن تعسر على المرأة الولادة فليؤخذ شحم كبش وشحم بقر وماء الكراث وتخلط جميعا وتحمل به المرأة فإنها تلد بسهولة ، وكليته إذا نزعته بعروقها وجففت في الشمس وأذيت بدهن الزئبق وطلى به مكان نبت فيسه الشعر ، ومرارته إذا طلى بها الثديان انقطع اللبن .

روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أنس رضى الله تعالى عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصف من عرق النسا ألية كبش عربى أسود ليس بالعظيم ولا بالصغير تجزأ ثلاثة أجزاء فيذاب ويشرب منه كل يوم جزء » ورواه الحاكم وابن ماجه ونقلهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « شفاء عرق النسا أن يؤخذ ألية كبش فتذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ثم تشرب على الريق ثلاثة أيام في كل يوم جزء » قال عبد اللطيف البغدادي : هذه المعالجة تصلح للأعراب الذين يعرض لهم هذا المرض من ييس .

(التعبير) الكبش في الرؤيا : رجل شريف القدر لأنه أشرف الدواب بعد ابن آدم لأنه كان فداء لإسماعيل عليه السلام ، ومن رأى كبشا ينطح فرج امرأة فإنها تأخذ بالمقراض ما على فرجها من الشعر ، ومن رأى أنه أخذ ألية كبش أخذ مال رجل شريف القدر ويتزوج بابنته لأن ألية الكبش مال الرجل ومن يتبعه من عقبه ، ومن ذبح كبشا لغير الأكل فإنه يقتل رجلا عظيما ، وإن ذبحه للأكل نجا من هم على يد رجل عظيم القدر ، وإن كان مريضا يبرأ من مرضه . وقال أراطميدورس : الكبش يدل على رجل رئيس لتقدمه على الغنم ، وهو دليل خير لمن يركبه إذا كان الموضع مرتفعا ، والكبش الأجم وال معزول ورجل ذليل أو خصى ، ومن نكح كبشا فرق بينه وبين ماله رجل عظيم ، ومن ركب كبشا في مكان مستو من الأرض وكان من الأوباش الخداعين الذين يحبون الفتن والكلام فإنه يصلب لأن هذا الحيوان من حيوان عطارد ، ومن حمل كبشا على ظهره فإنه يتقلد مؤنة رجل ضخم . ومن رأى نعجته صارت كبشا فإن زوجته لا تحمل ، فإن لم تكن له زوجة نال قوة ونصرة على عدوه ، وكبش الإنسان سلطانه وأميره . وقد يكون كبشه كيسه فإذا حدث فيه شئ فانسبه إلى الكيس .

أتى شخص إلى ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال : رأيت كبشين يتناطحان على فرج امرأتى ، فقال له : إن امرأتك قد أخذت بالمقراض شعر فرجها لتعذر موسى ، ومن ضحى بكبشين فإنه ينجو من جميع الموم ، وإن كان مسجوناً خرج من السجن ، وإن كان في حرب سلم ، وإن كان عليه دين قضى ، وإن كان مريضاً شفى . ومن رأى كبشين يتناطحان فإنهما ملكان يقتتلان فأيهما هزم صاحبه فهو الغالب ، وتنسب السود من الكباش إلى العرب والبيض إلى العجم ، وإن تساويا في الألوان فانظر إلى الجهة التي كان الثابت فيها كان أهلها منصورين ، ومهما أخذ الإنسان من أصوافها أو قرونها فهو مال يناله وقس على هذا والله تعالى أعلم .

﴿ الكبعة ﴾ : بفتح الكاف وإسكان الباء الموحدة دابة من دواب البحر قاله ابن سيده .

﴿ الكتفان ﴾ : بضم الكاف وإسكان التاء المثناة فوق وبعدها فاء الجراد أول ما يطير الواحد كتفانة ، ويقال هو الجراد بعد الغوغاء أوله السر ثم الدب ثم الغوغاء ثم الكتفان .

﴿ الكنع ﴾ : كرتب أردأ ولد الثعلب ، والجمع كنعان بكسر الكاف .

﴿ الكدر ﴾ : بضم الكاف وإسكان الدال المهملة طير في ألوانها كدرة .

روى ابن هشام وغيره « أن النبي صلى الله عليه وسلم غزا قرقرة الكدر في النصف من المحرم على رأس ثلاثة عشر شهرا من مهاجرته صلى الله عليه وسلم » وهي ناحية بأرض سليم على ثمانية برد من المدينة وحل لواءه صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فأخذ صلى الله عليه وسلم نعمهم وقسم غنائمهم وهي خمسمائة بعير فأخرج صلى الله عليه وسلم خمسة وقسم أربعة أخماسه على المسلمين فأصاب كل واحد منهم بعيرين وكانوا مائتي رجل ، وصار يسار رضي الله عنه في سهم النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه حين رآه يصلى ، وغاب صلى الله عليه وسلم عن المدينة خمس عشرة ليلة ، وقرقرة بنفخ القافين أرض ملساء . وقال البكري : هي بضم القاف وإسكان الراء وبعدهما مثلهما والمعروف في ضبطهما الفتح .

﴿ الكركر ﴾ : كجعفر طائر ببحر الصين يطير تحت طائر يقال له خرشة يتوقع ذرقه لأن غذاءه منه ، وخرشة طائر أكبر من الحمام وهو لا يذرق إلا وهو طائر كذا ذكره القزويني .

﴿ الكركند ﴾ : رأيت بخط إسماعيل بن محمد الأمير ما مثاله : روى أنه في جزائر الصين والهند الكركند حيوان طوله مائة ذراع فأكثر من ذلك ، له ثلاثة قرون : قرن بين

عينية وقرنان على أذنيه ، يطعن الفيل فيأخذه في قرنه ويبقى بين عينيه مدة ، ويبقى ولد الكركند في بطن أمه أربع سنين ، وإذا تم له سنة يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى الشجر مما يصل إليه ، وإذا تم له أربع سنين وقع من بطن أمه وفر كالبرق حتى لا تدركه فتلحسه بلسانها ، لأن لسانها فيه شوك كبير غليظ إذا لحسته أزال لحمه عن عظمه في لحظة واحدة ، وملوك الصين إذا عذبوا أحدا سلموه إلى الكركند يلحسه فيبقى عظاما ليس عليه من اللحم شيء انتهى .

وسماه الجاحظ الكركدن ويسمى الحمار الهندي ويسمى الحريش كما تقدم ، وهو عدو الفيل ومعادنه بلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس ، ويقال إنه متولد بين الفرس والفيل وله قرن واحد عظيم في رأسه لا يستطيع لثقله أن يرفع رأسه ، وهذا القرن مصمت قوى الأصل حاد الرأس يقاثل به الفيل فلا يفيد معه ناباه ، وإذا نشر قرنه طولا تخرج منه الصور المختلفة بياض في سواد كالطاوس والغزال وأنواع الطير والشجر وصور بني آدم وغير ذلك من عجائب النقوش يتخذون منه صفائح على سرر الملوك ومناطقهم ويتغالون في أمثالها ، وزعم أهل الهند أن الكركند إذا كان بأرض لم يدع شيئا من الحيوان إلا ما كان بينه وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه ، ويزعمون أنه ربما نطح الفيل فرفعه على قرنه ، ويقال إن الأنتى من هذا النوع تحمل كأنتى الفيل ثلاث سنين أو سبع سنين ويخرج ولدها نابت الأسنان والقرون قوى الخوافر : وقيل إذا قاربت الأنتى أن تضع يخرج الولد رأسه منها فيرعى أطراف الشجر ثم يرجع ، وقد أنكر الجاحظ هذا ، وليس في الحيوان ذو قرن مشقوق الطرف غيره ، وهو يجتر كالبقرة والغنم والإبل ويأكل الحشيش لكنه شديد العدواة للإنسان إذا شم رائحته أو سمع صوته طلبه فإذا أدركه قتله ولا يأكل منه شيئا : ويقال الأنتى كركندة قاله الزمخشري .

(وأما حكمه) فلم أر أحدا تعرض له مع التتبع الشديد والسؤال العديد ، والظاهر حله لأكله الشجر ولكونه يجتر ولا يمنع من ذلك كونه يعادى الإنسان فالضبع يعاديه ويؤكل فإن ثبت أنه متولد من الفرس والفيل حرم وهو بعيد .

(الخواص) على رأس قرنه شعبة مخالفة لانحناء القرن وهي لها خواص عجيبة . وعلامة صحتها أن يرى منها شكل فارس ، ولا توجد تلك الشعبة إلا عند ملوك الهند : ومن خواصها حل كل عقد ، فلم أخذما صاحب القولنج بيده شق في الحال ، والمرأة التي ضربها الطلق إن أمسكتها بيدها تلد في الحال ، وإن سحق منها شيء يسير وسقى المصروع أفاق ، وحاملها يأمن من عين السوء ولا يكبو به الفرس ، وإذا تركت في الماء الحار عاد باردا ، وعينه اليمنى تعلق

على الإنسان نزول عنه الآلام كلها ولا يقربه الجن ولا الحيات واليسرى تنفع من النافض والحصى ، ويتخذ من جلده التجافيف فلا تعمل فيها السيوف .

(خاتمة) قال ابن عمر بن عبد البر في [كتاب الأمم]: أشرف حلئ أهل الصين من قرن الكركند ، فإن قرونها متى قطعت ظهر منها صور عجيبة مختلفة فيتخذون منها مناطق تبلغ قيمة المنطقة منها أربعة آلاف مثقال ذهباً ، والذهب عندهم هين عابهم حتى يتخذوا منه لجم دوابهم وسلاسل كلابهم . قال : وأهل الصين بيض إلى الصفرة فطس الأنوف يبيحون الزنا ولا ينكرون شيئاً منه ، ويورثون الأنثى أكثر من الذكر ، ولهم عيد عند نزول الشمس الحمل يأكلون فيه ويشربون سبعة أيام ، وإقليمهم واسع فيه نحو ثمانمائة مدينة وفيه عجائب كثيرة . قال ، والأصل في ذلك أن عامور بن يافث بن نوح عليه السلام نزلها وابتنى بها المدائن هو وأولاده وعملوا فيها العجائب ، وكانت مدة ملك عامور ثلاث مائة سنة ثم ملك بعده ابنه صاين بن عامور مائتي سنة وبه سميت الصين فجعل حينئذ تمثالاً من ذهب على صورة أبيه على سرير من ذهب وعكف هو وقومه على عبادته وفعلوا بجميع ملوكهم ذلك وهم على دين الصابئين . قال : ووراء الصين أمم عرارة منهم أمة يلتحفون بشعورهم ، وأمم لا شعر لهم ، وأمم حمر الوجوه شقر الشعور ، وأمم إذا طلعت الشمس هربوا إلى مغارات يأوون إليها إلى أن تغرب الشمس ، وأكثر ما يأكلون نبات يشبه الكمأة وسمك البحر ، ثم ذكر بعد هؤلاء يأجوج ومأجوج . قال : وأجمعوا على أنهم من ولد يافث بن نوح ، ثم ختم الكتاب بأن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « مررت بهم ليلة أسرى بنى فدعوتهم فلم يجيبوا » .

(وأما تعبير رؤياه في المنام) فإنه ملك عظيم جائر ، وقيل إن رؤياه تدل على الحرب والمخادعة مع حقارته وعجمته ودناءة أصله ، وربما كان مسلطاً بماله وولده .

﴿ الكركي ﴾ : طائر كبير معروف والجمع الكركي ، وكنيته أبو عريان وأبو عيناء وأبو العيزار وأبو نعيم وأبو الهيصم : وذهب بعض الناس إلى أنه الغرنوق وهو أغبر طويل الساقين والأنثى منه لا تتعد للذكر عند السفاد وسفاده سريع كالصفرور ، وهو من الحيوان الذي لا يصلح إلا برئيس لأن في طبعه الحذر والتحارس بالثوبية ، والذي يحرس يهتف بصوت خفي كأنه ينذر بأنه حارس فإذا قضى نوبته قام الذي كان نائماً يحرس مكانه حتى يقضى كل ما يلزمه من الحراسة ولها مشتات ومصايف ، ومنها ما يلزم موضعاً واحداً ومنها ما يسافر بعيداً ، وفي طبعه التناصر ، ولا تطير الجماعة منه متفرقة بل صفاً واحداً يقدمها واحد كالرئيس لها وهي تتبعه يكون ذلك حيناً ثم يخلفه آخر منها مقدماً حتى يصير الذي كان

مقدما مؤخرا ، وفي طبعه أن أبويه إذا كبرا عالما ، ومدح هذا الخلق أبو الفتح كشاجم حيث يقول مخاطبا لولده :

اتخذ في خلة في الكراكي أتخذ فيك خلة الوطواط

أنا إن لم تبرني في عناء فبيري ترجو جواز البصراط

ومعنى قوله : خلة الوطواط أنه يبر ولده فلا يتركه بمضيعة بل يحمله معه حينما توجه ، وقد كذب المحدثون جميع بن عمير التيمي في قوله : إن الكراكي تفرخ في السماء ولا تقع فراخها وله في السنن الأربعة ثلاثة أحاديث ، وحسن له الترمذي لكنته من عتق الشيعة . قال القزويني والكوكي لا يمشي على الأرض إلا بإحدى رجليه ويعلق الأخرى ، وإن وضعها وضعها وضعها خفيفا مخافة أن تحسف به الأرض ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في مالك الحزين طرف من هذا والملوك مصر وأمراتها في صيده تغال لا يدرك حده وإفناق مال لا يستطاع حصره وعده فلذلك علت مملكتهم على كثير من الممالك ، وإن يهلك على الله إلا هالك أو مهالك . وفي مصنف عبد الرزاق عن معمر بن قتادة عن أنس وأبي موسى أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان نقش خاتمه كركي له رأسان . قال ابن بطال : وهذا إن كان صحيحا فلا حجة فيه لإباحة ذلك لترك الناس العمل به ولنهيه صلى الله عليه وسلم عن التصوير .

(فائدة) ذكر السهيلي عن رواية ابن إسحاق : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان في بني سعد نزل عليه كركيان فشق أحدهما بمنقاره جوفه ووجع الآخر في فيه بمنقاره ثلجا أو بردا أو نحو هذا . قال : وهي رواية غريبة ذكرها يونس عنه .

وفي أوائل المجالسة للدينوري « أنه أقبل عليه صلى الله عليه وسلم طيران أبيضان كأنهما نسران إلى آخره » .

وفي المستدرک « فأقبل عليه صلى الله عليه وسلم طيران أبيضان كأنهما نسران » وذكر الحديث بطوله .

وروى ابن أبي الدنيا وغيره بإسناد يرفعه إلى أبي ذر رضي الله عنه قال « قلت : يا رسول الله كيف علمت أنك نبي وبم علمت حتى استيقنت ؟ قال صلى الله عليه وسلم . يا أبا ذر أتاني ملكان فوق أحدهما بالأرض وكان الآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ قال : هو هو . قال : فزنه برجل فوزنتي برجل فرجحتته ، ثم قال : زنه بعشرة ، فوزنتي فرجحتهم ، ثم قال : زنه بمائة ، فوزنتي فرجحتهم ، ثم قال : زنه بألف ، فوزنتي فرجحتهم ، ثم قال أحدهما لصاحبه : شق بطنه ، فشق بطني فأخرج قلبي فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم ، ثم قال أحدهما لصاحبه : اغسل بطنه غسل الإناء واغسل قلبه غسل الملاء ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خط بطنه ، فخط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو

الآن ووليا عنى فكأنى أعابن الأمر معاينة « اه . قلت : وفي هذا الحديث من الفوائد أن خاتم النبوة لم يكن قبل ذلك ، واختلف العلماء في صفته على عشرين قولاً حكها الحافظ قطب الدين . ففي سيرة ابن هشام أنه كأثر الحجمة القابضة على اللحم ، وفي الحديث أنه كان حوله خيلان فيهما شعرات سود :

وروى أنه كان كالنفاحة وكزر الحجلة مكتوب عليه : لا إله إلا الله محمد رسول الله وقد تقدم في باب الحاء المهملة ما وقع فيه للترمذى . وروى أنه كان كبيضة الحمامة :

وروى الحاكم والترمذى في المناقب عن أبي موسى رضى الله تعالى عنه قال : خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحا لهم ، فخرج إليهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هذا سيد الخلق أجمعين هذا رسول رب العالمين هذا بيئته الله رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ قريش : ما أعلمك بهذا ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجداً لله تعالى وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يفعل ذلك إلا النبي وإنى لأعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل النفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهاهم به لم يجده ، وكان صلى الله عليه وسلم في رعية الإبل فقال : أرسلوا إليه فأرسلوا إليه فأقبل صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة تظله ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى في الشجرة ، فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال في الشجرة عليه : قال : فينا هو قائم عليهم يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه فالتفت فإذا هو بسبعة من الروم قد أقبلوا فاستقبلهم وقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : أخبرنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا وقد بعث إليه أناس ، وإنما قد أخبرنا يقيناً أنه في طريقك هذا ، فقال : هل خلقتم أحداً هو خير منكم ؟ قالوا : لا ، وإنما اخترنا طريقك هذا لأجلك قال : أفرايتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس أن يردّه ؟ قالوا : لا . قال : فبايعوه وأقاموا معه ثم قال : أنشدكم بالله أيكم وليه ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا رضى الله عنهما وزوده الراهب من الكعك والزيت : قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب اه ورجال سنده جميعهم مخرج لهم في الصحيح . قال الحافظ الدمي : في هذا الحديث وهمان : الأول قوله فبايعوه وأقاموا معه ، والثاني قوله وبعث معه أبو بكر بلالا ولم يكونا معه ولم يكن بلال أسلم ولا ملكه أبو بكر بعد بل كان أبو بكر حينئذ لم يبلغ عشرين سنة ، ولم يملك بلالا إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاماً . قال السهيلي : والحكمة في خاتم النبوة على جهة الاعتبار أنه صلى الله عليه وسلم لما ملئ قلبه حكمة وبقينا ختم عليه كما يختم على

لموعاء المملوء مسكا أودرا . وأما وضعه أسفل من غضروف الكتف فلأنه صلى الله عليه وسلم معصوم من وسوسة الشيطان ، وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم لما روى ميمون ابن مهران عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى « أن رجلا سأل ربه سنة أن يريه موضع الشيطان منه فأرى جسدا كالبلور يرى داخله من خارجه والشيطان في صورة ضفدع عند نغص كتفه يحاذي قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة قد أدخله إلى قلبه يوسوس له فإذا ذكر الله العبد خنس » وقد تقدم هذا في باب اللصاح المعجمة من الضفدع منقولاً عن الزمخشري : قلت : وانشقاق الصدر حصل له صلى الله عليه وسلم مرتين إحداهما في صغره وهى هذه ، والأخرى في كبره ليلة الإسراء ، ففي الصحيحين من حديث أنس وأبي ذر أنه صلى الله عليه وسلم قال « فرج عنى سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطشت من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فأفرغه في صدرى ثم أطبعه » .

وقال أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة إنه صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال « بينا أنا في الحطيم ، وربما قال في الحجر بين النائم واليقظان ، إذ نزل على رجلان فأثبت بطشت من ذهب مملوء حكمة وإيمانا فشق صدرى من النحر إلى مرق البطن واستخرج قلبي ففعل ثم حشنى ثم أعيد » وقال سعيد بن هشام « ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ إيمانا وحكمة ثم أتيت بالبراق فركبته » الحديث بطوله . وقال قوم : عرج به صلى الله عليه وسلم من دار أم هانئ أخت على بن أبي طالب رضى الله عنهما .

(الحكم) يحل أكله بلا خلاف ، وما أوهمه كلام العبادى من جريان خلاف طير الماء الأبيض فيه شاذ مردود . وقال الأصحاب : ما كان من الطيور المأكولة أكبر من الحمام كالبط والكركي إذا قتلها الحرم أو قتلت في الحرم فيه قولان : أحدهما : إيجاب الشاة إلحاقا بالحمام من باب أولى لأنه أكبر شكلا من الحمام ، ويشهد له قول عطاء في عظام الطير شاة الكركي والحبارى والإوز . والقول الثانى : اعتبار القيمة وهو القياس فإن الشاة في الحمام لاتباع النقل ، ويشهد له قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : ما كان سوى حمام الحرم ففيه ثمنه إذا أصابه الحرم .

(الأمثال) قال : فلان أحرص من الكركي لأنه يقوم الليل كله على إحدى رجله كما تقدم . ومن أحسن ما يحكى عن الإمام الزاهد القدوة أبي سليمان الداراني أنه قال : اختلفت إلى مجلس قاض فتكلم فأحسن في كلامه فأثر كلامه في قلبي ، فلما قمت لم يبق في قاي منه شيء فعدت ثانيا فسمعت كلامه فبقي في قلبي أثر كلامه في الطريق ثم زال ، ثم عدت ثالثا فبقي في قلبي أثر كلامه حتى رجعت إلى منزلى فلزمت الطريق ، فحكيت هذه الحكاية ليحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى فقال : عصفور اصطاد كركيا أراد بالعصفور ذلك القاضى وبالكركي أبا سليمان .

(الخواص) لحم الكركي بارد يابس لادسم له أجوده صيد البازي ينفع أصحاب الكبد . لكنه سبي* المضم ؛ ويدفع ضرره إنضاجه بالأبازير الحارة ، وهو يولد دما غليظا ويوافق أصحاب الأمزجة الحارة لاسيما الشباب وأجود أكله في الشتاء ، ويختار أن يتحلى بعده بالحلوى العسلية فإنها مما يسهل خروجه ، ويجب أن لا يؤكل إلا بعد يوم أو يومين ، وتشد في أرجلها الحجارة وتعلق ليرخص لحمها وتنضج في طبخها وتستمر أ عند أكلها ، وكذلك يفعل فيما لحمه كذلك غليظ عسر الاستمرار لاسيما إنائها . ومرارته تنفع من القرع ، وإذا خلصت مع دماغه بزئبق وسعط بها الذي ينسى فإنه يذكر ما ينساه ، ومن أحب أن لا ينبت في بدنه شيء من الشعر فليأخذ جزءا من الذراريح ومثله مخ كركي ويدقهما جميعا ويطلبي بهما أي موضع اختاره من بدنه فإنه لا يطلع فيه شعر .

(التعبير) الكركي في المنام : تدل رؤيته على رجل مسكين غريب . ومن رأى كأنه راكب كركيا فإنه يفتقر . ومن رأى أنه ملك كثيرا منها أو وهب له فإنه ينال رياسة ومالا ، ولحم الكركي لمن أراد المشاركة أو الزواج دليل خير لأنها لا تفرق في طيرانها ، وقيل إن من رأى أنه أخذ كركيا صاهر قوما سيئة أخلاقهم . وقالت النصارى والروم : من رأى كركيا سافر سفرا بعيدا ، وإن رآه مسافر رجع إلى بلده . وقال أراطميدورس : الكراكي في الشتاء تدل على اللصوص وقطاع الطريق ، وهي دليل خير لمن أراد الأولاد لأنها تعين آباءها عند الكبر ، والله أعلم .

﴿ الكروان ﴾ : يفتح الكاف والراء المهملة : طائر يشبه البط لا ينام الليل سمي بضد من الكرى والأثني كروانته ، وجمع كروان كروان بكسر الكاف كورشان وورشان على غير قياس قال بكر بن سوادة في خالد بن صفوان :

عليم بتنزيل الكتاب لمقن ذكور بما أسداه أول أولا

ترى خطباء الناس يوم ارتجاله كأنهم الكروان عابن أجدلا

وقال طرفة في أبياته التي كانت سبب قتله :

لنا يوم والكروان يوم تطير اليباسات ولا نظير

فأما يومهن فيوم سوء تطاردهن بالحرب الصقور

وأما يومنا فنظلس ركبا وقوفا ما نحل ولا نسير

فكتب له عمرو بن هند وللمتلسم كتابين إلى عاملة المسكعير بقتلهما فقتل طرفة وسلم المتلمس لما قرئت عليه الصحيفة ، والقصة في ذلك مشهورة وتقدمت الإشارة إليها في القبرقة ووقع ذكر هذه الصحيفة في سنن أبي داود في آخر كتابه الزكاة . وذلك أن عيينة بن حصن الغزاري والأقرع بن حابس التميمي قدما على النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه فأمر لهما عليه

الصلاة والسلام بما سألاه وأملى عليه الصلاة والسلام معاوية رضى الله عنه فكتب لهما بما سألاه ، فأما الأقرع فأخذ كتابه فلفه فى عمامته وانطلق إلى قومه ، وأما عيينة فأخذ كتابه وأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد أترانى حاملا إلى قومي كتابا لأدرى ما فيه كصحيقة المتلمس فقال صلى الله عليه وسلم : « من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار . قالوا : يا رسول الله وما الذى يغنيه ؟ قال صلى الله عليه وسلم قدر ما يغديه أو يعشيه » اه .

(وحكمه) حل الأكل بالإجماع :

(الأمثال) قالوا : أجب من كروان لأنه إذا قيل : أطرق كرا إن النعام فى القرى ، التصق بالأرض فيلقى عليه ثوب فيصا ، وهذا المثل يضرب للمعجب بنفسه قال الشاعر :

أمير أبي موسى يرى الناس حوله كأنهم الكروان أبصر بازيا

وقالوا فيه :

شهدت بأن الخبز باللحم طيب وأن الحبارى خالة الكروان
يضرب عند الشيء يتمنى ولا يقدر عليه .

(الخواص) قال القزويني : إن لحمه وشحمه يحركان الباه تحريكا عجيبا .

﴿ الكسوعرم ﴾ : كحلقوم الحمار لغة حميرية والميم زائدة فيه ، وكسع حتى من حمير باليمن رماة ، ومنه قولهم : ندمت ندامة الكسعى ، وهو رجل من كسع مجاور بن قيس رأى نبعة فرماها حتى اتخذ منها قوسا فرمى الوحش عنها ليلا فأصاب وظن أنه أخطأ فكسر القوس ، فلما أصبح رأى ما أصمى من الصيد فندم . قال الشاعر :

ندمت ندامة الكسعى لما رأت عيناه ما صنعت يداه

روى الطبراني وغيره من حديث عبد الرحمن بن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا زكاة فى الكسعة والجهة والنخة » فسر أبو عبيدة وغيره بأن الكسعة الحمير والجهة الخيل والنخة العبيد . وقال الكسائي : إنما هو النخة بضم النون وهى البقر العوامل .

﴿ الكعيت ﴾ : البلبل جاء مصغرا كما تقدم وجمعه كعئات .

(عجيبة) ذكر الأزرقى فى تاريخ مكة أن طائرا أضغر من الكعيت لونه لون الحبرة بريشة حمراء وريشة سوداء دقيق الساقين طويلهما له عنق طويل دقيق المنقار طويله كأنه من طير البحر ، أقبل يوم السبت يوم سبع وعشرين من ذى الععدة سنة ست وعشرين ومائتين حين طلعت الشمس والناس إذ ذاك فى الطواف كثير من الحاج وغيرهم ، وعبر من ناحية أجياد حتى وقع فى المسجد الحرام قريبا من زمزم مقابل الحجر الأسود ، فنكث ساعة طويلة ثم طار حتى صدم الكعبة فى نحو وسطها بين الركن اليماني والحجر الأسود وهو إلى الحجر

الأسود أقرب ، ثم وقع على منكب رجل في الطواف عند الحجر الأسود من الحاج من أهل خراصان محرم فلبى وهو على منكبه الأيمن فطاف به الرجل أسابيع والناس يدنون منه وينظرون إليه وهو ساكن غير مستوحش منهم ، والرجل الذى هو عليه يمشى في الطواف وسط الناس وهم ينظرون إليه ويتعجبون وعينا الرجل تدمعان على خديه ولحيته . قال عبد الله بن ربيعة : رأيت على منكبه الأيمن والناس يدنون منه وينظرون إليه فلا ينفر منهم ولا يطير فطفت أسابيع ثلاثة كل ذلك أخرج من الطواف فأركع خلف المقام ثم أعود وهو على منكب الرجل . قال ثم جاء إنسان من أهل الطواف فوضع يده عليه فلم يطير ، وطاف به بعد ذلك ثم طار هو من قبل نفسه حتى وقع على يمين المقام ، ومكث ساعة طريلة وهو يمد عنقه ويقبضها إلى جناحه والناس ينظرون إليه ، فأقبل فتى من الحجة فضرب بيده فيه فأخذه ليريه رجلا منهم كان يركع خلف المقام . فصاح الطير في يده أشد صياح بصوت لا يشبه أصوات الطيور ففرع منه وأرسله من يده فطار حتى أتى بين يدي دار الندوة خارجا من الظلال قريبا من الأسطوانة الحمراء ، واجتمع الناس ينظرون إليه وهو مستأنس في ذلك كله غير مستوحش من الناس ، ثم طار من قبل نفسه فخرج من باب المسجد الذى بين دار الندوة ودار العجلة نحو قعيقعان ، وقد تقدم في باب الهزمة في الأيم ما ذكره الأزرقى مما يشبه هذا :

﴿ الككم ﴾ : طائر بأرض طبرستان حسن موثى حسن العينين جدا سمي باسم صياحه الذى يصيحه وربما اصطاد العصافير وصغار الطير مما يكون في الآجام والمياه وغيرها ، لكن لاني جميع السنة بل في فصل الربيع ، فإذا صاح اجتمعت عليه العصافير وصغار الطيور مما يكون في الآجام والمياه وغيرها فترقه من أول النهار ، فإذا كان آخر النهار أخذ واحدا منها فأكله فذلك فعله في كل يوم إلى أن ينتفضى فصل الربيع ، فإذا انتفضى انعكست عليه فلا تزال تجتمع عليه وتطرده وتضربه وهو يهرب منها ولا يسمع له صوت إلى فصل الربيع الآخر . وذكر على بن زيد الطبرى صاحب فردوس الحكمة أن هذا الطائر لا يكاد يرى قدماه على الأرض بل يطاء على إحدى رجليه على البدل . وذكر الجاحظ أن الككم من عجائب الدنيا وأنه لا يطاء على الأرض بقدميه جميعا خشية أن تنخسف من تحته كما تقدم في الكركى ، ومثل هذا يأتي إن شاء الله تعالى في مالك الحزين والنعام .

﴿ الكلب ﴾ : حيوان معروف ، وربما وصفت به فقيل للرجل كلب وللمرأة كلبة والجمع أكلب وكلاب وكليب مثل أعبد وعباد وعبيد وهو جمع عزيز والأكاب جمع أكلب : قال ابن سيده : وقد قالوا في جمع كلب كلابات . قال الشاعر :

أحب كلب في كلابات الناس إلى نهجا كلب أم عباس

وكلاب اسم رجل من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان . وكلاب إما منقول من المصدر الذى هو فى معنى المكالبة نحو كالتب العدو مكالبة وكلابا وإما جمع كلب ، وسموه بذلك طلبا للكثرة كما سما سباع وأنمار . قيل لأبى الدقيس الأعرابى : لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسنها نحو مرزوق ورباح ؟ فقال : إنما نسمى أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا وكأنهم قصدوا بذلك التفاؤل بمكالبة العدو وقهره ، والسكبة أنثى الكلاب وجمعها كليات ولا تكسر . والكلب حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء وهو لا سيع ولا بهيمة حتى كأنه من الخلق المركب ، لأنه لو تم له طباع السبعية ما ألف الناس ولو تم له طباع البهيمية ما أكل لحم الحيوان لكن فى الحديث إطلاق البهيمة عليه . روى مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « بينما امرأة تمشى بفلاة من الأرض اشتد عليها العطش فنزلت بثرا فشربت ثم صعدت فوجدت كلبا يأكل الثرى من العطش ، فقالت : لقد بلغ بهذا الكلب مثل الذى بلغ بى ، فنزلت البئر فلأت خلفها وأمسكته فيها ثم صعدت فسقته فشكر الله لها ذلك وغفر لها . قالوا : يا رسول الله أولنا فى البهائم أجر ؟ قال : نعم فى كل كبد رطبة أجر » .

وهو نوعان أهلى وسلوقى نسبة إلى سلوق وهى مدينة باليمن تنسب إليها الكلاب السلوقية ، وكلا النوعين فى الطبع سواء ، وفى طبعه الاحتلام ، وتحيض إنثائه وتحمل الأنثى ستين يوما ومنها ما يقل عن ذلك وتضع جراها عميا فلا تفتح عيونها إلا بعد اثني عشر يوما ، والذكور تهيج قبل الإناث وهى تنزو إذا كمل لها سنة وربما تسفد قبل ذلك وإذا سفد الكلبة كلاب مختلفة الألوان أدت إلى كل كلب شبهه ، وفى الكلب من اقتفاء الأثر وشم الرائحة ما ليس لغيره من الحيوانات ، والجيفة أحب إليه من اللحم الغريض ويأكل العذرة ويرجع فى قيئه ، وبينه وبين الضبع عداوة شديدة . وذلك أنه إذا كان فى مكان عال أو موضع مرتفع ووطئت الضبع ظله فى القمر رمى بنفسه عليها مخذولا فتأخذه فتأكله ، وإذا دهن كلب بشحمها جن واختلط ، وإذا حمل الإنسان لسان ضبع لم تنجح عليه الكلاب . ومن طبعه أنه يحرس ربه ويحمى حرمه شاهدا وغائبا ذاكرا وغافلا نائما ويقظانا ، وهو أيقظ الحيوان عينا فى وقت حاجته إلى النوم وإنما غالب نومه نهارا عند الاستغناء عن الخراسة ، وهو فى نومه أسمع من فرس وأحذر من عقق ، وإذا نام كسر أجفان عينيه ولا يطبقها وذلك لخفة نومه ، وسبب خفته أن دماغه بارد بالنسبة إلى دماغ الإنسان . ومن عجيب طباعه أنه يكرم الجللة من الناس وأهل الوجاهة ولا ينبج أحدا منهم وربما حاد عن طريقه وينبح الأسود من الناس والدنس الثياب والضعيف الحال . ومن طباعه البصبصة والترضى والتودد والتأف

بحيث إذا دعى بعد الضرب والطررد رجع، وإذا لاعبه ربه عضه العض الذي لا يؤلم وأضره لو أنشأها في الحجر لنشبت ، ويقبل التأديب والتلقين والتعليم، حتى لو وضعت على رأسه مسرجة وطرح له مأكول لم يلتفت إليه مادام على تلك الحالة فإذا أخذت المسرجة عن رأسه وثب إلى مأكوله ، وتعرض له أمراض سوداوية في زمن مخصوص ، ويعرض له الكلب بفتح اللام وهو داء يشبه الجنون . وعلامة ذلك أن تحمر عيناه وتلوهما غشاوة ، وتسترخي أذناه ، ويندلع لسانه ، ويكثر لعابه وسيلان أنفه ، ويطأطي رأسه وينحذب ظهره ، ويتعوج صلبه إلى جانب ، ولا يزال يدخل ذنبه بين رجله ، ويمشي خائفا مغموماً كأنه سكران ، ويجوع فلا يأكل ويعطش فلا يشرب وربما رأى الماء فيفزع منه وربما يموت منه خوفاً ، وإذا لاح له شبح حمل عليه من غير نبح والكلاب تهرب منه فإن دنا منها غفلة بصيبت له وخضعت وخشعت بين يديه . فإذا عقر هذا الكلب إنسانا عرض له أمراض رديئة : منها أن يمتنع من شرب الماء حتى يهلك عطشا ولا يزال يستقي حتى إذا سقى الماء لم يشربه فإذا استحسنت هذه العلة به فقعد للبول خرج منه شيء على هيئة الكلاب الصغار .

قال صاحب الموجز في الطب : الكلب حالة كالجدام تعرض للكلب والذئب وابن آوى وابن عرس والثعلب . ثم ذكر غالب ما تقدم . وقال غيره : الكلب جنون يصيب الكلاب فتموت وتقتل كل شيء عضته إلا الإنسان فإنه قد يعالج فيسلم ، قال : وداء الكلب يعرض للحمار ويقع في الإبل أيضا فيقال كلبت الإبل تكلب كلبا وأكلب القوم إذا وقع في إبلهم ، ويقال كلب الكلب واستكلب إذا ضرى وتعود أكل الناس انتهى .

وذكر القزويني في عجائب المخلوقات أن بقريه من أعمال حلب بئر يقال لها بئر الكلب إذا شرب منها من عضه الكلب برى ، وهي مشهورة . قال : وقد أخبرني بعض أهل القرية أن المكلوب إذا لم يجاوز أربعين يوما وشرب منها برى ، أما إذا جاوز الأربعين فإنه يموت ولو شرب منها . وذكر أنه شاهد ثلاثة أنفس مكلوبين شربوا منها فسلم اثنان وكانا لم يبالغا الأربعين ومات الثالث وكان قد جاوز الأربعين ، وهذه البئر يشرب منها أهل الضيعة .

وأما السلوق فمن طباعه أنه إذا عابن الأطباء قرية منه أو بعيدة عرف المقبل من المدبر ومشى الذكر من مشى الأنثى ، ويعرف الميت من الناس والمتاوت ، حتى إن الروم لا تدفن ميتا حتى تعرضه على الكلاب فيظهر لهم من شمها إياه علامة تستدل بها على حياته أو موته ، ويقال إن هذا لا يوجد إلا في نوع منها يقال له القلطي وهو صغير الجرم قصير القوائم جدا ويسمى الصيني ، وإناث السلوق أسرع تعلمنا من الذكور والفهد بالعكس كما تقدم ، والسود من الكلاب أقل صبورا من غيرها .

وفي كتاب [فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب] لمحمد بن خلف المرزباني عن

عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا قتيلا فقال صلى الله عليه وسلم : ماشأنه ؟ قالوا : إنه وثب على غنم بنى زهرة فأخذ منها شاة فوثب عليه كلب الماشية فقتله ، فقال صلى الله عليه وسلم : قتل نفسه وأضاع دينه وعصى ربه وخان أخاه ، وكان الكلب خيرا منه » . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كلب أمين خير من صاحب خثون . قال : وكان للحارث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم وكان شديد المحبة لهم ، فخرج في بعض متزهاته ومعه ندماءؤه فتخلف منهم واحد فدخل على زوجته فأكلها وشربا ثم اضطجعا فوثب الكلب عليهما فقتلهما ، فلما رجع الحارث إلى منزله وجدتهما تميلين فعرف الأمر فأنشأ يقول :

وما زال يرعى ذمتى ويحوظنى ويحفظ عرسى والخليل يحون
فيا عجباً للخل يهتك حرمتى ويا عجباً للكلب كيف يصون

وذكر الإمام أبو الفرج بن الجوزى في بعض مصنفاته : أن رجلا خرج في بعض أسفاره فمر على قبة مبنية أحسن بناء بالقرب من ضيعة هناك وعليها مكتوب : من أحب أن يعلم سبب بنائها فليدخل القرية ، فدخل القرية وسأل أهلها عن سبب بناء القبة فلم يجد عند أحد خبرا من ذلك إلى أن دل على رجل قد بلغ من العمر مائتى سنة ، فسأله فأخبره عن أبيه أنه حدثه أن ملكا كان بتلك الأرض وكان له كلب لا يفارقه في سفر ولا حضر ولا نوم ولا يقظة ، وكانت له جارية خرساء مقعدة فخرج ذات يوم إلى بعض متزهاته وأمر بربط الكلب لثلا يذهب معه ، وأمر طبائحه أن يصنع له طعاما من اللبن كان يهواه ، وأن الطباخ صنعه وجاء به فوضعه عند الحارية والكلاب وتركه مكشوبا وذهب ، فأقبلت حية عظيمة إلى الإناء فشربت من ذلك الطعام وردته وذهبت ، ثم أقبل الملك من متزهته وأمر بالطعام فوضع بين يديه فجعلت الحارية تصفق بيديها وتشير إلى الملك أن لا يأكله فلم يعلم أحد ما تريد ، فوضع الملك يده في الصحفة وجعل الكلب يعوى ويصيح ويجذب نفسه من السلسلة حتى كاد أن يقتل نفسه ، فتعجب الملك من ذلك وأمر بإطلاقه فأطلق فغدا إلى الملك وقد رفع يده باللقمة إلى فيه فوثب الكلب وضربه على يده فأطار اللقمة منها ، فغضب الملك وأخذ طبرزا كان يجنيه وهم أن يضرب به الكلب ، فأدخل الكلب رأسه في الإناء وولغ من ذلك الطعام فانقلب على جنبه وقد تناثر لحمه ، فعجب الملك ثم التفت إلى الحارية فأشارت إليه بما كان من أمر الحية ، ففهم الملك الأمر وأمر بإزالة الطعام وتأديب الطباخ على كونه ترك الإناء مكشوبا ، وأمر بدفن الكلب وبناء القبة عليه وبتلك الكتابة التي رأيتها . قال : وهى من أغرب ما يحكى .

وفى كتاب [النشوان] عن أبى عثمان المدينى أنه قال : كان فى بغداد رجل يلعب

بالكلاب فخرج يوما في حاجة له وتبعه كلب كان يختصه من كلابه فرده فلم يرجع فتركه ومشى حتى انتهى إلى قوم كان بينه وبينهم عداوة فصادفوه بغير عدة فقبضوا عليه والكلب يراهم فأدخلوه الدار ودخل الكلب معهم فقتلوا الرجل وألقوه في بئر وطموا رأس البئر وضربوا الكلب فأخرجوه وطرده فخرج يسمى إلى بيت صاحبه فعوى فلم يعشوا به ، وافتقدت أم الرجل ابنها وعلمت أنه قد تلف فأقامت عليه المأتم وطردت الكلاب عن بابها فلزم ذلك الكلب الباب ولم ينطرد فاجتاز يوما بعض قتلة صاحبه بالباب والكلب راibus ، فلما رآه وثب عليه فشمس ساقه ونهشه وتعلق به واجتهد اجتازون في تخليصه منه فلم يمكنهم وارتفعت للناس ضجة عظيمة وجاء حارس الدرب وقال : لم يتعلق هذا الكلب بالرجل إلا وله قصة ولعله هو الذي جرحه ، وسمعت أم القتيل الكلام فخرجت فحين رأت الكلب متعلقا بالرجل تأملت في الرجل فتذكرت أنه كان أحد أعداء ابنها ومن يتطلبه فوق في نفسها أنه قاتل ابنها فتعلقت به فرفعهما إلى أمير المؤمنين الراضي بالله فادعت عليه القتل فأمر بحبسه بعد أن ضربه فلم يقر فلزم الكلب باب الحبس ، فلما كان بعد أيام أمر الراضي بإطلاقه ، فلما خرج من باب الحبس تعلق به الكلب كما فعل أولا ، فتعجب الناس من ذلك وجهدوا على خلاصه منه فلم يقدرُوا على ذلك إلا بعد جهد جهيد ، فأخبر الراضي بذلك فأمر بعض غلمانه أن يطلق الرجل ويرسل الكلب خلفه ويتبعه فإذا دخل الرجل داره بادره وأدخل الكلب معه فهما رأى الكلب يعمل يعمله بذلك ففعل ما أمره به . فلما دخل الرجل داره بادره غلام الخليفة ودخل وأدخل الكلب معه ففتش البيت فلم ير أثرا ولا خبرا وأقبل الكلب يندب ويبعث عن موضع البئر التي طرح فيها القتيل فتعجب الغلام من ذلك وأخبر الراضي بأمر الكلب فأمر بنهب البئر فنبشوها فوجدوا الرجل قتيلا فأخذوا صاحب الدار إلى بين يدي الراضي فأمر بضربه فأقر على نفسه وعلى جماعته بالقتل فقتل وطلب الباوقن فهربوا . وفي [عجائب المخلوقات] أن شخصا قتل شخصا بأصهبان وألقاه في بئر وللمقتول كلب يرى ذلك ، فكان يأتي كل يوم إلى رأس البئر وينحى التراب عنه ويشير إليها . وإذا رأى القاتل نبح عليه ، فلما تكرر ذلك منه حفر والبئر فوجدوا القتيل بها ثم أخذوا الرجل وقرروه فأقر فقتلوه به .

وفي الإحياء عن بعض الصوفية قال : كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فقمنا كلب من البلاد ، فلما بلغنا باب الجهاد وإذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع خال فقعدنا فلما نظر الكلب إلى الميتة رجع إلى البلاد ثم عاد ومعه نحو من عشرين كلبا ، فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تأكل إلى أن شبعت وذلك الكلب قاعد ينظر إلى الميتة حتى أكلت وبقيت العظام ، فلما رجعت الكلاب إلى البلد قام ذلك الكلب إلى العظام فأكل ما بقى عليها من اللحم ثم انصرف .

وفي الشعب للبيهقي وغيرها عن الفقيه منصور النيني الشافعي الضرير وله مصنفات في المذهب وشعر حسن أنه كان ينشد لنفسه :

الكلب أحسن عشره وهو النهاية في الخسامته
من ينزع في الريا سة قبل إبان الرياسه

ثم قال البيهقي : وكان الشيخ الإمام القاضي أبو الطيب الطبري يقول : من تصدر قبل أوانه ، فقد تصدى لهوانه . وقال شعيب بن حرب : من رضى أن يكون ذنبا أبي الله إلا أن يجعله رأسا . ومن محاسن شعر الفقيه منصور النيني المتقدم ذكره ووفاته في ستة ست وخسين . وثلاثمائة قوله :

لى حيلة فيمن ينمّ وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة
ولقد أجاد على بن عبد الواحد البغدادي المعروف بصريع الدلاء في قوله :
من فاته العلم وأخطاه الغنى فذاك والكلب على حد سوا

وهذا البيت آخر قصيدة له في المحجون ذكر فيها من صنعة الغزل فنونا ولو لم يكن له سواها لكفاه ، وهي طويلة طنانة عجز فحول الشعراء أن يزيدوا فيها بيتا واحدا ، وتوفي في رجب سنة اثنتي عشرة وأربعمائة فجأة بشرقة لحقته عند الشريف البيطحاوي . وذكر ابن خلكان أن الحسين بن أحمد المعروف بابن الحجاج الشاعر المشهور لما حضرته الوفاة أوصى بأن يدفن عند رجلى الإمام موسى بن جعفر أحد الأئمة الاثني عشر رضى الله عنهم على رأى الإمامية وأن يكتب على قبره - وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد - . قال : وابن الحجاج ذو خلاعة ومجون ، قيل إنه دعى إلى دعوة وتأخر الطعام عنه فقال :

يا ذاهبا في داره جاثيا من غير معنى بل ولا فائدة
قد جنّ أضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائدة

ودعوة الطعام بفتح الدال ، وأما قول قطرب في مثلثه فقلت عندي دعوة بضم الدال فرود عليه انتهى .

(فائدة) ذكر ابن عبد البر في كتاب [بهجة المجالس وأنس المجالس] أنه قيل لجعفر الصادق رضى الله عنه وهو أحد الأئمة الاثني عشر : كم تتأخر الرؤيا؟ فقال : خمسين سنة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى كأن كلبا أبتقع ولغ في دمه ، فأوله بأن رجلا يقتل الحسين ابن بنته رضى الله تعالى عنه ، فكان الشمير بن ذى الجوشن قاتل الحسين وكان أبرص . فتأخرت الرؤيا بعده خمسين سنة كما تقدم في باب الحمزة في الإوز . وفي هذا الكتاب أشياء تصلح للمذاكرة .

« منها أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه أنه دخل الجنة فرأى فيها عذقا مدلى فأعجبه فقال : لمن هذا ؟ فقيل هذا لأبي جهل ، فشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : ما لأبي جهل والجنة ! والله لا يدخلها أبدا فإنه لا يدخلها إلا نفس مؤمنة ، فلما أتاه عكرمة ابن أبي جهل رضى الله تعالى عنه مسلما فرح به وقام إليه ، وتأول ذلك العذق عكرمة ابنه . ومنها : أن بعض الشاميين كان عاملا لعمر رضى الله عنه فقال له : يا أمير المؤمنين رأيت كأن الشمس والقمر اقتتلا ومع كل واحد منهما فرقة من النجوم ، فقال له : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر . قال : مع الآية المحوطة لا عملت لى عملا أبدا فعزله ، وقتل ذلك الرجل مع معاوية رضى الله تعالى عنه بصفين .

ومنها : أن عائشة رضى الله تعالى عنها رأت ثلاثة أقمار سقطن فى حجرها ، فقال لها أبو بكر رضى الله تعالى عنه : إن صدقت رؤياك فإنه يدفن فى بيتك ثلاثة من خيار أهل الأرض ، فلما دفن صلى الله عليه وسلم فى بيتها قال لها أبو بكر رضى الله تعالى عنه : هذا أحد أقمارك وهو خيرها ، وفيه أشياء كثيرة . وكان الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر التمرى القرطبي إمام عصره فى الحديث والأثر وهو أحد نقله المذاهب ، وتوفى هو والإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي الشافعي حافظ المشرق فى سنة ثلاث وستين وأربعمائة ومما ينشد للشافعي رحمه الله تعالى :

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة وليتنا لا نرى ممن نرى أحدا

إن الكلاب لتهدا فى مرابضها والناس ليس بهاد شرهم أبدا

وفى الميزان للذهبي فى ترجمة أحمد بن زرارة المدنى بسند مظلم عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كيف أنتم إذا كان زمن يكون الأمير فيه كالأسد ، والحاكم فيه كالذئب الأمعط ، والتاجر فيه كالكلب اهرار ، والمؤمن بينهم كالشاة الوهء بين الغنم ليس لها مأوى ، فكيف حال شاة بين أسد وذئب وكلب ؟ » :

وفى أمالى أبي بكر القطيعي عن أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه قال « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بنا كلب فما بلغت يده رجله حتى مات ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال : من الداعى على هذا الكلب أنفا ؟ فقال رجل من القوم . أنا يا رسول الله ، فقال : ما قلت ؟ قال : قات اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بدنع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام اكفنى هذا الكلب بما شئت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد دعا الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى » والحديث فى السنن الأربعة . وفى مسند الإمام أحمد وكتابه الحاكم وابن حبان بغير قصة الكلب : وأفاد الطبراني من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن هذه الصلاة كانت

صلاة العصر يوم الجمعة ، وأن الرجل المذكور الداعي على هذا الكلب سعد بن أبي وقاص .
رضى الله عنه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا سعد لقد دعوت يوم وساعة بكلمات
ألو دعوت بهن على من في السموات والأرض استجيب لك فأبشر يا سعد » .

وروى الإمام أحمد في الزهد عن جعفر بن سليمان قال : رأيت مع مالك بن دينار رضى الله
عنه كلبا ، فقلت : ما تصنع بهذا يا أبا يحيى ؟ فقال : هذا خير من جليس السوء .

وفي مناقب الإمام أحمد أنه بلغه أن رجلا من وراء النهر عنده أحاديث ثلاثية ، فرحل
الإمام أحمد إليه فوجد شيخا يطعم كلبا . فسلم عليه فرد عليه السلام ثم اشتغل الشيخ باطعام
الكلب ، فوجد الإمام نفسه إذ أقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه ، فلما فرغ الشيخ
من طعمة الكلب التفت إلى الإمام أحمد وقال له : كأنك وجدت في نفسك إذ أقبلت على
الكلب ولم أقبل عليك ؟ قال : نعم ، فقال الشيخ : حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن
أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قطع رجاء من ارتجاء
قطع الله منه رجاءه يوم القيامة فلم يلبح الجنة » وأرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدني
هذا الكلب ، فخفت أن أقطع رجاءه فيقطع الله رجائي منه يوم القيامة ، فقال الإمام أحمد
هذا الحديث يكفيني ثم رجع .

ويقرب من هذا ما في رسالة القشيري في باب الجود والسخاء : أن عبد الله بن جعفر رضى الله
عنهما خرج إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام أسود يعمل فيها إذ أتى الغلام بغدائه
وهو ثلاثة أقراص فرمى بقرص منها إلى كلب كان هناك فأكله ، ثم رمى إليه الثاني فأكله
والثالث فأكله ، وعبد الله بن جعفر ينظر ، فقال : يا غلام كم قوتك كل يوم ؟ قال : ما رأيت
قال : فلم أثمرت هذا الكلب ؟ فقال إن هذه الأرض ليست بأرض كلاب وأنه جاء من
مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده ، فقال له عبد الله : فما أنت صانع اليوم ؟ قال : أظري
يومي هذا ، فقال عبد الله بن جعفر لأصحابه : ألام على السخاء وهذا أسخى مني ، ثم إنه اشترى
الغلام وأعتقه واشترى الخائض وما فيه . ووهب ذلك له .

وتقدم في باب الحاء المهملة في الحمار : أن الحاكم روى عن جابر رضى الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا سمعتم نباح الكلب ونهيق الحمار بالليل فتعوذوا بالله من
الشیطان الرجيم فإنها ترى مالاترون ، وأقلوا الخروج إذا هدأت الرجل فإن الله تعالى يبث
في الليل من خلقه ما شاء » .

(غريبة) في كتاب [البشر بخير البشر] عن مالك بن نفع أنه قال : ند بعيرى فركبت
نجيبة لي وطلبته حتى ظفرت به فأخذته وانكفأت راجعا إلى أهلي ، فأسريت ليلتي حتى
كدت أصبح فأنحت النجبية والبعير وعلفتهما واضطجعت في ذرى كتيب رمل فلما كحلني الوسن

سمعت هاتفا يقول : يا مالك يا مالك لو فحصت عن مبرك القعود البارك لسرك ما هنالك ، قال : فثرت وأثرت البعير عن مبركه وحفرت فعثرت على صنم في صورة امرأة من صفاة صفراء كالورس مجلو كالمرأة فأخرجته ومسحته بثوبى ونصبته قائما فما تمالكت أن تحرت له ساجدا ، ثم قت ففحرت البعير له ورششته بدمه وسميته غلابا ، ثم حملته على النجبية وأتيت به أهلى فحسدنى عليه كثير من قوى وسألونى نصبه لم يعبدوه معى فأبيت عليهم وانفردت بعبادته وجعلت على نفسى كل يوم عتيرة ، وكانت لى ثلة من الضأن فأتيت على آخرها فأصبحت يوما ليس لى ما أعتره ، وكرهت الإخلال بنذرى فأتيته فشكوت إليه ذلك فإذا هاتف من جوفه يقول : يا مال يا مال لا تأس على مال سر إلى طوى الأرقم فخذ الكلب الأشمم الوالغ فى الدم ثم صد به تغم : قال مالك : فخرجت من فورى إلى طوى الأرقم فإذا كلب أشمم هائل المنظر قد وثب على قهرب يعنى ثورا وحشيا فصرعه وأنا أنظر إليه ، ثم بقر بطنه وجعل يلع فى دمه ، قهبيته ثم تجاسرت فتقدمت عليه وهو مقبل على عتيرته لم يلتفت إلى فشددت فى عنقه حبلا ثم جذبته فتبعنى فأتيت راحلتى فأثرتها وقدها إلى القهرب وأخنتها فجزرته وحماته عليها ثم قدها وسرت قاصدا إلى الحى والكلب يلوذنى ، فعنت لى ظبية فجعل الكلب يثب ويحاذبى الجبل فترددت فى إرساله ثم أرسلته فر كالمسهم حتى اختطفها فأتيته فجاذبته إياها فأرسلها من يديه فاستقر بى السرور ، وأتيت أهلى فعترت الظبية لغلاب ووزعت لحم القهرب وبت بخير ليلة ، ثم باكرت به الصيد ، فلم يفته حمار ولا ماطله ثور ولا اعتم منه وعل ولا أعجزه ظبى فتضاعف سرورى به وبالغت فى إكرامه وسميته سخاما فلبثت كذلك ما شاء الله ، فإنى لذات يوم أصيد به إذ بصرت بنعاما على أدحيا وهى قريبة منى فأرسلته عليها فأجفلت أمامه واتبعها على فرس جواد ، فلما كاد الكلب أن يثب عليها انقضت عليه عقاب من الجو فكرر راجعا نحوى فصحت به فما كذب ، وأمسكت الفرس فجاء سخام حتى دخل بين قوائمها ونزلت العقاب أمامى على شجرة وقالت : سخام ، قال الكلب لبيك ؟ قالت : هلك الأصنام وظهر الإسلام فأسلم تنج بسلام وإلا فليست بدار مقام ، ثم طارت العقاب وقبصرت سخاما فلم أره وكان آخر عهدى به .

قوله طوى الأرقم الطوى : بئر مطوية بالحجارة ، والأشمم : الأسود وبه سمي الكلب سخاما فهو فعال من ذلك ، وقوله بنعاما على أدحيا : أى الموضع الذى فيه بيضها ، وقوله ما كذب : أى ماتوقف ولا اتنى .

(فائدة) روى الحاكم فى المستدرک عن عائشة أم المؤمنين رضی الله تعالى عنها قالت : قدمت امرأة من أهل دومة الجندل على تبتغى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته ببسبر تسأله عن شىء دخلت فيه من أمر السحر لم تعلم به . قالت : فرأيتها نبكى حين لم تجد رسول

الله صلى الله عليه وسلم حتى إني لأرحمها من كثرة بكائها ، وهى تقول : إني أخاف أن أكون قد هلكت ، فسألته عن قصتها ؟ فقالت : كان لى زوج قد غاب عني ، فدخلت على عمجوز فشكوت لها حالى فقالت : إن فعلت ما أمرك به يأتيك فإنه بعلمك فقلت : - إني أفعل ، فلما كان الليل جاءتنى بكليين أسودين فركبت أحدهما وتركت الآخر ، فلم يكن بأمرع حتى وقفنا ببابل فإذا أنا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا : ما حاجتك وما جاء بك ؟ فقلت : أتعلم السحر ؟ فقالا : إنما نحن فتنة فلا تكفري وارجمي ، فأبيت وقلت : لا أرجع قالوا : فاذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه ، فذهبت إليه فاقشعر جلدى ففزعت منه ولم أفعل فرجعت إليهما فقالا لى : فعلت ؟ قلت : نعم : قالوا : هل رأيت شيئا ؟ قلت : لم أر شيئا ، فقالا : لم تفعلى ، ارجعي إلى بلادك لا تكفري ، فأبيت فقالا : اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه ، فذهبت إليه فاقشعر جلدى وخفت ، ثم رجعت إليهما فقالا لى : ما رأيت ؟ إلى أن قالت : فذهبت فى الثالثة فبليت فيه فرأيت فارساً مقنعا بالحديد خرج منى حتى ذهب فى السماء ، فأتيتهما فأخبرتهما فقالا : صدقت ذلك إيمانك خرج منك اذهبي ، فقلت للمرأة : والله ما علمت شيئا ولا قال لى شيئا ، فقالت لى : بلى لن تريدى شيئا إلا كان خذى هذا القمح فأبذريه ، فأخذته فبذرتة وقلت له : اطلع فطلع ، ثم قلت : استحصد فاستحصد ، ثم قلت انطحن فانطحن ، ثم قلت : انخبز فانخبز ، فلما رأيت أنى لا أقول شيئا إلا كان سقط فى يدي فندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئا قط ولا أفعله أبدا ، فسألته أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما دروا ما يقولون لها وكلهم هاب أن يفتيها بما لا يعلم إلا أنهم قالوا لها : لو كان أبوك حين أو أحدهما لكان يكفيناك ، ثم قال الحاكم حديث صحيح انتهى : قال هشام بن عروة وهو راوى الحديث عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها : أنهم كانوا أى الصحابة رضى الله عنهم أهل ورع وخشية لله وبعد من التكلف والجرأة على الله فلذلك أمسكوا عن الفتيا لها ، ولو جاءتنا اليوم لوجدت الأمر بخلاف ذلك : قال بعض الحنابلة : قلت فقد بان بهذا أن السحر والإيمان لا يجتمعان فى قلب ولا يصير ساحرا وفى قلبه إيمان ، فاعتبر بحال هذه المرأة المسكينة كيف ألقاها الشيطان والهوى والنفس الأمارة بالسوء فى ورطه هلكة لا تجبر مصيبتها ، وهذا دأب المعاصي تنكس الرءوس وتوجب الحبوس وتضاعف البؤوس ، ولقد أحسن القائل حيث قال :

إذا ما دعيتك النفس يوما لحاجة وكان عليها للخلاف طريق

فخالف هواها ما استطعت فإنما هواها عدو والخلاف صديق

(تذنيب) للسحر حقيقة وتأثير وقيل لا ، والصحيح أن الصواب الأول دل عليه ظاهر القرآن والسنة : قال المازرى : اختلف العلماء فى القدر الذى يقع به السحر ولهم فيه اضطراب

فقال بعضهم : لا يزيد تأثيره على قدر التفريق بين المرء وزوجه ، لأن الله تعالى إنما ذكر ذلك تعظيماً لما يكرن عنده وتحويلاً له في حتمنا فلو وقع به أعظم منه لذكره ، لأن المثل لا يضرب عند المبالغة إلا بأعلى أحوال المذكور ، ومذهب الأشعرين أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك . قال : وهذا هو الأصح لأنه لا فاعل إلا الله تعالى ، وما وقع من ذلك فهو عادة جراها الله تعالى ، ولا تفترق الأفعال في ذلك وليس بعضها أولى من بعض ، ولو ورد الشرع بقصوره عن مرتبة لوجب المصير إليه ولكن لا يوجد شرع قاطع بوجود الافتقار على ما قاله القائل الأول ، وذكر التفرقة بين الزوجين في الآية ليس بنص في منع الزيادة ، وإنما النظر في أنه ظاهر أم لا ؟ فإن قيل : إذا جوزت الأشعرية خرق العادة على يد الساحر ففيها يتميز عن النبي ؟ فالجواب : أن العادة تنخرق على يد النبي والولي والساحر ، لكن النبي يتحدى الخلق بها ويستعجزهم عن الإتيان بمثلها ، ويخبر عن الله تعالى بخرق العادة بها لتصديقه فلو كان كاذباً لم تنخرق على يديه ، ولو خرقها الله تعالى على يد كاذب لخرقها على يد المعارضين للأنبياء . وأما الولي الساحر فلا يتحديان الخلق ولا يستدلان على نبوة ، ولو ادعيا شيئاً من ذلك لم تنخرق العادة لهما ، وأما الفرق بين الولي والساحر فن وجهين : أحدهما وهو المشهور لإجماع المسلمين على أن السحر لا يظهر إلا على يد فاسق ، والكرامة لا تظهر إلا على يد ولي ولا تظهر على يد فاسق ، وبهذا جزم إمام الحرمين وأبو سعيد المتولي وغيرهما . والثاني أن السحر يكون ناشئاً بفعل ومزج ومعاناة وعلاج والكرامة لا تفتقر إلى ذلك ، وفي كثير من الأوقات يقع ذلك اتفاقاً من غير أن يستدعيه أو يشعر به ، والله تعالى أعلم وأما ما يتعلق بالمسألة من فروع الفقه فتعلم السحر وتعليمه حرام على الصحيح ، والصواب عدم جواز تعليمه لكل أحد يريد تعلمه . وقال القاضي حسين وإبراهيم الروزي : إن كان في تعليمه ترك طاعة لله عز وجل لا يجوز ، وإن لم يكن فإن قصد بتعليمه قصد ضرر سحر الناس عن نفسه جاز وإن قصد تعليمه ليسحر الناس لم يجز انتهى .

والخلاف فيما إذا كان لا يتوقف على اعتقاد كفر أو مباشرة محذور كترك صلاة وغيرها أما إذا توقف على ذلك فتعلمه حرام بالإجماع ، والسحر من الكبائر ، ومذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد أن الساحر يكفر لقوله تعالى - وما كفر سليمان - لأنهم إنما نسبوا سليمان عليه السلام إلى السحر لا إلى الكفر ، ولقوله تعالى حكاية عن الملكين - إنما نحن فتنة فلا تكفر - ومذهب الشافعي أنه لا يكفر إلا أن يكون فيه قول أو فعل يقتضي الكفر ، قال الرافعي : ومن اعتقد بإباحته فهو كافر ، وقال ابن الصباغ : إن اعتقد التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تجيب إلى ما يقترح منها فهو كافر ، وعن القفال أنه لو قال : أنا أفعل السحر بقدرتي دون قدرة الله تعالى فهو كافر ، ولو تاب الساحر قبلت توبته عند الشافعي رحمة

الله ، وقال مالك رحمه الله : السحر زندقة ، فإن قال : أنا أحسن السحر قتل ، ولا تقبل توبته كما لا تقبل توبة الزنديق . وعن أبي حنيفة رحمه الله مثله . وعن الإمام أحمد رحمه الله روايتان كالمذهبين . وقال أبو حنيفة رضى الله عنه : إن المرأة الساحرة تحبس ولا تقتل وأما الساحر الذى فلا يقتل إلا أن يضر بالمسلمين فيقتل لتقصه العهد ، وقال أبو حنيفة رضى الله عنه : يقتل مطلقا ، ويقال للرجل المسحور مطبوب يقال طب الرجل إذا سحر فكثروا بالطب عن السحر كما كثروا بالسليم عن اللدغ . قال ابن الأنبارى : الطب من الأضداد يقال لعلاج الداء طب وللسحر طب وهو من أعظم الأدواء ، ورجل طبيب أى حاذق سمى طبيبا لحذقه وفطنته ، والله تعالى أعلم .

(فائدة أدبية) دخل أبو العلاء المعرى يوما على الشريف المرتضى فعثر برجل فقال له الرجل : من هذا الكلب ؟ فقال أبو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما ، فقربه المرتضى واختبره فوجدته علامة ، ثم جرى ذكر المتنبي يوما فتنقصه الشريف المرتضى وذكر معايبه فقال المعرى : لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله :

• لك يا منازل في القلوب منازل •

لكفاه فضلا وشرفا ، فغضب الشريف المرتضى وأمر بسحبه برجله وإخراجه من مجلسه ، ثم قال لمن يحضر مجلسه : تدرون أى شيء أراد هذا الأعمى بذكر هذه القصيدة وللمتنبي أجود منها ولم يذكره ؟ قالوا : لا . قال : إنما أراد أن يذمنى بقوله فيها :

وإذا أتتكم مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

وسئل شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد عن أبى العلاء المعرى فقال : هو فى جيرة ، وهذا أحسن ما قيل فيه

(فائدة أخرى) قال أبو نواس الحسلى بن هانى فى طريقته :

أتعب كلبا أهله فى كده	قد سعدت جدودهم بجده
فكل خير عندهم من عنده	وكل رفق ناهم من رفده
يظل مولا له كعبده	بيد أدنى صاحب من فهده
إذا عرى جلله ببرده	ذا غرة محجلا بزنده
يلذ منه العين حسن قده	يا حسن شذقيه وطول خده

قيل : دخل أبو بكر الخالدى على الخليفة فأنشده قصيدة امتدحه بها فأجازه وكان بين يديه صحن يشم أزرق فلمحه أبو بكر فأعطاه الخليفة إياه فخرج من عنده وهو مسرور فر على أبى الفتح ابن خالويه فهناه أبو الفتح بذلك ، فلما أصبح جاء إلى الخليفة فقال له الخليفة :

كيف حالك وكيف كان مبيتك؟ قال: بخير، ودعا له وقال: بتنا ندعو لمولانا أمير المؤمنين وبت أتغن في الصحن وأتملى بحسنه فأضفته إلى صدقات مولانا ورفده وكل خير عندنا من عنده، فتنمر أمير المؤمنين واستشاط غضبا وزجره، فخرج من عنده حزينا كثيرا فر على ابن خالويه فسأله عن السبب وما الخبر؟ فأخبره بما قال. فقال له أبو الفتح: أو قلتها؟ فقال: نعم. فقال: أين أنت؟ أتجعل أمير المؤمنين كلبا، أين ذهب عقلك أو ماسمعت قول أبو نواس في طريدته:

فكل خير عندهم من عنده وكل رقد نالهم من رفته

فكاد الخالدي أن يموت فرعا، ثم قال له: عرفني كيف المخلص؟ قال: تمارض مدة ثم أظهر أنك شفيت ثم تأتي أمير المؤمنين، فإذا سألك عن سبب مرضك فقل له: طالعت طريدة أبي نواس، فلما فعل ذلك رضى عنه أمير المؤمنين.

(فائدة أخرى) اختلفوا في قوله تعالى - وكلهم باسط ذراعيه بالصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولبلثت منهم رعبا - أكثر أهل التفسير على أن كلب أهل الكهف كان من جنس الكلاب.

وروى عن ابن جريج أنه قال: كان أسدا ويسمى الأسد كلبا لأن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي لُب أن يسلم الله عليه كلبا من كلابه فأكله الأسد. وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: كان كلبا أغبر، وفي رواية عنه أحمر واسمه قطمير، وقال مقاتل: كان أصفر، وقال القرظي: صفوته تضرب إلى الحمرة، وقال الكلبي: كان خلنجي اللون وقيل كان لونه لون السماء، وقيل كان أبيض وأسود وأحمر. وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: اسمه ريان، وقال الأوزاعي: مشير، وقال سعيد الجمال: حران، وقال عبد الله بن سلام: بسيط، وقال كعب الأحبار: صيها، وقال وهب: نقيا.

وقصة الإمام مالك في ذلك مشهورة معروفة. وقال فرقة: كان رجلا طباحا لهم حكاة الطبرى، وقال فرقة كان أحدهم، وكان قد قعد عند باب الغار طليعة لهم، فسمى باسم الحيوان الملازم لذلك الموضع من الناس كما سمي النجم التابع للهبوزاء كلبا لأنه منها كالكلب من الإنسان وهذا القول يضعفه بسط الذراعيين فإنه في العرف من صفة الكلب.

وحكى أبو عمرو المطرزي في كتاب البواقيت وغيره أن جعفر بن محمد الصادق قرأ - وكالهم -، فيحتمل أنه يريد هذا الرجل:

وقال خالد بن معدان: ليس في الجنة من للدواب سوى كلب أهل الكهف وحمار العزيز وناقاة صالح، وقد تقدم في أوائل باب السين المهملة في السبع الكلام على قوله تعالى: - سعتوا منهم كلبهم - ونزيد هنا أن قوله تعالى: - قل رب أعمل بعديهم ما يعلمهم إلا قليل -

أن المثبت في حق الله تعالى العلمية ، وفي حق القليل العالمية ، فلا تعارض بينهما . قال ابن عطية المفسر : حدثني أبي أنه سمع أبا الفضل بن الجوهري في سنة تسع وستين وأربعمائة يقول : إن من أحب أهل الخير نال من بركتهم ، كلب أحب أهل فضل وصحبهم فذكره الله في القرآن معهم :

وأما الوصيد فاختلف المفسرون فيه فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : الوصيد قضاء الكهف ، وهو قول مجاهد رضي الله تعالى عنه . وقال سعيد بن جبير : الوصيد التراب ووروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أيضا : وقال السدي : الباب ، وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا ، وأنشد في ذلك :

بأرض فضاء لا يشد وصيدها على ومعروفى بها غير منكر

أى بابها ، وقال عطاء : الوصيد عتبة الباب . وقال العتبي : هو البناء الذى من فوقه ومن تحته مأخوذ من قولهم أوصدت الباب وأصدته أى أغلقته وأطبقتة : لو اطلعت عليهم يا محمد لوليت منهم فرارا : أى هربا ، وملثت منهم رعبا لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم واصل منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد ، وقيل إنما ذلك من وحشة المكان الذى هم فيه . وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم ففررنا بالكهف الذى فيه أصحاب أهل الكهف الذين ذكرهم الله في القرآن ، فقال معاوية : لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم ، فقلت له : ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك فقال تعالى : - لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا وملثت منهم رعبا - فقال معاوية : لا أنتهى حتى أعلم علمهم ، ثم بعث ناسا لينظروا فقال : اذهبوا فادخلوا الكهف فذهبوا ، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم .

وذكر الثعلبي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يرهب إياهم فقال تعالى : إنك لن ترَاهم وقال ابعث إليهم أربعة من كبار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل : كيف أبعث إليهم ؟ فقال له جبريل عليه السلام : ابسط كساءك وأجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الطرف الثانى عمر وعلى الطرف الثالث عثمان وعلى الطرف الرابع عليا ، ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان فإن الله يأمرها أن تطيعك ، ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم ، فحملتهم الريح إلى باب الكهف فقلعوا منه حجرا فحمل عليهم الكلب ، فلما رآهم حرك رأسه وبصص إليهم وأوما إليهم برأسه أن ادخلوا ، فدخلوا الكهف فقالوا : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد الله إلى الفتية أرواحهم فقاموا بأجمعهم فقالوا : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فقالوا : معشر الفتية إن النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام ، فقالوا : وعلى

محمد السلام ما دامت السموات والأرض وعليكم بما أبلغتم ، وقبلوا دينه ثم قالوا : اقرعوا على محمد صلى الله عليه وسلم منا السلام ، وأخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدي . فيقال : إن المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله ويردون عليه السلام ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون حتى تقوم الساعة ، ثم ردتهم الربح فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : كيف وجدتموهم ؟ فأخبروه الخبر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم لا تفرق بيني وبين أصحابي وأنصاري واغفر لمن أحبني وأحب أهل بيتي وخاصتي .

واختلف في سبب مصيرهم إلى الكهف ؟ فقال محمد بن إسحاق : مرح أهل الإنجيل ، وعظمت فيهم الخطايا وأطغتهم الجن حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وكانت فيهم بقايا على دين المسيح يعبدون الله ، وكان ملكهم اسمه دقيانوس ، وكان قد عبد الأصنام وذبح للطواغيت حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي أفسوس فهرب منه أهل الإيمان ، وكان حين قدمها أمر أن يجمع له أهل الإيمان فن وقع به خيره بين القيل وعبادة الأصنام فنهزم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى فيقتل ، ثم أمر بأجسادهم أن تعلق على سور المدينة وعلى كل باب ، فحزن هؤلاء الفتية وأقبلوا على الصلاة والصيام والتسبيح والدعاء ، وكانوا ثمانية من أشرف القوم فعثر عليهم الملك فقال لهم : اختاروا إما أن تعبدوا آلهتنا وإما أن أقتلكم ، فقال مكسليمينا وهو أكبرهم : إن لنا إلهاً هو ملك السموات والأرض وهو أعظم وأجل من كل شيء وهو المعبود فلن ندعوا من دونه إلهاً ، فقال الملك ما يمنعني أن أعجل لكم العقوبة إلا أنكم شباب وأجب أن أجعل لكم أجلاً لعلمكم تتذكرون فيه وتراجعون عقولكم ، فأخذوا من بيوتهم نفقة وخرجوا إلى الكهف يعبدون الله ، فاتبعهم كلب كان لهم .

وقال كعب : بل مروا بكلب فنبح بهم فطردوه فعاد فطردوه مرارا وهو يعود ، فقام الكلب على رجله ، ورفع يديه إلى السماء كهيئة الداعي ونطق فقال : لا تخافوا مني فإني أحب أحياء الله فناموا حتى أحرسكم .

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : هربوا ليلاً وكانوا سبعة فرأوا مع كلب فاتبعهم على دينهم فجعلوا يعبدون الله في الكهف ، وجعلوا نفقتهم إلى قتي منهم يقال له تليخا فكان يبتاع لهم طعامهم من المدينة ، وكان من أجملهم وأجلدهم ، وكان إذا دخل المدينة لبس ثياب المساكين واشترى طعامهم وتجسس لهم الأخبار ، فلبثوا كذلك زمناً ثم أخبرهم تليخا أن الملك يتطلبهم ففرزوا لذلك وحزنوا ، فبينما هم كذلك عند غروب الشمس يتحدثون ويتدارسون إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابه ما أصابهم ، فسمع الملك أنهم في جبل فأتى الله في نفسه أن يأمر بالكهف

فيسد عليهم حتى يموتوا جوعا وعطشا وهو يظنهم أيقاظا أراد الله بذلك أن يكرمهم وأن يجعلهم آية خلقة ، وقد توفي الله أرواحهم وفاة النوم والملائكة تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ، ثم عمد رجلان مؤمنان كانا في بيت الملك فكتبنا شأن الفتية وأسماءهم وأنسابهم في لوح من رصاص وجعلناه في تابوت من نحاس وجعلناه في البنيان :

وقال عبد بن عمير : كان أصحاب الكهف فتية مطوقين مسورين ذى ذوائب ، وكان معهم كلب صيد فخرجوا في عيد لهم وأخرجوا آلهتهم التي كانوا يعبدونها فحذف الله في قلوبهم الإيمان ، وكان أحدهم وزير الملك ، فأمنوا وأخفى كل واحد منهم إيمانه عن صاحبه ، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة ، ثم خرج آخر فرآه فظن أن يكون على مثل أمره وجاء من غير أن يظهر له ذلك ، ثم خرج الآخرون واحدا بعد واحد حتى اجتمعوا تحت الشجرة فقال بعضهم لبعض : ما جمعكم هاهنا ، ثم قالوا : ليخرج كل فتية فيخلوا ثم يفشى كل واحد منهما أمره إلى صاحبه ، فخرج فتية فذكر كل واحد منهما لصاحبه أمره فأقبلا مستبشرين قد اتفقا على أمر واحد ، ثم فعلوا جميعا كذلك فإذا هم جميعا على الإيمان ، فقال بعضهم لبعض - اتنوا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمرم مرفقا - فدخلوا الكهف ومعهم كلهم فناموا ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا فلما لم يجدوهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح فلان وفلان أبناء ملوكتنا فقدناهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان بن فلان ، ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا : ليكون لهذا شأن ،

وقال السدى : لما خرجوا مروا براع معه كلب ، فقال الراعى : إني أتبعكم على أن أعبد الله معكم ؟ قالوا : سر فسر معهم وتبعهم الكلب ، فقالوا : ياراعى هذا الكلب ينبع علينا ويبنه بنا فما لنا به من حاجة فطرده فأبى إلا أن يلحق بهم فرجموه فرفع يديه كالداعي ، وأنطقه الله تعالى فقال : يا قوم لم تطردوني لم تضربوني لم ترجوني ، فوالله لقد عرفت الله قبل أن تعرفوه بأربعين سنة ، فتعجبوا من ذلك وزادهم الله بذلك هدى :

وقال محمد الباقر : كان أصحاب الكهف صياقلة ، واسم الكهف حلوم ، والقصة طويلة مشهورة في كتب التفاسير ، والقصص مطولة ومختصرة ، وقد وقفت على جمل من ذلك .

فن ذلك ما ساقه الإمام أبو إسحق محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي في كتابه [الكشف والبيان في تفسير القرآن] وربما يتكرر شيء مما تقدم فيما أتى به ، قال : قوله تعالى - أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا - يعني ليسرا من أعجب آياتنا فإن فيما خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم ، والكهف : هو الغار في الجبل . واختلفوا في الرقيم ؟ فقال وهب : حدثني النعمان بن بشير الأنصاري

أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال : إن ثلاثة نفر خرجوا مرتادين
 لأهلهم فبينما هم يمشون إذ أصابتهم السماء فأووا إلى كهف فانحطت صخرة من الجبل فانطبقت
 على باب الكهف فأوخذ عليهم . فقال قائل منهم : اذكروا أيكم عمل عملا حسنا لعل الله
 يرحمته أن يرحمنا ، فقال رجل منهم : إني قد عملت حسنة مرة ، كان لي أجراء يعملون عملا لي
 . استأجرت كل رجل منهم في نهاره بأجرة معلومة ، فجاءني رجل منهم ذات يوم وسط النهار
 فاستأجرت بشطر أجرة أصحابه فعمل في بقية نهاره كما عمل رجل منهم في نهاره كله ، فرأيت
 علي من الذمام أن لا أنقصه عما استأجرت من أصحابه لما رأيت من جهده في عمله . فقال
 رجل منهم : أعطني هذا مثل ما أعطيتني ولم يعمل إلا وسط النهار فقلت : يا عبد الله لم أبخسك
 شيئا من شرطك وإنما هو مالي أحكم فيه بما شئت فغضب وترك أجره ، فوضعت حقه
 في جانب من البيت ما شاء الله ثم مرت بي بعد ذلك بقر فاشتريت له بها فصيلة من البقر
 فبلغت ما شاء الله ، فر بي بعد حين رجل شيخ كبير لا أعرفه فقال لي : إن لي عندك حقا
 أذكرنيه حتى عرفته ، فقلت له : إياك أبغي وهذا حقلك وعرضتها عليه جميعا ، فقال :
 يا عبد الله لا تسخر بي إن لم تصدق علي فأعطني حتى : قلت : والله ما أسخر بك لأنها لحقلك
 مالي فيها شيء فدفعتها إليه جميعا ، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا الحجر
 فأنصدع الحجر ففرج حتى رأوا وأبصروا . وقال الآخر : قد عملت حسنة مرة : كان لي
 فضل وأصابت الناس شدة فجاءتني امرأة تطاب مني معروفا ، فقلت لها : والله ما هو
 دون نفسك ، فأبت علي وذهبت ثم رجعت فذكرتني الله عز وجل والله مطلع عليها ، فأبیت
 عليها وقلت لها : والله ما هو دون نفسك ، فأبت علي وذهبت وذكرت لزوجها فقال لها :
 أعطيه نفسك وأغني عيالك ، فرجعت إلي ونشدتني بالله فأبیت عليها وقلت لها ، والله
 ما هو دون نفسك ، فلما رأت ذلك أسلمت إلى نفسها ، فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت
 من تحتي فقلت لها : ما شأنك ؟ فقالت : إني أخاف الله رب العالمين ، فقلت لها : خفتيه
 في الشدة ولم أخفه في الرخاء ، وتركها وأعطيتها ما يحق علي بما كشفتها ، اللهم إن كنت فعلت
 ذلك لوجهك فافرج عنا الحجر فأنصدع حتى عرفوا وتبين لهم . وقال الآخر : وقد
 عملت حسنة مرة : كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكان لي غنم فكنت أطعم والدي
 وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي : فأصابني يوما غيث فحبسني حتى أمسيت ، فأبیت
 أهلي وأخذت محلي فحلبت غنمي وتركها قائمة ومضيت إلى أبوي فوجدتهما قد ناما
 فشق علي أن أوقظهما وشق علي أن أترك غنمي ، فما برحت جالسا ومحلي على يدي حتى أيقظها
 للصبح فسقيتهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا . قال النعمان بن بشير :

لكأنى أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الجبل طاق طاق ففرج الله عنهم فخرجوا .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : الرقيم : واد بين عمان وأيلة دون فلسطين ، وهو الوادى الذى فيه أصحاب الكهف .

وقال كعب : هى قريةهم ، وهو على هذا التأويل من رقعة الوادى وهو موضع الماء منه تقول العرب عليك بالرقعة ودع الضئمة ، والصفتان : جانبا الوادى .

وقال سعيد بن جبير : الرقيم لوح من حجارة ، وقيل من رصاص كتبوا فيه أسماء أهل الكهف ، وهو على هذا التأويل بمعنى المرقوم أى الكتاب المرقوم ، والرقم الخط والعلامة والرقم الكتابة .

ثم ذكر صفتهم فقال تعالى - إذ أوى الفتية إلى الكهف - أى رجعوا وصاروا إليه : واختلفوا فى سبب مصيرهم إلى الكهف ؟ فقال محمد بن إسحاق : مرح أهل الإنجيل وكثرت الخطايا فيهم وعظمت الذنوب وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت ، وفيهم بقايا على دين المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام متمسكين بعبادة الله وتوحيده ، فكان ممن فعل ذلك ملك من ملوكهم من الروم يقال له دقيانوس كان قد عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه فى ذلك ممن أقام على دين المسيح ، وكان ينزل قرى الروم فكان لا يترك فيها أحدا مؤمنا إلا فتنه حتى يعبد الأصنام ويذبح للطواغيت حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهى أفسوس ، فلما نزلها كبر ذلك على أهل الإيمان فاستخفوا منه وهربوا فى كل وجه ، وكان دقيانوس قد أمر حين قدمها أن يتبع أهل الإيمان فى أماكنهم فيجمعوا له واتخذ شرطة من الكفار من أهلها فجعلوا يتبعون أهل الإيمان فى أماكنهم فيخرجونهم إلى دقيانوس فيقدمهم إلى الجامع الذى يذبح فيه للطواغيت فيخيرهم بين التمل وعبادة الأصنام والذبح للطواغيت ، فمنهم من يرغب فى الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله تعالى فيقتل ، فلما رأى أهل ذلك البلد الشدة فى الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقطعون ويعاق ما قطع من أجسادهم على سور المدينة ونواحيها كلها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان ، منهم من أقر فترك ، ومنهم من صلب على دينه فقتل ، فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فصلوا وصلحوا واشتغلوا بالتسبيح والدعاء لله تعالى ، وكانوا من أشرف الروم ، وكانوا ثمانية فتفرقوا ونصرعوا وجعلوا يقولون - ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا - اللهم اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وادفع البلاء والغم عن عبادك الذين آمنوا بك حتى يعلموا عبادتهم إياك ، فبينما هم على ذلك إذ أدركهم الشرطة ، وكانوا قد

دخلوا في مصلى لهم فوجدوهم سجدا على وجوههم يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وقتلته ، فلما رأهم أولئك الكفرة قالوا لهم : ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا إليه ، ثم خرجوا من عندهم فرفعوا أمرهم إلى دقيانوس فقالوا نجمع الجميع ، وهؤلاء الفتية من أهل بينك يسخرون بك ويعصون أمرك ، فلما سمع ذلك منهم أتى بهم وأعينهم تفيض من الدمع مغفرة وجوههم في التراب . فقال لهم : ما منعكم أن تشهدوا الذبح للآلهة التي تعبد في الأرض وأن تجعلوا أنفسكم كغيركم فاخترتوا إما أن تذبحوا لآلهتنا كما يذبح الناس وإما أن أقتلكم ، فقال مكسلمينا وكان أكبرهم : إن لنا إلهاً ملأت السموات والأرض عظمته - إن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا - ولن نقر بهذا الذي تدعو إليه أبداً ولكننا نعبد الله ربنا له الحمد والشكر والتسبيح من أنفسنا خالصاً أبداً إياه نسأل النجاة والخير .

أما الطواغيت وعبادتها فلن نعبدها أبداً اصنع ما بدالك ، ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال له ، فلما قالوا ذلك أمر فزاع منهم الملبوس الذي كان عليهم من لبوس عظمائهم وقال : إن فعلتم ما فعلتم فإني سأؤخركم وأفرغ لكم وأنجزكم ما وعدتكم من العقوبة و ما يمتنعني أن أعجل ذلك لكم إلا أنى أراكم شباباً حديثاً أسنانكم فلا أحب أن أهلكم حتى أجعل لكم أجلاً تتذكرون فيه وتراجعون عقولكم ، ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فزعت عنهم ، ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده ، وانطلق دقيانوس إلى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها قريبة منهم لبعض أموره ، فلما علم الفتية أن دقيانوس خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم ، فاثمروا بينهم أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ثم يتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له منحلوس فيمكثون فيه ويعبدون الله تعالى حتى إذا جاء دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء ، فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل قتي منهم إلى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم ، وأتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف الذي في الجبل فلبثوا فيه .

وقال كعب الأحبار : مروا بكلب فتبجح عليهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا ، فقال لهم الكلب : ما تريدون مني لا تخشوا جانبي فأنا أحب أحب الله فناموا حتى أحرسكم . وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : هربوا ليلاً من دقيانوس بن حلانوس حين دعاهم إلى عبادة الأصنام وكانوا سبعة فرأوا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ، فخرجوا من البلد فأوروا إلى الكهف وهو قريب من البلدة فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله ، وجعلوا نفقتهم إلى قتي منهم يقال له تملبخا فكان على

طعامهم يتباع لهم أرزاقهم من المدينة سرا وكان من أجلهم وأجلدهم ، فكان تملیخا يصنع ذلك فإذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويلبس ثيابا كثياب المساكين الذين يطعمون فيها ثم يأخذ ورقة ثم ينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا ويسمع ويتجسس لهم الخبر هل ذكر أصحابه بشئ أم لا ، ثم يرجع إلى أصحابه ، فلبثوا كذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس الجبار المدينة فأمر العظماء فذبجوا للطواغيت ففرح لذلك أهل الإيمان . وكان تملیخا والمدينة يشتري لأصحابه الطعام والشراب فرجع لأصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل فأخبرهم أن الجبار دقيانوس قد دخل المدينة وأنهم قد ذكروا مع عظماء المدينة ليدبجوا للطواغيت ، فلما أخبرهم فزعوا ووقعوا سجدا يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ويتعوذون به من الفتنة ، ثم إن تملیخا قال لهم : يا إخوتاه ارفعوا رؤوسكم واطعموا من رزق الله وتوكلوا عليه ، فرفعوا رؤوسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزنا وخوفا على أنفسهم فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس ، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا .

فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤوسهم ، فلما كان من الغد تفقدتهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم ، فقال لبعض أصحابه : قد ساءنى هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا ظنوا بى غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمرى وما كنت لأجهل عليهم ولا على واحد منهم إن تابوا وعبدوا إلهى ، فقال له عظماء المدينة : ما أنت بحقيق أن ترحم قوماً فجررة مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت أجلتهم أجلا ولو شاءوا لرجعوا فى ذلك الأجل ولكنهم لم يتوبوا . فلما قالوا له ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل إلى آبائهم فسأل عنهم ثم قال : أخبرونى عن أبنائكم المردة الذين عصونى : فقالوا له : أما نحن فلن نعصيك فلم تمتلنا بقوم مردة ذهبوا بأموالنا فأهلكوها بأسواق المدينة ثم انطلقوا فارتقوا إلى جبل يقال له منحلوس ، فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل ما يدرى ما يفعل بالفتية فألقى الله فى نفس دقيانوس أن يأمر بالكهف فيسد عليهم ، وأراد الله أن يذكرهم ويجعلهم آية ويستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ويدعوهم كما هم فى الكهف يموتون عطشا وجوعا ، وليكن كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم ، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم يقبلون ذات اليمين وذات الشمال .

ثم إن رجلين مؤمنين كانا فى بيت الملك دقيانوس يكتبان إيمانها كان اسم أحدهما مندروس والآخر دوماس ، ائتمرا أن يكتبتا أسماء الفتية وأنسابهم وخبرهم فى لوح رصاص

ويجعله في تابوت من نحاس ثم يجعل التابوت في البنيان ، وقالوا : لعل الله يظهر على هؤلاء الفتيّة قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ هذا الكتاب ، ففعلا ثم بنيا عليهم فبقي دقيانوس ما بقي ثم مات وقومه وقرون بعد ذلك كثيرة وخلفاء الملوك بعد الملوك .

وقال عبيد بن عمير : كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوى ذنائب ، وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم في زى وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ، وقد قذف الله في قلوب الفتيّة الإيمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الإيمان عن أخيه ، فقالوا في أنفسهم من غير أن يظهروا بعضهم على بعض : نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم ، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة فجلس فيه ، ثم خرج آخر فراه جالسا وجده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر له ذلك فجلس إليه ، ثم خرج الآخرون فجاءوا وجلسوا إليهما واجتمعوا فقال بعضهم لبعض : ما جمعكم ؟ وقال آخر : ما حملكم ؟ وكل واحد يكتم عن صاحبه إيمانه مخافة على نفسه ، ثم قالوا : ليخرج كل فتية منكم فيخلوا ثم ليقش كل واحد منهما لصاحبه أمره ، فخرج فتية منهم فتوافقا ثم تسكلما فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه ، فأقبلا مستبشرين إلى أصحابهما فقالا قد اتفقنا على أمر واحد ، فإذا هم جميعا على أمر واحد وهو الإيمان ، وإذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض - فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا - فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثمانئة سنة وازدادوا تسعا ، وفقدهم الملك وقومهم فطلبوهم فعسى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح من رصاص فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في شهر كذا من سنة كذا في مملكة فلان ، ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا : ليكون لهذا شأن ، ومات ذلك الملك وجاء قرن من بعد قرن .

وقال وهب بن منبه : جاء حوارى عيسى بن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقبل له : إن على بابها صنما لا يدخلها أحد إلا سجد له ، فكره أن يدخلها وأتى حماما قريبا من تلك المدينة فكان فيه ، وكان يؤاجر نفسه من الحمامي في حمامه ويعمل فيه ، ورأى الحمامي في حمامه البركة ودرعايه الرزق فجعل يقوم عليه ، وعلقه فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا بالله وصدقوه وكانوا على مثل حاله من حسن الهيئة ، وكان شرط على صاحب الحمام أن الليل لا يحول بيني وبينه أحد ولا بين الصلاة ، وكان على ذلك حتى أتى ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام ، فعبره الحمامي وقال له : أنت

ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحيا وذهب ثم رجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسيبه وانتهره ولم يلتفت إليه حتى دخلاه جميعا فماتا معا في الحمام ، فأقى الملك فقيل له صاحب الحمام قتل ابنتك فالتمس فلم يقدر عليه وهرب فقال : من كان يصحبه ؟ فسموا الفتية فالتمسوا ، فخرجوا من المدينة فمروا على صاحب لهم في زرع وهو على مثل إيمانهم فذكروا له أنهم التمسوا ، فانطلق معهم وكان معه كلب حتى آواهم الليل إلى كهف فقالوا : نبيت هاهنا الليلة ثم نصبح فترون رأيكم ، فضرب الله على آذانهم ، فخرج الملك في أصحابه يطلبهم فتبعوهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف ، فكلما أراد الرجل منهم دخوله أربع فلم يطق أحد منهم أن يدخله ، فقال قائل من أصحاب الملك : أليس لو كنت تقدر عليهم قتلهم ؟ قال : بلى : قال : فابن عليهم باب الكهف واركهم فيه يموتون جوعا وعطشا فنعل ذلك . قال وهب : فكثروا بعد ماسد عليهم باب الكهف زمانا بعد زمان ، ثم إن راعيا أدركه المطر عند باب الكهف فقال في نفسه : لو فتحت باب هذا الكهف وأدخلت فيه غنمي من المطر ، فلم يزل يعالجه حتى فتحه ، ورد الله عليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا .

قال محمد بن إسحاق : ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تاودوسيوس ، فلما ملك بقى في ملكه ثمانيا وثمانين سنة فتحزب الناس في ملكه وكانوا أحزابا ، فمنهم من يؤمن بالله تعالى ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها ، فكبر ذلك على الملك الصالح وشكا إلى الله وتضرع إليه وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ، ويقولون لآحياة إلا الحياة الدنيا وإنما تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد فأما الجسد فتأكله الأرض ، ونسوا ما في الكتاب فجعل تاودوسيوس يرسل إلى كل من يظن فيه خيرا وأنه معه على الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يحولون الناس عن الحق وملة الحوارين .

فلما رأى ذلك الملك الصالح تاودوسيوس دخل بيته وأغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا ثم جلس عليه فدأب ليلا ونهارا يتضرع إلى الله ويبكى مما يرى فيه الناس ويقول : أى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث إليهم من يبين لهم ، ثم إن الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة العباد أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية تبين لهم وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يستجيب أعبده الصالح تاودوسيوس وأن يتم نعمته عليه وأن لا ينزع عنه ملكه ولا الإيمان الذى أعطاه وأن يعبد الله ولا يشرك به شيئا وأن يجمع من كان ببلده من المؤمنين ، فألقى الله عز وجل في نفس رجل من أهل ذلك الجبل الذى به أهل الكهف أن يبني فيه حظيرة لغمه فاستأجر عاملين فجعلوا ينزعان تلك الأحجار ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى فرغ ما على فم الكهف وفتح عليهم باب

الكهف وحجبه الله عن الناس بالرعب ، فبزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم من يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كلهم دونهم إلى باب الكهف قائماً .
فلما نزع الحجارة وفتح عليهم باب الكهف أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان محي الموتى أن يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مستبشرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون فيها إذا أصبحوا من إيلتهم التي يبيتون فيها ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا في أبقارهم ولا ألوانهم شيء يكرهونه إنما هم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن ملكهم دقيانوس الجبار في طلبهم ، فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم : ائتنا يا أخي بالذي قال الناس في شأننا عشية أمس عند الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون أمس وقد خيل إليهم أنهم ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا فيها حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض - كم ليثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم - وكل ذلك في أنفسهم يسير ، فقال لهم تمليخا : افتقدتم والتستم بالمدينة وهو يريد أن يأتي بكم اليوم فتذبجون للطواغيت أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل ، فقال لهم مكسلينا : يا إخوتاه اعلموا أنكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم غدا ، ثم قال لتمليخا : انطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها اليوم وما الذي نذكر به عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرن بنا أحدا وابتع لنا طعاما وائتنا به فإنه قد نالنا الجوع وزدنا على الطعام الذي تجيئنا به العادة فإنه كان قليلا وقد أصبحنا جوعا ، ففعل تمليخا كما كان يفعل وخرج ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها ، وأخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربيع ، فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة مزروعة عن باب الكهف فعجب منها ، ثم مر فلم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق خوفا من أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به إلى دقيانوس الجبار ، ولم يشعر بالعبء الصالح وأن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة ، فلما رأى تمليخا باب المدينة رفع رأسه فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان ، فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفيا فنظر يميننا وشمالا فلم ير أحدا ممن يعرفه ثم ترك ذلك الباب وتحول إلى باب آخر من أبوابها فرأى مثل ذلك ، فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرفها ، ورأى ناسا كثيرين محدثين لم يكن يعرفهم قبل ذلك ، فجعل يمشي ويتعجب منهم ومن نفسه ويخيل إليه أنه حيران ، ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب منه ومن نفسه ويقول : ياليت شعري أما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها فأما اليوم فإنها ظاهرة لعل حلم ، ثم يرى أنه ليس بناثم ،

فأخذ كساءه وجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشى بين ظهراني سوقها فيسمع ناسا كثيرين يخلفون بالله ثم بعيسى ابن مريم فزاده عجباً ورأى كأنه حيران ، فقام مسندا ظهره إلى جدار من جدران المدينة ويقول في نفسه : والله ما أدري ما هذا ! أما عشية أمس فليس على وجه الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قتل وأما الغداة فسمع كل إنسان يذكر أمر عيسى بن مريم ولا يخاف ، ثم قال في نفسه : لعل هذه ليست المدينة التي أعرفها أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحدا منهم ، والله ما أعلم مدينة أقرب من مدينتنا ، ثم قام كالخيران لا يتوجه وجهها ثم لقي فتى من أهل المدينة فقال : يا فتى ما اسم هذه المدينة ؟ فقال . أفسوس ، فقال في نفسه : لعل بي مسا أو أمرا أذهب عقلي ، والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخرج منها ويصيبني سوء فأهلك .

هذا الذي حدث به تملیخا أصحابه حين تبين له حالهم ، ثم إنه أفاق فقال : والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفتن بي لسكان أكيس بي ، فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاهم رجلا منهم فقال : يا عبد الله بعني بهذه الورق طعاما فأخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها وعجب منها ، ثم طرحها إلى رجل من أصحابه فنظر إليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل وهم يعجبون منها ، ثم جعلوا يتشاورون ويقول بعضهم : إن هذا الرجل قد أصاب كنزا خبيثا في الأرض منذ زمان ودهر طويل ، فلما رأيهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا وحزن حزنا عظيما وجعل يرتعد ويظن أنهم فطنوا به وعرفوه وإنما يريدون أن يحملوه إلى ملكهم دقيانوس ، وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه ، فقال لهم وهو شديد الفرق : اقضوني حاجتي فقد أخذتم روقي وإلا فأمسكوا طعامكم فلا حاجة لي فيه ، فقالوا له : من أنت يا فتى وما شأنك ؟ والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين وأنت تريد أن تخفيه منا فانطلق معنا وشاركنا فيه يخف عليك ما وجدت فإنك إن لم تفعل نأت بك السلطان فنسلمك إليه فيقتلك ، فلما سمع قولهم عجب في نفسه وقال : قد وقعت في كل شيء أحذر منه ، ثم قالوا : يا فتى والله إنك لا تستطيع أن تسكن شيئا وجدته ولا تظن في نفسك أن سنخني عليك ، فجعل تملیخا لا يدري ما يقول وما يرجع إليهم وفرق حتى ما يبحر إليهم جوابا ، فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطوقوه في عنقه ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مكبلا حتى سمع به كل من فيها ، فقبل أخذ رجل عنده كنز واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون إليه ويقولون : والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تملیخا ما يدري ما يقول لهم مع ما سمع منهم ، فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق وسكت ولم يتكلم ، ولو قال إنه من أهل المدينة لم يصدق ، وكان مستيقنا أن أباه وإخوته بالمدينة وأن حسبه في أهل

المدينة من عطاء أهلها وأنهم سيأتونه إذا سمعوا ، وقد استيقن أنه عشية أمس كان يعرف كثيراً من أهلها وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحداً ، فبينما هو قائم كالخير ان ينتظر من يأتيه من بعض أهله إما أبوه أو بعض إخوته فيخلصه من أيديهم إذا اختطفوه ، فانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يديران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أرموس والآخر اصطفوس ، فلما انطلق به إليهما ظن تمليحاً أنما ينطاق إلى دقيانوس الجبار ملكهم الذي هربوا منه فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون به كما يسخرون من المجنون والخيران ، وجعل تمليحاً يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ علي اليوم صبرا وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار ، وجعل يبكي ويقول في نفسه : فرق بيني وبين إخوتي باليتهم يعلمون ماليت وأين يذهب بي فاو أنهم يعلمون فيأتوني فتقوم جميعا بين يدي هذا الجبار ، فإننا كنا تواقنا لنكونن معا لانكفر بالله ولا نشرك به شيئا ولا نعبد الطواغيت من دون الله عز وجل فرق بيني وبينهم فلم أرحم ولم يروني وقد كنا تواقنا أن لانفترق في حياة ولا موت أبدا ، ياليت شعري ما هو فاعل بي أقاتلي أم لا ؟

هذا ما حدث به تمليحاً أحضابه عن نفسه حين رجع إليهم ثم انتهى به إلى الرجلين الصالحين أرموس واصطفوس ، فلما رأى تمليحاً أنه لم يذهب به إلى دقيانوس أفاق وسكن عنه البكاء فأخذ أرموس واصطفوس الورق فتظرا إليها وعجبا منها ثم قال له أحدهما : أين الكنز الذي وجدته يا فتى فهذا الورق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزاً ؟ فقال له تمليحاً : ما وجدت كنزاً ولكن هذا الورق ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ، ولكني والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم ، فقال أحدهما : من أنت ؟ فقال له تمليحاً ، أما ما أرى فأني كنت أرى أُنَى من أهل هذه المدينة ، فقالوا له : من أبوك ومن يعرفك بها ؟ فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا أباه ، فقال له أحدهما : أنت رجل كذاب لا تخبر بالحق فلم يدر تمليحاً ما يقول لهم غير أنه نكس رأسه إلى الأرض ، فقال بعض من حوله : هذا الرجل مجنون ، وقال بعضهم : ليس بمجنون ولكنه يحرق نفسه عمداً لكي يفات منكم ، فقال له أحدهما ونظر إليه نظراً شديداً : أنظن أنا نرسلك ونصدقك أن هذا مال أبيك ونقش هذا الورق وضربها أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب ، تظن أنك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شتمت كما ترى وحولك سراة أهل المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار ، وإني لأظنني سأمر بك فتضرب وتعذب عذاباً شديداً ثم أوثقك حتى تقرأ بهذا الكنز الذي وجدت ، فلما قال له ذلك قال له تمليحاً : أنبئوني عن شيء أسألكم عنه ، فإن فعلتم صدقتكم ما عندي ، قالوا : سل لانكتمك شيئاً : قال فما فعل

الملك دقيانوس ؟ فقالوا له : ليس نعرف اليوم على وجه الأرض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن إلا ملكا قد هلك منذ زمان ودهر طويل وقد هلكت بعده قرون كثيرة ، فقال لهم تلميذا : فوالله ما يصدقني أحد من الناس بما أقول ، لقد كنا فتية الملك وإنه أكرهنا على عبادة الأوثان والذبيح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فنمنا ، فلما انتبهنا خرجت لأشترى لأصحابي طعاما وأنجس لهم الأخبار فإذا أنا كما ترون فانطلقوا معي إلى الكهف الذى فى جبل منحلوس أريكم أصحابي ، فلما سمع أرموس وأصطفوس ما يقول تلميذا قالا : يا قوم لعل هذه آية من آيات الله عز وجل جعلها الله لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنامعه يربنا أصحابه كما قال ، فانطلق معه أرموس وأصطفوس وانطلق معهما أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم .

ولما رأى الفتية أصحاب الكهف تلميذا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذى كان يأتيهم فيه ظنوا أنه قد أخذ وذهب به إلى ملكهم دقيانوس الذى هربوا منه ، فبينما هم يظنون ذلك ويتخفونه إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل . مصعدة نحوهم فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث إليهم ليؤتى بهم ، فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وقالوا : انطلقوا بنا إلى أختينا تلميذا فانه الآن بين يدي الجبار دقيانوس ينتظر متى تأتيه ، فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراى الكهف فلم يروا إلا أرموس وأصحابه وقوما وقوفا على باب الكهف وقد سبقهم تلميذا فدخل عليهم وهر يبيكى ، فلما رآه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن شأنه فأخبرهم بخبره وقص عليهم المسئلة فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بإذن الله تعالى ذلك الزمان كله ، وإنما أوقفوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث ولتعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ، ثم دخل على أثر تلميذا أرموس فرأى تابوتا من نحاس مخنوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ودعا رجلا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما أن مكسليمينا وأمليخا أو (تلميذا) ومرطوكش ونولس وسانيوس وبطنوس وكشفوط كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا فى هذا الكهف ، فلما أخبر بمسكانهم أمر بهذا الكهف فسد عليهم بالحجارة وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم إن عثر عليهم ، فلما قرعوه عجبوا وحمدوا الله عز وجل الذى أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسيبحة ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا بين ظهراىه ووجوههم مشرقة لم تبيل ثيابهم ، فخر أرموس وأصحابه سجدا لله تعالى وحمدوا الله الذى أراهم آية من آياته ثم كالم بعضهم بعضا وأنبأهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس الجبار .

ثم إن أرموس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح تاودوسيوس أن عجل لعلك تنظر

إلى آية من آيات الله تعالى جعلها الله آية على ملكك وجعلها آية للعالمين ليكون ذلك نورا وضياء وتصديقا بالبعث ، فاعجل على فتية بعثهم الله وكان قد توفاهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة ، فلما أتى الملك الخبر قام من السدة التي كان عليها ورجع إليه عقله وذهب عنه همه ورجع إلى الله تعالى وقال : أحمد الله رب العالمين رب السموات والأرض وأعبدك وأسبح لك تطولت على ورحمتي برحمتك فلم تظني النور الذي كنت جعلته لآبائي وللعبد الصالح قسطنطينوس الملك فلما أنبى به أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف وأتوه ، فلما رأى الفتية تاودوسيوس فرحوا به وخرروا سجدا على وجوههم ، وقام تاودوسيوس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله تعالى ويحمدونه ، ثم قال الفتية لتاودوسيوس : نستودعك الله ونقرأ عليك السلام حفظك الله ومد ملكك ونعيذك بالله من شر الجن والإنس : فبينما الملك قائم رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أرواحهم وقام الملك فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل واحد تابوت من ذهب ، فلما أمسوا ونام أتوه في المنام وقالوا : إننا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكننا خلقنا من التراب وإلى التراب نصير ، فتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله ، فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبتهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد أن يطلع عليهم ، وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصل في وجهه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة .

وقيل إنهم لما أتوا باب الكهف قال لهم تلميذا: دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشروهم فإنهم إن رأوكم معي أرحبتموهم ، فدخل فبشروهم وقبض الله روحه وأرواحهم وعمى عليهم فلم يهتدوا إليهم ، فهذا حديث أصحاب الكهف . ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يريه إياهم ؟ فقال تعالى : إنك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : كيف أبعث إليهم ؟ فقال : ابسط كساءك وأجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الثاني عمر ، وعلى الثالث عليا . وعلى الرابع أبا ذر ، ثم دع الرخاء المسخرة لساجان بن داود عليهما السلام فإن الله تعالى أمرها أن تطيعك ، ففعل النبي صلى الله عليه وسلم ما أمر به فحملتهم الريح حتى انطلقت بهم إلى باب الكهف ، فلما دنوا من الباب قلعوا منه حجرا فقام الكلب فنبح عليهم حين أبصر الضوء وهر وحل عليهم ، فلما رأهم حرك رأسه وبصص بذنبه وأوما برأسه أن ادخلوا الكهف ، فدخلوا فقالوا : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد الله عليهم أرواحهم فقاموا بأجمعهم وقالوا : وعليكم السلام وعلى محمد رسول الله السلام مادامت السموات والأرض وعليكم بما بلغتم ، ثم جلسوا بأجمعهم يتحدثون فأمنوا بمحمد

صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الإسلام وقالوا أقرئوا محمدا منا السلام، ثم أخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدي، ويقال إن المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون إلى يوم القيامة.

وقد رأيت في كتاب [الشفاء] للإمام أبي الربيع سليمان بن سبع مانصه: روى أن عيسى عليه السلام يعمر بعد الدجال وبأجوج ومأجوج أربعين سنة، ويكون حواريوه أصحاب الكهف والرقيم ويحجون معه لأنهم لم يحجوا: انتهى ما نقله ابن سبع. ثم نرجع إلى سياق الثعلبي قال: ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح فهبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما كان منهم، فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم: كيف وجدتموهم وما الذي أجابوا؟ فقالوا: يا رسول الله دخلنا عليهم فسلمنا عليهم فقاموا بأجمعهم فردوا علينا السلام وبلغناهم رسالتك فأجابوا وأتابوا وشهدوا أنك رسول الله حقا، وحمدوا الله على ما أكرمهم بخروجك وتوجيه رسلك إليهم، وهم يقرءونك السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، اللهم لا تفرق بيني وبين أصحابي وأحبائي، واغفر لمن أحبني وأحب أهل بيتي وأحب أصحابي، فذلك قوله تعالى: - إذ أرى الفتية إلى الكهف - أي صار يضم الفتية: قال الثعلبي: كان أصحاب الكهف صيافة.

قوله عز وجل: - إلى الكهف - هو غار بجبل منخلوس، وقيل بناحيوس، واسم الكهف حرم، وقيل خلم. قوله تعالى: - فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا - أي يسر لنا ما نلتمس من رضاك، وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: رشداً أي مخرجا من الغار في سلامة وقيل صوابا.

قوله تعالى: - فضربنا على آذانهم في الكهف - وهذا من فصاحات القرآن التي أقرت العرب بالقصور عن الإتيان بمثله، ومعناه: أتمناهم وألقينا وسلطنا عليهم النوم، كما يقال ضرب الله فلانا بالفالج أي ابتلاه به وأرسله عليه، وقيل معناه: حجبتناهم عن السمع وسددنا نفوذ الصوت إلى مسامعهم، وهذا وصف الأموات والنيام. وقال قطرب: هو كقول العرب: ضرب الأمير على يد الرعية إذا منعهم من العبث والفساد، وضرب السيد على يد عبده المأذون له في التجارة إذا منعه من التصرف: وقال الأسود بن يعفر وكان ضريرا في ذلك:

ومن الحوادث لا أبالي أنني ضربت على الأرض بالأسداد
قوله عز وجل: - سنين عددا - أي معدودة وهي نعت السنين، والعد المصدري والعدد

اسم المعدود كالنقض والنقض والقص والقصص والخبط والخبط ، وقال أبو عبيدة : هو تصب على المصدر .

قوله تعالى : - ثم بعثناهم - يعنى من بعد موتهم - لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا - وذلك حين تنازع المسلمون الأولون أصحاب الملك ، والمسلمون الآخرون الذين أسلموا حين رأوا أصحاب الكهف فى قدر مسدة لبثهم فى الكهف ، فقال المسلمون الأولون : لبثوا فى الكهف ثلاثمائة سنين وتسع سنين ، وقال المسلمون الآخرون : بل لبثوا كذا وكذا ، فقال الأولون : الله أعلم بما لبثوا ، فذلك قوله تعالى : - ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين - أى أى الفريقين - أحصى - أى أضبط وأحفظ - لما لبثوا - أى مكثوا فى كهفهم نياما - أمدا - غاية . وقال مجاهد : عددا ، وفى نصبه وجهان : أحدهما على التفسير والثانى مفعول لبثوا : قوله عز وجل : - نحن نقص عليك - أى نقرأ وننزل عليك - نبأهم بالحقى - أى خبر أصحاب الكهف - إنهم فتية - أى شباب وأحداث - آمنوا بربهم - حكم الله لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة لذلك . قال أهل اللسان : رأس الفتوة الإيمان . وقال الجنيد : الفتوة بذل الندى وكف الأذى وترك الشكوى : وقيل الفتوة شيثان : اجتناب المحارم واستعمال المكارم : وقيل الفتى من لا يدعى قبل الفعل ولا يركى نفسه بعد الفعل : وقيل ايس الفتى من يصبر على السياط وإنما الفتى من يجوز على الصراط ، وليس الفتى من يصبر على السكين وإنما الفتى من يطعم المسكين :

قوله تعالى : - وزدناهم هدى - أى إيمانا وبصيرة وإيقانا - وربطنا - أى شدنا - على قلوبهم - بالصبر وألمناهم ذلك وقوبناهم بنور الإيمان حين صبروا على هجران دار قومهم وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ، وفروا بدينهم إلى الكهف إذ قاموا بين يدى دقيانوس ، فقالوا حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم - ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها - أى لا نعبد من دونه إلها - لقد قلنا إذا شططا - قال ابن عباس ومقاتل رضى الله تعالى عنهم : جورا ، وقال قتادة رحمه الله تعالى : كذبا : وأصل الشطط والإشطاط مجاوزة القدر والإفراط - هؤلاء قومنا - بمعنى أهل بلدهم - اتخذوا - أى عبدوا - من دونه آلهة - يعنى من دون الله الأصنام يعبدونها - لولا - هلا - يأتون عليهم - على عبادتهم - بسطان بين - أى حجة واضحة - فن أظلم ممن افترى على الله كذبا - ويزعم أن له شريكا وولدا ، ثم قال بعضهم لبعض - وإذا اعتزتمهم - يعنى قومهم - وما يعبدون إلا الله - أى واعتزلتم أصنامهم التى يعبدونها من دون الله ، وكذلك هو فى مصحف عبد الله «وما يعبدون من دون الله» .

- فأووا إلى الكهف - أى صبروا إليه - ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيب لكم من

أمركم مرفقا - أى رزقا رغدا : والمرفق : ما يرتفق به الإنسان ، وفيه لغتان مرفق بفتح الميم وكسر الفاء وهى قراءة أهل المدينة والشام وعاصم فى بعض الروايات ، ومرفق بكسر الميم وفتح الفاء وهى قراءة الباقيين .

قوله تعالى : - وترى الشمس إذا طلعت - أى وترى يا محمد الشمس إذا طلعت - تراور - أى تراور : قرأ أهل الكوفة بالتخفيف على حذف إحدى التاءين ، وقرأ أهل الشام ويعقوب تراور على وزن تجمر وكلها بمعنى واحد أى تميل وتعدل - عن كهفهم ذات اليمين - أى جانب اليمين - وإذا غربت تقرضهم - : قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : تدعهم . وقال مقاتل بن حيان : تجاوزهم ، وأصل القرص القطع - ذات الشمال وهم فى فجوة منه - أى متسع من الكهف ، وجمعها فجوات وأفجاء وفجاء ، أخبرنا الله بحفظه إياهم فى مضجعهم واختياره لهم أصلح المواضع للرقاد ، فأعلمنا أنه يراهم فى فضاء من الكهف مستقبلا بنات نعش تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة وجارية فلا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرما وتغير من ألوانهم وتبلى ثيابهم ، وإنهم فى متسع منه ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ، وتبنى عنهم كربة الغار وغومه - ذلك - ما ذكرنا من أمر الفتية - من آيات الله - أى من عجائب صنع الله ودلالات قدرته :

قوله عز وجل : - من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا - لأن التوفيق والخذلان بيد الله عز وجل - وتحسبهم - يا محمد - أيقاظا - منتبهين جمع يقظ ويقظ . مثل قولك رجل نجد ونجد للشجاع وجمعه أنجاد - وهم رقود - يعنى نيام جمع راقد مثل قاعد ووقود - ونقلبهم - بالتخفيف والتشديد - ذات اليمين وذات الشمال - مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كانوا يقلبون فى السنة مرة من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم ، ويقال إن يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم . وقال أبو هريرة : كان لهم فى السنة تقلبتان - وكلبهم - قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كان أحمر ، وقال مقاتل : كان أصفر ، وقال القرطبي : من شدة صفوته يضرب إلى الحمرة ، وقال السكبي : لونه كالخلنج ، وقيل لون الحجر ، وقيل لون السماء ، وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : كان اسمه ريان ، وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : قطمير ، وقال الأوزاعي : مشير ، وقال سعيد الجمال : حران ، وقال عبد الله بن كثير : إن اسم كلبهم قطمور ، وقال السدي : اسمه تون ، وقال عبد الله بن سلام : بسيط ، وقاله كعب صبهان ، وقال وهب : اسمه نقيا ، وقيل قطفير ، وقيل قطيفير ، وقال عروة : مما أخذ على العقرب أن لا يضر بأحد فى ليل ولا نهار : قال - سلام على نوح - قال : وما أخذ على الكلب أن لا يضر بأحد ممن حل عليه إذا قال - وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد -

وقرأ جعفر الصادق « وكالبهم » يعنى صاحب الكلب - باسط ذراعيه بالوصيد - وقال مجاهد والضحاك : والوصيد فناء الكهف ، وهى رواية على بن أبى طلحة عن ابن عباس . وقال سعيد بن جبير : الوصيد الصعيد وهو التراب ، وهى رواية عطية العوفى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : وقال السدى : الوصيد الباب ، وهى رواية عكرمة عن ابن عباس ، وأنشد قول الشاعر :

بأرض فضاء لا يسد وصيدها على ومعروفى بها غير منكر
أى بابها . وقال عطاء : الوصيد عتبة الباب . وقال العتبى : الوصيد البناء ، وأصله من قول العرب : صدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقتة .

قوله تعالى : - لو اطلعت عليهم - يا محمد - لوليت منهم فراراً - لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة ، حتى لا يصل إليهم واصل ولا تلمسهم يد لا مس حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله تعالى من رقدتهم لإرادة الله عز وجل أن يجعلهم آية وعبرة لمن شاء من خلقه - ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها - وملئت منهم رعباً - أى خوفاً ، وقرأ أهل الكوفة ملئت بالثديد ، قيل إنما قال ذلك لوحشة المكان الذى هم فيه . وقال الكلبي وغيره : لأن أعينهم مفتحة كالمستيقظ الذى يريد أن يتكلم وهم نيام ، وقيل إن الله منعهم بالرعب لثلاث أراهم أحد .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أنه غزا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمروا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف الذين ذكرهم الله فى القرآن ، فقال معاوية : لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم ، فقال له ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك . قال الله تعالى : - لو اطاعت عليهم لوليت منهم فراراً وملئت منهم رعباً - فقال معاوية : لا أنتهى حتى أعلم علمهم ، فبعث ناساً فقال اذهبوا فادخلوا الكهف فانظروا ، ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم .

قوله عز وجل - وكذلك بعثناهم - يعنى كما أتمناهم فى الكهف ومنعنا من الوصول إليهم وحفظنا أجسامهم من البلى على طول الزمان وثيابهم من العفن على ممر الأيام بقدرتنا فكذلك بعثناهم من النوم التى تشبه الموت - ليتساءلوا بينهم - أى ليتحدثوا ويسأل بعضهم بعضاً - قال قائل منهم - يعنى رئيسهم مكساميناً - كم لبثتم - فى نومكم وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول نومهم ، ويقال إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقال ذلك - قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم - لأنهم دخلوا الكهف غدوة فلما رأوا الشمس قالوا - أو بعض يوم - توقيا من الكذب وكان قد بقيت من الشمس بقية . ويقال كان بعد زوال الشمس فحلموا نظروا

إلى أظفارهم وأبشارهم يثقون أن لبثهم كان أكثر من يوم فـ قالوا ربكم أعلم بما لبثتم - ويقال : إن رئيسهم لما سمع الاختلاف بينهم قال ذلك - فابعثوا أحداكم - يعنى تمايخا - بورقكم هذه إلى المدينة - والورق الفضة المضروبة مضروبة كانت أو غير مضروبة . والدليل عليه أن عرفجة بن سعد أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق ، وفيه لغاب بورقكم ساكنة الراء وهى قراءة أبى عمرو وحمة وخلف وأبى بكر ، وتورقكم بكسر الراء وإدغام القاف وهى قراءة بعض ، وبورقكم بفتح الواو وكسر الراء وهى قراءة أكثر القراء ، وورق وورق مثل كبذ وكبد وكلم وكلم ، والمدينة أفسوس ، وقيل طرسوس ويقال أرسوس كان اسمها فى الجاهلية أفسوس فلما جاء الإسلام سموها طرسوس - فليظنر أيها أركى طعاما - قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وسعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه : أحل ذبيحة لأن عامتهم كانوا مجوسا ومنهم قوم مؤمنون يخفون إيمانهم : وقال الضحاك : أطيب ، وقال مقاتل وابن حيان : أجود . وقال ابن شهاب أرخص ، وقال قتادة : أخير ، وقال عكرمة : أفضل وأكثر ، وأصل الزكاة الزيادة والتماء . قال الشاعر :

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة كذا السبع أركى من ثلاث وأطيب

- فليأتكم برزق منه - أى قوت وطعام - وليتلطف - أى وليرفق فى الشراء وفى طريقه وفى دخوله المدينة - ولا يشعرن - ولا يعلمن - بكم أحدا - من الناس - إنهم إن يظهروا غايكم - فيعلموا بمكانكم - يرجوكم - قال ابن جريج : يشتموكم ويؤذوكم بالقول ، ويقال يقتلوكم ، ويقال كان من عاداتهم القتل بالرحم وهو من أخبث القتل ، ويقال يضر بركم - أو يعيدوكم فى ملتهم - أى دينهم الكفر - ولن تفاعوا إذا أبدا - إن عدتم إليهم : قوله عز وجل - وكذلك أعثرنا عليهم - أى أطلعنا عليهم يقال عثر على الشيء اطلعت عليه وأعثر غيرى أطلعته عليه - ليعلموا أن وعد الله حق - يعنى قوم تاودوسيوس - وأن الساعة لاريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم - قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : يتنازعون فى البنيان والمسجد ، فقال المسلمون : نبى عليهم مسجدا لأنهم على ديننا ، وقال المشركون : نبى عليهم بنيانا لأنهم من أهل نسبنا . وقال عكرمة يتنازعون فى الأرواح والأجساد فقال المسلمون : البعث للأجساد والأرواح ، وقال المشركون : البعث للأرواح دون الأجساد فبعثهم الله تعالى من رقادهم وأراهم أن البعث للأجساد والأرواح : وقيل يتنازعون فى عددهم - فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم - تاودوسيوس الملك وأصحابه - لتتخذن عليهم مسجدا - .

قوله عز وجل - سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم - وذلك أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أهل الكهف ، فقال السيد :

كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ، وكان السيد يعقوبيا ، وقال العاقب : كانوا خمسة سادسهم كلبهم
وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم ، فحقق الله قول المسلمين وصدقهم بعد ما حكى
قول النصارى فقال - سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب -
أى قدفا بالظن من غير يقين كقول الشاعر :

• وأجعل قولى الحق قولا مرجحا •

- ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم - قال بعضهم : هذه واو والثمانية ، وذلك أن العرب
تقول : واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية ، لأن العقد عندهم كان سبعة كما هو
اليوم عندنا عشرة ، ونظيره قوله تعالى - الثابتون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر - وقوله تعالى لأزواج النبي صلى الله عليه
وسلم - نيات وأبكارا - وقال بعضهم : هذه واو الحكم والتحقيق فإن الله حكى اختلافهم
فتم الكلام عند قوله - ويقولون سبعة - ثم حكى أن ثامنهم كلبهم والثامن لا يكون إلا بعد
السبع فهذا تحقيق قول المسلمين - قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل - قال مجاهد
وقتادة : قليل من الناس ، وقال عطاء وقتادة أيضا : يعنى بالقليل أهل الكتاب ، وقال
ابن عباس فى قوله - ما يعلمهم إلا قليل - قال : أنا من أولئك القليل ، وهم مكلمينا
وتلميذا ومرطونس وبنوونس وساربنوس ودوانونس وكندسلطنوس وهو الراعى والكتاب
اسمه قطمير كلب أتمر فوق القلطى ودون الكردى ، والقلطى كلب صينى .

قال محمد بن المسيب : وما بقى بنيسابور محدث إلا كتب عنى هذا الحديث إلا من لم يقدر
له ، وكتبه على أبو عمر والجبرى : زاد الإمام أبو الحسن فى روايته فقال : قلت وصدق
ابن المسيب فقد رأيت فى تفسير أبى عمر والجبرى هذا الحديث مرويا عن ابن المسيب ،
ثم قال أعنى الإمام أبا الحسن بسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : إن الله
عز وجل عددهم حتى انتهى إلى السبعة ، وأنا من القليل الذين يعلمونهم هم سبعة يعنى
أصحاب الكهف .

قال الثعلبى : قوله تعالى - فلا تمار فيهم إلا مرآة ظاهرا - وهو مانص عليه فى كتابه
العزيز من خبرهم يقول تعالى حسبك ما قصصت عليك - فلا تمار فيهم - ولا تستفت فيهم منهم
أحدأ - من أهل الكتاب .

وقوله تعالى - ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله - قال ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما : يعنى إن عزمتم على أن تفعل غدا شيئا أن تحلف على شيء أنت فاعله
غدا فقل إن شاء الله ، فإن نسيت الاستثناء ثم ذكرته فقله ولو بعد سنة ، وهذا تأديب من الله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين سئل عن المسائل الثلاثة : أهل الكهف والروح وذى القرنين

فوعدهم أن يجيهم عنهم غدا ولم يقل إن شاء الله ولم يستثنى: روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يتم إيمان العبد حتى يستثنى في كل كلامه » .

وقوله عز وجل - واذكر ربك إذا نسيت - قال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والحسن رضى الله تعالى عنهم: معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرته فاستثنى .

وقال عكرمة رضى الله تعالى عنه: معناه واذكر ربك إذا غضبت: فقد روى وهب ابن منبه قال: مكتوب في الإنجيل: يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب وإلا أحتكك فيمن أحتق، وإذا ظلمت فلا تنتصر فإن نصرتني لك خير من نصرتك لنفسك .

وقال الضحاك والسدى: هذا في الصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم « من نسى صلاة أو نام عنها فليصلها متى ذكرها » وقال أهل الإشارة: معناه واذكر ربك إذا نسيت غيره ويؤيد قول ذى النون المصرى رحمه الله تعالى: من ذكر الله على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء فإذا نسي في جنب ذكره كل شيء حفظ الله له كل شيء وكان له عوضا من كل شيء، وقيل معناه: واذكر ربك إذا تركت ذكره، والنسيان هو الترك .

وقوله عز وجل - وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا - أى يثبتنى على طريق هو أقرب إليه وأرشد، وقيل معناه: لعل الله يهدينى فيرشدنى لأقرب مما وعدتكم وأخبرتكم أنه سيكون إن هو شاء، وقيل إن الله أمره أن يذكره إذا نسى شيئا ويسأله أن يذكره فيذكره ويهديه لما هو خير له من تذكره ما نسيه، ويقال إن هؤلاء القوم لما سألوهم عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج والبيان على صحة نبوته وما دعاهم إليه من الحق زيادة على ما سألوهم، ثم إن الله تعالى فعل ذلك به حيث آتاه من علم غيوب المسلمين وخبرهم ما كان أوضح الحجج وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف: وقال بعضهم: هذا شيء أمر صلى الله عليه وسلم أن يقوله مع قوله إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد ما نسيه، فإذا نسى الإنسان إن شاء الله فتوبته من ذلك وكفارته أن يقول - عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا - .

وقوله تعالى - وليثوا - يعنى أصحاب الكهف - فى كهفهم ثلثائة سنين وازدادوا تسعا - قال بعضهم: هذا خبر عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك، وقالوا لو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم فى الكهف لم يكن لقوله: - قل الله أعلم بما لبثوا - وجه مفهوم فقد أعلم الله خلقه قدر لبثهم، وهذا القول قول قتادة يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود فقالوا لبثوا فى كهفهم. وقال مطر الوراق فى هذه الآية: هذا شيء قالته اليهود فرد الله عليهم فقال - قل الله أعلم بما لبثوا - .

وقال آخرون : هذا إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف ، وقالوا معنى قوله تعالى - قل الله أعلم بما لبثوا - أن أهل الكتاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا . إن للفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم ذلك قال صلى الله عليه وسلم «الله أعلم بما لبثوا» بعد أن قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلم ذلك غير الله وغير من أعلمه الله ذلك . وقال الكلبي : قالت النصارى : أهل نجران أما الثلاثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت - قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض - أى يعلم ما غاب فيهما عن العباد . واختلفوا في قوله عز وجل «ثلاثمائة سنين» فقرأ أهل الكوفة بغير تنوين بمعنى فلبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة . وقال الضحك ومقاتل : نزلت - ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة - فقالوا أياما أو شهرا أو سنين فلذلك قال سنين ولم يقل سنة ، انتهى ماساقه الإمام أبو إسحاق محمد بن أحمد الثعلبي من قصة أصحاب الكهف ، وقد ذكرها الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير ابن يزيد الطبري في تاريخه الكبير ، وفيها زيادة فوائد فلنأت بها .

قال : ومما كان في أيام ملوك الطوائف ما ذكره الله في كتابه العزيز من أمر الفتية الذين أووا إلى الكهف فضرب على آذانهم قال : وكان أصحاب الكهف فتية آمنوا بربهم كما وصفهم الله به في تنزيله فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم - أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا - والرقيم هو الكتاب الذى كان القوم الذين منهم كان الفتية كتبوه في لوح بذكر خبرهم وقصصهم ثم جعلوه على باب الكهف الذى أووا إليه أو نقروه في الجبل الذى أووا إليه أو كتبوه في لوح وجعلوه في صندوق خلفوه عندهم - إذ أوى الفتية إلى الكهف - وكان عدد الفتية فيما ذكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سبعة وثامنهم كلبهم .

قال قتادة : ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : أنا من ذلك القليل الذى استثنى الله عز وجل كانوا سبعة وثامنهم كلبهم ، وكان اسم أحدهم يميلخا وهو الذى كان يلى شراء الطعام لهم الذى ذكر الله عز وجل عنهم أنهم قالوا ذهبوا من رقدتهم - فابعثوا أحداكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أركى طعاما فليأتكم برزق منه - قال مجاهد في قوله تعالى - فابعثوا أحداكم بورقكم هذه - اسمه يمايخ . وأما ابن إسحاق فإنه قال : اسمه يميلخا ، وكان ابن إسحاق (١) يقول : عدد الفتية ثمانية ، فعلى قوله كان تاسعهم كلبهم ، وأنه كان يسميهم فيقول ، كان أحدهم وهو أكبرهم والذى كلم الملك عن سائرهم مكسلمينا ، والآخر مجسلمينا ، والثالث يميلخا ، والرابع مرطوس ، والخامس كمشطيطوس ، والسادس يايوس ، والسابع ميموس ،

(١) قوله : وكان ابن إسحاق الخ (فيه نظر فإنه جعل العدد ثمانية وعد تسعا إلا أن يكون الكلب اسم من التسعة المذكورة اه مصححه .

والثامن بطنيوس ، والتاسع طالوس : وكانوا أحداثا ، وعن مجاهد قال : لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حدائث أسنانهم وضح الورق ، وكانوا من قوم يعبدون الأوثان من الروم فهداهم الله للإسلام ، وكانت شريعتهم شريعة عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام في قول جماعة من سلف علاننا .

وعن عمر يعني ابن قيس الملائى في قوله تعالى - أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا - قال : كانت الفتية على دين عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، وكان ملكهم كافرا ، وكان بعضهم يزعم أن أمرهم ومصيرهم إلى الكهف كان قبل المسيح وأن المسيح أخبر قومه خبرهم ، وأن الله عز وجل بعثهم من رقدتهم بعد ما رفع المسيح عليه السلام في الفترة التي بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم أى ذلك كان ؟ فأما الذى عليه علماء الإسلام فإن أمرهم كان بعد المسيح ، وأما أنه كان في أيام ملوك الطوائف فإن ذلك لا يرفعه رافع من أهل العلم بأخبار الناس القديمة ، وكان لهم في ذلك الزمن ملك يقال له دقيانوس يعبد الأصنام فيما ذكر قبله عن الفتية خلافهم إياه في دينه فظلمهم فهربوا منه يدينهم حتى صاروا إلى جبل لهم يقال له منحلوس ، وكان سبب إيمانهم وخلافهم لقومهم ما ذكر عن وهب بن منبه أنه قال : جاء حواري عيسى ابن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقبل له إن على بابها صنما لا يدخل أحد إلا سجد له فكره أن يدخلها ، فأتى حماما كان قريبا من تلك المدينة فكان يعمل فيه يؤاجر نفسه من صاحب الحمام ، فرأى الرجل في حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يعرض عليه الإسلام ويجعل يسترسل إليه ، وعلقه فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا بما يقوله وصدقوه ، وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة ، وكان يشترط على صاحب الحمام أن الليل لا يحول بينى وبينه أحد ولا بين الصلاة إذا حضرت ، فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام ، فغيره الحواري وقال له : أنت ابن الملك وتدخل معك هذه التي هي كذا وكذا ، فاستحيا وذهب ، فرجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسه وانتهره ولم يلتفت إليه حتى دخل ودخلت معه المرأة فأتتا في الحمام جميعا ، فأتى الملك فقبل له إن صاحب الحمام قد قتل ابنك فالتمس فلم يقدر عليه وهرب كل من كان يصحبه فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة ، فمروا بصاحب لهم في زرع وهو على مثل أمرهم فذكروا له أنهم التمسوا فانطلق معهم ومعه الكلب حتى آواهم الليل إلى الكهف فدخلوا وقالوا نبيت هاهنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله فترون رأيكم ، فضرب على آذانهم فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف فكلما أراد رجل أن يدخل الكهف أربع فلم يطق أحد أن يدخله ، فقال قائل : أليس لو كنت قدرت عليهم قتلهم؟

قال : بلى : قال : فان عليهم باب الكهف ودعهم يموتون عطشا وجوعا ففعل ، فغير بعد ما بنى عليهم باب الكهف زمان بعد زمان ، ثم إن راعيا أدركه المطر عند الكهف فقال : لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمي من المطر ، فلم يزل يعالجه حتى فتح فأدخل فيه غنمه ، ورد الله تعالى إليهم أرواحهم في أجسادهم من الغد حين أصبحوا ، فبعثوا أحدهم بورقه يشتري لهم طعاما ، فلما أتى باب مدينتهم لم ير شيئا ينكره حتى دخل على رجل فقال : معنى هذه الدراهم طعاما ؟ فقال : ومن أين لك هذه الدراهم ؟ قال : خرجت أنا وأصحاب لي أمس فأوانا الليل حتى أصبحوا فأرسلوني فقال : هذه الدراهم كانت على عهد الملك فلان فأنى لك بها ؟ فرفعه إلى الملك وكان ملكا صالحا فقال : من أين لك هذه الدراهم ؟ قال : خرجت أنا وأصحاب لي أمس حتى أدركنا الليل في كهف كذا وكذا ، فلما أصبحوا أمروني أن أشتري لهم طعاما . قال : وأين أصحابك ؟ قال : في الكهف ، فانطلقوا معي حتى أتوا باب الكهف فقال : دعوني أدخل إلى أصحابي قبلكم ، فلما رأوه ودنا منهم ضرب الله على آذانهم وآذانهم فجعلوا كلما دخل رجل أرب فلم يقدرُوا أن يدخلوا إليهم ، فبنوا عنده كنيسة واتخذوها مسجدا يصلون فيه :

وعن قتادة عن عكرمة قال : كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم رزقهم الله الإسلام فتعدوا بأيديهم واغتالوا قومهم حتى انهم إلى الكهف فضرب الله على صياحهم ، فلبثوا دهرا طويلا حتى هلكت أممهم وجاءت أمة مسلمة وكان ملكهم مسلما ، واختلفوا في الروح والجسد فقال قائل : تبعث الروح والجسد جميعا ، وقال قائل : تبعث الروح لا غير فأما الجسد فتأكله الأرض فلا يكون شيئا ، فشق على ملكهم اختلافهم فانطلق فلبس المسوح وجلس على الرماد ثم دعا الله فقال : أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم ما يبين لهم ، فبعث الله أصحاب الكهف ، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاما فدخل السوق فجعل ينكر الوجوه ويعرف الطريق ويرى الإيمان بالمدينة ظاهرا ، فانطلق وهو مستخف حتى أتى رجلا يشتري منه الطعام ، فلما نظر الرجل إلى الورق أنكرها . قال : حسبت أنه قال : كأنها خفاف الربع يعني الإبل الصغار ، فقال الفتى : أليس ملككم فلانا ؟ قال : لا بل ملكنا فلان ، فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك ، فسأله الملك فأخبره الفتى خبر أصحابه ، فبعث الملك في الناس فجمعهم فقال : إنكم قد اختلفتم في الروح والجسد ، وإن الله قد بعث لكم آية ، فهذا الرجل من قوم فلان يعني ملكهم الذي مضى ، فقال الفتى : انطلقوا معي إلى أصحابي ، فركب الملك وركب معه الناس ، فلما انتهى إلى الكهف قال الفتى : دعوني أدخل إلى أصحابي ، فلما أبصرهم ضرب على آذانه وآذانهم ، فلما استبطئوه دخل الملك ودخل معه الناس فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئا غير أنها لا أرواح فيها ، فقال الملك هذه آية بعثها الله لكم .

قال قتادة : وغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة فرأوا بالكهف فإذا فيه عظام ، فقال رجل : هذه عظام أهل الكهف ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما : لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة ، وقاله وهب والسدى وغيرهما ، وأسماءهم : مكسلمينا وهو أكبرهم ورئيسهم ، وإمليخا وهو أجملهم وأعبدهم وأنشطهم ، ومرطونس ويوانس وساربنوس وبطنوس وكندسلطنوس ، وكلهم قطمير : يكتب ذلك للنوم وللبكاء الأطفال .

ومما يكتب لنوم الصبيان وبكائهم : أعوذ بكلمات الله التامات التي نام بها أصحاب الكهف والرقيم - الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى - اللهم ألق النوم والسكينة على حامل هذا الكتاب بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(فائدة أخرى) وقد تقدمت قبل ذلك وهي عن عمرو بن دينار أنه قال : مما أخذ على العقرب أن لا تضر أحدا في ليل أو نهار يصلى على نوح صلى الله عليه وسلم ، ومما أخذ على الكلب أن لا يضر أحدا حمل عليه في ليل أو نهار إذا قرأ - وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد - إلى هنا انتهى ما تقدم .

وقال القرطبي في كتاب [التذكار في أفضل الأذكار] بلغنا عن تقدم أن في سورة الرحمن آية تقرأ على الكلب إذا حمل على الإنسان وهي قوله تعالى - يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان - فإنه لا يؤذيه بإذن الله تعالى ، وفي تاريخ الإسلام للذهبي في سنة ثلثمائة : أن ممشاد الدينورى رحمة الله تعالى خرج من داره فنبحه كلب فقال : لا إله إلا الله ، فمات الكلب مكانه .

(الحكم) يحرم أكل الكلاب بجميع أنواعها إلا ابن آوى فإنه من جنس الكلاب وفيه خلاف سبق في باب الهمزة ، وروى ابن عبد البر في التمهيد عن الشعبي أنه سئل عن رجل يتداوى بلحم الكلاب فقال : لا شفاه الله ، وعلى مقتضى الكلب المباح اقتناؤه أن يطعمه أو يرسله أو يدفعه لمن يريد الانتفاع به ، ولا يحل حبسه إيهلك جوعا .

(فرع) لو كان لإنسان كلب محترم مضطر ومع غيره شاة جاز له مكابته عليها لإطعامه وبضمها له .

(فرع) لو عض كلب كلب شاة فكلبت نحره ولا يؤكل لحمها : قال أبو حيان التوحيدى من أصحابنا في كتاب [الإمتاع] : إذا كلب الجمل نحره ولا يؤكل لحمه انتهى . والظاهر أن ذلك خشية الإيذاء .

(فرع) لو غصب نجاسة تنفع ككلب معلم وجلد ميتة وسرجين فهل له كسربابه .

ونقب جداره إذالم يصل إليها إلا بذلك؟ الظاهر أنه يجوز له ذلك كالمال لأنها حق، ويجوز الدفع عنها كالمال، والله أعلم.

(تنبيه) الكلاب كلها نجسة المعلمة وغيرها الصغير والكبير، وبه قال الأوزاعي وأبو حنيفة وأحمد وإسحاق وأبو ثور وأبو عبيد، ولا فرق بين الكلب المأذون في اقتنائه وغيره ولا بين كلب البدوي والحضري لعموم الأدلة. وفي مذهب مالك رحمه الله تعالى أربعة أقوال: طهارته ونجاسته وطهارة سؤر المأذون في اتخاذه دون غيره، وهذه الثلاثة عن مالك، والرابع عن عبد الملك بن الماجشون أنه يفرق بين البدوي والحضري، وقال الزهري ومالك ودادود: إنه طاهر وإنما يغسل الإناء من ولوغه تعبداً ويحكي هذا عن الحسن البصري وعروة بن الزبير محتجين بقوله تعالى - فساكوا مما أمسكن عليكم - ولم يذكر غسل موضع إمساكها، وبحديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال «كانت الكلاب تقبل وتدبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبول فلم يكونوا يرشون شيئاً من ذلك» ذكره البخاري في صحيحه، واحتج أصحابنا بحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إذا ولغ الكلب في إناء أحكم فليرقه وليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب قالوا: ولولم يكن نجساً لما أمر بارتقته لأنه حينئذ يكون إتلاف مال، وأما حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما فقال البيهقي: أجمع المسلمون على أن بول الكلاب نجس، وعلى وجوب الرش من بول الصبي والكلب أولى، فكان حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قبل الأمر بالغسل من ولوغ الكلب أو أن بولها خفي مكانه فمن تيقنه لزمه غسله.

(فرع) اختلف الأصحاب في موضع عض الكلب من الصيد. والأصح أنه لا يعني عنه كما لو أصاب ثوباً أو إناء فلا بد من غسله وتعفيره، والثاني يعني عنه، والثالث يكفي غسله بالماء مرة، والرابع أنه طاهر، والخامس يجب تقويره، والسادس إن أصاب عرقاً نضاخاً بالدم حرم أكله، والنضاخ الفوار قال الله عز وجل - فيهما عينان نضاختان - وأحكام التقريب وشروطه مبسوطه في كتب الفقه.

روى مسلم عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقطع الصلاة الحمار والمرأة والكلب الأسود، قيل لأبي ذر رضي الله عنه: ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال: يا ابن أخي سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما سألتني فقال: الكلب الأسود شيطان» فحملة بعض العلماء على ظاهره، وقال الشيطان يتصور بصورة الكلب الأسود، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «اقتلوا منها كل أسود بهيم» وقيل لما كان الكلب الأسود أشد ضرراً من غيره وأشد ترويعاً كان المصلي إذا رآه اشتغل عن صلاته فانقطعت عليه لذلك، ولذلك تأول الجمهور قوله صلى الله عليه وسلم

يقطع الصلاة المرأة والحمار بأن ذلك مبالغة في الخوف على قطعها وإفسادها من الشغل بهذه المذكورات ، وذلك لأن المرأة تفتن والحمار ينهق والكلب الأسود يزوع ويشوش الفكر ، فلما كانت هذه الأمور آيلة إلى القطع جعلها قاطعة . وذهب ابن عباس وعطاء رضى الله تعالى عنهم إلى أن المرأة التي تقطع الصلاة إنما هي الخائض لما تستصحبه من النجاسة . واحتج أحمد رحمه الله بحديث الكلب الأسود على أنه لا يجوز صيده ولا يحل لأنه شيطان ، واختاره أبو بكر الصيرفي من أصحابنا ، وقال الشافعي رحمه الله ومالك وأبو حنيفة وجمهير العلماء رحمة الله تعالى عليهم : يحل صيده كغيره وليس المراد بالحديث إخراجه عن جنس الكلاب ولهذا إذا ولغ في إناء أو غيره وجب غسله وتعفيره كولوغ الكلاب الأبيض :

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مغفل رضى الله تعالى عنه قال « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بالهم وبال الكلاب . ثم رخص صلى الله عليه وسلم في كلب الصيد وكنب الغنم » فحمل الأصحاب الأمر بقتلها على الكلب الكلاب والكلب العقور . واختلفوا في قتل مالا ضرر فيه منها ؟ فقال القاضي حسين وإمام الحرمين والماوردي في باب بيع الكلاب ، والنووي في أول البيع من شرحي المذهب ، ومسلم : لا يجوز قتلها ، وقال في باب محرمات الإحرام إنه الأصح وإن الأمر بقتلها منسوخ ، وعلى الكراهة اقتصر الرافعي في الشرح ، وتبعه في الروضة وزاد أنها كراهة تنزيه لا تحريم ، لكن قال الشافعي في الأم في باب الخلاف في ثمن الكلاب : واقتلوا الكلاب التي لانفع فيها حيث وجدتموها ، وهذا هو الراجح في المهمات ، ولا يجوز اقتناء الكلب الذي لانفعة فيه ، وذلك لما في اقتنائها من مفسد الترويع والعقر للمار ، ولعل ذلك لجانبة الملائكة لخلها ومجانبة الملائكة أمر شديد لما في مخالطتهم من الإلهام إلى الخير والدعاء إليه ، واختلف الأصحاب في جواز اتخاذ الكلب لحفظ الدرب والدور على وجهين أحدهما الجواز : وانفقوا على جواز اتخاذهم للزراعة والماشية والصيد ، لكن يحرم اقتناء كلب الماشية قبل شرائها وكذلك كلب الزرع والصيد لمن لا يزرع ولا يصيد فلو خالف واقتنى نقص من أجره كل يوم قبراطان ، وفي رواية قبراط وكلاهما في الصحيح وحمل ذلك على نوع من الكلاب إذ بعضها أشد أذى من بعض ، أو لمعنى فيها ، أو يكون ذلك مختلفا باختلاف المواضع فيكون القيراطان في المدائن ونحوها والقيراط في البوادي ، أو يكون ذلك في زمنين فذكر القيراط أولا ثم زاد في التلخيص فذكر القيراطين ، والمراد بالقيراط مقدار معلوم عند الله عز وجل ينقص من أجر عمله . واختلفوا في المراد بما نقص منه ، فقيل مما مضى من عمله ، وقيل من مستقبله ، وقيل قبراط من عمل الليل وقيراط من عمل النهار ، وقيل قبراط من عمل الفرض وقيراط من عمل النفل ، وأول من اتخذ الكلب للحراسة ج عليه السلام .

روى القاسم بن سلمة بإسناده عن علقمة عن عبد الله رضى الله تعالى عنه أنه قال : أول من اتخذ الكلب للحراسة نوح عليه السلام : وذلك أنه قال : يارب أمرتني أن أصنع الفلك وأنا في صناعته أصنع أيا ما فيجيئون في الليل فيفسدون كل ما عملت ، فنتى يلتم لي ما أمرتني به فقد طال على أمدى ؟ فأوحى الله إليه ، يا نوح اتخذ كلبا يحرسك ، فاتخذ نوح عليه السلام كلبا وكان يعمل بالنهار وينام بالليل ، فإذا جاء قومه ليفسدوا بالليل عمله نبههم الكلب فينبهه نوح عليه السلام فيأخذ الهراوة ويثب لهم فيهربون منه فالتأم له ما أراد .

قال الحافظ أبو عمرو بن الصلاح في مناسكه في قوله صلى الله عليه وسلم « لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس » فإن وقع ذلك من جهة غيره ولم يستطع إزالته فليقل اللهم إني أبرأ إليك مما فعله هؤلاء فلا تخزمني ثمرة صحبة ملائكتك وبركتهم ومعوتهم أجمعين . وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة » فقال العلماء : سبب امتناعهم من البيت الذى فيه صورة كونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى ، وسبب امتناعهم من البيت الذى فيه الكلب كثرة أكله النجاسات ، ولأن بعض الكلاب يسمى شيطانا كما جاء في الحديث ، والملائكة ضد الشياطين ولتبع رائحة الكلب والملائكة تكره الرائحة الخبيثة ، ولأنها منهي عن اتخاذها فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها له وتبركها عليه في بيته ودفعها أذى الشياطين ، والملائكة الذين لا يدخلون بيتا فيه كلب ولا صورة هم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبرك والاستغفار ، وأما الحفظة والموكلون بقبض الأرواح فيدخلون في كل بيت ولا تفارق الحفظة بنى آدم في حال من الأحوال لأنهم مأمورون باحصاء أعمالهم وكتابتها . قال الخطابي : وإنما لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة مما يحرم اقتناؤه من الكلاب والصور ، فأما ما ليس اقتناؤه بحرام من كلب الصيد والزرع والماشية ، والصورة التى تتمين فى البساط والوسادة وغيرها فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه ، وأشار القاضى إلى نحو ما قال الخطابي .

قال النووى : والأظهر أنه عام فى كل كلب وكل صورة وأنهم يمتنعون من الجميع لإطلاق الأحاديث ، ولأن الجرو الذى كان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت السرير كان له فيه عذر ظاهر فإنه لم يعلم به ومع هذا امتنع جبريل عليه السلام من دخول البيت بسببه ، فلو كان العذر فى وجود الكلب والصورة لا يمتنع جبريل عليه السلام . قال الجاحظ : روى أن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ذهبوا إلى بيت رجل من الأنصار ليعودوه فى مرض فهرت فى وجوههم كلاب من دار الأنصارى ، فقال الصحابة لا تدع هؤلاء من أجر فلان شيئا كل كلب من هؤلاء ينقص من أجره كل يوم قيراطا ، فدل

هذا على أن القيراط يتعدد بتعدد الكلاب ، وقد سئل الشيخ الإمام تقي الدين السبكي عن ذلك : فأجاب بأنه لا يتعدد كما لو ولغت الكلاب في الإناء فإن الأصح عدم تعدد الغسلات ، وقد قالوا بتعدد القيراط إذا صلى على جنازة دفعة واحدة .

وقال الغزالي في منكرات الشرع من الإحياء : من كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس يجب منعه منه ، وإن كان لا يؤذى إلا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه ، وإن كان يضيق الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه أن ينالم على الطريق أو يقعد قعودا يضيق الطريق فكلبه أولى بالمنع ، ولا يصح بيع جميع الكلاب عندنا خلافا لمالك فإنه أباح بيعها حتى قال سمنون ويحج بثمانها .

وقال أبو حنيفة : يجوز بيع غير العقور ، والأصح عدم صحة إجارة الكلاب المعلمة لأن اقتناءها لهذه المنافع إنما يجوز لأجل الحاجة ، وما جوز للحاجة لا يجوز أخذ العوض عليه ، لأنه لا قيمة لعينه فكذلك منفعته .

وقال صاحب التلخيص : لا يجوز لأنها منفعه مقصودة ، واختاره الروياني وابن أبي عسرون ، وبناهما الماوردي على اختلاف أصحابنا في أن منفعة الكلب هل هي مملوكة أو مستباحة ؟ وفيها وجهان : فعلى الأول تجوز إجارته وعلى الثاني لا ، ومن أحكامه أن من كان في داره كلب عقور فاستدعى إنسان فعقره وجب عليه ضمانه على الأصح في تصحيح النووي ، وقيل لا قطعا وهو المحذور به في أصل الروضة لأن للكلب اختيارا ويمكن دفعه بعضا وغيرها إذا لم يعلم الداخل أنه عقور فإن علم ذلك فلا ضمان جزما ، وكذلك لو كان مربوطا فسار إليه المستدعى جاهلا بحاله فلا ضمان أيضا ، ومن له كلب عقور ولم يحفظه فقتل إنسانا في ليل أو نهار ضمنه لتفريطه ، وفي معناه الهرة المملوكة التي تأكل الطيور كما سيأتي إن شاء الله تعالى في باب الهاء ، وقيل لا ضمان فيها لأن العادة لم تجر بربطها .

(فرع) لو سرق قلادة من عنق كلب أو سرقها مع الكلب قطع وحرز الكلاب كحرز الدواب ، وإذا وقع في الغنيمة كلب ينتفع به للاصطياد أو للماشية والزرع حكى الإمام عن العراقيين أن للإمام أن يسلمه إلى واحد من المسلمين لعلمه بحاجته إليه ولا يحسب عليه ، واعترض بأن الكلب منتفع به فليكن حق اليد فيه لجميعهم ، كما لو مات وله كلب لا يستبد به بعض الورثة ، والموجود في كتب العراقيين أنه إن أراده بعض الغانمين أو أهل الخمس ولم يباذره غيره سلم إليه وإن تنازعا ، فإن وجدنا كلابا وأمكنت القسمه عددا قسم ولأقرب بينهم ، وهذا هو المذهب وهاهنا المعتبر قيمتها عند من يرى لها قيمة ويعتبر منافعتها كما في الوصية من الروضة .

(تنمة) قوله تعالى - تعلمونهن مما علمكم الله - أي من العلم الذي كان علمكم الله ، دل

على أن للعالم فضيلة ليست للجاهل ، لأن الكلب إذا علم تحصل له فضيلة على غير المعلم ، والإنسان إذا كان له علم أولى أن يكون له فضل على غيره كالجاهل لاسباب إذا عمل بما علم ، كما قال على رضى الله تعالى عنه : لكل شىء قيمة وقيمة المرء ما يحسنه . وقال لقمان لابنه واسمه ثاران وقيل أنعم : يا بني لكل قوم كلب فلا تكن كلب قومك . وروى الإمام أحمد فى مسنده والبزار والطبرانى من حديث عبد الله بن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « صاف رجل رجلا من بنى إسرائيل وفى داره كلبه مجح » ، فقالت الكلبة لا والله لا أنبج ضيف أهلى : قال : فعوت جراؤها فى بطنها ، فقيل ما هذا ؟ فأوحى الله إلى رجل منهم : هذا مثل أمة تكون من بعد يتهر سفهاؤها حلماءها » والمجح بالجيم المكسورة قبل الخاء المهملة قيل هى الحامل التى قرب ولادتها ، وفى صحيح مسلم وسنن أبى داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بامرأة مجح على باب فسطاط ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لعله يريد أن يلم بها ، فقالوا : نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد هممت أن ألعنه لعنا يدخل معه قبره كيف يورثه وهو لا يحل له كيف يستخدمه وهو لا يحل له ؟ » .

(الأمثال) قال الله تعالى — واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فنله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث — قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضى الله تعالى عنهم أجمعين : هو رجل من الكنعانيين الجبارين اسمه بلعم بن باعوراء ، وقيل بلعام بن باعر . وقال عطية عن ابن عباس : أصله من بنى إسرائيل ولكنه كان مع الجبارين . وقال مقاتل : هو من مدينة بلقاء . وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس والسدى وغيرهما أن موسى صلى الله عليه وسلم لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم وكانوا كفارا ، وكان بلعم عنده اسم الله الأعظم وكان مجاب الدعوة ، فقالوا له : إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنى إسرائيل ، وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله أن يردهم هنا ، فقال : ويلكم نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم ، وإنى إن فعلت هذا ذهبت دنياى وآخرتى ، فراجعوه وألخوا عليه فقال : حتى أوامر ربى ، وكان لا يدعو بشىء حتى ينظر ما يؤمر به فى المنام فوامر بالدعاء عليهم ، فقيل له فى المنام لا تدع عليهم ، فقال لهم : إنى قد أمرت ربى وإنى تهيت فأهدوا له هدية فقبلها ، ثم راجعوه فقال ، حتى أوامر ربى ، فوامره فلم يجز إليه بشىء فقال : قد أمرت فلم يجز لى بشىء ، فقالوا : لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك فى المرة الأولى ، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه ، فافتتن وركب أنانا له متوجها إلى جبل يطلع

منه على عسكر بني إسرائيل يقال له حسان ، فاسار عليها غير كثير حتى ربضت به ، فنزل عنها وضربها حتى إذا أذلقها الضرب قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت ، ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به حتى ربضت ، ففصرها حتى أذلقها فأذن الله تعالى لها بالكلام فكلمته حجة عليه فقالت : ويحك يا بلعم أين تذهب ألا ترى الملائكة أمامي يردونني عن وجهي هذا ؟ أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم ؟ فلم ينزع فخلق الله سبيلها فانطلقت حتى إذا أشرفت على جبل حسان جعل يدعو عليهم بالاسم الأعظم الذي كان عنده ، فاستجيب له ووقع موسى عليه السلام وبنو إسرائيل في التيه ، فقال موسى : يارب بأى ذنب أوقعتنا في التيه ؟ قال تعالى : بدعاء بلعام . قال موسى عليه السلام : يارب فكما سمعت دعاءه علينا فاسمع دعائي عليه ، فدعا موسى عليه أن ينزع الله تعالى منه الاسم الأعظم ، فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء ، قاله مقاتل .

وقال ابن عباس والسدي : لما دعا بلعام على موسى وقومه قلب الله لسانه فجعل لا يدعو عليهم بشيء من الشر إلا صرف الله به لسانه إلى بني إسرائيل ، فقال له قومه : يا بلعم أتدري ما تصنع ؟ إنما تدعو ذم وعلينا فقال لهم : هذا ما أمك هذا شيء قد غلب الله عليه ، فمضى الاسم الأعظم واندلع لسانه على صدره فقال لهم : قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلا المسكر والخديعة والحيلة فسأموهم لكم وأحتال عليهم ، حملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ، ثم أرساوهن إلى العسكر يبتغنها فيه ومروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فإنهم إن زنى واحد منهم كفيتموهم ففعلوا فلما أتى النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستي بنت صور برجل من عظماء بني إسرائيل يقال له زمري بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب ، فقام إليها فأخذها بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف على موسى عليه السلام فقال : إني أظنك ستقول هذه حرام علي ، فقال موسى : أجل هي حرام عليك لا تقربنها . قال : فوالله لا أطيعك في هذا ، ثم دخل بها قبة فوق عليها فأرسل الله الطاعون على بني إسرائيل في الوقت ، وكان فنحاص بن العيزار بن هرون صاحب أمر موسى عليه السلام ، وكان رجلا قد أعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش ، وكان غائبا حين صنع زمري بن شاوم ماصنع ، فجاء الطاعون بجوس بن إسرائيل فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متصاحبان فانظماهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة إلى حبيبه وكان بكر العيزار فجعل يقول : اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون ، فحسب من هلك من بني إسرائيل بالطاعون فيما بين إصابة زمري المرأة إلى أن قتلها فنحاص فوجد قد هلك منهم سبعون ألفا في ساعة

من النهار ، فن هنالك يعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القبة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذه إياها بذراعه وإسناده إياها إلى لحيه . والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لأنه كان بكر العيزار ، ويقال إنه لما انتظمهما بالحربة وخرج بهما كأننا في الحربة كحالمها في حالة الزنا فكان ذلك آية .

وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما وسعيد بن المسيب وزيد ابن أسلم : أن هذه الآية نزلت في أمية بن أبي الصلت ، وكان قد قرأ التوراة والإنجيل ، وكان يعلم أن الله تعالى يرسل رسولا من العرب فرجا أن يكون هو ذلك الرسول ، فلما أرسل الله تعالى نحمدا صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به ، وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة ، وكان يقصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسأل عنهم من قتلهم فقيل قتلهم محمد صلى الله عليه وسلم فقال : لو كان نبيا ما قتل أقرباءه ، وسيأتى إن شاء الله تعالى له ذكر في الوعل أيضا . وقالت فرقة : إنها نزلت في رجل من إسرائيل كان قد أعطى ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امرأة له منها ولد فقالت : اجعل لى منها دعوة ؟ فقال : لك منها واحدة فما تريدن . قالت : ادع الله أن يجعاني أجمل امرأة في بنى إسرائيل ؟ فدعا لها فكانت كذلك ، فاما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه ، فغضب الزوج ودعا عليها فصارت كلبة نباحه فذهبت فيها دعوتان ، فجاء بنوها وقالوا : ليس لنا على هذا قرار وقد صارت أمنا كلبة نباحه والناس يعبروننا بها ادع الله أن يردنا إلى الحال التي كانت عليه ؟ فدعا الله لها فعدت كما كانت فذهبت فيها الدعوات كلها ، والقولان الأولان أظهر . وقال الحسن وابن كيسان : نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم ، وقال قتادة : هذا مثل ضربه الله تعالى لكل من عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله قال الله تعالى — ولو شئنا لرفعناها — أى وفقناه للعمل بها فكنا نرفع بذلك منزلته في الدنيا والآخرة — ولكنه أدخل إلى الأرض — أى ركن إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها . قال الزجاج : خلد وأخلد واحد وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام يقال أدخل فلان بالمكان إذا أقام به ، والأرض هنا عبارة عن الدنيا لأن ما فيها من العقار والرباع كلها أرض وسائر متاعها مستخرج من الأرض — واتبع هواه — انقاد إلى مادعاه إليه من الهوى فعوقب في الدنيا بأنه كان يلهث كما يلهث الكلب فشبّه به صورة وهيئة . قال العتبي : كل شيء فإنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب فإنه يلهث في حال التعب وحال الراحة وفي حال الرى وحال العطش ، فضربه الله مثلا لمن كذب بآيات الله فقال : إن وعظته فهو ضال وإن تركته لهث وإن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث انتهى . واللهث تنفس بسرعة وتحرك أعضاء الفم معه وامتداد اللسان ، وخلقة الكلب أنه يلهث على كل حال . قال الواحدى وغيره : وهذه الآية من أشد الآى على ذوى العلم ، وذلك أن الله

تعالى أخير أنه آتاه آياته من اسمه الأعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه والانسلاخ عنها، ومن الذي يسلم من هاتين الخالتين إلا من عصمه الله تعالى نسأل الله التوفيق والهداية بمنه وكرمه ، وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الذي يعود في هيبته كالكلب يرجع في قيئه » وفي رواية : « كمثل الكلب يقء ثم يعود في قيئه فيأكله » قال عمر رضي الله تعالى عنه « حملت على فرس في سبيل الله فأضاعه الذي كان عنده فأردت أن أشتريه وظننت أنه يبيعه برخص ، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لا تشتريه ولو باعك بدينهم ولا تعد في صدقتك فإن العائد في صدقته كالعائد في قيئه » وقال الجاحظ : لكل جيفة كلب ، ولكل قدر طالب ، ولكل نحو راغب ، ولكل وسخ حامل ، ولكل سم جارح ، ولكل طعام آكل ، ولكل ساقط لاقط ، ولكل ثوب لابس ، ولكل فرج ناكح انتهى .

وقالت العرب : آلف من كلب وأبصر وأبجل وأطوع وأفحش والأم وأبول ، فيجوز أن يراد به البول نفسه ويجوز أن يراد به كثرة الجراء ، فإن البول في كلام العرب يكنى به عن الولد ، وبذلك عبر ابن سيرين رحمة الله تعالى عليه رؤيا عبد الملك بن مروان لما رأى أنه بال في محراب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مرات ، فكتب إليه إن صدقت رؤياك فيسقوم من أولادك أربعة في المحراب ويتقلدون الخلافة بعدك ، فوليها أربعة خلفاء من صلبه الوليد وسليمان وهشام ويزيد ، وقالوا : سمى كلبك يأكلك ، وهو قريب من قولهم : اتق إساءة من أحسنت إليه : وقالوا جوع كلبك يتبعك ، يضرب في معاشره اللئام ، وقالوا الكلاب على البقر رفعها ونصبها ، فالنصب على إضمار فعل تقديره خل كلاب الصيد أودع الكلاب على بقر الوحش لتصطادها ، والرفع على الابتداء وما بعده خبره ، ومعنى المثل : إذا أمكنتك الفرصة فاغتنمها ، ويقال معناه خل بين الناس خيرهم وشريرهم واغتنم أنت طريق السلامة ، وقد سئلت عن قول الأخطل :

قوم إذا استنبح الأضياف كلهم قالوا لأهمهم بولى على النار
فتمسك البول بخلا أن تجود به وما تبول لهم إلا بمقدار
والخيزر كالعبر الوردى عندهم والقمح سبعون إردبا بدينار

فقلت : هذا عكس قول شاعر الأنصار حيث يقول :

فقد در عصابة نادمتهم يوما بجلقى في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكوريم المفضل

يفشون حتى ما تهر كلابهم
بيض الوجوه كريمة أحسابهم
ومن شعر العتابي رحمه الله تعالى :

طاف الخيال بنا ليلا فحيانا
ما ضر زائرنا المهدي تحيته
إني أهتدي وسواد الليل معتكر
إن الأماني قد خيلن لي سكنا
حتى إذا هو ولي وانتبهت له
أهلا به من ملمّ زار عجلانا
في النوم إذ زارنا لوزار يقظانا
على تباعد مسراه ومسرانا
ردت تحيته قابي كما كانا
هاجت زيارته شوقا وأحزانا

وقال علي بن محمد بن نصير في المعنى بيتا مفردا :

وكان خيالها يشفي سقاما
فضنت بالخيال علي الخيال

وقالوا : أشكر من كلب .

(وحكي) محمد بن حرب قال : دخلت على العتابي فوجدته جالسا على حصير وبين يديه شراب في إناء وكلب رابض بالفناء بجماله يشرب كأسا ويولغه أخرى ، فقلت له : ما الذي أردت بما اخترت ؟ فقال : اسمع إنه يكف عنى أذاه ويكفي أذى من سواه ، ويشكر قليلي ويحفظ مبيتى ومقبلي ، وهو من بين الحيوان خليلي . قال ابن حرب : فتمنيت والله أن أكون كلبا له لأحوز هذا النعت منه .

(الخواص) لحمه يعلو شحمه بخلاف لحم الشاة فإن شحمها يعلو لحمها ، فإذا ارتضعت الشاة من كلبة كان لحمها على صفة لحم الكلاب ، وفي ذلك قصة شهيرة لربيعة ومضر وأتمار وإياد تقدمت في باب الهزمة في الأفعى . قال السهيلي : وفي الحديث «لاتسبوا ربيعة ومضر فلئنهما كانا مؤمنين» قال : وإنما سبى ربيعة الفرس لأنه أعطى من ميراث أبيه الخليل وأعطى أخوه الذهب فسمى مضر الحمراء ولا تقول العرب إلا ربيعة ومضر ، ولا يقولون مضر وربيعة أصلا . ومن خواص الكلب العجيبة : أنه لا يبلغ في دم مسلم . قال القاضي عياض في الشفاء : أفتى فقهاء القيروان وأصحاب سخنون بقتل إبراهيم الفزاري ، وكان شاعرا ماهرا متفنا في كثير من العلوم ، وكان يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن أبي طالب طلبا للمناظرة ، فضبطت عليه أمور منكرة من الاستهزاء بالله تعالى والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فقتل ثم صلب منكسا وأنزل وأحرق بالنار ، ولما رفعت خشبته وزالت عنها الأيدي استدارت وتحولت عن القبلة وجاء كلب فولغ في دمه ، فقال يحيى بن عمر : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال « لا يبلغ الكلب في دم مسلم » وإذا قطع لسان كلب أسود وأخذه إنسان في يده لم تفتح عليه الكلاب ، وإن أخذت قرادة من أذن كلب وأمسكها إنسان في يده

خضعت له الكلاب كلها حتى ذلك الكلب المأخوذة منه ، وإن علقت أسنانه على صبي
 خرجت أسنانه من غير تعب ، وأنيابه إذا علقت على من به عضه الكلب الكاب سكن عنه وجعها
 وإذا علقت على من به البرقان الظاهر نفعه ، وإن حمل إنسان معه ناب الكلب لم تنبجه الكلاب
 وذكره إذا جفف وعلق على الفخذ هيج الباه ، ومن كان يلقي من القولنج شدة فليقم كلبا
 نائما وليبل في مكانه فإنه يزول عنه من وقته ويموت الكلب ، ونابه إذا علق على من يتكلم
 في نومه سكن ، ولبن الكلبة إذا طلى به الشعر حلقة ، وإن شرب بالماء سكن من وقته
 السعال ، وبوله إذا طلى به على النأليل قلعتها ، وقراده إذا نقع في نبيذ وشربه شارب سكر
 من وقته ، وشعر الكلب الأسود البهيم إذا علق على المصروع نفعه ، ومن كان عنده عبد أبق
 وأحب أن لا يأبق فليأخذ جرو كلب صغير فيحرقه ثم يسحقه بزيت ويطلق به رأسه فإنه
 لا يأبق مجرب قاله القزويني وغيره ، وابن الكلبة إذا شرب نفع من السموم القاتلة ويخرج
 الأجنة والمشيمة ، ومن اكتحل بلبن كلبة سهر ليله كله ، وزبله إذا سحق وعجن بماء الكزبرة
 وطلّى به الأورام الحادة نفعها بإذن الله تعالى .

(التعبير) الكلاب في الرؤيا عند المسلمين عبيد ، وفي الحديث أن الكلب من المسوخ
 وأوله المعبرون برجل سفية مجترى على المعاصي ، وإذا نبج فهو سفية مشنع طمع ، فمن
 رأى كلبا عضه أو خدشه ناله من عدوه هم بقدر الألم وربما مرض ، وربما دلت رؤية الكلب
 على الانقلاب على الدنيا مع عدم الادخار ، ورؤية كلب أهل الكهف في المنام تدل على
 الخرف أو السجن أو الهرب أو الاختفاء ، ورؤيته في البلد دليل على تجديد ولاية ، وربما
 دل الكلب على الكفر والإياس من رحمة الله تعالى لقوله تعالى - فقله كمثل الكلب - الآية
 وكتب الصيد عز ورفعة ورزق ، وكتب المشية رجل صالح غير على الأهل والجار قاله
 ابن المقرئ ، ومن رأى كلبا مزق ثيابه فإن سفيا يغتابه ، وإن لم يسمع نباحه فهو عدو وتزول
 عداوته بشيء يسير ، والكلب يعبر برجل من الأهل فمن نازعه كلب نازعه رجل من أهله ،
 وربما عبر بالمشنع إذا نبج أو بسماع نواح أو بفتح بيت الخلاء ، والكلبة امرأة دنيئة من قوم
 معاندين ، والجرور ولد محبوب فإن كان أبيض فهو مؤمن وإن كان أسود فهو يسود قومه ،
 وقيل جرو الكلب لقبط سفية ، والكلب النكاب سفية أيضا ، ورؤية كلب الراعي تدل
 على فائدة من ملك أو وال ، والكلب الذي يصاد به ملك وولاية لمن رآه إذا كان أهلا
 لذلك أو يصير إليه شيء يستغنى به لقوله تعالى - وما علمتم من الجوارح مكابدين - والكلب
 الصيفي يدل على مخالطة قوم من الأعجام غير مسلمين ، ومن رأى أنه يصيد بالكلاب فإنه
 يعطى بغيته وينال مناه ، وقال أرسطاميدورس : من رأى كلاب الصيد خارجة فهي دليل
 خبر لطالب الرزق والخدمة ، وإذا رآها داخلة من الصيد فإنها تدل على البطالة ، والكلب

الحارس في المنام يدل على صيانة الزوجة والمال ، وقيل الكلاب في المنام تدل على قوم أذلة ومن رأى أنه صار كلبا فإن الله تعالى قد آتاه علما فنسبه لقوله تعالى - واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها - إلى قوله تعالى - فثله كمثل الكلب - الآية ، وقيل الكلاب تعبر بغلمان الشرطة ، والكلب عدو ضعيف لتحوله عن جوهر السباع ثم يصير صديقا بعد العداوة لقصة آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض ، وقد تقدم طرف منها فجعل في التأويل عدوا ثم يرجع صديقا . ومن الرؤيا المعبرة أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه رأى كأن كلبة من مكة تهر على الناس ، فلما دنوا منها استلقت على ظهرها ودرت ثديها لبنا ، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «ذهب كلبهم وأقبل درهم وستلقونهم بعد ويسألونكم أرحامهم فإذا لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه » فلما قدم المسلمون لفتح مكة قاتل بعضهم ، وكان ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم . ومن الرؤيا المعبرة أيضا أن رجلا أتى ابن سيرين فقال رأيت كلبين يقتتلان على فرج زوجتي ؟ فقال : إنها أخذت المقرض وجزت شعر فرجها : والله تعالى أعلم .

(خاتمة) ومن الفوائد المحرّبة : أن يكتب في إناء جديد ويمسح بزيت ويسقى للمكلوب فإنه يشفي بإذن الله تعالى ، وهي هذه الأحرف (اب ج ه ا ع ه دباب اللد) ويكتب أيضا للحامل في إناء جديد ويغسل بماء ويسقى فإنه نافع إن شاء الله تعالى ، والله أعلم .

﴿ كلب الماء ﴾ : تقدم في القاف أنه القندس ، وقال في عجائب المخلوقات : كلب الماء معروف وهو حيوان مشهور يذاه أطول من رجله يلطخ بدنه بالطين فيحسبه التماسح طينا ثم يدخل جوفه فيقطع أمعاءه ويأكلها ثم يمزق بطنه ويخرج : قال : ومن خواصه أن من كان معه شحم كلب الماء آمن من غائلة التماسح ، وذكر بعضهم : أن جلد الجندبادستر خصية هذا الحيوان ، وقد تقدمت صفة ذلك في باب الجيم .

(الحكم) سئل الليث بن سعد عن أكل لحم كلب الماء فقال لا بأس به ، وقد تقدم في عموم السمك أنها تحل إلا أربعة ليس هذا منها ، وقيل لا يؤكل لأن شبهه في البر لا يؤكل .
(الخواص) دم كلب الماء يخلط بماء الكمون الكرماني ويشرب في الحمام ينفع من تقطير البول وعسره ، ودماغه ينفع من ظلمة العين اكتحالها ، ومرارته قدر عدسة منها سم قاتل ، وقال ابن سينا : إن خصيته تنفع من نهش الحيات ، وجلده يتخذ منه جورب يلبسه المنقرس يذهب عنه ذلك ويبرأ .

﴿ الكلثوم ﴾ : الفيل قاله ابن سيده ، وقد تقدم حكمه في باب الفاء :

﴿ الكلكسة ﴾ : قال قوم إله ابن عرس ، وقال قوم إنه حيوان آخر غير ابن عرس ،

وزبله إذا سحق ودبفت بالخل وطلّى به مواضع الغلّة الظاهرة نفع نفعا بئنا ، وفي كتاب دمقراطيس أن الكلكسة تبيض من فيها .

﴿ الكيميت ﴾ : الفرس الشديد الحمرة ، ولا يقال كيميت حتى يكون عرفه وغرته وذنبه سوداوات ، وإن كانت حمرا فهو أشقر ، والورد فيما بين الكيميت والأشقر والجمع وردان ، والكيميت من أسماء الخمر . قال الشيخ صلاح الدين الصفدى وفيه تورية :

وحمراء لما ترشفها جنيت بها اللهو فيما جنيت
ونلت المسرات دون الورى لأنى سبقتهم بالكيميت

﴿ الكندارة ﴾ : سمكة لها سنام معروفة عند أهل البحر .

﴿ الكنعبة ﴾ : الناقة العظيمة ، وسياق إن شاء الله تعالى حكم الناقة في باب النون :

﴿ الكنعر والكنفر ﴾ : كجعفر ضرب من السمك قاله الجوهري ، وأنشد لجرير :

قوم إذا جعلوا في صيرهم بصلا ثم اشتوا كنعدا من مال جدفوا

﴿ الكنرسه ﴾ : الحقيق : قال أبو المغطش الحنفي يصف امرأة :

منيت بزمردة كالعصا ألص وأخبث من كندش

ولفظ زمردة فارسي معرب : أى امرأة الرجل .

﴿ الكرف ﴾ : الجاموس المسن ، وقد تقدم حكمه في باب الجيم :

﴿ الكورن ﴾ : البرزون البطيء ، وقال الجوهري : وهو البرزون بوكف ويشبهه به البليد

وقال ابن سيده : الكودن البرزون ، وقيل البغل ، وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعط الكودن شيئا ، وفي رواية أعطاه دون سهم العراب رواه الطبراني ، وفي إسناده أبو بلال الأشعري وهو ضعيف .

﴿ الكوسج ﴾ : سمكة في البحر لها خزطوم كالمنشار تفترس ، وربما التقت ابن آدم

وقصمته نصفين ، وهى القرش ويقال لها اللحم أيضا . ويقال إنها إذا صيدت بالليل وجدوا في جوفها شحمة طيبة ، وإن صيدت نهارا لم يجدوها ، وقال القزويني : الكوسج نوع من السمك ، وهو في الماء شر من الأسد في البر يقطع الحيوان في الماء بأسنانه كما يقطع السيف الماضي . قال : ورأيت وهو سمكة مقدار ذراع أو ذراعين ؛ وأسنانه كأستك الناس تنفر منه الحيوانات البحرية ، وله أوان معين يكثر فيه بدجلة البصرة .

(وحكمه) عند الإمام أحمد تحريم الأكل ، وقال أبو حامد من أصحابه : لا يؤكل التمساح ولا الكوسج لأنهما يأكلان الناس ولأنه ذو ناب انتهى .
ومقتضى مذهبنا أنه حلال ، ومن ألحقه بالقرش أجرى عليه حكمه الذى تقدم فى باب القاف .

﴿ الكهول ﴾ : قال الأزهرى : وهو بفتح الكاف وضم الهاء العنكبوت ، ومنه قول عمرو لمعاوية رضى الله تعالى عنهما : أتيتك وأمرك كحق الكهول : أى ضعيف كبيت العنكبوت ، وضبطها الخطاطى والزنجشرى بغير ذلك لكن قالوا : إنها العنكبوت أيضا :

باب اللام

﴿ لوى ﴾ : على وزن لعى هو الثور الوحشى والجمع آلاء على وزن ألعاء مثل جبل وأجبال والآئى لآة ، وقال الفارسى ، يجوز أن تكون ألفه منقلبة عن ياء من اللأى ، وقال فى المحكم : ويجوز أن تكون منقلبة عن واو من اللاول لأن الثور يوصف بالقوة كما قال ابن عقيل :

يمشى بها دب الزناد كأنه فى فارسى من سراويل رأمح

وقد تقدم فى باب الباء الموحدة فى ذكر آدم أهل الجنة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لإدامهم بالام ونون قالوا ما هذا ؟ قال ثور وحوت . قال السهلبى : فى أول الروض فى لوى اسم جد النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن الأنبارى : إنه تصغير اللأى وهو الثور الوحشى ، وقال أبو حنيفة : اللأى البقرة . قال : وسمعت أعرابيا يقول : بكم لآك هذه ؟

﴿ اللباد ﴾ : بضم اللام قاله الزبيدى فى الأبنية اسم طائر يلبد فى الأرض ولا يكاد يطير إلا أن يطار ، ولبد آخر نسور لقمان وهو ينصرف لأنه ليس بمعدول ، وخبره يأتى فى باب النون فى النسر إن شاء الله تعالى .

(الأمثال) قالوا : أهرم من لبد : قال الشاعر :

إن معاذ بن مسلم رجل	ليس لميقات عمره أمد
قد شاب رأس الزمان واكتهل الد	هر وأثواب عمره جدد
قل لمعاذ إذا مررت به	قد ضجج من طول عمرك الأبد
يا بكر حواء كم تعيش وكم	تسحب ذيل الحياة باليد
مصححا كالظلم ترفل فى	رديك مثل السعير تقعد

صاحبت نوحا ورضت بغلة ذى ال
فأرحل ودعنا فإن غابتك ال
تمرنين شيخا لولدك الولد
موت وإن شد ركنك الجلد

﴿اللبوة﴾ : بضم الباء وبعدها همزة أنثى الأسد، واللبأة واللبوة ساكنة الباء غير مهموزة لغتان فيها حكاهما ابن السكيت ، ويقال لها العرس أيضا . قال عون بن أبي شداد العبدى : بلغنى أن الحجاج بن يوسف الثقفى لما ذكر له سعيد بن جبير رحمة الله تعالى عليه بعد قتل عبد الرحمن بن الأشعث أرسل إليه قائداً من أهل الشام يسمى المتلمس بن الأحوص ، وكان معه عشرون رجلا من أهل الشام من خاصة أصحابه ، فبيناهم يطلبونه إذ هم براهب فى صومعة له فسألوه عنه ؟ فقال الراهب : صفوه لى ، فوصفوه له فدلهم عليه ، فانطلقوا فوجدوه ساجدا يتاجى ربه تعالى بأعلى صوته ، فدنوا منه وسلموا عليه ، فرفع رأسه فأتم بقية صلاته ثم رد عليهم السلام ، فقالوا له : إن الحجاج أرسل إليك فأجبه ، فقال . ولا بد من الإجابة ؟ فقالوا لا بد ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قام يمشى معهم حتى انتهوا إلى دير الراهب ، فقال الراهب : يا معشر الفرسان أصبتم صاحبكم ؟ قالوا نعم فقال لهم : اصعدوا الدير فإن اللبوة والأسد يأويان حول الدير فاعجلوا الدخول قبل المساء ، ففعلوا ذلك وأبى سعيد رضى الله عنه أن يدخل الدير ، فقالوا : ما نراك إلا تريد الحرب منا . قال : لا ولكنى لا أدخل منزل مشرك أبدا ، فقالوا : إنا لا ندعك فإن السباع تقتلك : قال سعيد : فإن معى ربي يصرفها عنى ويجعلها حرسا حولي تحرسنى من كل سوء إن شاء الله تعالى : قالوا : فأنت من الأنبياء ؟ قال : ما أنا من الأنبياء ولكنى عبد من عباد الله خاطى مذنب . قالوا له فاحلف لنا أنك لا تبرح فحلف لهم ، فقال لهم الراهب : اصعدوا الدير وأوتروا القسي لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح فإنه كره الدخول على فى الصومعة ، فدخلوا وأوتروا القسي فإذا هم بلبوة قد أقبلت ، فلما دنت من سعيد بن جبير تحسكت به وتمسحت به ثم ربيضت قريبا منه ، وأقبل الأسد فصنع مثل ذلك ، فلما رأى الراهب ذلك دخلت له فى قلبه هيبة ، فلما أصبحوا نزلوا إليه فسأله الراهب عن شرائع دينه وسنن نبيه صلى الله عليه وسلم فقرر له سعيد ذلك كله فأسلم الراهب وحسن إسلامه ، وأقبل القوم على سعيد يعتدرون إليه ويقبلون يديه ورجليه يأخذون التراب الذى وطئه بالليل يصلون عليه ويقولون : يا سعيد حلفنا الحجاج بالطلاق والعتاق إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك إليه فرنا بما شئت ، فقال سعيد : امضوا لشأنكم فىئى لائد بخالتى ولا راد لقضاء رنى ، فساروا حتى وصلوا إلى واسط ، فلما انتهوا إليها قال لهم سعيد رضى الله عنه : يا معشر المقوم قد تحرمت بكم وصحبتكم ولست أشك أن أجلى قد قرب وحضر وأن المدة قد انقضت ودنت ، فدعونى الليلة آخذ أهبة الموت وأستعد لمنكر ونكير وأذكر عذاب القبر وما يحى

على من التراب ، فإذا أصبحتم فالميعاد بيني وبينكم المكان الذي تريدون : فقال بعضهم : لا يزيد أثرا بعد عين ، وقال بعضهم : إنكم قد بلغتكم واستوجبتم جوائزكم من الأثير فلا تعجزوا عنه ، وقال بعضهم : هو على أدفعه إليكم إن شاء الله تعالى ، فنظروا إلى سعيد وقد دمعت عيناه واغبر لونه وكان لم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه وصحبوه ، فقالوا بأجمعهم : يا خير أهل الأرض ليتنا لم نعرفك ولم نرسل إليك الويل لنا كيف ابتليتنا بك ، فاعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر فانه القاضي الأكبر والعدل الذي لا يجور ، فلما فرغوا من البكاء والنجابة له ولهم قال كفيhle : أسألك بالله يا سعيد إلا ما زودتنا من دعائك وكلامك فإننا لن نلقى مثلك أبدا فدعا لهم سعيد رضى الله تعالى عنه ، ثم خلوا سبيله فغسل رأسه ومدرعته وكسأه وأقبل على الصلاة والدعاء والاستعداد للموت ليله كله وهم مختفون الليل كله .

فلما انشق عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير رضى الله عنه فقرع الباب ، فقالوا صاحبكم ورب الكعبة ، فنزلوا إليه فسكى وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا به إلى الحجاج ، فدخل عليه المتلمس فسلم عليه وبشره بقدم سعيد بن جبير ، فلما مثل بين يديه قال له : ما اسمك ؟ قال سعيد بن جبير ؛ فقال : بل أنت شقى بن كسير . قال سعيد : بل أمى كانت أعلم باسمي منك فقال الحجاج : شقيت أنت وشقيت أمك ، فقال سعيد : الغيب يعلمه غيرك . قال الحجاج : لأبدلنك بالدينار ناراً تلظى . قال : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتكم إلها . قال : فما قولك في محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نبي الرحمة . قال : فما قولك في على بن أبي الجنة هو أم في النار ؟ قال : لو دخلتهما وعرفت أهلها عرفت من فيهما . قال : فما قولك في الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل . قال : فأيهم أعجب إليك ؟ قال : أرضاهم لخالفه . قال : فأيهم أرضى للخالف ؟ قال : علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم ، قال : فما بالك لا تضحك ؟ قال : أضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار ؟ قال : فما بالناضحك ؟ قال : لم تستو القلوب . قال : ثم إن الحجاج أمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت وغير ذلك من الجواهر فوضعت بين يدي سعيد ، فقال سعيد رضى الله عنه : إن كنت جمعت هذا لتفتدى به من فزع يوم القيامة فصالح وإلا ففزع واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، لا خير في شئ جمع للدينار إلا ما طاب وزكا ، ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فضربت بين يدي سعيد فسكى سعيد ، فقال الحجاج : ويالك يا سعيد ، فقال سعيد : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار ، فقال : يا سعيد ، أى قتلة تريد أن أقتلك بها ؟ قال : اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة . قال : أفتريد أن أعفو عنك ؟ قال : إن كان العفو من الله فنعم وأما منك أنت فلا ، فقال : اذهبوا به فاقتلوه ، فلما خرج من الباب ضحك

فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده فقال : ما أضحكك وقد بلغني أن لك أربعين سنة لم تضحك؟ قال : ضحكت عجباً من جراءة تك على الله ومن حلم الله عليك ، فأمر بالنطع فبسط بين يديه وقال : اقتلوه ، فقال سعيد - كل نفس ذائقة الموت - ثم قال - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئاً وما أنا من المشركين قال : وجهوه لغير القبلة فقال سعيد - فأينما تولوا فثم وجه الله - فقال : كبوه لوجهه ، فقال - منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى - فقال الحجاج : اذبحوه ، فقال سعيد : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، ثم قال : اللهم لا تسلطه على أحديقتله بعدى فذبح على النطع رحمة الله تعالى عليه ، فكان رأسه يقول بعد قطعه : لا إله إلا الله مراراً ، وذلك في شعبان سنة خمس وتسعين ، وكان عمر سعيد تسعاً وأربعين سنة ، وعاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة ولم يسلم على قتل أحد بعده .

ولما بلغ الحسن البصرى رضى الله عنه قتل سعيد بن جبير قال : اللهم أنت على فاسق ثقيل رقيب والله لو أن أهل المشرق والمغرب اشتركوا في قتله لسكبهم الله تعالى في النار ، والله لقد مات وأهل الأرض من المشرق إلى المغرب محتاجون إلى عامه .
ونقل أن سعيداً رضى الله عنه كان يقول : وشى بي واش وأنا في بلد الله الحرام أكله إلى الله يعنى خالد القسرى .

وروى أن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغيب ثم يفتق ويقول : مالى ولسعيد ابن جبير .

وقيل : إنه كان في مدة مرضه كلما نام رأى سعيد بن جبير آخذاً بثوبه وهو يقول : يا عدو الله فيم قتلنى ، فيستيقظ مذعوراً .
وروى أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى رآه بعد موته في المنام وهو جيفة مننتة وأنه قال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتاني الله بكل قتيل قتله قتلة واحدة ، وقاتني بسعيد بن جبير سبعين قتلة :

(فإن قيل) ما الحكمة في أن الله تعالى قتل الحجاج بكل قتيل قتله وقتله بسعيد سبعين قتلة وقد قتل ما هو أفضل من سعيد وهو عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما ، لأنه صحابي وسعيد بن جبير تابعي والصحابي أفضل من التابعي ؟

(فالجواب) أن الحجاج لما قتل ابن الزبير كان له نظراء في العلم من الصحابة كابن عمر وأنس بن مالك وغيرهم ، ولما قتل سعيداً لم يكن له نظير في العلم فضوعف عليه العذاب بسبب ذلك ، ويشهد لهذا القول ما تقدم عن الحسن البصرى لا لكونه أفضل من ابن الزبير والله أعلم .

(التعبير) اللبوة في المنام : بنت ملك ، فمن رأى أنه جامع لبوة نجا من شدة عظمة ويعلو شأنه ويظفر بأعدائه ، فإن رأى ذلك هلك وكان في حرب فإنه يظفر بمن يحاربه ويملك بلادا كثيرة ، وقيل إن اللبوة تعبيرها كالسبع ، والله أعلم .

﴿ اللجأ ﴾ : بالجيم نوع من السلاحف يعيش في البر والبحر ، ولها حيلة عجيبة وتوصل في صيد ما تصيده من طائر وغيره ، وذلك أنها تغوص في الماء ثم تنمرغ في التراب ثم تمكن للطير في مواضع شربها فيختفي عليه لونها فتمسكه وتغوص به في الماء حتى يموت . ويقال إن اللجأ تضع بيضها في البر وإنها تحضنه بالنظر إليه . وقال أرسطاطاليس في النعوت : ما خرج من بيض اللجأة مستقبل البحر صار إلى البحر وما خرج منه مستقبل البر صار إلى البر ، وكلهن يردن الماء لأنهن من خلق الماء . قال : وهي تأكل الثعابين ، واللجأة البحرية لها لسان في صدرها من أصابته به من الحيوان قتلته ، وقد تقدم ذكرها في باب السين .

(الحكم) صرح بتحريمها وعدم جواز أكلها بغوى والنووى في شرح المهذب :

(الخواص) قال أرسطو : كبدها إذا أكل طريا نفع من داء الكبد ، ولحمها إذا طبخ بجل صفة السكباب وشرب من مرقته من به استستاء نفعه وأدبل بطنه ، وهو يشد الفؤاد وبذهب الرياح السوداوية ، والله أعلم .

(التعبير) اللجأة في المنام : امرأة عفيفة وسنة مقبلة ذات مال ، وربما دلت على الوفاة من الأعداء لانتخاذ الناس من ظهرها تجافيف يدفع الإنسان بها عن نفسه .

﴿ اللجأ ﴾ : قال الأزهرى : هي بضم اللام وفتح الحاء المهملة والكاف وبالألِف والمد ، ويقال لها اللحكة على مثال الهمزة واللمزة ، وحكى ابن قتيبة في أدب الكاتب : اللجاء بفتح الحاء وإسكان اللام وبالمد ، وحكى في المقصور والممدود : اللجاء بضم الحاء وفتح اللام المشددة وبالقصير شحمة الأرض تغوص في الرمل كما يغوص طير الماء في الماء ، وقال غيره : اللجأة بالهاء وهي فيما ذكروا دويبة كأنها سمكة تكون في الرمل ، فإذا أحست بالإنسان دارت في الرمل وغاصت فيه ، وقال غير الأزهرى : اللجأة بتقديم الحاء على اللام ، وكذلك اللجاء على مثال العنتاء ، وحكى صاحب جامع اللغة فيها القصر أيضا ، وقال الجوهري : اللجأة أظنها مقلوبة من اللجأة ، قال ابن الصلاح في مشكل الوسيط الذي ضبطناه عن الأزهرى صاحب كتاب تهذيب اللغة الموثوق به أنها مقصورة ، وهي دويبة ملساء كأنها شحمة مشربة بحمرة ويقال لها اللجأة مثل الهمزة انتهى . وقال الماوردي في الحاوي : اللجاء تشبه السمك وهي عريضة من أعلى دقيقة من أسفل . وقال ابن السكيت

في إصلاح المنطق : اللحكة دويبة شبيهة بالعظاءة زرقاء تبرق وليس لها ذنب طويل كالعظاءة وقوائمها خفية ؛ وهذا القول أحسن من الذي نقله ابن الصلاح عن تهذيب الأزهري ، وقد تقدم في حرف الحاء الحلكة ، وقال الصيدلاني والرويانى : إنها دويبة مثل الأصبغ تجرى في الرمل ثم تغوص فيه ، وهذا يقوى قول الجوهري أنها مقلوبة من الحلكة لأنه فسرها بهذا ، فعلى ما قاله الأزهري من كونها ملساء كأنها شحمة مشربة بحمرة حسن تشبيهه بالعرب أصابع النساء بها ، إلا أن الاشتقاق لا يساعده لأن الحلكة فيما يظهر شدة السواد مأخوذ من قولهم أسود حالك ولما كانت زرقاء لشدة سوادها سموها بهذا الاسم ، والعرب تسميها بنات النقا لأنها تسكن نقيات الرمل .

(الحكم) لا يحل أكلها لأنها من أنواع الوزغ .

﴿ اللحم ﴾ : بضم اللام وإسكان الحاء المعجمة ضرب من السمك ضخيم يقال له الكوسج وهو القرش كما تقدم ، وأنشد ابن سيده لبعض الأدباء :

لصيد اللحم في البحر وصيد الأسد في البر
وقضم الثلج في القر ونقل الصخر في الحر
وإقدام على الموت وتحويل إلى القبر
لأشهى من طلاب العز بمن عاش في الفقر

(وحكمه) حل الأكل فيما يظهر ، وقد قال أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير في كتابه نهاية غريب الحديث ما نصه في حديث عكرمة رضى الله عنه اللحم حلال ، وهو ضرب من سمك البحر يقال اسمه القرش اه : وقد تقدم الكلام على القرش في باب القاف .

﴿ اللعوس ﴾ : الذئب سمي بذلك لسرعة أكله .

﴿ اللعوة ﴾ : بفتح اللام الكلبة : قالت العرب : أجوع من لعوة .

﴿ اللعوز ﴾ : بالكسر والفتح لغتان مشهورتان والكسر أشهر والجمع لقع بكسر اللام وفتح القاف كبركة وبرك ، وهى الناقة ذات اللبن وقيل القريبة العهد من النتاج ، وناقاة لقوح إذا كانت غزيرة اللبن .

روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم الساعة ، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم الساعة ، والرجل يلبط حوضه فما يصدر حتى تقوم الساعة » وفيه من حديث النواس بن سميان في صفة الدجال « وبارك في الرسل يعنى اللبن حتى إن

اللقحة من الإبل لتكنى الفئام من الناس ، واللقحة من الغنم لتكنى الفخذ من الناس ، واللقحة من البقر لتكنى القبيلة من الناس « الفئام : الجماعة الكثيرة مأخوذ من الكثرة ، والفخذ بالذال أمهجة : الجماعة من الأقارب وهم دون البطن ، والبطن : دون القبيلة . قال ابن فارس : الفخذ هنا باسكان الخاء المعجمة لا غير بخلاف الفخذ التي هي العضو فإنها تكسر وتسكن ، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة بالغابة ، وهي على بريد من المدينة بطريق الشام كان يراح إليه صلى الله عليه وسلم كل ليلة بقرتين عظيمتين من لبن ، وكان أبو ذر رضى الله تعالى عنه فيها ، وكان صلى الله عليه وسلم يفرقها على نسائه ، وهي التي استاقها العرنيون وقتلوا راعيها يسارا ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ما فعل . وروى الحاكم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه « أن رجلا أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم لقحة فأثابه منها ست بكرات فتسخطها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من يعذرني من فلان ؟ أهدى إلى لقحة فأثبته منها ست بكرات فتسخطها ، لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقيفي أو دوسي » ثم قال صحيح الاسناد ، وروى هو وأحمد والبيهقي عن ضرار بن الأزور رضى الله تعالى عنه قال « أهديت إلى النبي صلى الله عليه وسلم لقحة فأمرني أن أحلبها فحلبتها فجهدت حلبها ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا تفعل دع داعي اللبن » .

وروى البزار عن بريرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بحلاب لقحة فقام رجل ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ فقال : مرة ، فقال صلى الله عليه وسلم : اقعده ، فقام آخر فقال له صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال : يعيش ، فقال صلى الله عليه وسلم له : احلب » ورواه مالك عن يحيى بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « للقحة تحلب من يحلب هذه ؟ فقام رجل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال له الرجل : مرة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجلس ، ثم قال : من يحلب هذه ؟ فقام رجل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال : اجلس ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : من يحلب هذه ؟ فقام رجل ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال : اجلس ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : احلب » ثم روى عن يحيى بن سعيد أن عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال لرجل : ما اسمك ؟ قال : بجرة ، قال : ابن من ؟ قال : ابن شهاب : قال : ممن ؟ قال : من الحرقة . قال : أين مسكنك ؟ قال : بجرة النار . قال : أيها ؟ قال : بذات لظي ، فقال له عمر رضى الله تعالى عنه : أدرك أهلك فقد احترقوا . قال : فكان كما قال عمر رضى الله تعالى عنه .

وفي السيرة « أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى بدر مر برجلين فسأل عن اسمهما فقال :

له أحدهما مساخ والآخر مخذل ، فعدل عن طريقهما « وليس هذا من الطيرة التي نهى صلى الله عليه وسلم عنها بل من باب كراهة الاسم القبيح ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يكتب إلى أمرائه إذا أبردتم إلى بريدنا فأبردوه حسن الاسم حسن الوجه ، وفي حديث البزار ومالك زيادة رواها ابن وهب وهي « فقام عمر فقال : لا أدري أقول أم أسكت ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل . قال : فكيف نهيتنا عن الطيرة وتطيرت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ما تطيرت ولكني آثرت الاسم الحسن » وروى أبو داود والترمذي والحاكم وقال صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الطيرة شرك وما منا إلا من تطير ، ولكن الله تعالى يذهب بالتوكل » قال الخطابي : معناه وما منا إلا من يعتره التطير ويسبق إلى قلبه الكراهة فيه ، فحذفه اختصارا للكلام واعتمادا على فهم السامع . قال البخاري : كان سليمان بن حرب ينكر هذا ويقول : هذا ليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم ، وكأنه من كلام ابن مسعود رضى الله عنه . قال الإمام عبد الصمد : لما رأيت في أطواق الذهب لجار الله العلامة أبي القاسم محمود الزمخشري قوله : رزق مبسوط ومقدر وشرب صاف ومكدر ، ورجل يحسو الماء القراح وآخر درت له اللقاح ، وما أوتى هذا من عجز ووهن وما أوتى ذلك من فضل وذكاء ذهن ، لكن تقدير من بيده الملكوت وإليه الكتاب الموقوت ذكرت هذين البيتين :

لم أوت من طلب ولا جـد ولا هم شريف
لكنه قدر يزو ل من القوى إلى الضعيف
وما أحسن قول القائل حيث قال :

أنفق ولا تخش إقلاقا فقد قسمت على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية ولا يضر مع الإقبال إنفاق

﴿ اللقوة ﴾ : العقاب الأثني واللقوة بالكسر مثله . قال أبو عبيدة : سميت لقوة اسمعة أشداقها ، وقيل لاعوجاج منقارها ، واللقوة فرض يميل به الوجه إلى جانب ، واللقوة الناقاة السريعة اللقاح ، ولقوة لقب الحجاج بن يوسف الثقفي البغدادي المعروف بابن الشاعر روى عنه مسلم وأبو داود ، ووفاته سنة تسع وخمسين ومائتين .

﴿ اللقاط ﴾ : بالتشديد طائر معروف سمى بذلك لأنه يلقط الحب :

(وحكمه) الحل . قال العبادي : اللقاط حلال إلا ما استثناه النص . قال في شرح المهذب : يعني به ذا الخلب : وفيما قاله نظر لأن المراد به ما يلقط الحب : وذو الخلب لم يدخل في اسم اللقاط حتى يصح استثنائه منه ، لكن يحتمل أنه أراد بالمستثنى الغراب

الزرعى ، والاستثناء المنقطع لا تصح لإرادته هنا لأن الرافعى رحمه الله قد نقل بعد ذلك عن البوشنجى أن اللقاط حلال بغير استثناء، ولعل أبا عاصم أراد بالمستثنى بالنص غراب الزرع والغداف الصغير فإنهما يلقطان الحب ويأكلان الزرع كما قاله الماوردى فى الحاوى، وفيهما وجهان أصحهما فى الروضة تحريم الغداف وحل الزرعى ، وقد تقدم طرف من هذا فى أحكام الغراب لكن كلام الرافعى يقتضى حلها، فمن قال بتحريمها استثنائها من اللقاط ولم يحمل الأمر الوارد يقتل الغراب على الأبقع وحده بل عليه وعلى غيره ، ونقل الجاحظ هذا الاحتمال عن صاحب المنطق فقال : قال صاحب المنطق : الغراب جنس من الأجناس التى أمر بقتلها فى الحل والحرم ، وهذا صريح فى أن الجميع فواسق وأن قتل جميعها مستحب ، وقد صرح فى الحاوى باستحباب قتل الغراب الأسود الكبير وألحقه بالأبقع وجعل النهى علة تحريمه ، ومن قال يحل اللقاط مطلقا لم يستثن شيئا ، وحمل الأمر بقتل الغراب على الأبقع لأنه قد ورد التقييد فى بعض الروايات بالغراب الأبقع ، وهذا إنما يستقيم إذا قلنا إن ذكر بعض أفراد العموم تخصيص والصحيح أنه ليس بتخصيص ، والغراب الأبقع وإن كان يلقط الحب فهو غير وارد على البوشنجى لأن غالب أكله الخبائث بخلاف الزرعى والغداف الصغير ، والله تعالى أعلم .

﴿ اللقمة ﴾ : طائر أعجمى طويل العنق وكنيته عند أهل العراق أبو خديج ، وعبر عنه الجوهرى بالقاف وهو اسم أعجمى . قال : وربما قالوا اللغغ والجمع اللقاق ، وهو يأكل الحيات وصوته اللققة وكذلك كل صوت فيه حركة واضطراب ويوصف بالفطنة والذكاء . قال القزوينى فى الأشكال ، قال الرئيس : من ذكاء هذا الطائر أنه يتخذ له عشرين يسكن فى كل واحد منهما بعض السنة ، وأنه إذا أحسن بتغير الهواء عند حدوث الوباء ترك عشه وهرب من تلك الديار وربما ترك بيضه أيضا . قال : ومما يتوصل به إلى طرد الهوام اتخاذ اللقلق ، فإن الهوام تهرب من مكان هو فيه لفرعها منه وإذا ظهرت قتلها .

(الحكم) فى حله وجهان : أحدهما وبه قال الشيخ أبو محمد يحل كالكركى ورجحه الغزالى ، والثانى يحرم وصححه البغوى وجزم به العبادى واحتج بأنه يأكل الحيات ويصف فى الطيران ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « كل مادف ودع ماصف » يقال دف الطائر فى طيرانه إذا حرك جناحيه كأنه يضرب بها وصف إذا لم يتحرك كما تفعل الجوارح ، ومنه قوله تعالى - أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات - والأصح فى شرح المهذب والروضة أنه حرام ، والقلق من طير الماء وقد تقدم استثنائه .

(الخواص) إذا ذبح فرخ من فراخه وطفى به بدن المجدوم نفعه نفعنا بيننا ، وإذا أخذ

من دماغه وزن دائق ومن أنفحة الأرنب مثله وأذيبا على النار فمن طعم منه باسم آخر هييج روحانية المحبة في قلبه ، وقال هرمس : من حمل عظم اللقلق معه زال همه وإن كان عاشقا سلا ، ومن حمل حبة عينه اليمنى لم يتم ومن حمل حبة عينه اليسرى نام ولم يتنبه ما لم تحل عنه ، ومن حمل عينه ودخل الماء لم يغرق وإن لم يحسن السباحة .

(التعبير) اللقلق في المنام : يدل على قوم يحبون المشاركة ، فإذا رآها إنسان مجتمعة في مكان فإنهم اصصوص وقطاع طريق وأعداء محاربة ، وقيل رؤية اللقلق تدل على تردده ، ومن رأى اللقالي متفرقة فإنها ذليل خبير إن كان مسافرا أو أراد السفر ، لأنها تظهر في الصيف وتدل رؤياها على قدوم المسافر إلى وطنه والمقيم على سفره والله أعلم .

﴿ اللبرم ﴾ : الثور الأبيض ، وقد تقدم في الثور في باب الناء الثلاثة .

﴿ اللبرم ﴾ : الثور المسن ، وقد تقدم والجمع لوم .

﴿ اللوب والنوب ﴾ : الأول بضم اللام والثاني بضم النون جماعة النحل ، ومنه حديث ريان بن قسور رضي الله تعالى عنه قال « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو نازل بوادي الشوحط فكلمته فقلت : يا رسول الله إن معنا لوبا لنا يعني نحلا كانت في غيلم لنا فيه طرم وشمع ، فجاء رجل فضرب ميتين فأتيج حيا وكفنه بالثام يعني قذح نار بالزندان ، ونحسه يعني دخنه ، فطار اللوب هاربا وأدى مشواره في الغيلم فاشتار العسل فضى به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ملعون ملعون من سرق شرو قوم فأضربهم ، أفلا تبتم أثره وعرقتم خبره ؟ قال : قلت : يا رسول الله إنه دخل في قوم لهم منعة هم جبرتنا من هزبل ، فقال صلى الله عليه وسلم : صبرك صبرك تردنهر الجنة ، وإن سعته كما بين العقيقة والسحيفة ينسبب جريا بعسل صاف من قذاه ما تقيأه لوب ولا مجه نوب » انتهى .

﴿ الغيلم ﴾ : البئر وأراد بها ههنا الخلية .

﴿ الطرم ﴾ : العسل ذكره السهيلي في مقتل خبيب وأصحابه بعد أحد ، وذكره أبو عمر ابن عبد البر وابن الأثير وأبو السعادات ، ونقلوا عن ابن ماكولا أنه قال : ذكره عبد الغني ابن سعيد وغيره بإسناد ضعيف :

﴿ اللوشب ﴾ : ككوكب : الذئب ، وقد تقدم ما في الذئب في باب الدال المعجمة :

﴿ اللياء ﴾ : سمكة في البحر يتخذ من جلدها الترسة فلا يحيك فيها شيء من السلاح ولا يقطع ، وفي الحديث أن فلانا أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بودان لياء مقشئ ، ومنه حديث معاوية رضي الله تعالى عنه أنه دخل عليه وهو يأكل لياء مقشئ .

﴿ الليث ﴾ : الأسد وجمعه ليوث ، وهو أيضا ضرب من العناكب يصطاد الذباب وهو أصغر من العنكبوت ، والليث من الرجال الشجاع ، وبنو ليث بطن من العرب ، وبه سمي ليث بن سعد بن عبد الرحمن بن الحرث إمام أهل مصر في الفقه ، ولد بقلقشندة وهي قرية في أسفل مصر سنة أربع وتسعين . قال الشافعي : الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به ، وقال عثمان بن صالح : كان أهل مصر ينتقصون عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى نشأ فيهم الليث بن سعد فحدثهم بفضائل عثمان رضي الله عنه فكفوا عن ذلك ، وكان أهل حمص ينتقصون عليا رضي الله تعالى عنه حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش فحدثهم بفضائل علي رضي الله تعالى عنه فكفوا عن ذلك ، وحجج الليث فقدم المدينة فبعث إليه الإمام مالك بن أنس بطبق رطب فجعل على طبق ألف دينار ورده إليه ، وكان الليث رحمه الله يستغل في كل سنة عشرين ألف دينار فينفقها وما وجبت عليه زكاة قط ، وقالت له امرأة : يا أبا الحرث إن لي ابنا عليلا وأشتهى عسلا ، فقال : يا غلام أعطها مطرا من عسل ، والمطر مائة وعشرون رطلا ، فقبل له في ذلك فقال : سألت على قدر حاجتها ونحن أعطيناها على قدر نعمتنا ، واشترى قوم منه ثمرة ثم استقالوه فأقالهم وأعطاهم خمسين دينارا وقال : إنهم كانوا قد أملوا فيها أملا فأحجبت أن أعوضهم عن أملهم ، وكان رضي الله عنه حنفي المذهب (١) وولى القضاء بمصر وتوفي بها في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة وقبره في القرافة الصغرى مشهور ، وقلقشندة بفتح القاف ولام وقاف وشين معجمة مفتوحة ونون ساكنة ودال مهملة وهاء آخرها بينها وبين مصر مقدار ثلاثة فراسخ كذا قاله ابن خلكان .

(وحكى) عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : كان بأرض اليمامة رجل من ربيعة يقال له جحدر بن مالك العجلي : وكان شاعرا فحلا فاتسكا قد أمر على أهل حجر ومايلها ، فبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى عامله على اليمامة يوبخه ويلومه على تغلب جحدر في ولايته ويأمره بالتجرد في طلبه والبعث به إليه إن ظفر به ، فلما أتى العامل كتابه دس إليه فتية من قومه ووعدهم أن يوفدهم معهم ، فكثروا لذلك أياما حتى إذا أصابوا منه غرة شدوا عليه فأوثقوه وقدموا به على العامل فبعث به إلى الحجاج ، فلما جاوزوا بجحدر حجرا أنشأ يقول :

لقدما حاجتي فازددت شوقا	بكاء حمامتين تغردان
تجاوبتا بلحن أعجمي	على غصنين من غرب وبان
فقلت لصاحبي وكنت أحزو	ببعض القول ماذا تحزوان
فقالا الدار جامعة قريبا	فقلت وأنتما مغمينان
فكان البان أن بانث سليمي	وفي الغرب اغتراب غير دان

(١) قوله : وكان رضي الله عنه حنفي المذهب ، لعل ذلك كان في ابتداء أمره اهـ .

إذا جاوزتما نخلات حجر وأندية اليمامة فانعياني
وقولا جحدر أمسى رهينا يعالج وقع مصقول يمانى
كذا المغرور بالدنيا سيردى وتهلكه المطامع والأمانى

فلما قدم به على الحجاج قال له: أنت جحدر؟ قال: نعم أصلح الله الأمير: قال: فما حملك على ما صنعت، قال: جراءة الجنان وكلب الزمان وجفوة السلطان. قال: وما الذى بلغ من أمرك فيجرؤ جنائك ويكلب زمانك ويجفوك سلطانك؟ قال: لو بلانى الأمير لوجدنى من صالح الأعوان وأهم الفرسان، وأما جراءة جنائى فإن لم ألتق فارسا قط إلا كنت عليه فى نفسى مقتدرا، فقال له الحجاج بن يوسف: إنا قاذفون بك فى جب ليث فإن هو قتلك كما نانا مؤنتك وإن أنت قتلتنا خيلنا عنك وأحسننا جائزتك. قال: نعم أصلح الله الأمير قربت المحنة وأعظمت المنة أنت أهل ذلك إذا شئت: فأمر به فقيد وحبس وكتب إلى عامله على كسكر يأمره بالبعثة إليه بأسد ضار، فبعث إليه بأسد قد أضر بأهل كسكر فى صندوق يجره ثوران، فلما قدم به على الحجاج أمر به فأدخل فى جب وسد بابه وجوعه ثلاثة أيام: ثم أتى بجحدر وأمكن من سيف قاطع، وجلس الحجاج والناس ينظرون إليهما، فلما نظر الأسد إلى جحدر وقد أقبل ومعه السيف يرسف فى قيوده تهباً وتمطى، فأنشد جحدر يقول:

ليث وليث فى مجال ضنك كلاهما ذو أنف وفنك
وسورة فى صولة ومحك إن يكشف الله قناع الشك
من ظفري بجاجتى ودركى فذاك أحرى منزل بتركى

فوثب إليه الأسد وثبة شديدة فتلقاه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها حتى خالط مذباب السيف لهواته وتخصبت ثيابه من دمه، فوثب وهو يقول:

يا حمل إنك لو رأيت كريبى فى يوم هيج مسدف وعجاج
وتقدمى ليث أرسف موثقا كيا أكابره على الإحراج
جهم كان جبينه لما بدا طبق الرجا متعجر الإنباج
يسمو بناظرتين تحسب فيهما لما أجاهما شعاع سراج
فكانما خيظت عليه عباءة برقاء أو قطع من الديباج
قرنان مختصران قد مختصهما أم المنية غير ذات نتاج
ففلقت هامته فخر كأنه أطم تساقط مائل الأبراج
ثم اثنتيت وفى ثيابى شاهد مما جرى من شاخب الأوداج
أيقنت أنى ذو حفاظ ماجد من نسل أملاك ذوى أنواج
من بغار على النساء حفيظة إذ لا يثقن بغيرة الأزواج

فقال له الحجاج : يا جحدر إن أحببت المقام معنا فأقم وإن أحببت الانصراف إلى بلادك فانصرف ، فقال : بل أختار صحبة الأمير والكيونة معه ففرض له في شرف العطاء وأقام يبابه فكان من خواص أصحابه ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الهاء في الهزبر ما قاله بشر ابن أبي عوانة لما قتل الأسد ، وقد أحسن إبراهيم بن محمد المغربي رحمه الله حيث قال :

حملنا من الأيام ما لانطقه كما حمل العظم الكسير العصائب
وليل رجونا أن يهب عذاره فما اختط حتى صار بالفجر شائباً

﴿ الليل ﴾ : ولد الكروان . قالوا : فلان أجبن من ليل ، وقال ابن فارس في المجمل : يقال إن بعض الطير يسمى ليلاً ولا أعرفه ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في حرف النون أن النهار ولد الحبارى ، والله أعلم .

باب الميم

﴿ مارية ﴾ : بتشديد المثناة التحتية القطاة المساء وبالتخفيف البقرة الوحشية ، وأما قولهم : خذه ولو بقرطى مارية فهي مارية بنت ظالم بن وهب ، وقيل أم ولد جفنة . قال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

يقال إنها أهدت إلى الكعبة قرطها وعليهما درقان كبيضتي الحمام لم ير الناس مثلهما ولم يدروا قدرهما ولا قيمتهما ، يضرب في الشيء الثمين أى لا يفوتك بأى ثمن يكون ، وسيأتي إن شاء الله تعالى بعد هذا بأوراق يسيرة في ترجمة المتوقس ذكر مارية القبطية أم ولد النبي صلى الله عليه وسلم وقريبها مابور .

﴿ المازور ﴾ : طائر مبارك ببحر المغرب يتنامن به أصحاب السفن يبيض عند سكون البحر على السواحل فإذا رأوا يبيضه عرفوا أن البحر قد سكن ، وهذا الطائر إذا كانت السفن قريبة من مكان مخوف أو دابة مضره يأتي فيطير أمام المركب فيصعد وينزل كأنه يخبرهم بالخوف حتى يدبروا أمرهم ، والملاحون يعرفونه ذكره في تحفة الغرائب .

﴿ الماشية ﴾ : الإبل والبقرة والغنم والجمع المواشى سميت ماشية أروعها وهي تمشى . وقيل لكثرة نسلها يقال أمشى الرجل إذا كثرت ماشيته ، وفيه يقول الشاعر :

وكل فتى وإن أثرى وأمشى ستخلفه عن الدنيا المنون

روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسأوا ما وسببكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء » ، وفي سنن

أبي داود والترمذي عن الحسن ، عن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أتى أحدكم على ماشية فإن كان فيها صاحبها فليستأذنه فإن أذن له فليحتلب وليشرب ، وإن لم يكن فيها أحد فليصوت ثلاثا فإن أجابه أحد فليستأذنه فإن لم يجبه أحد فليحتلب وليشرب ولا يحمل » . قال الترمذي حسن صحيح والعمل عليه عند بعض أهل العلم وبه قال أحمد وإسحاق . وقال علي بن المديني : سماع الحسن من سمرة صحيح ، وفي الصحيحين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يجلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه أي يجب أحدكم أن تؤذي مشربته فتكسر خزانته فينقل طعامه فإنما تخزن لهم ضرور مواشيهم أطعمتهم فلا يجلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه » ومن أحكام الماشية أنها إذا أفسدت زراعا لغير مالسكها ولم يكن معها فإن كان ذلك بالنهار لم يضمن وإن كان بالليل ضمن لما روى أبو داود وغيره ، عن حرام بن سعيد بن محيصة قال : إن ناقة للبراء بن عازب رضى الله عنه دخلت حائط قوم فأفسدت فقضى النبي صلى الله عليه وسلم إن على أهل الأموال حفظ أموالهم بالنهار وعلى أهل المواشى ما أصابته مواشيهم بالليل ، وقد تقدم في الغنم فرع له تعلق بهذا .

(تذنيب) إذا اشترك أهل الزكاة في ماشية زكوا زكاة الرجل الواحد فلو كان أحدهم كافرا أو مكاتبا فلا أثر لخلطته ، وهي تسمى خلطة ملك وخلطة أعيان وخلطة اشترك ، وإذا خلطا مجاورة فكذلك الحكم لقوله صلى الله عليه وسلم « لا يجمع بين متفرق أو لا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة » رواه البخارى ، ويشترط في هذه أن لا تتميز في المشرع والمسرح والمراح وهو موضع الحلب بفتح اللام وكذا الراعى والفحل على الصحيح ، ولا تشترط النية على الصحيح لأن خفة المؤنة واتحاد المرافق لا يخالف بالقصد وعدمه . والله تعالى أعلم .

﴿ مالك الحزين ﴾ : قال الجوهري : إنه من طير الماء : وقال ابن برى في حواشيه : إنه الباشون . قال : وهو طائر طويل العنق والرجلين اه . قال الجاحظ : من أعاجيب الدنيا أمر مالك الحزين ، لأنه لا يزال يقعد بقرب المياه ومواقع نبعها من الأنهار وغيرها ، فإذا أنشفت يجزن على ذهابها ويبقى حزينا كثيرا ، وربما ترك الشرب حتى يموت عطشا خوفا من زيادة نقصها بشره منها . قال : وقريب من هذا دودة تضى بالليل كضوء الشمع وتطير بالنهار فيرى لها أجنحة ، وهي خضراء ملساء غذاؤها التراب لم تشبع منه قط خوفا أن يفنى تراب الأرض فتهلك جوعا . قال : وفيها خواص كثيرة ومنافع واسعة ، وهذا الطائر لما كان يقعد عند المياه التي انقطعت عن الجرى وصارت مخزونة سمي مالكا ، ولما كان يجزن على ذهابها سمي بالحزين ، وهو عطف بيان للمالك كما يقال أبو حفص عمر .

وقال التوحيدى فى كتاب الامتناع والمؤانسة : مالك الحزين ينشل الحيتان من الماء فى أكلها وهى طعامه ، وهو لا يخسن السباحة فىن أخطأه الانتشال وجاع طرح نفسه على شاطئ البحر وفى بعض ضحضاحاته ، فإذا اجتمع إليه السمك الصغار أسرع إلى خطف ما استطاع منها ، ولا يحتاج إلى تزواج ولا سفاد .

(وحكمه) حل الأكل .

(ومن خواصه) أن لحمه غليظ بارد يولد لإدمان أكله البواسير ، وقد تقدم فى خطبة الكتاب أن ضبط هذا كان من جملة الأسباب الباعثة على تأليفه خوفا من تصحيف لفظه وتحريفه ، والله تعالى الموفق .

﴿ المتردية ﴾ : هى التى وقعت فى بئر أو من مكان عال فانت ، ولا فرق بين أن تقع بنفسها أو بسبب آخر فإنها متردية .

(وحكمها) تحريم الأكل بالإجماع .

﴿ المجهمة ﴾ : بفتح الجيم وتشديد التاء المثلثة هى التى تلتقى على الأرض مربوطة وترك حتى تموت : قال القزوينى : الجثوم للطير والناس بمنزلة البروك للبعير ، ومنه قوله تعالى — جاثمين — أى بعضهم على بعض ، وجاثمين باركين على الركب أيضا .

روى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الجلالة وعن الخثمة وعن الخطفة .

﴿ الماء ﴾ : الفراش ، وقد تقدم ما فيه فى باب الفاء .

﴿ المريح ﴾ : طائر من طير الماء قبيح الهيئة قاله ابن سيده :

﴿ المرء ﴾ : الرجل : تقول : هذا مرء صالح ، ورأيت مرءا صالحا ، ومررت بمرء صالح ، ولا يجمع على لفظه ، وبعضهم يقول : المرؤن ، وربما سموا الذئب مرءا وذكر يونس أن قول الشاعر :

وأنت امرؤ تعدو على كل غرة فتخطى فيها تارة وتصيب
يعنى به الذئب ، والله تعالى أعلم .

﴿ المرزم ﴾ : من طير الماء ، طويل الرجلين والعنق ، أعوج المنقار فى أطراف جناحيه سموا ، أكثر أكله السمك :

(وحكمه) حل الأكل :

﴿ المرعة ﴾ : بضم الميم وفتح الراء والعين المهملتين كالمهزمة : طائر حسن اللون طيب الطعم على قدر السمائي ، وجمعها . روع بضم الميم وفتح الراء قاله ثعلب وابن السكيت ، وهي تشبه الدراجة .

(وحكمها) حل الأكل .

(الخواص) قال ابن زهر : إذا شق جوفها ووضع على الشوك والنصل الغائص في اللحم أخرجته من غير مشقة .

﴿ مسهر ﴾ : قال هرمس : إنه طائر لا ينام الليل كله وهو في النهار يطلب معاشه ، وله في الليل صوت حسن يكرره ويرجعه يلتذ به كل من يسمعه ، ولا يشتهي النوم سامعه من لذة سماعه .

(ومن خواصه) أنه إذا جفف دماغه في ظل وأخذ منه وزن درهم وسعط به إنسان مع دهن اللوز لا ينام أصلا ويصيبه من الكرب أمر عظيم حتى يظنه من يراه أنه شارب خمر ، ومن أمسك رأس هذا الطائر في يده أو علقه عليه أذهب الوحشة والوسواس عنه ، وأورثه من الطرب ما يخرج به إلى حد الرعاية .

﴿ المطية ﴾ : الناقة التي يركب مطاها : أي ظهرها ، وجمعها مطايا ومطى . وقال الجوهري : المطى واحد وجمع يذكر ويؤنث ، والمطايا فعالي وأصله فعائل إلا أنه فعل به مافعل بخطايا . قال أبو العميثل : المطية تذكر وتؤنث ، ولما رأى الشيخ أبو الفضل الجوهري مدينة النبي صلى الله عليه وسلم أنشد يقول :

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطى بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام
قد زورتنا خير من وطى الثرى فلها علينا حرمة وذمام

الذمام بالذال المعجمة : الحرمة . وقال السهيلي في غزوة مؤتة : وإذا المطى بنا بلغن محمدا . هو من شعر أبي نواس . قال : وقد أحسن في ذلك ، وقد أساء الشماخ حيث قال :

إذا بلغنني وحملت رحلي عرابية فاشرقى بدم الوتين

وعرابية هذا رجل من الأنصار وكان من الأجواد . قال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما : رأيت رجلا طائفا بالبيت الحرام حاملا أمه على ظهره وهو يقول :

أني لها مطية لا تذر إذا الركاب نفرت لانفر
ماحملت وأرضعتني أكثر الله ربي ذو الجلال أكبر

وذكر ابن خالكان وغيره : أن أمدح بيت قالته العرب قول جرير لعبد الملك بن مروان :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
وأهجي بيت قالته العرب قول الأخطل يهجو جزيرا :
قوم إذا استنبح الأضياف كلهم قالوا لأهمهم بولى على النار
وأحكم بيت قالته العرب قول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا وبأتيك بالأخبار من لم تزود
وأحمق بيت قالته العرب قول القائل وهو الأعشى أبو محجن الثقفي :

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروى عظامي بعد موتي عروقتها
ولا تدفني في القلاة فإنني أخاف إذا مت أن لأذوقها

وروى في حديث معاوية رضى الله تعالى عنه أنه قال لابن أبي محجن الثقفي : أبوك الذى
يقول : إذا مت فادفني : هـ : البيتين ، فقال أبى الذى يقول :

وقد أجود وما مالى بذى قنع وأكتم السر فيه ضربة العنق
وأغزل بيت قالته العرب قول جرير :

إن العيون التى فى طرفها حور قتلنا ثم لم تحيين قتلانا
بصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

(فائدة) روى الطبرانى فى الدعوات من حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى
صلى الله عليه وسلم قال « لاتسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الجنة وبها ينجو
من النار » وقال على رضى الله تعالى عنه : لاتسبوا الدنيا ففيها تصلون وفيها تصومون وفيها
تعملون : فإن قيل : كيف يجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة ملعون
ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمها أو متعلما » فالجواب ما قاله شيخ الإسلام عز الدين
ابن عبد السلام فى آخر الفتاوى الموصلية : أن الدنيا التى لعنت هى المحرمة التى أخذت بغير
حقها أو صرفت إلى غير مستحقها : وقد تقدم فى باب الباء الموحدة فى ذكر البعوض ما قاله
الشيخ أبو العباس القرطبي فى ذلك وهو حسن فراجع .

وفى الحديث « بئس مطية الرجل زعموا » شبه ما يقدمه المتكلم أمام كلامه ويتوصل به إلى
غرضه من قوله : زعموا كذا وكذا بالمطية التى يتوصل بها إلى الحاجة ، وإنما يقال زعموا
فى حديث لاسند له ولا ثبت فيه وإنما يحكى على الألسن على سبيل البلاغ فدم من الحديث
ما هذا سبيله ، وفى الكشاف وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « زعموا مطية الكذب »
وقال ابن عمر وشريح : لكل شىء كنية وكنية الكذب زعموا . قال ابن عطية : ولا يوجد
زعم مستعملة فى فصيح الكلام إلا عبارة عن الكذب أو قول انفرد به قائله وتبى عهده
على الزاعم فى ذلك ما ينحو إلى تضعيف الزعم ، وقول سيويه : زعم الخليل كذا وإنما يجيء
فما تفرد الخليل به .

(تتمة) قال شيخ الإسلام النووي : روينا بالإسناد الصحيح في جامع الترمذى وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يضرب الناس أبواب المطى فى طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة » قال الترمذى : حديث حسن . قال : وقد روى عن سفيان بن عيينة أنه قال : هو مالك بن أنس انتهى . والحديث المذكور رواه النسائى والحاكم فى أوائل المستدرک من حديث ابن عيينة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن تضربوا أكباد الإبل فلا تجدوا عالما أعلم من عالم المدينة » ثم قال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرججه انتهى .

قلت : إنما يخرججه مسلم لأنه سأل البخارى عنه فقال له علة ، وهى أن أبا الزبير لم يسمع من أبي صالح ، ولما روى النسائى فى السنن الكبرى هذا الحديث من رواية ابن عيينة عن ابن جريج عن أبي الزناد عن أبي هريرة عقبه بقوله هذا خطأ ، والصواب عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة ، وقيل عالم المدينة عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب العمرى المدنى الزاهد روى عنه ابن عيينة وابن المبارك وغيرهما ، وكان من أزهد أهل زمانه وأشدهم تخليا للعبادة .

وروى أن الرشيد قال : والله لى أريد الحج كل سنة ما يمنعنى من ذلك إلا رجل من ولد عمر رضى الله عنه بسمعى ما أكره : يعنى العمرى ، توفى العمرى سنة أربع وثمانين ومائة بعد مالك بنحو ست سنين وهو ابن ست وستين سنة . قال عمرو بن شبة : حدثنا أبو يحيى الزهرى قال : قال عبد الله بن عبد العزيز العمرى عند موته : بنعمة ربى أحدث لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمى لا يمنعنى من أخذها إلا أن أزيل قدمى عنها ما أزلتها ، وكتب العمرى إلى مالك وابن أبى ذئب وابن دينار وغيرهم بكتب أغلظ لهم فيها فجاوبه مالك جواب فقيه : قال ابن عبد البر فى التمهيد : كتب العمرى العابد إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل ويرغبه به عن الاجتماع عليه فى العلم ، فكتب إليه مالك : إن الله عز وجل قسم الأعمال كما قسم الأرزاق فرب رجل فتح له فى الصلاة ولم يفتح له فى الصوم ، وآخر فتح له فى الصدقة ولم يفتح له فى الصيام ، وآخر فتح له فى الجهاد ولم يفتح له فى الصلاة ، وبشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر ، وقد رضيت بما فتح الله لى فيه من ذلك ، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه ، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر ، ويجب على كل واحد منا أن يرضى بما قسم الله له والسلام .

(وفى الإحياء) فى الباب السادس من أبواب العلم : يحكى أن يحيى بن يزيد النوفلى كتب إلى مالك بن أنس : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد فى الأولين والآخريين ،

من يحيى بن يزيد إلى مالك بن أنس ، أما بعد : فقد بلغني أنك تلبس الرقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطاء ، وتجعل على بابك حجابا ، وقد جلست مجلس العلم وضربت إليك آباط المطى وارتحل إليك الناس فاتخذوك إماما ورضوا بقولك ، فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع كتبت إليك بالنصيحة منى كتابا ما اطلع عليه إلا الله والسلام :

فكتب إليه مالك بن أنس : بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد ، سلام عليك ، أما بعد : فقد وصل إلى كتابك فوق منى موقع النصيحة من المشفق ، أمتك الله بالتقوى وجزاك وخولك بالنصيحة خيرا ، وأسأل الله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وأما ما ذكرت من أنى آكل الرقاق وألبس الرقاق وأجلس على الوطاء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى ، وقد قال سبحانه - قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق - وإنى لا أعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ، فلا تدعنا من كتابك فإننا ليس ندعك من كتابنا والسلام .

وفيه أيضا : وروى أن الرشيد أعطاه ثلاثة آلاف دينار فأخذها ولم ينفقها ، فلما أراد الرشيد الشخوص إلى العراق قال لمالك : ينبغي أن تخرج معنا فإنى عزم أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضى الله عنه الناس على القرآن ، فقال له أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل ، فإن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده فى الأمصار فحدثوا فعند أهل كل مصر علم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « اختلاف أمتى رحمة » وأما الخروج معك فلا سبيل إليه ، قال صلى الله عليه وسلم « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » وقال صلى الله عليه وسلم « المدينة تنفى خبيثها كما ينفى الكبير خبيث الحديد » وهذه دنائركم كما هى إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها : يعنى إنما تكلفنى الخروج معك ومفارقة المدينة بما اصطنعته لى فلا أوتر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا يدل على زهده فى الدنيا رحمه الله .

وفيه أيضا : أن الشافعى رحمه الله قال : شهدت مالكا رحمه الله وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال فى اثنتين وثلاثين منها لا أدرى ، وهذا يدل على أنه كان يريد بعلمه وجه الله تعالى فإن من يريد غير وجه الله بعلمه لا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدرى ، ولذلك قال الشافعى : إذا ذكر العلماء فالك البحر وما أحد أمن على من مالك .

وقيل إن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث فى طلاق المكره ، ثم دس عليه من سأله فروى عن ملأ من الناس ليس على مكره طلاق فضره بالسياط ، فانظر كيف اختار ضرب السياط ولم يترك رواية الحديث .
وفى الحلية : أن الشافعى رحمه الله قال : قالت لى عمى ونحن بمكة : رأيت فى هذه الليلة

عجبا ، فقلت لها : وما هو ؟ قالت : رأيت كأن قائلا يقول لى : مات الليلة أعلم أهل الأرض . قال الشافعى : فحسبنا ذلك ، وإذا هى ليلة مات مالك بن أنس رحمه الله تعالى . وقال عبد الرحمن بن مهدي : لا أقدم على مالك أحدا .

وكان مالك يقول : إذا لم يكن للإنسان فى نفسه خير لم يكن للناس فيه خير . وفى الحلية أيضا قال مالك : ما بت ليلة إلا رأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى .

وكان مالك رحمه الله إماما عالما عابدا زاهدا ورعا عارفا بالله تعالى ، وكان مبالغا فى تعظيم علم الدين لاسيما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان إذا أراد أن يحدث توشأ وجلس على صدر فراشه وشرح لحيته وتمكن فى الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث ، فقيل له فى ذلك فقال : إني أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان يقول : العلم نور يجعله الله حيث شاء ، وليس هو بكثرة الرواية . وقد مدحه بعض العلماء فقال :

يدع الكلام فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان
سيما الوقار وعز سلطان التقى فهو المهيب وليس ذا سلطان
توفى الإمام مالك رحمه الله تعالى فى سنة تسع وسبعين ومائة ،

﴿ المعراج ﴾ : دابة عظيمة عجيبة مثل الأرنب صفراء اللون على رأسها قرن واحد أسود ، لم يرها شئ من السباع والدواب إلا هرب ، ذكرها القزوينى فى جزأى البحار .

﴿ المعز ﴾ : بفتح الميم والعين المهملة وتسكينها لغتان : نوع من الغنم خلاف الضأن ، وهى ذوات الشعور والأذنان القصار ، وهو اسم جنس ، وكذلك المعيز والأمعوز والمعزى ، وواحد المعز ماعز مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر ، والأنثى ماعزة والجمع ماعز ، وأمعز القوم كثرت معزاهم ، وكنتيتها : أم السخال .

وفى حديث على رضى الله عنه : وأنتم تنفرون منه نفور المعزى من وعوة الأسد : أى صوته ، وعوة الناس : ضجتهم .

وروى البزار وابن قانع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أحسنوا إلى المعزى وأميطوا عنها الأذى فإنها من دواب الجنة » .

وفى الحديث « استوصوا بالمعزى خيرا فإنه مال رقيق وأنقوا عطنه » أى نقوا مرابضها مما يؤذيها من حجارة وشوك وغير ذلك ، وهى مع ذلك موصوفة بالحمق ، وتفضل على الضأن بغزارة اللبن وتخانة الجلد ، وما نقص من ألية المعز زاد فى شحمه ، ولذلك قالوا : ألية المعز

تقى بطنه ، ولما خلق الله تعالى جلد الضأن رقيقاً غزر صوفه ، ولما خلق جلد الماعز تخينا قلل شعره فسبحان اللطيف الخبير .

(الخواص) لحمه يورث الهم والنسيان ويولد البلغم ويحرك السوداء ، لكنه نافع جدا لمن به الدماميل ، وقرن المعز الأبيض يسحق يشد في خرقة ويجعل تحت رأس النائم فإنه لا ينتبه ما دام تحت رأسه ، ومرارة التيس تخلط بمرارة البقر وتلطخ بها فتيلة وتجعل في الأذن تزيل الطرش وتمنع نزول الماء ، وإذا اكتحل بمرارة التيس بعد نتف الشعر الذي في باطن الجفن منع من نباته ، ويمنع أيضاً من الغشاوة اكتحالا ، ومن العشا ، ويقلع اللحمة الزائدة التي يقال لها التوتة ، وينفع طلاء من الورم الذي يقال له داء الفيل ، وأكل غمه يورث الهم والنسيان ويحرك السوداء . قال الرئيس ابن سينا : يعر المعز يحلل الخنازير بقوة فيه ، وإذا احتملته المرأة بصوفة منع سيلان الدم من الفرج ويقطع النزيف :

﴿ ابن مقرضه ﴾ : بضم الميم وكسر الراء وبالضاد المعجمة : دويبة كحلأ اللون طويـلة الظهر ذات قوائم أربع أصغر من الفأر ، تقتل الحمام وتقرض الثياب ، ولذلك قالوا : ابن مقرض .

(الحكم) حكى الرافعي في حله الوجهين في ابن عرس ، وقال إنه الدلق : قال في المهمات : الصحيح على ما يتضيه كلام الرافعي الجلب ، وقد وقعت المسألة في الحاوي الصغير على الصواب فأباح ابن مقرض وحرّم ابن عرس ، وقد تقدم في باب الدال المهملة الكلام على الدلق مستوفى ، والله الموفق .

﴿ المقوقس ﴾ : المقوقس طائر معروف مطوق سواده في البياض كالحمام ، وهو لقب لجريج بن مينا القبطي ملك مصر ، وكان من قبل هرقل ، ويقال إن هرقل عزله لما رأى ميله للإسلام ، وأهدى لرسول الله فرساً يقال له لزاز وبغلته الدلدل وحارا وغلما خصباً اسمه مابور ، وقد ذكره ابن منده وأبو نعيم في أصحاب رسول الله وغلطا في ذلك فإنه لم يسلم ومات على نصرانيته ، ومنه فتح المسلمون مصر في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه ، ومابور لمذكور كان ابن عم مارية القبطية وكان يأوى إليها ، فقال الناس : عليج يدخل على عليجة ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا ليقتله فقال : يا رسول الله أقتله أم أرى رأيي فيه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : بل ترى رأيك فيه ، فلما رأى الخصى عليا رأى السيف في يده تكشف فإذا هو محبوب ممسوح ، فرجع علي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن الشاهد يرى مالا يرى الغائب ، وروى مسلم في آخر باب التوبة بعد حديث الإفك عن أنس رضي الله تعالى عنه : أن رجلا كان متهما بأمر ولد

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي : اذهب فاضرب عنقه ، فأثاه على فإذا هو على ركي يتبرد فيها ، فقال له : اخرج فناوله يده ، فأخرجه فإذا هو محبوب ليس له ذكر فكشف على عنه ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه لحبوب .

والذي رواه الطبراني في هذه القصة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما : « أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على مارية التبطية أم ولده إبراهيم وهي حامل به فوجد عندها نسيبها لها كان قدم معها من مصر فأسلم وحسن إسلامه ، وكان يدخل عليها وأنه رضي من مكانه من أم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجب نفسه ، فقطع ما بين رجله حتى لم يبق لنفسه قليلا ولا كثيرا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أم ولده إبراهيم فوجد قريبا عندها فوقع في نفسه من ذلك شيء كما يقع في أنفس الناس ، فرجع متغير اللون فلحق عمر رضي الله تعالى عنه فأخبره بما وقع في نفسه من قريب أم إبراهيم ، فأخذ عمر رضي الله تعالى عنه السيف وأقبل يسعى حتى دخل على مارية فوجد قريبا ذلك عندها فأهوى إليه بالسيف ليقتله ، فلما رأى ذلك منه كشف عن نفسه ، فلما رأى ذلك عمر رضي الله تعالى عنه رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أخبرك يا عمر إن جبريل أتاني فأخبرني أن الله عز وجل قد برأها وقربها مما وقع في نفسي ، وبشرني أن في بطنها غلاما مني وأنه أشبه الخلق بي وأمرني أن أسميه إبراهيم ، ولولا أني أكره أن أحول كنيتي التي عرفت بها لتكنيت بأبي إبراهيم كما كنتي جبريل » ثم مات الخصى في زمن عمر فجمع الناس لشهود جنازته وصلى عليه عمر ودفن بالقيع .

وأهدى المقوقس أيضا للنبي صلى الله عليه وسلم قدحا من قوارير كان صلى الله عليه وسلم يشرب فيه ، وثيابا من قباطي مصر ومطرفا من مطرفاتهم وطرفا من طرفهم ، وألف مثقال ذهباً ، وعسلا من عسل بنها ، فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم العسل ودعا في عسلها بالبركة ، ووصلت الهدايا إلى النبي صلى الله عليه وسلم سنة سبع وقيل سنة ثمان ، وهلك المقوقس في ولاية عمرو بن العاص ودفن في كنيسة أبي يحنس على نصرانته ، وكان الرسول إليه من قبل النبي صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه الذي شهد الله له بالإيمان ، وكان حاطب عاقلا ليبيأ حازما لا يخدع ، باع بعض أصحابه بيعة غبن فيها لغيبة حاطب فقال : صفقة لم يحضرها حاطب ، فضرب ذلك مثلا في شراء كل صفقة ربح بائعها : قال حاطب : لما بعني النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس جثته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلى في منزله وأتمت عنده ليالي ، ثم بعث إلى وقد جمع بطارقه فقال :

إني سأكلمك بكلام أحب أن تفهمه مني : قال : فقلت : هلم ، فقال : أخبرني عن صاحبك أليس هو نبياً ؟ قال : قلت بلى : قال : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فما باله حيث كان هكذا لم يدع على قومه لما أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ فقلت له : فعيسى ابن مريم أنشهد أنه رسول الله ؟ قال : كذا . قلت : فما باله حيث أخذه قومه وأرادوا صلبه لم يدع عليهم بأن يهلكهم الله بل رفعه الله إليه في سماء الدنيا ؟ قال : أحسنت أنت حكيم من حكيم .

﴿ المطاوعة ﴾ : يضم الميم وبالمد والتشديد : طائر يصوت في الرياض يسمى مكاء لأنه يمكو : أي يصفر كثيراً ، ووزنه فعال كخطاف ، والأصوات في الأكثر تأتي على فعال بتخفيف العين كالبكاء والصراخ والرغاء والنباح والجرار ونحوه ، وجمعه المسكاكي ، وهذا الطائر يصفر ويصوت كثيراً : قال البغوي في تفسيره : المكاء الصغير ، وهو في اللغة اسم طائر أبيض يكون بالحجاز له صفير ، وقال ابن السكيت في إصلاح المنطق : يقال مكاء الطائر ومكا الرجل يمكو مكوا إذا جمع يديه وصفر فيهما ، وكأنهم اشتقوا له هذا الاسم من الصياح وجمعه المسكاكي ، والمكاء الصغير قال الله تعالى - وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية - أي صفيرا وتصفيقا ، وقال ابن قتيبة : المكاء الصغير أي بالتخفيف ، والمكاء بالتشديد طائر يصفر في الرياض ، يمكو : أي يصفر .

قال الشاعر :

إذا غرد المكاء في غير روضة فويل لأهل الشاء والحمرات

قال البطليوسي في الشرح : إن المكاء إنما يألف الرياض فإذا غرد في غير روضة فإنما يكون ذلك لإفراط الجذب وعدم النبات وعند ذلك يهلك الشاء والحمير ، فالويل لمن لم يكن له مال غيرها ، والحمرات في البيت جمع حمر يضم الميم وجر جمع حمار بمنزلة كتاب وكتب ويجوز أن يكون جمع حمير كقضيب وقضب ، وقولهم حمير ليس بجمع وإنما كنه اسم للجمع بمنزلة العبيد والكتيب : قال ابن عطية : الذي مر بي من أمر العرب في غير ماديوان أن المكاء والتصدية كانا من فعل العرب قديما قبل الإسلام على جهة التقرب به والتشريع . قال : ورأيت عن بعض أقوياء العرب أنه كان يمكو على الصفا فيسمع من حراء وبينهما أربعة أميال انتهى وكذلك كان مخزومة بن قيس بن عبد مناف يصفر عند البيت فيسمع من حراء ، وكان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، وكانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون . وقال القزويني : المكاء من طير البادية يتخذ أفحوصا عجيبا وبينه وبين الحية مداوة فإن الحية تأكل بيضه وفراخه . وحدث هشام بن سالم : أن حية أكلت بيض مكاء

فإنه حلال وإن انحبس فيه الدم ، ويحتمل التحريم وهو ما أجاب به شيخنا الأسنوي رحمه الله تعالى لأن الحكمة في الذكاة خروج الدم ولم يوجد فأشبهت المختنقة ، وبالقياس على ما لو خنقتها أولاً ثم أسرع فقطع الأوداج والحياة مستقرة ثم ماتت بقطع النفس ، والفرق بين هذا وبين مصيد الجوارح أن الذبح هناك غير مقدور عليه فانتفت حكمته لعدم القدرة عليه والقدرة هاهنا موجودة فافترق البابان ، ولأننا لو قلنا بجلها لم يكن لتحريم الخنق معنى لأنه يمكن التوصل إليه بهذا الطريق ، والله أعلم .

﴿ المنشار ﴾ : سمكة في بحر الزنج كالجلبل العظيم من رأسها إلى ذنبها مثل أسنان المنشار من عظام سود كالأبنوس كل سن منها كذراعين ، وعند رأسها عظامان طويلان كل عظم مقدار عشرة أذرع ، تضرب بالعظمين ماء البحر يمينا وشمالا فيسمع له صوت هائل ، ويخرج الماء من فيها وأنفها فيصعد نحو السماء ثم يعود إلى المركب رشاشه كالمنطر ، وإذا دخلت تحت سفينة كسرتها ، فإذا رآها أهل السفن ضجوا إلى الله تعالى حتى يدفعها عنهم كذا ذكره في عجائب المخلوقات ، وهي داخلة في عموم السمك ، والله أعلم .

﴿ الموقوذة ﴾ : قال الزجاج : هي التي تقتل ضربا ، يقال وقذتها أفذها وقذا ، وأوقذتها أوقذها إبقاذا إذا أثخنها ضربا اه : قال الفرزدق يهجو جريرا :

كم عمه لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت على عشاري
سعارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الأبيكار

قوله : فدعاء هي التي أصابها الفدع : وهو ورم في القدم ، والعشار : النوق واحدها عشراء وهي التي مضى عليها تسعة أشهر وطعنت في العاشر وهي حامل ، وقوله : تقذ الفصيل أي تضربه إذا دنا منها عند الحلب ، وفطارة : مأخوذ من الفطر وهو الحلب بأطراف الأصابع فإن كان بجميع الأصابع فهو الصب ، وهو إنما يكون في الكبار من النوق : وأما الصغار من النوق فإنما تحلب بأطراف الأصابع لصغر ضروعها ، وفي معنى الموقوذة ما يرى من الطير بالسنهام التي لا تصل لها أو بحجر ونحوه فتموت ، وقد سئل ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن الطير يموت بالبندقة فقال : هو وقيد . قلت : الظاهر عدم جواز رمي الطائر بالبندق إذا علم أنه يقتل غالبا ، وكذلك الطومار والحجر لأنه من باب إتلاف الحيوان بغير منفعة ، والله تعالى أعلم .

﴿ الموق ﴾ : بالضم نمل له أجنحة ، وسيأتي إن شاء الله تعالى ما في النمل في باب النون ،

﴿ المول ﴾ : العنكبوت الواحدة مولة وأنشدوا :

حاملة ذلول لا محموله مملأى من الماء كعين الموله

﴿ المها ﴾ : بالفتح جمع مهاة : وهى البقرة الوحشية والجمع مهوات ، وقيل المها نوع من البقر الوحشى إذا حملت الأنثى من المها هربت من البقر ، ومن طبعها الشبق ، والذكر لفرط شهوته يركب ذكرا آخر ، وهى أشبه شئ بالمعز الأهلية ، وقرونها صلاب جدا ، وبها يضرب المثل فى سمن المرأة وجمالها ، قال الشاعر :

خليلى إن قالت بيثينة ماله أتانا بلا وعد فقولا لها لها
سها وهو مشغول لعظم الذى به ومن بات طول الليل يرعى السها سها
بيثينة تزرى بالغزالة فى الضحى إذا برزت لم تبق يوما بها بها
لها مقلة نجلاء كحلاء خلقة كأن أباهما الظبي أو أمها مها
دهنى بود قاتل وهو متلنى وكم قتلت بالود من ودها دها

(فائدة) روى الطبرانى فى معجمه الكبير بإسناد رجاله ثقات عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : « نزل الركن الأسود من السماء فوضع على أبي قبيس كأنه مهاة بيضاء فكث أربعين سنة ثم وضع على قواعد إبراهيم صلى الله عليه وسلم » وروى فى الأوسط والكبير أيضا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الحجر الأسود من حجارة الجنة ، ما فى الأرض من الجنة غيره وكان أبيض كالمهاة ، ولولا ما مسه من رجس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا برى » وفى إسناده محمد بن أبى ليلى وفيه كلام . وروى هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه قال : بينا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يطوف بالبيت إذا هو برجل يطوف وعلى عنقه مثل المهاة يعنى حسنا وجمالا ، وهو يقول :

عدت لهنى جملا ذلولا موطأ أتبع السهولا
أعدلها بالكف أن تميلا أحذر أن تسقط أو تزولا

أرجو بذلك نائلا جزيلا

فقال له عمر رضى الله عنه : يا عبد الله من هذه التى وهبت لها حجلك ؟ قال : امرأتى يا أمير المؤمنين وإنها لحمقاء مرغامة أكلت قمامة لا تبق لها خامة ، فقال رضى الله عنه : مالك لا تظلقها ؟ قال : يا أمير المؤمنين إنها لحسنة لا تفرك وأم صبيان لا تترك . قال : فشأنك بها .

(وحكى) الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب الأذكياء قال : قعد رجل على جسر بغداد فأقبلت امرأة من جهة الرصافة إلى الجانب الغربى ، فاستقبلها شاب فقال لها : رحم الله على بن الجهم ، فقالت المرأة : رحم الله أبا العلاء المعرى ، وما وقفنا ومرنا مشرقا ومغربا . قال : فتبعت المرأة ، وقلت لها : إن لم تقولى لى ما قلنا فضحتك ؟ فقالت : أراد قول على بن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
وأردت أنا قول أبي العلاء المعري :
فيا دارها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال
فتركتها وانصرفت .

وقد تقدم حكمها وأمثالها في باب الباء الموحدة في الكلام على البقر الوحشى .

(الخواص) نخها يطعم لصاحب القولنج ينفعه نفعاً بيناً ، ومن استصحب معه شعبة من قرن المهاة نفرت منه السباع ، وإذا نخر بقرنه أو جلده في بيت نفرت منه الحيات ، ورماد قرنه يذر على السن المتأكلة يسكن وجعها ، وشعره إذا نخر به البيت هرب منه الفأر والخنافس ، وإذا أحرق قرنه وجعل في طعام صاحب الحمى الربع فإنها تزول عنه بإذن الله تعالى ، وإذا شرب في شيء من الأشربة زاد في الباه وقوى العصب وزاد في الإنعاظ ، وإذا نفخ في أنف الراعف قطع دمه ، وإذا أحرق قرناه حتى يصير أرمادا وديفاً بنخل وطلّى به موضع البرص مستقبل الشمس فإنه يزول بإذن الله تعالى ، وإذا استف منه مقدار مثقال فإنه لا يخاصم أحداً إلا غلبه .

(التعبير) المهارة في الرؤيا : رجل رئيس كثير العبادة معتزل عن الناس ، ومن رأى عين المهارة نال رياسة أو امرأة سميئة جميلة قصيرة العمر ، ومن رأى رأسه تحول كراس مهارة نال رياسة وغنيمة وولاية على ناس غرباء ، ومن رأى كأنه مهارة فإنه يعتزل الجماعة ويدخل في بدعة ، والله الموفق :

(المهر) : ولد الفرس والجمع أمهار ومهار ومهارة ، والأنثى مهرة بالضم والجمع مهر ومهرات ، قال الربيع بن زياد العبثي :

ومجنبات ما يذقن عذوقا يقذفن بالمهرات والأمهار

وقد أحسن مهيار الديلمي في وصف المهرة حيث قال :

قال لي العاذل تسلو قلت مه إن أسباب هواها محكمه

مهرة تسمع في السرج لها تحت من يعلو عليها حممه

وقيل لبعض الحكماء : أى المال أشرف ؟ قال : فرس يتبعها فرس في بطنها فرس .
وقال الجوهري : في الحديث « خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة » أى كثيرة النتاج والنسل .
والسكة الطويلة المصطفة من النخل . والمأبورة الملقحة ، ومعنى الكلام : خير المال نتاج أو زرع .
وملخص هذا : أن الجوهري رحمه الله جعله في موضع حديثاً وفي موضع من كلام الناس .
كذا قاله الإمام الحافظ شرف الدين الديمياطي في كتاب الخيل في آخر الباب الأول .

قلت : وهذا عجيب من الجوهري مع سعة حفظه وغزارة علمه ، والصواب أنه حديث رواه أحمد والطبراني ، والله أعلم .

(إشارة) كان أبو عبد الله محمد بن حسان البصري من الأولياء ذوى الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة ، وإنه خرج للغزاة مرة فبينما هو في فلاة من الأرض إذ مات مهرة الذى كان يركبه فقال : اللهم أعزنا إياه فقام المهر حيا بإذن الله تعالى ، فلما وصل إلى بسر أخذ السرج عنه فسقط ميتا ، وكان رحمه الله إذا كان شهر رمضان دخل بيتنا وقال لامرأته : طيبي على الباب وألقى إلى كل ليلة رغيفا من السكوة ، فإذا كان يوم العيد فتحت الباب ودخلت ففتحت الثلاثين رغيفا في زاوية البيت فلا يأكل ولا يشرب ولا ينام رضى الله عنه . وفي الأنساب لابن السمعاني : أن أبا عبد الله المذكور منسوب إلى بصرى قرية من قرى الشام فأبدلت الصاد سينا على قياس قولهم في السويق الصويق والسرائ الصراط . انتهى . وقال ابن الأثير : هذا كله خطأ في النقل والنحو : أما النقل فإنه منسوب إلى بسر قرية معروفة ، وأما النحو فأبدال الصاد سينا ليس على إطلاقه إنما ذلك مع حروف معلومة ، وقد ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي في تاريخ دمشق وقال : إنه من قرية بسر وهذا هو الصواب والله تعالى أعلم .

قلت : والحروف التى تبدل معها السين صادها هي : الحاء والطاء والغين والعين والقاف بشرط أن تكون السين متقدمة وأحد هذه الحروف متأخرا ، والله تعالى أعلم .

﴿ مرعب ظله ﴾ : القرى المتقدم ذكره في باب القاف ، وربما قيل له خاطف ظله . قال الكمي :

وربطة فتان كمخاطف ظله جعلت لهم منها خباء ممددا

كذا قاله الجوهري قال : قال ابن سلمة : هو طائر يقال له الرفراف إذا رأى ظله في الماء أقبل إليه ليخطفه .

﴿ أبو مزينة ﴾ : سمك في البحر على صورة الرجال يقال إنهم يظهرون بالإسكندرية والبرلس ورشيد على صورة بني آدم بجلود لزجة وأجسام متشكلة لهم بكاء وعويل إذ وقعت في أيدي الناس ، وذلك أنهم ربما برزوا من البحر إلى البر ينمشون فيقع بهم الصيادون فإذا بكوا رجمهم وأطلقوهم كذا ذكره القزويني .

﴿ ابنة المطر ﴾ : قال في المرصع : إنها دويبة حمراء تظهر عقب المطر ، فإذا نضب الثرى عنها ماتت .

﴿ أبو المليح ﴾ : الصقر ، وحكمه تقدم في باب الصاد المهملة .

﴿ ابن ماء ﴾ : قال في المرصع : إنه نوع من طير الماء ، ويجمع على بنات ماء ، فإذا عرفته قلت ابن الماء ، بخلاف ابن عرس وابن آوى لأنه لا يقع على أنواع من طير الماء ، ويطلق على كل ما يألف الماء من أجناس الطير ، وذلك يدل كل واحد منها على جنس مخصوص . والله أعلم .

باب النون

﴿ الناب ﴾ : المستنة من النوق والجمع النيب ، وفي المثل : لا أفعل ذلك ما حنت النيب . سميت بذلك لطول نابها ، ولا يقال للجمل ناب ، وناب القوم سيدهم قاله الجوهري .

﴿ الناس ﴾ : جمع إنسان . قال الجوهري : والناس قد يكون من الإنس والجن ، وقال كثير من المفسرين في قوله تعالى - تخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس - معناه أعجب من خلق المسيح الدجال ، ولم يذكر المسيح الدجال في القرآن إلا في هذه الآية على هذا القول ، وقيل ذكره في قوله تعالى - يوم يأتي بعض آيات ربك - والمشهور أنه طلوع الشمس من مغربها :

(فرع) إذا حلف لا يكلم الناس حث إذا كلم واحدا كما لو قال لا آكل الخبز فإنه يحث بما آكل منه . ولو حلف لا يكلم ناسا حمل على ثلاثة كذا صرح به الشيخان وفاقا لابن الصباغ وغيره . وقال الماوردي والرويانى : إذا حلف على معدود في نفي أو إثبات كالنساء والمساكين ، فإن كانت يمينه على الإثبات كقوله لأكلمن الناس ولأتصدقن على المساكين لم يبر إلا بثلاثة اعتبارا بأقل الجمع ، وإن كانت يمينه على النفي كقوله لا أكلم الناس حث بالواحد اعتبارا بأقل العدد وهو واحد ، والفرق أن نفي الجمع ممكن وإثبات الجمع متعذر فاعتبر أقل الجمع في الإثبات وأقل العدد في النفي ، والله تعالى أعلم .

﴿ الناضح ﴾ : البعير الذى يستقى عليه ، سمي بذلك لأنه ينضح الماء : أى يصبه ، والأئمة ناضحة وسابية والجمع نواضح . روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أو عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه شك الأعمش قال : « لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرننا نواضحنا فأكلنا وادهننا؟ فقال صلى الله عليه وسلم : افعلوا فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله إن فعلت قل الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك غنى ، فقال صلى الله عليه وسلم : نعم .

فدعا صلى الله عليه وسلم بنطع فبسبطه ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يبيء بكف ذرة ويبيء الآخر بكف تمر ويبيء الآخر بكسرة حتى اجتمع شيء يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال : خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملئوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنى محمد رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شك فيحجب عن الجنة » وروى الحافظ أبو نعيم من طريق غيلان بن سلمة الثقفي قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فرأينا منه عجبا ؟ جاء رجل فقال : يا رسول الله إنه كان لى حائط فيه عيشى وعيش عيالى ولى فيه ناضحان فنعمانى أنفسهما وحائطى وما فيه ، ولا أقدر على الدنو منهما ، فهض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى أتى الحائط ، فقال لصاحبه : افتح الباب ، فقال : إن أمرها عظيم ، فقال صلى الله عليه وسلم : افتح الباب ، فلما حرك الباب أقبلا ولهما جلبية فلما انفرج الباب نظرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبركا ثم سجدا ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برءوسهما ، ثم دفعهما إلى صاحبهما وقال : استعملهما وأحسن علفهما ، فقال القوم : تسجد لك البهائم أفلا تأذن لنا فى السجود لك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إن السجود ليس إلا للحي الذى لا يموت ، ولو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » وروى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني وأبو بكر البيهقي من حديث يعلى بن مرة قال « بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مررنا بناضح يستقى عليه فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه وخطامه فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أين صاحب هذا ؟ فيجاءه فقال صلى الله عليه وسلم : بعينه ؟ فقال : بل نهبه لك ، وإنه لأهل بيت ما لم معيشة غيره ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنه شكاً إلى كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه » وذكر نحوه الحاكم فى المستدرک من طريق يعلى وقال صحيح ولم يخرجاه ، وفى رواية « أنه جاء وعيناه تذر فان » وفى رواية « أنه سجد للنبي صلى الله عليه وسلم » وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال « أتدرون ما يقول زعم أنه خلد مع موالیه أربعين سنة » وفى رواية « عشرين سنة حتى كبر فنقصوا من علفه وزادوا فى عمله حتى إذا كان لهم غرض أرادوا أن ينحروه غدا » وفى رواية يعلى « فى طريق مكة » وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « لاتنحروه وأحسنوا إليه حتى يأتى أجله » .

﴿ الناقه ﴾ : الأنتى من الإبل : قال الجوهري : الناقه تقديرها فعلة بالتحريك لأنهم جمعت على نوق مثل بدنة وبدن وخشبة وخشب وفعلة بالتسكين لتجمع على ذلك ، وقد جمعت فى القلة على أنوق ثم استنقلوا الضمة على الواو فقدموها فقالوا أونوق ، حكاهما يعقوب عن بعض الطائيين ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا أينتق ثم جمعوه على أيانق ، وقد تجمع الناقه على

نياق مثل ثمرة وثمار ، إلا أن الواو صارت باء لكسرة ماقبلها ، وأنشد أبو زيد للقلّاخ ابن حزن .

أبعدكن الله من نياق إن لم تنجين من الوثاق .

وبعير منوق : أى مذلل مروّض ، وناقة منوقة اه .

وكنية الناقة : أم بوّ وأم حائل وأم حوار وأم السقب وأم مسعود ، ويقال لها بنت الفحل وبنت الفلاة وبنت النجائب .

روى الإمام أحمد ورجاله رجال الصحيح عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يسير في سفر فلحقه رجل ناقة فقال صلى الله عليه وسلم : أين صاحب هذه الناقة ؟ فقال الرجل أنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : آخرها فقد أجبت فيها » .

وروى مسلم وأبو داود والنسائي عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال « بينما النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فلمعنتها فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : خذوا ماعليها ودعوها فإنها ملعونة » قال عمران : فكأنى أراها الآن ورقاء تمشى في الناس مايعرض لها أحد ، وفي رواية « لاتصحبنا ناقة عليها لعنة الله » قال ابن حبان : إنما أمر صلى الله عليه وسلم بإرسالها لأنه عليه الصلاة والسلام تحقق إجابة الدعوة فيها فتى علم استجابة الدعاء من لآعن أمرناه بإرسال دابته ، ولا سبيل إلى علم هذا الانقطاع الوحي فلا يجوز استعمال هذا الفعل لأحد أبدا ، وقيل إنما قال صلى الله عليه وسلم هذا زجرا لها ولغيرها ، وقد كان سبق نهيا ونهى غيرها عن اللعن فعوقبت بإرسال الناقة ، والمراد النهى عن مصاحبته لتلك الناقة في الطريق : وأما بيعها وذبحها وركوبها في غير تلك الطريق وغير ذلك من التصرفات التي كانت جائزة قبل هذا فهى باقية على الجواز لأن النهى إنما ورد في المصاحبة فيبقى الباقي كما كان والورقاء بالمدالتي يخالط بياضها سوادا والذكر أورك وقد ورد في النهى عن اللعن أحاديث منها ما روى مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » وفيه أيضا عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا » وفي رواية الترمذى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا البذيء » .

وفي سنن أبي داود عن أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها فتهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فإذا لم تجد مساعا رجعت إلى الذى لعن فإن كان أهلا لذلك نزلت عليه وإلا رجعت إلى قائلها » وفي شعب البيهقي أن عبد الله بن أبي الهذيل كان إذا لعن شاة لم يشرب من لبنها وإذا لعن دجاجة لم يأكل من بيضها .

(فائدة) وأما قوله تعالى - ناقة الله - فهو إضافة خلق إلى خالق تشريفا وتخصيصا ؛
 قيل إن صالحا عليه الصلاة والسلام أتى بالناقة من قبل نفسه ؛ وقال الجمهور بل سألوه أن
 يدعو ربه أن يخرج لهم آية من صخرة يقال لها الكائبة ناقة عشاء ، فدعا الله فانشقت عن
 ناقة عظيمة . يروى أنها كانت حاملا فولدت وهم ينظرون إليها سقبا قدرها فعقرها قدار
 ابن سالف وهو أشقى الأولين تعاطى فعقر : أى قام على أطراف أصابع رجله ثم رفع يديه
 فضربها . روى أن سيد ثمود جندع بن عمرو قال : يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة
 منفردة فى ناحية الحجر يقال لها الكائبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشاء ، فصلى صالح
 ركعتين ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض التوج بولدها ثم تحركت فانصدعت عن ناقة
 مخترجة جوفاء وبراء عشاء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبها عظاما إلا الله تعالى وهم ينظرون
 ثم نتجت سقبا مثلها فى العظم ، فأمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه ، فقال لهم صالح
 عليه السلام : هذه ناقة الله لها شرب يوم ولسكم شرب يوم معلوم ، فكثت الناقة ومعها
 سقبا فى أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء ، وكانت ترد الماء غبا فإذا كان يوم شربها
 وضعت رأسها فى بئر فى الحجر يقال لها بئر الناقة لارتفاع رأسها حتى تشرب كل ما فيها
 فلا تدع فيها قطرة ، ثم ترفع رأسها فتتنفجج لهم فيحلبون منها ما شاءوا من لبن فيشربون
 ويدخرون ويملأون أوانهم كلها ثم تصدر من غير الفج الذى وردت منه لأنها لا تقدر أن
 تصدر من حيث جاءت فإذا كان الغد كان يومهم فيشربون من الماء ما شاءوا ويدخرون
 ما شاءوا فهم من ذلك فى بر ودعة ، وكانت الناقة تصيف إذا كان الحر بظهر الوادى فتهرب
 منها المواشى إلى بطن الوادى فى حره وجذبه وتشتو إذا كان الشتاء يبطن الوادى فتهرب
 مواشيم إلى ظهر الوادى فى البرد والجذب فأضر ذلك بمواشيم للبلاء والاختبار ، فكبر
 ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فعقرها قدار بن سالف وهو أشقى
 الأولين ، وكان أحر أزرق قصيرا ملتزق الخلق واسم أمه قديرة : روى أنه ولد على فراش
 سالف ولم يكن من ظهره فدعته امرأة يقال لها عنيزة وكانت عجوزا مسنة وكانت ذات بنات حسان
 وذات مال من إبل وبقر وغنم ، وكان قدار عزيزا منيعا فى قومه ، فقالت له : أعطيك أى بناتى
 شئت على أن تعقر الناقة ، فانطلق قدار فكمن لها فى أصل شجرة على طريقها ، فلما مرت
 به شد عليها بالسيف فعقرها فذلك قوله تعالى - فتعاطى فعقر - أى قام على أطراف أصابع
 رجله ثم رفع يديه فضربها فجرت ورغت رغاء واحدة تحذر سقبا ، فانطلق السقب حتى
 أتى جبلا منيعا يقال له صنو ، وأتى صالح عليه السلام فقيل له أدرك الناقة ، فقد عقرت فأقبل
 وخرجوا يتلقونه يعتذرون إليه ويقولون يابى الله إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا ، فقال :
 انظروا هل تدركون فصيلها ؟ فإن أدركتموه فمسى أن يرفع عنكم العذاب ، فخرجوا

يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله إلى الجبل فتطاول في السماء حتى ما يناله الطير .

وقدار بضم القاف ثم دال مهملة مخففة ثم ألف ثم راء مهملة هكذا ذكره جميع أهل التواريخ وغيرهم . ووقع في المهذب في باب الهدنة أن اسمه العيزار بن سالف وهو وهم بلا خلاف ، وكان عقر الناقة يوم الأربعاء فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فأيقنوا بالعذاب ، وكان صالح عليه السلام قد أخبرهم بذلك وخرج هاربا منهم فشغلهم عنه ما نزل بهم من عذاب الله فجعل بعضهم ينجر بعضا بما يرون في وجوههم ، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم أن قد مضى يوم من الأجل فلما أصبحوا يوم الجمعة إذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدماء ، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الأجل ، فلما أصبحوا يوم السبت إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار ، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى الأجل وحضركم العذاب ، فلما كان يوم الأحد لما اشتد الضحى أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت يصوت به في الأرض ، فقطعت قلوبهم في صدورهم فأصبحوا في ديارهم جائمين ، وكان الذي آمن بصالح عليه الصلاة والسلام من ثمود أربعة آلاف فخرج بهم صالح إلى حضر موت ، فلما حضرها صالح مات فسميت حضر موت ، ثم بنى الأربعة آلاف مدينة يقال لها حاضور كذا قاله محمد بن إسحاق ووهب وجماعة . وقال قوم من أهل العلم : توفي صالح بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأقام في قومه عشرين سنة .

وروى أحمد والطبراني والبخاري بإسناد صحيح عن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تسألوا نبيكم الآيات فإن قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم آية ، فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعتروا الناقة فقبل لهم تمتعوا في دياركم ثلاثة أيام أو قيل لهم إن العذاب يأتيكم إلى ثلاثة أيام ، ثم جاءتهم الصيحة فأهلكت من تحت أديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلا واحدا كان في حرم الله تعالى فمنعه من عذاب الله عز وجل ، قالوا : يا رسول الله من هو ؟ قال : أبو رغال . قيل : ومن هو أبو رغال ؟ قيل : قال : جد ثقيف » . وفي رواية « فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم صلى الله عليه وسلم قبر أبي رغال فنزل القوم فابتدروه بأسيا فمهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن » .

وروى الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أشقى الناس ثلاثة : عاقر ناقة ثمود ، وابن آدم الأول الذي قتل أخاه ماسفك على الأرض

دم إلا لحقته منه لثم لأنه أول من سن القتل ، وقاتل على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه « وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها ولا يسقوا منها فقالوا : قد عجننا منها واستيقنا ، فأمرهم عليه الصلاة والسلام أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء ، وأمرهم أن يسقوا من البئر التي كانت تردها الناقة « وفي رواية جابر « أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين خشية أن يصيبكم مثل ما أصابهم » .

وروى مسلم عن أبي مسعود الأنصارى رضى الله تعالى عنه قال « جاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه في سبيل الله تعالى ، فقال صلى الله عليه وسلم : لك بها يوم القيامة سبعمائة مخطومة » .

وروى أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم عن أبي بن كعب قال « بعثني رسول الله صلى عليه وسلم عاملاً فررت برجل ، فلما جمع لي ماله لم أجد عليه فيه إلا ابنة مخاض ، فقلت له : أد ابنة مخاض فإنها صدقتك ، فقال : ذاك مالا لبن فيه ولا ظهر ، ولكن هذه ناقة فتية سمينة فخذها فامتنع أبي بن كعب ، وترافعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : ذاك الذى عليك ، فإن تطوعت فخير أجر لك فيه وقبلناه منك . قال : ها هي يا رسول الله قد جئتك بها فخذها ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبضها ودعا له في ماله بالبركة » .

وفي كامل ابن عدى وسنن البيهقي وشعب الإيمان عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال « إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرسل ناقتي وأتوكل أم أعقلها وأتوكل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : بل أعقلها وتوكل » .

وروى البيهقي عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال « إن رجلاً ادعى عليه عند النبي صلى الله عليه وسلم بسرقة ناقة فقال ما سرقتها ، فقال صلى الله عليه وسلم : احلف ، فقال : والله الذى لا إله إلا هو ما سرقتها : فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنه سرقها . ولكن غفر الله له كذبه بصدقه بلا إله إلا هو ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أخذتها فردها إليه « وفي رواية قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله غفر لك كذبتك بصدقك بلا إله إلا الله » .

وروى الحاكم عن النعمان بن سعد قال « كنا جلوساً عند علي رضى الله تعالى عنه فقرأ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً فقال : لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يساقون سوقاً ، ولكن يؤتون بنوق من نوق الجنة لم تنظر الخلائق إلى مثلها رحالها الذهب وأزمته الزبرجد فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة » ثم قال صحيح الإسناد .

وروى الحاكم أيضا عن عبد الله بن عمر رضی الله تعالى عنهما قال «كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ دخل أعرابي جهورى الصوت بدوى على ناقة حمراء ، فأناخها بباب المسجد ودخل فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قعد ، فلما قضى نخبه قالوا : يا رسول الله إن الناقة التي تحت الأعرابي سرقة قال صلى الله عليه وسلم : أمم بينة ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا على خذ حق الله من الأعرابي إن قامت عليه البينة وإن لم تقم فرده إلى ، فأطرق الأعرابي ساعة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : قم يا أعرابي لأمر الله وإلا فأدل بحجتك ، فقالت الناقة من خلف الباب : والذي بعثك بالحق والكرامة يا رسول الله إن هذا ماسرقتى وما ملكنى أحد سواه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا أعرابي بالذي أنطقها بعدرك ما الذى قلت ؟ قال : قلت : اللهم إنك لست برب استحدثناك ، ولا معك إله أعانك على خلقنا ، ولا معك رب فنشك في ربوبيتك ، أنت ربنا كما نقول وفوق ما يقول القائلون ، أسألك أن تصلى على محمد وأن تربى براءتى ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : والذي بعثنى بالكرامة يا أعرابي لقد رأيت الملائكة يبتدرون أفواه الأزقة يكتبون مقاتلتك فأكثر الصلاة على » ثم قال الحاكم : رواه ثقات لكن فيهم يحيى بن عبد الله المصرى لست أعرفه بعدالة ولا جرح ، وقد تقدم في البعير حديث رواه الطبرانى قريب من هذا .

وفي المستدرک أيضا فى ترجمة صهيب رضى الله تعالى عنه عن كعب الأحبار عن صهيب ابن سنان قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو : اللهم إنك لست بإله استحدثناه ، ولا برب ابتدعناه ، ولا كان لنا قبلك من إله نأجأ إليه ونذرك ، ولا أعانك على خلقنا أحد فنشركه معك تباركت وتعاليت » قال كعب الأحبار : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يدعو به ، ثم قال صحيح الإسناد .

وفي المستدرک أيضا من حديث أبى موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل بأعرابي فأكرمه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا أعرابي سل حاجتك ؟ فقال : يا نبي الله ناقة نرحلها وعزنا يحابها أهلى ، فقال صلى الله عليه وسلم : أيعجز هذا أن يكون مثل عجوز بنى إسرائيل ؟ قالوا : يا رسول الله وما عجوز بنى إسرائيل ؟ قال صلى الله عليه وسلم : إن بنى إسرائيل خرجوا من مصر فضاوا الطريق وأظلم عليهم ، فقالوا : ما هذا ؟ قال علماؤهم : إن يوسف عابه الصلاة والسلام لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج حتى ننقل عظامه معنا ، فقال موسى عليه الصلاة والسلام : فمن يعلم موضع قبره ؟ قالوا : عجوز ابني إسرائيل ، فبعث إليها فأتته فقال : دلبنى على قبر يوسف ؟ قالت : وتعطينى ما أسألك ؟ قال : وما سؤالك ؟ قالت : أكون معك فى الجنة .

فكره أن يعطيه ذلك فأوحى الله إليه أن أعطاها حكمها ففعل » ورواه الطبراني وأبو يعلى الموصلي بنحوه :

وفي رواية في غير المستدرک « أنها كانت مقعدة عمياء ، وأنها قالت لموسى : ألا أخبرك عن موضع قبره حتى تعطيني أربع خصال : تطلق رجلى وبصرى وشبابى وأكون معك فى الجنة ، فأوحى الله إليه أن أعطاها ما سأله وإنما تعطى على ففعل فانطلقت بهم إلى مستنقع ماء فاستخرجته من شاطئ النيل فى صندوق من مرمر ، فلما فكوا تابوته طلع القمر وأضاءت الطريق مثل النهار فاهتدوا ، وحلوه معهم إلى الشام فدفنه موسى عليه السلام عند آباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب صلى الله عليه وسلم » وعاش يوسف بعد أبيه يعقوب ثلاثا وعشرين سنة ، وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة .

وفى المستدرک وغيره عن معاذ رضي الله تعالى عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من قاتل فى سبيل الله قدر فواق ناقة وجبت له الجنة » . وفواق الناقة : ما بين الحلبتين من الراحة ، وتضم فاؤه وتفتح . وفى الحديث أيضا « عيادة المريض قدر فواق الناقة » .

(وفى أخبار معن بن زائدة الشيباني) أن رجلا قال له : احملى أيها الأمير فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية ، ثم قال : لو علمت أن الله خلق مركوبا يحمل عليه غير هذا لحملناك عليه ، وقد أمرنا لك من الخبز تجبة وقيص وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ، ولو علمنا شيئا آخز يتخذ من الخبز غير هذا لأعطيناك إياه . قال بعضهم : رحم الله معنا لو كان يعلم أن الغلام يركب لأمر له به ولكنه كان عربيا محضا لم يتدنس بقاذورات العجم ، وذكر ابن خلسكان فى ترجمته : أنه جلس يوما فرأى راكبا فقال : ما أحسب هذا يريد غيرى ، فلما وصل أنشد قائلا :

أصلحك الله قل ما بيدي فما أطيق العيال إذ كثروا

ألح دهر رمى بلكلكله فأرسلونى إليك وانتظروا

فقال : يا فلان ناقتى الفلانية وألف دينار فدفعهما إليه وهو لا يعرفه ، ومخاسن معن كثيرة . وتولى الولايات العظيمة وتولى فى آخر عمره سجستان ، فبينما هو ذات يوم فى داره والصناع يعملون بين يديه اندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه وهو يحتجم وهو يترجم ، فتبعهم ابن أخيه يزيد بن يزيد بن زائدة فقتلهم عن آخرهم ، وكان قتله فى سنة إحدى أو اثنتين أو ثمان وخمسين ومائة رحمه الله ، وراثه الشعراء بمرث كثيرة ، فن المرثى للنادرة أبيات الجسن ابن مطر الأزدي وهى فى الحماسة ، منها :

ألا على معن وقولا لقبره سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا

فيا قبر معن كيف وارىت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
ويا قبر معن أنت أول حفرة من الأرض خطت للمكارم مضجعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مربعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى وأصبح عربين المكارم أجدعا
(وحكمها) كالإبل :

(الأمثال) قالوا : لاناقتى فيها ولا جمل ، وأصل المثل للحارث بن عباد ، وقيل أول
من قاله صدوف بنت حليس العذرية وخبرها مشهور في الأمثال ، ومما أشد في ذلك
قول الراعى :

وما هجرتك حتى قلت معلنة لا ناقة لى في هذا ولا جمل
وقال الطغرائى في لاميته :

فيم الإقامة بالزوراء لاسكنى بها ولا ناقتى فيها ولا جملى
يضرب عند التبرى من الظلم والإساءة ، وأطال فيه أصحاب الأمثال وقالوا : استنوق
الجمل : أى صار ناقة . يضرب للرجل يكون في حديث أو صفة شىء ثم يخلطه بغيره وينتقل
منه إليه . قال الجوهري : وأصله أن طرفة بن العبد كان عند بعض الملوك والمسيب بن علس
ينشد شعرا في وصف جمل ثم حوّلته إلى نعت ناقة ، فقال طرفة : قد استنوق الجمل .
(وخواصها) كالإبل أيضا .

(التعبير) الناقة في الرؤيا : امرأة ، فإن كانت من البخت فهى أعجمية ، وإن كانت غير
بختية فهى امرأة عربية ، فمن رأى كأنه حلب ناقة تزوج امرأة سالحة ، ومن كان متزوجا
وحلب ناقة رزق ولدا ذكرا وربما رزق بنتا ، ومن رأى ناقة ومعها فصيلها فإنه يدل على
ظهور آية وفنتة عامة . وقال ابن سيرين : الناقة المكدوجة سفر فى بر ، ومن ركب ناقة مهرية
فى منامه سافر وقطع عليه الطريق ، ومن حلب النوق فى منامه فإنه يلى ولاية يجمع فيها الزكاة .
ومن الرؤيا المعبرة أن ابن سيرين رحمه الله أتاه رجل فقال له : رأيت رجلا يحلب من النوق
البخت لبنا ثم حلبها دما ؟ فقال ابن سيرين : هذا رجل يتولى على الأعاجم ويحببهم الزكاة
وهى اللبن ، ثم يظلمهم ويأخذ أموالهم غصبا وهو الدم فكان كذلك ، ولحم النوق يدل
على وفاء النذر لقول الله تعالى : - كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل
على نفسه - وهو لحم الجزور ، وقيل لحم الجزور فى الرؤيا مصيبة ، وقيل مرض وقيل
رزق لقول الله تعالى : - والأنعام خلقها لكم فيها دافع ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين
تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم - ومن عقر ناقة فى منامه ندم على أمر فعله ونال منه مصيبة

لقول الله تعالى - ففعلوها فأصبحوا نادمين - وقيل ركوب الناقة نكاح امرأة فإن ركبها مقلوبا أتى امرأة في دبرها ، ومن رأى ناقة صارت بغلة أو بعيرا فإن زوجته لا تحمل أبدا ، ومن ماتت ناقته ماتت امرأته أو بطل سفره ، وربما دلت الناقة على امرأة كثيرة الخصام لكثرة زغائها ، ومن رأى ناقة دخلت مدينة فإنها فتنة لقوله تعالى : - إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم - فإذا عقرت ناقة في مدينة أصاب أهلها نكبة ، والله أعلم .

﴿ الناموس ﴾ : البعوض ، وقد تقدم في باب الباء الموحدة : وقال أبو حامد الأندلسي : الناموس دويبة تلسع الناس : وقال الجوهري ، وناموس الرجل صاحب شره والذي يطلعه على باطن أمره ويخضعه بما يستره عن غيره . قال الزبيدي : وهو مشتق من نمس بالكلام إذا أخفاه يقال نمس الصائد إذا اختفى في الدريثة اه . وأهل الكتاب يسمون جبريل عليه السلام الناموس الأكبر لأنه يخفي الكلام حين يلقيه إلى الرسل عن الحاضرين وفي الحديث « أن ورقة بن نوفل قال لخديجة رضى تعالى عنها وهو ابن عمها وكان نصرانيا : لئن كان ماتقولين حقا إنه ليأتيه الناموس الذي كان يأتي موسى » وقد تقدم هذا في باب الفاء في الفاعوس وتقدم في الناموس الكلام على لفظ الناموس ، وما جاء على وزن فاعول ولام الفعل منه سين :

﴿ الناهض ﴾ : فرخ العقاب ، وقد تقدم ما في العقاب في باب العين المهملة .

﴿ النباح ﴾ : كرمان : الهدهد الكثير القرقرة ، وسيأتي ما فيه في باب الهاء .

﴿ النبر ﴾ : بالكسر دويبة شبيهة بالقراد لكنها أصغر منه إذا دبت على البعير تورم مديها والجمع نبار وأنبار .

قال الراجز شبيب بن البرصاء :

كانها من بدن وأبقار دبت عليها ذربات الأنبار

ويروى عاربات الأنبار والأنبار أيضا ضرب من السباع قاله ابن سيده . قال البطليهي سى في الشرح : ويروى هذا البيت بالفاء وهو لفعال من الشيء الوافر ، ويروى بالقاف يريد أنها أوقرت بالشحوم . ومعنى الرواية الأولى : أن هذه من سمئها ووفورها دبت عليها الأنبار فلسعتها ، وقوله : ذربات في معناها وجهان . أحدهما أنها الخديعة اللسع مأخوذة من قولهم سكين ذرب ومذرب : أى حادة ، والثاني أنها مسمومة يقال ذربت السم إذا سقيته السم ، ويقال للسم الذرب اه .

﴿ النجيب ﴾ : من الإبل والحليل ، ومن الرجال الكريم ، والجمع نجباء وأنجباب ، والنجائب جمع نجبية . روى أبو داود عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال « إن عمر رضى

الله تعالى عنه أهدى نجبية فطلبت منه بثلاثمائة دينار ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أن يبيعها ويشترى بثمانها بدنا ؟ فنهاه عن ذلك وقال : بل انحرها » وكذلك رواه الإمام أحمد والبخاري في تاريخه . وفي المثل : أنجبت المرأة إذا ولدت النجباء ، والمنتجب : المختار من كل شيء .

روى الحاكم في المستدرک عن عبد الله بن الوليد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : لقد حجج الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما خمسا وعشرين حجة ماشيا وإن النجائب لتقاد بين يديه . وفي الحاية : سئل محمد بن علي بن الحسين المعروف بالباقر أحد الأئمة الاثني عشر على رأى الإمامية عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فقال : أما علمت أن لكل قوم نجبية ، وإن نجبية بنى أمية عمر بن عبد العزيز ، وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده .

وزوى الإمام أحمد والبخاري والطبراني وابن عدى وغيرهم باختصار عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه لم يكن نبي إلا وقد أعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء وإني أعطيت أربعة عشر : حمزة وجعفر وأبى عليا وحسنا وحسينا وأبا بكر وعمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وأبا ذر والمقداد وعمارا وسلمان وبلالا » .

وفي بعض طرق الطبراني مصعب بن عمير وفيه كثير الشواهد وهو من صغار التابعين ، وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات .

وفي الحديث « إن الله يحب التاجر النجيب » أى الفاضل الكريم السخي . وقال ابن مسعود : سورة الأنعام من نجائب القرآن : أى من أفاضل سوره .

﴿ النمام ﴾ : طائر على خلقة الإوز واحده نمامة يكون آحادا وأزواجا فى الطيران ، وإذا أراد المبيت اجتمع رفوفا فذكوره تنام وإنائنه لا تنام وتعد لها مبيت فإذا نفرت من واحد ذهبت إلى آخر ، ويقال إن الأنثى تبيض من زرق الذكر من غير سفاد فإذا باضت نفرت وبقى الذكر عند البيض بذرق عليه فيقوم الذرق مقام الحضن ، فإذا تمت مدته خرجت الفراخ للاحراك بها فتأتى الأنثى فتفتخ في مناقيرها حتى تجرى الريح فيها روحا ثم يتعاوند الذكر والأنثى على التربية ، وفي الذكر غلظ طبع وقلة وفاء ، فإنه إذا رأى فراخه قد قويت على الطعام ضربها وطردها فتذهب الأم معها فلا تقرب الذكر إلى وقت السفاد .

(الحكم) يحل أكله لأنه من الطيبات ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أكله ، روى ابن النجار فى ذيل تاريخ بغداد فى ترجمة سهل بن عبيد بن سوره الخراسانى الأصهبانى أنه حدث عن إسماعيل بن هرون عن الصعق بن حزن عن مطر الوراق قال « أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم طير يقال له النحام فأكله واستطابه وقال : اللهم أدخل إلى أحب خلقك

إليك ، وأنس رضى الله تعالى عنه بالباب ، فجاء على رضى الله تعالى عنه فقال : يا أنس استأذن لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : إنه على حاجة ، فدفع صدره ودخل فقال رضى الله تعالى عنه : يوشك أن يحال بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال : اللهم وال من والاه ، وفى الكامل لابن عدى فى ترجمة جعفر ابن سليمان الضبعى : أن الطير المسوى كان حجلا ، وفيه فى ترجمة جعفر بن ميمون : أنه كان حبارى . وفى المستدرک : « أن التى أهدته للنبي صلى الله عليه وسلم أم أيمن رضى الله عنها .

قلت : حديث الطير أخرجه الترمذى وقال : غريب ، والبغوى فى حسان المصابيح ، وأخرجه الحربى وزاد بعد قوله «أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم طير وكان مما يعجبه أكله » وزاد بعد قوله «فجاء على بن أبى طالب فقال استأذن لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما عليه إذن ولكن أحب أن يكون رجلا من الأنصار» ورواه الطبرانى وأبو يعلى والبزار من عدة طرق كلها ضعيفة ، وأخرجه عمر بن شاهين ولم يذكر زيادة الحربى ، وقال بعد قوله فجاء على فرددته ثم جاء فرددته فدخل فى الثالثة أو فى الرابعة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «ما حبسك عنى أو ما أبطأك عنى يا على ؟ قال : جئت فرددى أنس ثم جئت فرددى أنس ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا أنس ما حملك على ما صنعت ؟ قال : رجوت أن يكون رجلا من الأنصار ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا أنس أو فى الأنصار خير من على أو أفضل من على » وعن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أهدت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم طيرين بين رغيفين فقدمتهما إليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : اللهم اثنى بأحب خلقك إليك وإلى رسولك » ثم ذكر معنى الحديث . قال الحاكم : وقد رواه عن أنس جماعة أكثر من ثلاثين نفساً ثم صححت الرواية عن على وأبى سعيد وسفينة ، وهو من الأحاديث المستدركة على المستدرک . قال الذهبى فى تلخيصه : لقد كنت زمنا طويلا أظن أن حديث الطير لم يجسر الحاكم أن يودعه فى مستدرکه ، فلما علق هذا الكتاب رأيت الهول من الموضوعات التى فيه ، والله أعلم .

﴿ النمل ﴾ : ذباب العسل ، وقد تقدم فى باب الذال المعجمة فى لفظ الذباب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى تفسير سورة النساء «الذباب كله فى النار إلا النحل» وواحدة النحل نحلة كنخل ونحلة . وقرأ يحيى بن وثاب - وأوحى ربك إلى النحل - بفتح الحاء والجمهور بالإسكان ، قال الزجاج : سميت نحلا لأن الله تعالى نحل الناس العمل الذى يخرج منها إذ النحلة العظيمة ، وكفاها شرفاً قول الله تعالى - وأوحى ربك إلى النحل - فأوحى سبحانه إليها وأثنى عليها فعلمت مساقط الأنواء من وراء البيداء فتقع هناك على كل حرارة عبقة وزهرة آنفة ثم تصدر عنها بما تحفظه رضاها ، وتلفظه شرابا .

قال القزويني في عجائب المخلوقات : يقال ليوم عيد الفطر يوم الرحمة إذ فيه أوحى الله إلى النحل صنعة العسل فبين سبحانه أن في النحل أعظم اعتبار ، وهو حيوان فهم ذو كيس وشجاعة ونظر في العواقب ومعرفة بفصول السنة وأوقات المطر وتدبير المرتع والمطعم والطاعة الكبيرة والاستكانة لأمره وقائده ، وبديع الصنعة وعجيب الفطرة .

قال أرسطو : النحل تسعة أصناف : منها ستة يأوى بعضها إلى بعض ، قال : وغذاؤها من الفصول الحلوة والرطوبات التي يرشح بها الزهر والورق ، ويجمع ذلك كله ويدخره وهو العسل وأوعيته ، ويجمع مع ذلك رطوبات دسمة يتخذ منها بيوت العسل ، وهذه اللدومات هي الشمع ، وهو يلقطها بخرطومها ويحملها على فخذيه وينقلها من فخذيه إلى صلبه هكذا قال . والقرآن يدل على أنها ترعى الزهر فيستحيل في جوفها عسلا وتلقيه من أفواهها فيجتمع منه القناطير المقلطرة قال الله تعالى - ثم كلى من كل الثمرات فاسلكي سبيل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس - وقوله - من كل الثمرات - المراد به بعضها ، نظيره قوله تعالى - وأوتيت من كل شيء - يريد البعض ، واختلاف الألوان في العسل بحسب اختلاف النحل والمرعى . وقد يختلف طعمه لاختلاف المرعى ، ومن هذا المعنى قول زينب رضي الله تعالى عنها للنبي صلى الله عليه وسلم «جرت نحل العرفط» حين شبهت رائحته برائحة المغافير ، والحديث مشهور في الصحيحين وغيرهما .

ومن شأنه في تدبير معاشه أنه إذا أصاب موضعا نقيا بنى فيه بيوتا من الشمع أولا ثم بنى البيوت التي تأوى فيها الملوكة ثم بيوت الذكور التي لا تعمل شيئا ، والذكور أصغر جرما من الإناث وهي تكثر المادة داخل الخلية ، وإن طارت فهى تخرج بأجمعها وترتفع في الهواء ثم تعود إلى الخلية ، والنحل تعمل الشمع أولا ثم تلقي البزير لأنه لها بمنزلة العش للظير ، فإذا ألقته قعدت عليه وحضنته كما يحضن الطير فيكون من ذلك البزير دود أبيض ثم ينهض الدود وتغذى نفسها ثم تطير ، وهي لا تقعد على أزهار مختلفة بل على زهر واحد ، وتملأ بعض البيوت عسلا وبعضها فراخا . ومن عاداتها أنها إذا رأت فسادا من ملك إما أن تعزله وإما أن تقتله وأكثر ما تقتل خارج الخلية ، والملوك لا تخرج إلا مع جميع النحل فإذا عجز الملك عن الطيران حملته وسيأتى إن شاء الله تعالى بيان ذلك في آخر الكتاب في لفظ اليعسوب .

ومن خصائص الملك أنه ليس له حمة يلسع بها ، وأفضل ملوكها الشقر وأسودها الرقط بسواد ، والنحل تجتمع فتقسم الأعمال فبعضها يعمل العسل وبعضها يعمل الشمع وبعضها يستنى الماء وبعضها يبني البيوت ، وبيوتها من أعجب الأشياء لأنها مبنية على الشكل المسدس الذي لا ينحرف كأنه استنبط بقياس هندسى ثم هو في دائرة مسدسة لا يوجد فيها اختلاف فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة ، وذلك لأن الأشكال من الثلاث إلى العشر إذا جمع

كل واحد منها إلى أمثاله لم يتصل وجاءت بينها فروع إلا الشكل المسدس فإنه إذا جمع إلى أمثاله اتصل كأنه قطعة واحدة ، وكل هذا بغير مقياس منها ولا آلة ولا بيكاربل ذلك من أثر صنع اللطيف الخبير وإلهامه إياها كما قال - وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون - الآية ، فتأمل كمال طاعتها وحسن امتثالها لأمر ربها كيف اتخذت بيوتا في هذه الأمكنة الثلاثة الجبال والشجر وبيوت الناس حيث يعرشون أى حيث يبنون العروش فلا ترى للنحل بيتا في غير هذه الأمكنة الثلاثة البتة ، وتأمل كيف كانت أكثر بيوتها في الجبال وهى المتقدمة فى الآية ثم الأشجار وهى دون ذلك ثم فيما يعرش الناس وهى أقل بيوتها . فانظر كيف أداها حسن الامتثال إلى أن اتخذت البيوت قبل المرعى فهى تتخذها أولا ، فإذا استقر لها بيت خرجت منه فرعاً وأكلت من الثمرات ثم أوت إلى بيوتها لأن ربها سبحانه وتعالى أمرها باتخاذ البيوت أولا ثم الأكل بعد ذلك . وقال فى الإحياء : انظر إلى النحل كيف أوحى الله إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا وكيف استخراج من لعبها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء والآخر شفاء . ثم لو تأملت عجائب أمرها فى تناولها الأزهار والأنوار واحترازها من النجاسات والأقذار وطاعتها لواحد من جملتها وهو أكبرها شخصا وهو أميرها ، ثم ما سخر الله لأميرها من العدل والإنصاف بينها حتى إنه ليقول منها على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت من ذلك العجب إن كنت بصيرا فى نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك فى معاداة أقرانك وموالاته إخوانك ، ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بنيانها بيتا من الشمع واختيارها من جميع الأشكال الشكل المسدس فلا تبني بيتها مستديرا ولا مربعا ولا خمسا بل مسدسا لخاصية فى الشكل المسدس يقصر فهم المهندس عن ذلك . وهو أن أوسع الأشكال وأحوالها المستدير وما يقرب منه فإن المربع تخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تبقى الزوايا فارضة ، ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة ، فإن الإشكال المستديرة إذا اجتمعت لم تجتمع متراسة ولا شكل فى الأشكال ذوات الزوايا يقرب فى الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل ، فانظر كيف أهدم الله تعالى النحل على صغر جرمه ذلك لطفاه به وعناية بوجوده فيما هو محتاج إليه لينها عيشه فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتثانه :

وفى طبعه أنه يهرب بعضه من بعض ويقاوم بعضه بعضا فى الخلايا ويلسع من دنا من الخلية وربما هلك الملسوع ، وإذا هلك شئ منها داخل الخلايا أخرجه الأحياء إلى خارج : وفى طبعه أيضا النظافة فلذلك يخرج رجيعة من الخلية لأنه منتن الريح ، وهو يعسل زمانى الربيع والخريف والذى يعسله فى الربيع أجود والصغير أعمل من الكبير ، وهو يشرب من

من الماء ما كان صافيا عذبا يطلبه حيث كان ولا يأكل من العسل إلا قدر شبعه ، وإذا قل العسل في الخلية قذفه بالماء ليكثر خوفا على نفسه من نفاذه لأنه إذا نفذ أفسد النحل بيوت الملوك وبيوت الذكور وربما قتلت ما كان منها هناك .

قال حكيم من اليونان لتلامذته : كونوا كالنحل في الخلايا : قالوا : وكيف النحل في الخلايا ؟ قال : إنها لا تترك عندها بطالا إلا نفقه وأبعدته وأقصته عن الخلية لأنه يضيق المكان ويفنى العسل ويعلم النشيط الكسل ، والنحل يسلم جلدته كالحيات وتراقفه الأصوات اللذيذة المطربة ويضره السوس ، ودواؤه أن يطرح له في كل خلية كف ملح وأن يفتح في كل شهر مرة ويدخن بأخشاء البقر . وفي طبعه أنه متى طار من الخلية يرعى ثم يعود فتعود كل نحلة إلى مكانها لا تخطئه ، وأهل مصر يحولون الخلايا في السفن ويسافرون بها إلى مواضع الزهر والشجر ، فإذا اجتمع في المرعى فتحت أبواب الخلايا فيخرج النحل منها ويرعى يومه أجمع ؛ فإذا أمسى عاد إلى السفينة وأخذت كل نحلة منها مكانها من الخلية لا تتغير عنه .

روى الإمام أحمد والحاكم والترمذي والنسائي من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي سمع عنده دوى كدوى النحل ، فنزل عليه صلى الله عليه وسلم يوما فكنا ساعا ثم سرى عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا » ثم قال صلى الله عليه وسلم : « لقد أنزل الله على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - الآيات ، ثم قال صحيح الإسناد ، قال النحاس : معنى أقامهن عمل بهن ولم يخالف ما فيهن كما يقال فلان يقوم بعمله .

وروى البيهقي من حديث أنس رضى الله عنه مرفوعا « لما خلق الله جنة عدن ونرس أشجارها بيده قال لها : تكلمي ، فقالت : قد أفلح المؤمنون » .

وروى ابن ماجه عن أبي بشر بكر بن خلف قال : حدثني يحيى بن سعيد عن موسى ابن أبي عيسى الطحان عن عون بن عبد الله عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتلهيل والتحميد ينعظفن حول العرش لمن دوى كدوى النحل تذكروا بصاحبها . أما يجب أحكم أن يكون له أول يزال له من يذكر به » ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ، والدوى : صوت ليس بالعالى . وفي حديث الإيمان « يسمع دوى صوته ولا يفقه ما يقول » .

وفي المستدرک عن أبي سبرة الهذلي قال : قال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما فحدثني حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهمته وكتبته بيدي (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا

ما حدث به عبد الله بن عمرو عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش ولا سوء الجوار ولا قطيعة الرحم» ثم قال صلى الله عليه وسلم «إنما مثل المؤمن كمثل النحلة وقعت فأكلت طيباً ثم سقطت ولم تفسد ولم تكسر ، ومثل المؤمن كمثل القطعة الذهب الأحمر أدخلت النار فنفض عليها فلم تتغير ووزنت فلم تنقص فذلك مثل المؤمن» ثم قال صحيح الإسناد :

وفي المعجم الأوسط للطبراني بإسناد حسن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل بلال كمثل النحلة غدت تأكل من الحلو والمر ثم هو جلوكله» . وروى الإمام أحمد وابن أبي شيبة والطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «المؤمن كالنحلة تأكل طيباً وتضع طيباً وقعت فلم تكسر ولم تفسد» :

وفي شعب البيهقي عن مجاهد قال : صاحبت عمر رضى الله تعالى عنه من مكة إلى المدينة فما سمعته يتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذا الحديث «إن مثل المؤمن كمثل النحلة إن صاحبتة نفعك وإن شاورتا نفعك وإن جالسته نفعك وكل شأنه منافع ، وكذلك النحلة كل شأنها منافع» قال ابن الأثير : وجه المشابهة بين المؤمن والنحلة : حذق النحل وفطنته وقلة أذاه وخفارتة ومنفعته وقنوعه وسعيه في النهار وتزده عن الأقدار وطيب أكله ، فإنه لا يأكل من كسب غيره ونحوه وطاعته لأمره ، وإن للنحل آفات تقطعه عن عمله : منها الظلمة والغيم والريح والدخان والماء والنار ، وكذلك المؤمن له آفات تفتريه عن عمله : منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام وماء السعة ونار الهوى انتهى .

وفي مسند الدارمي عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال «كونوا في الناس كالنحلة في الطير ، إنه ليس في الطير شئ إلا وهو يستضعفها ، ولو تعلم الطير ما في أجوافها من البركة ما فعلت ذلك بها ، خالطوا الناس بالسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم فإن للمرء ما اكتسب وهو يوم القيامة مع من أحب» .

وفيه أيضاً عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه سأل كعب الأبحار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة؟ فقال كعب : نجده محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر إلى طيبة ويكون ملكه بالشام ، ليس بفحاش ولا صحاب في الأسواق ولا يكافئ بالسبيته ولكن يعنفو ويصفح ، أمته الحمادون يحمدون الله في كل سرء وضراء ، يوضئون أطرافهم ويأتزون في أوساطهم ، يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم ، ذويهم في مساجدهم كدوى النحل يسمع مناديتهم في جو السماء .

(غريبة) ذكر ابن خلكان في ترجمة عبد المؤمن بن علي ملك الغرب أن أباه كان يعمل الطين فخاراً ، وأنه كان في ضميره نائماً في دار أبيه وأبوه يعمل في الطين فسمع أبوه دوي

في السماء فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار فاجتمعت كلها على ولده وهو نائم فغطته وأقامت عليه مدة ثم ارتفعت عنه وما تألم منها ، وكان بالقرب منهم رجل يعرف الزجر فأخبره أبوه بذلك ، فقال : يوشك أن يجتمع على ولدك جميع أهل المغرب فكان كذلك ، وكان من أمر ولده ما اشتهر من ملك المغرب الأعلى والأدنى ، ومات عبد المؤمن في جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذكر موته في باب الجفرة ، وجمهور الناس على أن العسل يخرج من أفواه النحل .

وروى عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال تحقيراً للدنيا : أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة ، وأشرف شرابه فيهار جميع نحلة وظاهر هذا أنه من غير الفم كذا نقله عنه ابن عطية . والمعروف عنه أنه قال : إنما الدنيا ستة أشياء : مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشوم ، فأشرف المطعوم العسل وهو مذقة ذباب ، وأشرف المشروب الماء ويستوى فيه البر والفاجر ، وأشرف الملبوس الحرير وهو نسج دودة ، وأشرف المركوب الفرس وعليه تقتل الرجال ، وأشرف المشوم المسك وهو دم حيوان ، وأشرف المنكوح المرأة وهو مبال في مبال . والحقق أن العسل يخرج من بطونها لكن لا يدرى أمن فيها أو من غيره لكن لا يتم صلاحه إلا بحمي أنفاسها ، فقد صنع أرسطاط ليس بيتا من زجاج لينظر إلى كيفية ما تصنع فأبت أن تعمل حتى لطخته من باطن الزجاج بالطين كذا قاله الغزنوي وغيره .

وروي في تفسير الكواشي الأوسط : أن العسل ينزل من السماء فيثبت في أماكن من الأرض فيأتي النحل فيشربه ثم يأتي الخلية فيلقيه في الشمع المهيأ للعسل في الخلية لا كما يتوهمه بعض الناس من أن العسل من فضلات الغذاء وأنه قد استحال في المعدة عسلا هذه عبارته ، والله أعلم .

(لطيفة) اعلم أن الله تعالى جمع في النحلة السم والعسل دليلا على كمال قدرته ، وأخرج منها العسل ممزوجا بالشمع ، وكذلك عمل المؤمن ممزوج بالخوف والرجاء . وفي العسل ثلاثة أشياء : الشفاء والحلاوة واللين ، وكذلك المؤمن قال الله تعالى - ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - ويخرج من الشاب خلاف ما يخرج من الكهل والشيخ ، وكذلك حال المقتصد والسابق ، وأمرها الله تعالى بأكل الحلال حتى صار لعابها شفاء ودواء ، وكل الذباب في النار إلا النحل ، ودواء الأطباء مر ودواء الله حلو وهو العسل ، وهي تأكل من كل الشجر ولا يخرج منها إلا حلوا ولا يغيرها اختلاف ما كلفها - والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه - وقوله تعالى - فيه شفاء للناس - لا يقتضى العموم لكل علة وفي كل إنسان لأنه نسكرة في سياق الإثبات بل هو خبر عن أنه يشفى كما يشفى غيره من الأدوية في حال دون حال .

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه كان لا يشكو شيئاً إلا تداوى بالعسل حتى كان يدهن به الدمى والقرحة والقروحة . وهذا يقتضى أنه كان يحماه على العموم .

وروى ابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل» . وروى ابن ماجه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من لعق من العسل ثلاث غدوات من كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء » .

وحكى النقاش عن أبي وجرة أنه كان يكتحل بالعسل ويتداوى به من كل سقم . وروى أيضاً عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه مرض فقال : ائتوني بماء فإن الله تعالى يقول - وأنزلنا من السماء ماء مباركا - ثم قال : وائتوني بعسل وقرأ الآية ، ثم قال : ائتوني بزيت فإنه من شجرة مباركة فخلط الجميع ثم شربه فشفي .

وروى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن أبي سعيد الخدرى رضي الله تعالى عنه قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أخى استطلق بطنه ، فقال عليه الصلاة والسلام : اسقه عسلاً فسقاه ثم جاءه فقال : يا رسول الله إنى قد سقيته عسلاً فلم يزد إلا استطلاقاً ، فقال عليه الصلاة والسلام : اسقه عسلاً ثلاث مرات ثم جاء الرابعة ، فقال صلى الله عليه وسلم : اسقه عسلاً . قال : قد سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً ، فقال عليه الصلاة والسلام : صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً فسقاه فبرأ » .

(فائدة) قد اعترض فى هذا الحديث وفى قوله صلى الله عليه وسلم « عليكم بهذا العود الهندى يعنى السكست فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب » وقوله صلى الله عليه وسلم « الحمى من فيح جهتم فأطفئوها بالماء » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن فى الحبة السوداء الشفاء من كل داء إلا السام يعنى الموت » وقوله صلى الله عليه وسلم « الكأمة من المن وماؤها شفاء للعين » من فى قلبه مرض من الملحدة فقال : الأطباء يجمعون على أن العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الإسهال ، ومجمعون أيضاً على أن استعمال المحموم الماء البارد مخاطرة وقرب من الهلاك لأنه يجمع المسام ويحرق البخار المتحلل ويعكس الحرارة إلى داخل الجسم فيكون سبباً للتلف وينكرون أيضاً مداواة ذات الجنب بالقسط مع ما فيه من الحرارة الشديدة ويرون ذلك خطراً . وهذا الذى قلته المعترض الملحد جهالة بينة وهو فيها كما قال الله تعالى : - بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه - ونحن نشرح الأحاديث المذكورة فى هذا الموضوع ونذكر ما قاله الأطباء فى ذلك ليظهر جهل هذا المعترض .

اعلم أن علم الطب من أكثر العلوم احتياجاً إلى التفصيل حتى إن المريض يكون الشئ

«الواحد دواء له في ساعة ثم يصير داء له في الساعة التي تليها بعارض يعرض له من غضب يحمي مزاجه فيتغير علاجه أو هواء يتغير أو غير ذلك مما لا يحصى كثرة ، فإذا وجد الشفاء بشيء في حالة ما لشخص ما لم يلزم منه الشفاء به في سائر الأحوال ، وجميع الأشخاص والأطباء مجتمعون على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذاء المتقدم والتدبير المألوف وقوة الطباع : فإذا عرفت هذا فاعلم أن الإسهال يحصل من أنواع كثيرة منها الإسهال الحادث من التخم والهضبات : وقد أجمع الأطباء في مثل هذا على أن علاجه بأن تترك الطبيعة وفعلها فإن احتاجت إلى معين على الإسهال أعينت ما دامت القوة باقية ، وأما حبسها فضرر عندهم واستعجال مرض فيحتمل أن يكون هذا الإسهال لهذا الشخص المذكور في الحديث كان من امتلاء أو من هيضة فدواؤه ترك الإسهال على ما هو عليه أو تقويته فأمره صلى الله عليه وسلم بأن يسقيه عسلا فزاده إسهالا فزاده عسلا إلى أن فنيت المادة فوقف الإسهال ، أو يكون الخلط الذي به كان يوافقه شراب العسل . فثبت بما ذكرناه أن العسل جار على صناعة الطب ، وأن المعترض عليه ملحد جاهل بصناعة الطب ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الأطباء بل لو كذبوه كذبناهم وكفرتناهم فلو وجدنا المشاهدة تصدق دعواهم لتأولنا كلامه صلى الله عليه وسلم حينئذ وخرجناه على ما يصح : قد ذكرنا هذا الجواب وما بعده عدة للحاجة وإن اعتضدوا بمشاهدة وليظهر جهل المعترض وأنه لا يحسن الصناعة التي اعترض بها وانتسب إليها ، وكذلك القول في الماء البارد للمحموم فإن المعترض تقول على النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل أكثر من قوله « أطفئوها بالماء » ولم يبين صفته وحاله ، والأطباء يسلمون أن الحمى الصفراوية يدبر صاحبها بسقي الماء البارد الشديد البرودة ويسقونه الثلج ويغسلون أطرافه بالماء البارد فلا يبعد أنه صلى الله عليه وسلم أراد هذا النوع من الحمى .

وأما إنكاره الشفاء من ذات الجنب بالقسط فباطل أيضا ، فقد قال بعض الأطباء : إن ذات الجنب إذا حدثت من البلغم كان القسط من علاجها ، وقد ذكر جالينوس وغيره من حذاق الأطباء : أنه ينفع من وجع الصدر . وقال بعض قدماء الأطباء : إنه يستعمل حيث يحتاج إلى إسخان عضو من الأعضاء ، وحيث يحتاج إلى جذب الخلط من باطن البدن إلى ظاهره ، وهكذا قال الرئيس ابن سينا وغيره من فحول الأطباء ، وهذا يبطل ما زعمه هذا المعترض الملحد .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « فيه سبعة أسفية » لقد أطبق الأطباء في كتبهم على أنه يدر الطمث والبول ، وينفع من السموم ، ويحرك شهوة الجماع ، ويقتل الدود وحب القرع الذي في الأمعاء إذا شرب بعسل ، ويذهب الكلف إذا طلى عليه ، وينفع من برودة المعدة

والكبد ، ومن الحمى الورد والربع وغير ذلك . وهو صنفان : بحرى وهندى ، فالبحرى هو القسط الأبيض ، وقيل هو أكثر من صنفين ، ونص بعضهم على أن البحرى أفضل من الهندى وأقل حرارة منه ، وقيل هما حاران يابسان فى الدرجة الثالثة ، والهندى أشد حرارة منه فيها : وقال الرئيس ابن سينا : القسط حار فى الثالثة يابس فى الثانية . وقد اتفق الأطباء على هذه المنافع التى ذكرناها فى القسط وهو العود الهندى المذكور فى الحديث فصار ممدوحا شرعا وطبا ، وإنما عددنا منافع القسط من كتب الأطباء لأنه صلى الله عليه وسلم ذكر منها هددا مجملا .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « فى الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام » فيحمل أيضا على العال الباردة على نحو ما سبق فى القسط ، وهو صلى الله عليه وسلم قد يصف بحسب مشاهدته من غالب حال أصحابه قاله الإمام المازرى . وقال شيخ الإسلام محبى الدين النووى ، وذكر القاضى عياض كلام المازرى الذى قدمناه ثم قال : وذكر الأطباء فى منفعة الحبة السوداء التى هى الشونيز أشياء كثيرة وخواص عجيبة يصدقها قوله صلى الله عليه وسلم ، فذكر جالينوس أنها تحلل النفخ وتقتل ديدان البطن إذا أكلت أو وضعت على البطن ، وتنفع الزكام إذا قليت وصرت فى خرقة وشمّت ، وتزيل العلة التى ينقش منها الجلد ، وتقطع التآليل بلعقة والمنكسة وانخيلان ، وتدر الطمث المنحبس إذا كان احتباسه من أخلاط غليظة لزجة ، وتنفع الصداع إذا طلى بها الجبين ، وتقطع البثور والجرب ، وتدر البول واللبن ، وتحلل الأورام البلغمية إذا تضمد بها مع خل ، وتنفع من الماء العارض فى العين إذا سعط بها مسحوقة بدهن ، وهى تنفع من انصباب المواد أيضا ، ويتمضمض بها من وجع الأسنان ، وتنفع من نهش الرتلاء ، وإذا بنجر بها طردت الهوام . قال القاضى : وذكر جالينوس أن من خاصيتها إذهاب حمى البلغم والسوداء وتقتل حب القرع ، وإذا علق الشونيز فى عنق المزكوم ينفعه ، وينفع من حمى الربع . قال : ولا تبعده منفعة من أدوية حارة لخواص فيها فقد نجد ذلك فى أدوية كثيرة فىكون الشونيز منها لعموم الحديث ، ويكون استعماله أحيانا منفردا وأحيانا مركبا .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى الكمأة وهى بفتح الكاف وإسكان الميم وبعدها همزة مفتوحة « وماؤها شفاء للعين » قيل هو نفس الماء مجردا ، وقيل معناه أن يخلط ماؤها بدواء يعالج به العين : وقيل إن كان لتبريد ما فى العين من حرارة فإؤها مجردا شفاء ، وإن كان لغير ذلك فمركب مع غيره : قال الإمام النووى : والصحيح بل الصواب أن ماءها مجردا شفاء للعين مطلقا فيعصر ماؤها ويجعل فى العين منه . قال : وقد رأيت أنا وغيرى فى زماننا من كان أعمى وذهب بصره حقيقة فكحل عينيه بماء الكمأة مجردا فبرئ وعاد بصره إليه ،

وهو الشيخ العدل الإمام الكمال الدمشقي صاحب فقه ورواية للحديث ، وكان استعماله ماء الكمأة اعتقادا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وتبركا به فشفاه الله لذلك ، ففي هذا الحديث والأحاديث المتقدمة بيان لما حواه النبي صلى الله عليه وسلم من علوم الدين والدنيا وصحة علم الطب وجواز التطيب في الجملة واستحبابه لما ذكر في الأحاديث الصحيحة من الحجامة وشرب الأدوية والسعوط وقطع العروق والرق وغير ذلك من الأدوية ، ولا يخفى أن الله تعالى في مخلوقاته حكما وأسرا ، ولم يخلق جل جلاله داء إلا وخلق له دواء علمه من علمه وجهله من جهله والله أعلم . وذهبت طائفة إلى أن هذه الآية : - وأوحى ربك إلى النحل - إنما يراد بها أهل البيت من بنى هاشم وأنهم المنحل وأن الشراب هو القرآن ، وقد ذكر بعضهم هذا في مجلس أبي جعفر المنصور ، فقال له رجل : جعل الله طعامه وشرابه مما يخرج من بطون بنى هاشم ، فأضحك الحاضرين وأبته القائل .

(فائدة أخرى) اعلم أن للعسل أسماء كثيرة : منها السنوت كسفود وسنور ، وفي الحديث « عليكم بالسنا والسنوت » ومنها السلوى لأنه يسلى عن كل حلو ، قال خالد ابن زهير الهذلي :

وقاسمها بالله جهدا لأنتم ألد من السلوى إذا ما نشورها

ومن أسمائه : الحافظ والأمين ، لأنه يحفظ ما يودع فيه فيحفظ الميت أبدا واللحم ثلاثة أشهر والفاكهة ستة أشهر . روى أصحاب الكتب الستة عن أم المؤمنين عائشة رضی الله تعالى عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلواء ويشرب العسل » قال العلماء : المراد بالحلواء هنا كل حلو ، وذكر العسل بعدها تنبيها على شرفه ومزيبته ومزيتته ، وهو من باب ذكر الخاص بعد العام ، والحلواء بالمد . وفيه جواز أكل للذيذ الأطعمة والطيبات من الرزق ، وأن ذلك لا ينافي الزهد والمراقبة لاسيما إذا حصل ذلك اتفاقا . وفي تاريخ أصبهان في ترجمة أحمد بن الحسن عن ابن عمر رضی الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أول نعمة ترتفع من الأرض العسل » وكان مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي الكوفي المعروف بالأشتر من شيعة أمير المؤمنين علي رضی الله تعالى عنه ، وكان تابعيا لرئيس قومه وله بلاء حسن في وقعة اليرموك وذهبت عينه يومئذ ، وكان فيمن شهد حصار عثمان رضی الله تعالى عنه وشهد وقعة الجمل وصفين ، وكان عمر بن الخطاب رضی الله تعالى عنه إذا رآه صرف نظره عنه وقال : كفى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم شره . ولاء علي رضی الله عنه مصر بعد قيس بن سعد بن عباد بن ديلم ، فلما وصل إلى القلزم شرب شربة عسل فمات ، فلما بلغ ذلك عليا رضی الله عنه قال : لليدين وللقم : وقال عمرو بن العاص رضی الله تعالى عنه حين بلغه ذلك : إن لله جنودا منها العسل . وقيل إن الذي قال ذلك معاوية بن أبي سفيان

رضى الله عنهما وهو الذي سمه ، وقيل إن الذي سمه كان عبدا لعثمان رضى الله تعالى عنه ، وكانت وفاته في شهر رجب سنة سبع وثلاثين . روى له النسائي حديثين ، وفي أخبار الحجاج ابن يوسف أنه كتب إلى عامله بفارس : أرسل إلى من عسل خلار من النحل الأبكار ومن المستفشار الذي لم تمسه النار ، يريد بالأبكار فراخ النحل لأن عسلها أطيب وأصفي ، وخلار موضع بفارس مشهور بجودة العسل ، والمستفشار كلمة فارسية معناها ما عصرته الأيدي :

(الحكم) كره مجاهد قتل النحل ويحرم أكلها على الأصح ، وإن كان عسلها حلالا كالآدمية لبنيها حلال ولحمها حرام ، وأباح بعض السلف أكلها كالجرادة وهو وجه ضعيف في المذهب ، ويحرم قتلها . والدليل على الحرمة نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتلها ، وفي الإبانة في كتاب الحج يكره قتلها ، وما ذكره الثوري في الإبانة من الكراهة وذكره غيره من التحريم مفرغ على منع الأكل فإن أجنائه جاز قتله كالجراد وكان القياس جواز قتل النحل لأنه من ذوات الإبر ، وما فيه من المنفعة يعارض بالضرر لأنه يصول ويلدغ الأدمى وغيره ، وقد ذكر الراجزي في كتاب الحج أنه يجوز قتل الصقر والبازي من الجوارح ونحوها كما تقدم في الكلام عليها في أما كتبها . وعلاه بأن المنفعة فيها معارضة بالضرر وهو اصطياها طيور الناس فجعلوا المضرة التي فيها مبيحة لقتلها ولم يجعلوا المنفعة التي فيها عاصمة من القتل إلا أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النحل كما تقدم ، ولا شيء في قوله صلى الله عليه وسلم إلا طاعة الله بالتسليم لأمره صلى الله عليه وسلم : وأما بيع النحل وهو في الكوارة فصحيح إن رؤى جميعه وإلا فهو بيع غائب . فإن باعها وهي طائفة في التئمة يصح وفي التهذيب عكسه . وصورة المسئلة أن تكون الأم في الكوارة كما قاله ابن الرفعة ، والأصح من الوجهين الصحة . والفرق بينها وبين باقي الطير من وجهين : أحدهما أنها لا تقصد بالجوارح بخلاف غيرها . والثاني أنها لا تأكل في الغالب والعادة إلا مما ترعاه ، فلو توقف في صحة البيع على حبسها لربما أضربها أو تعذر بسببه بيعها بخلاف غيرها من الطيور . وقال أبو حنيفة : لا يصح بيع النحل كالزنبور وسائر الحشرات ، واحتج أصحابنا بأنه حيوان ظاهر منفع به فجاز بيعه كالشاء والحمام بخلاف الزنبور والحشرات فإنه لا منفعة فيها كدود الفز ويبقى لها في الكوارة شيئا من العسل ، فإن كان الاشتيار في الشتاء وتعذر الخروج يكون المبي أكثر فإن أغنى عن العسل غيره لم يتعين إبقاء العسل ، وقد قيل تشوى دجاجة وتعلق على باب الكوارة لتأكل منها .

(الأمثال) قالوا : أنحل من نحلة . أخوذ من النحل وهو انفزال ، وقالوا : أهدي من نحلة ، وقالوا : كلام كالعسل وفعل كالأسل وهي الرماح . يضرب في اختلاف القول والفعل .

(الخواص) العسل حار يابس جيده الشهد ، وهو مدر للبول مسهل يهيج القيء وهو معطش ويستحيل إلى الصفراء يولد دما حارا ، فإن طبخ بالماء ونزعت رغوته ذهبته حدته وقلت حلاوته ونفعه وكثر غذاؤه وإدراره للبول وإطلاقه ، وأجوده الخريفي الصادق الحلاوة والكثير الربيعي المائل إلى الحمرة : ويدفع مضرته التفاح المز ، وكل ما أسرع إليه الفساد من لحم وغيره إذا وضع في العسل طالت مدة مقامه ، وإذا خلط العسل الذي لم يصبه ماء ولا نار ولا دخان بشيء من المسك واكتحل به نفع من نزول الماء في العين ، والتلطخ به يقتل القمل والصبان ، ولعقه علاج لعضة الكلب الكلب ، والمطبوخ منه نافع من السموم . ومن خاصية الشمع أن من استصحبه ، وقيل أكله أورثه الغم لكن لا يصبه الاحتلام .

(التعبير) النحل في الرؤيا : خصب وغنى لمن قناه مع خطر ، ومن رأى كواره نحل واستخرج منها عسلا نال مالا حلالا ، فإن أخذ العسل كله ولم يترك للنحل شيئا فإنه يجور على قوم ، فإن ترك للنحل شيئا فإنه يعدل إن كان واليا أو طالب حق ، ومن رأى النحل يقع على رأسه نال ولاية ورياسة ، وإن رأى ذلك ملك نال ملكا وكذلك إذا حل بيده ، والنحل للفلاحين دليل خير ، وأما الجندي وغير الفلاحين فدليل مخاصمة وذلك لصوته ولدغه ، والنحل يدل على العسكر لأنه يتبع أميره كما يتبع العسكر أميره ، ومن قتل في منامه نحلا فهو عدو ، ولا يحمد قتل النحل للفلاح لأنه رزقه ومعاشه ، والنحل يدل على العلماء وأصحاب التصنيف ، وربما دل على السكد والكسب والجبابة ، وأما العسل فإنه في المنام مال حلال بلا تعب وهو شفاء من المرض لقوله تعالى — يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس — ومن رأى أنه يطعم الناس العسل فإنه يسمعهم الكلام الحسن والقرآن بلحن طيب ، ومن رأى كأنه يلعق عسلا فإنه يتزوج لقوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعة رضي الله عنهما « حتى تذوق عسلته ويذوق عسلتك » وأكل العسل عناق حبيب وتقيله ، وأما الشهد فإنه ميراث من حلال أو مال من شركة . وقال ابن سيرين : الشهد رزق حلال لأن النار لا تمسه ، ومن رأى بين يديه شهدا موضوعا فإن عنده علما عزيزا والناس يريدون سماعه منه ، والشهد إذا كان وحده فهو مال من غنيمة ، فإن كان في وعاء فهو رجل صاحب علم ومال حلال ، وهو للزاهد الغنى مال وبر ودين ، ومن رأى كأنه يأكل الشهد وفوقه العسل فإنه ينكح أمة . والله تعالى أعلم .

﴿ النحوص ﴾ : بفتح النون وضم الحاء والصاد المهملتين : الأثان الحائل والجمع نحوص ونحاص .

﴿ النسر ﴾ : طائر معروف وجمعه في القلة أنسر وفي السكرة نسور ، وكنيته : أبو الأبرد .

وأبو الإصبع وأبو مالك وأبو المنهال وأبو يحيى والأثنى يقال لها أم قعشم ، وسمى نسرا لأنه ينسر الشيء ويبتلعه ، وهو عريف الطير ، ويقول في صياحه : ابن آدم عش ما شئت فإن الموت ملائكتك ، كذا قاله الحسن بن علي رضي الله عنهما .

قلت : وفي هذا مناسبة لما خص النسر به من طول العمر ، يقال إنه من أطول الطير عمرا وإنه يعمر ألف سنة ، وقصة لبد تأتي إن شاء الله تعالى في الأمثال ، والنسر ذو منسر وليس بذى مخلب وإنما له أظفار حداد كالخالب ، والبازي والنسر يسفدان كما يسفد الديك ، وزعم قوم أن الأثنى من هذا النوع تبيض من نظر الذكر إليها ، وهي لا تحضن وإنما تبيض في الأماكن العالية الضاحية للشمس فيقوم حر الشمس للبيض مقام الحضن ، وهو حاد البصر يرى الجيفة من أربعائة فرسخ ، وكذلك حاسة شمه في النهاية لكنه إذا شم الطيب مات لوقته ، وهو أشد الطير طيرانا وأقواها جناحا حتى إنه ليطير ما بين المشرق والمغرب في يوم واحد ، وإذا وقع على جيفة وعليها عقبان تأخرت ولم تأكل مادام يأكل منها ، وكل الجوارح تخافه : وهو شره نهم رغيب إذا وقع على جيفة وامتلا منها لم يستطع الطيران حتى يثب وثبات يرفع بها نفسه طبقة بعد طبقة في الهواء حتى يدخل تحت الريح وربما صاده الضعيف من الناس في هذه الحالة ، والأثنى منه تخاف على بيضها وفراخها الخفاش فتفرش في وكرها ورق الدلب لينفر منه ، وهو من أشد الطير حزنا على فراق إلهه فإذا فارق أحدهما الآخر مات حزنا وكندا . ومن غريب ما أتهم أنه إذا حملت أنثاه ذهب إلى الهند فأخذ من هناك حجرا كهيئة الحوزة إذا حرك سمع له حس حجر آخر متحرك كصوت الجرس فإذا جعله عليها أو تحتها أذهب عنها العسر ، وهذا بعينه قاله القزويني في العقاب ، وقد تقدم في باب العين وليس في سباع الطير أكبر جثة منه ، ويقال للنسر أيضا أبو الطير : قال الشاعر :

فلا وأبي الطير المربة في الضحى على خالد لقد وقعت على لحم

والنسر سيد الطير . روى الياقعي في كتاب [نفحات الأزهار ونحات الأنوار] عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال : سمعت جيبني رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « هبط على جبريل فقال : يا محمد إن لكل شيء سيذا فسيذ البشر آدم ، وسيذ ولد آدم أنت ، وسيذ الروم صهيب ، وسيذ فارس سليمان ، وسيذ الحبش بلال ، وسيذ الشجر السدر ، وسيذ الطير النسر ، وسيذ الشهور رمضان وسيذ الأيام يوم الجمعة ، وسيذ الكلام العربية ، وسيذ العربية القرآن ، وسيذ القرآن سورة البقرة » .

وروى الطبراني في معجمه الأوسط عن عائشة رضي الله تعالى عنها « أن النبي صلى الله قال : يارب أخبرني بأكرم خلقك عليك ؟ فقال جل وعلا : الذي يشرع إلى هواي لمراع النسر إلى هواه » والحديث يأتي إن شاء الله تعالى بنامه في النمر ، وفي شعب الإيمان للبيهقي

عن علي بن هرون العبدى قال : سمعت الجنيدي رضى الله عنه يقول : حق الشكر أن لا يعصى الله فيما أنعم ، ومن كان لسانه رطباً بذكر الله تعالى دخل الجنة وهو يضحك ، وقال : إن الله عبداً بأوون إلى ذكر الله كما بأوى النسر إلى وكراهه . وفى الحلية فى ترجمة وهب بن منبه وغيرها عن وهب بن منبه قال : إن يختنصر مسخ أسدا فكان ملك السباع ، ثم مسخ نسراً فكان ملك الطير ، ثم مسخ ثوراً فكان ملك الدواب ، وكان مسخه سبع سنين ، وقلبه فى ذلك كله قلب إنسان ، وهو فى ذلك كله يعمل عقل الإنسان ، وكان ملكه قائماً ثم رده الله إلى بشريته ورد عليه روحه فدعا إلى توحيد الله وقال : كل إله باطل إلا الله إله السماء ، فقيل لو هب أمات مسلماً ، فقال : وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : آمن قبل أن يموت ، وقال بعضهم : قتل الأنبياء وخرّب بيت الله المقدس وأحرق كتبه فغضب الله عليه فلم يقبل منه التوبة انتهى .

قال السدى : إن يختنصر لما رجع إلى صورته ورد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه من أكرم الناس عليه فحسدتهم الجوس وقالوا يختنصر : إن دانيال إذا شرب لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عاراً ، فجعل لهم طعاماً فأكلوا وشربوا وقال للبواب : انظر أول من يخرج للبول فاضربه بالطبرزد ، فإن قال أنا يختنصر فقل كذبت يختنصر أمرنى بقتلك فكان أول من قام للبول يختنصر ، فلما رآه البواب شد عليه فقال : أنا يختنصر ، فقال البواب كذبت يختنصر أمرنى بقتلك ثم ضربه فقتله هكذا قال أصحاب المبتدأ :

وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال : إن نمرود الجبار لما حاج إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى ربه قال : إن كان ما يقوله إبراهيم حقاً فلا أنتهى حتى أصعد إلى السماء فأعلم ما فيها ، فعمد إلى أربعة أفراس من النور فرباهما حتى شبت واتخذ تابوتاً فجعل له باباً من أعلاه وباباً من أسفله ، وقعد نمرود مع رجل فى التابوت ونصب خشبات فى أطراف التابوت وجعل على رءوسها اللحم ، وربط التابوت بأرجل النور وخلأها فطارت وصعدت طعاماً فى اللحم حتى مضى يوم وأبعدت فى الهواء ، فقال نمرود لصاحبه : افتح الباب الأعلى وانظر إلى السماء هل قربنا منها ؟ ففتح ونظر فقال : إن السماء كهيئتها ، ثم قال له : افتح الباب الأسفل وانظر إلى الأرض كيف تراها ؟ ففعل وقال : أرى الأرض مثل اللجة والجبال مثل الدخان ، فطارت النور يوماً آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران ، فقال لصاحبه : افتح البابين وانظر ففتح الأعلى فإذا السماء كهيئتها وفتح الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة ، ونودى أيها الطاغية إلى أين تريد . وقال عكرمة : كان معه فى التابوت غلام قد حمل قوساً ونشاباً فرمى بسهم فعاد إليه السهم ملطخاً بدم سمكة قذفت بنفسها من بحر فى الهواء وقيل بدم طائر أصابه السهم فقال : كفيت إله السماء . قال : ثم إن نمرود أمر صاحبه أن

يصوب الخشبات وينكس اللحم ففعل ، فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال هفيف
التابوت والنسور ففرغت وظنت أنه قد حدث حادث من السماء وأن الساعة قد قامت فكادت
تزلزل عن أماكنها فذلك قوله تعالى - وإن كان مكروهم لتزلزل منه الجبال - قرأ ابن مسعود
رضي الله عنه إن كاد بالمدال المهملة ، وقرأ العامة بالنون ، وقرأ ابن جويج والكسائي لتزلزل
بفتح اللام الأولى ورفع الثانية ، وقرأ العامة بكسر اللام الأولى ونصب الثانية : قال الجوهري :
نسر صنم لذي الكلاع بأرض حمير ، وكان يغوث لمذحج ويعوق لهمدان من أصنام قوم نوح
عليه السلام قال الله تعالى - ولا يغوث ويعوق ونسرا - انتهى .

وإلى هذا أشار العباس رضي الله تعالى عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى النبي منصرفه
من تبوك فقال : يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أقل لا يفضض الله فاك « فأنشد العباس رضي الله تعالى عنه يقول :

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر	أنت ولا مضغسة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد	ألجم نسرا وأهله الفرق
تنقل من صالب إلى رحم	إذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكنتا	في صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأر	ض وضاعت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي الذ	ور وسبل الرشاد نخترق

(تنمة) روى الدار قطنى عن عقبه بن عامر الجهني رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « لما عرج بي إلى السماء الدنيا دخلت جنة عدن فوقعت في يدي تفاعحة
فلما وضعتها في يدي انقلبت حوراء عينا مرضية أشفار عينيها كققدام النسور ، فقلت لها : لمن
أنت ؟ فقالت : للخليفة من بعدك » .

(الحكم) يحرم أكله لاستخباثه وأكله الحيف .

(الأمثال) قالوا : أعمر من نسر ، وقالوا : أتى الأبد على لبد ، وهذا اللبد هو آخر
نسور لقمان بن عاد ، وكان لقمان بن عاد الأصغر قد سيره قومه وهم عاد الذين ذكرهم الله
في كتابه العزيز إلى الحرم يستسقى لهم ومعه رهط من قومه ، فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية
ابن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فأزلمهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصحابه فأقاموا
عنده شهرا وكان مسيرهم شهرا ، فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومه
يتغوثون لهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه فقال : هلك أخوالي وأصهارى وهؤلاء
مقيمون عندي وهم ضيفي ، والله ما أدري كيف أصنع بهم ، فشكا ذلك من أمرهم إلى قبيلته

الجرادتين فقالتا: قل شعرا لا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال شعرا يؤنبهم فيه ويذكرهم الأمر الذي وفدوا لأجله ، فلما غنمهم الجرادتان شعره قال بعضهم لبعض : إنما بعثكم قومكم يفتنونكم من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه الصلاة والسلام سرا : إنكم والله لا تستقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وأنبتم إلى ربكم ستقتم ، فأظهر إسلامه عند ذلك وقال شعرا يذكر فيه إسلامه ، فقالوا معاوية بن بكر احبس عنا مرثد بن سعد فلا يقدم من معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ، ثم خرجوا إلى مكة يستسقون لعاد ، فلما ولوا إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى أدركهم قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا له ، فلما انتهى إليهم قام يدعو الله وفد عاد يدعون فقال : اللهم أعطني سؤلى وحدى ولا تدخلى فى شيء مما يدعوك به وفد عاد ، وكان قيل بن عتر رأس وفد عاد ، فقال وفد عاد : اللهم أعط قبلا ما سألك واجعل سؤلنا مع سؤله ، فقال قيل : يا لهنا إن كان هود صادقا فاسقنا فإننا قد هلكنا فأنشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ، ثم ناداه مناد من السحاب : يا قيل اختر لنفسك وقومك من هذه السحائب ؟ فقال قيل : اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحائب ماء ، فناداه مناد : اخترت رمادا رمدا لا يبقى من آل عاد أحدا وساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النعمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا - هذا عارض ممطرنا - يقول الله عز وجل - بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم - الآية ، وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدو فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعدت ، فلما أفاقت قالوا لها : ماذا رأيت ؟ قالت : رأيت ريحا فيها كمشب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من عاد أحدا إلا أهلكته ، واعتزل هود ومن معه من المؤمنين فى حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح إلا ما يلين عليهم ويلد الأنفس ، وإنما تمر من عاد بالظعن فتحملهم بين السماء والأرض وتدهمهم بالحجارة حتى هلكوا عن آخرهم ، فلما هلكت عاد خير لقمان بين أن يعيش عمر سبع بقرات سمر من أظب عفر فى جبل وعمر لا يمسه القطر أو عمر سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف من بعده نسر ، وكان قد سأل الله تعالى طول العمر فاختر النسر فكان يأخذ الفرخ حين خروجه من البيضة فيريه فيعيش ثمانين سنة وهكذا حتى هلك منهاسته فسمى السابع ليدا ، فلما كبر وهرم وعجز عن الطيران كان يقول له لقمان : انهض ابد ، فلما هلك ليد مات لقمان :

وروى أن الله تعالى أمر الريح فهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين تحت الرمل ؛ ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل وأرسل الله طيرا أسود فنقلتهم

إلى البحر فألقتهم فيه ، ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فإنها عمت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها . وفي الحديث « إنها خرجت على قدر خرم الخاتم » .

وروى عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال : إن قبر نبي الله هود عليه الصلاة والسلام بحضرموت في كتيب أحمر . وقال عبد الرحمن بن سابط : بين الركن والمقام وزمزم أقبر تسعة وتسعين نبيا منهم هود وشعيب وصالح وإسماعيل صلى الله عليهم وسلم ، وقد ذكرت العرب لبدا في أشعارها كثيرا ، فمن ذلك قول النابغة الذبياني :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد
وقد تقدم مقاله الشاعر في ذكر لبد في باب اللام :

(الخواص) إذا جعل قلب النسر في جلد ذئب وعلق على إنسان كان محبوبا مهايا مقضى الحاجة عند السلطان وغيره ولا يضره سبع أبدا ، وإن عسر وضع امرأة فوضع تحتها ريشة من ريشه أسرعت الولادة ، وإذا أخذ عظم كبير من عظامه وعلق على من يستخدم الماوك والسلاطين أمن غضبهم وكان محبوبا عندهم ، وعظم فخذه الأيسر إن علق على من به سحج قديم نفعه وأبرأه ، وعقب ساقه إن علق على من به النقرس أبرأه ، الأيمن للأيمن والأيسر الأيسر ، وإن دخن بريشة من ريشه في بيت فيه هوام طردها ولم يبق فيه شيء منها ، وكبده إذا شويت واحترقت وشربت نفعت للباه منفعه عظيمة ، وإن أخذ بيضه وضرب بعضه ببعض حتى يختلط ويمسح به الإحليل ثلاثة أيام قوى قوة عجيبة ، ومرارته تنفع من الماء النازل في العين إذا اكتحل بها سبع مرات بماء بارد وطلب بها حول العين ، وإذا علق فكحه الأعلى على عنق إنسان في خرقه لم يقربه شيء من الهوام .

(التعبير) النسر في المنام : ملك ، فمن رأى نسرا نازعه فإن سلطانا يغضب عليه ويوكل به ظالما لأن سليمان عليه الصلاة والسلام وكل النسر على الطير فكانت تخافه ، ومن ملك نسرا مطاعا أصاب ملكا عظيما ، ومن ملك نسرا فطار به وهو لا يخافه فإنه يعلو أمره ويصير جبارا عنيدا لما تقدم عن عمرو ، ومن أصاب فرخ نسر ولد له ولد يكون عظيما هاديا فإن رأى ذلك نهارا فإنه يمرض فإن خدشه ذلك الفرخ طال مرضه ، ورؤية النسر المذبوح تدل على موت ملك من الملوك ، ومن رأى النسر من النساء الخوامل فإنها ترى المراضع والدايات . وقالت اليهود : النسر يفسر بالأنبياء والصالحين لأن في التوراة شبه الصالحين بالنسر الذي يعرف وطنه ويرفرق على فراخه ويزقها . وقال إبراهيم الكرمانى : النسر يعبر بأكبر الملوك لأن الله تعالى خلق ملكا على صورته وهو موكل بأرزاق الطير ، وقال جاماسب : من رأى نسرا أو سمع صياحه خاصم إنسانا ، وقال ابن المقري : من ملك نسرا أو تحكم عليه نال عزا وسلطانا ونصرة على أعدائه وعاش عمرا طويلا ، فإن كان الرائي من أهل الجلد والاجتهاد انقطع عن

الناس واعتزلهم وعاش منفردا لا يأوى إلى أحد ، وإن كان ملكا انتصر على أعدائه وربما صالحهم وأمن شرهم ومكايدهم وانتفع بما عندهم من السلاح والمال ، وإن كان من عوام الناس نال منزلة تليق به أو مالا وانتصر على أعدائه ، وربما دلت رؤية النسر على البدعة والضلالة عن الهدى نعوذ بالله من ذلك لقوله تعالى - ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا - ورؤية المؤنث منها نساء خواطي وصغار أولاد زنا وكذلك العقاب : قال : وربما دلت رؤيتها على الموت لاقتناصها الأرواح وأكلها الميتة والحيفة ، وربما دل النسر على الغيرة على العيال ، والله تعالى أعلم .

﴿ النساف ﴾ : بفتح النون وتشديد السين : طائر له منقار كبير قاله ابن سيده :

﴿ النسناس ﴾ : قال في المحكم : هو خلق في صورة الناس مشتق منهم لضعف خلقهم ، وقال في الصحاح : هو جنس من الخلق يشب أحدهم على رجل واحدة اه . وقال المسعودي في مروج الذهب : إنه حيوان كالإنسان له عين واحدة يخرج من الماء ويتكلم ومتى ظفر بالإنسان قتله . وفي كتاب القزويني قال في الأشكال : إنه أمة من الأمم لكل واحد منهم نصف بدن ونصف رأس ويد ورجل كأنه إنسان شق نصفين يقفز على رجل واحدة قفزا شديدا ويعدو عدوا شديدا منكرا ، ويوجد في جزائر بحر الصين . وفي المجالسة للدينوري عن ابن قتيبة عن عبد الرحمن بن عبد الله أنه قال : قال ابن إسحاق : النسناس خلق باليمن لأحدهم عين ويد ورجل يقفز بها ، وأهل اليمن يصطادونهم فخرج قوم لصيدهم فرأوا ثلاثة نفر منهم فأدركوا واحدا منهم فعمروه وتوارى اثنان في الشجر فذبح الذي عقر ، فقال أحدهم لصاحبه : إنه لسمين ، فقال أحد الاثنان : إنه كان يأكل الضرو ، فأخذه فذبحوه ، فقال الذي ذبحه : ما أنفع الصميت ، فقال الثالث : فأنا الصميت ، فأخذه فذبحوه . قال ابن سيده : الضرو البطم وهو شجر الحبة الخضراء كذا يسميه أهل اليمن . وقال الميداني في باب الهزمة من الأمثال : قال أبو الدقيس : إن الناس كانوا يأكلون النسناس وهم قوم لكل منهم يد ورجل ونصف رأس ونصف بدن يقال إنهم من نسل إرم بن سام أخي عاد وثمود ، ليست لهم عقول ، يعيشون في الآجام على ساحل بحر الهند ، والعرب يصطادونهم ويأكلونهم ، وهم يتكلمون بالعربية ويتناسلون ويتسمون بأسماء العرب ويقولون الأشعار . وفي تاريخ صنعاء أن رجلا تاجرا سافر إلى بلادهم فرآهم يشبون على رجل واحدة ويصعدون الشجر ، ويفرون من الكلاب خوفا أن تأخذهم ، وسمع واحدا منهم يقول :

فررت من خوف الشراة شدا إذا لم أجد من الفرار بدا
قد كنت قدما في زمانى جلدا فما أنا اليوم ضعيف جدا

وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : ذهب الناس وبقى النسناس ، قيل : ما النسناس ؟ قال : الذين يتشبهون بالناس وليسوا بالناس . وفي المجالسة للدينورى من كلام الحسن البصرى أنه قال : ذهب الناس وبقى النسناس ، لو تكاشفتم ما ندافتم ، وهو فى الفائق ونهاية ابن الأثير وغريب الهروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، وقيل النسناس يأجوج ومأجوج ، وقيل خلق على صورة الناس أشبهوهم فى شىء وخالفوهم فى شىء وليسوا من بنى آدم ، ومنه الحديث « إن حيا من عاد عصوا نبيهم فمسخهم الله نسانا لكل واحد منهم يد ورجل من شق واحد يتقرون كما ينقر الطير ويرعون كما ترعى البهائم » ونونها الأولى مكسورة وقد تفتح .

وروى أحمد فى الزهد عن مطرف بن عبد الله أنه قال : عقول الناس على قدر زمانهم ، وقال : هم الناس والنسناس وأناس غمسوا فى ماء الناس . قال الكرىمى : سمعت أبا نعيم يقول كثيرا ما يعجبني قول عائشة رضى الله تعالى عنها :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم .

لكن أبا نعيم يقول :

ذهب الناس فاستقلوا وصاروا	خلفا فى أرادل النسناس
فى أناس نعدهم من عديد	فإذا قتشوا فليسوا بناس
كلما جئت أبتغى النيل منهم	بدرونى قبل السؤال بياس
وبلوفى حتى تمنيت أنى	منهم قد أقلت رأسا براس

(الحكم) قال القاضى أبو الطيب والشيخ أبو حامد : لا يحل أكل النسناس لأنه على خلقه الناس ، ولذلك قال الشيخ محب الدين الطبرى فى شرح التنبيه : وأما هذا الحيوان الذى تسميه العامة بالنسناس فهو نوع من القرودة لا يعيش فى الماء ، فينبغى تحريم أكله لأنه يشبه القرودة فى الخلقة والخلق والذكاء والفظنة ، وأما الحيوان البحرى منه ففى حكمه وحل أكله وجهان : أحدهما يحل كغيره من السمك واختاره الرويانى وغيره . والثانى يحرم كما تقدم وبه قال الشيخ أبو حامد والقاضى أبو الطيب ، وهو عندهما مستثنى مما عدا السمك مما لا يعيش إلا فى الماء ، وترتيب الخلاف فيه أنا إذا قلنا بتحريم ما عدا الحوت حرم النسناس ، وإن قلنا بإباحته فى النسناس وجهان : أحدهما التحريم كالضفدع والسرطان والتمساح ، والثانى الحل كسكاب الماء وإنسانه ، وهذا هو الأقرب إلى نص الشافعى ، ويشهد له قول صاحب الحكم وقول كراع فى البحر المتقدم . والنسناس فيما يقال دابة فى عداد الوحش تصاد وتؤكل ، وهو على شكل الإنسان بعين واحدة ورجل واحدة ويد واحدة يتكلم كالإنسان اه . فأفاد قوله إنها تصاد وتؤكل أنها مستطابة ، وقد تقدم عن الدينورى عن أبى إسحاق أن النسناس يصاد ويؤكل وقاله الميدانى أيضا كما تقدم .

(التعبير) هو في الرؤيا : رجل قليل العقل يهلك نفسه ويفعل فعلا يستقطه من أعين الناس ، والله أعلم :

﴿النسوس﴾ : طائر يأوى الجبال له هامة كبيرة .

﴿النضو﴾ : بالكسر البعير المهزول والناقة نضوة والجمع فيها أنضاء ، وقد أنضتها الأسفار فهي منضاة ، وأنضى فلان بغيره أى أهزله ، وقد أحسن الوزير مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين بن علي الطغرأئي صاحب لامية العجم وكان من أفراد الدهر وحامل لواء النظم والنثر في قوله :

يقتلن أنضاء حب لاحراك به ويتحرون كرام الخيل والإبل

وأحسن الشارح لكلامه الشيخ صلاح الدين الصفدى في ذكره العددين المتحابين هنا وهما المائتان والعشرون فإنه عدد زائد أجزاءه أكثر منه لأنها إذا جمعت كانت مائتين وأربعة وثمانين بغير زيادة ولا نقصان ، والمائتان والأربعة والثمانون عدد ناقص أجزاءه أقل منه لأنها إذا جمعت كانت جملتها مائتين وعشرين فكل من العددين المتحابين أجزاءه مثل الآخر : بيان ذلك أن العدد التام هو الذى إذا اجتمعت أجزاءه كانت مثله وهو الستة فإن أجزاءها البسيطة الصحيحة النصف وهو ثلاثة والثالث وهو اثنان والسدس وهو واحد : والعدد الناقص ما إذا جمعت أجزاءها البسيطة الصحيحة كانت أقل منه كالثمانية فإن أجزاءها النصف والرابع والثلث وهى سبعة : والعدد الزائد ما إذا جمعت أجزاءه زادت عليه كالاثني عشر فمجموع أجزاءها ستة عشر وهى تزيد على الأصل ، والمائتان والعشرون لها نصف وهو مائة وعشرة ، وربع وهو خمسة وخمسون ، وخمس وهو أربع وأربعون ، وعشر وهو اثنان وعشرون ، ونصف عشر وهو أحد عشر ، وجزء من أحد عشر وهو عشرون ، وجزء من اثنين وعشرين وهو عشرة ، وجزء من أربع وأربعين وهو خمسة ، وجزء من خمسة وخمسين وهو أربعة ، وجزء من مائة وعشرة وهو اثنان ، وجزء من مائتين وعشرين وهو واحد ، وجملة ذلك مائتان وأربعة وثمانون ، والمائتان والأربعة والثمانون ليس لها إلا نصف وهو مائة واثنان وأربعون ، وربع وهو أحد وسبعون ، وجزء من أحد وسبعين وهو أربعة ، وجزء من مائة واثنين وأربعين وهو اثنان ، وجزء من مائتين وأربعة وثمانين وهو واحد ، وجملة ذلك من الأجزاء الصحيحة مائتان وعشرون ، فقد ظهر بهذا المثل تحاب العددين : وأصحاب الخواص يزعمون أن لذلك خاصية عجيبة فى المحبة إذا جعل العدد الأقل والعدد الأكثر فى شىء من المأكول وأطعم لمن يريد محبته ويجمع هذين العددين قولك (فردكر) قال الشارح : وكنت بخلت بهذه الفائدة أن أودعها هذا الكتاب ثم رأيت إثباتها فيه . والله أعلم .

﴿ النعاب ﴾ : في فتاوى ابن الصلاح أنه اللقي .

(وحكمه) تحريم الأكل على الأصح كما تقدم ، والمعروف أنه الغراب ، يقال نعب الغراب وغيره ينعب نعبا ونعبيا ونعابا ونعبابا إذا صوت ، وقيل إذا مد عنقه وحرك رأسه وصوت : وفي المجالسة للدينوري في أول الجزء العاشر عن الأخص بن حكيم قال : كان من دعاء داود عليه الصلاة والسلام : يرازق النعاب في عشه . قال : وذلك أن الغراب إذا فقس عن فراخه خرجت بيضا ، فإذا رآها كذلك نفر عنها فيفتح أفواهها فيرسل الله تبارك وتعالى لها ذبابا يدخل في أجوافها فيسكون ذلك غذاء لها حتى تسود ، فإذا اسودت عاد الغراب فغذاها ويرفع الله تعالى الذباب عنها ، وكذا ذكره صاحب كتاب المحجة لبيان المحجة وغيره عن مجاهد وغيره ، وقد تقدم في باب الحاء المهملة في لفظ الحمار الوحشي أن الحريري أشار إلى ذلك في المقامة الثالثة عشرة بقوله :

يرازق النعاب في عشه وجابر العظم الكسير المهيض

أتح لنا اللهم من عرضه من دنس الدم تقي رحيض

والذي روينا في كتاب الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كان من دعاء داود عليه السلام : اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي ومن أهلي ومن الماء البارد » قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر داود عليه السلام يقول « كان أعبد البشر » قال الترمذي هذا حديث حسن . وروينا في كتاب [حلية الأولياء] عن الفضيل بن عياض رحمه الله قال : « قال داود عليه السلام : إلهي كن لابني سليمان كما كنت لي ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : يا داود قل لابنك سليمان يكن لي كما كنت لي حتى أكون له كما كنت لك » وهذا الدعاء الذي رواه الترمذي عن داود عليه السلام روى أيضا نحوه عن نبينا صلى الله عليه وسلم من حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال « احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا تراءى عين الشمس ، فخرج سريعا فنوّب بالصلاة فصلى وتجوّز في صلاته ، فلما سلم دعا بصوته فقال لنا : على مصافكم كما أنتم ، ثم انفتل إلينا فقال : أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة . إني قتت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت ، فإذا أنا بربي تعالى في أحسن صورة فقال : يا محمد ، قلت : لبيك ربي . قال : فيم يختص الملائ الأعلی ؟ قلت : رب لا أدري . قال تعالى : في الكفارات والدرجات » وفي رواية « قلت : في الكفارات والدرجات . قال : فما هن ؟ قلت : مشى الأقدام إلى الجماعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات : وإسباغ الوضوء على المكروهات . قال : ثم فيم ؟

قلت : في إطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة بالليل والناس نيام . قال : سل ؟ قلت : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون ، أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربني إلى حبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها حق فادرسوها ثم تعلموها » قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

﴿ النعام ﴾ : معروف ، يذكر ويؤنث وهو اسم جنس مثل حمام وحمامة وجراد وجرادة . وتجمع النعامة على نعومات ، ويقال لها أم البيض وأم ثلاثين وجماعتها بنات الهيق والظلم ذكرها . قال الجاحظ : والفرس يسمونها أشر مرغ ، وتأويله بغير وطائر . قال الشاعر :

ومثل نعامة تدعى بعسيرا تعاصينا إذا ما قيل طيرى

فإن قيل احلى قالت فإني من الطير المرفه في الوكور

قال : ويقال لتقدم البعير خف والجمع خفاف ومنسبوا لجمع مناسم وكذلك يقال في النعامة . ويقال لأنثى النعام قاروص كما يقال ذلك في الإبل وإنما قالوا ذلك لما رأوا فيها من شبه الإبل . قال : وترجم الأعراب أن النعامة ذهبت تطلب قرنين فقطعوا أذنها فلذلك سميت بالظلم انتهى . وكانهم إنما سموها ظلميا لأنهم ظلموها حين قطعوا أذنها ولم يعطوها ما طلبت وهذا بناء على اعتقادهم الفاسد ، والنعامة صمعاء يقال خرج السهم متصمعا إذا ابتلت قذذه من الدم . ويقال أانا بثريدة متصمعة إذا دققها وحدث رأسها ، وصومعة الراهب منه لأنها دقيقة من أعلى الرأس ، ورجل أصمع القلب إذا كان حديدا ماضيا ، ويقال للرجل أيضا إذا كان قصير الأذنين لاصقتين بالرأس أصمع والمرأة صمعاء ، وبنو أصمع قبيلة من العرب منهم الأصمعي واسمه عبد الملك بن قريب ، وهو صاحب لغة ونحو وشعر ونوادير ، فمن نوادره أنه قال : مررت في بعض سكك الكوفة فإذا برجل قد خرج من حش على كتفه جرة وهو يقول :

وأكرم نفسي إنى إن أهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقلت له : أتكرمها بمثل هذا ؟ قال : نعم ، وأستغنى عن سفلة مثلك إذا سألته قال :

صنع الله بك وترك ، فقلت : تراه عرفني فأسرعت ، فصاح بي يا أصمعي فالتفت فقال :

لنقل الصخر من قلل الجبال أحب إلى من مسن الرجال

يقول الناس كسب فيه عار وكل العار في ذل السؤال

وقال الأصمعي : سألت أعرابية عن ولد لها كنت أعرفه فقالت : مات ، وأنسى المصائب :

ثم قالت :

وكنت أخاف الدهر ما كان آمنا فلما تولى مات خوفا من الدهر

وقال : قلت لرجل من الأعراب أعرفه بالكذب : أصدقت قط ؟ فقال : لولا أني

أصدق في هذا لقلت لا : وقال الأصمعي للكسائي وهما عند الرشيد مامعنى قول الراعى :
 قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ودعا فلم أر مثله مخذولا
 فقال الكسائي : كان محرما بالحج ، فقال الأصمعي : فما أراد عدى بن زيد بقوله :
 قتلوا كسرى بليل محرما ففضى فلم يمتع بكفن
 فهل كان محرما بالحج وأى إحرام لكسرى ؟ فقال الرشيد للكسائي : يا على إذا جاء الشعر
 فإياك والأصمعي .

وروى أن الرشيد قال للأصمعي : ما أحسن ما مر بك من تقويم اللسان : قال : أوصى
 رجل بعض بنيه فقال : يا بنى أصلحوا من أسنتكم ، فإن الرجل تنوبه النائبة فيتجمل فيها
 فيستعير من أخيه وأبيه ومن صديقه ثوبه ولا يجد من يعيره لسانه ، وأنشد في ذلك :
 وما حسن الرجال لهم بزین إذا لم يسعد الحسن اللسان
 كنى بالمرء عيبا أن تراه له وجه وليس له لسان
 وروى عن الأصمعي أنه قال : وجدني أبو عمرو بن العلاء ماراً في بعض أزقة البصرة
 فقال لى : أين يا أصمعي ؟ فقلت : لزيارة بعض إخواني ، فقال : يا أصمعي إن كان لفائدة
 أو عائدة وإلا فلا ؛ وقد أنشدني في ذلك يوسف الحلبي :

يا أيها الإخوان أوصيكم وصية الوالد والوالده
 لا تنقلوا الأقدام إلا إلى من لكم عنده فائدة
 إما لعلم تستفيدونه أو لكریم عنده مائدة

وكان من كلام الأصمعي : خير العلم ما أطفأت به الحريق وأخرجت به الغريق . وكان
 يقول : أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة فيها ما عدهد أبياتها المائة والمائتان . ومن عجيب ما يكره
 قال أبو العيناء : كنا في جنازة الأصمعي فحدثني أبو قلابة الشاعر وأنشدني لنفسه :

لعن الله أعظما حملوها نحو دار البلى على خشبات
 أعظما تبغض النبي وأهل البيت والطيبين والطيبات
 قال : ثم حدثني أبو العالية الشاعر وأنشدني لنفسه أيضا :

لادر در بنات الأرض إذ فجعته بالأصمعي لقد أبقته لذا أسفا
 عش ما بادلک في الدنيا فلست ترى في الناس منه ولا من علمه خلفا

وكانت وفاة الأصمعي في سنة ست عشرة ومائتين بالبصرة . والتعام عند المتكلمين
 على طبائع الحيوان ليست بطائر وإن كانت تبيض ولها جناح وريش ، ويجعلون الخفاش
 طيرا وإن كان يجبل ويلد، وله أذنان بارزتان وليس له ريش لوجود الطيران فيه ومراعاة
 لقوله تعالى - وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني - وهم يسمون الدجاجة طيرا وإن

كانت لا تطير ، وظن بعض الناس أن النعامة متولدة من جمل وطائر ، وهذا لا يصح ؛ ومن أعاجيبها أنها تضع بيضها طويلا بحيث لو مد عليها خيط لا شتمل على قدر بيضها ولم تجد لشيء منه خروجاً عن الآخر ، ثم إنها تعطى كل بيضة منه نصيبها من الحضن إذ كان كل بدنهما لا يشتمل على عدد بيضها ، وهي تخرج لعدم الطعم ، فإن وجدت بيض نعامة أخرى تحضنته وتنسى بيضها ، ولعلها أن تصاد فلا ترجع إليه ولهذا توصف بالحمق ، ويضرب بها المثل في ذلك : قال ابن هرمة :

فإني وتركى ندى الأكرمين وقدحى بكفى زناداً شحاحا

كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا

ويقال إنها تقسم بيضها أثلاثا. فنه ما تحضنه، ومنه ما تجعل صفاره غذاء، ومنه ما تفتحه وتجعله في الهواء حتى يتعفن ويتولد منه دود فتغذى به فراخها إذا خرجت. قال في الكفاية : يقال عار الظليم إذا صاح والزمار صياح الأثني . وقال ابن قتيبة : يقال عر يعر للذكر والأثني زمر زماراً اهـ . وقد سمي الحريري في المقامات النعامة باسم صوتها : فقال : ما تقول فيمن أؤلف زمارة في الحرم ؟ فقال : عليه بدنة من النعم .

روى عن كعب الأحباز قال : لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام جاءه ميكائيل بشيء من حب الخنطة وقال : هذا رزقك ورزق أولادك من بعدك ، قم فاحرث الأرض وابذر الحب : قال : ولم يزل الحب من عهد آدم عليه السلام إلى زمن إدريس عليه السلام كبيضة النعامة ، فلما كفر الناس نقص إلى بيضة الدجاجة ثم إلى بيضة الحمامة ثم إلى قدر البندق ، وكان في زمن العزيز على قدر الحمصة ؛ والنعام من الحيوان الذي يزواج ويعاقب الذكر الأثني في الحضن ، وكل ذى رجلين إذا انكسرت له إحداهما استعان بالأخرى في نهوضه وحركته ما خلا النعامة فإنها تبقى في مكانها جائمة حتى تهلك جوعاً : قال الشاعر :

إذا انكسرت رجل النعامة لم تجد على أختها نهضاً ولا باسماً حبوا

وليس للنعام حاسة السمع ولكن له شم بليغ فهو يدرك بأنفه ما يحتاج فيه إلى السمع غربما شم رائحة القناص من بعد ، ولذلك تقول العرب : هو أشم من نعامة كما تقول : هو أشم من ذرة . قال ابن خالويه في كتابه : ليس في الدنيا حيوان لا يسمع ولا يشرب الماء أبداً إلا النعام ولا مخ له ، ومتى دميت رجل واحدة له ينتفع بالباقية ، والضرب أيضاً لا يشرب ولكنه يسمع ؛ ومن حمقها أنها إذا أدركها القناص أدخلت رأسها في كتيب رمل تقدر أنها قد استخفت منه ، وهي قوية الصبر على ترك الماء ، وأشد ما يكون عدوها إذا استقبلت الريح وكلما اشتد عصفوها كانت أشد عدواً ، وتبتلع العظم الصلب والحجر والمدر والحديد فتذيبه ويميعه كالماء : قال الجاحظ : من زعم أن جوف النعام إنما

يذيب الحجارة لفرط الحرارة فقد أخطأ ، ولكن لا بد مع الحرارة من غرائز أخر بدليل أن القدر يوقد عليها الأيام ولا تذيب الحجارة ، وكما أن جوف الكلب والذئب يذيان العظم ولا يذيان نوى النمر ، وكما أن الإبل تأكل الشوك وتقتصر عليه وإن كان شديداً كالسمر وهو شجر أم غيلان وتلقيه روثا وإذا أكلت الشعير ألقته صحيحا ه . وإذا رأت النعامة في أذن صغير لؤلؤة أو حلقة اختطفها وتبتلع الحمر فيكون جوفها هو العامل في إطفائه ولا يكون الحمر عاملا في إحراقه : وفي ذلك أعجوبتان : إحداهما التغذية بما لا يتغذى به ، والثانية الاستمرار والهضم ، وهذا غير منكر لأن السمندل يبيض ويفرخ في النار كما تقدم ، وأما قول الحريري في المقامة السادسة : فقلدوه في هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة فأبونعامة هو قطري بن الفجاءة واسمه جعونة بن مازن المازني الخارجي . خرج زمن مصعب بن الزبير فيق عشر بن سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان كلما سير إليه الحجاج جيشا يظهر قطري عليه . وروى أن شخصا قال للحجاج : أيها الأمير ، فقال الحجاج : إنما الأمير قطري ابن الفجاءة الذي إذا ركب ركب لركوبه عشرون ألفا لا يسألونه أين يريد ، وكان قطري مقداما لا يهاب الموت ، وفي ذلك يقول مخاطبا لنفسه وهي من أبيات الحماسة :

أقول لها وقد طارت شعاعا	من الأبطال ويحك لا تراعى
لأنك لو سألت بقاء يوم	على الأجل الذي لك لم تطاعى
فصبرا في مجال الموت صبرا	فما نبيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز	فيطوى عن أخى الخنع البراع
سبيل الموت غاية كل خي	وداعية لأهل الأرض داعي
ومن لا يغتبط يسأم وبهرم	وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خير في حياة	إذا ما عد من سقط المتاع

وهذه الأبيات تشجع أجن خلق الله ، ثم توجه إلى قطري سفيان بن الأبرد الكلبي فظهر على قطري وقتله ، ولا عقب لقطري ، وإنما قيل لأبيه الفجاءة لأنه كان باليمن فقدم على أهله فجاءة فسمي بها كذا قاله ابن خلسكان وغيره .

(الحكم) يحل أكل النعام بالإجماع لأنه من الطيبات ، ولأن الصحابة رضی الله عنهم قضوا فيه إذا قتله المحرم أو في الحرم ببذنة . روى ذلك عن عثمان وعلي وابن عباس وزيد بن ثابت ومعاوية رضی الله عنهم . رواه الشافعي والبيهقي . ثم قال الشافعي : هذا غير ثابت عند أهل العلم بالحديث وهو قول الأكثر ممن لقيت ، وإنما قلنا في النعامة بذنة بالقياس لا بهذا . واختلفوا في بيض النعام إذا أتلفه المحرم أو في الحرم . فقال عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي والزهرى والشافعي وأبو ثور وأصحاب الرأي : يجب فيه القيمة . وقال أبو عبيدة وأبو موسى الأشعري : يجب فيه صيام يوم أو إطعام مسكين .

وقال مالك: يجب فيه عشر ثمن البدنة كما في جنين الحرة غرة من عبد أو أمة قيمة عشر دية-
 الأم دليلنا أنه جزء من الصيد لا مثل له من النعم فوجبت قيمته كسائر المتلفات التي لا مثل
 لها ، وأما حديث أبي المهزم الذي رواه ابن ماجه والدارقطني عن أبي هريرة رضى الله عنه
 «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في بيض النعامة يصيبه المحرم ثمنه» فهو ضعيف باتفاق المحدثين
 وبالغوا في تضعيفه حتى قال شعبة أعطوه فلما يحدثكم سبعين حديثا ، وقد تقدم ذكر المهزم
 في الجراد أيضا ، لكن في مراسيل أبي داود من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبي
 صلى الله عليه وسلم حكم في بيض النعام في كل بيضة صيام يوم ثم قال أبو داود أسند هذا
 الحديث والصحيح إرساله ، واستدل له في المهذب بأنه خارج من الصيد يخاق منه مثله فضمن
 بالجزاء كالفرخ ، فإن كسر بيضا لم يحل له أكله بلا خلاف . وفي تحريره على الحلال طريقان
 أصحهما أنه لا يحرم لأنه لا روح فيه ولا يحتاج إلى ذكاة ، فإن كسر بيضا مذرا لم يضمنه من
 غير النعامة لأنه لا قيمة له ويضمنه من النعامة لأن لقشره قيمة ، وقال الشافعي : أكره لمن
 يعلم من نفسه في الحرب بلاء أن يعلم ، والمراد بالإعلام أن يجعل في صدره ريش نعام كما فعله
 حمزة رضى الله تعالى عنه يوم بدر فإنه غرز ريش النعام في صدره . وفي كتاب مناقب الشافعي
 للحاكم أبي عبد الله بإسناده عن محمد بن إسحق عن المزني قال : سئل الشافعي عن نعام ابتلعت
 جوهرة لرجل آخر ؟ فقال : لست أمره بشيء ، ولكن إن كان صاحب الجوهرة كيساعدا
 على النعامة فذبحها واستخرج جوهرة ثم ضمن لصاحب النعامة ما بين قيمتها حية ومذبوحة .
 (الأمثال) قالوا : . مثل النعامة لا طير ولا جمل .

يضرب لمن لم يحكم له بخير ولا شر ، وقالوا : أروى من النعامة لأنها لا تشرب الماء
 فإن رآته شربته عبثا ، وقالوا : ركب جناح نعامة ، يضرب لمن جد في أمر كانهزام أو غيره ،
 وقد تقدم في باب السين قول الشماخ في أبياته التي رثى بها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
 قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين رضى الله
 عنهن بالخصب فسمعت رجلا على راحلة قد رفع عقيرته فقال :

جزى الله خيرا من إمام وباركت يد الله في ذلك الأديم الممزق
 فن يسع أو يركب جناحي نعامة ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
 قضيت أمورا ثم غادرت بعدها بوائق في أكمامها لم تفتق

فلم يدرك ذلك الراكب من هو وكنا نتحدث بأنه من الجن ، فرجع عمر رضى الله عنه
 من تلك الحججة قطعن فمات . وقالوا : تكلم فلان فجمع بين الأروى والنعامة إذا تكلم بكلمتين
 مختلفتين لأن الأروى يسكن الجبال والنعامة تسكن الفيافي فلا يجتمعان ، وقالوا : أحق
 من نعامة وأجبن من نعامة ، وذلك أنها إذا خافت شيئا لا ترجع إليه بعد ذلك أبدا .

(الخواص) مرارته سم ساعة ، ومخ عظامه يورث آكله السل ، وذرقه إذا أحرق
وسحق وطلى به على السعفة أبرأها من وقته ، وقشر بيض النعام إذا طرح في الخل بعد ما يخرج جميع
ما فيه تحرك في الخل وزال من موضعه إلى موضع آخر ، وإذا عمل من الحديد الذي يأكله
النعام ويخرج منه سكين أو سيف لم يكل أبدا ولم يقم له شيء .

(التعبير) النعامة في المنام امرأة بدوية ، وقيل النعامة نعمة ، فمن ركب نعامة في منامه فإنه
يركب خيل البريد ، وقيل من ركب نعامة فإنه ينكح خصيا ، والنعامة تدل على الأصم لأنها
لا تسمع ، وقيل تدل على النعمى لأنه مشتق من اسمها ، وربما دلت على النعمة والنعامات على
نعمتين والثلاث نعامات على نعمى الرائي وموته للاشتقاق ، والله أعلم .

﴿ النعثل ﴾ : كجعفر الذكر من الضباع ، وكان أعداء عثمان رضى الله تعالى عنه يسمونه
نعثلا .

﴿ النعيز ﴾ : الأثني من الضأن والجمع نعاج ونعجات . قال الشاعر :

من كان ذا بت فهذا بتي مقبظ مصيف مشتي
تخذته من نعجات ست سود نعاج من نعاج الدست

والدست : الصحراء . وكنيتها : أم الأموال وأم فروة ، وتطابق على الأثني من الظباء
والبقر الوحشية . روى أحمد بن صالح السهمي عن ابن طبيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة
رضي الله تعالى عنه قال : «مرت بالنبي صلى الله عليه وسلم نعجة فتال : هذه التي بورك فيها
وفي خروفها» لكنه حديث منكر جدا وربما كنى بالنعجة عن المرأة قال الله تعالى - إن هذا
أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة - قرأ الحسن نعجة بكسر النون : قال : التمهيد :
سئل المبرد عن قول الله تعالى - إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة - وهم
الملائكة والملائكة لا أزواج لهم ، فقال : نحن طول الزمان نفعل مثل هذا ، نقول : ضرب زيد
عمرا وإنما هذا تقدير كأن المعنى إذا وقع هكذا فكيف الحكم فيه ، ومثله قول عدى بن زيد
لنعمان : أتدري ما تقول هذه الشجرة أيها الملك ؟ فقال : وما تقول ؟ قال : تقول :

رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم وكذلك الدهر حال بعد حال

وقال آخر :

شكا إلى جملي طول السرى صبوا جميلا فكلانا مبتلى

قال الزمخشري : فإن قلت ما وجه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه «ولي نعجة أنثى؟»
قلت : يقال امرأة أنثى للحسنة الحميأة . والمعنى وصفها بالعراقة في لبن الأنوثة وفتورها ،

وذلك أصلح وأزيد في تكسرها وثنيها ألا ترى إلى وصفهم لها بالسكسول والمكسال ، وقوله :

• تمشى رويدا وتكاد تنعسف •

وفي مسند أبي محمد الدارمي في باب سخاء النبي صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن أبي بكر عن رجل من العرب قال « زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وفي رجل نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنفختني نفحة بسوط كان في يده وقال بسم الله وأوجعتني . قال : فبت لنفسي لأنما أقول أوجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبت بلبلة كما يعلم الله ، فلما أصبحنا إذا برجل يقول : أين فلان ؟ قال : فقلت والله هذا الذي كان مني بالأمس . قال : فانطلقت وأنا متخوف ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك وطئت بنعلك على رجلي بالأمس فأوجعتني فنفحتك نفحة بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها » (الأمثال) قالوا : أعجل من نعجة إلى حوض وأحق من نعجة على حوض ، لأنها إذا رأت الماء أكبت عليه تشرب فلا تنفني عنه إلا أن تزجر أو تطرد .

(الخواص) قرن النعجة إذا أخذ وقرى عليه ثلاث مرات - يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا - ووضع تحت رأس امرأة نائمة من غير أن تعلم وسئلت عن شيء أخبرت به ولا تكاد تسكن شيئا مما تعلم ، ومرارتها إذا أحرقت وخلطت بزيت وطلت بها الحواجب كثرت شعرها وسودته ، ولبن النعاج إذا كتب به على قرطاس فلا تظهر عليه فإذا طرح في الماء ظهرت عليه كتابة بيضاء ، وإن تحملت امرأة بصوف نعجة قطعت الحبل وقد تقدم .

(التعبير) النعجة في المنام : امرأة شريفة غنية إذا كانت سمينة لأنه قد كفي عن النساء بالنعاج كما تقدم ، ومن أكل لحم نعجة ورث امرأة ، وصوفها ولبنها مال ، ومن رأى نعجة دخلت منزله نال خصبا في تلك السنة ، والنعجة الحامل خصب ومال يرتجى ، أو من صارت نعجته كبشا فإن زوجته لا تحمل أبدا وقس على هذا في جميع الإناث ، والنعاج الكثيرة نساء صالحات ، وربما دلت رؤيتهن على الهموم والأفكار وفقد الأزواج وزوال المنصب لقوله تعالى - إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة - الآية .

﴿ التعبول ﴾ : بضم النون طائر ، قاله ابن دريد وغيره .

﴿ النعرة ﴾ : مثال الهزمة ذباب ضخم أزرق العين له إبرة في طرف ذنبه يلسع بها ذوات الحوافر خاصة ، سميت نعرة بضم النون وفتح العين المهملة لتعيرها وهو صوتها . قال ابن مقبل :

ترى النعرات الخضر حول لبانه آحاد ومثنى أضعفتها صوامله

وربما دخلت في أذن الحمار فركب رأسه ولا يرده شيء، تقول منه نعر الحمار بالكسر
ينعر نعرا فهو نعر .

(الحكم) يحرم أكله .

(الأمثال) قالوا : فلان في أنفه أو أذنه نعرة ، يضرب للجامح الذي لا يستقر
على شيء .

﴿ النعم ﴾ : عند اللغويين الإبل والشاة يذكر ويؤنث قال الله تعالى - نستقيم مما
في بطونها - وقال تعالى في موضع آخر - مما في بطونه - والجمع أنعام وجمع الجمع أناعيم ،
وعند الفقهاء النعم يشمل الإبل والبقر والغنم : وقال ابن الأعرابي : النعم الإبل خاصة
والأنعام الإبل والبقر والغنم .

وحكى القشيري في تفسير قوله تعالى - أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم
لها مالكون - أنها الإبل والبقر والغنم والحيل والبعال والحمير - فهم لها مالكون - أي ضابطون
مطيعون كما قال الشاعر :

أصبحت لأهل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا

أي لا أضبطه وقوله تعالى - والذين كفروا يهتمون ويأكلون كما تأكل الأنعام -
قال ثعلب : معناه لا يذكرون الله على طعامهم ولا يسمون كما أن الأنعام لا تفعل ذلك :
روى الشيخان وغيرهما من حديث سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لعلي رضى الله تعالى عنه « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خيرا لك من حمر النعم »
وهذا يدل على فضل العلم والتعليم وشرف منزلة أهله بحيث إنه إذا اهتدى به رجل واحد
لا يعلم العلم كان ذلك خيرا له من حمر النعم ، وهى خيارها وأشرفها عند أهلها ، فما الظن بمن
يهتدى به كل يوم طوائف من الناس :

والنعم كثيرة الفائدة سهلة الانقياد ليس لها شراسة الدواب ولا نفرة السباع ، ولشدة
حاجة الناس إليها لم يخلق الله سبحانه وتعالى لها سلاحا شديدا كأنياب السباع وبراتها وأنياب
الحشرات وإبرها ، وجعل من شأنها الثبات والصبر على التعب والجوع والعطش ، وخلقها
ذلولاً تقاد بالأيدي كما قال تعالى - وذللناها لهم فنها ركوبهم ومنها يأكلون - وجعل الله تعالى
قرنها سلاحا لتأمين به من الأعداء ، ولما كان مأكلها الحشيش اقتضت الحكمة الإلهية أن
يجعل لها أفواها واسعة وأسنانا حدادا وأضراسا صلابا لتطحن بها الحب والنوى :

(فائدة) جعل الله تعالى الأنعام رفقا بالعباد ونعمة عددها عليهم ومنفعة بالغة قال الله
تعالى - وذللناها لهم فنها ركوبهم ومنها يأكلون وهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون -

فكان أهل الجاهلية يقطعون طريق الانتفاع ويذهبون نعمة الله فيها ويزيلون المنفعة والمصلحة التي للعباد فيها بفعلهم الخبيث قال الله تعالى - ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام - فللفظ جعل في الآية لا يتجه أن يكون بمعنى خلق لأن الله تعالى خلق هذه الأشياء كلها ، ولا بمعنى صير لعدم المفعول الثاني ، وإنما هو بمعنى ماسن ولا شرع ولذلك تعدت إلى مفعول واحد :

والبحيرة هي الناقة كانت إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذنبا أي شقوها وحرّموا ركوبها والحمل عليها ولم يجزوا وبرها وتركوها تأكل حيث شاءت لاتطرد عن ماء ولا كلاً ، ثم نظروا إلى خامس ولدها ، فإن كان ذكراً نحروه فأكله الرجال والنساء وإن كان أنثى بحروا أذنبا أي شقوها وتركوها وحرّموا على النساء لبنها ومنافعها وكانت منافعها للرجال خاصة فإذا ماتت حلت للرجال والنساء ، وقيل كانت الناقة إذا تابعت انثى عشرة أتنا سبيت فلم تركب ظهورها ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى بحر أذنبا أي شق ثم خلى سبيلها مع أمها في الإبل فلم تركب ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها فهي البحيرة بنت السائبة ، والبحر : الشق . قيل : ومنه سمى البحر بحرا لشقه الأرض ، والبحيرة فعيلة بمعنى مفعولة :

والسائبة : الناقة التي سبيت ، وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية إذا مرض أو غاب قربه نذر فقال : إن شقاني الله أو شقني مريضى أو ورد غائبي فناقتى هذه سائبة ثم يسبها كالبحيرة فلا تحبس عن رعى ولا ماء ولا يركبها أحد . وقال علقمة : هي العبد يسبب أي لا ولاء عليه ولا عقل ولا ميراث ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما الولاء لمن أعتق » وقال سعيد بن المسيب : السائبة الناقة التي كانوا يسيبونها لأهتهم لا يحمل عليها شيء ، والبحيرة : الناقة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس ، وقيل السائبة الناقة إذا ولدت انثى عشرة أنثى سبيت ، والسائبة فاعلة بمعنى مفعولة كقولها : - ماء دافق - أي مدفوق ، و - عيشة راضية - أي مرضية :

روى محمد بن إسحق عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكرم بن الجون الخزاعي رضى الله تعالى عنه « يا أكرم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار ، فما رأيت من رجل أشبه برجل منك به ولا بك منه ، ولقد رأيت في النار يؤذى أهل النار بريح قصبه . قال أكرم : أبيضرنى شبهه يا رسول الله ؟ قال : لا ، إنك مؤمن وهو كافر » وعمرو بن لحي هو أول من غير دين لإسماعيل عليه الصلاة والسلام ، ونصب الأوثان وبحر البحيرة وسبب السوائب ووصل الوصيلة وحمل الحام .

والوصيلة من الغنم كانت الشاة إذا ولدت ثلاثة بطون أو خمسة وقيل سبعة ، فإن كان

آخرها جديا ذبحوه لبيت الآلهة وأكل منه الرجال والنساء ، وإن كانت عناقا استحويها ، فإن كان جديا وعناقا استحويوا الذكر من أجل الأثني وقالوا : هذه العناق وصلت أخاها فلم يذبحوه ، وكان ابن الأثني حراما على النساء فإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعا .

والحامي هو الفحل من الإبل إذا لقيح من صلبه عشرة أبطن ، وقيل إذا ضرب عشر سنين ، وقيل إذا ولد من ولد ولده ، وقيل إذا ركب من ولد ولده . قالوا : قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شيء ولا تمتع من كلب ولا ماء فإذا مات أكله الرجال والنساء ، فأعلم الله تعالى أنه لم يحرم من هذه الأشياء شيئا بقوله عز وجل — ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام — وإنما هذه كلها من أفعال الجاهلية التي نهى الله عنها .

﴿ النفر ﴾ : يضم النون وفتح الغين المعجمة . قال الجوهري : إنه طير كالعصافير - حمر المناقير والجمع نفران كصرد وصردان . قال الخطابي : أنشدني أبو عمرو فقال :
يحملن أوعية السلاح كأنما يحملنسه بأكارع النفران
ومؤنثه نغرة كهزمة ، وأهل المدينة يسمونه البلبل .

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ، وكان لي أخ لأمي فطيم يقال له عمير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءنا قال : يا أبا عمير ما فعل النغير » وعمير تصغير عمر أو عمرو ، والفطيم بمعنى المفظوم . قال شيخ الإسلام النووي رحمه الله تعالى : في الحديث فوائد كثيرة منها جواز تسمية من لم يولد له وتسمية الطفل وأنه ليس كذبا ، وفي الحديث « بادروا بكفى أولادكم لا تسبق إليها القاب السوء » وفيه جواز المزاح فيما ليس بإثم وجواز تصغير بعض المسميات وجواز التسجيع في الكلام الحسن بلا كلفة وملاطفة الصديان وتأنيسهم ، وبيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من حسن الخلق وكرم الشرائع والتواضع وزيادة أهل الفضل لأن أم سليم والدة أبي عمير وأنس رضي الله تعالى عنهما هي من محارمه صلى الله عليه وسلم ، واستدل به بعض المالكية على جواز الصيد من حرم المدينة ولادلالة فيه لذلك لأنه ليس في الحديث أنه من حرم المدينة بل نقول إنه صيد من الحل وأدخل الحرم ، ويجوز للحلال أن يفعل ذلك ولا يجوز له أن يصيد من الحرم فيفرق بين ابتداء صيده وبين استصحاب إمساكه ، وقد صحت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في تحريم صيد حرم المدينة فلا يجوز تركها بمثل هذا الاحتمال ومعارضتها به ، وفي الحديث أيضا دليل على جواز لعب الصغير بالطير الصغير . قال العلامة أبو العباس القرطبي : الكن الذي أجاز العلماء أن يمسك له وأن يلهو بحبسه ، وأما تعذيبه والعذب به فلا يجوز لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تعذيب الحيوان إلا لما أكله . وقال

غيره : معنى قوله يلعب به يتلهى بحبسه وإمساكه ، وفيه دليل على جواز حبس الطير في القفص والتلهى به لهذا الغرض وغيره ، ومنع ابن عقيل الحنبلي من ذلك وجعله سفها وتعديبا لقول أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه : تجيء العصافير يوم القيامة تتعلق بالعبد الذي كان يحبسها في القفص عن طلب أرزاقها وتقول : يارب هذا عذبنى في الدنيا : والجواب : أن هذا فيمن منعها المأكول والمشروب : وقد سئل القفال عن ذلك فقال : إذا كفاها المؤنة جاز بل في الحديث دليل على جواز قنصها للعب الصبيان بها ، وكان بعض الصحابة يكره ذلك ورأيت لأبي العباس أحمد بن القفاص مصنفا حسنا على هذا الحديث ، وذكر فيه أن أبا حنيفة سمع صوت امرأة يضربها بعلمها وهي تصيح فقال : صدقة مقبولة وحسنة مكتوبة ، فقال له رجل من أصحابه : كيف ذلك يا أستاذ؟ فقال : لقوله صلى الله عليه وسلم « أدب الجاهل صدقة عليه » وأنا أعرفها جاهلة .
(وحكمه) حل الأكل لأنه من جنس العصافير :

﴿ النفص ﴾ : بكسر النون وفتحها الظلم سمي بذلك لأنه يحرك رأسه قال الله تعالى - فسينغضون إليك رؤوسهم - أى يحركونها استهزاء . قال الشاعر :

أنغض نحوى رأسه وأفتعا كأنه يطلب شيئا أنفعا

﴿ النغف ﴾ : بنون وغين معجمة مفتوحتين ثم فاء دود يكون في أنوف الإبل والغنم الواحدة نغفة قاله الأصمعي ، وقال أبو عبيدة : هو أيضا الدود الأبيض يكون في النوى وما سوى ذلك من الدود فليس بنغف ، وقيل هو دود طوال سود وخضر وغبر يقطع الحرث في بطون الأرض .

روى مسلم عن النواص بن سمان رضى الله تعالى عنه في حديثه الذى رواه في الدجال « ويبعث الله تعالى بأجوج ومأجوج فيرسل عليهم النغف في رقابهم فيصيحون فرسى كوت نفس واحدة » قوله فرسى ، معناه قتلى الواحدة فريس من فرس الذئب الشاة واقترسها إذا قتلها .

وروى البيهقي في الأسماء والصفات في باب ما ذكر فيه الكف عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما أنه قال « لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام نفضه نفض المزود فخرج منه مثل النغف فقبض قبضتين فقال جل وعلا لما في اليمين هذه إلى الجنة ولا أبالي ، ولما في الأخرى هذه إلى النار ولا أبالي » ثم قال هذا موقوف ، وروى بعده بأسطر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال « إن أخذ الميثاق على بنى آدم كان بأرض عرفات » .

﴿ النفار ﴾ : بالفاء كجفار العصفور سمي بذلك لتفوره :

﴿ النفاز ﴾ : بالقاف والزاي طائر من صغار العصافير كأنه مشتق من النقر وهو الوئب

﴿ النفاذ ﴾ : الضفدع والتقيق صوتها . وقالوا : أعطش من النقاقة ، وذلك أنها إذا

فارقت الماء ماتت .

﴿ النقدة ﴾ بفتح النون والقاف صغار الغنم واحدها نقدة وجمعها نقاد : وقال الجوهري :

النقده بالتحريك جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه تكون بالبحرين الواحدة نقدة :

(الأمثال) قالوا : أذل من النقده : قال الأصمعي : أجود الصوف صوف النقده . قال

الكذاب الحرماذي :

فقيم باشرتم محندا لو كنتم شاء لكنتم نقدا
أو كنتم قولا لكنتم فنندا أو كنتم ماء لكنتم زبدا
أو كنتم صوفا لكنتم قردا

﴿ النكل ﴾ : الفرس القوي المحرب ، وفي الحديث « إن الله تعالى يحب النكل على النكل

بالتحريك يعني الرجل القوي المحرب على الفرس القوي المحرب ، وهو كقوله صلى الله عليه

وسلم في الحديث الآخر « إن الله يحب الرجل القوي المبدى المعيد على الفرس القوي المبدى

المعيد » وقد تقدم ذكر هذا الحديث في باب الفاء في الفرس .

﴿ النمر ﴾ : بفتح النون وكسر الميم ويجوز إسكان الميم مع فتح النون وكسرها كفظأره :

ضرب من السباع فيه شبه من الأسد إلا أنه أصغر منه وهو منقط الجلد نقطا سودا وبيضا :

وهو أخبث من الأسد لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبالغ من شدة غضبه أن يقتل نفسه ،

والجمع أنمار وأنمر ونمور ونمار ، والأنثى نمره وكنيته أبو الأبرد وأبو الأسود وأبو جعدة

وأبو جهل وأبو خطاف وأبو الصعب وأبو رقاش وأبو سهل وأبو عمرو وأبو المرسال ، والأنثى

أم الأبرد وأم رقاش . قال الأصمعي : يقال نمر فلان أي تنكر وتغير لأن النمر لا تلقاه أبدا

إلا متنكرا غضبان : قال عمرو بن معد يكرب :

قوم إذا لبسوا الحديد دتمنروا حلقا وقد

يريد تشبهوا بالنمر لاختلاف ألوان القد والحديد ، ومزاج النمر كمزاج السبع ، وهو

صنفان صنف عظيم الخثة صغير الذنب وبالعكس ، وكله ذو قهر وقوة وسطوات صادقة

ووثبات شديدة ، وهو أعدى عدو للحيوانات لا تروعه سطوة أحد ، وهو معجب بنفسه

فإذا شبع نام ثلاثة أيام ، ورائحة فيه طيبة بخلاف السبع ، وإذا مرض وأكل الفأر

زال مرضه :

وذكر الجاحظ : أن النمر يجب شرب الخمر ، فإذا وضع له في مكان شربه حتى يسكر فعند ذلك يصاد .

وزعم قوم أن النمرة لا تضع ولدها إلا مطوقا بحية وهي تعيش وتنهش إلا أنها لا تقتل ، ومنزلة من السباع في الرتبة الثانية من الأسد وهو ضعيف الحزم شديد الحرص يقظان الحراك وفي طبعه عداوة الأسد والظفر بينهما سجال ، وهو نهوش خطوف بعيد الوثبة فر بما وثب أربعين ذراعا صعبودا ومتى لم يصعد لم يأكل شيئا ولا يأكل من صيد غيره وينزه نفسه عن أكل الجيف .

روى الطبراني في معجمه الأوسط عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن موسى عليه السلام قال : يا رب أخبرني بأكرم خلقك عليك ؟ فقال : الذي يشرع إلى هواى لإسراع النسرة إلى هواه ، والذي يألف عبادى الصالحين كما يألف الصبي الناس ، والذي يغضب إذا أتهكت محارمى كغضب النمر لنفسه » فإن النمر إذا غضب لا يبالي أقل الناس أم كثروا وفي إسناده محمد بن عبد الله بن يحيى بن عروة وهو متروك ، وقد تقدم في النسرة الإشارة إلى بعضه .

(الحكم) يحرم أكله لأنه سبع ضار .

روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصحب الملائكة رفقة فيها جلد نمر » وفي رواية « رقعة » قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في الفتاوى : جلد النمر نجس كله قبل الدباغ سواء كان مذكى أم لا فيمتنع استعماله امتناع نجس العين ، ومعنى هذا أنه يحرم استعماله قطعاً فيما يجب فيه مجانبة النجاسة من صلاة وغيرها ، وهل يحرم على الإطلاق ؟ فيه وجهان : وأما بعد الدباغ فنفس الجلد طاهر والشعر الذى عليه نجس تبعاً لأصله ولأجل أنه غالب ما يستعمل منه ، ورد الحديث بالنهى عنه مطلقاً ، وفي حديث آخر « لا تركبوا النمر » وفي حديث آخر « أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن جلود السباع أن تفتش » ولا شك أن النمر من السباع فهذه الأحاديث قوية معتمدة والتأويل المنطوق إليها غير قوى ، وإذا وجد الموفق مثل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا المضطرب فهو ضالته ومستروحه لا يرى عنه معدلاً .

(الأمثال) قالوا : شمر واتزر والبس جلد النمر ، يضرب لمن يؤمر بالجد والاجتهاد ، وقالوا : لبس فلان لفلان جلد النمر يضرب فى العداوة وكشفها .

(الخواص) إذا دفن رأسه فى موضع اجتمع فيه من الفأر شىء كثير ، ومرارته يكتحل بها يزيد فى ضوء البصر وتمنع نزول الماء فى العين وهى سم قاتل إن سقى منها أحد دانقاً لا يتخلص منها إلا لأن يشاء الله تعالى ، ودماغه إذا أنتن لا يشم أحد من الناس رائحته إلا مات

هكذا حكاه أرسطاطاليس في كتاب طبائع الحيوان، وقيل إن النمر يهرب من جمجمة الإنسان وشعره إذا نخر به البيت هربت العقارب منه، وشحمه إذا أذيب وجعل في الجراحات العتيقة نظفها وأبرأها، ولحمه من أكل منه خمسة دراهم لا يضره سم الحيات والأفاعى: وقال القزوينى: إن جميع أجزائه تفعل فعل السم القاتل وخاصة مرارته وهذا هو الصواب، وقصيبه يطبخ ويشرب من مرقة ينفع من تفتير البول وأوجاع المثانة، وجلده إذا أدمن الجلوس عليه بلا حائل صاحب البواسير نفعه ومن حمل معه شيئاً من جلده يصير مهاباً عند الناس، ويده وبرائته إذا دفنت في موضع لا يعيش فيه فأر، وإذا نهش النمر إنساناً طلبه الفأر ليبول عليه فإن فعل ذلك مات، وينبغي أن يحترس من ذلك ويصان قاله صاحب عين الخواص وقال بعضهم: من مسح جلده بشحم الضبع ودخل على النمر فر النمر منه:

(التعبير) النمر في المنام: سلطان جائر أو عدو مجاهر شديد الشوكة فمن قتله قتل عدوا بهذه الصفة، ومن أكل من لحمه نال مالا وشرفاً، ومن ركبته نال سلطاناً عظيماً فإن رأى النمر ركبته ناله ضرر من سلطان أو عدو، ومن نكح نمرته تسلط على امرأة من قوم ظلمة، ومن رأى نمراً في داره هجم على داره رجل فاسق، ومن رأى أنه صاد نمراً أو فهدا نال منفعة بقدر ضرر غضبه. وقال أراطميدورس: النمر يدل على رجل ويدل على امرأة وذلك بسبب تغير لونه، وهو ذو مكر وخديعة وربما دل على مرض ووجع العينين، ولبنه عداوة تضر شاربه، والله تعالى أعلم.

(النمس): بنون مشددة مكسورة وبالسين المهملة في آخره: دويبة عريضة كأنها قطعة قديد تكون بأرض مصر يتخذها الناظر إذا اشتد خوفه من الثعابين لأن هذه الدويبة تقتل الثعبان وتأكله قاله الجوهري وقاله قوم: وهو حيوان قصير اليدين والرجلين وفي ذنبه طول يصيد الفأر والحيات ويأكلها. وقال المفضل بن سلمة: هو الظربان. وقال الجاحظ يزعمون أن بمصر دويبة يقال لها النمس تنقبض وتنطوى إلى أن تصير كالفأر فإذا انطوى عليها الثعبان زفرت وانتفخت فيقطع الثعبان: وقال ابن قتيبة النمس ابن عرس وتسميته نمسا يحتمل أن يكون مأخوذاً من قولهم نمس بالكلام أى أخفاه ونمس الصائد إذا اختفى في الدريثة، ولأنه لما كان يتاوت وتسكن أطرافه حتى تعضه الحية فيأكلها أشبه الصائد في اختفائه في الدريثة.

(وحكمه) تحريم الأكل لاستخبائه، والرافعى في كتاب الحج قال: إن النمس أنواع وبهذا يجمع بين هذه الأقوال المتباينة.

(الخواص) إذا نخر برج الحمام بذب النمس هرب الحمام منه، ومرارته تداف ببياض البيض ويضمدها العين فتلقط الحرارة وتقطع الدمة، ودمه يسعط منه الخجون وزن قيراط

مع لبن امرأة ويبخر به يفيق ، وذكره يطبخ ويشرب من مرقة من كان به تقطير البول ووجع المثانة يبرئه ، وعينه اليمنى إذا علقته في خرقة كتان على صاحب حمى الربيع أبرأته وإن علقته عليه اليسرى عادت إليه ، ودماغه إذا هرس بماء الفجل ودهن ورد ودهن به إنسان به جرب ومرض مكانه من وقته وحله أن يسحق خرؤه بدهن الزئبق ويطل به ؛ وخرؤه إن غرق في ماء وسقى منه إنسان خاف الليل والنهار ويرى كأن الشياطين في طلبه .

(التعبير) النمس في الرؤيا: يدل على الزنا لأنه يسرق الدجاج ، والجماعة منه في التعبير نساء فن نازع نمسا أو رآه في منزله فإنه ينازع إنسانا زانيا ، والله أعلم .

﴿النمل﴾ : معروف الواحدة نملة والجمع نمل وأرض نملة ذات نمل وطعام منمول إذا أصابه النمل ، والنملة بالضم النميمة يقال رجل نمل أى نمام ومأحسن قول الأول :

اقنع بما تلقى بلا بلغة فليس ينسى ربنا النملة
إن أقبل الدهر فقم قائما وإن تولى مدبرا نم له

وكنيته أبو مشغول والنملة أم نوبة وأم مازن ، وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة حركتها وقلة قوائمها ، والنمل لا يتزاوج ولا يتناكح إنما يسقط منه شيء حقيق في الأرض فينمو حتى يصير بيضا حتى يتكون منه ، والبيض كله بالضاء المعجمة الساقطة إلا يبظ النمل فإنه بالطاء المشالة ، والنمل عظيم الحيلة في طلب الرزق فإذا وجد شيئا أنذر الباقيين ليأتوا إليه ويقال إنما يفعل ذلك منها رؤساؤها ، ومن طبعه أنه يحتكر قوته من زمن الصيف لزمن الشتاء وله في الاحتكار من الحيل ما إنه إذا احتكر ما يخاف إنباته قسمه نصفين ما خلا الكسفرة فإنه يقسمها أرباعا لما أهم من أن كل نصف منها ينبت ، وإذا خاف العفن على الحب أخرجه إلى ظاهر الأرض ونشره وأكثر ما يفعل ذلك ليلا في ضوء القمر ، ويقال إن حياته ليست من قبل ما يأكله ولا قوامه وذلك لأنه ليس له جوف ينفذ فيه الطعام ولكنه مقطوع نصفين ، وإنما قوته إذا قطع الحب في استنشاق ريحه فقط وذلك يكفيه ، وقد تقدم في العتق والفأر عن سفیان بن عيينة أنه قال : ليس شيء يحتكر لقوته إلا الإنسان والعتق والنمل والفأر وبه جزم في الإحياء في كتاب التوكل ، وعن بعضهم أن البلبيل يحتكر الطعام ، ويقال إن للعتق مخابيء إلا أنه ينساها ، والنمل شديد الشم ومن أسباب هلاكه نبات أجنحته فإذا صار النمل كذلك أخصبت العصافير لأنها تصيدها في حال طيرانها ، وقد أشار إلى ذلك أبو العتاهية بقوله :

وإذا استوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه

وكان الرشيد كثيرا ما ينشد ذلك عند نسكبة البرامكة ، وقد تقدمت الإشارة إليها في باب العين المهملة في لفظ العتاق ، وهو يحفر قبرته بقوائمه وهي ست فإذا حفرها جعل فيها تعاريج

ثلاثا يجرى إليها ماء المطر ، وربما اتخذ قرية فوق قرية بسبب ذلك وإنما يفعل ذلك خوفا على ما يدخره من البلب :

قال البيهقي في الشعب : وكان عدى بن حاتم الطائي يفتت الخبز للنمل ويقول : لمن جارات ولن علينا حق الجواز . وسيأتي إن شاء الله تعالى في الوحش عن الفتح بن سخر بن زاهد أنه كان يفت الخبز لمن في كل يوم ، فإذا كان يوم عاشوراء لم تأكله ، وليس في الحيوان ما يحمل ضعف بدنه مرار أعيره على أنه لا يرضى بأضعاف الأضعاف حتى إنه يتكلف لحمل نوى النمل وهو لا ينتفع به وإنما يحمله على حمله الحرص والشرة ويجمع غذاء سنين أو عاش ولا يكون عمره أكثر من سنة ، ومن عجائبه اتخاذ القرية تحت الأرض وفيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات معلقة يملؤها حبوبا وذخائر للشتاء ، ومنه ما يسمى الذر الفارسي وهو من النمل بمنزلة الزنابير من النحل ؛ ومنه أيضاً ما يسمى بنمل الأسد سمي بذلك لأن مقدمه يشبه وجه الأسد ومؤخره يشبه النمل .

(فائدة) في الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نزل نبي من الأنبياء عليهم السلام تحت شجرة فدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها وأمر بها فأحرقت بالنار فأوحى الله إليه فهلا نملة واحدة » قال عبد الله الترمذي في نوادر الأصول : لم يعاتبه الله على تحريقها وإنما عاتبه على كونه أخذ البريء بغير البريء . وقال القرطبي : هذا النبي هو موسى بن عمران عليه السلام وإنه قال يارب : تعذب أهل قرية بمعاصيهم وفيهم الطائع ، فكأنه جل وعلا أحب أن يريه ذلك من عنده فسلط عليه الحر حتى التجأ إلى شجرة مستروحا إلى ظلها وعندها قرية النمل فغلبه النوم ، فلما وجد لذة النوم لدغته نملة فدلكه بن مقدمه فأهلكه وأحرق مسكنه ، فأراه الله تعالى الآية في ذلك عبرة لما لدغته نملة كيف أصيب الباقون بعموبتها يريد تعالى أن ينبهه على أن العقوبة من الله تعم الطائع والعاصي فتصير رحمة وطهارة وبركة على المطيع وسوءا ونقمة وعذابا على العاصي ، وعلى هذا ليس في الحديث ما يدل على كراهة ولا حظر في قتل النمل فإن من آذاك حل لك دفعه عن نفسك ، ولا أحد من خلق الله أعظم حرمة من المؤمن ، وقد أبيع لك دفعه عنك بضرب أو قتل على ماله من المقدار فكيف بالهوام والدواب التي قد سخرت للمؤمن وسلط عليها وسلطت عليه فإذا آذته أبيع له قتلها ، وقوله فهلا نملة واحدة دليل على أن الذي يؤدي يقتل وكل قتل كان لنفع أو دفع ضرر فلا بأس به عند العلماء ، ولم يخص تلك النملة التي لدغته من غيرها لأنه ليس المراد القصاص لأنه لو أراد لقال فهلا نملة التي لدغتك ، ولكن قال فهلا نملة فكأن نملة تعم البريء والجاني ، وذلك ليعلم أنه أراد تنبيهه لمسئلة ربه تعالى في عذاب أهل قرية فيهم المطيع والعاصي ،

وقد قيل إن في شرع هذا النبي عليه السلام كانت العقوبة للحيوان بالتحريق جائزة فلذلك إنما عاتبه الله تعالى في إحراق الكثير لا في أصل الإحراق ، ألا ترى قوله فهلا نملة واحدة وهو بخلاف شرعنا فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تعذيب الحيوان بالنار . قال : ولا يعذب بالنار إلا الله تعالى فلا يجوز إحراق الحيوان بالنار إلا إذا أحرق إنسانا فمات بالاحراق فلوارثه الاقتصاص بالإحراق للجاني . وأما قتل الغمل فذهبنا لا يجوز لحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدد والصراد » رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط الشيخين ، والمراد الغمل الكبير السليمانى كما قاله الخطابى والبغوى في شرح السنة . وأما الغمل الصغير المسمى بالذر فقتله جائز . وكره مالك رحمه الله قتل الغمل إلا أن يضر ولا يقدر على دفعه إلا بالقتل ، وأطلق ابن زيد جواز قتل الغمل إذا آذت ، وقيل إنما عاتب الله هذا النبي عليه السلام لانتقامه لنفسه بإهلاك جمع آذاه . واحد منهم وكان الأولى به الصبر والصفح ، لكن وقع للنبي عليه السلام أن هذا النوع مؤذ لبنى آدم وحرمة بنى آدم أعظم من حرمة غيره من الحيوان ، فلو انفرد له هذا النظر ولم ينضم إليه التشنى الطبيعى لم يعاتب فعوتب على التشنى بذلك ، والله أعلم .

روى الدارقطنى والطبرانى في معجمه الأوسط عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال « لما كلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام كان يبصر ديبب الغمل على الصفا في الليلة المظلمة من مسيرة عشرة فراسخ » .

وروى الترمذى الحكيم في نوادره عن معقل بن يسار قال : قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه وشهد به على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك فقال هو فيكم أخنى من ديبب الغمل ، وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب الله عنك صغار الشرك وكباره تقول : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم وأستغفرك لما تعلم ولا أعلم ، يقولها ثلاث مرات » .

وروى أيضا عن أبى أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه قال « ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ، ثم قال : إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلمى الناس الخير » . قال الترمذى حديث حسن صحيح .

وسمعت أبا عثمان الحسين بن حريث الخزاعى يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : عالم عامل معلم يدعى كبيرا فى ملكوت السموات .

وروى أن النملة التي خاطبت سليمان عليه الصلاة والسلام أهدت إليه نبتة فوضعها في كفه وقالت :

ألم ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدي للجيل بقدره لقصر عنه البحر حين يسأله
ولكننا نهدي إلى من نحبه فيرضى به عنا ويشكر فاعله
وما ذاك إلا من كريم فعاله وإلا فما في ملكنا من يشاكله

فقال سليمان عليه السلام : بارك الله فيكم ، فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله وأكثر خلق الله توكلًا على الله تعالى .

روى أن رجلا استوقف المأمون ليعلم منه فلم يقف له فقال : يا أمير المؤمنين إن الله استوقف سليمان بن داود عليهما السلام لنملة ليستمع منها ، وما أنا عند الله بأحق من نملة : وما أنت عند الله بأعظم من سليمان ، فقال له المأمون : صدقت ، ووقف له وسمع له وقضى حاجته .

ومن شعر الإمام تاج الدين النجفي في منزل فيه نمل قوله :

مالي أرى منزل المولى الأديب به نمل تجمع في أرجائه زمرا
فقال لا تعجبين من نمل منزلنا فانمل من شأنها أن تتبع الشعرا

(فائدة أخرى) قال الإمام العلامة فخر الدين الرازي في تفسير قوله تعالى : - حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم - الآية ، وادى النمل بالشأم كثير النمل : فإن قيل : لم أتى بعلى : قلت : لوجهين : أحدهما أن إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء . الثاني أنه يراد به قطع الوادى وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشيء إذا بلغ آخره ، فتكلمت النملة بذلك وهذا غير مستبعد فإن حصول العلم والنطق لها ممكن في نفسه والله سبحانه قادر على كل الممكنات .

(وحكى) عن قتادة أنه دخل الكوفة فاجتمع عليه الناس فقال : سلوا عما شئتم؟ وكان أبو حنيفة حاضرا وهو يومئذ غلام حدث ، فقال : سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى؟ فسألوه فأفحم ، فقال أبو حنيفة : كانت أنثى ، فقيل له كيف عرفت ذلك؟ فقال : من قوله تعالى - قالت - ولو كانت ذكرا لقال قال نملة لأن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى . قال : ورأيت في بعض الكتب أن تلك النملة إنما أمرت رعيها بالدخول في مساكنها لئلا ترى النعم التي أوتيتها سليمان وجنوده فتقع في كفران نعمة الله عليها ، وفي هذا تنبيه على أن مجالسة أرباب الدنيا محظورة . يروى أن سليمان قال لها : لم قلت للنمل ادخلوا مساكنكم؟ أخفت عليها مني ظلما؟ قالت : لا ، ولكني خشيت أن يفتنوا بما يرون من جمالك وزينتك فيشغلهم ذلك عن طاعة الله تعالى :

قال الثعلبي وغيره : إنها كانت مثل الذئب في العظم وكانت عرجاء ذات جناحين ، وذكر عن مقاتل أن سليمان عليه السلام سمع كلامها من ثلاثة أميال : وقال بعض أهل القديس : إنها تكلمت بعشرة أنواع من البديع : قولها «يا» نادى «أيها» نهبت ، «النمل» سميت ، «ادخلوا» أمرت «مساكنكم» نعتت ، «لا يحطمنكم» حذرت «سليمان» خصت «وجنوده» عمت «وهم» أشارت «لا يشعرون» اعتذرت ، والمشهور أنه النمل الصغار ، واختلف في اسمها فقيل كان اسمها طاخية وقيل كان اسمها حزمي . قيل كان نمل الوادي كالذئب ، وقيل كالبحاثي :

قال السهيلي في [التعريف والأعلام] : ولا أدري كيف يتصور للنملة اسم علم والنمل لا يسمى بعضه بعضا ، ولا الأدبي يمكنه تسمية واحدة منها باسم علم لأنه لا يتميز للأدبيين بعضه من بعض ، ولا هم أيضا واقعون تحت ملك بني آدم كالخليل والكلاب ونحوهما لأن العلمية فيما كان كذلك موجودة عند العرب : فإن قلت : إن العلمية موجودة في الأجناس كنعالة وأسامة وجعار في الضيع ونحو هذا كثير ؟ فالجواب : أن هذا ليس من أمر النمل لأنهم زعموا أنه اسم علم لنملة واحدة معينة من بين سائر النمل ، ونعالة ونحوه غير مختص بواحد من الجنس بل كل واحد رأيت من ذلك الجنس فهو نعالة ، وكذلك أسامة وابن آوى وابن عرس وما أشبه ذلك : فإن صح ما قالوا وله وجه فهو أن تكون هذه النملة الناطقة قد سميت بهذا الاسم في التوراة أو في الزبور أو في بعض الصحف أو سماها الله تعالى بهذا الاسم وعرفها به جميع الأنبياء قبل سليمان أو بعده ، وخصت بالتسمية لنطقها وإيمانها ، ومعنى قولنا وإيمانها أنها قالت للنمل - وهم لا يشعرون - أوهو التفاتة مؤمن أي أن سليمان عليه السلام من عدله وفضله وفضل جنوده لا يحطمون نملة فما فوقها وهم لا يشعرون . وقد قيل إنما كان تبسم سليمان سرورا بهذه الكلمة منها ولذلك أكد التبسم بقوله - ضاحكا - إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولارضا ، ألا تراهم يقولون تبسم تبسم الغضبان وتبسم تبسم المستهزئ وتبسم تبسم الضحك ، وتبسم الضحك إنما هو من سرور ولا يسرنى من أمر دنيا وإنما يسر بما كان من أمر الدين ، فقولها - وهم لا يشعرون - إشارة إلى الدين والعدل هـ .

(فائدة أخرى) روى أبو داود والحاكم وصححه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للشفاء بنت عبد الله « علمى حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة » .

وفي صحيح مسلم « أن النبي صلى الله عليه وسلم أرخص في الرقية من النملة » والنملة قروح تخرج في الجنب من البدن ورقبتها شيء كانت تستعمله النساء يعلم كل من سمعه أنه كلام لا يضر ولا ينفع ، وهو أن يقال العروس تحتفل وتحتضب وتكتحل وكل شيء تفتعل غير أن لاتعصى الرجل ، أراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المقال تأنيب حفصة لأنه أتى إليها سرا فأفشته فكان هذا من لغو الكلام ومزاحه كقوله صلى الله عليه وسلم للعجوز « لا تدخل الجنة عجوز » :

ورأيت في بعض الكتب بخط بعض الأئمة الحفاظ : أن رقية النملة أن يصوم راقبها ثلاثة أيام متوالية ثم يرقبها بكرة كل يوم من الثلاثة عند طلوع الشمس ، فيقول : افسطرى وانبرجى فقد نوه بنوه بربطش ديبقت اشف أيها الجرب بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ويكون في أصبعه زيت طيب يمسح به عليها ، ويتفل على الموضع عقب الرقية قبل المسح بالزيت فافهم :

روى الدارقطنى والحاكم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقتلوا النملة فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقى فإذا هو بنملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها تقول : اللهم إنا خلقنا من خلقك لا غنى لنا عن فضلك ، اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين واستقنا مطراً تنبت لنا به شجراً وتطعمنا به ثمراً ، فقال سليمان لقومه : ارجعوا فقد كفيتم وسقيتم بغيركم » .

(فوائد) قال الخلال : أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : حدثنا أبي قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال : حدثنا أبو عبد الله الكوازي قال : حدثتني حبيبة مولاة الأحنف بن قيس أن الأحنف بن قيس رآها تقتل نملة فقال : لا تقتلها ، ثم دعا بكرسى فجلس عليه فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : إني أخرج عليك إلا أخرجتن من دارى فاخرجن فإني أكره أن تقتلن في دارى . قال : فخرجن فما روى فيه منهن بعد ذلك اليوم واحدة . قال عبد الله الإمام أحمد : رأيت أبي فعل ذلك حرج على النمل ، وأكثر علمى أنه جلس على كرسى كان يجلس عليه لوضوء الصلاة ، ثم رأيت النمل قد خرجن بعد ذلك نمل كبار سود فلم أرهن بعد ذلك ،

ورأيت بخط بعض المشايخ لإذهاب النمل أن يكتب في إناء نظيف هذه الأسماء وتغسل بماء وترش في بيت النمل فإنه يذهب ولا يطلع وهو : الحمد لله باهيا شراهما ساريكم باهيا شراهما . ورأيت أيضا في بعض المصنفات أن يكتب على أربع شقف نيات وتجعل في أربع أركان المكان الذى فيه النمل فإن النمل يرحل ورحلمات وهو : - وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا - لا تسكنوا في منزلنا فتفسدوا و- الله لا يصلح عمل المفسدين - ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا - فاتوا كذلك يموت النمل من هذا المكان ويذهب بقدره الله .

ومما جرب أيضا فوجدناه نافعا أن يكتب على لوح ماعز ويوضع على قرية النمل فإنه يرحل وهو : ق و ل ه ا ل ح ق و ل ه ا ل م ل ك الله الله الله - ومالنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون - قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - أهيا شراهما أدونائى آل شدائى .

ارحل أيها النمل من هذا المكان بحق هذه الأسماء وبألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
ف ق ج م خ م ت .

ومن المحربات أيضا أنك إذا كان لك حلواء أو عسل أو سكر أو ما هو شبيه بذلك وكان
في إناء ومررت بيدك على شفته وقالت: هذا الوكيل القاضي أو هذا الرسول القاضي أو هذا
الغلام القاضي فإن النمل لا يقربه ، وقد فعل ذلك مرارا وشوهد فلا يصل الذر إليه .
(الحكم) يكره أكل ما حملته النمل بفيها وقوائمها لما روى الحافظ أبو نعيم في الطب النبوي
عن صالح بن خوات بن جبير عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنه « أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى أن يؤكل ما حملت النمل بفيها وقوائمها » ويحرم أكل النمل لورود النهي عن
قتله وقد تقدم . ونقل الراجعي في البيع وجها عن أبي الحسن العبادي أنه يجوز بيع النمل بعسكر
مكرم لأنه يعالج به السكر ، وبمصبيين لأنه يعالج به العقارب الطيارة ، وعسكر مكرم :
قرية من قرى الأهواز ، والسكر بفتح السين والكاف ، ومراده بالعقارب الطيارة : الجراد .
(الأمثال) قالوا : ما عسى أن يبلغ عض النمل ، يضرب لمن لا يبالي بوعيده : وقالوا :
أحرص من نملة ، وأروى من نملة لأنها تكون في الفلوات فلا تشرب ماء : وقالوا : أضعف
وأكثر وأقوى من النمل .

(وحكى) أن رجلا قال لبعض الملوك : جعل الله قوتك مثل قوة النمل فأنكر عليه ،
فقال : ليس من الحيوان ما يحمل ما هو أكبر منه إلا النملة ، وقد أهلك الله بالنمل أمة من الأمم
وهي جرهم .

وفي سيرة ابن هشام في غزوة حنين عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه أنه قال :
لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل النجاد الأسود نزل من السماء حتى سقط بيننا
وبين القوم ، فنظرت فإذا هو نمل أسود مبعوث قد ملأ الوادي فلم أشك أنها الملائكة ولم تكن
إلا هزيمة القوم .

(الخواص) بيظ النمل وهو بالظاء المشالة كما تقدم إذا أخذ وسحق وطل به موضع منع
لنبات الشعر فيه ، وإذا نثر بيظه بين قوم تفرقوا شذر مذر ، ومن سقى منه وزن درهم لم يملك .
أسفله بل يغلبه الحبق أي الضراط ، وإن سدت قريته بأخشاء البقر لم يفتكها بل يهرب من مكانه
وكذلك يفعل روث القط ، وإذا سد جحر النمل بحجر المغناطيس مات ، وإذا دقت
الكرابوا وجعلت في حجر النمل منعتهم الخروج وكذلك الكمون ، وإذا صب
ماء السذاب في قرية النمل قتله ، وإذا رش به بيت هربت البراغيث منه وكذلك يفعل ماء
السماق في البراغيث ، وإذا قطر شيء من القطران في قرية النمل متن ، والكبيريت إذا دق
ونثر في قريتها هلكت ، وإن علق خرقة امرأة حائض حول شيء لم يقربه النمل ، وإذا
أخذت سبع نملاط طوال وتركتها في قارورة مملوءة بدهن الزئبق وسدت رأسها ودفنتها

في زبل يوما وليلة ثم أخرجتها وصفت الدهن عنها ثم مسحت به الإحليل و ما فوقه هيج الباه
وأكثر العمل وقوى الإنعاط مجرب .

(التعبير) النمل في الرؤيا يعبر بناس ضعفاء أصحاب حرص ، والنمل يعبر أيضا بالجند
والأهل ويعبر بالحيات ، فمن رأى النمل دخل قرية أو مدينة فإنه جند يدخلها ، ومن سمع
كلام النمل نال خصبا وخيرا ، ومن رأى النمل دخل منزله ومعه أحمال ثقيلة فإن الخصب والخير
يدخل داره ، ومن رأى النمل على فراشه كثرت أولاده ، ومن رأى النمل خرج من داره
نقص عدد أهله ، ومن رأى النمل يطير من مكان وفيه مريض فإن المريض يهلك أو يسافر من
ذلك المكان قوم ويلقون شدة ، والنمل يدل على خصب ورزق لأنه لا يكون إلا في
مكان فيه الرزق ، وإذا رأى المريض كأن النمل يدب على جسده فإنه يموت لأن النمل حيوان أرضي
بارد : وقال جاماسب : من رأى النمل يخرج من مكان ناله هم والله تعالى أعلم :

﴿ النهار ﴾ : ولد الحبارى : قالت العرب : أحق من نهار . وقال البطلوسي في شرح
أدب الكاتب : وقد اختلف اللغويون في النهار ، فقال قوم هو فرخ القطة ، وقال قوم إنه
ذكر اليوم والأنتى صيف ، وقيل إنه ذكر الحبارى والأنتى ليل ، وقيل إنه فرخ الحبارى
قال الشاعر :

ونهار رأيت منتصف اللي ل وليل رأيت وسط النهار اه
وهذا القول هو الصواب ، والله أعلم .

﴿ النهاس ﴾ : بتشديد النون وبالسین في آخره : الأسد :

﴿ النهس ﴾ : طائر يشبه الصرد إلا أنه غير ملمع يديم تحريك ذنبه وبصيد العصافير
وجمه نهسان كصرد وصردان : وقال ابن سيده : النهس ضرب من الصرد وسمى بذلك لأنه
ينهس اللحم ، والنهس أصله أكل اللحم بطرف الأسنان ، والنهش بالشين المعجمة أكله بجمعها ،
والطير إذا أكل اللحم إنما يأكله بطرف منقاره فذلك سمي نهسا :

وفي مسند أحمد ومعجم الطبراني أن زيد بن ثابت قال : رأيت شر حبيبل بن سعد وقد
صاد نهسا بالأسواق فأخذه من يده وأرسله : والأسواق : اسم موضع بحرم المدينة الذي حرمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكره في الدبسي : وإنما أرسله لأن صيد المدينة
حرام كسكة :

(الحكم) قال الشافعي : النهس حرام كالسباع التي تنهس اللحم :

﴿ النهام ﴾ : بضم النون طائر ، قاله السهيلي في إسلام عمر رضى الله تعالى عنه ، وقال
الجوهري : هو ضرب من الطير .

﴿ النهسر ﴾ : كجعفر الذئب ، وقيل ولد الأرنب ، وقيل الضبع .

﴿ النهشل ﴾ : الذئب والصقر أيضا ، وقد تقدم كل منهما في بابه :

﴿ النواج ﴾ : طائر كالقمرى وحاله حاله إلا أنه أحر منه مزاجا وأدمث صوتا ، ولقد كاد أن يكون للأطيار الدمثة الشجية الأصوات ملكا وهو يهيجها إلى التصويت لأنه أشجها صوتا وأطيبها نغما وجميعها تهوى استماع صوته وهو يطرب لغناء نفسه .

﴿ النوب ﴾ : بضم النون النحل لا واحد له من لفظه ، وقيل واحدها نائب . قال أبو عبيدة سميت نوبا لأنها تضرب إلى السواد . وقال أبو عبيد : سميت به لأنها ترعى ثم تنوب إلى موضعها : قال أبو ذؤيب :

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عواسل
أى لم يخف ولم يبال فاستعمل الرجاء بمعنى الخوف ، ومنه قوله تعالى - مالك لا ترجون لله وقارا - أى لا تخافون عظمة الله ، وقوله تعالى - وقال الذين لا يرجون لقاءنا - الآية ، أى لا يخافون . قال ابن عطية : والذي يظهر لى أن الرجاء فى الآية وفى البيت على بابه لأن خوف لقاء الله مقترن أيضا برجائه ، فإذا نبى سبحانه الرجاء عن أحد فلنما أخبر عنه بأن يكذب بالبعث لنفى الخوف والرجاء انتهى :

﴿ النورس ﴾ : طير الماء الأبيض وهو زميج الماء ، وقد تقدم فى باب الزاى :

﴿ النوص ﴾ : بفتح النون الحمار الوحشى :

﴿ النوره ﴾ : الحوت وجمعه نينان وأنوان كما قالوا حوت وحيتان وأحوات ، وقد تقدم فى أول الكتاب فى باب الباء الموحدة فى لفظ بالام ما رواه مسلم والنسائى عن ثوبان رضى الله تعالى عنه قال « إن النبى صلى الله عليه وسلم سأله بعض اليهود عن تحفة أهل الجنة ؟ فقال : زيادة كبد الحوت » وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يقول : سبحان من يعلم اختلاف النينان فى البحار الغامرات . وروى الحاكم عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال « أول شىء خلقه الله القلم فقال له اكتب ، فقال : وما أكتب ؟ قال : القدر ، فجرى من ذلك اليوم بما هو كائن إلى يوم الساعة . قال : وكان عرشه على الماء فارتفع بخار الماء ففتفتت منه السموات ، ثم خلق النون فبسطت الأرض عليه فالأرض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال وإن الجبال لتفخر على الأرض » .

وقال كعب الأحبار : إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذى على ظهره الأرض كلها فوسوس إليه وقال : أتدرى ما على ظهرك بالوتياء من الأمم والدواب والشجر والجبال وغير ذلك .

فلو نفصتيم فألقيتهم عن ظهرك أجمع لاسترحت ، فهم لوتياء أن يفعل ذلك ، فبعث الله إليه دابة فدخلت منخره ووصلت إلى دماغه فعيج الحوت إلى الله تعالى منها فأذن الله لها فخرجت ، قال كعب : فوالذي نفسى بيده إنه لينظر إليها وتنظر إليه ، إنهم بشيء من ذلك عادت إليه كما كانت . وقال علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه : اسم الحوت يهوت . قال الراجز :

مالي أراكم كلكم سكووتا والله ربي خالق يهوتوتا

وفى مسند الدارمى عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ، ثم تلا هذه الآية — إنما يخشى الله من عباده العلماء — ثم قال إن الله وملائكته وأهل سمواته وأرضه والنون في البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير » . وفى شعب البيهقى عن خولة بنت قيس امرأة حمزة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : قالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من مشى إلى غريمه لحقه صلت عليه دواب الأرض ونون الماء وغرس الله له بكل خطوة شجرة في الجنة ، ولا غريم يلوى غريمه وهو قادر إلا كتب الله عليه في كل يوم إثمًا » .

وروى أبو بكر البزار عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مشى إلى غريمه لحقه صلت عليه دواب الأرض ونون الماء وينبت له بكل خطوة شجرة في الجنة وذنوب يغفر » .

وروى الدينورى في المجالسة في أول الجزء السادس عن الأوزاعى رحمه الله أنه قال : كان عندنا صياد يصطاد النينان فكان يخرج إلى الصيد فلا يمنعه مكان الجمعة عن الخروج ، فخشف به وبيغلته فخرج الناس وقد ذهب به بغلته في الأرض فلم يبق منها إلا أذناها وذنباها . وفيها أيضا في أول الجزء العشرين عن زيد بن أسلم قال : جلس إلى رجل قد ذهب يمينه من عضده فجعل يبكي ويقول : من رآنى فلا يظلمن أحدا ، فقلت له : ما حالك ؟ قال : بينا أنا أسير على شط البحر إذ مررت بنبطى قد اصطاد سبعة أنوان فقلت : أعطنى نونا فأبى فأخذت منه نونا وهو كاره فانقلب إلى النون وهو حى فعض إبهامى عضه بسيرة فلم أجد لها ألما فانطلقت به إلى أهلى فصنعوه وأكلنا فوقعت الأكلة فى إبهامى ، فانفق الأطباء على أن أقطعها فقطعتهم عالجتها حتى قلت قد برئت ، فوقعت الأكلة فى كنى ثم فى ساعدى ثم فى عضدى فمن رآنى فلا يظلمن أحدا .

وذو النون لقب نبي الله يونس بن متى عليه الصلاة والسلام لأنه ابتلعه الحوت — فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين — .

روى الترمذى عن سعد بن أبى وقاص الخباب الدعوة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إني لأحلمكم كلمة ما قالها مكروب إلا فرج الله كربه عنه » .

ولا دعا بها عبد مسلم إلا استجيب له ، دعوة أخى يونس : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

وجمعت الظلمات لشدة تكاثفها عليه فإنها ظلمة بطن الحوت وظلمة الليل وظلمة البحر ، وقيل ظلمة حوت التقم الحوت الأول :

واختلفوا في مدة مكثه في بطنه فقيل سبع ساعات ، وقيل ثلاثة أيام ، وقيل سبعة أيام ، وقيل أربعة عشر يوما . وقال السهيلي : أقام في بطنه أربعين يوما يتردد به في ماء الدجلة : ونقل الإمام أحمد في كتاب الزهد أن رجلا قال للشعبي : مكث يونس في بطن الحوت أربعين يوما ، فقال الشعبي : ما مكث إلا أقل من يوم التقمه ضحى فلما كان بعد العصر وقاربت الشمس الغروب ثئاب الحوت فرأى يونس ضوء الشمس فقال — لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين — قال : فنبذه وصار كأنه فرخ ، فقال رجل للشعبي : أتتكر قدرة الله ؟ قال : ما أنكر قدرة الله ولو أراد الله تعالى أن يجعل في بطنه سوقا لفعل :

وروى البزار بإسناد جيد عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « لما أراد الله تعالى حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن لا تحدش له لحما ولا تكسر له عظما ، فأخذه ثم أهوى به إلى مسكنه في البحر ، فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت : إن هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا : ربنا إننا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة ، فقال تعالى : ذلك عبدى يونس حبسته في بطن الحوت في بطن البحر ، فقالوا : العبد الصالح الذى كان يصعد إليك منه في كل يوم ولياة عمل صالح ؟ قال عز وجل : نعم ، فشفعوا له عند ذلك فأمر الله تعالى الحوت فقذفه في الساحل كما قال الله تعالى — فنبذناه بالعراء وهو سقيم — وروى أن الحوت مشى به في البحار كلها حتى ألقاه في نصيبين من ناحية الموصل فنبذه الله تعالى في عراء وهى الأرض الفيحاء التى لا شجر فيها ولا معلم ، وهو سقيم كالطفل المنفوس مضغة لحم إلا أنه لم ينقص من خلقه شيء فأنعشه الله في ظل اليقطينة بلبن أروية تغاذيه وتراوحه ، وقيل بل كان يتغذى من اليقطينة فيجد منها ألوان الطعام وأنواع شهواته .

والحكمة في إنبات الله اليقطينة عليه أن من خاصية اليقطين أن لا يقربه الذباب ، ومن خواصه أن ماء ورقه إذا رش به مكان لا يقربه ذباب أيضا ، فأقام عليه الصلاة والسلام تحتها إلى أن صح جسده لأن ورق القرع أنفع شيء لمن يسلم جلدته عن جسده كيونس عليه السلام .

وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان يوما نائما فأبس الله تعالى تلك اليقطينة ، وقيل

أرسل الله تعالى عليها الأرضة فقطعت عروقها فانتهى بونس عليه السلام فوجد حر الشمس
نغز عليه شأنها وجزع فأوحى الله تعالى إليه : يا بونس جزعت لبس يقطينة ولم تجزع
ملكاً مائة ألف أو يزيدون تابوا فتيب عليهم ، وما أحسن قول الجوهري صاحب الصحاح :

فها أنا بونس في بطن حوت بنيسابور في ظل الغمام
فبيني والفؤاد ويوم دجن ظلام في ظلام في ظلام
وقول الآخر :

مغيث أيوب والكافي لدى النون يتدلى فرجا بالكاف والنون
وقول الآخر في المعنى :

ربما عالج القوافي رجال في القوافي فتلتوى وتلين
طاوعتهم عين وعين وعين وعصتهم نون ونون ونون

قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب : معنى قوله : عين وعين وعين يعني به نحو يد
وغدود لأنها عينات مطاوعات في القوافي مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة لأن وزن
يدفع ووزن غدفع ووزن ودفع ، وقوله : وعصتهم نون ونون ونون الحوت يسمى نونا
والدة تسمى نونا والنون الذي هو الحرف وكلها نونات غير مطاوعة في القوافي إذ لا يلتئم
واحد منها مع الآخر .

(فائدة) روى الدينوري في المجالسة وأبو عمر بن عبد البر في التمهيد عن أبي العباس محمد
ابن إسحق السراج قال : حدثنا هشيم عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال : كتب صاحب الروم إلى معاوية رضي الله تعالى عنه يسأله عن
أفضل الكلام ما هو ؟ وعن الثاني والثالث والرابع والخامس ؟ وكتب إليه يسأله عن أكرم
الخلق على الله ؟ وعن أكرم الإماء على الله ؟ وعن أربعة من الخلق فيهم الروح لم يرتكضوا
في رحم ؟ ويسأله عن قبر مشى بصاحبه ؟ وعن الحجر وعن القوس ؟ وعن مكان طلعت فيه
الشمس لم تطلع عليه قبل ذلك ولم تطلع عليه بعده ؟ فلما قرأ معاوية الكتاب قال : أخزاه الله
تعالى وما علمي بما هاهنا ؟ فقيل له : اكتب إلى ابن عباس ، فكتب إليه بذلك ، فكتب إليه
ابن عباس رضي الله عنهما : إن أفضل الكلام لا إله إلا الله كلمة الإخلاص لا يقبل عمل
إلا بها ، والتي تليها سبحان الله وبحمده صلاة الخلق ، والتي تليها الحمد لله كلمة الشكر ،
والتي تليها الله أكبر ، والخامس لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأما أكرم الخلق على الله عز وجل
فأدم عليه السلام خلقه الله بيده وعلمه الأسماء كلها . وأما أكرم إمامته عليه فهي مريم التي
أحصنت فرجها فنفخ فيه من روحه . وأما الأربعة الذين لم يرتكضوا في الرحم فأدم وحواء
وناقة صالح والكبش الذي فدى به إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وقيل عصا موسى عليه

الصلاة والسلام حين ألقاها فصارت ثعبانا مبينا . وأما القبر الذي سار بصاحبه فهو الحوت حين التقم بونس . وأما الحجر فباب السماء : وأما القوس فإنه أمان لأهل الأرض من الغرق بعد قوم نوح . وأما المكان الذي طلعت عليه الشمس ولم تطلع عليه قبله ولا بعده فهو المكان الذي انقلب في البحر لبني إسرائيل . فلما قدم عليه الكتاب أرسل به إلى صاحب الروم فقال : لقد علمت أن معاوية لم يكن له بهذا علم ، وما أصاب هذا إلا رجل من بيت النبوة :

باب الهاء

﴿ الرالع ﴾ : النعام السريع مضيه والأنثى هالعة .

﴿ الرهانة ﴾ : بتخفيف الميم على المشهور طير الليل وهو الصدى والجمع هام وهامات .

قال ذو الرمة :

قد أعسف النازح المجهول معسفه في ظل أخضر يدعو هامة اليوم
وقد تقدم أن الذكر من اليوم يختص باسم الصدى والصيدح ، وتقدم أن هذه الأسماء تقع على طير الليل بطريق الاشتراك ، وتسمية هذه الطيور بالصدى والصودا لما تعتقد الأعراب من كونه عطشان لا يزال يقول استقوني ، والصدى العطش والصادى العطشان ، ويقال رجل صديان وامرأة صديا ، والصدى أيضا صوت يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يحبسه من حجر ونحوه ، والعرب تقول أصم الله صدها إذا دعوا على شخص بالحرس ، والمعنى لاجعل الله له صدى يرجع إليه بصوته ، وقد تقدم ذلك ، ويقع الصدى أيضا على الدماغ لكونه متصورا بصورة الصدى ولهذا سمي الدماغ هامة لأنه يشبه رأس الصدى لأن الصدى لما كان كبير الرأس واسع العين وفيه شبه برأس ابن آدم سموا الرأس هامة باسمه ، والهامة هو الصدى وتسميته بالهامة يحتمل أن تكون للمعنى الذي لأجله سمي صدى وهو العطش ويجوز أن براعى الاشتقاق على أن يكون قد اشتق من الهيام بضم الهاء وهو داء يصيب الإبل فتشرب ولا تروى ، ومنه قوله تعالى - فشاربون شرب الهيم - وهو جمع أهيم كأحمر ، والهيم الإبل التي أصابها الهيام يقال جهل أهيم وناقاة هيام وإبل هيم . قال الشاعر :

بي اليأس وداء الهيام أصابني فإياك عنى لا يكن بك مابيا

وقال لبيد :

أجزت على معارفها بشعب وأطلاح عن المهري هيم
وقيل الهيم الأرض السهلة ذات الرمل ، ويحتمل أنه إنما سمي هامة باسم رأسه تشبيها بهامة الإنسان وهي رأسه ، قال الشاعر :

ونضرب بالسيوف رموس قوم أزلنا هامهن عن الصدور
وعلى هذا يكون التجوز حاصلًا من الجانبين ، وهذا قد وجد في كلام بعضهم الإيماء
إليه ، وسمى بعضهم الهامة بالمصاص لأنه ينزل إلى الحمام فيمص دمها ، وإنما سموا بعض هذه
الطيور بومة لأنها تصيح بهذا الحرف ، وبعضها يصيح بقاف وواو وقاف فيسمونها قوقة
وأم قويق ، وكل هذا من جنس الهوام .

روى مسلم وغيره عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال
« لا صفر ولا هامة » وفيه تأويلان : أحدهما أن العرب كانت تتشام بالهامة وهى هذا الطائر
المعروف من طير الليل كما تقدم ، وقيل هو البومة كانت إذا سقطت على دار أحدكم قالوا :
نعت إليه نفسه أو بعض أهله ، وهذا تفسير الإمام مالك بن أنس رحمه الله : والثاني أن العرب
كانت تعتقد أن روح القتيل الذى لم يؤخذ بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره وتقول اسقونى
اسقونى من دم قاتلى فإذا أخذ بثأره طارت . قال ليلى :

فليس الناس بعدك فى نفيهم وما هم غير أصداء وهام
وقيل كانوا يزعمون أن عظام الميت ، وقيل روحه تصير هامة ويسمونها الصدى وهذا
تفسير أكثر العلماء وهو المشهور ، ويجوز أن يكون المراد النوعين ، وأنه عليه الصلاة
والسلام نهى عنهما جميعاً .

روى أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : كنت عند كعب الأحمار
وهو عند عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فقال كعب : يا أمير المؤمنين ألا أخبرك
بأغرب شيء قرأته فى كتب الأنبياء عليهم السلام ؟ إن هامة جاءت إلى سليمان بن داود عليهما
الصلاة والسلام فقالت : السلام عليك يا نبي الله ، فقال : وعليك السلام يا هامة أخبريني
كيف لانا كابين من الزرع ؟ قالت : يا نبي الله إن آدم أخرج من الجنة بسببه ، قال : فكيف
لا تشربين الماء ؟ قالت : يا نبي الله لأنه غرق فيه قوم نوح فمن أجل ذلك لا أشربه . قال لها
سليمان : كيف تركت العمران وسكنت الخراب ؟ قالت : لأن الخراب ميراث الله فأنا أسكن
ميراث الله قال الله تعالى - وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من
بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين - فالدينا ميراث الله كلها . قال سليمان : فما تقولين إذا
جلست فوق خربة ؟ قالت : أقول أين الذين كانوا يتنعمون فيها ؟ قال سليمان : فما صياحك
فى الدور إذا مررت عليها ؟ قالت : أقول ويل لبنى آدم كيف ينامون وأماهم الشدايد ؟
قال سليمان عليه السلام : فما لك لا تخرجين بالنهار ؟ قالت : من كثرة ظلم بنى آدم لأنفسهم .
قال : فأخبريني ما تقولين فى صياحك ؟ قالت : أقول تزودوا يا غافلين وتهميوا اسفرمكم سبجان
نخالى النور . فقال سليمان عليه السلام : ليس فى الطيور طير أنصح لابن آدم ولا أشفق عليه
من الهامة ، وما فى قلوب الجهال أبغض منها .

(فرع) في فتاوى قاضي خان : إذا صاحت الهامة فقال أحد : يموت رجل ، فقال بعضهم : يكون ذلك كفرةً إنما يقال هذا على جهة التفاضل انتهى ، وهو قريب مما تقدم في العتق :

والهوام : حشرات الأرض ، وروى ابن حبان وأبو داود الطيالسي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن هذه الهوام من الجن فإذا رأى أحدكم في بيته شيئاً منها فليخرج عليه ثلاث مرات » قال في النهاية : هو أن يقول لها : أنت في حرج إن عدت إلينا فلا تلومينا أن نضيق عليك بالتبع والطرود والقتل ، وروى البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال « إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين يقول : أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن عين لامة ، ثم يقول صلى الله عليه وسلم كان أبوكم إبراهيم عليه السلام يعوذ بها إسماعيل وإسحق عليهما الصلاة والسلام » قال الخطابي : الهامة إحدى الهوام ذوات السموم كالحية والعقرب ونحوهما . فإن قيل : في هذا الحديث دليل على أن للهامة حقيقة ؟ فالجواب : أن الهامة هنا بالتشديد وتلك بالتخفيف كما تقدم ، والمراد هنا هوام الأرض من الحيات والعقارب ونحوهما كما قاله الخطابي ، أو المراد كل ما يهجم بالأذى ، وهو اسم فاعل من هم يهجم فهو هامة كأنه صلى الله عليه وسلم قال أعيدكما من شر كل نسمة هامة بالأذى ، وقوله عليه الصلاة والسلام « ومن كل عين لامة » معناه ذات لم . قال الخطابي : وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يستدل بقوله « بكلمات الله التامة » على أن القرآن غير مخلوق ، ويقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستعبد بمخلوق ، وما من كلام مخلوق إلا وفيه نقص فالموصوف منه بالتمام هو غير مخلوق ، وهو كلام الله تعالى .

وفي الصحيحين وغيرهما عن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه قال « في أنزلت هذه الآية فن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ادنه ، فدنوت ثم قال : ادنه ، فدنوت ثم قال : ادنه ، فدنوت فقال صلى الله عليه وسلم : أيؤذيك هوامك ؟ قال ابن عوف : أظنه قال نعم ، فأمرني بفدية من صيام أو صدقة أو نسك ما تيسر » :

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن لله مائة رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فيها يتعاطفون ويتراحمون وبها تحطف الوحوش على أولادها ، وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيامة » وسيأتي هذا في باب الواو في لفظ الوحوش إن شاء الله تعالى .

وفي الإحياء في فضل الجمعة: يقال إن الطير والحوام يلتقي بعضها بعضاً في يوم الجمعة فتقول: سلام سلام يوم صالح. وهو كذلك في قوت القلوب أيضاً.

وفي كتاب فردوس الحكمة: آية في كتاب الله من قرأها يأمن من الهوام - إنى توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - وقد تقدم نظير هذا في باب الباء الموحدة في البراغيث من رواية ابن أبي الدنيا في كتاب التوكل: أن عامل أفريقية كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه يشكو إليه الهوام والعقارب، فكتب إليه وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول - وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا - الآية.

وفي كتاب النصائح: أن بعض السياحين كان مقدماً على كل هول يخافه المسافرون غير متحفظ من الهوام والسباع، فتعجب منه قوم وخوفوه الغرور بنفسه، فقال: إنى على بصيرة من أمرى وذلك أنى سافرت تاجرًا مع رفقة فكان سراق الأعراب يطوفون بنا كل ليلة وكنت أشد أصحابي ذكراً وأطولهم سهراً، وكنت قد اكتريت مع رجل من الأعراب أعرفه بالصلاح والدين، فلما رأني على هذه الحالة قال: صل على محمد صلى الله عليه وسلم مائة مرة ونم آمنا، ففعلت ذلك ونمت فإذا رجل يوقظني فارتعت وقلت: من أنت؟ فقال: اصطنعني واستنبنى. قلت: مالك؟ قال: هذه يدى قد احتسبها متاعك، وإذا هو قد شق عدلاً كنت نائمًا عليه وأدخل يده لاستخراج الثياب منه فلم يستطع إخراج يده، فأيقظت المكاري وأخبرته وسألته أن يدعوله فقال: أنت أولى بالدعاء فإنه من أجلك أصيب، فدعوت وأمن فأطلق عن الرجل فلا أنسى أسوداد يده من اختناق الدم فيها.

وفيه أيضاً: أنه صلوات الله وسلامه عليه قال «من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة، قبل يا رسول الله كيف نقول؟ قال صلى الله عليه وسلم: قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ونبيك وحبيبك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم».

وروى أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما أتى إلى غار ثور مع النبي صلى الله عليه وسلم سبق إلى دخوله فانبطح فيه وألقى نفسه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «لم فعلت هذا؟ قال: لأن هذه الغيران يكون فيها الهوام المؤذية فأحببت إن كان فيها شيء أن أفيك بنفسى. وقيل كان عليه رضي الله تعالى عنه برد ثمين فزرقه وحشا الأجررة فبقى جحران فسدهما بعقبه».

(والهامة) في الرؤيا: امرأة قوادة أو زانية.

(وحكمها) تحريم الأكل.

﴿الزئج﴾ : الفصيل الذى نتج فى آخر النواج يقال ماله هبع ولا ربع ، والأثنى هبعة والجمع هبعات .

﴿الزئدع﴾ : الكلب السلوق قاله ابن سيده ، وقد تقدم ما فى الكلب فى باب الكاف :

﴿الزئجة﴾ : الضفدع قاله ابن سيده أيضا ، والمعروف الهاجة :

﴿الزئرس﴾ : ولد الثعلب والجمع هجرس ، وقيل هو ولد الدب . وقال أبو زيد : هو القرد ، وفى الحديث أن عيينة بن حصن الفزارى مدرج له بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أسيد بن حضير رضى الله عنه : يا عين الهجرس أتمد رجلك بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى [الاستيعاب] فى ترجمة أسيد بن حضير قال : جاء عامر بن الطفيل وأريد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه أن يجعل لهما نصيبا من ثمر المدينة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عامر بن الطفيل : لاملأنا عليك خيلا جردا ورجالا مردا ، فقال صلى الله عليه وسلم : اللهم اكفنى شر عامر بن الطفيل فأخذ أسيد بن حضير الرمح وجعل يقرع رؤوسهما ويقول : اخرجا أيها الهجرسان ، فقال عامر : من أنت ؟ قال : أنا أسيد بن حضير ، فقال أبوك خير منك ، فقال : بل أنا خير منك ومن أبى مات أبى وكافر هو ، فقيل للأصمعى ما الهجرس ؟ قال : الثعلب ، فلما رجع عامر وأريد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا ببعض الطريق أرسل الله على أريد صاعقة فأحرقته وأحرقت بعيره ، وبعث الله على عامر الطاعون فى عنقه فقتله فى بيت امرأة سلولية من بنى سلول ، فجعل يقول : يا بنى عامر غدة كغدة البعير وموتا فى بيت سلولية . وذكر سيديويه قول عامر غدة كغدة البعير وموتا فى بيت سلولية فى باب ما ينصب على إضمار الفعل المتروك كأنه قال اغد غدة . قلت : ومن الأروام أن المستغفرى ذكر فى كتابه معرفة الصحابة عامر بن الطفيل وقال : إنه أسلم وسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمه كلمات يعيش بهن فقال صلى الله عليه وسلم : يا عامر أفسح السلام وأطعم الطعام واستحى من الله حق الحياء : وإذا أسأت فأحسن فإن الحسنات يذهبن السيئات . انتهى .

والصواب أن عامر بن الطفيل لم يؤمن بالله طرفة عين ولم يختلف أحد من أهل النقل فى ذلك ، وأما أريد المذكور فهو أخو لبيد الشاعر الذى عاش فى الإسلام ستين سنة لم يقل فيها شعرا ، سأله عمر رضى الله تعالى عنه عن تركه الشعر فقال : ما كنت لأقول شعرا بعد أن عانى الله البقرة وآل عمران ، فزاد عمر فى عطاؤه خمسمائة درهم من أجل هذا القول فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة ، فلما كان زمن معاوية أراد أن ينقصه فقال له : ما بال العلاوة

مفوق الفودين؟ فقال له لبيد رضى الله تعالى عنه: آن أن أموت وبصير لك العلاوة والفودان ،
فراق له معاوية وتركها له . ومات لبيد بعد ذلك بأيام قليلة ، وقد قيل إنه قال فى الإسلام
بيعا واحدا هو :

الحمد لله إذا لم يأتنى أجلى حتى لبست من الإسلام سربالا
وقيل قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد
(الأمثال) قالوا : أسفد من هجرس وأعلم وأزى :

(الهجرج) : الكلب السلوقى الخفيف قاله ابن سيده .

(السريين) : من الخليل والناس الذى أبوه عربى وأمه غير عربية ، والهجان من الإبل
البيض يستوى فيه المذكر والمؤنث ، يقال بعير هجان وناقه هجان وإبل هجان وامرأة هجان
أى كريمة .

(الهرهد) : بضم الهاءين وإسكان الدال المهملة بينهما طائر معروف ذو خطوط
مألوان كثيرة ، وكنيته أبو الأخبار . وأبو ثمامة وأبو الربيع وأبو روح وأبو سجاد وأبو عباد
ويقال له الهدهد . قال الراعى :

• كهدهاد كسر الرماة جناحه •

والجمع الهدهد بالفتح ، وهو طير متنن الريح طبعاً لأنه يبنى أفحوصه فى الزبل وهذا
عام فى جميع جنسه ، ويذكر عنه أنه يرى الماء فى باطن الأرض كما يراه الإنسان فى باطن
الزجاجة ، وزعموا أنه كان دليل سليمان على الماء . ولهذا السبب تفقده لما فقده ، وكان سبب
غيبه الهدهد عن سليمان عليه السلام أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس
عزم على الخروج إلى أرض الحرم ، فتهجز واستصحب من الجن والإنس والشياطين والطير
والوحش ما بلغ من عسكره مائة فرسخ ، فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام به ما شاء الله
أن يقم ، وكان ينحر كل يوم طول مقامه بمكة خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور
وعشرين ألف شاة ، وإنه قال لمن حضره من أشرف قومه : إن هذا مكان يخرج منه نبي
عربى من صفته كذا وكذا ، يعطى النصر على من ناواه وتبأخ هيبته مسيرة شهر ، القريب
والهعيد عنده فى الحق سواء لا تأخذه فى الله لومة لائم . قالوا : فبأى دين يأتى الله ؟
قال : بدين الحنيفية ، وطوبى لمن أدركه وآمن به . قالوا : فبكم بيننا وبين خروجه يا نبي الله ؟
قال : مقدار ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل ، وأقام
سليمان عليه السلام بمكة حتى قضى نسكه ، ثم خرج من مكة صباحاً وسار نحو اليمن فوافى

صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر ، فرأى أرضا حسناء تزهو خضرتها فأحب النزول فيها ليصلى ويتغذى ، فلما نزل قال المهدد : إن سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء فنظر إلى طول الدنيا وعرضها يمينا وشمالا فرأى بستانا بلقيس فقال إلى الخضره فوقع فيه ، فإذا هو بههدد من هدهاد اليمن فهبط عليه ، وكان اسم هدهد سليمان يعفور ، فقال هدهد اليمن ليعفور : من أين أقبلت وأين تريد؟ قال : أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليهما السلام ، فقال : ومن سليمان؟ قال : ملك الجن والإنس والشياطين والطيور والوحش والربيع ، وذكر له من عظمة ملك سليمان وما سخر الله له من كل شيء ، فن إن أنت؟ فقال له المهدد الآخر : أنا من هذه البلاد، ووصف له ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل ثم قال : فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها؟ فقال : أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء ، فقال المهدد الثاني : إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة ، فضى معه ونظر إلى ملك بلقيس وما رجع إلى سليمان إلا بعد العصر ، وكان سليمان قد نزل على غير ماء فسأل الإنس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلموا له خبرا ، فتفقد الطير ففقد المهدد ، فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن المهدد فلم يجد عنده علمه ، فغضب سليمان عليه السلام عند ذلك وقال : لأعذبه عذابا شديدا - الآية ، ثم دعا بالعقاب وهو سيد الطير فقال له : على بالمهدد الساعة ، فارتفع في الهواء فنظر إلى الدنيا كالتقصعة في يد الرجل ، ثم التفت يمينا وشمالا فإذا هو بالمهدد مقبلا من نحو اليمن فانقض عليه العقاب يريده فناشده الله وقال : أسألك بحق الذي قواك وأقدرك على إلا مارحمني ولم تعرض لي بسوء ، فتركه ثم قال له : ويحك شكلك أملك إن نبي الله قد حلف ليعذبك أو يذبحك ، فقال المهدد : أو ما استثنى نبي الله؟ قال : بلى : قال - أو ليأتيني بسلطان ميين - قال المهدد : قد نجوت إذن ، ثم طار المهدد والعقاب حتى أتيا سليمان عليه السلام ، فلما قرب منه المهدد أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تراضعا ، فأخذ سليمان رأسه فدهه إليه وقال : يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله عن سبب غيبته؟ فأخبره بأمر بلقيس ، وقد تقدمت الإشارة إلى طرف من قصتها في باب الدال والعين المهملتين في الكلام على الدود والعفريت .

قال الزمخشري : وكان السبب في تخلفه وغيبته عن سليمان عليه السلام أنه حين نزل سليمان خلف المهدد فرأى هدهدا واقفا فوصف له ملك سليمان وما يخبر له من كل شيء ، وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت كل قائد مائة ألف فذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر ، فدعا سليمان عليه السلام عريف الطير وهو النسر فلم يجد عنده علمه ، فقال لسيد الطير وهو العقاب : على به ، فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل

فقصدته ، فناشدها الله تعالى وقال : وحق الذى قواك وأقدرك على ألا مارحمتى فتركته وقال
 ثكلتك أمك إن نبي الله حلف ليعذبك . قال : أو ما استثنى ؟ قال : بلى . قال : — أو ليأتيني
 بسلطان مبين — فلما قرب من سمايان أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً له ، فلما
 دنا منه أخذ رأسه فدهه إليه فقال : يانبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا
 عنه ثم سأله . وأما قوله : لأعذبه فتعذبه بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه ، وقيل كان
 عذاب سمايان عليه السلام للطير أن ينف ريشه وذنبه ويقبه في الشمس معطاً لا يمنع من
 النمل ولا من هوام الأرض وهو أظهر الأقاويل . وقيل إنه يطلى بالقطران وبشمس ، وقيل إنه
 يلقى للنمل تأكله ، وقيل ليداعه الفصص ، وقيل التفريق بينه وبين إلفه ، وقيل لإلزامه صحبة
 الأضداد . وعن بعضهم أنه قال : أضيق السجون صحبة الأضداد ، وقيل حبسه مع غير جنسه ،
 وقيل لإلزامه خدمة أقرانه ، وقيل تزويجه من عجوز . فإن قلت : من أين أحل له تعذيب
 المهدد ؟ قلت : يجوز أن يبيع الله له ذلك كما أباح ذبح البهائم والطيور الأكل وغيره
 من المنافع .

وحكى القزويني أن المهدد قال لسمايان عليه السلام : أريد أن تسكون في ضيافتي ؟ قال :
 أنا وجمدي ؟ قال : بل أنت وأهل عسكرك في جزيرة كذا في يوم كذا ، فحضر سمايان عليه
 السلام بجنوده فطار المهدد فاصطاد جرادة فخنقها ورعى بها في البحر وقال : كاؤ
 يانبي الله ، من فاته اللحم ناله المرق ، فضحك سمايان وجنوده من ذلك حولاً كاملاً ،
 وفي ذلك قيل :

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة أهدت له من جراد كان في فيها
 وأنشدت باسان الحال فائلة إن الهدايا على مقدار مهديها
 لو كان يهدى إلى الإنسان قيمته لكان يهدى لك الدنيا وما فيها

قال عكرمة : إنما صرف سمايان عليه السلام عن ذبح المهدد لأنه كان باراً بأبويه ينقل
 الطعام إليهما فيزقهما في حال كبيرهما .

قال الجاحظ : وهو وفاء حفوظ ودود ، وذلك أنه إذا غابت أنثاه لم يأكل ولم يشرب
 ولم يشتغل بطعام ولا غيره ولا يقطع الصياح حتى تعود إليه ، فإن حدث حادث أعدمه
 إياها لم يسفد بعدها أنثى أبداً ، ولم يزل صائحاً عليها ما عاش ، ولم يشبع بعدها أبداً بطعم
 بل ينال منه ما يمسك رمقه إلى أن يشرف على الموت فعند ذلك ينال منه يسيراً .

وفي الكامل وشعب الإيمان للبيهقي أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس رضى الله عنهما
 فقال : سليمان عليه السلام مع ما خوله الله من الملك وأعطاه كيف عنى بالمهدد مع صغره ؟
 فقال له ابن عباس رضى الله عنهما : إنه احتاج إلى الماء والمهدد كانت الأرض له كالزجاج

كما تقدم ، فقال ابن الأزرق لابن عباس : قف يا وقاف كيف يبصر الماء من تحت الأرض
ولا يرى الفخ إذا غطى له بقدر أصبع من تراب ؟ فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما :
إذا نزل القضاء عمى البصر ، وأنشدوا في ذلك لأبي عمر الزاهد :

إذا أراد الله أمرا بامرئ وكان ذا عقل ورأى وبصر
وحيلة يفعلها في دفع ما يأتي به محتوم أسباب القدر
غطى عليه سمعه وعقله وسله من ذهنه سل الشعر
حتى إذا أنفذ فيه حكمه رد عليه عقله ليعتبر

ونافع بن الأزرق هو رأس فرقة من الخوارج يقال لها الأزارقة يكفرون على بن
أبي طالب رضي الله تعالى عنه إذ حكم ، وهو قبل التحكيم عندهم إمام عدل ، ويكفرون الحكيمين
أبا موسى وعمرا ، ويرون قتل الأطفال ، ولا يقيمون الحدود على من قذف محصنا ويقيمونها
على من قذف المحصنات وغير ذلك من الأقوال .

وأنشد أبو الشيص في صفة الهدهد :

لا تأمن على سرى وسرهم غيري وغيرك أوطى القراطيس
أو طائر سوف أجليه وأنعته مازال صاحب تنقير وتدريس
سود برائه ميل ذوائبه صفر حمالقه في الحسن مغموس

البرائن بالبلاء الموحدة وبالشاء المثلثة وبالنون في آخره أظفاره ، والذوائب ريشه ،
والحمالق الأجفان .

قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي الطيب صاحب دمية القصر وهي ذيل
يتيمة الدهر قتل سنة سبع وستين وأربعمائة :

لا تنكرى يا عز إن ذل الفتى ذوالأصل واستعلى خسيس المحتد
إن البزاة رءوسهن عواطل والتاج معقود برأس الهدهد

وقيل إن الإمام الحافظ أبو قلابة واسمه عبد الملك بن محمد الرقاشي رأت أمه وهي حامل
به كأنها ولدت هدهدا ، فقيل لها إن صدقت رؤياك فإنك تلدين ولدا ذكرا كثير الصلاة
فولدته ، فلما كبر كان يصلي كل يوم أربعمائة ركعة ، وحدث من حفظه ستين ألف
حديث ، ومات سنة ست وسبعين ومائتين ، رحمه الله تعالى :

(الحكم) الأصح تحريم أكله لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن أكله لأنه منتن الريح
ويقتات الدود. وقيل يحل أكله لأنه يحكى عن الشافعي وجوب الفدية فيه ، وعنده لا يفدى
إلا المأكول .

(الأمثال) قالوا : أسجد من هدهد ، يضرب لمن يرمى بالأبنة ، وقالوا : أبصر من
هدهد لما تقدم من رؤية الماء تحت الأرض .

(الخواص) إذا بخر البيت بريشة من ريشه طرد الهوام عنه ، وعينه إذا علقته على صاحب
النسيان ذكر مانسيه ، وكذلك يفعل قلبه إذا شوى وأكل مع سذاب ، وهو نافع للحفظ
والذكاء ولا ينسى شيئا وهو أنفع من حب الفهم وأسلم ، ومن أخذ عشرة هداهد ونزع
ريشها وتركها في دار أو دكان خرب ذلك المكان ولم يعمر أبدا ، ومن أخذ مصران الهدهد
وعلقه على من به الزيف نفعه ، ومن أخذ متقاره وهو ميت وخرز عليه جلده لم يتأف له
شيء ما دام عليه وإن دخل به على سلطان رحب به وأكرمه وأضى حوائجه ، ومن أخذ
تراب عش الهدهد وتركه في سجن خرج من فيه من وقته ، وإن أخذ من مخالب رجله مخلبا
واحدا وعلقه على صبي أو غيره لم يلحقه عين ولا يزال في عافية ما دام معاقا عليه ، ومن
أخذ ذنبه وشيئا من دمه وعلقه على شجرة لم تحمل أبدا وإن علق على دجاجة بياضة لم تبض
وإن علق على من به نرف الدم سكن عنه ، ومن أخذ لسانه وألقاه في شيء من دهن السمسم
وجعله تحت لسانه وسأل إنسانا حاجة قضاهها له ، وإذا حمل ريشه إنسان وخاصم غلب خصمه
وقضيت حاجته وظفر بما يريد ، ولحمه إذا أكل مطبوخا نفع من القولنج ، ودماع الهدهد
إذا أخرج وعمل في دقيق وعجن منه قرصة وجففت في الظل وأطعمت لإنسان ويقول المطعم
أطعمتك يا فلان ابن فلانة هدهدا وجعلتلك تسمع قولى وتطيعنى وتشهد لى كما شهد الهدهد
تسليمان عليه السلام فإن المطعم يحب المطعم حبا شديدا ، وإن أخذت قشرته وشددتها على
عضدك الأيسر وأخذت متقاره ولسانه وكتبت هذه الأسماء في رق ظبي وجعلتهما فيه وشددته
بخييط صوف كحلى أو أسود أو أحمر ودفتته تحت باب من تریده موضع دخوله وخروجه
فإنك تبلغ ما تریده منه من المحبة والعطف والقبول ، وهذه هى الأسماء التى تكبتها : فطيظم
مار نور ما نيل وصعانيل : ودم الهدهد إذا أخذ في صدفة وقطر في عين يطلع فيها الشعر أزاله
وإذا ذبحت هدهداً وأخذت دماغه وجففته وسحقته ببعض من المصطكي ودققت معه إحدى
وعشرين ورقة آس وخلطته وأشمته لمن ترید فإنه يحبك ، وعينه اليمنى إذا علقها عليك
خرقة جديدة وشددتها على عضدك الأيمن ودخات على من شئت فإنه لا يراك أحداً إلا أحبك ،
وإذا أردت سواد الشعر فخذ مصران الهدهد وجففه ثم سحقه بدهن سمسم وادهن به رأس من
ترید أو لحيته ثلاثة أيام فإن شعره يسود سوادا عظيما ، ودمه وهو حار إذا قطر على البياض
العارض في العين أذهبها ، وإن بخر بمخه برج الحمام لم يقربه شيء يؤذيه ، وإن علق هدهد
منذوب بجملته في بيت أمن أهله من السحر ، ومن علق عليه لحية الأسفل أحببته الناس ، وإن
بخر الخجنون بعرقه أبراه ، ولحمه إذا بخر به معقود عن الباه أو مسحور أبراه .
وقال جابر رحمه الله : إن قلب الهدهد إذا شوى وأكل مع سذاب فإنه ينفع للحفظ جدا
ومصران الهدهد إذا علق على من بها نرف الدم انقطع عنها ، وإن أخذت ثلاث ريشات من

الجناح الأيسر من الهدهد وكنس بها باب دار ثلاثة أيام قبل طلوع الشمس ويقول الكانس: كما انقطع هذا التراب من هذا المكان كذلك ينقطع فلان ابن فلانة من هذا المكان فإنه يخرج منه ولا يعود إليه أبداً ، وإن أحرقت جناحه الأيسر ونثرت رماده على طريق من تريد فإنه إذا وطئه أحبك حبا شديداً ، ومنتقار الهدهد وريشه من جناحه الأيمن إذا خرز في جاد وعلقت ذلك عليك باسم من تريد واسم أمه أحبك حبا شديداً ، وأطول ريشه في جناحه الأيسر أشد قبولا .

(التعبير) الهدهد في المنام : رجل عالم غني يثني عليه بالقبيح لنتن ريحه فن رآه نال عزا ومالاً فإن كلمه فإنه يأتيه خير من قبل السلطان لقوله تعالى : - وجنتك من سبأ بنياً يقين - وقال ابن سيرين : من رأى ههددا قدم له مسافر ، وقيل الهدهد رجل حاسب صاحب دهاء يخبر السلطان بما يحدث من الأمور لأنه أخبر سليمان عليه السلام بأمر بلقيس وكان صادقاً في قوله ، وربما كانت رؤيته أماناً للخائف . وقال ابن المقرئ : إن رؤيته تدل على هدم الدار العامرة أو الشيء العامر مأخوذ من اسمه ههدد ، وربما دلت على الرسول الصادق والقرب من الملوك والجاسوس أو الرجل العالم الكثير الجدال ، وربما دل على النجاة من الشدائد والعذاب وربما دل على المعرفة بالله تعالى وبما شرعه من الدين والصلاة . وإن رآه ظمآن اهتدى إلى الماء والله تعالى أعلم .

﴿ الهدي ﴾ : هو ما يهدى إلى الحرم من النعم والهدى أيضا مثله ، وقرئ - حتى يبلغ الهدى محله - بالتخفيف والتشديد وهما لغتان الواحدة هدية وهدية . وكان الهدى الذي صلى الله عليه وسلم في الحديدية ونحوه مائة بدنة . وقال المسور ابن مخزومة ومروان بن الحكم : سبعين بدنة والناس سبعائة فكانت البدنة عن عشرة وهذه غريب .

وعن مصعب بن ثابت قال : « والله لقد بلغني أن حكيم بن حزام رضى الله تعالى عنه حضر يوم عرفة ومعه مائة رقبة ومائة بدنة ومائة بقرة ومائة شاة فقال : هذا كله لله تعالى فأعتق الرقاب وأمر بتلك فنحرت » رواه الطبراني مرسل . وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت « أهدى النبي صلى الله عليه وسلم مرة غنما » وفيه استحباب تقليد الغنم . وقال مالك وأبو حنيفة : لا يستحب بل خصا التقليد بالإبل والبقر .

(فرع) اتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعاً فلمهدى أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى جابر « أنه صلى الله عليه وسلم أهدى في حجة الوداع مائة بدنة نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها بيده ثلاثاً وستين وأمر علياً فنحمر ما بقي منها ، ثم أمر رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن يؤخذ من كل بدنة بضعة فتجعل في قدر فأكلا من لحمها وحسبا من مرقتها .

واختلفوا في الهدى واجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والواجب بإفساد الحج وفواته وجزاء الصيد ؟ فذهب قوم إلى أنه لا يجوز أن يأكل منه شيئا ، وبه قال الشافعي ، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر . وقال ابن عمر رضی الله تعالى عنهما : لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما عداها ، وبه قال الإمام أحمد وإسحق . وقال مالك : يأكل من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر . وقال أصحاب الرأي : يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من كل واجب سواهما ، والله تعالى أعلم .

﴿ الهرمبل ﴾ : ذكر الحلمم ، وقد تقدم ما في الحمام في باب الحاء المهملة . قال جران العود :

كان الهديل الظالع الرجل وسطها من البغي شريب يغرد منزف
والهديل : صوت الحمام يقال هذل القمري يهدل هديلا . والهديل : فرخ كان على عهد
نوح عليه الصلاة والسلام فصاده جارح من الطير فليس من حمامة إلا وتبكي عليه إلى يوم
القيامة . قال نصيب :

فقلت أتبكي ذات طوق تذكرت هديلا وقد أودى وما كان تبع
يقول : لم يخلق تبع بعد .

﴿ الهرماس ﴾ : بكسر الهاء من أسماء الأسد ، وقيل هو الشديد من السباع . والهرماس
ابن زياد الباهلي من الصحابة سكن البصرة وطال عمره ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
حديثين أحدهما عند أبي داود والآخر رواه النسائي : والهرميس بكسر الهاء أيضا الكركدن
عند ابن سيده . قال ، وهو أكبر من النميل . قال الشاعر :

• والفيل لا يبقى على الهرميس •

﴿ الهرر ﴾ : السنور والجمع هررة كقرد وقردة والأثني هررة ، وتقدم في خواص الأسد
وفي الكلام على الفأرة أن الهررة خلقت من عطسة الأسد ، روى الإمام أحمد والبخاري ورجال
الإمام أحمد ثقات من حديث أبي هريرة رضی الله تعالى عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم
رأى رجلا يشرب قائما فقال صلى الله عليه وسلم : أيسرك أن يشرب معك الهرر ؟ قال : لا .
قال : لقد شرب معك الشيطان » وفي تاريخ ابن النجار في ترجمة محمد بن عمر الخنيلي عن أنس
رضي الله عنه قال « كنت جالسا عند عائشة رضی الله تعالى عنها أبشرها بالبراءة فقالت : والله
لقد هجرني القريب والبعيد حتى هجرتني الهررة ، وما عرض علي طعام ولا شراب فكنت

أرقد وأنا جائعة ، فرأيت الليلة في منامى فتي فقال : مالك حزينة ؟ فقلت : مما ذكر الناس فقال : ادعى بهذه الكلمات يفرج عنك ، فقلت : وما هي ؟ فقال : قولى دعاء الفرج :
يا سايع النعم ، ويا دافع النقم ، ويا فارح الغم ، ويا كاشف الظلم ، ويا أعدل من حكم .
ويا حسيب من ظلم ، ويا ولى من ظلم ، ويا أول بلا بداية ، ويا آخر بلا نهاية ، ويا من له اسم بلا كنية : اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا ، قالت : فانتبهت وأنا ريانة شبعانة ، وقد أنزل الله برأتى وجاءنى الفرج . وفى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال « إن الشيطان عرض للنبي صلى الله عليه وسلم فى صلواته . قال عبد الرزاق : فى صورة هر قال صلى الله عليه وسلم : فشد على يقطع على صلاتى فأكنى الله فذعته : أى خنفته ، ولقد هممت أن أوثقه فى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا تنظرون إالىه ، فذكرت قوله أخى سليمان - رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى - فرده الله خاسئا .

وروى ابن أبى خيثمة عن ميمونة بنت سعيد مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الاستيعاب عن سلمان الفارسى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالهر وقال : إن امرأة عذبت فى هرة ربطتها » الحديث ، وهو فى الصحيحين وفى الزهد للإمام أحمد « رأيتها فى النار وهى تنهش قبلها وديبرها » والمرأة المعذبة كانت كافرة كما رواه البزار فى مسنده ، والحافظ أبو نعيم فى تاريخ أصبهان ، ورواه البيهقى فى البعث والنشور عن عائشة رضى الله تعالى عنها فاستحقت التعذيب بكفرها وظلمها . وقال القاضى عياض فى شرح مسلم : يمحتمل أن تكون كافرة ونفى النووى هذا الاحتمال وكأنهما لم يطلعا على نقل فى ذلك .

وفى مسند أبى داود الطيالسى من حديث الشعبى عن علقمة قال « كنا عند عائشة رضى الله الله تعالى عنها ومعناه أبو هريرة فقالت : يا أبا هريرة أنت الذى تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأة عذبت بالنار من أجل هرة ؟ قال أبو هريرة : نعم سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت عائشة : المؤمن أكرم على الله من أن يعذبه من أجل هرة إنما كانت المرأة مع ذلك كافرة ، يا أبا هريرة إذا حدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر كيف تحدث » وقد تقدم فى الفرس ما أنكرته عائشة على أبى هريرة .

وروى ابن عساكر فى تاريخه عن بعض أصحاب الشبلى أنه رآه فى النوم بعد موته فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه وقال : يا أبا بكر أتدرى بماذا غفرت لك ؟ فقلت : بصالح عملى ، فقال : لا : قلت : بإخلاصى فى عبوديتى . قال : لا . قلت : بهجى وصومى وصلاتى . قال : لم أغفر لك بذلك ، فقلت : بهجرتى إلى الصالحين وإدامة أسفارى فى طلب العاوم ، فقال : لا . فقلت : يارب هذه المنجيات التى كنت أعقد عليها خنصرى .

وظنى أنك بها تعفو عني وترحمني ، فقال : كل هذه لم أغفر لك بها ، فقلت : إلهي فماذا ؟ قال : أتذكر حين كنت تمشي في دروب بغداد فوجدت هرة صغيرة قد أضعفها البرد وهي تزوي من جدار إلى جدار من شدة البرد والثلج فأخذتها رحمة لها فأدخلتها في فروو كان عليك وقاية لها من ألم البرد ؟ فقلت : نعم ، فقال : برحمتك لتلك الهرة رحمتك . وأبو بكر الشبلي اسمه دلف بن جحدر ، وقيل جعفر بن يونس الخراساني كان سيداً عالماً صالحاً محدثاً مالكي المذهب صحب الجنيد رضي الله عنه ، وكان في ابتداء أمره واليا على دنياوند فتاب في مجلس خير الناسج ، وكانت له خطفات وسكرات وغرقات توجب تلك الغرقات شطحات ، فقام عنده فيها ودخل على الجنيد يوماً فوقف بين يديه وشفق وأنشد يقول :

عودوني الوصال والوصل عذب ورموني بالصد والصد صعب
زعموا حين أزمعوا أن ذنبي فرط حبي لهم وما ذاك ذنب
لا وحق الخضوع عند التلاق ما جزا من يحب إلا يجب

فأجابه الجنيد رحمه الله تعالى :

وتمنيت أن أرا ك فلما رأيتكا
غلبت دمهشة السرو ر فلم أملك البكا

ومن شعر الشبلي رحمه الله :

مضت الشيبية والحبيبة فانبرى دمعان في الأجنان يزدهجان
ما أنصفتني الحادثات رميني بمودعين وليس لي قلبان

توفي الشبلي رحمه الله في سنة أربع وثلاثين وثمانمائة وله سبع وثمانون سنة . وفي كامل ابن عدي في ترجمة أبي يوسف صاحب أبي حنيفة أنه روى عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت « كان النبي صلى الله عليه وسلم تمر به هرة فيصغى لها الإناء فتشرب ثم يتوضأ بفضلها » قال : وكان أبو يوسف يقول : من طلب غرائب الحديث كذب ، ومن طلب المال بالكيمياء افتقر ، ومن طلب الدين بالكلام ترندق . وفي آخر كتاب مناقب الشافعي رضي الله تعالى عنه للحاكم أبي عبد الله بإسناده إلى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : سمعت الشافعي يقول : اختصم رجلان إلى بعض القضاة في هرة ادعى كل منهما أنها له وأن عنده أولادها ، فحكم القاضي أن توسط بين داريهما ثم ترسل فأى دار دخلت فهي لصاحبها . قال الشافعي : فانجفل الناس وانجفلت معهم فلم تدخل الهرة دار واحداً منهما . قال الشافعي : فبطل قضاؤه .

(غريبة) : ذكر أن مروان الجعدي المنبوذ بالحمار آخر خلفاء بني أمية لما ظهر السفاح بالكوفة وبويع له بالخلافة وجهز العساكر إليه فانهمز منهم حتى وصل إلى أبي صير وهي

عقوبة عند الفيوم قال : ما اسم هذه القرية ؟ قيل أبو صير . قال : فيلى الله المصير ، ثم دخل الكنيسة التي بها فبلغه أن خادما له ثم عليه فأمر به فقطع رأسه وسل لسانه وألقى على الأرض فجاءت هرة فأكلته ، ثم بعد أيام هجم على الكنيسة التي كان نازلا بها عامر بن إسماعيل فخرج مروان من باب الكنيسة وفي يده سيف وقد أحاطت به الجنود وخفقت حوله الطبول فتمثل بيت الحجاج بن حكيم السلمى وهو يقول :

متقلدين صفاحنا هندية يتركن من ضربوا كأن لم يولد

ثم قاتل حتى قتل فأمر عامر برأسه فقطع في ذلك المكان وسل لسانه وألقى على الأرض فجاءت تلك الهرة بعينها فحفظته فأكلته ، فقال عامر : لو لم يكن في الدنيا عجب إلا هذا لكان كافيا لسان مروان في فم هرة . وقال في ذلك شاعرهم :

قد يسر الله مصرا عوة لكم وأهلك الكافر الجبار إذ ظلما
فلاك مقوله هر يجرده وكان ربك من ذى الظلم منتقما

ودخل عامر بعد قتله الكنيسة فتعد على فرش مروان وكان مروان حين الهجوم على الكنيسة يتعشى ، فلما سمع الوجبة وثب عن عشائه فأكل عامر ذلك الطعام ، ودعا بابنة لمروان وكانت أسن بناته فقالت : يا عامر إن دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه حتى تعشيت بعشائه واستصبحت بمصباحه ونادمت ابنته لقد أبغ في موعظتك وأجل في إيقاظك ، فاستحيا عامر وصر فيها ، وكان قتل مروان في سنة ثلاث وثلاثين ومائة .

(الحكم) يحرم أكل الهر على الصحيح . والثاني وبه قال الليث بن سعد يحل أكله واختاره أبو الحسن البوشنجى وهو من أئمة أصحابنا ، وهو حيوان طاهر لما روى الإمام أحمد والدارقطنى والحاكم والبيهقى من حديث أبي هريرة رضى الله تعالى عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم دعى إلى دار قوم فأجاب وإلى دار آخرين فلم يجب ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : إن في دار فلان كلبا ، فقيل له وإن في دار فلان هرة ، فقال صلى الله عليه وسلم : الهرة ليست بنجسة وإنما هى من الطوافين عليكم والطوافات » قال الإمام النووى فى شرح المذهب : وبيع الهرة الأهلية جائز بلا خلاف عندنا إلا ما حكاه البغوى فى شرح مختصر المزنى عن ابن القاص أنه قال : لا يجوز ، وهذا شاذ باطل مردود ، والمشهور عنه جوازه . وبه قال جماهير العلماء : قال ابن المنذر : أجمعت الأمة على جواز اتخاذها ، ورخص فى بيعها ابن عباس والحسن وابن سيرين والحكم وحامد ومالك والثورى والشافعى وإسحاق وأبو حنيفة وسائر أصحاب الرأى ، وكرهت طائفة بيعها منهم أبو هريرة وطاوس ومجاهد وجابر بن زيد ، وقال ابن المنذر : إن ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم النهى عن بيعه فبيعه باطل وإلا فجائز ، واحتج من منعه بحديث ابن الزبير قال « سألت جابرا رضى الله عنه عن ثمن الكلب والسنور ؟ فقال : نهى النبي

صلى الله عليه وسلم عن ذلك» رواه مسلم: وفي سنن أبي داود والترمذى وابن ماجه من حديث جابر رضى الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الهر» واحتج أصحابنا بأنه طاهر منتفع به ووجد فيه جميع شروط البيع فجاز بيعه كالحمار والبغل. والجواب عن الحديثين من وجهين: أحدهما جواب أبي العباس بن القاص والخطابي والقفال وغيرهم أن المراد الهرة الوحشية فلا يصح بيعها لعدم الانتفاع بها إلا على الوجه الضعيف القائل بجواز أكلها. والثاني أن المراد نهى تنزيه فهذان الجوابان هما المعتمدان، وأما ما ذكره الخطابي وابن عبد البر أن الحديث ضعيف فغلط منهما لأن الحديث فى صحيح مسلم بإسناد صحيح كما تقدم بيانه فى باب السنين المهملة. وفى السنن للأربعة من حديث كبشة بنت كعب بن مالك وكانت تحت بعض ولد أبي قتادة «أن أبا قتادة رضى الله عنه دخل فسكبت له وضوءا فجاءت هرة فشربت منه فأصغى لها الإناء حتى شربت. قالت كبشة: فرآنى أنظر إليه، فقال: أتعجبين يا ابنة أخى؟ فقلت: نعم، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنها ليست بنجس لأنها من الطوافين عليكم والطوافات» الطوافون: الخدم والطوافات الخادמות جعلها بمنزلة المماليك فى قوله تعالى - ويطوف عليهم ولدان مخلدون - ومنه قول إبراهيم النخعى إنما الهرة كبعض أهل البيت كذا نقله الزمخشرى. وفى المستدرک وسنن ابن ماجه وكامل ابن عدى عن عبد الرحمن ابن أبى الزناد عن أبيه عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «الهرة لا تقطع الصلاة إنما هى من متاع البيت».

(فرع) إذا كان للإنسان هرة تأخذ الطيور وتقلب القدور فأفلفت وأتلفت فهل على صاحبها ضمان ما أتلفت؟ وجهان أحدهما نعم سواء أتلفت ليلا أو نهارا لأن مثل هذه الهرة ينبغى أن تربط ويكف شرها، وكذا الحكم فى كل حيوان يولع بالتعدى، أما إذا لم يعهد منها ذلك فالأصح لاضمان لأن العادة جرت بحفظ الطعام عنها لا بربطها، وإطلاق أمام الحرميين فى ضمان ما تتلفه الهرة أربعة أوجه: أحدها يضمن، والثانى لا، والثالث يضمن ليلا لانهارا، والرابع عكسه لأن الأشياء تحفظ عنها ليلا: وإذا أخذت الهرة حمامة أو غيرها وهى حية جاز قتل أذنفا وضرب فمها لترسلها، فإذا قصدت الحمام فأهلكت بالدفع فلا ضمان، فإذا كانت الهرة ضارية بالإفساد فقتلها إنسان فى حال إفسادها دفعا جاز ولا ضمان عليه كقتل الصائغ دفعا، وينبغى تقييد ذلك بما إذا لم تكن حاملا لأن فى قتل الحامل قتل أولادها ولم يتحقق منهم جناية، وأما قتلها فى غير حالة الإفساد ففيه وجهان أحدهما عدم الجواز ويضمنها. وقال القاضى حسين: يجوز قتلها ولا ضمان عليه فيها، وتالحق بالقواسم الخمس فيجوز قتلها ولا يختص بحال ظهور الشر، وسؤرها طاهر لطهارة عينها ولا يكره، فلو تنجس فمها ثم ولغت فى ماء

قليل فثلاثة أوجه : الأصح أنها إن غابت واحتمل ولو غها في ماء يطهر فيها ثم ولغتم تنجسه ،
والثاني تنجسه مطلقا ، والثالث عكسه وغير الماء من المائعات كالماء .
(الأمثال) قالوا : أبر من هرة . أرادوا بذلك أنها تأكل أولادها من شدة الحب لهم .
قال الشاعر :

أما ترى الدهر وهذا الوري كهرة تأكل أولادها

وقالوا : فلان لا يعرف هر من بر : قال ابن سيده : يعني لا يعرف الهر من الفأر .
وقال الزمخشري : لا يعرف من يكرهه ممن يبره . وما أحسن قول أحمد بن فارس صاحب
المجمل في اللغة ، وكانت وفاته سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة :

إذا ازدحمت هموم الصدر قلنا عسى يوما يكون لها انفراج

نديمي هرتي وأنيس نفسي دفاتر لي ومعشوق السراج

قال شيخنا اليافعي رحمه الله تعالى : أخبرني بعض الصالحين من أهل اليمن أن هرة كانت
تأني الشيخ العارف الأهدل بالدال المهملة فيطعمها من عشائه وكان اسمها لؤلؤة ، فضر بها
خادم الشيخ ذات ليلة فانت فرمى بها الخادم في خرابة لئلا يعلم الشيخ بذلك ، فلما جاء الشيخ
سكت عنه ليلتين أو ثلاثة ثم قال : أين لؤلؤة ، فقال : ما أدري ؟ فقال الشيخ : ما تدري !
ثم ناداها : لؤلؤة لؤلؤة ، فجاءت تجرى إليه فأطعمها على العادة . والخواص تقدمت في باب
السين في لفظ السنور .

(تنمة) قال صاحب بن عباد : أنشدني أبو الحسن بن أبي بكر الحسن بن علي العلاف
البغدادي المقرئ الأديب قصيدة والده في الهر الذي كنى به عن ابن المعتز حين قتله المقتدر فحشى
من المقتدر ونسبها إلى الهر وعرض به في أبيات منها ، وقيل إنما كنى بالهر عن الحسن بن الوزير
أبي الحسن علي بن الفرات أيام محنته لأنه لم يجسر أن يذكره ويرثيه ، وقيل كان له هر يأنس
به فكان يدخل أبراج الحمام التي لجيرانه ويأكل فراخها فأمسكه أربابها فذبجوه فرثاه
بقصيدة ، وقال ابن خلكان : وهي من أحسن الشعر وأبدعه وعددها خمسة وستون بيتا
وطولها يمنع من الإتيان بجميعها فنأى بحاسنها وفيها أبيات مشتملة على حكم فنأى بها وأولها :

ياهر فارقتنا ولم تعد وكنت عندي بمنزلة الولد

فكيف تنفك عن هواك وقد كنت لنا عدة من العدد

تطرد عنا الأذى وتحرسنا بالغيب من حية ومن جرد

وتخرج الفأر من مكانتها ما بين مفتوحها إلى السدد

يلقاك في البيت منهمو مدد وأنت تلقاهم بلا مدد

لا عدد كان منك منقلتنا منهم ولا واحد من العدد

ولا تهاب الشتاء في الجمد
أمرك في بيتنا على سدود
ولم تكن للأذى بمعتقد
ومن يحم حول حوضه يرد
وأنت تنساب غير مرتعد
وتبلغ الفرخ غير متشد
وتبلغ اللحم بلع مزدرد
فتلك أربابها من الرشد
وساعد النصر كيد مجتهد
أفلت من كيدهم ولم تسكد
شفت وأسرفت غير مقتصد
منك وزادوا من يصد يصد
منك ولم يرعوا على أحد
حتى سقيت الحمام بالرصد

لم ترث منها لصوتها الفرد
أذقت أفراخه يداً بيد
جيدك للمخلق كان من مسد
فيه وفي فيك رغبة الزيد
تقدر على حيلة ولم تجد
مت ولا مثل عيشك النسكد
أنت ومن لم يجد بها يجد
ومت ذا قاتل بلا قود
ويحك هلا قنعت بالغدد
وثبت في البرج وثبة الأسد
تأخرت مدة من المدد
يا كلك الدهر أكل مضطهد
أعزه في الدنو والبعد
كان هلاك النفوس في المعد

لا ترهب الصيف عند هاجرة
وكان يجري ولا سدود لهم
حتى اعتقدت الأذى لجيرتنا
وحمت حول الردى لظلمهم
وكان قلبي عليك مرتعدا
تدخل برج الحمام متندا
وتطرح الريش في الطريق لهم
أطعمك الغى لحمها فرأى
حتى إذا داوموك واجتهدوا
كادوك دهرا فما وقعت وكم
فحين أخفرت وانهمكت وكا
صادوك غيظا عليك وانتقموا
ثم شفوا بالحديد أنفسهم
فلم تزل للحمام مرتصدا

ومنها:

لم يرحموا صوتك الضعيف كما
أذاقك الموت ربهن كما
كأن جبلا حوى بوجودته
كأن عيني تراك مضطربا
وقد طلبت الخلاص منه فلم
فما سمعنا بمثل موتك إذ
فجدت بالنفس والبخيل بها
عشت حريضا يقوده طمع
يا من لذيد الفراخ أوقعه
ألم تخف وثبة الزمان كما
عاقبة الظلم لا تنام وإن
أردت أن تأكل الفراخ ولا
هذا بعيد من القياس وما
لا بارك الله في الطعام إذا

كم دخلت لقمة حشاشره فأخرجت روحه من الجسد
ومنها :

ما كان أغناك عن تسورك الـ
قد كنت في نعمة وفي دعة
تأكل من فأر بيتنا رغدا
وكنت بددت شملهم زمنا
فلم يبقوا لنا على سبد
وفرضوا قعرها وما تركوا
وفتوا الخبز في السلال وكم
ومزقوا من ثيابنا جددا
برج ولو كان جنة الخلد
من العزيز المهيمن الصمد
وأين بالشاكرين للرغد
فاجتمعوا بعد ذلك البدد
في جوف أبياتها ولا لبد
ما علقته يد على وتد
تفتت للعيال من كبد
فكلنا في المصائب الجدد

وكان ابن العلاف ينادم المعتضد بالله فبات ليلة في دار المعتضد مع جماعة من ندمائه
فجاء خادم ليلا فقال : إن أمير المؤمنين يقول لكم أرقت ليلة فقلت :

ولما انتبهنا للخيال الذي سرى إذ الدار قفري والمزار بعيد

وقد أرتج على تمامه ، فن أجازه بما وافق غرضي فأرتج على الجماعة وكانوا كلهم أفاضل
فقال ابن العلاف :

فقلت لعيني عاودي النوم واهجعي لعل خيالا طارقا سيمود

فعاد الخادم إلى المعتضد ثم رجع إلى ابن العلاف وقال : يقول أمير المؤمنين : قد أحسنت
وأمر لك بجائزة سنوية ، وكانت وفاة ابن العلاف سنة ثمانى عشرة وثلثمائة وعمره مائة سنة .

(التعبير) الهر في الرؤيا : خادم حافظ فإن خطف شيئا فهو لص الدار وخذشه وعضه
خيانة الخادم وقال ابن سيرين : عض الهر مرض سنة وكذلك خدشه ، والهر إذا لم يكن
يأمو فهو سنة فيها راحة لمن رآه ، والهر الوحشى سنة فيها تعب ونصب ، ومن باع هرة فإنه
ينفق ماله . وقالت اليهود : الهر يعبر بالغازين واللصوص لأن فيها المنفعة والمضرة . وقال
أرطاميدروس : الهر في المنام امرأة خداعة صخابة ، وعض الهر مرض في تلك السنة . ومن
الرؤيا المعبرة أن ابن سيرين أته امرأة فقالت : رأيت كأن سنورا أدخل رأسه في بطن زوجي
فأخذ منه قطعة ؟ فقال ابن سيرين : سرق لزوجك ثلثمائة درهم وستة عشر درهما . قالت :
صدقت فمن أين لك هذا ؟ قال : من هجاء حروفه في حساب الجمل ، فالسين ستون والنون
نخسون والواو ستة والراء مائتان فصار المبلغ ثلثمائة وستة عشر درهما ، فاتهموا عبدا كان
في جوارهم فضربوه فأقر بالمال : ومن رأى كأنه أكل لحم سنور فإنه يتعلم السحر ،
والله تعالى أعلم .

﴿الهرنصانة﴾ : بالكسر دودة تسمى السرفقة ، وقد تقدمت في باب السين المهملة .

﴿هرثمة﴾ : من أسماء الأسد حكاه ابن سيده وغيره :

﴿الهرهير﴾ : نوع من السمك ، وقال المبرد : إنه مركب من السلحفاة ومن أسود صالح ، قال : وهو من أخبث الحيات ينام ستة أشهر ثم لا يسلم سليمة انتهى . والظاهر أنه مشترك بين الحية والسمك .

﴿الهرزوره والهرزانه﴾ : العظيم ، وقد تقدم في باب الظاء .

﴿الهرزار﴾ : بفتح الهاء : العندليب ، وقد تقدم في باب الصاد المهملة في الكلام على الصعوة قول الشاعر :

الصعو يرتع في الرياض وإنما حبس الهزار لأنه يترنم

﴿الهرزبر﴾ : بكسر الهاء وفتح الزاي وإسكان الباء الموحدة وبالراء المهملة في آخره : الأسد كذا حكاه الجوهري . وقال غيره : إنه حيوان على شكل السنور الوحشي وفي قدّه إلا أن لونه يخالف لونه ، وهو من ذوات الأنياب ، ويوجد في بلاد الحبشة كثيرا لكن يؤيد ما حكاه الجوهري ما قاله بشر بن أبي عوانة لما قتل الأسد :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت	وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا
إذا لرأيت ليثا رام ليثا	هزبرا أغلبا لاقى هزبرا
تهنّس إذ تقاعس عنه مهري	فقلت له عقرت اليوم مهرا
أتل قديمي بطن الأرض إني	وجدت الأرض أثبت منك ظهرا
وقلت له وقد أبدى نصالا	محددة ولحظا مكفهرا
يدل بمخلب وبجد ناب	وباللحظات تحسبن جبرا
وفي يمناي ماضى العزم أبغى	بمضربه قراع الموت أورا
فأنت تروم للأشبال قربا	ومطلي لبنت العم مهرا
فلما ظن أن النصح غش	ونخال مقاتي زورا وهجرا
مشى ومشيت من أسدين راما	مراما كان يطلباه وعرا
هزرت له الحسام فخلت أني	سللت به لدى الظلماء فجرا
وجدت بضربة جاءته شفعا	بساعد ماجسد تركته وترا
فخر مجندلا فحسبت أني	هدمت له بناء مشمخرا
وقلت له يعز علي أني	قتلت مناسي جلدا وقهرا

ولكن رمت شيئا لم يرمه سواك فلم تطق ياليت صبرا
فلا تجزع فقد لاقيت حرا يحاذر أن يعاب فت حرا
وأبو الهزبر الملك المؤيد صاحب اليمن داود بن الملك المظفر يوسف بن عمر كانت دولته
بضعاً وعشرين سنة ، وكان عالماً فاضلاً شجاعاً ، وكان عنده من الكتب نحو مائة ألف مجلد ،
وكان يحفظ التنبيه وغيره ، وأبو الملك المظفر وولده الملك المجاهد كانا في العلم أرفع منه درجة
وأذكي قريحة وأشهر فضلاً ، تغمدهم الله برحمته .

﴿ الهرعة ﴾ : القملة . قيل مكتوب على عرش بلقيس :

ستأني سنون هي المعضلات يراع من الهرعة الأجلد
وفيها يهين الصغير الكبير وذو العلم يسكنه الأجهل

﴿ الهرف ﴾ : جنس من السمك صغار وهو الحساس المتقدم ذكره في باب الخاء المهملة .

﴿ الهقل ﴾ : بكسر الهاء : القتي من النعام وبه لقب محمد بن زياد الهقل الدمشقي كاتب
الأوزاعي ، وكان يسكن بيروت فغلب عليه هذا اللقب . قال ابن معين : مما كان بالشأم
أوثق منه ، وكان أعلم الناس بمحاسن الأوزاعي وفتياه ، توفي سنة تسع وسبعين ، وروى
له الجماعة سوى البخاري ، وفي المثل قالوا : أشم من هقل .

﴿ الهقلس ﴾ : كعقلس : الذئب ، وقد تقدم الكلام على الذئب في باب الذال المعجمة
مستوفى قال الكهيت :

ونسلم أصوات القراعل حوله يعاوين أولاد الذئاب الهقالسا
يعنى حول الماء الذي ورده .

﴿ الهرمج ﴾ : جمع همجة : وهو ذباب صغار كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير
وأعينها ، اشتقوا من اسمه ما يؤكد به ، فقالوا : همج هامج ، كقرهم : ليل لائل وصيف
صائفت ووتد واتد ويوم أيوم وجاهلية جهلاء ، ويقال للرعاع من الناس الحمقى إنما هم
الهمج ، قال علي رضي الله تعالى عنه : سبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة . وقال لكامل
ابن زياد : يا كليل القلوب أوعية وخبرها أوعاها للخير : والناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم
على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق . والرباني : الراسخ في العلم العامل بعلمه .
وقال صاحب قوت القلوب في تفسير قول علي كرم الله وجهه : هذا الهمج الفراش الذي
يتهاق في النار لجهله واحدته همجة ، والرعاع الخفيف الطياش الذي لا عقل له يستفزه
الطمع ويستخفه الغضب ويزدهيه العجب ويستطيله الكبير ، قال : ثم بسكى على وقال :
هكذا يموت العلم بموت حامله انتهى كلامه :

﴿ الهمع ﴾ : بفتح الهاء والميم : الصغير من الطباء خاصة .

﴿ الحمل ﴾ : بالتحريك الإبل بلا راع مثل النفس إلا أن النفس لا يكون إلا ليلاً وهو الحمل يكون ليلاً ونهاراً ، ويقال إبل حمل وهاملة وهمال وهوامل ، وتركها هملاً أى سدى إذا أرسلتها يرعى ليلاً ونهاراً بلا راع . وفى المثل : اختلط المرعى بالحمل ، والمرعى الذى له راع قاله الجوهري ، وما أحسن ما صنع الطغرائى فى ختمه لاميته بقوله :

ترجو البقاء بدار لا ثبات لها فهل سمعت بظل غير منتقل
قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الحمل

أشار به إلى قوله تعالى - أبحسب الإنسان أن يترك سدى - أى معطلا لا يؤمر ولا ينهى ، ويقال أسديت حاجتى أى ضيعتها وإبل سدى أى ترعى حيث شاءت بلا راع كذا فسرهُ الثعلبى وغيره .

﴿ الهمع ﴾ : بالتحريك مع تشديد اللام : الذئب . قال الشاعر :

• والشاء لا تمشى مع الحملع •

أى لا تنمو مع رؤية الذئب . والشاء هو نماء المال وزيادته ، يقال مشى الرجل وأمشى إذا نما ماله وكثرت ماشيته ، وقيل فى قوله تعالى - أن امشوا واصبروا على آهتكم - إنه من المشاء لان المشى قاله السبيلى قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وأفادبعده بسطرين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة رضى الله تعالى عنها « إن الله أعلمنى أنه عيسى وبنى معك فى الجنة مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون ، فقالت : بالرفاء والبنين » وذكر أيضاً فى الحديث « أن النبي صلى الله عليه وسلم أطعم خديجة رضى الله عنها من عنب الجنة » .

﴿ الهمهم ﴾ : الأسد قاله ابن سيده ، وقد تقدم ما فى الأسد .

﴿ الهنبر ﴾ : مثل الخنصر : ولد الضبيع ، قال أبو زيد : من أسماء الضبيع أم هنبر فى لغة بنى فزارة . قال الشاعر القتال الكلابى :

ياقاتل الله صبيانا تجيء بهم أم الهنبر من زند لها وارى
وقال أبو عمرو : الهنبر الجحش ، ومنه قيل للأتان أم الهنبر .
(وقالوا فى المثل) أحق من أم الهنبر .

﴿ الهمودع ﴾ : بفتح الهاء والداً المهملة وبالعين المهملة فى آخره : النعامة ، وقد تقدم ما فيها .

﴿ الهوزنة ﴾ : بفتح الهاء وسكون الواو وبعدها ذال معجمة : ضرب من الطير . وقال قطرب : هي القطاة والجمع هوذ. وبذلك سمي هوذة بن علي الحنفي الذي أرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو العامري فأكرمه وأنزله ، وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم : ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله وأنا خطيب قومي وشاعرهم فأجعل لي بعض الأمر فأبى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما قدم سليط على هوذة ومعه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى ، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخلف والخافر فأسلم تسلم وأجعل لك ماتحت يديك ، فلما قرأ الكتاب أنزله وحياه ورده ردا دون رد ، وأجاز سليط بن عمرو بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم ، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من فتح مكة جاءه جبريل فأخبره أنه قد مات على نصرانته « والله تعالى أعلم .

﴿ الهوزنه ﴾ : بفتح الهاء وإسكان الواو وفتح الزاي : طائر قاله ابن سيده . وبإبدال الواو ياء رجل من أعراب فارس وهو القائل فيما حكى الله عنه - قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم - في قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ورميه في النار ، وهو الذي جاء فيه الحديث الذي انفرد به مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « بينما رجل يمشى قد أعجبتته جمته وبرده إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة » .

﴿ الهربع ﴾ : بضم الهاء : الذئب من قولهم رجل هلابع : أي حريص على الأكل .
 ﴿ الهربول ﴾ : بكسر الهاء : الحية مطلقا ، وقيل الذكر من الحيات ، والهلال أيضاً الجمل الذي جرب حتى أده ذلك إلى الهزال ، والهلال الهلال المعروف .

﴿ الهيثم ﴾ : بفتح الهاء : فرخ الخباري ، ومنه سمي الرجل هيثما . وقال الجوهري : إنه فرخ العقاب ، وقيل فرخ النسر أيضاً قاله في كفاية المنحفظ :

﴿ الهيجمانه ﴾ : الدر ، وقد تقدم لفظ الدر في باب الذال المعجمة .

﴿ الهيطل ﴾ : الثعلب ، وقد تقدم لفظ الثعلب في باب الثاء المثناة .

﴿ الهيعرة ﴾ : الغول ، والمرأة الفاجرة ، والخفة والطيش .

﴿ الهيمه ﴾ : بفتح الهاء وسكون الياء المثناة تحت قبل القاف : ذكر النعام ، وكذلك الهيقم والميم زائدة قال الراجز :

• أشم من هيق وأهدى من جمل •
وقال آخر : وهو يشم كاشتمام الهيق .

﴿ الريكل ﴾ : بفتح الهاء : الفرس الطويل الضخم .

﴿ أبو هارون ﴾ : طير في حنجرتة أصوات شجية تفوق النوايح وتروق فوق كل مغن لا يسكت بالليل البتة يصيح إلى وقت الصباح ويجتمع عليه الطير لالتذاذها بسماع صوته ، وبما يمرر به العاشق فلا يستطيع المرور بل يقعد ويبسكي على صوته الشجي ، والله أعلم .

باب الواو

﴿ الوازع ﴾ : الكلب لأنه يزع الذئب عن الغنم أي يطرده ، وقد تقدم ما فيه في باب الكاف :

﴿ الواو واو ﴾ : تقدم في باب السين المهمة في الكلام على السعلاة عن الجاحظ أنه نتاج ما بين بعض النبات وبعض الحيوان ، والله تعالى أعلم .

﴿ الواقي ﴾ : كالقاضي الصرد ويقال له الواق بكسر القاف ، سمي بذلك لحكاية صوته ، وأنشد ابن قتيبة لبعض الشعراء وهو المرقد السدوسي :

ولقد عدوت وكنت لا أعدو على واق وحائم
فإذا الأشائم كالآيا من والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم
لا يمنعك من بغا ء الخير تعقاد التمام
قد خط ذلك في السطو ر الأوليات التمام

الواق : الصرد ، والحائم : الغراب . وقال خيثم بن عدى :

وليس بهياب إذا شد رحله يقول عدائي اليوم واق وحائم
ولكنه يمضي على ذلك مقديما إذا صد عن تلك الهنأة الخثارم

يعني بالخثارم العاجز الضعيف الرأي المتطير ، والواق أيضاً طير الماء ينطق بهذه الحروف : (وفي حله) الخلاف في طير الماء الأبيض ، وقد تقدم أن الأصح حلها إلا اللقلق كما قاله الرافي .

﴿ الوبر ﴾ : بفتح الواو وتسكين الباء الموحدة : دويبة أصغر من السنور طحلاء اللون لا ذنب لها تقيم في البيوت وجمعها وبور ووبر ووبراة والأثني وبرة . وقول الجوهري :

لا ذنب لها : أى لا ذنب طويل ، وإلا فالوبر له ذنب قصير جدا والناس يسمون الوبر بغنم بنى إسرائيل ، ويزعمون أنها مسخت لأن ذنبها مع صغره يشبه ألية الحروف ، وهو قول شاذ لا يلتفت إليه ولا يعول عليه :

(فائدة) روى البخارى فى كتاب الجهاد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو بخير بعدما افتتحوها فقلت : يا رسول الله أسهم لى ؟ فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لا تسهم له يا رسول الله ، فقال أبو هريرة رضى الله عنه : هذا قاتل ابن قوطل ، فقال ابن سعيد بن العاص : واعجبا لوبر تولى علينا من قدوم ضأن ينعى على قتل رجل مسلم أكرمه الله على يدي ولم يهنى على يده . قال : فلا أدري أسهم له أم لم يسهم له » وابن سعيد المذكور هو أبان كما سأتى إن شاء الله تعالى . قال بعض شراح البخارى : الوبر دويبة يقال إنها تشبه السنور وأحسب أنها تؤكل ، وضأن اسم جبل .

وروى ضال باللام ، وقوله : ينعى معناه يعيب يقال نعتت على فلان فعله إذا عبته عليه ، وخرجه البخارى أيضا فى غزوة خيبر فقال « إن أبان بن سعيد أقبل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فقال أبو هريرة : يا رسول الله هذا قاتل ابن قوطل ، فقال أبان لأبى هريرة : واعجبالك وبر تردى من قدوم ضأن ينعى على امرى* أكرمه الله تعالى بيدي ومنعه أن يهينى بيده » قال بعض الشارحين : قدوم : جبل الدوس وهى قبيلة أبى هريرة رضى الله عنه . قال البكرى فى معجمه : هكذا رواه الناس عن البخارى قدوم ضأن بالنون إلا الحمدانى فإنه رواه من قدوم ضال باللام وهو الصواب إن شاء الله تعالى ، والضال : السدر البرى ، وأما إضافة هذه النسبة إلى الضأن فلا أعلم لها معنى ، وكذا قال شيخ الإسلام الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد فى شرح الإمام : وقال ابن الأثير فى النهاية : والوبر دويبة على قدر السنور وجمعها وبر ووبار وإنما شبهه بالوبر تحقيرا له ؛ ورواه بعضهم بفتح الباء من وبر الإبل تحقيرا له أيضا والصحيح الأول وابن قوطل بقافين مفتوحتين اسمه النعمان رجل مسلم قتله أبان بن سعيد فى حال كفره ، وكان إسلام أبان بين الحديبية وخبير ، وهو الذى أجاز عثمان رضى الله تعالى عنه يوم الحديبية حين بعثه النبى صلى الله عليه وسلم إلى مكة .

(وحكمه) حل الأكل لأنه يفدى فى الإحرام والحرم ، وهو كالأرنب يعتلف النبات والبقول : وقال الماوردى والرويانى : إنه حيوان فى عظم الجرذ إلا أنه أنبل منه وأكبر والعرب تأكله ، وقيل هو دويبة سوداء على قدر الأرنب وأكبر من ابن عرس ، وعبارة الرافعى قريبة من ذلك . وقال مالك : لا بأس بأكله ، وبه قال عطاء ومجاهد وطاوس وعمرو ابن دينار وابن المنذر وأبو يوسف . وكرهه الحنبلون وابن سيرين وحامد وأبو حنيفة والتااضى من الحنابلة : وقال ابن عبد البر : لا أحفظ فى الوبر شيئا عن أبى حنيفة ، وهو عندى مثل الأرنب لا بأس بأكله ، لأنه يقتات البقر والنبات ، والله أعلم .

﴿الرج﴾ : كرج الطائف : النطا والنعام ، وقد تقدم ما فيهما في بابيها القاف والنون .
 ﴿الرمرة﴾ : بفتح الواو والحاء والراء دويبة حمراء تلزق بالأرض كالعطاء والجمع .
 وحر قاله الجوهري . وقال غيره : هي بفتح الحاء وسكونها وهي وزغة شبيهة بسام أبرص .
 تلتصق بالأرض أو ضرب من العطاء لانطأ طعاما ولا شرابا إلا شتمته وهي على شكل سام أبرص .
 وروى الترمذى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «تهادوا
 فإن الهدية تذهب وحر الصدور ، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» ثم قال غريب من
 هذا الوجه : لا تحقرن جارة لجارتها إلى آخره رواه البخارى في صحيحه عن أبي هريرة
 رضى الله عنه أيضا بزيادة «يا نساء المسلمات» وحر الصدر غشه ووساوسه ، وقيل الحقد
 والغيط ، وقيل العداوة ، وقيل أشد الغضب ، وقيل الغل اللاصق به كما تلتصق الوحرة
 بالأرض ، وكذلك رواه البخارى في كتاب الأدب واليهي من حديث أبي هريرة رضى الله
 تعالى عنه بإسناد جيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «تهادوا تحابوا فإنه يضعف الحب ويذهب
 بغوائل الصدور» وفي حديث الملاعنة «إن جاءت به أحر قصيرا مثل الوحرة فقد كذب
 عليها» وفي الحديث «من أحب أن يذهب كثيرا من وحر صدره فليصم شهر الصبر وثلاثة
 أيام من كل شهر» .

﴿الوحش﴾ : كل شيء من دواب البر مما لا يستأنس والجمع وحوش ، يقال حمار وحش
 وثور وحش وكل شيء لا يستأنس من الناس فهو وحش ، وقد تقدم في أول الباب الذى
 قبله الحديث الذى رواه مسلم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال «إن لله عز وجل مائة رحمة قسم منها رحمة بين جميع الخلائق فيها يتراحمون وبها يتعاطفون
 وبها تعطف الوحش على أولادها ، وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»
 وإنما خص النبي صلى الله عليه وسلم الوحش بالذكر لنفورها وعدم استئناسها : وروى أن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال «يقول الله سبحانه وتعالى : ابن آدم وعزتي وجلالى لئن رضيت بما
 قسمت لك أرحتك وأنت محمود ، وإن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا تركض
 فيها كركض الوحش ثم لا يكون لك إلا ما قسمت لك وأنت مذموم» وروى الترمذى من
 حديث سعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه مرفوعا «من سعادة ابن آدم رضاه
 بما قسم الله له» .

وفي الإحياء أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام «يا داود تريد وأريد
 ولا يكون إلا ما أريد ، فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد
 ثم لا يكون إلا ما أريد» وقال أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب : قال قيس بن عبادة

بلغنى أن الوحش كانت تصوم عاشوراء . وقال الفتح بن سخر بن وكان من الزهاد : كنته أفتت للنمل خبزاً في كل يوم فإذا كان يوم عاشوراء لم تأكله .

(تمة مشتملة على فوائد حسنة) قال شيخ الإسلام محي الدين النووي في الأذكار في باب أذكار المسافر عند إرادة الخروج من بيته : يستحب له عند إرادته الخروج من بيته أن يصلي ركعتين لحديث المقطم بن المقدم الصحابي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد السفر » رواه الطبراني . قال بعض أصحابنا : يستحب أن يقرأ في الأولى منهما بعد الفاتحة - قل أعوذ برب الفلق - وفي الثانية - قل أعوذ برب الناس - وإذا سلم قرأ آية الكرسي فقد جاء « إن من قرأ آية الكرسي قبل خروجه من منزله لم يصبه شيء يكرهه حتى يرجع » ويستحب أن يقرأ سورة لإيلاف قریش فقد قال السيد الجليل أبو الحسن القزويني الفقيه الشافعي صاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة والمعارف المتظاهرة : إنه أمان من كل سوء . وقال أبو طاهر ابن حجشويه : أردت سفراً وكنت خائفاً منه فدخلت على القزويني أسأله الدعاء فقال لي ابتداء من قبل نفسه : من أراد سفرافزع من عدو أو وحش فليقرأ - لإيلاف قریش - فإنها أمان من كل سوء فقراًتها فلم يعرض لي عارض حتى الآن انتهى . قوله المقطم الصحابي وهم فإنه لا يعرف في الصحابة من اسمه المقطم ، والحديث المذكور مرسل فإن راويه إنما هو المقطم ابن المقدم الصنعاني رواه الطبراني في كتاب المناسك ، وقد وقع هذا الاسم في الأذكار مصحفاً كما ترى صحف الصنعاني فجعله الصحابي ، وربما ظن أن ذلك تصحيف من النساخ حتى وجد كذلك بخط الشيخ محي الدين النووي هكذا أفادنا هذه الفائدة شيخنا الحافظ العلامة زين الدين ابن عبد الرحيم العراقي رحمه الله وأحسن إليه . قال : والصنعاني المذكور نسبة إلى صنعاء الشام لا إلى صنعاء اليمن .

(تمة أخرى) قوله تعالى - وإذا الوحوش حشرت - أي جمعت ، وقوله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون - . اختلف العلماء في حشر البهائم والوحش والطيور ؟ فقال عكرمة : حشرها موتها . وقال أبي بن كعب : حشرت أي اختلطت . وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : حشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فإنهما يوفيان يوم القيامة . وقال الجمهور : الجميع تحشر وتبعث حتى الذباب ويقصص لبعضها من بعض فيقتصص للجماء من القرناء ثم يقول الله تعالى كوني تراباً ، فعند ذلك يتمنى الكافر أن يكون تراباً فذلك قوله عز وجل حكاية عن الكافر - يا ليتني كنت تراباً - قاله أبو هريرة وعمرو بن العاص وعبد الله بن عمرو وابن عباس رضي الله تعالى عنه في إحدى الروايات والحسن البصري ومقاتل وغيرهم . ورأيت

في بعض التفسير : أن المراد بالكافر هنا إبليس لعنه الله ، وذلك أنه عاب آدم عليه السلام كونه خلق من تراب وافتخر عليه كونه خلق من نار فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والراحة والرحمة ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى أن يكون ترابا كالبهائم والوحش والطير : قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : فيقول التراب للكافر لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي ثم يجول ذلك التراب في وجوه الكفار فذلك قوله تعالى—ووجوه يومئذ عليها غبرة تردهمها قفرة—أي ظلمة وكآبة وكسوف وسواد . فإن قيل : ما الفرق بين الغبرة والقفرة : قيل : إن القفرة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء والغبرة ما كان أسفل في الأرض قاله ابن زيد . وروى الجماعة من حديث رافع بن خديج قال « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فندمنا بعير فرماه رجل بسهم فقال صلى الله عليه وسلم : إن لهذه البهائم أو ابد كأو ابد الوحش فما غلبكم منها فاصنعوا به هكذا » .

(تتمة أخرى) قال الشيخ قطب الدين القسطلاني : مما حفظت من دعاء والدتي أم محمد آمنة ووفاتها في صفر سنة ست وخمسين وستائة ، وهو يتفجع للوقاية من الأعداء ومن يخاف شره : اللهم بتألؤ نور بهاء حجب عرشك من أعدائي احتجبت ، وبسطوة الجبروت ممن يكيديني استترت ، وبطول حول شديد قوتك من كل سلطان تحصنت ، وبديموم قيوم دوام أبديتك من كل شيطان استعدت ، وبمكنون السر من سرسرك من كل هم وغم تخلصت ، يا حائل العرش عن حملة العرش ، يا شديد البطش ، يا حابس الوحش ، احبس عني من ظمئي واغلب من غلبي — كتب الله لأغلب أنا ورسلي إن الله قوي عزيز — اه . وقد فكرت في معنى قولها يا حابس الوحش فظهر لي فيه أنها أرادت قوله صلى الله عليه وسلم في قصة الحديدية « حبسها حابس الفيل » والقصة في ذلك مشهورة وقد تقدمت . وقال الشيخ قطب الدين أيضا : ومما حفظته من دعاء والدتي وهو من الأدعية التي تنفع في الحجب من الأعداء : اللهم إني أسألك بسر الذات السر هو أنت أنت هو لا إله إلا أنت ، احتجبت بنور الله وبنور عرش الله وبكل اسم من أسماء الله من عدوى وعدو الله ، ومن شر كل خاق الله بمائة ألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله ، ختمت على نفسي وديني وأهلي ومالي وولدي وجميع ما أعطاني ربي بخاتم الله القدوس المنيع الذي ختم به أقطار السموات والأرض ، حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . ومما جرب في الحجب عن الأعداء أيضا يمنع من شر كل سلطان وشيطان وسبع وهامة أن يقول سبع مرات عند طلوع الشمس : أشرق نور الله وظهر كلام الله وثبت أمر الله ونفذ حكم الله ، استعنت بالله وتوكلت على الله ، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله : تحصنت بخفي لطف الله وبلطيف صنع الله وبجميل ستر الله وبعظيم ذكر الله وبقوة سلطان الله دخلت

في كنف الله واستجرت برسول الله صلى الله عليه وسلم برئت من حولي وقوتي واستعنت بحول الله وقوته ، اللهم استرني في نفسي وديني وأهلي ومالي وولدي بسترك الذي سترت به ذاتك فلا عين تراك ولا يد تصل إليك يارب العالمين ، احجبني عن القوم الظالمين بقدرتك يا قوی يا متین ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

﴿ الودع ﴾ : واحده ودعة وهو حيوان في جوف البحر إذا قذف إلى البرمات وله بريق ولون حسن وتصلب كصلابة الحجر فيثقب ويؤخذه القلائد يتحلى بها النساء والصبيان وفي داله الفتحة والسكون . قال الشاعر :

إن الرواة بلا فهم لما حفظوا مثل الجمال عليها يحمل الودع
لا الودع ينفعه حل الجمال له ولا الجمال يحمل الودع تنتفع
واسمها مشتق من ودعته أي تركته لأن البحر ينضب عنها ويدعها فهي ودع بالتحريك ،
وإذا قلت الودع بالتسكين فهو من باب ماسمي بالمصدر .

﴿ الورد ﴾ : ولد البقرة ، وقد تقدم ما في البقرة في باب الباء الموحدة ،

﴿ الورد ﴾ : الأسد ، قيل له ذلك تشبهاً بلون الورد الذي يشم ، ولذلك قيل للفرس ورد وهو بين الكميت والأشقر والأنثى وردة والجمع ورد بالضم مثل جون وجون . ومن الأحاديث الموضوعية ما ذكره ابن عدى وغيره في ترجمة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليلة أسرى بي إلى السماء سقط إلى الأرض من عرقى فنبت منه الورد فن أراد أن يشم رائحتي فليشم الورد » .

﴿ الورداني ﴾ : بالراء المهملة طائر متولد بين الورشان والحمام ؛ وله غرابة لون وظرافة قد قاله الجاحظ .

﴿ الوردانه ﴾ : بالشين المعجمة هو ساق حر المتقدم في باب السين المهملة وهو ذكر القمارى والجمع وراشين ، ويجمع أيضاً على ورشان بكسر الراء ككروان جمع للطائر ، وقيل إنه طائر يتولد بين الفاختة والحمامة وبعضهم يسميه الورشين ، وفي ذلك يقول ابن عنين ملغزاً :

يا علماء القريض إني أعجزني في القريض كشف
فخبروني عن اسم طير النصف ظرف والنصف حرف
وكنيته أبو الأخضر وأبو عمران وأبو النائحة ، وهو أصناف : منها النوبى وهو أسود

حجازى إلا أنه أشجى صوتاً منه ، ومزاجه بارد رطب بالنسبة إلى مزاج الحجازيات ، وصوته بين أصواتها كصوت العود بين الملاحى ، والورشان يوصف بالحنو على أولاده حتى إنه ربما قتل نفسه إذا رآها فى يد القانص : قال عطاء إنه يقول : لدوا للموت وابنوا للخراب وهذه لام العاقبة مجازاً : قال الشاعر :

له ملك ينادى كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب
حكى القشبرى فى رسالته فى باب كرامات الأولياء : أن عتبة الغلام كان يعقد فيقول :
ياورشان إن كنت أطوع لله منى فتعال فاقعد على كفى فيجىء الورشان فيقعد على كفه :
(وحكمه) حل الأكل لأنه من الطيبات .

(تنمة) كان عثمان بن سعيد أبو سعد المقرئ المعروف بورش قصيراً سمينا أشقر أزرق العينين . شديد البياض حسن الصوت بالقراءة ، ولذلك لقبه شيخه نافع بالورشان فكان يقول له : اقرأ يا ورشان افعل يا ورشان ، وكان لا يكرهه ويعجبه ويقول : أستاذى نافع سماني به فغلب عليه ثم حذف بعض الاسم فقيل له ورش : قال ورش : خرجت من مصر لأقرأ على نافع فلما دخلت المدينة فإذا به لا يطيق أحد القراءة عليه لكثرة الطلبة وكان لا يقرئ أحداً إلا ثلاثين آية . قال : فتوسلت إليه ببعض أصحابه فجنحت إليه معه فقال هذا رجل جاء من مصر ليقرأ عليك خاصة لم يجئى * تاجراً ولا حاجاً ، فقال له نافع : أنت ترى ما ألقى من أبناء المهاجرين والأنصار ، فقال : أريد أن تحتال له فى وقت ، فقال لى نافع : يا أخى يمكنك أن تبيت فى المسجد ؟ قلت : نعم ، فبت فيه ، فلما كان الفجر جاء نافع فقال : ما فعل الغريب ؟ فقلت : نعم ها أنا ذا يرحمك الله ، فقال : اقرأ فقرأت وكنت حسن الصوت بالقراءة فاستفتحت أقرأ فلأ صوتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهيت إلى رأس الثلاثين آية أشار إلى أن اسكت فسكت ، فقام إليه شاب من الحلقة فقال : يا معلم الخير نحن معك بالمدينة وهذا هاجر إليك ليقرأ عليك وقد وهبته من نوبتى عشر آيات وأنا أقتصر على عشرين ، فقال اقرأ فقرأتها ، ثم قام فنى آخر فقال كقول صاحبه فقرأت عشر آيات وقعدت ، حتى إذا لم يبق أحد ممن له قراءة ، قال لى اقرأ فقرأت خمسين آية حتى قرأت عليه ختمات قبل أن أخرج من المدينة . وتوفى ورش بمصر سنة سبع وتسعين ومائة ومولده سنة عشرين ومائة .

(الأمثال) قالوا : بيلة الورشان يأكل رطب المشان بالإضافة ولا تقل الرطب المشان وهو نوع من التمر ، والمشان : ضرب من الرطب : والسبب فى ذلك أن قوماً استحفظوا عبداً لهم رطب نخلهم فكان يأكله فإذا عوتب على سوء الأثر فيه يقول أكله الورشان فقيل ذلك . يضر ب لمن يظهر شيئاً والمراد منه شىء آخر .

(الخواص) دمه يقطر في العين التي أصابتها طرفة أو ضربة فيحمل دمها المجتمع وكذلك يفعل دم الحمام أيضا : وقال هرمس : من داوم على أكل بيضه زاد جماعه وأورثه العشق .
(التعبير) الورشان رجل غريب مهين ، ويدل على أخبار ورسول لأنه أشبه نوحا عليه الصلاة والسلام بنقص الماء لما كان في السفينة ، وقيل الورشان امرأة صدوق ، والله أعلم :

﴿ الورقاء ﴾ . الحمامة التي يضرب لونها إلى خضرة والورقة سواد في غبرة ومنه قيل للرماد ورق وللذئبة ورقاء والجمع ورق كأحمر وحر ، وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال « جاء رجل من بني فزارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن امرأتى ولدت غلاما أسود فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل لك من إبل ؟ قال نعم ، قال : فما ألوانها ؟ قال : حمر . قال : فهل فيها من أورك ؟ قال : إن فيها لورقا : قال : فأني أتاها ذلك ؟ قال : عسى أن يكون نزع عرق : قال : هو ذلك » قال السهيلي في قصة سواد بن قارب : ومن هذا الباب خبر سواد بنت زهرة بن كلاب ، وذلك أنها حين ولدت ورأها أبوها ورقاء أمر بوأدها وكانوا يثدون من البنات ما كان على هذه الصفة ، فأرسلها إلى الحجون لتدفن هناك ، فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تدفن الصبية وخلها في البرية ، فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف فعاد إلى أبيها وأخبره بما سمع فقال إن لها لشأنا وتركها ، فكانت كاهنة قریش ، فقالت يوما : يا بني زهرة إن فيكم نذيرة تلذ نذيرا فأعرضوا على بناتكم ، فعرضوا عليها فقالت في كل واحدة ممنهن قولاً ظهر عليها بعد حين حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت : هذه النذيرة وستلذ نذيرا ، وهو خبر طويل ذكر الزبير بن سكار منه يسيرا . وقال الغزالي في الإحياء : روى أن أبا الحسين النوري كان مع جماعة في دعوة فجرت بينهم مسألة في العلم وأبو الحسين ساكت ، ثم رفع رأسه وأنشدهم :

رب ورقاء تتوف في الضحى	ذات شجو هتفت في فنن
ذكرت إلغا وخذنا صالحا	فبكت حزنا فهاجت حزني
فبكائي ربما أرقها	وبكاها ربما أرقني
ولقد تشكو فما أفهمها	ولقد أشكو فما تفهمي
غير أني بالجوى أعرفها	وهي أيضا بالجوى تعرفني

قال : فما بقي أحد من القوم إلا قام وتواجد ، ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وإن كان العلم حقا ، وقد شبه بها الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن سينا النفس حيث قال :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

محبوبة عن كل مقلة عارف
 وصلت على كره إليك وربما
 أنفت وما ألقت فلما واصلت
 وأظنها نسيت عهدودا بالحمى
 حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها
 علقنت بها ثناء الثقيل فأصبحت
 تبسكي وقد نسيت عهدوداً بالحمى
 حتى إذا قرب المسير إلى الحمى
 وغدت تغرد فوق ذروة شاهق
 وتعود عالمة بكل خفية
 فهبوطها إذا كان ضربة لازب
 فلائى شئء أهبطت من شاهق
 إن كان أهبطها الإله لحكمة
 أوعاقها الشرك الكثيف وصددها
 فكانها برق تألقت بالحمى

وكان الرئيس أبو على نادرة عصره وعلامة دهره وهو أحد فلاسفة المسلمين وله وصايا
 فى الطب كثيرة نظماً ونثراً ، فمن المنسوب إليه من ذلك :

اسمع بنى وصيتى واعمل بها
 لا تشربن عقيب أكل عاجلا
 واجعل غذاءك كل يوم مرة
 واحفظ منيك ما استطعت فإنه
 وينسب إليه أيضا :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها
 فلم أر إلا واضعا كف حائر

قال الشيخ كمال الدين بن يونس : إن مخدومه سخط عليه فاعتقله ومات فى السجن سنة
 ثمان وعشرين وأربعمائة .

﴿ الورل ﴾ : بفتح الواو والراء المهملة وباللام فى آخره دابة على خلقة الضب إلا أنه
 أعظم منه والجمع أورال وورلان والأثنى ورلة كذا قاله ابن سيده . وقال القزوينى : أنه
 لعظم من الوزغ وسام أبرص طويل الذنب سريع السير خفيف الحركة . وقال عبد اللطيف

البغدادى : الورل والضب والحرباء وشحمة الأرض والوزغ كلها متناسبة في الخلق : فأما الورل وهو الحرذون فليس في الحيوان أكثر سفادا منه ، وبينه وبين الضب عداوة فيغلب الورل الضب ويقتله لكنه لا يأكله كما يفعل بالحية ، وهو لا يتخذ بيتا لنفسه ولا يحفر له جحرا بل يخرج الضب من جحره صاغرا ويستولى عليه ، وإن كان أقوى براثن منه لكنه الظلم يمنعه من الحفر ولهذا يضرب بالورل المثل في الظلم ، ويكفى في ظلمه أنه يغصب الحية جحرها ويبلعها ، وربما قتل فوجد في جوفه الحية العظيمة وهو لا يتلعلعها حتى يشدخ رأسها ويقال إنه يقاتل الضب : والجاحظ يقول : إن الحرذون غير الورل ، ووصفه بأنه دابة تكون غالبا بناحية مصر مليحة موشاة بألوان كثيرة ، ولها كف ككف الإنسان مقسومة أصابعها إلى الأنامل ، وهو يقوى على الحيات ويأكلها أكلا ذريعا ويخرجها من جحرها ويسكن فيه ، وهو أظلم ظلم :

(فائدة) قال أهل اللغة : لا تلتقى الرء مع اللام إلا في أربع كلمات : الورل وهو هذا الحيوان المذكور ، وأرل اسم جبل ، وغرلة وهي القلفة ، وجرل وهو ضرب من الحجارة .

(الحكم) مقتضى ما تقدم من أكله الحيات أنه يحرم وهذا هو الظاهر من قول الأقدمين ، ورجح الرافعي أنه يرجع فيه إلى استطابة العرب وعدمها لقوله تعالى : — يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات — وليس المراد الحلال وإن كان قد ورد الطيب بمعنى الحلال فإن الحمل عليه يخرج الآية عن الإفادة ، والعرب أولى باعتبار ذلك لأن الدين عربي والنبي صلى الله عليه وسلم عربي ، وإنما يرجع في ذلك إلى سكان البلاد والقرى دون أجلاف البلاد الذين يأكلون مادب ودرج من غير تمييز مع اعتبار حالة اليسار والثروة دون المحتاجين وأصحاب الضرورات وحالاتي الخصب والرفاهية دون حالاتي الجذب والشدة : وقال بعضهم : المعتبر هنا العرب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الخطاب كان لهم : وقال ابن عبد البر في التمهيد : ذكر عبد الرزاق قال : أخبرني رجل من ولد سعيد بن المسيب قال : أخبرني يحيى بن سعيد قال : كنت عند سعيد بن المسيب فجاءه رجل من غطفان فسأله عن الورل فقال : لا بأس به وإن كان معكم منه شيء فأطعمونا منه : قال عبد الرزاق : والورل يشبه الضب اهـ .

وقد ذكر في كتاب [رفع التمويه فيما يرد على التنبيه] ما حصله أنه فرخ التمساح وقال : لأن التمساح يبيض في البر فإذا خرجت فراخه نزل بعضها في البحر وبقى بعضها في البر ، فما نزل إلى البحر صار تمساحا وما بقي في البر صار ورلا : قال : فعلى هذا يكون في حله الوجهان كما في التمساح اهـ . وهذا الذي قاله لا أعتقد صحته وذلك لأن الورل ليس على صفات

التمساح لأن جلده يخالف جلده في النعومة ، وأيضا فإنه لو كان من التمساح لأخذ في الكبير حتى يصير في حجمه ، والورل في المقدار لا يزيد على ذراع ونصف أو ذراعين ، والتمساح يبلغ عشرة أذرع وأكثر .

(تنبيه مهم) اعلم أنه تقدم في هذا الكتاب حيوانات لم تتعرض الأصحاب لها بالحل ولا بالحرمة وذلك نحو : البلنصي والدبل والقرعيلان والقزرق والفنفسشة والورل وغير ذلك ، إلا أنهم أعطوا قواعد كلية عامة وقواعد خاصة وذلك لما أبسوا من الطمع في حصر أنواع الحيوانات ، فمن قواعدهم الخاصة : تحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير ، وكل ما يقتات من النجاسات والخبائث ، وكل ما نهى عن قتله أو أمر بقتله أو تولد بين ما كؤل وغيره ، وكل نهاش والحشرات بأسرها إلا الضب واليربوع والقنفذ وابن عرس والدلدل ، ومن قواعدهم الخاصة أيضا : تحليل كل ذات طوق ولقاط وطيور الماء كلها إلا اللقلق كما تقدم . ومن هذه القواعد يؤخذ تحريم الورل لأنه من الحشرات ولم يستثنوه وكذا غيره من الحشرات كالخلد والربارب وفأرة البيش والأيل ، ومما يدل على منع أكل الورل قول الجاحظ وغيره إن الورل يقوى على الحيات ويأكلها أكلا ذريعا ويخرجها من جحرها ويسكن فيه . قال : وراث الورل أقوى من براث الضب إلا أن للورل يخرج الحية من جحرها ولا يخفر خوفا منه على براثه ، ثم المعنى بقولهم ما أمر بقتله لمعنى فيه كالفواسق الخمس ، أما ما أمر بقتله لمعنى في غيره فلا يحرم ، ومن ذلك الدابة المأكولة إذا وطئت فإنه يجب ذبحها ولا يحرم أكلها على الصحيح ، وإن ورد الأمر بقتلها لأن ذلك ليس لمعنى فيها بل هو في غيرها وهو تعبير الزانى وتذكره الفاحشة برؤيتها ، وقد أمر عمر رضى الله عنه بقتل الديكة لأنهم كانوا يتهاشون بها ، وأمر بقتل الحمام لأنهم كانوا يلعبون بها ويؤذون الناس بصعودهم الأسطحة والرمى بالأحجار ، وقولهم ما نهى عن قتله فحرام يعنون به ما نهى عن قتله إكراما له ، قال الخطابي : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الهدهد كرامة له لأنه أطاع نبيا لأنه حرام نقله عنه العبادى ، وقضيته ترجيح وجه القائل بحل الصرد لأن النهى عن قتله لأمر خارج عنه لا معنى فيه ، ولما كانت هذه القواعد غير عامة لجميع الحيوان ذكر الأصحاب قاعدة عامة وهى الاستطابة والاستخباب وعليها مدار الباب .

قال الرافعى : من الأصول المرجوع إليها في التحريم والتحليل الاستطابة والاستخباب ورآه الشافعى ، والأصل العظيم المعتمد فيه قوله تعالى - يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات - وليس المراد بالطيب هنا الحلال وإن كان قد يرد الطيب بمعنى الحلال لأن الحمل عليه يخرج الآية عن الإفادة .

قال الأئمة : ويبعد الرجوع إلى طبقات الناس وتنزيل كل قوم على ما يستطيعونه

ويستخبثونه لأن ذلك يوجب اختلاف الأحكام في الحلال والحرام ، وذلك يخالف موضوع الشرع في حمل الناس على شرع واحد ، ورأوا العرب أولى الأمم بأن يؤخذ استنباطهم واستنباطهم لأنهم المخاطبون أولاً ، والدين عربي والنبي صلى الله عليه وسلم عربي ، وإنما يرجع إلى سكان البلاد والقرى دون أجلاف سكان البوادي الذين يأكلون مادب ودرج من غير تمييز مع اعتبار حالة اليسار والثروة دون المحتاجين وأصحاب الضرورات ، وحالتى الحصب والرفاهية دون حالتى الخدب والشدة .

وقال بعضهم : المعتبر الرجوع إلى عادة العرب الذين كانوا في عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الخطاب كان لهم . ويشبه أن يقال يرجع في كل زمان إلى العرب الموجودين فيه ، ويدل لهذا التوجيه ما تقدم في باب العين المهملة في لفظ العضارى . عن أبي عاصم العبادى أنه حكى عن الأستاذ أنى ظاهر الزيادة أنه قال : كنا نرى العضارى حراما ونفتى بتحريمه حتى ورد علينا الأستاذ أبو الحسن الماسرجينى فقال : إنه حلال ، فبعثنا منه جرابا إلى البادية وسألنا العرب عنه فقالوا : هذا هو الجراد المبارك فرجعوا إلى قول العرب فيه : وإذا اختلف المرجوع إليهم فاستطابته طائفة واستخبثته طائفة اتبعنا الأكثرين ، فإن استوت الطائفتان قال الماوردى في الحاوى وأبو الحسن العبادى : إنه يتبع قریش لأنهم قطب العرب وفيهم النبوة ، فإن اختلفت قریش أو لم يحكموا بشيء اعتبر أقرب الحيوانات شها به والشبه يكون تارة في الصورة وقارة في الطبع من السلامة والعدوان وأخرى في طعم اللحم ، فإن تساوى الشبه أو لم يوجد ما يشبهه ففيه وجهان انتهى . زاد في الحاوى هما من اختلاف أصحابنا في أصول الأشياء قبل ورود الشرع هل هى على الإباحة أو الحظر ؟ أحد الوجهين أنها على الإباحة حتى يرد الشرع بالحظر انتهى .

قال أبو العباس : إذا وجد حيوان لا يعرف حاله عرض على العرب ، فإن سموه باسم ما يحل حل ، وإن سموه باسم ما يحرم حرم وإن لم يكن له اسم عندهم اعتبر بأقرب الأشياء شها من الذى يحل أو يحرم ، وعلى هذا نص الشافعى رحمه الله تعالى . وقال الرافعى : وفي استصحاب حكم ما ثبت تحريمه في شرع من قبلنا قولان : أحدهما نعم أخذنا بما كان إلى أن يظهر ناسخ ، والثانى لابل اعتماد ظاهر الآية المقتضية للحل أولى ، والخلاف على ما ذكر الموفق بن طاهر رحمه الله تعالى مبنى على أن شرع من قبلنا هل هو شرع لنا؟ فيه اختلاف أصولى ، والأوفق لسياق كلام الأصحاب أنه لا يستصحب حكم شرع من قبلنا وعلى هذا فلا تفریع . وعلى القول بالاستصحاب فذلك إذا ثبت بالكتاب أو السنة أنه كان حراما في شرع من قبلنا وشهد به اثنان أسلمانهم ممن يعرف التبديل فيه قول أهل الكتاب انتهى كلام الرافعى . قال في الحاوى : ولو كان الحيوان ببلاد العجم اعتبر حكمه في أقرب بلاد العرب عند من جمع الأوصاف

المعتبرة ، فإن اختلفوا فيه اعتبر حكمه في أقرب بلاد الشرائع للإسلام وهي النصرانية ، فإن اختلفوا فيه فعلى ما ذكرناه من الوجهين يعنى في الأشياء قبل ورود الشرع انتهى :
قلت : ولا بد من التنبيه هنا على أمرين :

أحدهما أنا إذ قلنا باستصحاب شرع من قبلنا كما هو اختيار ابن الحاجب وغيره من الأصوليين فله شرطان : أحدهما أن لا يختلف في تحريمه وتحليله شريعتان . فإن اختلفنا بأن كان حراما في شريعة إبراهيم عليه السلام وحلالا في شريعة غيره ، فيحتمل أن نأخذ بالشريعة المتأخرة ، ويحتمل التخيير إن لم نقل بأن الثانية ناسخة للأولى ، فإن ثبت كون الثانية ناسخة للأولى وجعل كونه حراما في الشريعة السابقة أو اللاحقة وقف يحتمل الرجوع إلى الإباحة الأصلية فيأني الوجهان السابقان .

الأمر الثاني : أن يكون التحريم أو التحليل ثابتا قبل تحريفهم وتبديلهم ، فإن استحلوا أو حرموا بعد النسخ فلا حبرة به ، والله أعلم .

(الأمثال) قالوا : أجبر من ورل وأسرع من تلمظ الورل وهو الأكل بطرف اللسان وكذلك يأكل الورل . وقالوا : أشرد وأضل وأظلم من ورل :

(الخواص) شعره إذا شد على عضد امرأة لم تحمل ما دام ذلك عليها ، ولحمه وشحمه يسمن النساء ، وفيه قوة جذب الشوك من البدن ، وجلده يحرق ويخلط رماده بدردي الزيت ويطل به العضو الخدر يذهب خدره ، وزبانه ينفع من الكلف والشمس طلاء :
(التعبير) الورل في المنام يدل على عدو خسيس الهمة ذى مهانة وقصور حجة ، والله تعالى أعلم .

﴿ الوزغة ﴾ : يفتح الواو والزاي والغين المعجمة : دويبة معروفة ، وهي وسام أبرص جنس فسام أبرص كباره . وانفقوا على أن الوزغ من الحشرات المؤذيات ، وجمع الوزغة وزغ وأوزاغ ووزغان وأزغان على البديل حكاه ابن سيده .

روى البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه عن أم شريك رضى الله تعالى عنها « أنها استأمرت النبي صلى الله عليه وسلم في قتل الوزغان فأمرها بذلك » :

وفي الصحيحين « أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ وسماه فويستقا وقال : كان ينفخ النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام » وكذلك رواه الإمام أحمد في مسنده .

وفي الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قتل وزغة من أول ضربة فله كذا وكذا حسنة ، ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة دون الأولى ، ومن قتلها في الثالثة فله كذا وكذا حسنة دون الثانية »

وفيه أيضا « أن من قتلها في الأولى فله مائة حسنة ، وفي الثانية دون ذلك ، وفي الثالثة دون ذلك » :

وروى الطبراني عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اقتلوا الوزغة ولو في جوف الكعبة » لكن في إسناده عمر بن قيس المكي وهو ضعيف .
وفي حديث عائشة رضى الله تعالى عنها : لما أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه ، وفي سنن ابن ماجه عن عائشة رضى الله تعالى عنها : « أنه كان في بيتها رمح موضوع فقيل لها ما تصنعين بهذا ؟ فقالت : أقتل به الوزغ ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أتى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه النار غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه النار فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله » وكذلك رواه الإمام أحمد في مسنده .
وفي تاريخ ابن النجار في ترجمة عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الرحيم الفقيه الشافعي عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قتل وزغة محبا لله عنه سبع خطيات » .

وفي الكامل في ترجمة وهب بن حفص عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قتل وزغة فكأنما قتل شيطانا » . وروى الحاكم في كتاب الفتن والملاحم من المستدرک عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه قال : « كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو له ، فدخل عليه مروان بن الحكم ، فقال : هو الوزغ ابن الوزع الملعون ابن الملعون » ثم قال صحيح الإسناد .

وروى بعده بيسير عن محمد بن زياد قال : لما بايع معاوية لابنه يزيد قال مروان : سنة أبي بكر وعمر ، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : سنة هرقل وقيصر ، فقال له مروان : أنت الذى أنزل الله فيك —والذى قال لوالديه أف لكما— فبلغ ذلك عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت : كذب والله ما هو به ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان فى صلبه ، ثم روى الحاكم عن عمرو بن مرة الجهني رضى الله عنه وكانت له صحبة قال : « إن الحكم بن أبي العاص استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته ، فقال صلى الله عليه وسلم : ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم ، وقليل ما هم يشرفون فى الدنيا ويضيعون فى الآخرة ، ذوو مكر وخديعة يعطون فى الدنيا وما هم فى الآخرة من خلاق » :

قال ابن ظفر : وكان الحكم بن أبي العاص يرمى بالداء العضال وكذلك أبو جهل :
وأما تسمية الوزغ فويسقا فنظيره الفواسق الخمس التى تقتل فى الحل والحرم ، وأصل الفسق الخروج ، وهذه المذكورات خرجت عن خلق معظم الحشرات ونحوها بزيادة الضرر والأذى .

وأما تقيد الحسنات في الضربة الأولى بمائة وفي الثانية بسبعين كما في بعض الروايات: فجوابه أنه كقوله في صلاة الجماعة بسبع وعشرين وبخمس وعشرين ، وأن مفهوم العدد لا يعمل به فذكر السبعين لا يمنع المائة فلا تعارض بينهما ، أو لعله صلى الله عليه وسلم أخبر أولاً بالسبعين ثم تصدق الله تعالى بالزيادة علينا فأعلم به صلى الله عليه وسلم حين أوحى الله إليه بعد ذلك ، أو أنه يختلف باختلاف قاتلي الوزغ بحسب نياتهم وإخلاصهم وكمال أحوالهم ونقصها فتكون المائة للأكل منهم والسبعون لغيره . قال يحيى بن يعمر : لأن قتل مائة وزغة أحب إلى من أن أعتق مائة رقبة ، وإنما قال ذلك لأنها دابة سوء زعموا أنها تسقى من الحيات وتمجج في الإناء فينال الإنسان المكروه العظيم بسبب ذلك .

وسبب كثرة الحسنات في المبادرة أن تكرر الضربات في القتل يدل على عدم الاهتمام . بأمر صاحب الشرع ، إذ لو قوى عزمه واشتدت حميته لقتلها في المرة الأولى لأنه حيوان لطيف لا يحتاج إلى كثرة مؤنة في الضرب ، فحيث لم يقتلها في المرة الأولى دل ذلك على ضعف عزمه فلذلك نقص أجره من المائة إلى السبعين . وعلل عز الدين ابن عبد السلام كثرة الحسنات في الأولى بأنه إحسان في القتل فيدخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم « إذا قتلتم فأحسنوا القتلة » أو أنه مبادرة إلى الخير فيدخل تحت قوله تعالى - فاستبقوا الخيرات - قال . وعلى كلا المعنيين فالحية والعقرب أولى بذلك لعظم مفسدتهما :

وذكر أصحاب الآثار أن الوزغ أصم : قالوا : والسبب في صممه ما تقدم من نفعه النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام فصم لأجل ذلك وورص . ومن طبعه أنه لا يدخل بيتا فيه رائحة الزعفران وتآلفه الحيات كما تآلف العقارب الخنافس ، وهو يلقح بفيه ويبيض كما تبيض الحيات ويقم بني جحره زمن الشتاء أربعة أشهر لا يطعم شيئا .

وقد تقدم في حرف السين المهملة ما يتعلق بأحكامها وخواصها .

وقد أحسن في وصف الوزغة وغيرها الأديب الشاعر كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الأعمى صاحب المقامة البحرية ، ووفاته في المحرم سنة اثنتين وستائة ، وكان والده خطيب بيت المقدس حيث قال يذم دار سكناه :

دار سكنت بها أقل صفاتها	أن تكثر الحشرات في حجراتها
الخير عنها نازح متباعد	والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدته	كم أعدم الأجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث متى	غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتقريط ولكن قافه	قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذباب كالضباب يسدعي	ن الشمس مطربني سوى غناتها

أين الصوارم والقنا من فسكها
 وبها من الخطاف ماهو معجز
 تغشى العيون بمرها ومجيبها
 وبها خفافيش تطير نهارها
 شبهتها بقنافذ مطبوخة
 فاقت على سمر القنا في لونها
 وبها من الجرذان ما قد قصرت
 فترى أبا غزوان منها هاربا
 وبها خنافس كالطنافس أفرشت
 لو شم أهل الحرب منتن فسوها
 وبنات وردان وأشكال لها
 متزاحم متراكم متحارب
 وبها قراد لا اندمال لجرحها
 أبدا تمص دماءنا فسكأتها
 وبها من النمل السليمانى ما
 لا يدخلون مساكننا بل يحطمو
 ما راعنى شئ سوى وزغاتها
 سبجت على أوكارها فظننتها
 وبها زنابير تظن عقاربا
 وبها عقارب كالأقارب رتعا
 وكأنا حيطانها كغرابل
 كيف السبيل إلى النجاة ولانجا
 السم في نفثاتها والمسكر في
 منسوجة بالعنكبوت سماؤها
 فلقد رأينا في الشتاء سماؤها
 فضجيجها كالرعد في جنباتها
 والبوم عاكفة على أرجائها
 والنار جزء من تلهب حرها
 قد رمت من قبل بلقي آدم

فينا وأين الأسد من وثباتها
 أبصارنا عن حصر كيفياتها
 وتصم سمع الخلد من أصواتها
 مع ليلها ليست على عاداتها
 نزع الطهارة بنضجها شوكلاتها
 وسماتها وشياتها وصفاتها
 عنه العتاق الجرد في حملاتها
 وأبا الحصين يروغ من طرقاتها
 في أرضها وعلت على جنباتها
 أردى الكمأة الصيد عن صهواتها
 مما يفوت العين كنه ذواتها
 متراكب في الأرض مثل نباتها
 لا يفعل المشراط مثل أدواتها
 حجارة لبدت على كاساتها
 قد قل ذر الشمس عن ذراتها
 ن جلودنا فالغو من سطواتها
 فنعود بالرحن من نرغاتها
 ورق الحمام سجعن في سمراتها
 لأبرء للمسموم من لدغاتها
 فينا حمانا الله لدغ حماتها
 أطلعن أرؤسهن من طاقاتها
 ولا حياة لمن رأى حياتها
 لفتاتها والموت في لسعاتها
 والأرض قد نسجت ببراقتها
 والصيف لانتفك من صعقاتها
 وترابها كالوبل من حثياتها
 والآل يلمع في ثرى عرصاتها
 وجهنم تعزى إلى لفحاتها
 مع أمنا حواء في عرفاتها

شاهدت مكتوبا على أرجائها
لا تقربوا منها وخافوها ولا
أبدا يقول الداخلون بيبائها
قالوا إذا نذب الغراب منازلنا
وبدارنا ألفا غراب ناعق
دار تبيت الجن تحرس نفسها
صبرا لعل الله يعقب راحة
كم بت فيها مفردا والعين شو
وأقول يارب السموات العلا
أسكتني بجهنم الدنيا فني
واجمع بمن أهواه شملي عاجلا
ورأيت مسطورا على عتباتها
تلقوا بأيديكم إلى هلكاتها
يارب نجّ الناس من آفاتنا
يتفرق السكان من ساحاتها
كذب الرواة فأين صدق رواتها
فيها وتنذر باختلاف لغاتها
لنفس إذ غلبت على شهواتها
قال للصباح تسحّ من عبراتها
يارازقا للوحش في فلواتها
أخرى هب لي الخلد في جناتها
ياجامع الأرواح بعد شتاتها

(والوزغ في الرؤيا) رجل معتزلي يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف خامل الذكر وكذلك العطاء، وربما دل الوزغ على العدو والمجاهر بالشر والكلام السوء والتنقل من الأمكنة.

﴿الوصع﴾ : بفتح الواو والصاد المهملة في آخره : الصعوبة ، وقد تقدم الكلام عليها في باب الصاد المهملة ، وقيل هو طائر أصغر من العصفور .

وفي الحديث « إن لإسرافيل عليه الصلاة والسلام له جناح بالشرق وجناح بالمغرب ، وإن العرش على منكب إسرافيل وإنه ليتضاءل الأحيان من عظمة الله تعالى حتى يصير مثل الوصع » يروى بفتح الصاد المهملة وسكونها . وقال ابن الأثير : إنه أصغر من العصفور . والجمع وصعان .

وفي أول [التعريف والأعلام] للسهيلى أن أول من سجد من الملائكة لآدم إسرافيل عليه السلام ، ولذلك جوزى بولاية اللوح المحفوظ ، قاله محمد بن الحسن النقاش .

﴿الوطواط﴾ : الخفاش ، وقد تقدم ما فيه في باب الخفاء المعجمة .

وروى الحافظ ابن عساكر في تاريخه بسنده إلى حماد بن محمد أنه قال : كتب رجل إلى ابن عباس يسأله عن شيء ليس له لحم ولا دم تكلم ، وعن شيء ليس له لحم ولا دم سعى ، وعن شيء ليس له لحم ولا دم تنفس ، وعن اثنين ليس لهما لحم ولا دم خوطبا وأجابا ، وعن رسول بعثه الله ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة ، وعن نفس ماتت ثم عاشت بها نفس غيرها ، وعن موسى عليه السلام وكم أرضعته أمه قبل أن تلقيه في اليم ، وفي أي بحر وفي أي يوم ألقته ، وكم كان طول آدم عليه السلام وكم عاش ومن كان وصيه ؟

وعن طير لا يبيض ويبيض ، فقال : الأول النار قالت : هل من مزيد؟ والثاني عصا موسى عليه السلام ، والثالث الصبح ، والرابع السموات والأرض - قاتلتا أتيناطاعين - والخامس الغراب الذي بعثه الله إلى ابن آدم ، والسادس البقرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن ، وأرضعت موسى أمه قبل أن تلقيه في اليم ثلاثة أشهر ، وألقته في بحر القلزم وكان ذلك يوم الجمعة ، وكان طول آدم عليه السلام ستين ذراعا وعاش ألف سنة إلا ستين سنة ، وكان وصيه شيث ، والطير الوطواط الذي نفخ فيه عيسى عليه السلام فكان طائرا بإذن الله عز وجل :

(وحكمه) تحريم الأكل للنهي عن قتله كما تقدم في باب الخلاء المعجزة :

(الأمثال) قالوا : أبصر من الوطواط بالليل : أى أعرف ، ويسمون الجبان وطواط. (التعبير) الوطواط تدل رؤيته على الغنى والضلالة عن الحق ، وربما دلت رؤيته على ولد الزنا لأنه من الطير وليس بطائر ، وهو يرضع كما يرضع الآدمي ، وربما دلت رؤيته على زوال النعم والبعد من المألوفات لأنه من الممسوخين وهذا بعيد ، وربما دلت رؤيته على إقامة الحجبة والبيئة لقوله تعالى - وإذ تخلق من الطين كهيمة الطير بإذنى ففتنخ فيها - الآية ، وهذا أظهر الأقاويل عندى ، والله تعالى أعلم .

﴿الوعور﴾ : ويقال له أيضا الوع ابن آوى ، وقد تقدم الكلام عليه في أواخر باب الحمزة .

﴿الوعل﴾ : بفتح الواو وكسر العين المهملة الأروى المتقدم في باب الحمزة وهو التيس الجبلي والأثني تسمى أروية وهى شاة الوحش والجمع أوعال ووعول . وذكر ابن عدى في كامله في ترجمة محمد بن إسماعيل بن طريح أنه قال : حدثني أبي عن جدي أنه حضر أمية بن أبي الصلت حين حضرته الوفاة فأغمى عليه ثم أفاق فرفع رأسه فنظر حيال باب البيت وقال : لييكما لبيكما ها أنا ذا لديكما لا عشيرتى تحمينى ولا مالى يفدينى ، ثم أغمى عليه ثم أفاق فرفع رأسه وقال :

كل حى وإن تطاول دهرها آبل أمره إلى أن يزولا
ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى فى رعوس الجبال أرمى الوعولا
ثم فاضت نفسه .

وعن شهر بن حوشب قال : لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه : يا أبتاه إنك كنت تقول لنا ليتنى كنت ألقى رجلا عاقلا لبيبا عند نزول الموت به حتى يصف لى ما يجد هو أنت ذلك الرجل فصف لى الموت ، فقال : يا بنى والله كأن السماء قد أطبقت على الأرض ،

«وكان جنبيّ في تحت ، وكأني أنتفس من سم لإبرة ، وكان غصن شوك يجذب من قدميّ إلى هامتي ، ثم أنشأ يقول :

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في رءوس الجبال أرعى الوعولا
(ومن غريب ما اتفق) أن عبد الملك بن مروان لما احتضر وكان قصره يشرف على بردى
فنظر إلى غسال يغسل الثياب فقال : ليتني كنت مثل هذا الغسال أكتسب ما أعيش به يوما
بيوم ولم أل الخلافة ، وتمثل بقول أمية بن أبي الصلت : «كل حي وإن تطاول دهرا .
البيتين المتقدم ذكرهما فاتفق له كما اتفق لأمية من الموت عقب ذلك ، فلما بلغ ذلك
أبا حازم قال : الحمد لله الذي جعلهم في وقت الموت يتمنون ما نحن فيه ولم يجعلنا نتمنى
ما هم فيه . وفي [الاستيعاب] في ترجمة الفارعة بنت أبي الصلت أخت أمية بن أبي الصلت
«أنها قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتحه للطائف ، وكانت ذات لب وعفاف وجمال
وكان صلى الله عليه وسلم يعجب بها فقتال لها صلى الله عليه وسلم يوما : هل تحفظين من شعر
أخيك شيئا » فأخبرته خبره وما رأت منه وقصت قصته في شق جوفه وإخراج قلبه ثم عوده
إلى مكانه وهو قائم ، وأنشدت له من شعره الذي أوله :

باتت همومي تسرى طوارقها أكف عيني والدمع سابقتها
نحو ثلاثة عشر بيتا ، منها قوله .

ما أرغب النفس في الحياة وإن تحيي طويلا فالموت لاحقتها
يوشك من فر من منيته يوما على غيرة يوافقها
من لم يمت غبطة يمت هرما للموت كأس والموت ذاتها
ثم قالت وإنه قال عند وفاته :

إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك ما ألما
ثم قال : «كل حي وإن تطاول دهرا . البيتين .

ثم مات ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن مثل أخيك كمثل الذي آناه الله آياته فانسوخ منها
فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين .»

وفي طباع الوعل أنه يأوى إلى الأماكن الوعرة الخشنة ولا يزال مجتمعها فإذا كان وقت
الولادة تفرق ، وإذا اجتمع في ضرع أنثى لبن امتصته ، والذكر إذا ضعف عن النزو أكل
البلوط فتقوى شهوته ، وإذا لم يجد الأنثى انتزع اللبن بالامتصاص بفيه وذلك إذا جد به الشبق
وفي طبعه أنه إذا أصابه جرح طلب الخضر التي في الحجارة فيمتصها ويجعلها على الجرح فيبرأ
وإذا أحس بالقنص وهو في مكان مرتفع استلقى على ظهره ثم يزع نفسه فينحدر ويكون
قرونه وهما في رأسه إلى عجزه بقيانه ما يخشى من الحجارة ويسرعان به للوستها على الصفا:

وفي الحديث عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال عن المدينة : لو رأيت الوعول تجرش ما بينها ما هجتها ، أراد لو رأيتها ترعى كالأها ما هجتها لأن النبي صلى الله عليه وسلم حرم صيدها .

وفي الترغيب والترهيب وغريب أبي عبيدة وغيره من حديث أبي هريرة أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده لانتقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الأمين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر التحوت » قالوا : يا رسول الله ما الوعول وما التحوت ؟ قال : الوعول وجوه الناس وأشرفهم ، والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم » وبعضه فى الصحيح ، وإنما شبههم بالوعول وضرب بها المثل لأنها تأوى رعوس الجبال ، والله تعالى أعلم .

وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذى عن العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قال « كنا جلوسا بالبطحاء فى عصابة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت سحابة فنظر إليها فقال صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما اسم هذه ؟ قلنا : نعم هذا السحاب : قال صلى الله عليه وسلم : وهو المزن والعنان ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : أتدرون كم بعد ما بين السماء والأرض ؟ قلنا : لا . قال صلى الله عليه وسلم : إما واحدة وإما اثنتان وإما ثلاث وسبعون سنة ، والسماء فوقها كذلك حتى عد عليه الصلاة والسلام سبع سموات ، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعله كما بين سماء إلى سماء ، وفوق البحر ثمانية أوعال ما بين أظلافها وركبها كما بين سماء إلى سماء ، ثم على ظهورهن العرش من أسفله إلى أعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء » قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب . قال الحافظ الذهبي وهو كما قال الترمذى : حسن غريب ، وقد أخرجه الحافظ الضياء أيضا فى كتاب المختار له ورواه الحاكم فى المستدرک : عن سماك بن حرب وقرأ — إن الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء — :

وفى [التمهيد] لابن عبد البر عن أسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير رضى الله عنهما قال « حملة العرش أحدهم على صورة إنسان ، والثانى على صورة ثور ، والثالث على صورة نسر ، والرابع على صورة أسد » : وفى تفسير الثعلبى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله بأربعة آخرين » :

وفى سنن أبي داود من حديث جابر رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » .

(وحكمه) الحل بالإجماع . قال ابن عباس رضى الله عنهما فى الوعل : إذا قتله المحرم

أو قتل في الحرم شاة : وذكر القزويني في الأشكال عن ابن الفقيه أنه قال : رأيت بجزيرة رانج حيوانات غريبة الأشكال ، من ذلك وعول كالتبوس الجبلية ألوانها حمر منقطة ببياض ولحمها حامض انتهى : فإن صح هذا القول فالذى يظهر الحل إلحاقاً بمثله من المأكول عملاً بالمشكلة السورية ، والله تعالى أعلم :

(الأمثال) قالوا : أزهى من وعل ، وأحمق من ناطح الصخرة : أى الوعل ، وأنشدوا قول الأعشى :

كناطح صخرة يوماً ليوهبها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
أراد كوعل ناطح فحذف الموصوف وأبقى الصفة .

(وخواصه) تقدمت في باب الهمزة في لفظ الأروى ، لكن منها أيضاً أن مخه جيد للمرأة التي بها تزف الدم تتحمل به في صوفة ، ولحمه وشحمه يسحقان ويأق عليهما صبر وسعد وقرنفل وزعفران وعسل يخلط الجميع ويسقى منه وزن مثقال بماء الكرفس لمن به حصاة في مثانته يبرأ بإذن الله تعالى .

﴿ الرقراوة ﴾ : كقطقاط طائر حكاه ابن سيده ، ولعله التاقى المتقدم في باب القاف .

﴿ بنات وردانه ﴾ : بفتح الواو وتسمى فالية الأفاعي ، وهي دويبة تتولد في الأماكن الندية ، وأكثر ما تكون في الحمامات والسقايات ، ومنها الأسود والأحمر والأبيض والأصهب ، وإذا تكونت تسافتت وباضت بيضا مستطيلاً ، وهي تألف الحشوش واحداً حش بفتح الحاء المهملة وضمها . قال الجاحظ : أصل الحش القطعة من النخل وهي الحشان بكسر الحاء المهملة وتشديد الشين ، وذلك أن أهل المدينة كانوا إذا أراد أحدهم قضاء الحاجة دخل النخل فكثروا عن مكان الخراء بالحش كما كانوا عنه بالخلاء ، وقالوا لمن يذهب إلى الخراء : ذهب إلى البراز وذهب إلى المستراح وإلى الحش والخلاء والمخرج والمتوضأ والمذهب والغائط وقضاء الحاجة . وقالوا : ذهب ينجو كما قالوا ذهب يتوضأ كل ذلك هرباً من أن يقولوا ذهب إلى الخراء ، وقد وصف بعض الشعراء بنات وردان حيث قال :

بنات وردان جنس ليس ينعته خالق كنعتي في وصفي وتشبيهي
كشل أنصاف بسر أحر تركت من بعد تشقيقه أقاعه فيه

(وحكمها) تحريم الأكل لاستقذارها ، ولا يصح بيعها كسائر الحشرات التي لا ينتفع بها لكنها إذا وقعت في الماء الطهور لا تنجسه ويعنى عن ذلك ، وكذا كل ما ليست له نفس سائلة أى دم يسيل عند قتله ، وقد تقدم في الذباب هذا الحكم .

(فرع) قال الأصحاب : ما لا يظهر فيه منفعة ولا مضرة كبنات وردان والخنافس

والجعلان والدود والسرطان والرخم والنعامه والعصافير والذباب يكره قتله ولا يحرم ، وعد
الرافعي رحمه الله منه الكلب غير العقور . قال : ولا يجوز قتل النمل والنحل والخطاف
والضفدع ، وقد تقدم شيء من هذا الحكم في أماكنه .
(الخواص) قال أرسطاطاليس : إذا طبخت بنات وردان بزيت وقطر منه في الأذن
الوجعة سكن ألمها وتبرأ من ذلك ، وينفع هذا الزيت من القروح التي في الساقين وفي جميع
الأعضاء ، والله تعالى أعلم :

باب الياء

﴿ يأجوج ومأجوج ﴾ : يهزان ولا يهزان لغتان قرئ بهما ، فن هزهما جعلهما مشتقين
من أجة الحر وهي شدته وقوته ومنه أجيج النار وهو توقدها وحرارتها ، والتقدير في يأجوج
يفعلون وفي مأجوج مفعول إذا ترك هزهما قاله الأزهرى ، ويحتمل أن يكونا مفعولين وإنما
لم يصرفا للتعريف والتأنيث لأنهما اسما القبيلتين : والأكثر أنهما اسمان أعجميان غير
مشتقين ولذلك لا يهزان ولا يصرفان للعجمة والتعريف . قال سعيد الأخفش : يأجوج
من ييج ومأجوج من ميج . وقال قطرب : من لم يهزم فيأجوج فاعول مثل داود وجالوت
ويكون من ييج ، ومأجوج فاعول من ميج ، والأسماء الأعجمية مثلها لا تهزم نحو هاروت
وماروت وجالوت وطالوت وقارون . قال : ويجوز أن يكون الأصل الهمز فخففا إذا
لم يهزم كسائر ما يهزم ، وإن كانا أعجميين فإن العرب تلفظ بألفاظ مختلفة ، ويجوز أن
يكونا من الأجة وهي الاختلاط كما قال الله تعالى في صفتهم - وتركنا بعضهم يومئذ يموج
في بعض - جاء في تفسيره أى مختلطين ، ولعل ييج الذي ذكره الأخفش وقطرب مخفف
الهمز من أج وإلا فإن ييج لا يعرف في كلام العرب لعزة مخرج الجيم والياء . والحاصل أنه
يجوز هزهما وتركه كما تقدم وبهما قرئ في السبع ، والأكثر أنهما على ترك الهمز كما تقدم ،
وسموا بذلك لكثرةهم وشدتهم ، وقيل من الأجاج وهو الماء الشديد الملوحة . قال مقاتل :
هم من ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام . وقال الضحاك : هم من الترك ، وقال كعب
الأحبار : احتلم آدم عليه السلام فاختلط ماؤه بالتراب فأسف فخلقوا من ذلك . قلت :
وفيه نظر لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يحتلمون ،

وروى الطبراني من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال « يأجوج أمة لها أربع مائة أمير وكذلك مأجوج لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى
ألف فارس من ولده صنّف منهم كالإوز طولهم مائة وعشرون ذراعاً ، وصنّف منهم يفتقرش

أذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا خنزير إلا أكلوه ويأكلون من مات منهم ، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ، ويمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس . وقال وهب بن منبه : بأجوج ومأجوج يأكلون الحشيش والشجر والخشب وما ظفروا به من الناس ، ولا يقدر أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس .

وقال علي رضي الله تعالى عنه : بأجوج ومأجوج صنف منهم في طول الشهر وصنف منهم مفرط الطول لهم مخالف الطير وأنياب كأنياب السباع ، وتداعى الحمام وتسافد البهائم وعواء الذئب ، وشعورهم تقيهم الحر والبرد ، ولم أذان عظام إحداها وبرة يشتون فيها والأخرى جلدة يصيفون فيها يحفرون السد الذي بناه ذو القرنين حتى إذا كادوا ينقبونه يعيده الله كما كان حتى يقولوا ننبه غدا إن شاء الله فينقبونه ويخرجون ، وتتحصن الناس منهم بالحصون فيرمون إلى السماء فيرد إليهم السهم ملطخا بالدم ثم يهلكهم الله بالنفخ في رقابهم ، والنفخ هو الدود كما تقدم .

(فائدة) سئل شيخ الإسلام محيي الدين النووي رحمه الله تعالى عن بأجوج ومأجوج هل هم من ولد آدم وحواء وكم يعيش كل واحد منهم ؟ فأجاب : إنهم أولاد حواء وآدم عند أكثر العلماء . وقيل إنهم من ولد آدم من غير حواء فيكونون إخوتنا من الأب ، ولم يثبت في قدر أعمارهم شيء انتهى . وقد تقدم في الكركند ما نقله الحافظ أبو عمر بن عبد البر من الإجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام « وأن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن بأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : جزت عليهم لياة أسرى بي فدعوتهم فلم يجيبوا » .

وروى الشيخان والنسائي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك ، فيقول عز وجل : أخرج بعث النار . قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة : قال : فذلك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . قال : فاشتد ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله أين ذلك الرجل فقال صلى الله عليه وسلم : أبشروا فإن من بأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم رجل » الحديث . قال العلماء : إنما خص آدم عليه السلام بالذكر لأنه أب للجميع :

وروى الجماعة إلا أبا داود من حديث زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها أنها قالت « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فزعا محمراً وجهه الشريف يقول : لا إله إلا الله

ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم بأجوج ومأجوج مثل هذه، وحق بأصبعيه الإبهام والتي تليها. قالت : فقلت يا رسول الله أنك وفينا الصالحون؟ قال : نعم إذا كثرت الخبث « أشار صلى الله عليه وسلم بذلك إلى أن الذى فتحوا من السد قليل وهم مع ذلك لا يلهمهم الله أن يقولوا غدا نفتحه إن شاء الله تعالى فإذا قالوا خراجوا، وقوله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم « ويل للعرب » كلمة تقولها العرب لكل من وقع فى هلكة : وفى مسند الإمام أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويل واد فى جهنم يهوى الكافر فيه أربعين خريفاً قبل أن يباغقره » وقيل الويل الشر وقوله صلى الله عليه وسلم « فتح اليوم من ردم بأجوج ومأجوج » الردم هو الحاجز الحصين المتراكم الذى جعل بعضه فوق بعض، والمراد به الردم الذى عمله الإسكندر بين الصدفين وهما الجبلان. وقوله فى هذا الحديث « إن زينب رضى الله تعالى عنها قالت أنك « هو بكسر اللام على اللغة الفصيحة المشهورة، وحكى فتحها وهو ضعيف أو فاسد قاله النووى رحمه الله، وقوله صلى الله عليه وسلم « نعم » لأن ما استفهم عنه بإثبات كان جوابه نعم وما استفهم عنه بنفى كان جوابه بلى، ولذلك كانت بلى فى جواب -ألسن بربكم- ونعم فى جواب -هل وجدتم- فلذلك قال صلى الله عليه وسلم لزینب رضى الله عنها « نعم » حين قالت أنك وفينا الصالحون، وقوله صلى الله عليه وسلم « إذا كثرت الخبث » وهو بفتح الخاء والباء الموحدة، وفسره الجمهور بالفسوق والفجور. وقيل المراد به الزنا خاصة، وقيل أولاد الزنا، والظاهر أن المراد به المعاصى مطلقاً، ومعناه أن الخبث إذا كثرت فقد يحصل الملاك العام وإن كان هناك صالحون، والله تعالى أعلم.

وروى البراز من حديث يوسف بن مريم الحنفى قال « بينا أنا قاعد مع أبى بكر إذ جاء رجل فسلم عليه ثم قال : أما تعرفنى ؟ فقال أبو بكر : ومن أنت ؟ قال تعلم رجالاً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه رأى الردم فقال له أبو بكر : أنت هو ؟ قال : نعم : فقال : اجلس فحدثنا : قال رضى الله عنه : انطلقت إلى أرض ليس لأهلها إلا الحديد يعلمونه فدخلت بيتاً فاستلقيت فيه على ظهري وجعلت رجلى على جداره ، فلما كان عند غروب الشمس سمعت صوتاً لم أسمع مثله فرعبت، فقال لى رب البيت : لاتذعن فإن هذا لا يضرك هذا صوت قوم ينصرفون هذه الساعة من عند هذا السد أفيسر ك أن تراه ؟ قلت : نعم : قال فغدوت إليه فإذا لبنة من حديد كل واحدة مثل الصخرة وإذا كأنه البرد الحبرة وإذا المسامير مثل الجذوع ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : صفه لى ؟ فقلت : كأنه البرد الحبرة، فقال صلى الله عليه وسلم : من سره أن ينظر لى رجل قد أتى الردم فلينظر لى هذا » فقال أبو بكر : صدق أه :

وهذا الردم هو الذى بناه الإسكندر على بأجوج ومأجوج كما تقدم ، وذلك أنه لما بلغ

البلبلين - وجد من دونهما قوما - كما قال الله تعالى - لا يكادون يفقهون قولا - بفتح الياء والقاف أو يفتمهون بضم الياء وكسر القاف على اختلاف القراءتين ؛ فعلى الأولى لا يفقهون عن أحد لغته ولا يعرفون غير لغتهم ، وعلى الثانية لا يفهم لغتهم غيرهم فشكوا إليه إفساد يأجوج ومأجوج في الأرض وذلك أنهم كانوا يخرجون إلى أرض هؤلاء المساكين فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه ، وقيل إنهم كانوا يلوطون ، وقيل إنهم كانوا يأكلون الناس ، فقالوا له : نحن نجعل لك خرجا أى جملا من أموالنا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ، فرد عليهم جفلمهم وطلب منهم المعونة بالعمل بأبدانهم ، ثم انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ ، فأمر بحفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخر وطبقه بالنحاس المذاب فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض ، وقيل إنه حشا ما بين الصدفين قطع الحديد ونسج بين طبقات الحديد الحطب والفحم ووضع المنافيخ فلما حى الحديد أفرغ عليه النحاس المذاب فاختلط والتصق بعضه ببعض حتى صار جبلا صلبا من حديد وقطر وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار كأنه برد محبرة من صفرة النحاس وحمرة وسواد الحديد فلم يطبقوا الظهور عليه لملاسته ولا قدروا على نقيه لشدته وتماسكه ، ومن وراء السد البحر فهم بين السد والبحر محصورون ، وهم يمتطرون التنانين في أيام الربيع كما يمتطرن الغيث حينه فيأكلونها إلى مثله من القابل وتعمهم على كثرتهم ، والله تعالى أعلم .

﴿اليامور﴾ : قال ابن سيده : هو جنس من الأوعال أو شبيهه به له قرن واحد متشعب في وسط رأسه ، وقال غيره : إنه الذكر من الأيل له قرنان كالمنشارين أكثر أحواله تشبه أحوال البقر الوحشى يأوى إلى المواضع التى التفت أشجارها ، وإذا شرب الماء ظهر به نشاط فيعدو ويلعب بين الأشجار ، وربما ينشب قرناه في شعب الأشجار فلا يقدر على خلاصهما فيصيح ، والناس إذا سمعوا صياحه ذهبوا إليه وصادوه ، وقد تقدم ما فيه . وهو حلال كالإبل ، ومن خواص جلده أنه إذا جلس عليه صاحب البواسير زالت عنه .

﴿اليؤيو﴾ : طائر كنيته أبو رباح وهو الجلم وهو من جوارح الطير يشبه الباشق ، وقد تقدم الكلام عليه في باب الصاد المهملة في لفظ الصقر والجمع اليآيى وكذا جاء في الشعر قال أبو نواس في طريقته :

حفظ المهيمن يؤيى ورعاه ما فى اليآيى يؤيؤ شرواه

كذا استدلل به الجوهرى ، واعترض عليه بأنه مولد .

وكان محمد بن زياد الزيدى يلقب باليؤيو وهو من أئمة أهل البصرة روى عن حماد بن

زيد وغيره ، وروى له ابن ماجه والبخارى كالمقرون وغيره ، توفي في حدود سنة خمسين ومائتين ، وضعفه ابن منده وذكره ابن حبان في الثقات وقال كان يؤيؤ الحديث :

وهذا بناء غريب لم يحفظ منه إلا خمسة : اليؤيؤ واليؤجؤ وهو صدر السفينة والطائر ، واليؤيؤ وهو الأضل ، يقال فلان يؤيؤ الكرم أى أصله ، والدؤدؤ ليلة خمس وست وسبع وعشرين ، والؤلؤ وفيه أربع لغات قرىء بهن في السبع لؤلؤ بهمزتين ولولو غير همز وبهمز أوله دون ثانيه وعكسه :

(وحكمه) تحريم الأكل كما تقدم .

(الخواص) دماغه يجفف ويسحق مع السكر الطبرزدى ويخلط معه بعرضب ويكتحل به يزيل البياض الذى فى العين بإذن الله تعالى ، ومرارته تذاب بماء الشهدانج ويسعط بها من به الصداع ينفعه نفعاً بيناً إن شاء الله تعالى .

﴿ اليحمور ﴾ : ولد الحبارى ، وقد تقدم ما فى الحبارى فى باب الحاء المهملة :

﴿ اليحمور ﴾ : دابة وحشية نافرة لها قرنان طويلان كأنهما منشاران ينشر بهما الشجر فإذا عطش وورد الفرات يجد الشجر ملتفة فينشرها بهما ، وقيل إنه اليامور نفسه وقرونه كقرون الأيل يلقبها فى كل سنة وهى صامته لا تجويف فيها ولونه إلى الحمرة وهو أسرع من الأيل . وقال الجوهري : اليحمور حمار الوحش .

(وحكمه) الحل كيف كان .

(الخواص) دهنه ينفع الاسترخاء من الحاصل فى أحد شتى الإنسان إذا استعمل مع دهن البلسان .

(فائدة) فى كتاب العرائس للإمام العلامة أبى الفرج بن الجوزى قال : إن بعض طلبة العلم خرج من بلاده فرافق شخصاً فى الطريق ، فلما كان قريباً من المدينة التى قصدتها قال له ذلك الشخص : قد صار لى عليك حق وذمام ، وأنا رجل من الجان ولى إلبك حاجة ، فقال وما هى ؟ قال : إذا أتيت إلى مكان كذا وكذا فإنك تجد فيه دجاجاً بيننا ديك فاسأل عن صاحبه واشتره منه واذبحه فهذه حاجتى إلبك ، فقال له : يا أخى وأنا أيضاً أسألك حاجة ، قال : وما هى ؟ قال : إذا كان الشيطان ماردا لا تعمل فيه العزائم وألح بالأدمى منا مادواؤه ؟ قال : دواؤه أن يؤخذ له وتر قدر شبر من جلد يحمور ويشد به إبهاما المصاب من يديه شداً وثيقاً ، ثم يؤخذ له من دهن السذاب البرى فيقطر فى أنفه الأيمن أربعاً وفى الأيسر ثلاثاً فإن الماسك به يموت ولا يعود إليه أحد بعده . قال : فلما دخلت المدينة أتيت ذلك المسكان فوجدت الديك عند عجوز فسألته بيعة فأبت فاشترت منها بأضعاف ثمنه ، فلما اشترته وملكته

تمثل لى من بعيد وقال لى بالإشارة اذبحه فذبحته ، فعند ذلك خرج على رجال ونساء فجعلوا يضربونى ويقولون يا ساحر ، فقلت : لست بساحر ، فقالوا إنك منذ ذبحت الديك أصيبت عندنا شابة بجنى وإنه منذ أمسكها لم يفارقها ، فطلبت منهم وترا قدر شبر من جلد يحمور وشيئا من دهن السذاب البرى فأتوا بهما فشددت إبهامى يدى الشابة شداً وثيقا ، فلما فعلت بها ذلك صاح وقال أنا علمتك على نفسى ، ثم قطرت من الدهن فى أنفها الأيمن أربعا وفى الأيسر ثلاثا فخر ميتا من وقته وساعته ، وشفى الله تلك الشابة ولم يعاودها بعده شيطان انتهى

﴿ اليحموم ﴾ : طائر حسن اللون يشبه لون الحبرة الموشاة وهو كثير بنخلة من أرض الحجاز ، وأظنه من فرع البعاقيب والحجل :

(وحكمه) محل الأكل لأنه مستطاب ، واليحموم أيضا اسم فرس النعمان بن المنذر ، واليحموم أيضا الدخان الأسود ، وقيل هو المراد بقوله تعالى - وظل من يحموم - تقول العرب : أسود يحموم إذا كان شديد السواد ، وقيل اليحموم جبل فى جهنم يستظل به أهل النار - لا بارد ولا كريم - أى لا بارد الثرى ولا كريم المنظر ، وقيل اليحموم اسم من أسماء النار : وقال الضحاك : النار سوداء وأهلها سود كل شىء فيها أسود نعوذ بالله من شرها

﴿ البراعة ﴾ : طائر صغير إذا طار بالنهار كان كبعض الطير وإذا طار بالليل كان كأنه شهاب ناقب أو مصباح طيار . وقال أبو عبيدة : البراع الهجج بين البعوض والذباب يركب الوجه ولا يلدغ ، والبراعة أيضا النعامة :

(الأمثال) قالوا : أخف من براعة ، فيجوز أن يراد به الطائر الذى يطير بالليل وأن يراد به القصبية ، والجمع براع فيهما .

﴿ اليربوع ﴾ : بفتح الياء المثناة تحت ويسمى الدرص بفتح الدال وكسرها وإسكان الراء المهملتين وبالصاد المهملة آخره ، وذا الرميح كما تقدم فى آخر باب الراء المهملة ، حيوان طويل الرجلين قصير اليدين جدا وله ذنب كذنب الجرذ يرفعه صعبدا فى طرفه شبه النوازة لونه كلون الغزال : قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان : إن كل دابة حشاها الله خبثا فهى قصيرة اليدين لأنها إذا خافت شيئا لاذت بالصعود فلا يلحقها شىء ، وهذا الحيوان يسكن بطن الأرض لتقوم رطوبتها له مقام الماء وهو يؤثر النسيم ويكره البحار أبدا يتخذ جحره فى نشز من الأرض . ثم يحفر بيته فى مهب الرياح الأربع ويتخذ فيه كوى وتسمى النافقاء والقاصعاء والرهاء ، فإذا طلب من إحدى هذه الكوى نافق أى خرج من النافقاء وإن طلب من النافقاء خرج من القاصعاء ، وظاهر بيته تراب وباطنه حفر ، وكذلك المنافق ظاهره إيمان

وباطنه كفر ، قال الجاحظ وغيره : واسم المنافق لم يكن في الجاهلية لمن أسر الكفر وأظهر الإيمان ، وتكن الباري جل وعلا اشتق له هذا الاسم من هذا الأصل من نفاقه اليربوع ، لأنه لما أبطن الكفر وأظهر الإيمان وورث بشيء عن شيء ودخل في باب الخديعة وأوهم الغير خلاف ما هو عليه أشبه في ذلك فعل اليربوع انتهى .

وفي طبعه أنه يظأ في الأرض اللينة حتى لا يعرف أثر وطنه كما يفعل الأرنب ، وهو يجتر وييعر وله كرش وأسنان وأضراس في الفك الأعلى والأسفل . قال الجاحظ والقزويني : اليربوع من نوع الفأر ، زاد القزويني وهو من الحيوان الذي له رئيس مطاع يتقاد إليه ، وإذا كان فيها يكون من بينها في مكان مشرف أو على صخرة ينظر إلى الطريق من كل ناحية فإن رأى ما يخافه عليها صر بأسنانه وصوت فإذا سمعته انصرفت إلى أجحرتها فإن قصر الرئيس حتى أدركها أحسد وصاد منها شيئاً اجتمعت على الرئيس فقتلته وولت غيره ، وهي إذا خرجت لطلب المعاش خرج الرئيس أولاً يتشوف فإن لم ير شيئاً يخافه صر بأسنانه وصوت إليها فتخرج .

والواو والياء في اليربوع زائدتان فكان ينبغي أن يكتب في باب الراء المهملة لكنه قد يخفى على بعض الناس فكتب هنا .

(الحكم) يحل اكله لأن العرب تستطيبه وتحلله قاله عطاء وأحمد وابن المنذر وأبو ثور : وقال أبو حنيفة : لا يؤكل لأنه من الحشرات . دليلنا أن الصحابة رضی الله عنهم أوجبوا فيه جفرة إذا قلمه أو أصابه المحرم ، وأن الأصل الإباحة إلا ما خص بالتحريم .
(الأمثال) قالوا : أضل من ولد اليربوع . وقالوا : كالمشترى القاصعاء باليربوع ، يضرب للذي يدع العين ويتبع الأثر لأن القاصعاء جحر اليربوع الذي يتمصع فيه أى يدخل والجمع قواصع :

(الخواص) دم اليربوع يؤخذ فيطلى على الشعر الذي ينبت في الجفن بعد أن ينتف يذهب بإذن الله تعالى :

(التعبير) اليربوع في الرؤيا يدل على رجل حلاف كذاب ، فن نازعه نازع إنسانا كذلك :

﴿ البرقان ﴾ : هو دود يكون في الزرع ثم ينسلخ فيكون فراشا يقال زرع مبروق قاله ابن سيده .

﴿ اليسف ﴾ : الذباب ، وقد تقدم في باب الذال المعجمة مستوفى .

﴿ اليعر ﴾ : بفتح الياء المثناة تحت وبالعين المهملة الجدى يشد عند زبية الأسد . وعند

مأوى الذئب ويغطي رأسه فإذا سمع الضبع صوته جاء في طلبه فوقع في الزبية ، ومنه قولهم :
فلان أذل من اليعر ، واليعر أيضا دابة تكون بنجراسان تسمن على الكد ، وقيل هي
بالغين المعجمة :

(قالوا في أمثالهم) أئمن من يعر ذكره حمزة وغيره :

﴿ اليعفور ﴾ : الخشف وولد البقرة الوحشية أيضا : وقال بعضهم : اليعافير تيوس الظباء :
قال بشر بن حازم :

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

وفي حديث سعد بن عباد رضي الله تعالى عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على
حماره يعفور ليعوده » قيل سمي يعفورا لونه وهي العفرة كما قيل في أخضر يخضور ، وقيل
سمي به تشبيها في عدوه باليعفور وهي الظبي ، والله تعالى أعلم :

﴿ اليعقوب ﴾ : ذكر الحجل : قال الجواليقي : وهو عربي صحيح . وأما يعقوب اسم نبي الله
صلى الله عليه وسلم فهو أعجمي كيوسف ويونس واليسع . وقال الجوهري : يعقوب اسم
رجل لا ينصرف ، المعرفة للعجمة والتعريف ، واليعقوب ذكر الحجل مصروف لأنه عربي
لم يغير وإن كان مزيدا في أوله فليس على وزن الفعل ، ويوصف اليعقوب بكثرة العدو
وشدته . قال الشاعر :

• عاذ يقصر دونه اليعقوب • والجمع اليعاقيب : قال الشاعر :

أودى الشباب الذي مجد عواقبه فيه نلذ ولا لذات للشيب

ويروى أيضا :

أودى الشباب حميدا ذوات العاجيب أودى وذلك شأو غير مطلوب

ولى حثيثا وهذا الشيب يظليه لو كان يدركه ركض اليعاقيب

يروى ركض بالرفع والنصب ، فمن رفعه جعله فاعل يدركه وأراد به أن هذا الطائر على
سرعة طيرانه لا يدرك الشباب إذا ولى فكيف يدركه غيره ؟ ومن نصبه نصبه بفعل مضمر
تقديره ولى يركض ركض اليعاقيب وجعله من جملة صفة الشباب وجعل فاعل يدركه ضمير
الشيب المستتر فيه ، ويصير في البيت تقديم وتأخير ، وتقديره : ولى الشباب حثيثا يركض ركض
اليعاقيب وهذا الشيب يظليه لو كان يدركه ، والمراد باليعاقيب ذكر كور القبيح : وقال بعضهم :
لأنه هنا العقاب ، والمشهور الأول ، واليعقوب والقبيح والحجل راجع إلى نوع واحد ، ووصفه
أبو علي بن رشيح بأبيات منها :

ما أغربت في زيتها إلا يعاقب الحجل
جاءتلك مشقلة القرا تب بالحلى وبالخلل
صفر العيون كأنها باتت بتبر تكتحل
وتخالها قد وكلت بالنون والصوت الزجل
وكأنما باتت أصا بعها بخساء تعل
من يستحل لصيدها فأنا امرؤ لا أستحل

(ومن حكمه) أنه يجب الجزاء بقتل المتولد بين اليعقوب والدجاج قاله الرافعي في الحجج، وهذا يرد قول من قال إن المراد في البيتين الأولين هو العقاب فإن التناسل لا يقع بين الدجاج والعقاب ، وإنما يقع التناسل بين حيوانين بينهما تشاكل وتقارب في الخلق كالحمار الوحشي والأهلي والظبي والشاة ، فإذا عرف هذا فالمراد الدجاج البري وهو في الشكل واللون قريب من الدجاج الإنسي :

﴿ اليعملة ﴾ : الناقة النجيبة المطبوعة على العمل والجمع يعملات ، ومنه قول عبد الله ابن رواحة لزيد بن أرقم رضی الله تعالى عنهما :

يازيد زيد اليعملات الذبل تطاول الليل هديت فانزل

وقيل : بل قال ذلك في غزوة مؤتة لزيد بن حارثة رضی الله تعالى عنه :

﴿ اليمام ﴾ : قال الأصمعي : هو الحمام الوحشي الواحد يمامة : وقال الكسائي : هي التي تألف البيوت ، واليمامة اسم جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام : قال الجاحظ : إنها كانت من بنات لقمان بن عاد وإن اسمها عنز ، وكانت هي زرقاء وكانت الزباء زرقاء وكانت البسوس زرقاء ، وهي أول من اكتحل بالإثمد من العرب ، وهي التي ذكرها النابغة في قوله :

واحكم كحكم فتاة الحلى إذ نظرت إلى حمام شرع وارد الثمد
قد تقدم في حرف الحاء :

(فائدة) قال في ابتلاء الأخيار بالأشرار : النساء اللاتي يضرب بهن المثل خمس وهي زرقاء اليمامة والبسوس ودغة وظلمة وأم قرفة :

أما الزرقاء فيقال : أبصر من زرقاء اليمامة ، وهي امرأة من بني نخير كانت باليمامة تبصر الشعرة البيضاء في الليل وتنظر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام ، وكانت تنذر قومها بالجيوش إذا غزتهم فلا يأتيهم جيش إلا وقد استعدوا له ، فاحتال عليها بعض من غزاهم ، فأمر أصحابه فقطعوا أشجرا وأمسكوها بأيديهم أمام عسكره فنظرت الزرقاء فقالت : إنى أرى الشجر قد أقبلت

إليكم ، فقال لها قومها : قد خرفت وذهب عقلك ورق بصرك كيف تأتى الشجر ؟ قالت : هو ما أقول لكم ، فكذبوها فصبحتهم الخيل وأغاروا عليهم وقتلوا الزرقاء وقوروا عينها فوجدوا عروق عينها قد غرقت فى الإثمد من كثرة ما كانت تكتمحل به .

وأما البسوس فيقال : أشأم من البسرس ، وهى خالة جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ولها كانت الناقة التى قتل من أجلها كليب بن وائل ، وبها ثارت حرب بكر وتغلب التى يقال لها حرب البسوس .

وأما دغة فيقال : أحق من دغة ، وهى امرأة من بنى عجل تزوجت من بنى العنبر .
وأما ظلمة فيقال : أذى من ظلمة ، وهى امرأة من هذيل زنت أربعين سنة وقادت أربعين عاما فلما عجزت عن الزنا والقيادة اتخذت تيسا وعنزا فكانت تنزى التيس على الغنم فقبل لها لم تفعلين ذلك ؟ قالت : لأسمع أنفاس الجماع بينهما :

وأما أم قرفة فيقال : أمنع من أم قرفة ، وهى امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وكانت تعلق فى بيتها خمسين سيفما كل سيف منها لذى محرم لها .

وقد سئل ابن سيرين عن النساء فقال : مفاتيح أبواب الفتن ، ومخازن الحزن ، إن أحسنت المرأة إليك منت عليك ، تفشى سرك ، وتهمل أمرك وتميل إلى غيرك . وقيل النساء ربحان بالليل شوك بالنهار ، وقيل لبعض الحكماء : مات عدوك ، فقال : وددت أنكم قلتم تزوج ، وقيل العجز فى ثلاث خصال : قلة أكترائه فى مصلحته ، وقلة مخالفته لشهوته ، وقبوله من امرأته فيما لا يعلمه . وقال بعض الحكماء : لا تأمنن قارثا على صحيفة ولا شابا على امرأة : وقال غيره : لامصيبة أعظم من الجهل ولا شر أشر من النساء اه :

(الحكم) يحل أكل الحمام وبيضه بالاتفاق ، وقد تقدم فى باب الحاء المهملة فى الحمام .

(الأمثال) قالوا : كن مع الناس بيمامة ، يعنى ارفق بهم ولا تنفرهم :

(وخواصه وتعبيره) كالحمام .

(البرردى) : حوت فى البحر ، وقد تقدم الكلام عليه فى باب الشين المعجمة :

(البرصى) : بفتح الياء والواو وكسر الصاد المهملة المشددة طائر بالعراق أطول جناحا

من الباشق وأخبت صيدا وهو الحر .

(وحكمه) الحرمة كما تقدم فى باب الحاء المهملة :

(اليسوب) : اسم مشترك يقع على طائر نحو الجراد له أربعة أجنحة لا يقبض له

جناحا أبدا ولا يرى أبدا يمشى إنما يرى واقفا على رأس عود أو طائرا . وقال الجوهري :

هو أطول من الجراد لا يضم جناحه إذا وقع شبهت به الخيل المصمرة . قال بشير :

أبو صبية شعث تطيف بشخصه كوالح أمثال العاصيب ضمرا

ثم قال : والياء فيه زائدة لأنه ليس في الكلام فعلول غير صعفوق .
 وذكر ابن خلكان في ترجمة الحسن بن عبد الله العسكري قال : مرض صخر بن عمرو
 ابن الشريد وطال مرضه وكانت أمه وزوجته سليمة بمرضانه ، فسئلت زوجته يوماً عن
 حاله وكانت قد ضجرت منه فقالت : لا هو حي فيرجى ولا ميت فيبكي ، فسمعها صخر
 فأنشد قائلاً :

أرى أم صخر لاتمل عبادتي	وملت سليمة مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة	عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمري لقد نهبت من كان نائماً	وأسمعت من كانت له أذنان
وأى امرئ ساوى بأم حليمة	فلا عاش إلا في شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه	وقد حبل بين العير والنزوان
فلموت خير من حياة كأنها	معرس يعسوب برأس سنان

وفي حديث مصعب « ولولا ظمأ الهواجر ما باليت أن أكون يعسوبا » قال ابن الأثير :
 المراد هاهنا فراشة مخضرة تطير في الربيع . وقيل هو طائر أعظم من الجرادة ، ولو قيل إنه
 النحل لجاز : واليعسوب اسم فرض للنبي صلى الله عليه وسلم وأخرى للزبير رضى الله تعالى
 عنه ، وقيل إنها إحدى الأفراس الثلاثة التي كانت للمسلمين يوم بدر على اختلاف فيه ،
 واليعسوب يطلق على الغرة المستطيلة في وجه الفرس ، وعلى دائرة عند مريض الفرس ، وعلى
 ضرب من الحجلان حكاه الدمياطي في كتاب الخيل : والمربض بكسر الميم وبالضاد المعجمة
 مكان الفرس ، وفي الحديث « صلوا في مرابض الغنم ولا تصلوا في أعطان الإبل » والمرابض :
 المبارك . وربض الأسد : أى رقد . وقال الجاحظ : اليعاسيب هي كبار الذباب انتهى .
 واليعسوب ملك النحل وأميرها الذي لا يتم لها رواح ولا إياب ولا عمل ولا مرعى إلا به
 فهى مزمرة بأمره سابعة له مطيعة ، وله عليها تكليف وأمر ونهى وهى منقادة لأمره متبعة
 لرأيه يدبرها كما يدبر الملك أمر رعيته حتى إنها إذا آوت إلى بيوتها وقفت على باب البيت فلا يدع
 واحدة تزاحم أخرى ولا تتقدم عليها في العبور ، بل تعبر بيوتها واحدة بعد واحدة بغير
 تزاحم ولا تصادم ولا تراكم كما يفعل الأمير إذا انتهى بعسكره إلى معبر ضيق لا يجوزه إلا
 واحد بعد واحد ، وأعجب من ذلك أن أميرين منها لا يجتمعان في بيت ولا يتآمران على جمع
 واحد بل إذا اجتمع منها جندان وأميران قتلوا أحد الأميرين وقطعوه وانفقوا على الأمير
 الواحد من غير معاداة منهم ولا أذى من بعضهم لبعض بل يصيرون يدا واحدة .

روى ابن السني في عمل اليوم واليلة عن أبي أمامة الباهلي رضى الله تعالى عنه عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن أحدكم إذا أراد أن يخرج من المسجد تداعت جنود إبليس

واجتمعت كما تجتمع النحل على يعسوبها ، فإذا قام أحدكم على باب المسجد فليقل : اللهم إني أعوذ بك من إبليس وجنوده فإنه إذا قالها لم تضره «ومن لفظ اليعسوب قيل للسيد يعسوب قومه . وقال على رضى الله تعالى عنه : لما رأى عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد مقتولا يوم الجمل : هذا يعسوب قريش ، ثم قال : جدعت أنفي وشفيت نفسي ، وكان عبد الرحمن يقاتل ذلك اليوم ويقول :

أنا ابن عتاب بسيف ولول والموت دون الجمل الخجل

قال قتالا شديدا في ذلك اليوم وقطعت يده يومئذ وكان فيها حاتم فاخطفها نسر فطرحها باليمامة فعرفت بخاتمه فصلوا عليه : وبالجملة فقد انفقوا على أن يده احتملها طائر في وقعة الجمل فألقاها بالحجاز فصلوا عليها ودفنوها . واختلفوا في الطائر ماهو وفي أى مكان ألقاها؟ فقيل حملها نسر وألقاها باليمامة في ذلك اليوم كما تقدم ، وقال ابن قتيبة : حملتها عقاب فألقتها في ذلك اليوم باليمامة . وقال الحافظ أبو موسى وغيره ألقاها بالمدينة : وقال الشيخ في شرح [المهذب] ألقاها بمكة . وفي صحيح مسلم من حديث النّوّاس بن سميان الطويل « أن الدجال تبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل » أى تظهر له وتجتمع عنده كما تجتمع النحل على يعسوبها .

ولما مات أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قام أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه على باب البيت الذى هو مسجدى فيه فقال : كنت والله يعسوبا للمؤمنين ، وكنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف ، فمثله على كرم الله وجهه باليعسوب . فى سبقه للإسلام غيره لأن اليعسوب يتقدم النحل إذا طارت فتبعه ، والعواصف : الرياح المهلكة فى البر والقواصف : الرياح المهلكة فى البحر ، قال الله تعالى - وإسايان الرياح عاصفة - وقال الله تعالى - فيرسل عليكم قاصفا من الرياح فيغرقكم بما كفرتم - .

وفى كامل ابن عدى فى ترجمة عبد الله بن واقد الواقفى وفى ترجمة عيسى بن عبد الله بن محمد ابن على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله تعالى عنه « أنت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكفار » وفى رواية « يعسوب الظلمة » وفى رواية « يعسوب المنافقين » أى يلوذ بك المؤمنون ويلوذ الكفار والظلمة والمنافقون بالمال كما تلوذ النحل بيعسوبها ، ومن هنا قيل لأمر المؤمنين على كرم الله وجهه أمير النحل .

وهذا ما انتهى إليه الغرض مما يحصل به فى هذا الشأن الاكتفاء وختم بملك النحل الذى استخرج الله من لعابه الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء والآخر شفاء .
وابتدى بملك الوحش الذى منه الشعاعة تقنى :

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المصطفى، ورضى الله عن آله وعترته وصحبه أهل الفضل
 والوفاء، وحسبنا الله وكفى .
 قال مؤلفه رحمه الله تعالى: وكان الفراغ من مسودته في شهر رجب الفرد سنة ثلاث وسبعين
 وسبعائة، جعل الله ذلك خالصا لوجهه الكريم وموجبا للفوز في دار النعم ولا حول ولا قوة
 إلا بالله العلي العظيم .

تم حياة الحيوان الكبرى
 لكamal الدين الدميرى
 ويلييه
 عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات
 لزكريا بن محمد القزوينى

فهرس

(الجزء الثاني من كتاب « حياة الحيوان الكبرى » للدميرى)

صفحة	صفحة	صفحة
العشراء ٢٢	العجمجمة ٢١	٣ (باب الظاء المعجمة)
العصارى ٢٣	أم عجلان	الظبي
العصفور	العجوز	١٠ الظربان
العضل ٣١	عدس	١٢ الظليم
العرفوط	العذفوط	١٢ (باب العين المهملة)
العريقطة	العريج	العائق
العضمجة	عرار	١٣ العاتك
العصر فوط	العربض	عتاق الطير
عطار	العسجدية	العتلة
العطاط	٢٢ العربد	١٤ العاضه والعاضيه
٣٢ العطرف	العربض والعرباض	العاسل
العطاءة	العرسن	العاطوس
٣٧ العفر	العريقصة	العافية
العفريت	العريقطة	العائذ
العفر	والعريقطان	١٥ العبقص والعبقوص
العقاب	العزة	العبور
٤٩ العتمد	العسا	العترفان
العقال	العساسس	العتود
العقرب	العساس	العتة
٦٧ العقربان	العساهيل	١٦ العثمثة
العقف	العسبار	العثمان
العقق	العسبور	العثوئج
٦٨ العقيب	العسلق	العجروف
العكاش	العسنج	العجل

صحيفة	صحيفة	صحيفة
١١٣ الغر	٩٠ العنكبوت	٦٨ العكرشة
الغرنيق	٩٤ العود	العكرمة
١١٧ الغرغر	العواساء	٦٩ العليج
الغرناق	العوس	العل
الغزال	العومة	العلاجوم
١٢٠ الغضارة	العوهق	العلام
الغضب	العلام	العلوش
الغضوف	العلام	العلهان
الغضيض	العيثوم	العلس
الغضرب	٩٧ العير	العلامات
١٢١ الغطريف	عير السراة	٧٠ العلهز
الغطلس	٩٨ العيس	العلعل
الغطاطا	العيساء	٧١ العلق
الغفر	العيلام	٧٥ العلهب
الغفاسة	العيثوم	العمروس
الغنافر	العين	العملس
الغنم	العيهل	العميثل
١٢٩ الغواص	عيجلوف	٧٦ العناق
الغوغاء	ابن عرس	٧٩ عناق الأرض
١٣٠ الغول	١٠٠ أم عجلان	العنيس
١٣٤ الغيداق	أم عزة	العنس
الغيطة	أم عويف	العنبر
الغيلم	أم العيزار	٨٢ العنتر
١٣٥ الغيب	١٠١ (باب الغبن المعجمة)	العندليب
(باب الفاء)	الغاق	٨٣ العندل
الفاخته	الغداق	العنز
١٣٧ الفأر	الغذاق	٨٦ العنظاب
	الغذى	العنظوانة
	الغراب	عنقاء مغرب ومغربة

صحيفة	صحيفة	صحيفة
القاوند ١٩٥	الفروج ١٧٢	الفادر ١٤٢
القبج	الفريروالفرار ١٧٣	الفازر ١٤٣
القبرة ١٩٦	فسافس	الفاشية
القبعة ١٩٩	الفصيل	الفاعوس
القبيط	الفلمحس ١٧٤	الفاطوس
القتع	الفلو	الفالج
ابن قتره	الفناة ١٧٥	فالية الأفاعى
القدان	الفنك	١٤٤. فتح
القراد ٢٠٠	الفنيق	الفتح
القرد	الفهد	الفحل
القردوح ٢٠٦	الفور ١٧٨	القدس ١٤٧
القرش	القولع	١٤٨. الفرا
القرقس ٢٠٨	القيصور	الفراش
القرشام	الفويسقة	١٤٩. الفرافصة
القرعبلانة	القياد	١٥٠. الفرخ
القرعوش	القييل	١٥٢. الفرس
القرقف	١٩٠ (فصل : فى فضل	١٦٧ (فصل : فى صبغ
القرقفنة	العقل وزينه و قبح	البراذين)
القرلى	الجهل وشينه)	١٦٩. فرس البحر
القرمل ٢٠٩	١٩٣ الفينة	١٧٠. الفرش
القرميد	أبو فراس	الفرانق
القرمود	١٩٤ (باب التاف)	الفرفر
القرنبي	التماحة	الفرفور
القرهب ٢١٠	القارة	الفرع
القرز	القارية	١٧١. الفرعل
القرم	القاق	١٧٢. الفرقد
القره ٢١١	١٩٥ القاقم	الفرنوب
القسورة	القانب	الفرهود

صحيفة	صحيفة	صحيفة
٢٤٩ الكعيث	٢٣٤ التوي	٢١١ القشعان
٢٥٠ الكم	التهيبة	القشة
الكلب	القوافر	٢١٢ القصيرى
٢٩٨ كلب الماء	القواع	القط
الكاثوم	القوب	٢١٣ القطا
الكلكة	٢٣٥ القوبع	٢١٩ القطا
٢٩٩ الكيت	القوئع	القطاى
الكندارة	القوق	قطرب
الكنعبة	قوقيس	القشعبان
الكنعد والكنعد	قوقى	القعود
الكندش	قيد الأوابد	٢٢٠ القعيد
الكهف	قيق	القتعع
الكودن	أم قشعم	القاو
الكوسج	٢٣٦ أبو قير	القلقانى
٣٠٠ الكهول	أم قيس	القلوص
(باب اللام)	(باب الكاف)	٢٢٢ القليب
لاى	الكاسر	القمرى
اللباد	كاسر العظام	٢٢٤ القمعة
٣٠١ اللبوة	الكيش	القمعوط والقمعوطة
٣٠٤ اللجأ	٢٤٢ الكعبة	القمل
اللكحاء	الكتفان	٢٣١ القمقام
٣٠٥ اللحم	الكتع	قندر
اللعوس	الكدر	القتندس
اللوعة	الكركر	القتعاب
اللقة	الكركند	القتنذ
٣٠٧ اللقوة	٢٤٤ الكركى	٢٣٤ القنفل البحرى
اللقاط	٢٤٨ الكروان	القنفة
٣٠٨ الللق	٢٤٩ الكسوم	

صحيفة	صحيفة	صحيفة
النفاس ٣٥٦	المملكة ٣٢٣	٣٠٩ الهق
النساس	المنارة	اللهم
النسوس ٣٥٨	المنخقة	اللوب والنوب
النضو	٣٢٤ المنشار	الغيلم
النعب ٣٥٩	الموقوذة	الطرم
النعام ٣٦٠	الموق	اللوشب
النخل ٣٦٥	المول	اللياء
النعجة	٣٢٥ المها	٣١٠ الليث
٣٦٦ النعبول	٣٢٦ المهر	٣١٢ الليل
النعرة	٣٢٧ ملاعب ظله	(باب الميم)
٣٦٧ النعم	أبو مزينة	مارية
٣٦٩ النغر	ابنة المطر	المازون
٣٧٠ النغض	٣٢٨ أبو المليح	الماشية
النغف	ابن ماء	٣١٣ مالك الحزين
النفار	(باب النون)	٣١٤ المتردية
٣٧١ النقااز	الناب	المجتمعة
النقاقة	الناس	الثا
النقد	الناصح	المربح
النكل	٣٢٩ الناقة	المرء
النمر	٣٣٧ الناموس	المرزم
٣٧٣ النمس	الناهض	٣١٥ المرعة
٣٧٤ النمل	النباج	مسهر
٣٨١ النهار	النبر	المطية
النحاس	النجيب	٣١٩ المعراج
النهس	٣٣٨ النحام	المغر
النهام	٣٣٩ النحل	٣٢٠ ابن مقرض
٣٨٢ النهسر	٣٥٠ النحووص	المقوقس
النهشل	النسر	٣٢٢ المكاء
		٢٢٣ المكلفة

صحيفة	صحيفة	صحيفة
٤١٤ الورشان	٤٠٦ الهمج	٣٨٣ النواج
٤١٦ الورقاء	٤٠٧ الهمع	النوب
٤١٧ الورل	الهمل	النورس
٤٢١ الوزغة	الهملع	النوص
٤٢٥ الوصح	الهمهم	النون
الوطواط	الهنبر	٣٨٦ (باب الهاء)
٤٢٦ الووع	الهودع	الهالع
الوعل	٤٠٨ الهوذة	الهامة
٤٢٩ الوقواق	الهوذن	٣٩٠ الهبع
بنات وردان	الهلابع	الهبلع
٤٣٠ (باب الياء)	الهللال	الهجاة
يأجوج ومأجوج	الهميم	الهجرس
٤٣٣ اليامور	الهيجمانة	٣٩١ الهجرع
اليؤيؤ	الهيطل	الهجين
٤٣٤ اليحبور	الهيعة	الهدهد
اليحمور	الهيق	٣٩٦ الهدى
٤٣٥ اليحموم	٤٠٩ الهيكل	٣٩٧ الهديل
اليراعة	أبو هارون	الهرماس
اليربوع	(باب الواو)	الهر
٤٣٦ اليرقان	الوازع	٤٠٥ الهرنصانة
اليسف	الواق واق	هرثمة
اليعر	الواق	الهرهير
٤٣٧ اليعفور	الوبر	الهرزون والهرزان
اليعقوب	٤١١ الوج	الهازار
٤٣٨ اليعملة	الوحره	الهبز
اليام	الوحش	٤٠٦ الهرعة
٤٣٩ لليهودى	٤١٤ الودع	الهف
اليوصى	الوراء	الهقل
اليعسوب	الورد	الهقلس
	الوردانى	

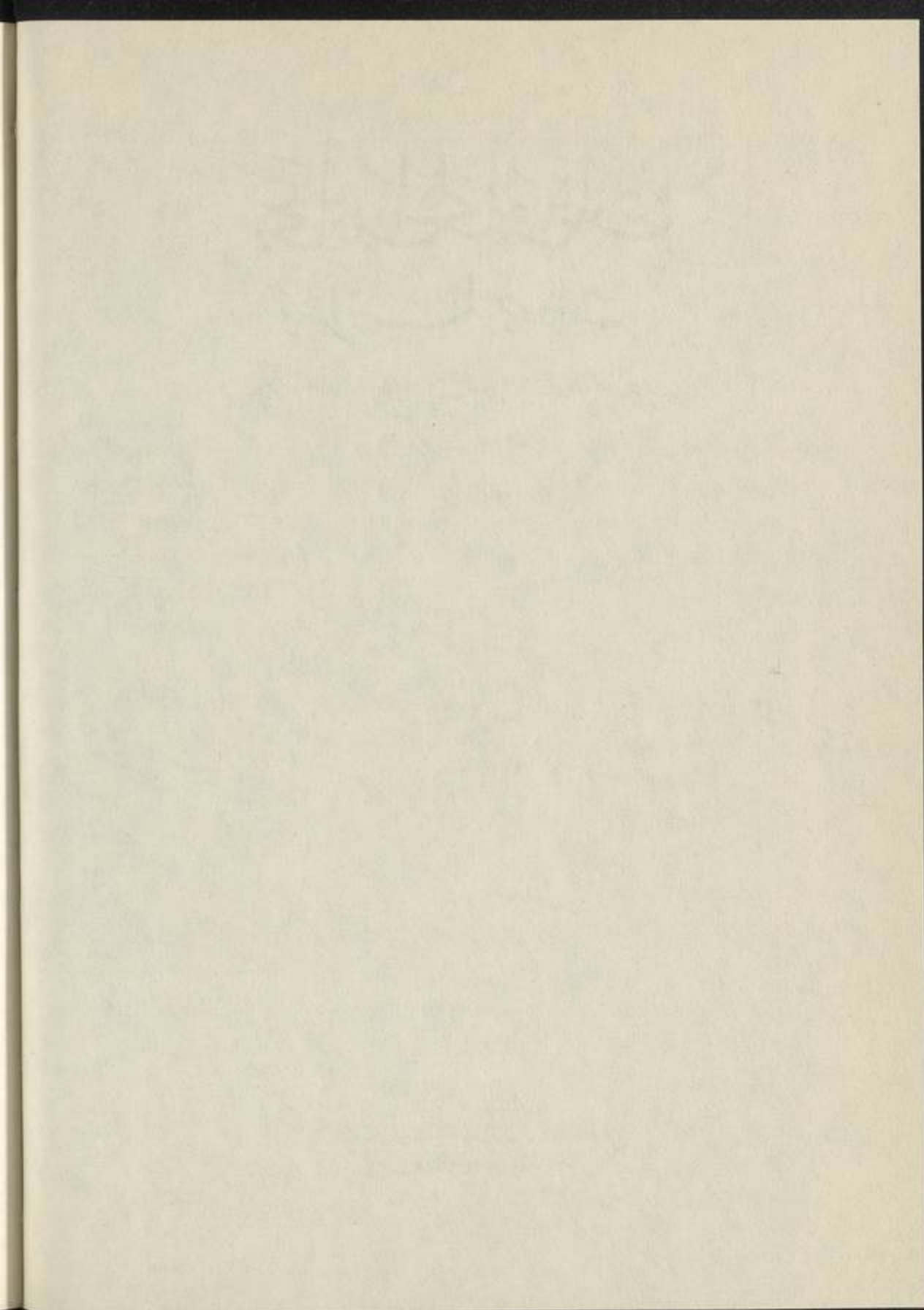
عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

تأليف العالم زكريا بن محمد بن محمود القزويني
(٦٠٠ - ٦٨٢ هـ)

الطبعة الرابعة

١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م

مكتبة الطبع والنشر
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
تصميم محمود الحاي وشركاه - خلفه



أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ

(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . العظمة لك والكبرياء لجلالك ، اللهم يا قائم الذات ويا مفيض الخيرات ، واجب الوجود وواهب العقول وفاطر الأرض والسموات مبدى الحركة والزمان ، ومبدع الخير والمكان ، فاعل الأرواح والأشباح وجاعل النور والظلمات ، محرك الأفلاك ومزينها بالثوابت والسيارات ، ومقر الأرض وممهدها لأنواع الحيوان وأصناف المعادن والنبات ، دام حمدك وجل ثناؤك وتعالى ذكرك وتقدست أسماؤك ، لا إله إلا أنت وسعت رحمتك وكثرت آلاؤك ونعمائك ، أفض علينا أنوار معرفتك ، وطهر قلوبنا عن كدورات معصيتك ، وأمطر علينا سخائب فضلك ومرحمتك ، واضرب علينا سرادقات عفوك ومغفرتك ، وأدخلنا في حفظ عنايتك ومكرمتك ، وصل على ذوى الأنفس الطاهرات ، والمعجزات الباهرات ، خصوصا على سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين « محمد » بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، الذى اخترته للنبوة وآدم بين الماء والطين ، وأرسلته رحمة للعالمين ، وأيدته بنصره وبالمؤمنين ، وختمت به الأنبياء والمرسلين ، وعلى إخوانه من النبيين والصالحين وآله وصحبه أجمعين .

يقول العبد الأصغر زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، تولاه الله بفضلته وهو من أولاد بعض الفقهاء الذين كانوا موطنين بمدينة قزوين ، وينتهى نسبه إلى أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لما حكم الله تعالى ببعث الدار والوطن ومفارقة الأهل والسكن ، أقبات على مطالعة الكتب على رأى من قال . وخير جليس فى الزمان كتابي . وكنت مستغرقا بالنظر فى عجائب صنع الله تعالى فى مصنوعاته ، وغرائب إبداعه فى مبتدعاته كما أرشد الله سبحانه إليه حيث قال تعالى - أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج - وليس المراد من النظر تقليب الحدقة نحوها فإن البهائم تشارك الإنسان فيه . ومن لم ير من السماء إلا زرقتها ، ومن الأرض إلا عبرتها فهو مشارك للبهائم فى ذلك ، وأدنى حالا منها وأشد غفلة

كما قال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين - إلى أن قال - أولئك كالأنعام بل هم أضل - والمراد من هذا النظر التفكير في المعقولات والنظر في المحسوسات والبحث عن حكمتها وتصاريفها ليظهر له حقائقها ، فإنها سبب اللذات الدنيوية والسعادات الأخروية ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « اللهم أرني الأشياء كما هي » وكلما أمعن النظر فيها ازداد من الله تعالى هداية و يقينا ونورا وتحقيقا ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « تفكروا في خلق الله ، والفكر في المعقولات لايتأتى إلا لمن له خبرة بالعلوم والرياضات بعد تحسين الأخلاق وتهذيب النفس ، فعند ذلك يفتح له عين البصيرة ويرى في كل شئ من العجب ما يعجز عن إدراك بعضها ، فلو ذكر طرفا منها لغيره لأنكره ، والله در القائل :

إني سمعت عجيبا كنت أحسبه طيفا من النوم أوهجرا من السمير
لما ألفت به ألفت صحته وقد رأيت ألوفا مثل ذا العبر

ومن هذا القبيل ما أخبر الله تعالى في كتابه عما جرى بين الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام ، وما ذكر أيضا أن موسى اجتاز بعين ماء في سفح جبل فتوضأ ثم ارتقى الجبل ليصلى إذ أقبل فارس وشرب من ماء العين وترك عندها كيسا فيه دراهم ، فجاء بعده راعي غنم فرأى الكيس فأخذه ومضى ، ثم جاء بعده شيخ عليه أثر البؤس والمسكنة على ظهره حزمة حطب فحط حزمته هناك واستلقى ليستريح ، فما كان إلا قليل حتى عاد الفارس يطلب كيسه ، فلما لم يجده أقبل على الشيخ يطالبه به فلم يزل يضربه حتى قتله ، فقال موسى : يارب كيف العدل في هذه الأمور ؟ فأوحى الله عز وجل إليه : إن الشيخ كان قد قتل أبا الفارس ، وكان على أبي الفارس دين لأبي الراعي مقدار ما في الكيس ، فجرى بينهما القصاص وقضى الدين ، وأنا حكيم عادل. ولقد حصل لي بطريق السمع والبصر والفكر والنظر حكم عجيبة وخواص غريبة فأحببت أن أقيدها لتثبت وكرهت الذهول عنها مخافة أن تنلت ؛ وقد كثرت على عواطف المولى الصاحب الصدر الكبير العادل المؤيد المظفر ، شمس الدولة ظهير الملة علاء الدين عماد الإسلام نظام الملك غياث الأمة عطاء الملك بن محمد بن محمد ضاعف الله جلالة وأدام في العز والعلاء إقباله ، فإنه مع شريف منزلته وعلو مرتبته مشهور بالكرم والإحسان مذكور لوفور الفضل عن أهل الزمان ، وقد خصه الله تعالى بمكارم الأخلاق وفضائل الحسب والجد الموروث والجد المكتسب فخدمت بهذا الكتاب مجلسه الرفيع أدام الله رفعة وكبت أعداءه وحسدته ، فإنه منبع الخبرات ومعدن المسرات شكرا لأبياده السابقة وقضاء لحقوقه اللاحقة ورجاء أن يتخذ اسمي بتخليد ذكره الشريف ويتأبد وسمى بتأييد عزه المنيف ، والله ولي التوفيق وعلى ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

(فصل)

وعلى الناظر في كتابي هذا أن يعنى في جمع ما كان مبددا وتلفيق ما كان مشتتا ، وقد ذكر فيه أسبابا تأبأها طباع الغافل ، ولا ينكرها نفس الذكي العاقل ، فإنها وإن كانت بعيدة عن العادات المعهودة والمشاهدات المألوفة ، لكن لا يستعظم شئ * مع قدرة الخالق وجبة المخلوق ؛ وجميع ما فيه : إما عجائب صنع البارئ تعالى وذلك إما محسوس أو معقول لا ميل فيهما ولا خلل ، وإما حكاية طريفة منسوبة إلى رواتها لا ناقة لى فيها ولا جمل ، وإما خواص غريبة وذلك مما لا يبنى العمر بتجربتها ولا معنى لترك كلها لأجل الميل في بعضها ، فإن أحببت أن تكون منها على ثقة فشمّر لتجربتها ، وإياك أن تغتر أو تلم أو تمل إذا لم تصب في مرة أو مرتين فإن ذلك قد يكون لفقد شرط أو حدوث مانع ، وحسبك ما ترى من حال المغناطيس وجذبه الحديد فإنه إذا أصابه رائحة الثوم بطلت تلك الخاصية فإذا غسلته بالخل عاد إليه ، فإذا رأيت مغناطيسا لا يجذب الحديد فلا تنكر خاصيته فاصرف عنايتك إلى البحث عن أحواله حتى يتضح لك أمره : على أنى أشهد الله تعالى أن شيئا منها ما افترته بل كتبت الكل كما افترته ، فإن نظرت إليها بعين الرضا فإنها عن كل عيب كليله ، وإن نظرت بعين السخط فإن المساوى كثيرة ، وعين الكريم عن المعائب عميا وأذنه عن المساوى صما ، والله در القائل :

فقلت لهم لا تنسوا الفضل بينكم فليس يرى عين الكريم سوى الحسن
وسميته :

[عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات]

ولا بد من ذكر مقدمات أربع في شرح هذه الألفاظ ليتبين منها مقصود الكتاب والله الموفق للصواب :

المقدمة الأولى

في شرح العجب

قالوا : العجب حيرة تعرض للإنسان لمصوره عن معرفة سبب الشئ* أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه ؛ مثاله أن الإنسان إذا رأى خلية النحل ولم يكن شاهده قبل لكثيرته حيره لعدم معرفة فاعله ، فلو علم أنه من عمل النحل لتحير أيضا من حيث إن ذلك الحيوان الضعيف كيف أحدث هذه المسدسات المتساوية الأضلاع التي عجز عن مثلها المهندس الحاذق مع الفرجار والمسطرة ، ومن أين لها هذا الشمع الذي اتخذت منه بيوتها المتساوية التي لا تخالف

بعضها بعضاً كأنها أفرغت في قالب واحد ، ومن أين لها هذا العسل الذي أودعته فيها ذخيرة للشتاء ؟ وكيف عرفت أن الشتاء يأتيها وأنها تفقد فيه الغذاء ؟ وكيف اهتدت إلى تغطية خزانة العسل بغشاء رقيق ليكون الشمع محيطاً بالعسل من جميع جوانبه ، فلا يتسلف الهواء ولا يصيبه الفأر ويبقى كالبرنية المنضمة الرأس فهذا معنى العجب . وكل ما في العالم بهذه المثابة ، إلا أن الإنسان يدركه في زمن صباه عند فقد التجربة ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلاً قليلاً وهو مستغرق الهم في قضاء حوائجه وتحصيل شهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته فستط عن نظره بطول الأنس بها ، فإذا رأى بغتة حيواناً غريباً أو فعلاً خارقاً للعادات انطلق لسانه بالتسليح فقال : سبحان الله ، وهو يرى طول عمره أشياء تتحير فيها عقول العقلاء وتدهش فيها نفوس الأذكىاء ، فمن أراد صحة أو صدق هذا القول فينظر بعين البصيرة إلى هذه الأجسام الرفيعة وسعتها وصلابتها وحفظها من التغير والفساد إلى أن يبلغ الكتاب أجله ، فإن الأرض والهواء والبحار بالإضافة إليها كحلقة ملقاة في فلاة قال الله تعالى - والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون - . ثم إلى دوراتها المختلفة فإن بعضها يدور بالنسبة إلينا رحوية وبعضها حائلية وبعضها دولابية وبعضها يدور سريعاً وبعضها يدور بطيئاً . ثم إلى دوام حركاتها من غير فتور وإلى إمساكها من غير عمد تعتمد بها أو علاقة تدل بها . ثم لننظر إلى كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فإن بعضها يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى لون الرصاص ثم إلى مسير الشمس وفلكها مدة سنة وطلوعها وغروبها كل يوم لاختلاف الليل والنهار ومعرفة الأوقات وتمييز وقت المعاش عن وقت الاستراحة . ثم إلى إمالتها عن وسط السماء حتى وقع الصيف والشتاء والربيع والخريف : وقد اتفق الباحثون على أنها مثل كرة الأرض مائة مرة ونيفا وستين مرة وفي لحظة تسير أكثر من قطر كرة الأرض ، وقد عرض ذلك جبريل عليه السلام حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم « من وقت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام » . ثم لينظر إلى جرم القمر وكيفية اكتسابه النور من الشمس لينوب عنها بالليل . ثم إلى امتلائه وانحماقه : ثم إلى كسوف الشمس وخسوف القمر ، ومن العجائب السواد الذي في جرم القمر فإنه لم يسمع فيه قول شافٍ إلى زماننا هذا ، وكذلك في المجرة وهي البياض الذي يقال له شرج السماء وهو على ذلك يدور بالنسبة إلينا رحوية .

وعجائب السموات لا نستطيع لإحصاء عشر عشرها لكن القدر الذي جرى في جرم القمر ذكرناه تبصرة لكل عبد منيب . ثم لينظر إلى ما بين السماء والأرض من انقضاض الشهب والغيوم والرعود والبروق والصواعق والأمطار والثلوج والرياح المختلفة المهاب . ولينأمل السحاب الكثيف المظلم كيف اجتمع في جو صافٍ لاكدورة فيه ، وكيف حمل الماء وتسخير الرياح فإنتها تتلاعب به وتسوقه إلى المواضع التي أرادها الله تعالى فترش وجه الأرض وترسله

قطرات متفاضلة لا تدرك قطرة منها قطرة ليصيب وجه الأرض برفق، فلو صبه صبا لأفسد الزرع بخدشه وجه الأرض، ويرسلها مقدارا كافيا لا كثيرا زائدا على الحاجة فيعفن النبات، ولا قليلا ناقصا عن الحاجة فلا يتم به النمو كما قال تعالى - وأنزلنا من السماء ماء بقدر - . ثم إلى اختلاف الرياح فإن منها ما يسوق السحب ومنها ما ينشرها ومنها ما يجمعها ومنها ما يعصرها ومنها ما يلقح الأشجار ومنها ما يربي الزرع والثمار ومنها ما يجففها . ثم لينظر إلى الأرض وجعلها قرارا لتكون فراشا ومهادا ثم إلى سعة أكتافها وبعد أقطارها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها - والأرض فرشناها فنعم الماهدون - . ثم إلى جعل ظهرها محلا للأحياء وبطنها مقرا للأموات ، قراها وهي ميتة - فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت - وأظهرت أجناس المعادن وأنبت أنواع النبات وأخرجت أصناف الحيوان : ثم إلى إحكام أطرافها بالجبال الشاخات كأوتاد لها يمنعونها من أن تميد . ثم إلى إيداع أو شال المياه في خزانات ليخرج منها قليلا قليلا فتفتجر منها العيون وتجري منها الأنهار دائما . ثم لينظر إلى البحار العميقة التي هي خلجان من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض، حتى إن جميع المكشوف من البوادي والجبال بالإضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء، ثم إلى ما فيها من الحيوان والجواهر ، وما من صنف من أصناف حيوان البر إلا وفي البحر أمثاله وأضعافه وفيها أجناس لا يعهد لها نظير في البر : ثم لينظر إلى خلق اللؤلؤ في صدفة تحت الماء . ثم إلى إنبات المرجان في صميم الصخر تحت الماء وهو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر : ثم إلى ما عداه من العنبر وإلى أصناف النفائس التي يقذفها البحر ويستخرج منه . ثم إلى السفن كيف سيرت في البحار وسرعة جريها ، وإلى إيجاد الأنهار ومعرفة النواتق موارد الرياح ومهابها وسواقيها .

وعجائب البحار كثيرة لا مطمع في إحصائها . وقد قيل : حدثت عن البحر ولا حرج ، وفيما ذكرناه كفاية . ثم لينظر إلى أنواع المعادن المودعة تحت الجبال : فمنها ما ينطبع كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص ، ومنها ما لا ينطبع كالقبروزج والياقوت والزرجد : ثم إلى كيفية استخراجها وتنقيتها واتخاذ الحلى والآلات والأواني منها . ثم إلى معادن الأرض كالنفط والقيز والكبريت وغيرها وأقلها الملح، فلو خلقت منه بلد لتسارع الفساد إلى أهلها : ثم لينظر إلى أنواع النبات وأصناف فواكهها مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والأرابيج - تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل - مع اتحاد الأرض والهواء والماء فيخرج من نواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب وبره حبة - سبع سنابل في كل سنبل مائة حبة - ثم لينظر إلى أرض البوادي وتشابه أجزائها فإنها إذا نزل القطر عليها اهتزت وربت وأنبت من كل زوج بهيج . ثم إلى كثرتها واختلاف أصنافها متشابهة وغير متشابهة : ثم إلى كثرة

أشكالها وألوانها وطعومها وروائحها واختلاف طبائعها وكثرة منافعها، فلم يذبت من الأرض ورقة إلا وفيها منفعة أو منافع يقف فهم البشر دون إدراكها . ثم لينظر إلى أصناف الحيوان وانقسامها إلى ما يطير ويقوم ويمشي ، وانقسام الماشي إلى ما يمشي على بطنه وإلى ما يمشي على رجلين وإلى ما يمشي على أربع ، وإلى أشكالها وألوانها وصورها وأخلاقها وأفعالها ليرى عجائب تدهش منها العقول ، بل في البقعة أو الغمل أو العنكبوت أو النحل فإنها من ضعاف الحيوانات ليرى ما يتحير منه من بنائها البيت وجمعها الغذاء وادخارها القوت لوقت الشتاء وحذقها في هندستها ونصبها الشبكة للصيد ، وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب ما لا يحصى وإنما سقط التعجب هنا للأنس وكثرة المشاهدة : وعجائب السموات والأرض كما قال تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - بحار لا يدري سواحلها ولا يعرف أوائلها ولا أواخرها ، والله الموفق للصواب .

المقدمة الثانية

في تقسيم الخلوقات

الخلوق كل ما هو غير الله سبحانه وتعالى . وهو إما أن يكون قائماً بالذات أو قائماً بالغير والقائم بالذات إما أن يكون متحيزاً أو لم يكن ، فإن كان متحيزاً فهو الجسم وإن لم يكن فهو الجوهر الروحاني ؛ وهو إما أن يكون متعلقاً بالأجسام متعلق التدبير وهو النفس أو لا يكون، وهو إما أن يكون سليماً عن الشهوة والغضب وهو الملك أو لا يكون وهو الجن القائم بالغير ، فإن كان قائماً بالمتحيزات فهو الأعراض الجسمانية وإن كان قائماً بالمفارقات فهو الأعراض الروحانية كالعلم والقدرة ؛ والأعراض الجسمانية، إما أن يلزم من صدقها حصول صدق النسبة أو صدق قبول النسبة أو لا هذا ولا ذلك ، فإن كان الأول فالنسبة إما حصول في المكان وهو الأين أو في الزمان وهو الشيء أو نسبة متكررة وهو الإضافة أو تأثير الشيء في الشيء وهو الفعل أو تأثر الشيء عن الشيء وهو الانفعال، وكون الشيء محيطاً بالشيء يجب أن ينتقل المحيط بانتقال المحاط به وهو الملك ، أو هيئة حاصلة بمجموع الجسم بسبب حصول النسب بين أجزاء بعضها إلى بعض وبين أجزائه والأمور الخارجية وهو الوضع ، وإن كان يلزم من حصولها صدق قبول النسبة فهو إما أن يكون بحيث لا يحصل بين أجزائه حدود مشتركة وهو العدد أو يحصل وهو المقدار ، وإن كان لا يلزم من حصولها صدق قبول النسبة فإما أن يكون مشروطاً بالحياة أو لم يكن ، فإن كان فإما أن يتوقف على الشهوة والنقرة وهو التحريك أو لا يتوقف وهو الإدراك ، ثم الإدراك إما إدراك الكليات وهو العلوم والظنون

والجهالات أو إدراك الجزئيات وهو الحواس الخمس ، وإن لم يكن مشروطا بالحياة فهو الأعراض المحسوسة بالحواس الخمس ؛ أما المحسوسات بالقوة الباصرة فكالألوان والألوان ، وأما المحسوسات بالقوة الشامة فكالطيب والنتن ، وأما المحسوسات بالقوة السامعة فالأصوات والحروف ، وأما المحسوسات بالقوة اللامسة فكالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والثقل والخفة والصلابة واللين والخشونة والملاسة فهذه جملة أقسام الممكنات ، وسيأتى الكلام في كل قسم منها إن شاء الله تعالى .

(فصل)

ذكر أهل السير أنه وجد في السفر الأول من التوراة : إن الله تعالى خلق جواهر ثم نظر إليها نظر الهيبة فذاب الجوهر وصعد منه دخان ورسب منه رسوب ، فخلق سبحانه من الدخان السموات ومن الرسوب الأرض ، ويدل على ذلك قوله تعالى - أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - وأحكم جلت قدرته خلق المجموع في ستة أيام . قال بعض العلماء : إن اليوم في اللغة الكون الحادث والأيام هاهنا مراتب مصنوعاته لأن قبل الزمان لا يمكن تجدد الزمان ؛ فن الأيام الستة يوم لمادة الأرض ويوم لصورتها ، ويوم لمادة السماء ويوم لصورتها ، ويوم لمكاملاتها من الجبال والكواكب والنفوس وغيرها ، وقال أيضا : كل ما فوق الأرض فهو سماء في طريق اللغة ، يقولون : ماعلاك فهو سماؤك وما دونك فلك القمر فهو بالنسبة إلى الأفلاك أرض قال تعالى - خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن - يعني سيعا ، فالأولى كرة النار والثانية كرة الهواء والثالثة كرة الماء والرابعة كرة الأرض ، وثلاث طبقات متمزجات بين الأربعة الأولى من النار والهواء والثانية من الهواء والماء والثالثة من الماء والأرض ، ثم دبر بعنايته بعد الجماد أمر المعادن الداخلة في الجماد ثم النبات ثم الحيوان هذا هو القول الكلي في الخلوقات ، وسيأتى القول في جزئياتها في مقالتي إن شاء الله تعالى ، والله الموفق للصواب .

المقدمة الثالثة

في معنى الغريب

الغريب كل أمر عجيب قليل الوقوع يخالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة ، وذلك إما من تأثير نفوس قوية أو تأثير أمور فلسفية أو أجرام عنصرية كل ذلك بقدره الله تعالى وإرادته (فن) ذلك معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانشقاق القمر ، وانفلاق البحر ، وانقلاب العصا ثعبانا ، وكون النار بردا وسلاما ، وخروج الناقة

من الصخرة الصماء ، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى. ومنها كرامات الأولياء الأبرار فإن تأثير نفوسهم يتعدى إلى غير أبدانهم حتى يحدث عنها انفعالات غريبة في العالم فيشفي المريض باشتغافهم وتسقى الأرض باستسقايمهم ، وربما يحدث الخسف والزلزلة والطوفان والصواعق بدعواتهم ، ويصرف الوباء والموتان باستدعائهم ، وتبدل لهم نفرة الطيور بالهدوء والوقوع وصوله السباع وشدتها باللين والخضوع : (ومنها) إخبار الكهنة والكهانة اندرست بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يأتون الجاهلية بأمر غريبة زعموا أنها كانت بواسطة اختلاط نفوسهم بنفوس الجن . (ومنها) الإصابة بالعين فإن العائن إذا تعجب من شيء كان تعجبه مهلكا للمتعجب منه بحاصية لنفسه لا يوقف عليها . (ومنها) اختصاص بعض النفوس من الفطرة بأمر غريب لا يوجد مثله لغيرها كما ذكر أن في الهند قوما إذا اهتموا بشيء اعتزلوا عن الناس وصرخوا همهم إلى ذلك الشيء فيقع على وفق اهتمامهم : (ومن) هذا القبيل ما حكى أن السلطان محمودا غزا بلاد الهند ، وكان فيها مدينة كل من قصدها مرض ، فسأل عن ذلك ، فقالوا : إن عندهم جمعا من الهند يصرفون همهم على ذلك فيقع المرض على وفق اهتمامهم ، فأشار إليه بعض أصحابه بدق الطبول ونفخ البوقات الكثيرة ليشوش همهم ، ففعلوا ذلك فزال المرض واستخلصوا المدينة . (ومن) هذا القبيل ما ذكر أن رجلا فيلسوفا في زمن خوارزم شاه محمد بن تكش جاء من بلاد الهند إلى خراسان فأسلم ، وكان يقال له داناي هند يستخرج طالع كل إنسان أراد حتى ضربه بالطوالع الرصدية فلم يخط شيئا ، وزعم أن ذلك له بواسطة حساب يعرفه فرفع أمره إلى السلطان فقال له : هل تقدر على استخراج غير الطوالع ؟ قال : نعم . قال : أخبرني عما رأيت البارحة في نومي ؟ فرجع إلى نفسه وحسب ثم قال : رأى السلطان أنه في سفينة ويده سيف : فقال السلطان : لقد أصاب لكننا لا ننتفع بهذا القدر لأنى على طرف جيحون كثيرا ما أركب السفينة والسيف لا يفارقني فر بما قال اتفاقا ، فامتحنه مرة أخرى فأصاب فقربه من نفسه وكان يستعين به في أموره . (ومن) ذلك أمور سماوية كظهور الكواكب ذوات الأذنان والتماثيل والشانين وانقضاض شهب يستضيء الجو منها . (ومنها) سقوط جسم من الجو ثميل كما ذكر الشيخ الرئيس : أنه سقط في زمانه بأرض جوزجان جسم كقطعة حديد قدر خمسين منا مثل حبات الجاوش المنضمة ، فأرادوا كسرها فما كان يعمل فيها الحديد ألبتة : (ومنها) سقوط ثلج أو برد في غير أوانه كما حكى عن بعض شيوخ قزوین أنه أتاهم في زمن الشمس برد عظيم كل واحدة على قدر الجوزة فأهلك كثيرا من الحيوان والنبات ؛ والمشمش : لا يدرك بقزوين إلا في الصيف . (ومنها) سقوط أحجار من الحديد والنحاس في وسط الصواعق وذلك يوجد ببلاد الترك ، وربما يوجد بأرض جبالان أيضا .

(وحكى) أبو الحسن علي بن الأثير الجزري في تاريخه : أنه نشأت بأفريقية في سنة إحدى عشرة وأربعمائة سحابة شديدة الرعد والبرق ، فأمرت حجارة كثيرة وأهلكت كل من أصابته .

(وأغرب) من هذا ما حكاه الجاحظ أنه نشأت سحابة بايدج وهي مدينة بين أصبهان وجوزستان سحابة طحيا تكاد تمس رءوس الناس وسمعوا منها كهدير الفحل ، ثم إنها دفعت بأشد مطر ثم استسلموا للغرق ثم دفعت بالصفادع والشبايط العظام السمان ، والشبوط نوع من السمك فأكلوا وملحوا وادخروا كثيرا .

ومن ذلك أمور أرضية مثل صيرورة اليبس بحرا كأرض اليونان فإنها كانت بلادا معمورة والآن استولى الماء عليها ، وصيرورة البحر يبسا كأرض ساوة فإنها كانت بحرا والآن لا يرى فيها أثر البحر . (ومنها) ما زعموا أنه يصعد من الأرض بخار لا يصيب شيئا من الحيوان والنبات إلا جعله حجرا صلدا ، وآثار ذلك ظاهرة من أرض مصر ومثله ثم بأرض قزوين (ومنها) وقوع خسف بناحية من الأرض وخروج ماء أسود منها ، وقد شوهد ذلك في كثير من النواحي منها مدينة عنجرة بأرض الروم وقرية دركزين من أعمال همدان ، ومنها زلزلة تبق شهرأ أو أكثر ببعض النواحي ، وقد شوهد ذلك بأرض نيسابور والرى وحدثنى أبو القاسم الرافعي قدس الله روحه أنه شاهد في هذه الزلزلة سقفا قد انشقت حتى رأى السكواكب من جانبه ثم عاد إلى حاله ولم يظهر عليه أثر الشق . (ومنها) ظهور معدن ببعض الأصماع لم يعرف قبل ذلك من الزمان ، كظهور معدن الذهب عند الإسماعيلية . (ومنها) ظهور نبت بأرض لا عهد للناس بوجوده هناك كظهور الترنجيبين بأرض ساوة . (ومنها) تولد حيوان غريب الشكل لم ير مثله ، كما روى عن الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه رأى باليمن إنسانا من وسطه إلى سفله بدن امرأة ، ومن وسطه إلى فوق بدنان مفترقان بأربع أياد ورأسين ووجهين وهما يأكلان ويشربان ويختصمان ويصطلحان . وذكر أن امرأة بكلوسامان من قرى بلخ ولدت شخصا له نصف بدن ونصف رأس ويد واحدة ورجل واحدة على صورة النسنان الذي يوجد في غياض الشجر باليمن ، ثم حملت مرة أخرى فولدت بدنا له رأسان .

وزعم الحكماء أنهم وجدوا ثلاثة معان من الأمور غريبة وقد وضعوا لكل معنى اسما (وأحد هذه المعاني) الآثار النفسانية والانفعالات التابعة للتصورات من غير واسطة أمر طبيعي ، فاستعمال تلك التصورات في الخير معجزة من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكرامة من الأولياء عليهم الرحمة والرضوان ، واستعمالها في الشر سحر من النفوس الشرية (وثانيها) أمور غريبة تحدث من قوى سماوى ، وأجسام عنصرية مخصوصة بهيئات وأشكال وأوضاع تسمى الطلسمات (وثالثها) أمور غريبة تحدث من أجساد أرضية كجذب المغناطيس

الحديد وتسمى النيرانجات ، وهذا هو القول الكلي في الأمور الغربية ، وسيأتي الكلام في جزئياتها إن شاء الله تعالى :

المقدمة الرابعة

في تقسيم الموجودات

كل موجود سوى الواحد سبحانه مخلوق ، وكل ذرة من جوهر وعرض وصفة وموصوف فيها غرائب وعجائب يظهر فيها حكم الله تعالى وقدرته ، وإحصاء ذلك غير ممكن لكننا نشير إلى ذلك ونقول إجمالاً ، فنقول : الموجودات منقسمة إلى ما لا نعرف أصلها ولا يمكننا النظر فيها فكم من موجود لا نعلمه كما قال الله تعالى - ويتخلق ما لا تعلمون - وإلى ما نعرف جملها ولا نعرف تفصيلها ، وهي منقسمة إلى ما لا يدرك بالبصر كالعرش والكرسي والملائكة والجن والشياطين وغيرها فمحال النظر فيها ، ولا يمكن أن يقال فيها إلا ما صح بالنصوص والأخبار والآثار . وأما المدركات بالبصر كالسموات والأرض وما بينهما والسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها ودورانها ، والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها وبحارها وأنهارها ومعادنها ونباتها وحيوانها ، وما بين السماء والأرض وهواء الجو مدرك بغيومها وأمطارها وثاوجها ورعودها وبروقها وصواعقها وشهبها وعواصف أرياحها . فهذه هي أجناس المشاهدات من السموات والأرض وما بينهما ، وكل جنس منها ينقسم إلى أنواع ، وكل نوع ينقسم إلى أصناف ، وكل صنف ينقسم إلى أقسام ولانهاية لاستيعاب ذلك ، وانقسامها في اختلاف صفاتها وهيئاتها ومعانيها الظاهرة والباطنة : وفي جميع ذلك مجال البصر فلا تتحرك ذرة في السموات والأرض إلا وفي تحريكها حكمة أو حكمتان أو عشرة أو ألف ، وكل ذلك دليل على وحدانيته وكبريائه وعظمته كما قال بعضهم :

ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدا شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واجد

المقالة الأولى في العلويات والنظر فيها في أمور

(النظر الأول في حقيقة الأفلاك وأشكالها وأوضاعها وحركاتها بطريق الإجمال) .
ذهب الحكماء إلى الفلك جسم بسيط كروي مشتمل على الوسط متحرك عليه ليس بخفيف ولا ثقيل ولا بارد ولا حار ولا رطب ولا يابس ولا قابل للخرق ولا للالتئام ، ولم على ذلك أدلة مذكورة في الكتب الحكمية ، وكتابتنا هذا ليس بصدها ، والأفلاك كرات محيطية بعضها ببعض

حتى حصلت من حملتها كرة واحدة يقال لها العالم ، وأدناها إلى العناصر فلك القمر ، ثم فلك عطارد ، ثم فلك الزهرة ، ثم فلك الشمس ، ثم فلك المريخ ، ثم فلك المشتري ، ثم فلك زحل ، ثم فلك الثوابت ، ثم فلك الأفلاك .

واعلم أن لكل فلك مكانا لا ينتقل عنه لكنه متحرك فيه بأجرامه لا يقف ظرفة عين ، وسرعة حركاتها أسرع من كل شيء شاهده الإنسان حتى صح في الهندسة أن الفرس في حالة الركض الشديد من الوقت الذي رفع يديه إلى أن يضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف فرسخ ، ثم إن من الأفلاك ما يتحرك من المشرق إلى المغرب كالفلك الأعظم : ومنها ما يتحرك من المغرب إلى المشرق كفلك الثوابت وأفلاك السيارات . ومنها ما يتحرك بالنسبة إلينا دولابية . ومنها ما يتحرك حاثلية . ومنها ما يتحرك رحوية . ومنها ما يشتمل على الوسط ولكن ليس مركزه مركز العالم كالأفلاك التسعة . ومنها ما يشتمل على الوسط لكن ليس مركزه مركز العالم كخارج المراكز . ومنها ما ليس مشتملا على الوسط كأفلاك التداوير ، وسيأتي شرحها إن شاء الله تعالى ومن الأفلاك ما لم يعرف له إلا كوكب واحد كأفلاك السيارات . ومنها ما لم يعلم عدد كواكبها إلا الله تعالى كفلك الثوابت . ومنها ما ليس له كوكب أصلا كالفلك الأعظم ويقال له الفلك الأطلس ، وجميع الحركات الموجودة في العالم بحسب ما عرف من آراء المتقدمين وأصحاب الأرصاد ولا سيما بطليموس فإن اعتماد القوم على رصده خمسة وأربعون حركة للفلك الأعظم وحركة لفلك الثوابت ، وثمان عشرة حركة لأفلاك الكواكب العلوية لكل واحد منها ست حركات وحركتان لفلك الشمس وست حركات لفلك الزهرة وتسع حركات لفلك عطارد ، وست حركات لفلك القمر وحركتان لما دون فلك القمر وهما حركتا الثقل والخفة ، هذا ما بلغ إليه فهم العقلاء وذهن الأذكياء والله هو الموفق .

(النظر الثاني) في نظرية القمر وهو يحده سطحان كرويان متوازيان مركزهما مركز العام السطح الأعلى منهما لمقعر فلك عطارد ، والأدنى لمحدب كرة النار ، ويتم دورته في كل ثمانية وعشرين يوما بحركته التي تختص به من المغرب إلى المشرق ، وفلك تدويره يدور في الفلك الحاوي في كل أربعة عشر يوما مرة ، ففي الدورة الأولى يكون القمر بوجهه الممتلئ إلى مركز الأرض . ثم إن فلكه الكلي ينقسم إلى أربعة أفلاك ثلاثة منها شاملة للأرض وواحد صغير غير شامل : أما الشاملة : فالأول منها يسمى فلك الجوزهر وهو الذي يماس السطح الأعلى منه السطح الأدنى من فلك عطارد . والثاني منها يماس السطح الأعلى منه مقعر فلك الجوزهر ، والثالث منها فلك خارج المركز في الفلك المائل من مركزه خارج عن مركز العالم مائل إلى جنب من الفلك المسمى بحيث يماس مقعر سطحه السطح الأدنى من الفلك الكلي على نقطة مشتركة بينهما ويسمى الأوج ويماس مقعر سطحه السطح الأدنى من الفلك الكلي على نقطة مشتركة بينهما ويسمى الحضيض ، فيحصل سطحان مختلفا الثخن أحدهما حاو للفلك

الخارج المركز والآخر محوى فيه ورقة الحاوى مما بلى الأوج ، وغلظه مما بلى الحضيض ورقة المحوى وغلظه بالعكس ، يقال لكل واحد منهما المتمم . أما الفلك الصغير فهو في ثخن الفلك الخارج المركز يقال له فلك التدوير والقمر مركز في يتحرك بحركته ، وحركة هذا الفلك حركة مختصة به مغايرة لحركة الفلك الكلى . وزعموا أن ثخن فلك القمر وهو بعد ما بين سطحه الأعلى وسطحه الأدنى مائة ألف وثمانية عشر ألفاً وستة وستون ميلاً ، وبطليموس قد ذكر ثخن الأفلاك ومقادير أجرام الكواكب ودوائرها وأقطارها ، ولا تستصعب ذلك فإنه لا يصعب إلا على من لا دراية له بعلم الهندسة . وأما من حل الثانية من إقليدس فيسهل عليه ذلك إن كان فطنا .

(فصل)

وأما القمر فهو كوكب مكانه الطبيعي الفلك الأسفل من شأنه أن يقبل النور من الشمس على أشكال مختلفة ، ولونه الدانى إلى السواد يبقى في كل برج ليلتين وثلاث ليلة ويقطع جميع الفلك في شهر ، وهو أصغر الكواكب فلما وأسرعها سيرا ، وزعموا أن جرم القمر جزء من تسعة وثلاثين جزءاً أو ربع جزء من جرم الأرض ، ودورة القمر أربعاً واثناً وخمسون ميلاً بالتقريب ، هذا ما وصل إليه آراء الحكماء بحكم المقدمات الحسابية .

(فصل : في زيادة ضوئه ونقصانه)

القمر جرم كئيف مظلم قابل للضياء إلا القليل منه على ما يرى في ظاهره . فالوجه الذى يواجه الشمس مضيء أبداً فإذا كان قريباً من الشمس كان الوجه المظلم مواجهاً للأرض ، وإذا بعد عن الشمس إلى المشرق ومال النصف المظلم من الجانب الذى بلى المغرب إلى الأرض تظهر من النصف المضيء قطعة هى الهلال ، ثم بتزايد الانحراف وتزداد بتزايد القطعة من النصف المضيء حتى إذا كان فى مقابلة الشمس ينقص الضياء من الجانب الذى بدأ بالضياء على الترتيب الأول حتى إذا صار فى مقابلة الشمس كان النصف المواجه للشمس هو النصف المواجه لنا فنراه بدراً ، ثم يقرب من الشمس فينقص الضياء من الجانب الذى بدأ بالضياء على الترتيب الأول حتى إذا صار فى مقابلة الشمس ينمحق نوره ويعود إلى الموضع الأول ، وينزل كل ليلة منزلاً من المنازل الثمانية والعشرين ثم يستقر ليلة ، فإن كان الشهر تسعة وعشرين استقر ليلة ثمانية وعشرين ، وإن كان ثلاثين استقر ليلة تسعة وعشرين ، ويقطع فى استناره منزلاً ثم يتجاوز الشمس فيرى هلالاً ، وذلك قوله تعالى — والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم — يريد أنه ينزل كل ليلة منزلاً منها حتى يصير كأصل العذق إذا قدم ورق واستقوس .

(فصل فى خسوفه)

وسببه توسط الأرض بينه وبين الشمس ، فإذا كان القمر فى إحدى نقطتى الرأس والذنب

أوقربيا منه عند الاستقبال تتوسط الأرض بينه وبين الشمس فيقع في ظل الأرض ويبقى على سواده الأصلي فيرى منخسفاً. والشمس أعظم من الأرض فيكون ظل الشمس مخروطاً قاعدته دائرة صفحة الأرض، لأن الخطوط الشعاعية التي تخرج من الشمس إلى جرم الأرض لا تكون متوازية فإذا اتصلت بمحيط الأرض ونفذت في الجهة الأخرى تلاقيا عند نقطة فيحصل ظل الأرض على شكل المخروط، فإذا لم يكن للقمر عرض عن فلك البروج عند الاستقبال وقع كله في جرم المخروط فيخسف كله حينئذ، وإن كان له عرض يخسف بهضمه، وربما يماس جرم القمر مخروط الظل ولا يقع فيه شيء، وذلك إذا كان عرض القمر مساويا لنصف مجموع القطرين أعنى قطر القمر وقطر الظل، وإذا كان أقل من نصف القطرين يخسف بعضه.

(فصل في خواص القمر وتأثيراته العجيبة)

زعموا أن تأثيراته بواسطة الرطوبة كما أن تأثيرات الشمس بواسطة الحرارة، ويدل عليها اعتبار أهل التجارب. ومنها أمر البحار، فإن القمر إذا صار في أفق من آفاق البحر أخذ ماؤه في المد مقبلا مع القمر، ولا يزال كذلك إلى أن يصير القمر في وسط سماء ذلك الموضع فإذا صار هناك انتهى المد منتهاه، فإذا انحط القمر من وسط سمائه جزر الماء ولا يزال كذلك راجعا إلى أن يبلغ القمر مغربه فعند ذلك ينتهي الجزر منتهاه، فإذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ابتداء المد مرة ثانية إلا أنه أضعف من الأولى، ثم لا يزال كذلك إلى أن يصير القمر في وتد الأرض فحينئذ ينتهي المد منتهاه في المرة الثانية في ذلك الموضع. ثم يبتدىء بالجزر والرجوع ولا يزال كذلك حتى يبلغ القمر أفق مشرق ذلك الموضع فيعود المد إلى ما كان عليه أولا فيكون في كل يوم وليلة بمقدار مسير القمر فيهما في ذلك البحر مدان وجزران؛ (ومنها) أمر أبدان الحيوانات، فإنها في وقت زيادة القمر وضوئه تكون أقوى والسخونة والرطوبة والنمو عليها أغلب وتكون الأخلاط في بدن الإنسان ظاهرة والعروق تكون ممتلئة، وبعد الامتلاء تكون الأبدان أضعف والبرد عليها أغلب والنمو أقل والأخلاط في غور البدن. والعروق أقل امتلاء وذلك أمر ظاهر عند علماء الطب. (ومنها) أن الأطباء ذهبوا إلى أن أحوال البحر أنات وتقارب أيامها مبنية على زيادة ضوء القمر ونقصانه، وكتب الطب ناطقة بذلك، وزعموا أن الذين يمرضون في أول الشهر أبدانهم وقواهم على دفع المرض أقوى، والذين يمرضون في آخر الشهر بالضعف. (ومنها) أن شعور الحيوانات يسرع نباتها مادام القمر زائد النور ويغلظ ويكبر، وإذا كان ناقص النور أبطأ نباته ولم يغلظ. (ومنها) أن الحيوانات تكثر ألبانها من ابتداء زيادة نور القمر إلى الامتلاء وتزداد أدمغتها، وبياض البيض المنعقد في أول الشهر أكثر، وإذا نقص نور القمر نقصت غزارة الألبان ومادة

الأدمغة وكثرة بياض البيض . (ومنها) أن الإنسان إذا أكثر القعود أو النوم في ضوء القمر تولد في بدنه الكسل والاسترخاء ويهيج عليه الزكام والصداع ، وإذا كانت لحوم الحيوانات بادية لضوء القمر تغيرت رائحتها وطعمها . (ومنها) أن السمك يوجد في البحار والأنهار من أول الشهر إلى الامتلاء أكثر مما يوجد من الامتلاء إلى آخر الشهر ، ويكون أيضا في النصف الأول من الشهر أسمن منه في النصف الأخير . (ومنها) أن حشرات الأرض خرجها من أجحرتها في النصف الأول من الشهر أكثر من خروجها منه في النصف الأخير ، وكل حيوان يلسع أو بعض فإنه في النصف الأول من الشهر أقوى فعلا منه في النصف الأخير وسمه أشد تأثيرا . (ومنها) أن السباع في النصف الأول أشد طلبا للصيد منها في النصف الأخير : (ومنها) أن الأشجار إذا غرست والقمر زائد النور علققت وأسرعت النشوء والحمل ، وإن وقع اللقاح والحمل والقمر زائد النور كانا جيدين ، وإن وقع والقمر ناقص النور أو زائلا من وسط السماء لم يسرع النبات وأبطأت في الحمل وربما يبست : (ومنها) أن الفواكه والرياحين والزرع والبقول والأعشاب زيادتها من وقت زيادة القمر إلى الامتلاء أكثر من زيادتها ونموها من الامتلاء إلى الخاق ، وهذا أمر ظاهر عند أرباب الفلاحة حتى عند عامتهم فضلا عن علمائهم ، فإنهم يجدون تأثير ذلك ظاهرا ولا سيما في البقول والخوخ والبطيخ والسمنم والقثاء والخيار والقرع من أول الشهر إلى نصفه يزيد أكثر مما يزيد من نصف الشهر إلى آخره . (ومنها) أن الفواكه إذا وقع عليها ضوء القمر أعطاها لونا عجميا من حمرة أو صفرة فالتى يقع عليها الضوء في النصف الأول من الشهر أحسن لونا مما يقع عليها في النصف الأخير : (ومنها) أن نبات القصب والكتان إذا وقع عليها ضوء القمر في النصف الأول أشد تقطعا مما وقع عليها آخر الشهر . (ومنها) أن المعادن التي تتكون يكون جوهرها وخواصها أشد إذا كان تولدها من أول الشهر ولو كان في آخره لا يكون كذلك .

(خاتمة في الهجرة)

وهو البياض الذي يرى في السماء يقال لها شرج السماء إلى زماننا هذا لم يسمع في حقيقتها قول شاف : زعموا أنها كواكب صغار متقاربة بعضها من بعض ، والعرب تسميها أم النجوم لاجتماع النجوم ، وفيها زعموا أن النجوم تقاربت من الهجرة فطمس بعضها بعضها فصارت كأنها سحب ، وهي ترى في الشتاء أول الليل في ناحية من السماء وفي الصيف أول الليل في وسط السماء ممتدا من الشمال إلى الجنوب ، وبالنسبة إلينا تدور دورا رحويا فتراها نصف الليل ممتدة من المشرق إلى المغرب ، وفي آخر الليل من الجنوب إلى الشمال ، فما كان منها شماليا يكون جنوبيا ، وما كان جنوبيا يكون شماليا والله أعلم بحقيقتها ، وتكون على فلك يختص بها يدور بالنسبة إلينا رحويا أو على شيء من الأفلاك المذكورة .

(النظر الثالث في فلك عطارد) وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم السطح الأعلى منهما مماس لمقر فلك الزهرة والأدنى لمحدب فلك القمر ، ويتم دورته التي تختص به من المغرب إلى المشرق في سنة واحدة ، وينفصل عنه فلك خارج المركز بمنزلة الفلك الخارج المركز للقمر في داخل ثخن الفلك الكلي ويقال له المدير ، وينفصل عن فلك المدير فلك آخر خارج المركز يقال له خارج المركز الثاني والكوكب في فلك التدوير ، ويلزم أن يكون لعطارد أوجان أحدهما في الفلك الكلي والثاني في المدير ، ويكون له أيضا حضيضان . وزعموا أن ثخن فلك عطارد وهو مسافة ما بين سطحه الأعلى وسطحه الأدنى ثلاثمائة ألف وثمانمائة وثمانون ألفا واثنتان وثمانون ميلا على رأى بطليموس صاحب الرصد ، فإنه استخرج ذلك بالبراهين الهندسية ، والله أعلم .

(فصل)

وأما عطارد فسياء المنجمون منافقا لكونه مع السعد سعداً ومع النحس نحسا على زعمهم ، وجرمه جزء من اثنين وعشرين جزءا من جرم الأرض ، ودورة جرمه مائتان وستة وثمانون فرسخا وقطر جرمه مائتان وثلاثة وسبعون ميلا ، ويبقى في كل برج سبعة وعشرين يوما تقريبا ، وهو كثير الرجعة والاستقامة يدور حول الشمس ، (النظر الرابع في فلك الزهرة) وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم ، الأعلى منهما مماس لفلك الشمس والأدنى لفلك عطارد ، ويتم دورته المختصة به من المغرب إلى المشرق في سنة واحدة مثل فلك الشمس ، غير أن فلك تدويره يسرع تارة فتصير الزهرة قدام الشمس ويبطئ أخرى فتصير الزهرة خلف الشمس ، وثخن جرم فلك الزهرة وهو مسافة ما بين سطحه الأعلى والأدنى ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة وتسعون ميلا ، وصورته مشابهة لصورة فلك القمر سواء وفلك الشمس على تقدير أن يكون جرم الشمس فلك التدوير من غير فرق .

(فصل)

وأما الزهرة فسياءها المنجمون السعد الأصغر ، لأنها في السعادة دون المشتري ، وأضافوا إليها الطرب والسرور والهوى ، وجرم الزهرة جزء من أربعة وثلاثين جزءا وثلاث جزء من جرم الأرض ، وقطر جرمها أربعائة وتسعة وأربعون ميلا وسدس ميل ، تبقى في كل برج سبعة وعشرين يوما . وأما خواصها فزعموا أن النظر إليها مما يوجب فرحا وسرورا ، وإذا كان الناظر إليها حرارات السل تخفف عنه ، وزعموا أن من شأنها الشبق والباد والألفة ، حتى لو نكح رجل امرأة والزهرة حسنة الحال وقع بينهما من المحبة والألفة ما يتعجب منه .

(النظر الخامس في فلك الشمس) وهو يحده سطحان كرويان مركزهما مركز العالم الأعلى ،
 منهما مماس لمقر فلك المريخ ، والأدنى منهما مماس لمحدب فلك الزهرة ، ودورته من المشرق
 إلى المغرب تتم في ثلثمائة وستين يوما وربع يوم ، وينفصل عنه فلك شامل للأرض مركزه
 خارج المركز كما ذكره في أفلاك الكواكب الثلاثة من غير فرق إلا أن الشمس هاهنا بمنزلة
 فلك التدوير إذ ليس للشمس فلك التدوير ، وذلك من لطف الله تعالى وعنايته بالعباد ، لأنه
 لو كان لها فلك التدوير كما لسائر الكواكب السيارة رجعت وبرجعها يتأذى الصيف ستة
 أشهر وكذلك الشتاء فيؤدى إلى هلاك الحيوان والنبات ، لأن الشمس إذا بقيت مسامتة لردوس
 قوم ستة أشهر لتغير مزاج حيوانهم واحترق نباتهم ، وإن بعدت عن قوم ستة أشهر استولى
 البرد على مزاجهم وانطفأت حرارتهم وفسد نباتهم ، ونحن جرم فلك الشمس ثلثمائة ألف
 وخمسة وخمسون ألفا وأربعة وسبعون ميلا .

(فصل في الشمس)

وهي أعظم الكواكب جرما وأشدّها ضوءا ، ومكانها الطبيعي الكرة الرابعة ،
 وهي بين الكواكب كالملك وسائر الكواكب كالأعوان والجنود ؛ فالقمر كالوزير
 وولي العهد ، وعطارد كالكتاب ، والمريخ كصاحب الجيش ، والمشتري كالقاضي ،
 وزحل كصاحب الخزائن ، والزهرة كالخدم والجواري ، والأفلاك كالأقاليم ، والبروج
 كالبلدان ، والحدود والوجوه كالمدن ، والدرجات كالقرى ، والدقائق كالخمال ، والثواني
 كالمنازل ، وهذا تشبيه جيد ؛ ومن لطف الله تعالى جعلها في وسط الكواكب السبعة لتبقى
 الطبائع والمطبوعات في هذا العالم بحركاتها على حدها الاعتدالي ، إذ لو كانت في فلك الثوابت
 لفسدت الطبائع من شدة البرد ، ولو انحدرت إلى فلك القمر لاحترق هذا العالم بالكلية ،
 وخلقها سائرة غير واقفة وإلا لاشتدت السخونة في موضع والبرودة في موضع ولا يخفى فسادها
 بل تطلع كل يوم من المشرق ، ولا تزال تمشي موضعا بعد موضع إلى أن تنتهي إلى المغرب
 فلا يبقى موضع مكشوف مواز لها إلا ويأخذ موضع شعاعها ، وتميل كل سنة مرة إلى الجنوب
 ومرة إلى الشمال لتعم فائدها . وأما جرمها فضعف جرم الأرض مائة وستة وستين مرة ،
 وقطر جرمها أحد وأربعون وتسعمائة وثمانية وسبعون ميلا ؛

(فصل : في كسوفها)

وسببه كون القمر حائلا بين الشمس وبين أبصارنا لأن جرم القمر كد فيحجب
 ما وراءه عن الأبصار ، فإذا قارن الشمس وكان في إحدى نقطتي الرأس والذنب أو قريبا
 منه فإنه يمر تحت الشمس فيصير حائلا بينها وبين الإبصار ، لأن الخطوط الموهومة الشعاعية

التي تخرج من أبصارنا متصله بالبصر على هيئة مخروط رأسه نقطة البصر وقاعدته المبصر ، فإذا حال بيننا وبين الشمس يتحصل مخروط الشعاع أولا بالقمر ، فإن لم يكن للقمر عرض عن فلك البروج وقع جرم القمر في وسط المخروط فتتكسف الشمس كلها ، وإن كان للقمر عرض ينحرف المخروط عن الشمس بمقدار ما يوجب العرض فيتكسف بعضها ، وذلك إذا كان العرض أقل من مجموع نصف القطرين ، فإن كان يماس جرم القمر مخروط الشعاع لا تنكسف الشمس ، ثم الشمس إذا انكسفت لا يكون لكسوفها مكث ، لأن قاعدة مخروط الشعاع إذا انطبق على صفحة القمر انحرف عنه في الحال فتبتدىء الشمس بالانجلاء ، ولكن يختلف قدر الكسوفات باختلاف أوضاع المساكن بسبب اختلاف المنظر ، وقد لا تنكسف في بعض البلاد أصلا ،

(فصل : في خواص الشمس وعجيب تأثيرها في العلويات والسفليات)

(أما) في العلويات بإخفاؤها جميع الكواكب لكمال شعاعها وإعطاؤها للقمر النور بسبب قربه منها وبعده عنها ، وجميع ما ذكرنا من فوائد القمر فائدة من فوائد الشمس ، (وأما) في السفليات ، ففنها تأثيرها في البحار فإنها إذا أشرفت على الماء صعدت منه أبحرة بسبب السخونة ، فإذا بلغ البخار إلى الهواء البارد تكاثف من البرد واتعدت سحابا ثم تذهب به الرياح إلى الأماكن البعيدة عن البحار فينزل مطرا يحيي الله به الأرض بعد موتها ، وتظهر منه الأنهار والعيون فيصير سببا لبقاء الحيوان وخروج النبات وتكون المعادن ، وقد قال عز وجل - وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات - : (ومنها) أمر المعادن فإن العصارات التي تمحلب في باطن الأرض من مياه الأمطار إذا اختلطت بالأجزاء الأرضية تصحبها الشمس فتولد منها الأجساد المعدنية بحسب موادها كالذهب والفضة وسائر الفلزات وكالياقوت والزبرجد وسائر الأحجار النفيسة وكالزئبق والكبريت والزرنيخ والملح والنوشادر ولا يخفى عموم فوائد هذه الأشياء كلها . (ومنها) أمر النبات فإن الزروع والأشجار لا تنبت إلا في المواضع التي تطلع عليها الشمس ، وكذلك لا ينبت تحت النخل والأشجار العظيمة التي لها ظلال واسعة شيء من الزروع لأنها تمنع شعاع الشمس عما تحتها ، وحسبك ما ترى من تأثير الشمس بسبب الحركة اليومية في النيلوفر والأذريون وورق الخروع فإنها تنمو وتزداد عند أخذ الشمس في الارتفاع والصعود فإذا زالت الشمس أخذت في الذبول حتى إذا غابت ذبلت وضعفت ثم عادت في اليوم الثاني إلى حالها . (ومنها) تأثيرها في الحيوانات فإننا نرى الحيوان إذا طلع نور الصباح خلق الله تعالى في أبدانها قوة فتظهر فيها قوة حركة وزيادة نشاط

وانتعاش ، وكل ما كان طلوع نور الشمس أكثر إلى أن تصل إلى وسط أسمائهم أخذت حركاتهم وقواهم في الضعف ولا تزال تزداد ضعفا إلى زمان غيبوبتها ، فإذا غابت الشمس رجعت الحيوانات إلى أماكنها ولزمتها كالموتى فإذا طلعت الشمس عليهم في اليوم الثاني عادوا إلى الحالة الأولى . ومن عجيب تأثيرها في الحيوانات أن يجعل أهل البلاد القريبة عن مسامتتها كبلاد السودان الذين هم الإقليم الأول سودا محترقين وتجعل وجوههم من شدة الحرارة قحلة وجشهم خفيفة وأخلاقهم وحشية شبيهة بأخلاق السباع ، والمواضع البعيدة عن مسامتتها كبلاد الصقالبة والروس تجعلهم لضعف حرارتها بيضا وتجعل شعورهم سبطة شقراء وأبدانهم رخصة عظيمة وأخلاقهم شبيهة بأخلاق البهائم . (ومنها) ما زعمت البراهمة أن أوج الشمس في كل برج ثلاثة آلاف سنة وتقطع الفلك في ست وثلاثين ألف سنة ، والآن في وقتنا هذا وهو إحدى وستون وستائة في برج الجوزاء زعموا أن الأوج إذا انتقل إلى البروج الجنوبية انقلبت أحوال الأرض وهيئاتها فصار العامر غامرا والغامر عامرا والبحر يبسا واليبس بحورا والجنوب شمالا والشمال جنوبا .

(النظر السادس في فلك المريخ) وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم فالأعلى منهما مماس لفلك المشتري والأدنى مماس لفلك الشمس ، وتم دورته التي تختص به من المغرب إلى المشرق في سنة واحدة وعشرة أشهر واثنين وعشرين يوما ، وصورته كفلك القمر وفلك الزهرة من غير فرق ولا حاجة إلى إعادته وكذلك فلك زحل ، وعلى رأى بطليموس ثخن فلك المريخ وهو المسافة التي بين سطحه الأعلى وسطحه الأسفل عشرون ألف ألف وثلاثمائة ألف وستة وسبعون ألفا وتسعمائة وثمانية وتسعون ميلا .

(فصل)

والمنجمون يسمون المريخ النحاس الأصغر لأنه دون زحل في النحوسة وأضافوا إليه البطش والقتل والقهر والغلبة ، وجرم المريخ مثل جرم الأرض مرة ونصف مرة بالتقريب ، وثخن جرمه تسعمائة ألف وثمانمائة وخمسة وثمانون ميلا ، ويبقى في كل برج إذا كان مستقيما أربعين يوما .

(النظر السابع في فلك المشتري) وهو يحده سطحان متوازيان الأعلى منهما مماس لفلك زحل والأدنى مماس لفلك المريخ مركزهما مركز العالم ، ويتم دورته المختصة به من المغرب إلى المشرق في إحدى وعشرين سنة وعشرة أشهر وخمسة عشر يوما ، وصورته كصورة فلك المريخ والزهرة وقد مضى ذكرهما ، وثخن جرمه وهو المسافة التي بين سطحه الأعلى وسطحه الأسفل عشرون ألف ألف وثلاثمائة واثنان وثلاثون ألفا وأربعمائة واثنان وثلاثون ميلا بالتقريب .

(فصل)

وأما المشتري فسماه المنجمون السعد الأكبر لأنه فوق الزهرة في السعادة وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة والسعادة العظيمة ، وجرم المشتري مثل جرم الأرض أربعة وثمانون مرة وثلاث وربع ، وقطر جرم المشتري كقطر جرم الأرض أربع مرات وربعا وسدسا يقطع في كل يوم خمس دقائق .

(النظر الثامن في فلك زحل) وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم الأعلى منهما مماس لفلك الكواكب الثابتة والأدنى منهما مماس لفلك المشتري ، وتتم دورته المختصة به من المغرب إلى المشرق في تسع وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة أيام . قال بطليموس : ثخن جرم فلك زحل أحد وعشرون ألف ألف ميل وستمائة وستة وثلاثون ألفا وستمائة وستة أميال ،

(فصل)

وسماه المنجمون النحاس الأكبر لأنه في النحوسة فوق المريخ وأضافوا إليه الخراب والهلاك والهم والغم ، وجرم زحل كجرم الأرض إحدى وثمانين مرة ، وقطره كقطر جرم الأرض أربعين مرة وثلاثي مرة ، وزعموا أن النظر إليه يفيد غما وحزنا كما أن النظر إلى الزهرة يفيد فرحا وسرورا .

(النظر التاسع في فلك الثوابت) وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم فالأعلى منهما مماس للفلك الأعظم المحيط بجميع الأفلاك المحرك لسكناها ، والأدنى منهما مماس لفلك زحل ، وهذا الفلك أيضا يتحرك من المغرب إلى المشرق حركة بطيئة فيقطع في كل مائة سنة جزءا من الأجزاء التي بها تكون الدائرة ثلاثمائة وستين جزءا ، ودورته تتم في ستة وثلاثين ألف سنة ، وقطباها قطبا دائرة البروج التي ترسمها الشمس وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى ، وقد وجد في رصد بطليموس وأرصاد من كان قبله أن جميع الكواكب الثابتة مركوزة في جرم هذا الفلك ولذلك لا تخلف أوضاعها ، وكلها تتحرك بحركة فلكها البطيئة على محيط دائرته غير مفارقة لها ، وهي كثيرة مختلفة الأقدار مثبتة في جميع جرم هذا الفلك : قال بطليموس : ثخن فلك الثوابت وهو المسافة التي بين سطحه الأعلى وسطحه الأدنى أربعة وثلاثون ألفا وسبعائة وأربعة وأربعون ميلا بالتقريب ، وهذا المقدار هو قطر الكواكب الثابتة التي هي في العظم الأول ، وجرم الكواكب الذي هو في العظم الأول مثل جرم الأرض أربعة وسبعين مرة وخمس ، وجرم أصغر الكواكب الثابتة وهو الذي يكون في العظم السادس مثل جرم الأرض ثمانية عشر مرة ، وقطر فلك الكواكب الثابتة وهو محدد فلك البروج مائة وأحد وخمسون ألف ألف ميل وخمسمائة وسبعة وثلاثون ألفا ومائة وأربعة

وثمانون ميلا ، ولعل البعض يستبعد معرفة مقادير هذه الأجرام ويخطر أن الذى على سطح الأرض كيف يدرى نحن الفلك الثامن وأجرام كواكبه ، فالأولى تركه الاستبعاد ، فإن الأمر الذى لا يعرفه هو لا يستحيل أن يعرفه غيره . ومن مارس علم الهندسة لا يتعذر عليه براهين هذه الأمور فإن لكل عمل رجالا : فسبحان من أبدع هذه الأجسام الرفيعة وزينها بهذه الأجسام المنيرة وخص كل واحد منها بما شاء من المقدار وأعطى الإنسان آلة يدرك بها هذه الأمور الغامضة فقال تعالى - وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تقضيلا - .

(فصل : في الكواكب الثابتة)

اعلم أن عددها مما يقصر ذهن الإنسان عن ضبطه لكن الأولين قد ضبطوا منها ألفا واثنين وعشرين كوكبا ثم وجدوا من هذا المجموع تسعمائة وسبعة عشر كوكبا تنتظم منها ثمانية وأربعون صورة كل صورة منها تشتمل على كوكبها ، وهى الصور التى أثبتها بطليموس فى كتاب [المجسطى] بعضها فى النصف الشمالى من الكرة وبعضها على منطقة فلك البروج التى هى طريقة السيارات وبعضها فى النصف الجنوبى ، فسمى كل صورة باسم الشئ المشبه بها فوجد بعضها على صورة الإنسان كالجوزاء ، وبعضها على صورة الحيوانات البحرية كالسرطان ، وبعضها على صورة الحيوانات البرية كالحمل ، وبعضها على صورة الطير كالعقاب ، وبعضها خارجا عن شبه الحيوانات كالميزان والسنبلة ، ووجدوا من هذه الصور ما لم يكن تام الحلقة مثل قطعة الفرس ، ومنها ما بعرضه من صورة حيوان وبعضه الآخر من صورة حيوان آخر كالراعى ، ومنها ما لم تتم صورته حتى جعل من صورة أخرى كوكب مشترك بينهما مثل ممسك الأعنة ، فإن صورته لم تتم حتى جعل الكوكب النير الذى على طرف القرن الشمالى من الثور مشتركا بينهما فصار على قرن الثور وعلى رجل ممسك الأعنة ، وإنما ألغوا هذه الصورة وسموها بهذه الأسماء ليكون لكل كوكب اسم يعرف به متى أشاروا إليه ، وقد ذكروا موقعه من الصورة وموضعه من فلك البروج وبعده فى الشمال أو الجنوب عن الدائرة التى تمر بأوساط البروج لمعرفة أوقات الليل والطلع فى كل وقت . (وأما) الكواكب الأخرى وهى مائة وثمانية عشر كوكبا فإنها لم ينتظم منها شئ من الصور فأضافوا كل ما وجدوه منها قريبا من صورة إلى تلك الصورة وسموها خارج الصورة مثل النير الذى فوق رأس الحمل الذى تسميه العرب الناطق .

وأما عدد الصور ومواقعها من الفلك فهى ثمان وأربعون صورة منها فى النصف الشمالى من الكرة إحدى وعشرون صورة ، ومنها على البروج اثنا عشرة صورة ، ومنها فى النصف الجنوبى من الكرة خمسة عشر صورة ، فلنذكر الآن كوكبة كل صورة على الانفراد وعدد

كواكبها وأسمائها وألقابها على مذهب العرب ومذهب المنجمين ليستدل بأحدهما على الآخر، ويعمل صورها المسماة باسمها المشبهة بها، ويرسم كل كوكبة على مواقعها من الصورة ليكون مشاكلا لما يرى في السماء، والتي هي خارجة عن الصورة ليستدل الإنسان بأخذ ارتفاعها على الأوقات وبها على قدرة الله تعالى صانعها جلّت قدرته وتقدست أسماؤه له الحمد كثيرا.

(فصل : في الصور الشمالية)

وهي إحدى وعشرون صورة ، وعدد كواكبها من نفس الصورة ثلثمائة وأحد وثلاثون كوكبا، والتي حوالى الصورة وليست من نفسها تسعة وعشرون كوكبا ، فجميع الكواكب التي في هذا النصف من الكرة ثلثمائة وستون كوكبا وهذه أسماؤها :

(كوكبة الدب الأصغر) هي أقرب كوكبة إلى القطب الشمالى ، وكواكبها من نفس الصورة سبعة والخارج عن الصورة خمسة ، والعرب تسمى هذه السبعة بنات نعش الصغرى ، فالأربعة التي على المربع نعش ، والثلاثة التي على الذنب بنات، وتسمى النيرين من الأربعة الفرقدين ، والنير الذى على طرف الذنب الجدى وهو الذى يتوخى به القبلة، وجميع الكواكب الداخلة في الصورة والخارجة عنها تشبه بحلقة سمكة ، وتسمى الفأس لشبهها بفأس الرحا الذى يكون القطب في وسطه ، وقطب معدل النهار عنده أقرب شىء إلى كوكب الجدى :

(كوكبة الدب الأكبر) كواكب تسعة وعشرون كوكبا من الصورة وثمانية حوالى الصورة والعرب تسمى الأربعة النيرة التي على المربع المستطيل ، والثلاثة التي على ذنب بنات نعش الكبرى ، فالأربعة التي على المربع المستطيل نعش ، والثلاثة التي على الذنب بنات وتسمى الذى على طرف الذنب القائد، والذى على وسطه العناق، والذى يلي النعش وهو الذى على ذنب الجوزاء وفوق العناق كوكب صغير ملاصق له تسميه العرب السها ، وهو الذى يمتحن الناس به أبصارهم . زعموا أن من نظر إليه وقال : أبوذرب السهية من كل عقرب وحية أمن ليلته، وتسمى الستة التي على الأقدام الثلاثة على كل قدم منها اثنان قفزات الظباء كل اثنين منها قفزة ، والقفزة الأولى وهي التي على الرجل اليمنى تتبعها الصرفة وهي الكوكب النير الذى على ذنب الأسد، والكواكب المجتمعة التي فوق الصرفة تسميها العرب الحقعة، تقول العرب ضرب الأسد بذنبه الأرض فقفزت الظباء ، والكواكب السبعة التي على عنقه وصدرة وعلى الركبتين كأنها نصف دائرة تسمى سرير بنات نعش وتسمى الحوض أيضا، والكواكب التي على الحاجب والعينين والأذن والخطم تسمى الظباء، تقول العرب : إن الظباء لما قفدت من الأسد وردت الحوض ، وأما الثمانية التي حول الصورة اثنان منها ما بين الحقعة والقائد

وأحدهما أنور من الآخر ، تسميه العرب كبد الأسد ، والستة الباقية تحت الفقرة الثالثة التي على اليد اليسرى ثلاثة منها أنور هي ظباء والبواقى خفية أولاد الظباء .

(فصل : في خواص القطب الشمالى)

ظاهر حوله بنات نعش الصغرى وكواكب خفية إذا جمعتها صارت في صورة سمكة والقطب في وسط هذه السمكة والسمكة تدور حول القطب .

زعموا أن لهذا القطب فوائد : (منها) أن النظر إليه وإلى الدب الأصغر يشفى من الرمد وجرب العين ، وذلك أن يقوم صاحب الجرب أو الرمد ليلة الأحد إذا ظهرت النجوم بعد ساعتين من غيبوبة الشمس حيال القطب الشمالى والدب الأصغر فينظر إليه ثم يأخذ ميلا من فضة يغمسه في الماورد الخالص ويكحل به العين ، وإن كان المريض إحداهما فعل ذلك من ليلة الأحد في كل ليلة ، وكلما كان أكثر كان أجود فإن الرمد والجرب يذهبان بإذن الله إلا أن الرمد أسرع . (ومنها) مازعموا أن الأسد والبهر والنمر والدب إذا قامت حيال هذا القطب وأطالت النظر إليه شفيت . (ومنها) أن اللبوة إذا حملت فإنه ينالها عناء فرجما بقيت تلك الليلة لا تأكل شيئا ثم تأتي إلى نهر فيه ماء حار أو عين ينبع منها ماء فتقوم في الماء إلى نصف ساقها وتنظر إلى القطب الشمالى فإنها تبرأ من الوصب .

(كوكبة التنين) التنين كواكبه أحد وثلاثون كوكبا في الصورة وليس حوالها شيء من الكواكب المرصودة ، والعرب تسمى الكوكب الذى على اللسان الرابض والأربعة التي على الرأس العوائذ ، وفي وسط العوائذ كوكب صغير جدا تسميه العرب الربيع وهو ولد الناقة ، وتسمى النيرين اللذين على مؤخره الذئبين والاثنتين اللذين هما في غاية الخفاء قبل الذئبين أظفار الذئب ، وقد وقعت العوائذ بين الذئبين وبين النسرة الواقع منعطفين على الربيع فشبهت العرب النيرين بذئبين قد طمعا في استلاب الربيع وشبهت العوائذ بأربع أينق قد عطفن على الربيع ، وفي أصل الذئب كوكب يسمى الذبيخ وهو ذكر الضباع .

(كوكبة قيقاوس) كواكبه أحد عشر كوكبا في الصورة وعشرة خارج الصورة وهي من كوكبة ذات الكرسي وبين كواكب الجدى وهو النير الذى على ذنب الدجاجة الذى يسمى الردف ، والعرب تسمى الكوكب الذى على صدره النثرة ، والذى على منكبه الأيمن الفرقد ، والدائرة التي تحصل من كواكب ذراعه ومما هو خارج وهو من كواكب الدجاجة من جناحها الأيمن تسمى القدر ، والذى على الرجل اليسرى يسمى الراعى ، وبين رجله كوكب يسمى كلب الراعى ، وبين رجله وبين الجدى كواكب صغار تسميها العرب الأغنام . (كوكبة العواء) كواكبها اثنان وعشرون كوكبا في الصور وواحدة خارجها وهو صورة رجل بيده اليمنى عصا فيما بين كواكب الفككة وبنات نعش الكبرى ، وتسمى العرب الكواكب الذى على الرأس والذى على المنكبين عصا الضباع ، والذى على يده اليسرى

وعلى الساعد من هذه اليد وما حول اليد من الكواكب الخفية أولاد الضباغ ، والخارج عن الصورة كوكب أحمر نير بين فخذيه يسمى السماك الرامح ، والسماك يسمى مفردا حارس السماء وحارس الشمال لأنه يرى أبدا في السماء لا يغيب تحت شعاع الشمس ، والكواكب الذى على الساق اليسرى تسمى الرامح .

(كوكبة الفكّة) كواكبها ثمانية يقال لها بالفارسية كاسه دورشان ، وهى على استدارة خلف عصا الضباغ ، وفى استدارتها ثلثة لأجل ثأمتها يقال لها قصعة المساكين ، ومن كواكبها كوكب يقال له النير من الفكّة .

(كوكبة الجائى) ويقال هى الراقص له صورة رجل قد مد يده وجثا على ركبته إحدى رجله على طرف عصا العوار وهى اليمنى والأخرى عند الأربعة التى على رأس التين التى تسمى العواذ ، وكواكبها ثمانية وعشرون كوكبا فى الصورة خلاف الكوكب المشترك بينه وبين العواء وواحد خارج الصورة .

(كوكبة السلياق) كواكبها عشرة والنير منها يسمى النسر الواقع ، شبهته العرب بنسر قد ضم جناحه إلى نفسه كأنه واقع على شئ ، والعامّة تسميه الأثافي ، وقدام النير كوكب خفى تسميه العرب الأظفار .

(كوكبة الدجاجة) كواكبها سبعة عشر كوكبا فى الصورة واثنان خارج الصورة ، والعرب تسمى الأربعة المصطفة النوارس ، وقد قطعت الحجر عرضا ، والنير الذى على الذئب الردف لأنه يتلو الأربعة ، وجعله بعضهم الذى على الصدر فى الوسط واثنان عن يمينه واثنان عن يساره والردف خلفه .

(كوكبة ذات الكرسي) هى صورة امرأة قاعدة على كرسي له قائمتان كقائمة المنبر وعليه مسند وقد أدلت رجلها وهى فى نفس الحجر فوق الكوكب الذى على رأس قيقاوس وكواكبها ثلاثة عشر كوكبا ، والعرب تسمى النير من هذه الكواكب الكف الخضب وهى كف الثريا اليمنى المبسوطة ، فشبهت العرب تلك الكواكب بيد مبسوطة والكواكب النيرة منها بأنامل مخضوبة . (كوكبة سياوس) وهو حامل رأس الغول ، وهو صورة رجل قائم على رجله اليسرى وقد رفع رجله اليمنى ويده اليمنى فوق رأسه ويده اليسرى رأس غول ، وكواكبها ستة وعشرون كوكبا فى الصورة وثلاثة خارجة الصورة .

(كوكبة مسك الأعمنة) هى صورة رجل قائم خلف رأس الغول بين الثريا وبين كوكبة الدب الأكبر ، وكواكبها أربعة عشر كوكبا ، وفى وسط الصورة كواكب تسميها العرب الخباء ، والنير الذى على المنكب الأيسر تسميه العرب العيوق ، والذى على المرفق الأيسر العنز ، والاثنين اللذين على المعصم الأيسر الجديين ، ويسمى العيوق معها العناق

ويسمى أيضا رقيب الثريا، ويسمى الذي على المنكب الأيمن، والاثنان اللذان على الكعبين
توابع العيوق،

(كوكبة الحور والحية) أما الحور فصورة رجل قائم قد قبض بيديه على حيه، وكواكبه
أربعة وعشرون في الصورة وخمسة خارجها. وأما الحية فكواكبها ثمانية عشر وعلى عنقها كوكب
يسمى عنق الحية، وتسمى الكواكب المصطفة على رأس الحية نسقا شاميا والمصطفة تحت
عنقه نسقا يمانيا، ويسمى ما بين النسقين الروضة والكواكب التي بين النسقين في الروضة
الأغنام الذي على رأس الحور يسمى الراعي، والذي على رأس الجائي كلب الراعي.

(كوكبة السهم) هي خمس كواكب بين منقار الدجاجة وبين النسر الطائر في نفس الحجر
العظيمة نصله إلى ناحية المشرق والفوق إلى ناحية المغرب، وطول السهم في رأى العين إذا
كان في كبد السماء نحو ذراعين.

(كوكبة العقاب) كواكبه تسعة في الصورة وستة خارجها وفي الصورة ثلاثة مشهورة
تسمى النسر الطائر وبإزائه النسر الواقع، والعامة تسمى الثلاثة المشهورة من خارج الصورة
الميزان لاستواء كواكبه، والاثنين اللذين فوقها الظليمن.

(كوكبة الدلفين) كواكبه عشرة مجتمعة تتبع النسر الطائر، والنير الذي على ذنبه
يسمى ذنب الدلفين، والعرب تسمى الأربعة التي في وسط العنق الصليب، والذي على الذنب
عمود الصلب.

(كوكبة قطعة الفرس) كواكبها أربعة تتبع الدلفين اثنان منها متضايقان بينهما شبر واثنان
بينهما ذراع، والأول في موضع القم والآخرون على الرأس.

(كوكبة الفرس الأعظم) كواكبه عشرون وهي على صورة فرس له رأس ويدان وبدن
إلى آخر الظهر وليس له كفل ولا رجلان، والأول من كواكبه على السرة وهو على رأس
المرأة المسلسلة مشترك بينهما ويسمى سرّة الفرس، وآخر على منتهى يسمى متن الفرس،
وكوكب على منكبه الأيمن يسمى منكب الفرس، وآخر عند منتهى العنق يسمى عنق الفرس،
وآخر على حنجرته خلف الأربعة التي على قطعة الفرس يسمى فم الفرس. والعرب تسمى
الأربعة النيرة التي على المربع أحدها عند منتهى العنق متن الفرس ومنكب الفرس وجناح
الفرس والكوكب المشترك الدلو، وتسمى الاثنان المتقدمين عليها العروة والاثنين اللذين
في البدن النعام، والكرب أيضا شبهتها العرب بمجموع العرقوتين في الوسط في رأس الدلو
حيث يشد فيه الحبل وذلك الموضع من الدلو يسمى الكرب، وتسمى الاثنان اللذين على الرأس
سعد البهائم، والاثنين اللذين على العنق سعد الهمام، والاثنين المتقاربين اللذين في الصدر سعد
البارع، والاثنين اللذين على الركبة اليمنى سعد المطر،

(كوكبة المرأة المسلسلة) كواكبها ثلاثة وعشرون من الصورة سوى النير الذي على الرأس فإنه على سرة الفرس ، وسميت هذه المرأة مسلسلة لامتداد إحدى يديها وهي اليمنى نحو الشمال والأخرى نحو الجنوب ولاجتماع الكواكب بين رجلها شبهوها بمن سلسل ويسمى الكوكب النير الذي فوق مئزها بطن الحوت .

(كوكبة الفرس التام) هو أحد وثلاثون كوكبا وهو فرس آخر أحسن شيئا بالفرس من الأول وبعض الفرس الأول داخل فيه ومن السطر الذي من الكوكب على وجهه ورأسه تولدت صورة الرأس وتمر على عرفه على تمويس فيفصل بكوكب على مقته وهو من كواكب الفرس الأعظم الذي على طرف اليد اليمنى ثم يمر على كوكبين على كفله ثم على كوكبين على ذنبه وهو طرف اليد اليسرى الفرس الأعظم ثم على كوكبين أحدهما في وسط ذنبه والآخر على طرف الذنب ، ويخرج من الحجفلة سطر يمر على الغلصمة والنحر وبه تم صورة العنق والصدر .

(كوكبة المثلث) كواكبه أربعة بين الشرطين وبين النير الذي على الرجل اليسرى من صورة المرأة ، وهو على شكل مثلث فيه طول أحدها على رأس المثلث ويسمى هذا الاسم وثلاثة على قاعدتها .

(فصل : في البروج الاثني عشر)

هذه صورة قريية من الدائرة التي تمر على أوساط البروج في المائل عن طريقة الكواكب السيارة ، وهي التي سميت البروج الاثنا عشر بأسمائها كل اسم باسم الصور التي كانت فيه ، فلنذكر كوكبة كل صورة وعدد كواكبها وموقعها من الصورة وألقاب بعضها على رأى المنجمين والعرب : ولنبدأ بالصورة التي في الوجه الأول منها :

(كوكبة صورة الحمل) كواكبها ثلاثة عشر في الصورة وخمسة خارجها مقدمه إلى جهة المغرب ومؤخره إلى المشرق ووجهه على ظهره ، والنيران اللذان على القرن يسميان الشرطين ، والنير الخارج عن الصورة يسمى النطح ، واللذان على الألية مع الذي على الفخذ وهو على مثلث متساوي الأضلاع تسمى البطين ، والعرب جعلت بطن الحمل منزلا للقمر كبطن السمكة وسمته البطين .

(كوكبة الثور) صورته صورة ثور مؤخره إلى المغرب ومقدمه إلى المشرق وليس له كفل ولا رجلان تلتفت رأسه إلى جنبه وقرناه إلى ناحية المشرق ، وكواكبها اثنان وثلاثون سوى النير الذي على طرف قرنه الشمال فإنه على الرجل اليمنى من ممسك الأعنة مشترك بينهما والخارج عن الصورة أحد عشر كوكبا وعلى موضع التقطع منه أربعة مصطفة ، والنير الأحمر العظيم الذي على عينه الجنوبية يسمى الدبران وعين الثور أيضا وتالي النجم وحادي النجم

والفنيق وهو الجمل الضخم ، والتي حوالبه من الكواكب القلاص وهي صغار النوق ،
والعرب تسمى الكواكب التي على كاهل الثور الثريا وهما كوكبان نيران في خللهما ثلاث
كواكب صارت مجتمعمة متقاربة كعنفود العنب ولذلك جعلوها بمنزلة كوكب واحد وسماها
النجم ، وزعموا أن في ذلك المطر عند نوئها الثروة وتسمى الاثني المتقاربين على الأذنين الكلبيين
ويزعمون أنهما كلبا الدبران ، والعرب تتشاهم بالدبران وتقول : أشأم من حادى النجم ،
ويزعمون أنهم لا يمتطرون بنوء الدبران إلا وستهم مجدية .

(كوكبة التوأمن) كواكبها ثمانية عشر في الصورة وسبعة خارجها وهي صورة إنسانين
رأسهما في الشمال الشرق وأرجلهما إلى الجنوب والمغرب وقد اختلطت كواكب أحدهما
بكواكب الآخر ، والعرب تسمى الاثني النيرين اللذين على رأسهما الذراع المبسوطة ،
واللذين على ثدى التوأمن الثاني المقعة ، واللذين على قدم التوأمن المتقدم وقدمه البخاني .

(كوكبة السرطان) كواكبه تسعة من الصورة وأربعة خارجها ، والعرب تسمى
الكواكب النير منها النثرة . وفي [الجسطى] ذكر النثرة باسم المعلق واسم الكوكبين التاليين
للنثرة الحماران ، والكوكب النير الذى على الرجل المؤخرة الجنوبى الطرف .

(كوكبة الأسد) كواكبه سبعة وعشرون في الصورة وثمانية خارجها ، والعرب تسمى
الكوكب الذى على وجهه مع الخارج عن الصورة سرطان الطرف ، وتسمى الأربعة التي
في الرقبة والقلب الجبهة ، وتسمى التي على البطن وعلى الحرقفة الزبرة ، والذى على مؤخر
الذنب قلب الأسد ، وتسميه أيضا الصرفة لانصراف البرد عند سقوطه بالمغرب بالغدوات
وانصراف الحر عند طلوعه من تحت شعاع الشمس بالغدوات .

(كوكبة العذراء) وهي ستة وعشرون في الصورة وستة خارجها وهي صورة امرأة
رأسها على جنوب الصرفة وقدمها الزبانان اللذان على كفتى الميزان ، والعرب تسمى التي
على طرف منكبها الأيمن العواء وهو المنزل الثالث عشر من منازل القمر ، وزعم بعضهم أن
الكواكب التي على بطنها وتحت إبطها كأنها كلاب تعوى خلف الأسد ، وتسمى عواء
البرد أيضا لأنها إذا طلعت أو سقطت جاءت ببرد ، والكوكب النير الذى بقرب يدها التي
فيها السلسلة السماك الأعزل سمي أعزل لأنه بإزائه السماك الرامح ويسمى أعزل لأنه لا سلاح
معه ، والمنجمون يقولون لهذا الكوكب السنبلة ، ويسمى أيضا ساق الأسد ، والذى على قدمه
اليسرى الغفر ، وإنما سمي بالغفر لتقصان ضوء كواكبه كأنه قد سترها .

(كوكبة الميزان) ثمانية كواكب في الصورة بين كوكبة العذراء وكوكبة العقرب وتسعة
خارجها ، وليس فيها شيء من الكواكب المشهورة .
(كوكبة العقرب) أحد وعشرون كوكبا من الصورة وثلاثة خارجها وهي صورة

مشهورة ، والعرب تسمى الثلاثة التي على الجهة الإكليل ، وتسمى النير الأحمر الذي على البدن قلب العرب ، وتسمى الذي قدام القلب والذي خلفه النياط ، وتسمى الذي في الخزوات الفقرات ، وتسمى الاثني اللذين على طرف الذنب الشولة :

(كوكبة الراعي وهو القوس) أحد وثلاثون كوكبا في الصورة وليس حوالبه شيء من الكواكب المرصودة، والعرب تسمى الأول الذي على النصل والذي على مقبض القوس والذي على الطرف الجنوبي من القوس والذي على طرف اليد اليمنى من الدابة النعام الواردة ، لأن الحجر شبهت بنهر والنعام قد وردت النهر ، وتسمى الذي على المنكب الأيسر والذي فوق السهم والذي على الكتف الأيسر والذي تحت الإبط وهو بعيد عن الحجر إلى ناحية المشرق النعام الصادرة ، شبهتها بنعام شرب الماء وصدر عن النهر ، وتسمى اللذين على الستة الشمالية من القوس الظلمين واللذين على الفخذ اليسرى والساق الصردين :

(كوكبة الجدى) كواكب ثمانية وعشرون كوكبا في الصورة وليس حوالى الصورة شيء من الكواكب المرصودة ، والعرب تسمى الاثني اللذين على القرن الثاني سعد الذابح سمي ذابحا للصغير الملائق له ، قيل الصغير شأنه الذي يذبحه ، وتسمى الاثني النيرين اللذين على الذنب المحبين .

(كوكبة ساكب الماء وهو الدلو) كواكب اثنان وأربعون كوكبا في الصورة وثلاثة خارجها ، والعرب تسمى اللذين على منكبها الأيمن سعد الملك ، واللذين على منكبها الأيسر مع الذي على ذنب الجدى سعد السعود ، والثلاثة التي على اليد اليسرى سعد بلع وإنما سميت بهذا الاسم لأن البعد بين هذين الاثني أوسع من البعد بين الذابح فشبهتها بضم مفتوح ليلع ، وتسمى الذي على ساعده مع الثلاثة التي على يده اليمنى سعد الأخبية وإنما سمي بذلك لأنه إذا طلع اختبأت الهوام تحت الأرض من البرد ، وتسمى النير الذي على فم الحوت الجنوبي الضفدع الأول .

(كوكبة السمكة وهي الحوت) وكواكبها أربعة وثلاثون في الصورة وأربعة خارجة وهما سمكتان أحدهما السمكة المتقدمة وهي التي على ظهر الفرس الأعظم في الجنوب والأخرى على جنوب كوكبة المرأة المسلسلة ، وبينهما خيط من كواكب يصل بينهما على تعريج .

(فصل : في الصورة الجنوبية)

هي الكواكب التي في النصف الجنوبي من الكرة وهي خمسة عشر صورة نذكر مواضع كواكبها من الصورة إن شاء الله تعالى ، ومواضع صورها وأسمائها على مذهب العرب والمنجمين على ما رسمنا فيما تقدم :

(كوكبة قيطس) هي صورة حيوان بحرى مقدمه في ناحية المشرق على جنوب كوكبة الحمل ومؤخره في ناحية المغرب خلف الثلاثة الخارجة عن صورة ساكب الماء وكواكبه اثنان وعشرون ، والعرب تسمى الكواكب التي في الرأس الكف الجذماء لأن امتداده دون امتداد الكف الخضيب ، وتسمى الخمسة التي على يديه النعامات ، والكواكب التي على أصل الذنب تسمى النظام ، والتي على الشعبة الجنوبية من الذنب تسمى الضفدع الثاني ، والأول مذكور في الدلو ،

(كوكبة الجبار) كواكبه ثمانية وثلاثون كوكبا في الصورة وهو صورة رجل قائم في ناحية الجنوب على طريقة الشمس بيده عصا وعلى وسطه سيف ، والعرب تسمى الكواكب الثلاثة التي على الوجه الهنعة ، والنير الأعظم الذى على منكبه اليمنى منكب الجوزاء ويد الجوزاء أيضا ، والكوكب النير الذى على المنكب اليسرى الناجذ والمرزم أيضا ، والثلاثة المصطفة التي على وسطه منطقة الجوزاء ، والثلاثة المنحدرة المتقاربة سيف الجبار ، والنير الأعظم الذى على قدمه اليسرى رجل الجبار ، وتسمى التسعة المقوسة التي على السم تاج الجوزاء .

(كوكبة النهر) كواكبه أربعة وثلاثون في الصورة وليس حواليه شيء من الكواكب المرصودة يبتدىء من عند النير الذى على قدم الجوزاء فيمصر في المغرب على تعريج إلى قرب الأربعة التي على صدر قيطس ، ثم يمر في الجنوب على ثلاثة كواكب ، ثم ينعطف إلى المشرق فيمصر على ثلاثة كواكب أيضا ، ثم ينعطف إلى الجنوب فيمصر على ثلاثة كواكب مجتمعة ، ثم ينقطع فيمصر في الجنوب على كوكبين متقاربين ، ثم ينعطف إلى المغرب فيمصر على كوكبين متقاربين أيضا ، ثم على ثلاثة كواكب متقاربة ، ثم ينتهى إلى كوكب نير على آخر النهر ، والعرب تسمى الأول والثاني والثالث من كوكبة الكروسي الجوزاء ، وتسمى الأربعة التي في وسط النهر مع الخمسة التي في جانبه الآخر أدحى النعام وهو عشه ، والتي حوالى هؤلاء الكواكب تسمى البيض ، والنير الذى على آخر النهر يسمى الظليم ، وبين هذا الظليم والظليم الذى على فم الحوت كواكب كثيرة تسمى الرئال وهي فراخ النعام .

(كوكبة الأرنب) هي اثني عشر كوكبا في الصورة وليس حواليه شيء من الكواكب المرصودة وهي تحت رجل الجبار وجهه إلى المغرب ومؤخره إلى المشرق ، والعرب تسمى الأربعة التي اثنان منها على يديه واثنان على رجليه كروسي الجوزاء وعرش الجوزاء أيضا (كوكبة الكلب الأحمر) كواكبه ثمانية عشر في الصورة . وأحد عشر خارجها وهي صورة كلب خلف كوكبة الجوزاء ولذلك سمي كلبا ، والعرب تسمى النير الأعظم الذى على موضع الفم الشعري العبور ، وكان قوم في الجاهلية يعبدونه لأنه يقطع السماء عرضا دون

غيره من الكواكب وذلك قوله تعالى - وأنه هو رب الشعري - وسمى عبورا لأنه عبر الحجر إلى سهيل وتسمى اليمانية لأن مغيبها في شق العين ، وتسمى الأربعة التي منها على كتفه وعلى ذنبه ما بينهما وعلى فخذ العذارى ، والأربعة المصطفة التي على الاستقامة خارج الصورة تسمى القروذ ، والنيران من خارج الصورة حضار الوزن ، ومن العرب من يسميها مختلفين لأنهما يطلعان قبل سهيل فيظن أحدهما سهيلا فيخلف عليه والآخر يعلم أنه غير سهيل فيخلف له .

(كوكبة الكلب المتقدم) وهما كوكبان بين النيرين اللذين على رأس التوأمين وبين النيرين الذي على فم الكلب الأكبر يتأخر عنهما إلى المشرق وأحدهما أنور ، وتسميه العرب الشعري الشامية لأنها تغيب في شق الشام ، وتسميه الشعري الغيمصاء لأنه عندهم أحب سهيلا ، وقد عبرت اليمانية الحجر إلى ناحية سهيل وبقيت هذه في الشمال الشرقية فبكت على سهيل وغصت عينها ، وتسمى الاثنتين أيضا ذراع الأسد المقبوض ، وسميت مقبوضة لتأخرها عن الذراع الآخر وهما النيران اللذان على رأس التوأمين .

(كوكبة السفينة) كواكبها خمسة وأربعون كوكبا من الصورة وليس حوالها شيء من الكواكب المرصودة : وذكر بطليموس أن النير العظيم الذي على الجداف الجنوبي هو سهيل وهو بعد كوكب عن السفينة في الجنوب يرسم على الإستطراب . وأما العرب فالروايات عنها في سهيل وفي كواكب السفينة مختلفة الرأي بعضهم أن النير الذي على طرف الجداف الثاني يسمى سهيلا على الإطلاق .

(فصل : في فوائد القطب الجنوبي)

أما القطب الجنوبي فإنه في مقابلة القطب الشمالي وإنه خارج عن كواكب السفينة بقرب نير الجداف وتدور حوله كواكبه أسفل من سهيل . وزعموا أن لهذا القطب فوائد : (منها) أن كل حيوان أنثى إذا تعسرت ولادتها تنظر إلى القطب وإلى سهيل تضع في الحال : (ومنها) أن من انقطعت عنه شهوة الباه من غير شرب داوئ يداوم النظر إلى القطب الجنوبي في ليال متوالية ترجع إليه شهوته . (ومنها) أن صاحب التأليل إذا أخذ بعدد كل ثؤلول ورقة من شجر الغرب ويومي إلى سهيل وإلى القطب ويقول هذا لقلع التأليل حتى يقول اثنين وأربعين مرة إما في ليلة واحدة أو في ليال ، ثم يذق الورق في هاون اسفيدوز ويجعله على التأليل فإنها تجف وتنفرك ، وزعموا أنها من الخواص العجيبة الخربة : (ومنها) أن صاحب المايلخوليا إذا دام النظر إلى القطب وسهيل مرة بعد أخرى أوفى ليلة مرات يزول عنه ذلك ، وزعموا أنهم جربوه فوجدوه صحيحا . (ومنها) أن النظر إلى هذا القطب وسهيل يحدث للإنسان طربا وسرورا ، ولهذا صنف من الزنج مخصوصون بمزيد الطرب لأنهم متقاربون

من مدار القطب وسهيل . (ومنها) أن صاحب الظفرة في العين إذا دام النظر إلى القطب وسهيل تزول ظفرته ، وذلك بأن يديم النظر إلى القطب وسهيل ويحدق النظر إليهما ويكون النظر متواليا أوله ليلة الثلاثاء ولا يقطعه إلى أن تزول الظفرة فإنها تذهب إلى تمام اثنين وأربعين أو تسع وأربعين .

(كوكبة الشجاع) كواكبه خمسة وعشرون كوكبا في الصورة واثنان خارجها رأسه على زباني الجنوبي من صورة السرطان وهي بين الشعري الغميصاء وقلب الأسد يميل عنهما إلى الجنوب ميلا يسيرا ثم ينعطف إلى كوكب نير على آخر عقده عند منشا الظهر فوقه أربع كواكب على شمال النير ، والعرب تسمى الذي على آخر العنق الفرد لانفراده عن أشباهه ، وأما سائر كواكب الشجاع فعن العرب فيها روايات كثيرة لا طائل تحتها .
(كوكبة البلطية) هي سبع كواكب على شكل كوكبة الشجاع ، والعرب تسمى هذه الكواكب الملتف .

(كوكبة الغراب) هي سبع كواكب خلف البلطية على جنوب السماء الأعزل ، والعرب تسمى هذه الكواكب عجز الأسد ، وتسميها أيضا عرش السماء الأعزل ، وتسميها أيضا الأحمال .

(كوكبة قطورش) هي سبعة وثلاثون كوكبا وصورته صورة حيوان ومقدمه مقدم إنسان من رأسه إلى آخر ظهره ومؤخره مؤخر فريش من منشا ظهره إلى ذنبه ، وجهه إلى المشرق ومؤخر ذنبه إلى المغرب ويده شمراخان ، وقد قبض بيده الأخرى على يد السبع وعلى بطن الدابة نير يسمى بطنا وعلى حافر يده اليمنى كوكب حصار وعلى يده الأخرى الوزن ، وهما اللذان يسميان الخلفين كما ذكرنا قبل :

(كوكبة السبع) وهي تسعة عشر كوكبا من الصورة خلف كوكبة قيطورش وبعضها مختلط بكوكبة قيطورش وقد قبض قيطورش على يده ، والعرب تسمى كوكبة قيطورش والسبع الشمازيخ الجملة لكثرتها وكثافة جميعها ، وليس حولها شيء من الكواكب المرصودة :
(كوكبة الحجرة) كواكبها سبعة في الصورة ، ولم يقع عن العرب شيء في هذه الكواكب .

(كوكبة الإكليل الجنوبي) وهي ثلاثة عشر كوكبا في الصورة قدام الاثنين اللذين على عرقوب الرامي ، فن العرب من يسمي هذه الكواكب القبة لاستدارتها ، ومنهم من يسميها أدحى النعام وهو عشه لأنها على جنوب النعامين الصادر والوارد اللذين قد مضى ذكرهما .

(كوكبة الحوت الجنوبي) وهي أحد عشر كوكبا في الصورة على جنوبي كواكب الدالي

رأسه إلى المشرق وذنبه إلى المغرب ، ويسمى النير الذي على فمه فم الحوت تمت الكواكب الثابتة وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(فصل : في منازل القمر)

وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة بواحد منها من مستهلها إلى ثمانية وعشرين ليلة من الشهر ثم يستمر ، واستمراره محاقه حتى لا يرى منه شيء ، فإن كان الشهر تسعاً وعشرين استمر ليلة ثمان وعشرين ، وإن كان ثلاثين استمر ليلة تسع وعشرين ، وهو في السرار يقطع منزله ، فهذه المنازل الثمانية والعشرون يبدو منها أبداً أربعة عشر بالليل فوق الأرض وأربعة عشر تحت الأرض وكلما غاب منها واحد طلع رقيبها ، والعرب تسمى أربعة عشر من هذه المنازل شامية وأربعة عشر يمانية ، فأول الشامية الشرطين وآخرها السماك الأعزل وأول اليمانية الغفر وآخرها الرشا ، والعرب تسمى سقوط النجم في الغرب وطلوعه مقابله مع الفجر نوعاً ، وسقوط كل نجم منها في ثلاثة عشر يوماً خلا للجهة فإن لها أربعة عشر يوماً فيكون انقضاء سقوط الثمانية والعشرين مع انقضاء السنة ثم يرجع الأمر إلى الأول في ابتداء السنة المستقبلية ، وما كان في هذه الثلاثة عشر يوماً من مطر أو ريح أو حر أو برد فهو من نوع ذلك النجم الساقط عند الحكماء ولهم أقوال طويلة في أحكام نزول النيرين . فأول هذه المنازل :

(الشرطين) يقال لهما قرنا الحمل ويسميان الناطح وبينهما في رأى العين قاب قوسين ، وإذا حلت الشمس بها اعتدل الزمان واستوى الليل والنهار : وطلوعهما لسته عشر ليلة تخلو من نيسان وسقوطهما لثمان عشرة ليلة تخلو من تشرين الأول ، وحلول الشمس بهما لعشرين ليلة تخلو من أذار ، وكلما زلت الشمس الشرطين فقد مضت سنة ، وإنما سماها شرطين لأنهما علامة دخول أول السنة ، وفي نوء الشرطين يطيب الرمان وتكثر المياه وتنعقد الثمار ويحصد الشعير ، ورقيب الشرطين الغفر .

(البطين) يقال له بطن الحمل وهو ثلاث كواكب خفية كأنها أثنى وهذه صورتها ٥ . وهو بين الشرطين والثريا ، وطلوعه لليلة تبقى من نيسان وسقوطه لليلة تبقى من تشرين الأول وعند سقوطه يرتج البحر فلا تجرى فيه جارية ويذهب الحداء والرخم والحطاطيف إلى الغور ويستكن النمل ، وتقول العرب إذا طلع البطين فقد اقتضى الدين ، وحكى ابن الأعرابي أنهم يقولون : ما أتى البطين والدبران أو أحدهما وكان لئوثة مطر إلا أكاد أن يكون ذلك العام جدياً . وقالوا : إنه أشر الأنواء وأقلها مطراً وفي نوءه يحف العشب ويتم حصاد الشعير ويأتي أول حصاد الخنطة ، ورقيب البطين الزبانا :

(الثريا) ويقال له النجم وهو أشهر هذه المنازل وهي ستة أنجم وهذه صورتها ☉ ☽ ☿ .
 وفي خلالها نجوم كثيرة خفية ، والعرب تقول : إن طلع النجم غدية ابتغى الراعى كسبية ،
 وطلوعها لثلاث عشرة ليلة تخلو من أيار وسقوطها لثلاث عشر ليلة تخلو من تشرين الآخر ،
 والثريا تظهر في المشرق عند ابتداء البرد ثم ترتفع في كل ليلة حتى تتوسط السماء مع غروب
 الشمس ، وفي ذلك الوقت أشد ما يكون البرد ، ثم تنحدر عن وسط السماء فتسكون في كل
 ليلة أقرب من أفق المغرب إلى أن يهل الهلال معها ، ثم تمكث يسيرا وتغيب نيفا وخمسين
 ليلة وهذا المغيب هو استسرارها ، ثم تبدو بالغداة من المشرق في قوة الحر ، وقال النبي
 صلى الله عليه وسلم « إذا طلع النجم لم يبق من العاهة شيء » أراد عاهات الثمار لأنها تطلع بها
 بالحجاز وقد أزهز البسر . وأما نوؤها فحمود وهو خير نجوم الوسمي لأن مطره في الوقت
 الذي فقدت الأرض فيه الماء ، فإذا طلعت الثريا ارتجج البحر واختلفت الرياح وسلط الله
 الجن على المياه ، وقال صلى الله عليه وسلم « من ركب البحر بعد طلوع الثريا فقد برئت منه
 الذمة » وفي نوء الثريا تتحرك الرياح ويشتد الحر ويدرك التفاح والمشمش ويجف العشب ،
 وفي آخره يمد النيل ويكثر اللبن ، ورقيب الثريا الإكليل .

(الدبران) وهو كوكب أحمر منير يعلو الثريا ويسمى تابع النجم وسمى دبرانا لاستدباره
 الثريا ، وهذه صورته ☉ ☽ ☿ . ونوؤه غير محمود والعرب تشاءم به ،
 وطلوعه لست وعشرين ليلة من أيار وسقوطه لستة وعشرين ليلة من تشرين الأول : قال
 الساجع : إذا طلع الدبران ببست الغدران ، وفي نوئه يشتد الحر وهو أول البوارح وتهب
 السائم ويسود العنب ، ورقيب الدبران القلب .

(الهقعة) هي رأس الجوزاء وهي ثلاثة كواكب صغار تشبه الأثافي وهذه صورتها ☉ ☽ ☿ .
 وإنما سميت هقعة تشبها بعرض الفرس الذي يقال له الهقعة ، وتطلع لتسع خلون من حزيران
 وتسقط لتسع خلون من كانون الأول ، ونوؤها لا يكادون يذكرونه إلا بنوء الجوزاء ،
 والعرب تقول : إذا طلعت الهقعة رجع الناس عن النجعة ، وفي نوئها يدرك البطيخ وسائر
 الفواكه ويشتد الحر ويكثر هبوب السائم ، ورقيب الهقعة الشولة .

(الهنعة) هي كوكبان أبيضان بينهما قيد سوط في الحجرة وهذه صورتها ☉ ☽ ☿ .
 الكوكبين الزر والآخر لنيسان وثلاثة تحيط بهما فمجموعهما خمسة أربعة متتابعة إلى جانب
 وواحد في جهة العرض على هيئة الألف الكوفي ، وطلوع الهنعة لاثنتين وعشرين ليلة تخلو
 من حزيران وسقوطها لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من كانون الأول ، ونوؤها من أنواء الجوزاء
 وتقول العرب : إذا طلعت الجوزاء كسب الصبا ، وفي نوئها انتهاء شدة الحر وإدراك الرطبة
 والثلثين وتغيير المياه ، ورقيب الهنعة النعام .

(الذراع) هو ذراع الأسد المقبوضة وللأسد ذراعان مقبوضة ومبسوطة فالمبسوطة تلي العين والمقبوضة تلي الشام : وطلوعها لأربع ليال تخلو من تموز وسقوطها لأربع تخلو من كانون الآخر ، ونوؤها محمود قل ما يخلف ، وزعمت العرب أنه إذا لم يكن في السنة مطر لم يخلف الذراع ، والعرب قد تقول : إذا طلع الذراع ترقق الشراب في كل قاع ، وفي نوؤها تشتد بوارح الصيف حرا وسموما ، وفيه يدرك الرمان ويحمر البسر ويقطع التصب النبطي ، ورقيب الذراع البلدة .

(النثرة) هي ثلاثة كواكب متقاربة وهي أنف الأسد ، وطلوعها لسبع عشرة ليلة من تموز وتسقط لسبع عشرة ليلة تخلو من كانون الآخر ، وتقول العرب : إذا طلعت النثرة قنأت البسرة أى اشتدت حرمتها وعند سقوط النثرة يجرى الماء في العود ويصلح تحويل الفسيل وفي نوؤها غاية شدة الحر وفيه سموم حارة حتى قيل إن في نوها كل يوم تظهر آفة تفسد شيئا من الزرع والثمار ، ورقيب النثرة سعد الذابح .

(الطرف) هو طرف الأسد ، وهما كوكبان صغيران مثل الفرقدين ، وطلوعه لليلة تخلو من آب وسقوطه لليلة تبقى من كانون الثاني ، وتقول العرب : إذا طلعت الطرفة كثرت الطرفة ، وعند ذلك قطاف أهل مصر ، وفي نوئه بوارح وسموم وفيه يؤكل الرطب ويقطف العنب ، ورقيب الطرف سعد بلع .

(الجبهة) هي جبهة الأسد وهي أربعة كواكب فيها عوج بين كل كوكبين في رأى العين قيد سوط ، وهي معترضة من الجنوب إلى الشمال والجنوبي منها يسميه المنجمون قلب الأسد وطلوعها لأربع عشرة ليلة تمضي من آب مع طلوع سهيل وسقوطه لاثنتي عشرة ليلة تخلو من شباط ، وعند سقوطها ينكسر حد الشتاء وتوجد الكمأة ويورق الشجر وتهب الرياح اللواقح ، وتقول العرب : لولا طلوع الجبهة ما كان للعرب رفهة ، ونوؤها محمود يقال ما امتلأ واد من نوء الجبهة ماء إلا امتلأ عشيا ، وسهيل يطلع بالحجاز مع طلوع الجبهة ومع طلوعها يصير البسر رطبا وفي نوها ينكسر البرد ويكثر الرطب ويسقط الطل ، ورقيب الجبهة سعد السعود .

(الزبرة) هي زبرة الأسد أى كاهله وهي كوكبان نيران بينهما قيد سوط ، والزبرة شعر الأسد الذى ينزل عند الغضب وأحدهما أنور من الآخر وفيهما قليل عوج ، وطلوعهما لأربع ليال تخلو من آب وسقوطهما لخمس ليال تخلو من شباط ، ويكون في نوها مطر شديد فإن أخلف قصر ، وعند طلوع الزبرة يرى سهيل بالعراق ويبرد الليل مع السموم بالنهار ، ورقيب الزبرة سعد الأخبية .

(الصرفة) هي كوكب واحد على أثر الزبرة أزهر مضيء جدا عنده كواكب صغار

طمس، ويزعمون أنه قلب الأسد وسميت صرفة لانصراف الحر والبرد عند طلوعها وسقوطها: وطلوعها لتسع ليال تخلو من أيلول وسقوطها لتسع ليال تخلو من أذار، ومع طلوعها يزيد النيل وأيام العجوز في نوبتها وزعموا أن الصبي إذا فطم بنوء الصرفة لم يكذب يطلب اللبن، وفي نوبتها مطر ورياح وبرد بالليل ويأتي المطر الوسمى، ورقيب الصرفة فروع الدلو المقدم.

(العواء) هي أربعة أنجم على أثر الصرفة تشبه الهاء المردودة الأسفل بالخط الكوفي، والعرب شبهوها بسكلاب تتبع الأسد، وقال قوم هي وركا الأسد وطلوعها لاثنتي عشرة ليلة تخلو من أيلول وسقوطها لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من أذار، ونوبتها يسير، والعرب تقول: إذا طلعت العوا طاب الهوا، وفي نوبتها يستوى الليل والنهار ويأخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان وهو ابتداء الخريف، ورقيب العواء فرع الدلو المؤخر.

(السمالك) هو السمالك الأعزل، وأما السمالك الرامح فلا ينزله القمر، وهو كوكب أزهر وإنما سمي أعزل لأن الرامح عنده كوكب يقال له راية السمالك وأما الأعزل فلا شيء عنده والأعزل هو الذي لا سلاح معه، والعرب يجعلون السماكين ساقا للأسد، وطلوع السمالك الأعزل لحمس ليال مضمين من تشرين الأول وسقوطه لأربع ليال تخلو من نيسان، ونوبته غزير قلما يخلف مطره إلا أنه مذموم لأنه ينبت البسر وهو نبت إذا رعته الإبل مرضت، والعرب تقول: إذا طلعت السمالك ذهبت العسكك، وفي نوبته صرام النخل وقطع العنب ويأتي المطر الولي، ورقيب السمالك بطن الحوت، وهذا آخر المنازل الشامية. وأما المنازل الجمانية فأولها:

(الغفر) وهو ثلاث كواكب خفية، وإنما سمي غفرا لأن عند طلوعه تستتر نضارة الأرض وزينتها، وطلوعه لثمان عشرة ليلة تخلو من تشرين الأول وسقوطه لسنة عشر ليلة تخلو من نيسان. قال الساجع: إذا طلع الغفر اقشعر السفر وذبل النضر وفي نوبته يؤبر النخل ويقطع القصب الفارسي ومطره ينبت الكمأة، ورقيب الغفر الشرطين.

(الزبانا) هي زبانا العقرب أي قرناهما وهما كوكبان مفترقان بينهما في رأي العين مقدار خمسة أذرع، وطلوع الزبانا آخر ليلة من تشرين الأول وسقوطها ليلة تبقى من نيسان والعرب يصفونها بهبوب البوارح وهي الشمال الشديدة الهبوب وتكون في الصيف حارة: قال الساجع: إذا طلعت الزبانا فاجمع لأهلك ولا تتواني، وفي نوبته يدخل الناس بيوتهم في إقليم بابل ويشند البرد ومطره ينبت الكمأة، والزبانا رقيب البطين:

(الإكليل) هو رأس العقرب وهو ثلاثة كواكب زاهرة مصطفة معترضة، وطلوع الإكليل لثلاث عشرة ليلة تخلو من تشرين الثاني وسقوطه لثلاث عشرة ليلة تخلو من أيار، والعرب يقولون: إذا طلع الإكليل هاجت السيول فإذا سقطت غارت مياه الأرض ولا تزال

تغور إلى سقوط بطن الحوت ، وذلك لخمس مضيئين من تشرين الأول ، وفي نوته تسكثر الأمطار والغيوم ، ورقيب الإكليل الثريا .

(القلب) هو قلب العقرب وهو الكوكب الأحمر وراء الإكليل بين كوكبين يقال لهما النياط وليسا على حمرة ، وأول التاج بالبادية عند طلوع القاب وطلوع النسر الواقع وهما يطلعان معا في البرد وذلك لست وعشرين ليلة تخلو من تشرين الثاني وسقوطه لست وعشرين ليلة تخلو من أيار ، وما نتيج في هذا الوقت يكون سبي* الغذاء لشدة البرد وقلة اللبن والزيت ، والغرب يقولون : إذا طلع القلب جاء الشتاء كالكلب ، ونوء القلب تتشاءم به العرب ويكرهون السفر إذا كان القمر نازلا في العقرب ، وفي نوته يشتد البرد وتهب الرياح الباردة ويسكن الماء في عروق الشجر ، ورقيب القلب الدران .

(الشولة) هي كوكبان متقاربان يكادان يماسان ذنب العقرب ، وسميت شولة لارتفاعها يقال شال بذنبه وبعدها إبرة العقرب كأنها لطحخة غيم ، وهي تطلع لتسع ليال خاون من كانون الأول وتسقط لتسع تخلو من حزيران ، وتقول العرب : إذا طلعت الشولة اشتدت على العيال العولة ، وفي نوتها يسقط الورق كله وتكثُر الأمطار وتفرق الأعراب الذين حضروا المياه ، ورقيب الشولة الهقعة .

(النعائم) هي ثمان كواكب على أثر الشولة أربعة في الحجره وهي النعائم الواردة ، سميت واردة لأنها شرعت في الحجره كأنها تشرب ، وأربعة خارجة عن الحجره وهي النعائم الصادرة ، سميت صادرة لأنها خارجة عن الحجره كأنها شربت ثم صدرت عن الماء وكل أربعة منها على تربع ، وطلوعها لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من كانون الأول وسقوطها لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من حزيران ، والعرب تقول : إذا طلعت النعائم توسعت البهائم ، وفي نوتها أول الشتاء واستواء الليل والنهار ، ورقيب النعائم الهنعة .

(البلدة) هي فضاء في السماء لا كوكب بها بين النعائم وبين سعد الذابح وليس فيه إلا نجم واحد خامد لا يكاد يرى ، وهي ست كواكب مستديرة صغار خفيفة تشبه القوس ، ويسمى بعضها بعض العرب القوس ، وطلوع البلدة لأربع ليال خلون من كانون الآخر وسقوطها لأربع ليال مضيئين من تموز ، وتقول العرب : إذا طلعت البلدة حمت الجعدة ، وفي نوتها يجمد الماء ويشد كلب الشتاء وتنق البساتين من الأدغال والحشيش وتكرب الكروم ، ورقيب البلدة الذراع .

(سعد الذابح) هو كوكبان غير نيرين بينهما في رأى العين قدر ذراع وأحدهما مرتفع في الشمال والآخر هابط في الجنوب ، وطلوعه لسبع عشرة ليلة تخلو من كانون الآخر ، وسقوطه لسبع عشرة ليلة تمضي من تموز ، والعرب تقول : إذا طلع سعد الذابح حمى أهله

النابح ، وفي نوته يصعد الماء إلى فروع الشجر ويدرك الجوز واللوز ويرجى المطر ، ورقيب سعد الذابح الثرة :

(سعد بلع) هو نجمان مستويان في المجرى أحدهما خفي وسمى الأكبر بالعاكأنه بلع الآخر الخفي وأخذ ضوءه ، وطلوعه ليلة تبقى من كانون الآخر وسقوطه ليلة تبقى من آب ، وتقول العرب : إذا طاع سعد بلع صار في الأرض لمع ، وفي نوته يكثر المطر وتنق الضفادع وتزأج العصافير ويبيض الهدهد وتهب الجنوب ويقل اللبن ، ورقيب سعد بلع الطرف . (سعد السعود) هو ثلاث كواكب أحدها نير والآخران دونه والعرب تسمن به فلهذا سمي بهذا الاسم ، وطلوعه لاثنتي عشرة ليلة تمضي من شباط وسقوطه لأربع عشرة ليلة تمضي من آب ، وتقول العرب : إذا طلع سعد السعود كره في الشمس القعود ، ونوؤه محمود وفي نوته يتحرك أول العشب ويصوت الطير وتهيج السنابير ويورق الشجر وتأتي الخطاطيف ، وتصيب الإبل مرعاها ويدرك الورد وسائر الرياحين ، ورقيب سعد السعود الجبهة :

(سعد الأخبية) هو أربعة كواكب متقاربة واحد منها في وسطها وهو مثل رجل بطة اثنان منها على الطول واثنان منها على العرض ، يقال إن السعد منها واحد وهو أنورها والثلاثة خفية ، وقيل إنما سمي سعد الأخبية لأن عند طلوعه تخرج الحشرات المختبئة في الأرض ، وطلوعه لخمس وعشرين ليلة تخلو من شباط وسقوطه لأربع ليال تبقى من آب ، وتقول العرب : إذا طلع سعد الأخبية خلت من الناس الأبنية ، ونوؤه غير محمود بكثير فيه المطر جدا ويقطع الكرم ، ورقيب سعد الأخبية الزبرة :

(الفرع الأول) هو فرع الدلو المقدم ، والدلو أربعة كواكب واسعة مربعة فائتان منها هما الفرع الأول واثنان هما الفرع المؤخر ، وفرع الدلو هو مصب الماء بين العرقوتين ، وطلوع الفرع الأول لتسع ليال خلون من أدار وسقوطه لتسع ليال مضين من أيلول ، والعرب تقول : إذا طلع الدلو طلب اللهو ، ونوؤه محمود وفيه تسقط الجمرة الثالثة وينعقد اللوز والتفاح والمشمش بالحرق وبرده يهلك الثمار ، ورقيب الفرع الأول الصرفة :

(الفرع الثاني) قد وصف عند الفرع الأول وطلوعه لاثنتين وعشرين ليلة تحاو من أدار وسقوطه لاثنتين وعشرين ليلة تمضي من أيلول ، ونوؤه محمود وطلوع الفرعين وغروبهما يكون في إقبال البرد وإدباره ، وعند سقوط الفرع المؤخر يجز النخل بالحجاز وتهامة وكل غور ويشتار العسل ، وفي نوته آخر أمطار الشتاء وفيه يكثر العنب ويدرك النبق والبقلاء ويستوى الليل والنهار ، ورقيب الفرع الثاني العواء :

(بطن الخوت) هي كواكب كثيرة في مثل حلقة السمكة وتسمى الرشاء أيضا ، وهي كواكب معترضة ذنبها نحو اثنين ورأسها نحو الشام ، وطلوعها لأربع ليال تخلو من نيسان

وسقوطها لخمس تمضي من تشرين الأول ، وعند سقوطه ينتهي غور المياه ويطلع بعده الشرطين ويعود الأمر إلى ما كان عليه في السنة الأولى ، وتقول العرب : إذا طلعت السمكة أمكنت الحركة ، و رقيب بطن الحوت السماء ، ونوؤه غزير المطر قلما يخلف وهو أو ان حصاد الشعير بالجروم . قال أبو إسحاق الزجاجي : إن السنة أربعة أجزاء كل جزء منها سبعة أنواء كل نوء منها ثلاثة عشر يوما وزادوا فيها يوما لتتم السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وهو مقدار قطع الشمس فلك البروج ، والله الموفق :

(النظر العاشر : في فلك البروج) اعلم أنه ليس فلكا كسائر الأفلاك بل هو أمر موهوم ، وذلك لأنهم ذهبوا إلى أن لكل كوكب من الكواكب كرة تخصه وأن لكل كرة حركة تخصها ، وأن الكوكب مركوز في جرم الفلك كمنقطة وأن كل كرة تتحرك على قطبين وأن النقطة التي عليها رسم دائرة موهومة على سطح الكرة فإذا تحرك فلك الشمس من المشرق إلى المغرب كانت حركته قسرية ، وإنما حركة فلك الشمس المختصة به من المغرب إلى المشرق فإذا تمت دورته حدثت من مركز الشمس دائرة عظيمة في فلك الشمس ، وتتوهم هذه الدائرة قاطعة للعالم فتحدث في سطح الفلك الأعلى دائرة عظيمة مركزها مركز العالم وهي الدائرة التي تسمى فلك البروج ، ثم إن الدائرة التي هي أعظم الدوائر التي تمر بمركز العالم وتقطع العالم نصفين وقطباها قطبا العالم اللذان يسميان الشمالي والجنوبي تسمى دائرة معدل النهار فنقول : دائرة فلك البروج تقطع دائرة معدل النهار نصفين على نقطتين متقابلتين تسمى إحداهما نقطة الاعتدال الربيعي ، والأخرى نقطة الاعتدال الخريفي ، ثم تتوهم دائرة أخرى تمر بنقطتي معدل النهار وهما قطبا العالم ونقطتي فلك البروج فتقطع دائرة فلك البروج على نقطتين متقابلتين إحداهما مما يلي الشمال والأخرى مما يلي الجنوب أما الشمالية فتسمى نقطة الانقلاب الصيفي وأما الجنوبية فتسمى نقطة الانقلاب الشتوي ، فهاتان الدائرتان تقسمان فلك البروج أربعة أقسام متساوية . أما الربع الذي بين نقطتي الاعتدال الربيعي وبين الانقلاب الصيفي فهو الذي يحدثه زمان الربيع لأن الشمس مادامت بحركة فلكها الخاص مسامطة لهذا القوس يسمى ذلك الزمان ربيعا ، وأما الربع الذي بين نقطتي الانقلاب الصيفي والاعتدال الخريفي فهو الذي يحدثه زمان الصيف لأن الشمس مادامت مسامطة لهذا القوس يسمى ذلك الزمان صيفا . وأما الربع الذي بين نقطتي الاعتدال الخريفي والانقلاب الشتوي فهو الذي يحدثه زمان الخريف ، لأن الشمس مادامت مسامطة لهذا القوس يسمى الزمان خريفا . وأما الربع الذي بين نقطتي الانقلاب الشتوي والاعتدال الربيعي فهو الذي يحدثه زمان الشتاء لأن الشمس مادامت مسامطة لهذا القوس يسمى الزمان شتاء ، وتتوهم أيضا دائرتان عظيمتان تمران من قطبي دائرة البروج فيقطعان الربع الربيعي ثلاثة أقسام متساوية ويقطعان أيضا الربع الخريفي المقابل لهذا الربع

ثلاثة أقسام متساوية ، وتتوهم أيضا دائرتان عظيمتان تخرجان من قطبي دائرة البروج وتقطعان الربع الصيفي والربع الشتوي المقابل له كل واحد منها ثلاثة أقسام متساوية فتصير جملة الدوائر الخارجة من قطبي دائرة البروج ستة ، فإذا توهمنا ست دوائر قاطعة للعالم تمر بقطبي الدائرة بنقطتين متقابلتين انقسم كل واحد من الأفلاك التسعة اثني عشر قسما يسمى كل قسم منها برجاً وكل برج منها مقسوم ثلاثين قسما يسمى كل قسم منها درجة ، والدوائر يجملتها ثلثمائة وستون درجة ثم قسموا فلك الثوابت بهذه الدوائر الست اثني عشر قسماً في كل قسم كواكب متشكلة بأشكال مختلفة ، ففي أحد هذه الأقسام كواكب متشكلة بشكل يشبه صورة الحمل فسمى ذلك القسم برج الحمل ثم يلي هذه القطعة قطعة عليها كواكب متشكلة بصورة شبيهة بالثور فيسمى هذا القسم برج الثور ، وهكذا إلى آخر الأقسام .

وذكر بطليموس أن دائرة البروج أربعائة وستة وثمانون ألف ألف ومائتان وتسعة وخمسون ألفاً وسبعائة وأحد وعشرون ميلاً وسبع ميل ، فطول كل برج تسعة وثلثون ألف ألف وثلثمائة وثمانية وثمانون ألفاً وثلثمائة وعشرة أميال ونصف وسدس ميل ، وعرض كل برج ألف ألف وثلثمائة وثمانون ألفاً وتسعون ألفاً وثلثون ألفاً وأربعون ميلاً وثلث ميل ، والله الموفق للصواب .

(النظر الحادي عشر : في فلك الأفلاك) سمي بهذا الاسم لاحاطته بجميع الأفلاك وتحريره كلها ، ويقال له الفلك الأعظم لأنه أكبر الأفلاك ، ويقال له الفلك الأطلس لأنهم لم يعرفوا له كوكبا ، وحركة هذا الفلك من المشرق إلى المغرب على قطبين ثابتين يقال لأحدهما القطب الشمالي وللآخر القطب الجنوبي وتم دورته في أربع وعشرين ساعة وبحركته تتحرك الأفلاك كلها مع كواكبها ، وحركته أسرع من كل شيء شاهده الإنسان ، حتى صح في الهندسة أن الشمس تتحرك بحركتها القسرية وهي حركة الفلك الأعظم في مقدار ما يرفع الإنسان قدمه للخطو إلى أن يضعها ثمانمائة فرسخ ، ويشهد بصحة هذا ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه سأل جبريل عليه السلام عن دخول وقت الصلاة فقال لا نعم ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله لا نعم؟ فقال : من وقت قلت لا إلى أن قلت نعم مرت الشمس خمسمائة فرسخ » وبحركة هذا الفلك يتكون الليل والنهار ، فإذا طلعت الشمس بدوران هذا الفلك على جانب من الأرض أضواء جوها وأشرف سطحها وتحركت حيواناتها وربى نباتها وفاح نسيمها ، وإذا غابت بدوران هذا الفلك عن جانب من الأرض أظلم جوها واسودت سكنت حيواناتها وذبل نباتها فما دامت هذه الحركة محفوظة فهذه الحالة موجودة ، وأشار إليها بقوله تعالى - ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون - والحكماء سموا هذا الفلك محمداً لاعتقادهم أن ليس وراء ذلك خلا وملا .

وقال أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي بعد ما أظهر فساد القول بالخذد : من أراد أن يكتب ملكة البارئ تعالى بمكيال العقل فقد ضل ضللاً بعيداً ، وقد أحب بعض السلف التوفيق بين الآيات والأخبار وقول الحكماء فزعم أن الكرسي هو الفلك الثامن الذي ذكرنا سعته وعجائبه والعرش هو الفلك التاسع الذي هو أعظم الأفلاك ، والله تعالى أعلم بصحة هذا القول أو فساده ، ولا شك في وجود العرش والكرسي لنصوص الآيات ولما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة . وأما العرش فإنه مخلوق عظيم من مخلوقات الله تعالى قبله لأهل السموات كما أن الكعبة قبله لأهل الأرض فسبحان العظيم .

(النظر الثاني عشر : في سكان السموات وهم الملائكة) زعموا أن الملك جوهر بسيط ذو حياة ونظر وعقل والاختلاف بين الملائكة والجن والشياطين كالاختلاف بين الأنواع . واعلم أن الملائكة وجواهر مقدسة عن طلب الشهوة وكدرودة الغضب لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، طعاهم التسبيح وشرابهم التقديس وأنسهم بذكر الله تعالى وفرحهم بعبادته ، خلقوا على صورة مختلفة وأقدار متفاوتة لإصلاح مصنوعاته وإسكان سمواته ، وقال صلى الله عليه وسلم « أطت السماء وحق لها أن تظن ما فيها قدر شبر إلا وفيه ملك راجع أو ساجد » .

وقال بعض الحكماء : إن لم يكن في فضاء الأفلاك وسعة السموات خلائق فكيف يابق بحكمة البارئ جلّت قدرته تركها فارغة مع شرف جوهرها ، فإنه لم يترك قعر البحار المألحة المظلمة فارغة حتى خلق في أجناس الحيوانات وغيرها ، ولم يترك جو الهواء الرقيق حتى خلق له أنواع الطير ، ولم يترك البراري اليابسة والآجام والجبال حتى خلق فيها أجناس الهوام والحشرات . وأما أصناف الملائكة فلا يعرفهم غير خالقهم كما قال تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو - غير أن صاحب الشرع أعلم ببعضهم ، وبحسب وقوع الحوادث اهتدى العقل إلى بعضهم حتى قيل : ما من ذرة من ذرات العالم إلا وقد وكل بها ملك أو ملائكة ، وما من قطرة إلا ومعها ملك ينزل بها من السحاب ويدعها في المكان الذي قدر الله تعالى ، هذا حال الذرات والقطرات فما ظنك بالأفلاك والكواكب والهواء والغيوم والرياح والأمطار والجبال والقفار والبحار والعيون والأنهار والمعادن والنبات والحيوان ؟ فبالملائكة صلاح العالم وكمال الموجودات بتقدير العزيز العليم . ولندكر بعض من أخبر بهم صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه وهم الملائكة المقربون عليه وعليهم السلام . ففهم : حملة العرش ، صاوات الله عليهم وهم أعز الملائكة وأكرمهم على الله تعالى ، تتقرب إليهم سائر الملائكة ويسلمون

عليهم بالعدو والروح لمكاتبهم عند الله تعالى وهم يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا . فمنهم من هو على صورة النسر ، ومنهم من هو على صورة الثور ، ومنهم من هو على صورة الأسد ، ومنهم من هو على صورة البشر .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : خلق الله حملة العرش وهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى فذلك قوله تعالى - ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية - وهو عظم لا يوصف ففهم كما تقدم من هو على صورة ابن آدم يشفع لبي آدم في أرزاقهم ، ومنهم من هو على صورة الثور يشفع للبهائم في أرزاقها ، ومنهم من هو على صورة النسر يشفع للطيور في أرزاقها ، ومنهم من هو على صورة الأسد يشفع للسباع في أرزاقها ، ومنهم الروح الأمين عليه السلام وهو ملك يقوم صفا والملائكة كلهم صفا لكرامته عند الله تعالى وعظمته وإنما سمي روحا لأن كل نفس من أنفاسه يصير روحا لحيوان ، وقد وكله الله تعالى بإدارة الأفلاك وحركات الكواكب وبما تحت فلك القمر من العناصر والمولدات من المعادن والنباتات والحيوانات ، وهو أكبر من الفلك وأقوى منه وأعظم وأشرف وأعلى من الجسمانيات ، وهو قادر على تسكين الأفلاك كما هو قادر على تحريكها بإذن الله تعالى .

(ومنهم لإسرافيل) عليه السلام وهو مبلغ الأوامر ونافخ الأرواح في الأجساد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وأصغى بالأذن حتى يؤمر فينفخ » . قال مقاتل : القرن الصور وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن وهو كهيئة البوق ودائرة رأس البوق كعرض السموات والأرض ، وهو شاخص ببصره نحو العرش ينظر متى يؤمر فينفخ فإذا نفخ صعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله تعالى .

قالت عائشة رضى الله عنها : قلت لكعب الأحبار رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا رب جهريل وميكائيل وإسرافيل أما جهريل وميكائيل فسمعت بهما في القرآن . وأما إسرافيل فأخبرني عنه؟ فقال كعب : إنه ملك عظيم الشأن له أربعة أجنحة : أحدهما سدّ به المشرق ، والآخر سدّ به المغرب ، والثالث ينزل به من السماء إلى الأرض ، والرابع التّم به من عظمة الله تعالى ، قدماه تحت الأرض السابعة ورأسه ينتهى إلى أركان قوائم العرش ، وبين عينيه لوح من جوهر ، فإذا أراد الله عز وجل أن يحدث أمراً في عباده أمر القلم أن يخط في اللوح ، ثم أدنى اللوح إلى إسرافيل فيكون بين عينيه ، ثم هو ينتهى إلى ميكائيل صلوات الله عليهم ، فهم له أعوان في جميع العالم حتى على الأركان والمولدات ينفخون أرواحها فيها فيصير معدنا ونباتا وحيوانا وهى القوى التى بها صلاحها وحياتها ، فسبحان الخالق البارئ المصور .

(ومنهم جبريل الأمين) عليه السلام ، وهو أمين الوحي وخازن القدس ويقال له الروح الأمين وروح القدس والناموس الأكبر وطاوس الملائكة . جاء في الخبر « إن الله تعالى إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون ولا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام فلذا جاءهم فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا ؟ قال : ربكم . قالوا : الحق ، فينادون الحق بالحق » وجاء في الخبر أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام « إنى أحب أن أراك على صورتك أتى صورتك الله فيها ؟ فقال : إنك لا تطيق ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : أرني ، فواعده جبريل باليقين في ليلة مقمرة فأناه فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو قد سد الآفاق فوق مغشياً عايه ، فلما أفاق عاد جبريل عليه السلام إلى صورته الأولى فقال صلى الله عليه وسلم : ما ظننت أن أحداً من خلق الله تعالى هكذا ، فقال له جبريل عليه السلام : كيف لو رأيت إسرافيل ، وإن العرش على كاهله وإن رجله قد مرقتا تحت تخوم الأرض السفلى ، وإنه ليتصاغر من عظمة الله تعالى حتى يصير كالوصع ، والوصع العصفور الصغير » وقال كعب الأحبار رضى الله عنه : إن جبريل عليه السلام من أفضل الملائكة له ستة أجنحة في كل واحد مائة جناح ، وله وراء ذلك جناحان لا ينشرهما إلا عند هلاك القرى « ولما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم - إنه لقول رسول كريم ذى قوة - سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوته ؟ فقال : رفعت قرى قوم لوط بجناحي وصعدت بها حتى سمع أهل السماء صياح ديكهم ثم قلبتها » وأعوانه موكلون على جميع العالم من شأنهم إحداث القوة الغضبية والحمية لدفع الشر والإيذاء .

(ومنهم ميكائيل) عليه السلام وهو موكل بالأرزاق للأجساد والحكمة والمعرفة للنفوس . قال كعب الأحبار : في السماء السابعة البحر المسجور وعليه من الملائكة ما شاء الله ، وميكائيل قائم على البحر المسجور لا يعرف وصفه وعدد أجنحته إلا الله تعالى ، ولو أنه فتح فاه لم تكن السموات فيه إلا كخردلة في بحر ، ولو أشرف على أهل السموات والأرض لاحترقوا من نوره ، وله أعوان موكلون على جميع العالم من شأنهم إحداث قوة النهوض في الأركان والمولدات وغيرها التي بها الوصول إلى الغايات وبلوغ الكمال في الكائنات .

(ومنهم عزرائيل) عليه السلام وهو مسكن الحركات ومفرق الأرواح من الأجساد . قال كعب الأحبار : عزرائيل في السماء الدنيا وخلق الله تعالى رجايه في تخوم الأرضين ورأسه في السماء العليا ووجهه مقابل اللوح المحفوظ ، وله أعوان بعدد من يموت والخلق كلهم بين عينيه لا يقبض روح مخلوق إلا بعد أن يستوفى رزقه وينقضى أجله .

وعن أشعث بن أسلم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام سأل ملك الموت عليه السلام فقال له : ماذا تصنع إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والنقي الزحفان بأخرى ؟ فقال : أدعو الأرواح بإذن الله تعالى فتكون بين أصبعي هاتين .

وعن وهب بن منبه رضى الله عنه أن سليمان بن داود عليهما السلام تمنى أن يرى ملك الموت ليتخذاه صديقا ، فلم يشعر سليمان حتى أراه كأنه خرج من تحت سريره ، فقال له سليمان من أنت ؟ فقال : ملك الموت ، فصعق سليمان عليه السلام ، فلما رأى ملك الموت ذلك قال اللهم إن عبدك سليمان تمناني ونزل به ما ترى ، اللهم إني أسألك أن تقويه على رؤيتي ، فأوحى الله تعالى إليه أن ضع يدك على صدره ففعل ذلك فأفاق سليمان عليه السلام . وقال : يا ملك الموت إني أراك عظيم الخلق أو كل الملائكة مثلك ؟ فقال : والذي بعنك بالحق نبيا إن رجلى الآن على منكبي ملك قد جاوزت رأسه السموات السبع وارتفع فوق ذلك بمسيرة خمسمائة عام ، ورجلاه قد جاوزتا الثرى بمسيرة خمسمائة عام ، وهو فاتح فاه رافع رأسه باسط يديه ، فلو أذن الله تعالى له أن يطبق شفثيه العليا والسفلى لأطبق على ما بين السماء والأرض فقال له سليمان عليه السلام : لقد وصفت أمرا عظيما ، فقال له : كيف لو رأيتني على صورتي التي أقبض فيها أرواح الكفار ؟ فصار ملك الموت صديقا له ويأتيه كل خيس ويقعد عنده إلى أن تزول الشمس ، فقال له سليمان عليه السلام يوما : مالي أراك لاتعامل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا ؟ فقال له ملك الموت : ليس المستول بأعلم من السائل إنما هي كتب فيها أسماء المقبوضين تلي إلى ليلة الصلح وهي ليلة النصف من شعبان إلى ثلثها من السنة القابلة ، فأما أهل التوحيد فأقبض أرواحهم بيمينى في حريرة بيضاء مغموسة في المسك وترفع إلى عيين ، وأما أهل الكفر فأقبض أرواحهم بشمالى في سربان من قطران وتنزل إلى سجين ، وأمرهم إلى عالم الغيب والشهادة فينبئهم بما كانوا يعملون .

وعن الأعمش عن خيثمة قال : دخل ملك الموت على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر إلى أحد جلسائه ويدم النظر إليه ، فلما خرج ملك الموت قال الرجل : يا نبي الله من كان هذا ؟ قال : إنه ملك الموت . قال : رأيتك ينظر إلى كأنه يريدنى أريد أن تخلصنى منه بأن تأمر الريح لتحملنى إلى أقصى بلاد الهند ، فأمر سليمان الريح بذلك ففعلت ، فلما عاد ملك الموت إلى سليمان عليه السلام قال له : رأيتك تديم النظر إلى بعض جاسأى ؟ قال : كنت أعجب منه لأنى أمرت أن أقبض روحه بأقصى بلاد الهند في ساعة قريبة ورأيتك عندك :

وقال وهب : قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ، فقالت الملائكة لملك الموت : لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت أرواحهم ؟ فقال : أمرت بقبض روح امرأة في فلاة من الأرض فأتيها وقد ولدت مولودا فرحمها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا أحد بها ، فقالت الملائكة : الجبار الذى قبضت الآن روحه هو ذلك المولود ، فقال ملك الموت : سبحان الطيف بعباده .

(ومنهم السكروبيون) عليهم السلام ، وهم الماكفون في حظيرة القدس لا التفات لهم إلى

غير الله تعالى لاستغرافهم بجمال حضرة الربوبية يسبحون الليل والنهار لا يفترون . وفي الخبر « إن الله تعالى أرضا بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوما محشوة خلقا من خلق الله تعالى لا يعلمون أن الله تعالى يعصى طرفه عين . وقالوا يا رسول الله أمن ولد آدم هم ؟ قال : لا يعلمون أن الله تعالى خلق إبليس ثم تلا قوله تعالى : - ويخلق ما لا تعلمون - .

(ومنهم ملائكة سبع سموات) قال كعب الأحبار : هؤلاء ملائكة مداومون على التسبيح والتهليل في القيام والقعود والركوع والسجود يسبحون الليل والنهار لا يفترون حتى تقوم الساعة ، فإذا قامت الساعة يقولون : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال « ملائكة السماء الدنيا على صورة البقر وقد وكل الله تعالى بهم ملكا اسمه إسماعيل ، وملائكة السماء الثانية على صورة العقاب ووكّل الله بهم ملكا اسمه ميخائيل ، وملائكة السماء الثالثة على صورة النسر والملك الموكل بهم اسمه صاعد يايل ، وملائكة السماء الرابعة على صورة الخيل والملك الموكل بهم اسمه صلصايل ، وملائكة السماء الخامسة على صورة الحور العين والملك الموكل بهم اسمه كلكايل ، وملائكة السماء السادسة على صورة الولدان والملك الموكل بهم اسمه سمخائيل ، وملائكة السماء السابعة على صورة بني آدم والملك الموكل بهم اسمه روقايل . قال وهب : وفوق السموات السبع حجب فيها ملائكة لا يعرف بعضهم بعضا لكثرة عددهم يسبحون الله تعالى بلغات مختلفة كالرعد القاصف .

(ومنهم الحفظة) عليهم السلام وهم الكرام الكاتبون . قال ابن جريج : هما ملكان موكلان بابن آدم أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره . وقال بعضهم : هم أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار وخامس لا يفارق ليلا ولا نهارا . وللکفار أيضا حفظة لأن آية الحفظة نزلت في شأن الكفار وهي قوله تعالى - كلا بل تكذبون بالدين وإن عليكم الحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون - وفي الخبر « إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإذا تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبه » وفي رواية أخرى « فإذا كتبه عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمين عليه : ألق هذه السيئة حتى ألقى من حسنته واحدة من تضعيف العشرة وأرفع تسع حسنت ، فيفعل صاحب الشمال » وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى وكل بعبد ما كين يكتبان عليه فإذا مات قال : يارب قبضت عبدك فلانا فإلى أين نذهب ؟ قال الله تعالى : سمائي مملوءة من ملائكتي يعبدونني وأرضي مملوءة من خاتي يطيعونني ، اذهبوا إلى قبر عبدي فسبحاني وكبراني وهللاني واكتبوا ذلك في حسنت عبدي إلى يوم القيامة » .

(ومنهم المعقبات) عليهم السلام وهم الملائكة الذين ينزلون بالبركات ويصعدون بأرواح

بني آدم وأعمالهم بالليل والنهار ، فإذا واظب الإنسان على الصلوات في أول أوقاتها فإذا صلى الفجر أتاه ملائكة النهار وجدوه مصليا وفارقوه ملائكة الليل وتركوه مصليا وهكذا إذا صلى المغرب ، وما بين الصلاتين من الخنوب تكفرها الصلاة ، وإذا كان كذلك فلا يرفعون له غير الحسنات ، ويحقق أمر هذه الملائكة ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى « يا ابن آدم ما تنصفي أنحب إليك بالنعم وتمتق إلى بالمعاصي خيري إليك نازل وشرك إلى صاعد ولا يزال ملك كريم يأتيني عنك في كل يوم وليلة بعمل قبيح ، يا ابن آدم لو سمعت وصفك من غيرك وأنت لا تعلم من الموصوف لأسرت إلى مقته . »

(ومنهم منكر ونكير) عليهما السلام وهما ملكان غليظان يسألان في القبر كل أحد عن ربه ونبيه : عن أنس بن مالك رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وهو يسمع قرع نعالم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدل بمقعد من الجنة فإبرأها جميعا ، وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري أقول ما يقول الناس ، فيقال له : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطرقه من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين » .

(ومنهم السياحون) عليهم السلام وهم صنف من الملائكة يحبون مجالس الذكر فإذا رأوا مجالس الذكر احتوا عليها : وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى ملائكة سياحون في الأرض فضلا عن كتاب الناس ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى ينادون هاموا إلى بغيتكم فيجيئون بهم إلى السماء الدنيا ، فإذا انصرفوا يقول الله تعالى : على أي شيء تركتم عبادي يصنعونه ؟ فيقولون : تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويقدمونك ، فيقول الله تعالى : وهل روأني ؟ فيقولون : لا ، فيقول : كيف لو روأني ؟ فيقولون : لو روأوك لكانوا أشد تسيحا وتحميذا وتمجيذا ، فيقول لهم : من أي شيء يتعذون ؟ فيقولون : من النار ، فيقول : وهل روأها ؟ فيقولون : لا ، فيقول : كيف لو روأها ؟ فيقولون : لو روأها لكانوا أشد هربا منها وأشد تعوذا ، فيقول : أي شيء يطلبون ؟ فيقولون : الجنة ، فيقول : وهل روأها ؟ فيقولون : لا ، فيقول : كيف لو روأها ؟ فيقولون : لو روأها لكانوا أشد طلبا لها ، فيقول : أشهدكم أني قد غفرت لهم ، فيقولون : كان فيهم فلان لم يردم وإنما جاء لحاجة ، فيقول : هم القوم الذين لا يشقن بهم جليسهم » .

(ومنهم هاروت وماروت) هما ملكان معذبان ببابل عن ابن عباس رضى الله عنهما :

« لما خرج آدم صلى الله عليه وسلم من الجنة عريانا نظرت إليه الملائكة وقالت : إلهنا هذا آدم يدعي فطرتك أقله ولا نخذله فربملاً من الملائكة فوبخوه على نقضه عهد ربه ، وكان ممن وبخه يومئذ هاروت وماروت ، فقال آدم : يا ملائكة ربي ارحموا ولا توبخوا فذلك الذي جرى على كان قضاء ربي ، فأبلاهما الله تعالى حتى عصيا ومنعا من الصعود إلى السماء ، فلما كان أيام إدريس عليه السلام صارا إليه وذكر له قصتهما ثم قال له : هل لك أن تدعو لنا حتى يتجاوز عنا ربنا ؟ فقال إدريس عليه السلام : كيف لي العلم بالتجاوز عنكما ؟ قال : ادع لنا فإن رأيتنا فهو الاستجابة وإن لم ترانا هلكنا ، فتوضأ إدريس عليه السلام وصلى ودعا الله تعالى ثم التفت فلم يرهما ، فعلم أن العقوبة قد حلت بهما واختطفنا إلى أرض بابل ، ثم خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا ، فهما مساسلان معذبان في بئر بأرض بابل منكسين إلى يوم القيامة » وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أشرفت الملائكة على أهل الدنيا فرأوهم يعصون الله فقالوا : يا ربنا ما أقل معرفة هؤلاء بعظمتك ؟ فقال الله تعالى : لو كنتم في سلاحهم لعصيتموني » قالوا : كيف يكون هذا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ فقال : اختاروا ملكين ، فاختاروا هاروت وماروت ، ثم أهبطا إلى الأرض وركبت فيهم شهوات بنى آدم ومثالثهما فما عصيا حتى واقعا المعصية ، فخيروا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال له : ما تقول ؟ فقال : أقول إن عذاب الدنيا ينقطع وعذاب الآخرة لا ينقطع ، فاختارا عذاب الدنيا ، فهما اللذان ذكرهما الله تعالى في قوله - وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » وفي رواية أخرى : « قال لهما : إني أرسل رسولا إلى الناس وليس ابني وبينكما رسول انزلا ولا تشركا بي شيئا ولا تقتلا ولا تمرقا : قال كعب : فما استكملا يومهما الذي نزل فيه حتى أتيا ما حرم عليهما » .

(ومنهم الملائكة الموكلون بالكائنات) لإصلاحها ودفع الفساد عنها ، وقد وكل بكل فرد من أفرادها من الملائكة ما شاء الله تعالى . وروى أبو أمامة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه مالا يقدر عليه من ذلك بالبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب عن قصبعة العسل في اليوم الصائف » وأما المائة والستون فأمر عرفه النبي صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ، ولكننا نمثل جهة التغذى فإنه أمر مشترك بين الحيوان والنبات ، وأنت تقيس عليه غيره من الجهات :

فنقول : إن جزءا من الغذاء لا يصير جزءا من المتغذى حتى يعمل فيه عدة من الملائكة ، ومعنى التغذى أن يصير جزءا من الغذاء جزءا من المتغذى ، فإن الغذاء حماد لا يصير دما ولحما وعظما بنفسه كما أن البر لا يصير طحيننا وعجيننا ورغيفا حتى تعمل فيه الصناعات فصناعات

الظاهر أناس وصناع الباطن الملائكة ، فقد أسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة . وأقول :
 أولا لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظام فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ، ولا بد
 من ثان يمسكه حتى تعمل فيه الحرارة ، ثم لا بد من ثالث يلبسها صورة الدم ، ثم لا بد من
 رابع يدفع القدر الفاضل عن الغذاء ، ثم لا بد من خامس يميز العظم واللحم والعروق
 وما يليق بها ، ثم لا بد من سادس يلصق ما اكتسب صورة العظم بالعظام وما اكتسب
 صورة اللحم باللحم ، ثم لا بد من سابع يراعى المقادير في الإلصاق فيأخذ بالمستدير
 ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يبطل عرضه وبالجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل
 واحد مقدار حاجته ويدفع الزائد ، فإنه لو جمع على الأنف من الغذاء مقدار ما يجمع للفخذ
 لتشوهت الصورة بل ينبغي أن يسوق إلى الأجنان رقيقها وإلى الحدقة صافيتها وإلى الأنفخاذ
 غليظها وإلى العظام صلبها مع مراعاة القدر والشكل وإلا بطلت الصورة ، فلو لم يراع هذا
 الملك هذا القسط فساق الغذاء إلى جميع البدن ولم يسق إلى رجل واحدة مثلا لبقيت تلك الرجل
 كما كانت في أيام الصغر وكبر جميع البدن ، فترى شخصا في ضخامة رجل وله رجل كأنها
 رجل صبي ولا ينتفع بنفسه البتة ، فمراعاة هذه الهندسة مفوضة إلى هذا الملك فهذا حال
 بعض الملائكة الموكبين ببدن بني آدم فهم مشغولون بك وأنت في النوم أو تتردد في الغفلة
 وهم يصلحون بدنك - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - هكذا حال جميع الكائنات ، فما من
 شيء إلا وقد وكل الله به ملكا أو ملائكة ، والله الموفق .

(النظر الثالث عشر : في الزمان) زعموا أن الزمان مقدار حركة الفلك وهذا على رأى
 أرسطاطاليس وأصحابه ، وعند غيره مرور الأيام والليالي ، ثم مقدار حركة الفلك ينقسم إلى
 القرون والقرون إلى السنين والسنين إلى الشهور والشهور إلى الأيام والأيام إلى الساعات ،
 والزمان أنفس رأس مال به تكتسب كل سعادة وإنه يضمحل شيئا فشيئا ، وزمانك عمرك
 وهو معلوم القدر عند الله تعالى وإن لم يكن معلوما عندك ، وما مثله إلا كسافة ساع يسعى
 في قطعها قوى على السير لا يفتقر طرفه عين . فما أعجل انقطاعها وإن كانت بعيدة ، وما أسرع
 زوالها وإن كانت كعمر لقمان مدة مديدة .

ولنذكر شيئا من خواصها وعجيبها .

(القول في الليالي والأيام) أما اليوم فهو الزمان الذي بين طلوع الفجر وغروب
 الشمس . وأما الليل فهو الزمان الذي يقع بين غروب الشمس وطلوع الفجر ومجموعهما
 أربع وعشرون ساعة لا تزيد ولا تنقص ، وكلما نقص من النهار زاد في الليل وكلما نقص من
 الليل زاد في النهار كما قال الله تعالى - يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل - وأطول
 ما يكون النهار سبع عشر حيزران عند حلول الشمس آخر الجوزاء فيكون النهار خمس عشرة

ساعة والليل تسع ساعات وهو أقصر ما يكون ، ثم يأخذ النهار في النقصان والليل في الزيادة إلى ثامن عشر أيلول وهو عند حلول الشمس آخر السنبلة فيستوى الليل والنهار ويصير كل واحد منهما اثنتي عشرة ساعة ، ثم ينقص النهار ويزيد الليل إلى سبع عشرة من كانون الأول فيصير الليل خمس عشرة ساعة وهو أطول ما يكون والنهار تسع ساعات وذلك أقصر ما يكون ثم يأخذ الليل في النقصان والنهار في الزيادة إلى سادس عشر أذار عند حلول الشمس إلى آخر الحوت فيستوى الليل والنهار ويصير كل واحد اثنتي عشرة ساعة ، ثم يستأنف الدور . وقد شبهوا أوقات اليوم واللييلة بأرباع السنة فقالوا : إن الغدو بمنزلة الربيع وانتصاف النهار بمنزلة الصيف والمساء بمنزلة الخريف وانتصاف الليل بمنزلة الشتاء لكن اختلافها لما كان اختلافها يسيراً لا تتأثر منه الأبدان تأثرها عن السنة وربما تأثرت منه الأبدان الضعيفة ، ومن لطف الله بعباده جعل الليل والنهار لأن الإنسان مضطر إلى الحركات في أعماله لمعايشه ولا تنفك قواه عن كلال فعند ذلك يغلب عليه النوم ولا يد له من ذلك لزوال الكلال كما قال الله تعالى - ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون - فعين وقتنا للنوم ينام فيه كلهم ووقتنا للمعاش يعمل فيه كلهم ، ولولا ذلك لأفضى إلى عسر قضاء حوائج الناس لأن أحدهم إذا طلب غيره لشغل وجدته نائماً .

(فصل : في فضائل الأيام وخواصها)

(يوم الجمعة) عيد الملة الخيفية وسيد الأيام ، روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أسكن الجنة وفيه أهبط منها وفيه تاب الله عليه وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة ، لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه الله إياه » وقال بعض السلف : إن الله تعالى فضلاً سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية يوم الخميس ويوم الجمعة . وعن ابن مسعود رضي الله عنه « من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء ، وأدخل فيه شفاء » وقال الأصمعي : دخلت على الرشيد يوم الجمعة وهو يقلم أظفاره ويقول : قلم الأظفار يوم الجمعة من السنة ، وبلغني أنه بنى الفقر ، فقلت : يا أمير المؤمنين وأنت تحشى الفقر؟ فقال : وهل أحد أخشى من الفقر مني ؟ وفي الأثر « إن الملائكة يتفقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضاً فيقولون : ما فعل فلان وما الذي أخره عن وقته ؟ ثم يقولون اللهم إن كان أخره فقر فأغنّه ، وإن كان أخره مرض فأشفه ، وإن كان أخره شغل فأفرغه لعبادتك ، وإن كان أخره هو فأقبل بقلبه إلى طاعتك » .

(يوم السبت) هو عيد اليهود . قال الكلبي : أمر موسى عليه السلام بنى إسرائيل أن يفرغوا في كل أسبوع يوماً للعبادة فأبوا أن يقبلوا إلا يوم السبت وقالوا : إنه يوم فرغ الله فيه من خلق الأشياء ، وزعموا أن الأمور التي تحدث في يوم السبت تستمر إلى السبت الآخر

فلذلك امتنعوا فيه من الأخذ والعطاء ، والمسلمون يخالفونهم في ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم
 « بورك لأمتي في بكور سبئها وخميسها » وزعم أصحاب الفلاحة أن النخلة إذا غرست يوم
 السبت لم تحمل .

(يوم الأحد) عيد النصرى . قال أصحاب السير : إن أول الأيام الأحد وهو أول أيام
 الدنيا وبدأ الله فيه خاتق الأشياء ، وذكروا أن عيسى عليه السلام أمر قومه بالجمعة فقالوا :
 لا نريد أن يكون عيد اليهود بعد عيدنا فاتخذوا الأحد ، وزعموا أنه صالح لا ابتداء الأمور .
 (يوم الاثنين) يوم مبارك ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير المواظبة على صومه
 وضوم الخميس ، فسئل عن ذلك فقال : « هما يومان ترفع فيهما الأعمال فأنا أحب أن يرفع
 عملي وأنا صائم » وفي الحديث « أنه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين ، وأناه الوحي يوم
 الاثنين ، وخرج من مكة مهاجرا يوم الاثنين . » وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم
 الاثنين « أورده الإمام أحمد بن حنبل في مسند ابن عباس رضى الله عنهم .

(يوم الثلاثاء) تستحب فيه العمود وإصلاح حال النفس والحجامة ، وقيل إن قابيل قتل
 هابيل يوم الثلاثاء .

(يوم الأربعاء) يوم قليل الخير : والأربعاء الأخير من الشهر يوم نحس . مستمر يحمى فيه
 الاستحمام .

(يوم الخميس) يوم مبارك سيما لطلاب الحوائج وابتداء السفر ، روى الزهرى عن
 عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يخرج إذا
 أراد سفرا إلا يوم الخميس » وتكره الحجامة فيه . حدث حمدون بن إسحاق قال : سمعت
 المعتصم بالله يحدث عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن
 عباس رضى الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من احتجم يوم الخميس فحم
 مات في ذلك المرض » قال : دخلت على المعتصم يوم الخميس فإذا هو يحتجم ، فلما رأته
 وقفت واجما ساكتا حزينا فقال : يا حمدون لعلك تذكرت الحديث الذى حدثتك به ؟ قلت :
 نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : والله ما ذكرت حتى شرط الحجامة فحم من ساعته ، وكان المرض
 الذى مات فيه رحمه الله تعالى .

(القول في الشهور)

لكل صنف من أصناف الناس شهور مثل شهور العرب والروم والفرس والقبط والترك
 والهند والزنيج ، لكن الشهور المستعملة في زماننا هذا شهور للعرب والروم والفرس
 فاقترنت على ذكرها وذكر بعض خواصها والمواضع فيها ، وبالله التوفيق .

(فصل : في شهور العرب)

الشهر عندهم عبارة عن الزمان الذي بين الهلالين ويتفق ذلك في كل سنة من سنينهم اثنتي عشرة مرة لأن سنينهم ثلثمائة وأربعة وخمسون يوماً وكسر من يوم ، فإذا جعلنا شهراً ثلاثين شهراً تسعة وعشرين صارت الشهور منطبقه على أيام السنة ، وإذا صارت الكسور يوماً زادوه في آخر ذى الحجة ، وقد نطق بذلك الكتاب الحفيد - إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم : والأشهر الحرم : رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم واحد فرد وثلاثة سرد للمحرم زيادة وقع عند الله تعالى فالطاعات فيها أكثر ثواباً والمعاصي أعظم عقاباً ، وهذه الأشهر كانت محرمة في الجاهلية ، وكانت العرب في هذه الأشهر تنزع الأسنة عن رماحها وتقعدهن عن شن الغارات ، وكان الخائف فيها يأمن من أعدائه حتى إن الرجل إذا لقي قاتل أبيه أو أخيه لم يتعرض له فلنذكر الآن الشهور :

(المحرم) سمي محرماً لحرمة القتال فيه ، فالיום الأول منه معظم عند ملوك العرب يقعدون للهناء كما أن اليوم الأول من سنة الفرس كان عندهم معظماً وهو النيروز والسابع منه هو الذي خرج فيه يونس من بطن الحوت ، وقبل إنه كان في رابع عشر ذى القعدة ، والعاشر منه يوم عاشوراء يوم معظم في جميع الملل لأنه فيه تاب الله تعالى على آدم عليه السلام ، واستوت السفينة على الجودي ، وولد الخليل وموسى وعيسى عليهم السلام ، وبردت النار على إبراهيم عليه السلام ، ورفع العذاب عن قوم يونس ، وكشف ضر أيوب ، ورد على يعقوب بصره وأخرج يوسف من الحب ، وأعطى سليمان ملكه ، وأجيب زكريا حين استوهب يحيى ، وهو يوم الزينة الذي غاب فيه موسى السحرة . « ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وجد يهودها يصومون عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا : إنه اليوم الذي غرق فيه فرعون وقومه ونجا موسى ومن معه ، فقال عليه الصلاة والسلام : أنا أحق بموسى منهم فأمرنصوم عاشوراء » وكان الإسلاميون يعظمون هذا الشهر بأجمعهم حتى اتفق في هذا اليوم قتل الحسين رضي الله عنه مع كثير من أهل البيت فزعم بنو أمية أنهم اتخذوه عيداً فتنزوا فيه وأقاموا فيه الضيافات والشيعه اتخذوه يوم عزاء ينوحون فيه ويحتنون الزينة ، وأهل السنة يزعمون أن الاكتحال في هذا اليوم مانع من الرمذ في تلك السنة ، والسادس عشر منه جعلت القبلة لبيت المقدس ، والسابع عشر منه فيه قدوم أصحاب القليل فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل .

(صفر) سمي صفراً لأن الرباع كلها كانت تصفر من أهالها لأنهم خرجوا للقتال لانقضاء الأشهر الحرم . وذهب الجمهور إلى أن القعود في هذا الشهر أولى من الحركة ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من بشرني بخروج صفر أبشره بالجنة » اليوم الأول منه عيد بنى أمية أدخلت فيه رأس الحسين رضي الله عنه بدمشق ، والعشرون منه ردت رأس

الحسين إلى جثته وترك المأمون لبس الخضرة وعاد إلى السواد بعد ما لبسها خمسة أشهر ونصف ،
والثالث والعشرون منه عاد الأمر إلى بني هاشم وجلس السفاح للخلافة ، والرابع والعشرون
منه دخل النبي صلى الله عليه وسلم الغار مع أبي بكر رضى الله عنه .

(ربيع الأول) سمي ربيعا لارتباع الناس والمقام فيه ، هو شهر مبارك فتح الله فيه
أبواب الخيرات وأبواب السعادات على العالمين بوجود سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ،
الثامن منه قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، والعاشر منه تزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها ، والثاني عشر منه مولد رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

(ربيع الآخر) في اليوم الثالث منه رمى الحجاج الكعبة بالنار في حصار ابن الزبير
فاحترقت ، والرابع عشر منه فيه تقرر فرض الصلاة ، وفي الحادي والعشرين غزوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

(جمادى الأولى) إنما سميا بذلك والأخرى ، لأنهما صادفا أيام الشتاء حين اشتد البرد
وجمد الماء ، في الثامن منه مولد علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وفي الخامس عشر وقعة الجمل .
(جمادى الأخرى) زعموا أن الحوادث العجيبة كثيرا ماتت في هذا الشهر ، حتى قالوا :
العجب كل العجب بين جمادى ورجب ، في اليوم الأول منه نزل الملك على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وفي السادس ولاية عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وفي التاسع مولد جعفر
الصادق ، وفي الرابع عشر مولد موسى بن جعفر ، وفي الخامس عشر هدم ابن الزبير الكعبة
بيده لحديث سمعه من عائشة رضى الله عنها وردها على هيئة ما كانت عليه في زمن الخليل
عليه السلام ، وفي العشرين مولد فاطمة رضى الله عنها .

(رجب) سمي رجب لأنه رجب أى عظم ، ويقال له أيضا الأصم لأنه لا يسمع فيه
صوت مستغيث ، وقيل لأنه لا يسمع فيه قعقة السلاح ، ويقال له أيضا الأصم لأن الله
تعالى يصب فيه الرحمة والمغفرة على عباده ، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة دلت على عظم
شأنه وعلى أن الطاعات فيه مقبولة والدعاء فيه مستجاب ، وكان في الجاهلية إذا أراد المظلوم
أن يدعوا على الظالم أخره إلى دخول رجب ودعا عليه فيستجاب له ، وفي اليوم الأول منه
ركب نوح عليه السلام السفينة ، وفي الرابع وقعة صفين ، وفي الثاني عشر مولد جعفر الصادق ،
وفي الخامس عشر يوم أم داود وصلواتها التي تستجاب ، وفي السابع والعشرين ليلة المعراج ،
وفي الثامن والعشرين البعثة النبوية .

(شعبان) سمي شعبان لتشعب القبائل فيه ، اليوم الثالث منه مولد الحسين ، وفي الرابع
مولد الحسن رضى الله عنهما ، وفي الخامس عشر ليلة الصلح وهي ليلة يغفر الله تعالى فيها

لأكثر من شعر غنم بنى كلب، وفي السادس عشر صرفت القبلة إلى الكعبة، والعشرون منه النيروز المعتصدي.

(رمضان) سمي رمضان لمصادفته شدة الرمضاء في أول الوقت، في أوله فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النيران وصفدت الشياطين، وفي الثالث أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام، وفي الرابع أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي السابع أنزل التوراة على موسى عليه السلام، وفي الثامن أنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام، وفي التاسع عشر فتحت مكة، والحادي والعشرون ليلة القدر على رأى وهى الليلة المباركة التى يفرق فيها كل أمر حكيم، والثالث والعشرون قبيل ليلة القدر على رأى آخر، وفي الخامس والعشرين ظهور الدولة العباسية بخراسان بدعوة أبي مسلم، وفي السابع والعشرين وقعة بدر وزول الملائكة لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم وليلته هى ليلة القدر على رأى حسن، وفي اليوم الأخير أعتق الله فيه بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره وله عند الفطر كل ليلة سبعون ألف ألف عتيق من النار.

(شوال) سمي شوالاً لإشالة الإبل أذناها عند اللقاح في ذلك الوقت لأنه أول أشهر الحج، في اليوم الأول منه عيد الفطر ويقال له يوم الرحمة لأن الله تعالى يرحم فيه عباده، وفيه أوحى الله تعالى إلى النحل صنعة العسل، وفي الرابع منه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لمباهالة نصارى نجران، وفي السابع عشر منه غزوة أحد ومقتل حمزة رضى الله عنه، وفي الخامس والعشرين إلى آخر الشهر هى الأيام النحسات أهلك الله تعالى فيها عاداً وقيل إنها أيام العجوز التى كانت تنوح عليهم كل سنة.

(ذو القعدة) سمي ذا القعدة لأنهم كانوا يبعدون فيه عن القتال لكونه أول الأشهر الحرم، في الأول منه واعد الله تعالى موسى ثلاثين ليلة، وفي الخامس رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل عليهما السلام، وفي السابع منه فلق البحر لموسى عليه السلام، وفي الرابع عشر خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت، وفي التاسع عشر أنبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين ونزل جبريل بالوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(ذو الحجة) سمي ذا الحجة لأنهم كانوا يحجون فيه، العشر الأول منه الأيام المعلومات وهى أحب الأيام إلى الله تعالى، في اليوم الأول تزوج على بفاطمة رضى الله عنهما، الثامن منه يوم التروية وسقاية الحج بالمسجد الحرام تملأ ويسقى الحجيج في الجاهلية والإسلام حتى تروى، والتاسع منه يوم عرفة، والعاشر يوم النحر وفيه فدى الذبيح بالكبش وثلاثة أيام بعده أيام التشريق، الثاني عشر منه عيد الغدير وهو اليوم الذى واخى النبي صلى الله عليه وسلم علياً رضى الله تعالى عنه فيه، وفي الرابع عشر تصدق على رضى الله عنه بخاتمه في الصلاة

وفي السادس والعشرين نزل الاستغفار على داود عليه السلام، وفي السابع والعشرين منه وقعة الحرة ، وفي الثامن والعشرين منه خلافة على رضى الله عنه .

(خاتمة : في معرفة أوائل هذه الشهور ، وقد عمل لها جدول ليسهل علمها)

(أما) طريق العمل بها فإن تاقى عدد سنى الهجرة من أولها إلى السنة التى أنت فيها أو السنة التى تريد معرفة أول شهر من شهورها ثمانية ثمانية ، فما بقى تعد من تحت الشهر الذى أنت طالب أوله فالיום الذى ينتهى فيه العدد هو أول ذلك الشهر ، وإن بقى ثمانية بعد أن أسقطتها كلها كان أول الشهر اليوم الذى فى البيت الأخير ، وهذه صفة الجدول :

(جدول الشهور والأيام)

ذو الحجة	ذو القعدة	شوال	رمضان	شعبان	رجب	جادى الثانية	جادى الأولى	ربيع الثانى	ربيع الأول	صفر	محرم
الخميس	الثلاثاء	الاثنين	السبت	الجمعة	الأربعاء	الثلاثاء	الأحد	السبت	الخميس	الأربعاء	الاثنين
الاثنين	السبت	الجمعة	الأربعاء	الثلاثاء	الأحد	السبت	الخميس	الأربعاء	الاثنين	الأحد	الجمعة
الجمعة	الأربعاء	الثلاثاء	الأحد	السبت	الخميس	الأربعاء	الاثنين	الأحد	الجمعة	الخميس	الثلاثاء
الأربعاء	الاثنين	الأحد	الجمعة	الخميس	الثلاثاء	الاثنين	السبت	الجمعة	الأربعاء	الاثنين	الأحد
الأحد	الجمعة	الخميس	الثلاثاء	الاثنين	السبت	الجمعة	الأربعاء	الثلاثاء	الأحد	السبت	الخميس
الخميس	الثلاثاء	الاثنين	السبت	الجمعة	الأربعاء	الثلاثاء	الأحد	السبت	الخميس	الثلاثاء	الاثنين
الثلاثاء	الأحد	السبت	الخميس	الأربعاء	الاثنين	الأحد	الجمعة	الخميس	الثلاثاء	الأحد	السبت
السبت	الخميس	الأحد	الثلاثاء	الاثنين	الجمعة	الخميس	الثلاثاء	الاثنين	السبت	الجمعة	الأربعاء

قال جعفر الصادق رضى الله عنه : إذا أشكل عليك أول شهر رمضان فعد الخامس من الشهر الذى صمته فى العام الماضى فإنه أول يوم من شهر رمضان الذى فى العام المقبل ، وقد امتحنوا ذلك خمسين سنة فكان صحيحا .

(فصل : فى شهور الروم)

وهى مختلفة العدد لأنهم أرادوا أن تكون شهورهم مساوية لمسير الشمس ، وحركات الشمس مختلفة فى أرباع السنة ، فبعضها أكثر أياما من البعض على مناطقت به الأرصاد القديمة

والحدیثة ، فلهذا جعلوا بعض الشهور ثلاثين وبعض الشهور أحدا وثلاثين وبعضها ثمانية وعشرين ، فأعطوا كل شهر ما يستحقه حتى صار المجموع ثلثمائة وستين يوما وجعلوا يوما في آخر السنة ، وهذا مجموع أيام سنتهم وقد وضعوها على هذا الوجه :

تشرين الأول	تشرين الثاني	كانون الأول	كانون الثاني
لا	ل	لا	لا

شباط	آذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	آب	أيلول
كح	لا	ل	لا	ل	لا	لا	ل

وقد جمعها الشاعر في هذين البيتين فقال :

فتشرينكم	الثاني	كأيلول	ونيسان
ثلاثون	ثلاثون	أتوا بعد	حزيران
شباط خص	بالنقص	وذلك	النقص
وباقها	ثلاثون	ويوم	واحد
		كافي	

(تشرين الأول) أحد وثلاثون يوما ، في اليوم الأول تهيج الصبا ، وفي الثالث عيد حير الثعالب ، وفي الخامس عيد كنيسة القمامة ببيت المقدس يزعمون أن ناراً من السماء نزل وتسرج الشمع هنالك ، وفي السابع عيد التباريك ، وفي الثالث عشر تفور المياه ويقوم سوق أذرعاء ويضطرب البحر ، وفي الخامس عشر يبرد الزمان وتكثر الرياح وبصرم النخل وإذا قطع خشب لم ينخر خشبه ولم يسوس ، وفي الثامن عشر ينقص النيل ، وفي الحادى والعشرين يزرع على نيل مصر ، وفي الثاني والعشرين يبتدىء الهواء بالبرد وفي الثلاثين تذهب الخلد أو الرخم والخطاطيف إلى الغور ويسكن الغل جوف الأرض .

(تشرين الآخر) ثلاثون يوما ، في اليوم الأول تهب الجنوب ، وفي الثاني في أوقات المطر ، وفي الخامس تخفى الهوام ، وفي السابع لقط الزيتون بالشام وكثرة الغيوم واضطراب البحر فلا تجرى فيه جارية ، وفي الثامن غليان البحر ، وفي التاسع أول المرور في بحر فارس ، وفي الثالث عشر ابتداء اضطرابه وإن قطع فيه خشب لا تقع فيه الأرضة والسوس ، وفي السابع عشر ابتداء صوم الميلاد وهو أربعون يوما ، وفي العشرين تموت كل دابة لا عظم لها ، وفي الثاني والعشرين ينهى عن شرب الماء البارد بالليل ، وفي الثالث والعشرين لقط الزيتون عند القبط . وفي الثامن والعشرين امتداد أمواج البحر :

(كانون الأول) أحد وثلاثون يوما ، في اليوم الأول منه يقوم سوق ثوما بدمشق وبغرس مقضيب البان ، وفي الحادى عشر قيام سوق الأردن ، والرابع عشر أول الأربعينيات ، وفي السابع عشر ينهى عن تناول لحم البقر والأترنج وشرب الماء بعد النوم وعن الحجامة وطلی

النورة ويسمون هذا اليوم الميلاذ الأكبر يعنون به الانقلاب الشتوى ، ويقولون : إن فيه مخرج النور من حد التقصان إلى حد الزيادة وتأخذ الإنس في النشو والنماء والجن في الذبول والفناء . وفي التاسع عشر غاية طول الليل وقصر النهار ، وفي الثالث والعشرين تنتهى زيادة النيل وتكثر الأنداء ويسقط ورق الأشجار ، وفي الخامس والعشرين ميلاد المسيح عليه السلام ، وفي التاسع والعشرين ينهى عن شرب الماء عند النوم ويقولون : إن الجن تفتياً في الماء ومن شربه يغلب عليه البله .

(كانون الثاني) أحد وثلاثون يوماً ، في اليوم الأول منه يرحى المطر وفيه القفلاس بالشام يوقدون ناراً عظيمة ، وفي السادس عيد الذبح زعموا أن فيه ساعة تصير فيها المياه المالحه عذبة ، وفي العاشر صوم العذارى ، وفي السابع عشر يذهب البرد ببلاد فارس ، وفي الثاني والعشرين تنتهى الأربعينيات ، وفي الرابع والعشرين بذور العشب في الأرض وتزواج الطيور ، وفي الخامس والعشرين يزرع القطن والبطيخ وتغرس الأشجار بأرض الروم وتكسح الكروم بأرض مصر وتعلم فحول الإبل :

(شباط) ثمانية وعشرون يوماً ، في السابع منه تسقط الجمرة الأولى ، وفي الثالث عشر يجرى الماء في العود من أسفله إلى أعلاه وتتق الضفادع وفي الرابع عشر صوم النصارى ، وتسقط الجمرة الثانية ، وفي العشرين يخرج الذئب وتمحرك البراغيث ، وفي الخامس والعشرين تزرع القثاء والبطيخ وتلد الوحش ويصوت الطير وتطير الخطاطيف ويلد الماعز ويغرس شجر الورد ويزرع الياسمين والترجس ويورق الكرم ويكثر العنب ، وفي الحادى والعشرين سقوط الجمرة الثالثة ، ومعنى سقوط الجمرات أن الناس كانوا يتخذون في قديم الزمان أحبية ثلاثة في الشتاء يحيط بعضها ببعض وكانت دوابهم الكبار كالإبل والبقر في البيت الأول ودوابهم الصغار كالغنم في البيت الثاني وهم كانوا في البيت الثالث ، وكانوا يشعلون النار في كل بيت ويتخذون الجمر للاصطلاء فلما كان السابع من شباط أخرجوا دوابهم الكبار إلى الصحراء وجعواوا الصغار مكانها وهم سكنوا مكان الصغار فحينئذ سقطت من الجمرات الثلاث جمرة ، فإذا مضى أسبوع آخر أخرجوا الغنم أيضاً إلى الصحراء وهم سكنوا مكانها فسقطت جمرة أخرى فإذا مضى أسبوع آخر خرجوا إلى الصحراء وتركوا إشعال النار لقلة البرد وطيب الهواء فسقطت الجمرات الثلاث ، وفي الخامس والعشرين يظهر الدفء وتهب الرياح اللواقع وتكسح الكروم ، وفي السادس والعشرين أول أيام العجوز وأيام العجوز سبعة أيام ثلاثة من شباط وأربعة من أذار . قيل : إنها سميت أيام العجوز لأن الله تعالى أدلك قوم عاد في هذه الأيام فتحلفت منهم عجوز كانت تنوح عليهم كل سنة في هذه الأيام فهذه الأيام لا تخلو من برد أو رياح أو كدورة ، فذهب بعضهم إلى أنها من الأمور الطبيعية وأن البرد يشتد في آخر الشتاء كما أن الحر يشتد

في آخر الصيف ، وذلك يجرى مجرى السراج الذي فئت رطوبته فإنه عند انطفائه يشتد ضوءه دفعات :

(أدار) أحد وثلاثون يوماً ، في اليوم الأول يخرج الجراد والدييب ، وفي الرابع منه آخر أيام العجوز ، وذهب بعضهم إلى أنها سميت أيام العجوز ، لأن عجوزا كاهنة من العرب أخبرت قومها ببرد شديد في آخر الشتاء يسوء أثره على المواشي ، فلم يكثرثوا بقولها وجزوا أغنامهم واثقين بإقبال الربيع ، فإذا هم ببرد شديد أهلك الزرع والضرع فنسبوا تلك الأيام إليها ، وفي السابع اختلاف الرياح العواصف ، وفي الثاني عشر يؤمر بالحجامة ، وفي الثالث عشر تظهر الخطاطيف والحدأ ، وفي السادس عشر تفتح الحيات أعينها في أيام البرد لأنها تجتمع في باطن الأرض فيظلم بصرها ، وفي الثامن عشر يعتدل الليل والنهار وهو أول ربيع العجم وخريف الصين ويغلظ ماء البحر لأن الشمس تبخر لطيف أجزائه . قالوا : إن العقيم من الرجال إذا نظر في ليلة هذا اليوم إلى الشهر ثم جامع أهله ولدت ، وفي هذا اليوم تهب الرياح اللواقح وتسنبل الحنطة ويدرك النبق والباقلاء ويعقد اللوز والمشمش وبورق الشجر ويغرس السكرم ويخاف التمساح بمصر ، وفي الخامس والعشرين غليان البحر ،

(نيسان) ثلاثون يوماً ، في اليوم الأول منه يرحى المطر ، وفي الرابع الشعانين ، وفي الحادى عشر منه عيد النصرارى ، وفي العشرين منه تهيج الرياح الشرقيه ويفرخ الطير ، وفي الحادى والعشرين قيام سوق فلسطين ، وفي الثانى والعشرين هبوب الجنوب وامتداد الأدوية ، وفي الثالث والعشرين موسم دير أيوب بالشام ، وفي التاسع والعشرين يمتلئ الفرات وفي الثلاثين يهيج الدم وتنعقد الثمار ويدرك اللوز :

(أيار) أحد وثلاثون يوماً ، في ثانى يوم منه عيد دير الثعالب ، وفي السابع عيد الصليب وفي الحادى عشر أول البوارح ، وفي الخامس عشر عيد الورد المستحدث ، وفي السادس عشر تهيج الصبا ويطيب ركوب البحر ، وفي الرابع والعشرين يرتفع الطاعون بإذن الله ويخضر الزرع ويركب البحر وتبدو السماء تمهت الشمال ويسود العنب وتبين زيادة نيل مصر وتمهت الدبور ، وفي الخامس والعشرين منه عيد الورد وفريك السنبل ، وفي التاسع والعشرين سبت القيامة :

(حزيران) ثلاثون يوماً ، في الحادى عشر منه نوروز الخليفة ببغداد فيه اللعب ورش الماء وغيرهما مما هو مشهور ، وفي السادس عشر يتنفس نيل مصر وتغور المياه ، وفي الثامن عشر غاية طول النهار وقصر الليل وهو الامتلاء الأكبر يعظمه العرب والعجم وهو الانقلاب الصيفى ، وفي الثانى والعشرين يوضع المنجل في الزرع وتدرك الفاكهة والبطيخ والتين والعنب ويشتد الحر ، وفي الخامس والعشرين مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام وابتداء السماء

بالحبوب وهي أحد وخمسون يوماً ويمتد جيحون ، وفي الثامن والعشرين آخر البوارح ، وفي التاسع والعشرين ينظر أصحاب التجارب بمصر فإن كثرة فيه الندى قالوا يمتد النيل وإن لم يكثُر قالوا لا يمتد :

(تموز) أحد وثلاثون يوماً ، في الخامس تطلع الشعري وبطلوعها يعرفون صلاح الزرع وفساده وذلك أن أصحاب الفلاحة من العجم أخذوا لوحاً قبل طلوع الشعري بأسبوع وزرعوا عليه أصناف الحبوب ، فلما كانت الليلة التي طلعت فيها الشعري وضعوا ذلك اللوح على موضع عال لا يحول بينه وبين السماء شيء فما أصبح مخضراً من ذلك النبات فهو الذي صلح في تلك السنة وما أصبح مصفرًا فهو الذي فسد ، وفي السابع يموت الجراد ، وفي العاشر يقوم سوق بصرى ، وفي الثامن عشر أول أيام الباحور وهي سبعة أيام متوالية يستدلون بكل يوم منها على شهر من أشهر الخريف والشتاء من تغيرات وتلون ، وزعموا أنها للسنة كأيام البحران للمريض وأن كل شهر من تلك الأشهر حاله كحال يوم من تلك الأيام أولها كأولها وآخرها كآخرها في التغيرات ، وفي الرابع والعشرين تشتد صولة الحر ويرتفع الطاعون ويكثر الرمذ ويزرع البطيخ الشتوى والجزر والذرة ، وفي الخامس والعشرين ينهى عن الجماع لشدة الحر ، وفي السابع والعشرين يحمر البسر ويقطف العنب والقصب النبطى وتفور المياه وتنضج الفواكه كلها ، وفي الثلاثين عيد كنيسة مريم عليها السلام .

(آب) أحد وثلاثون يوماً ، في الأول وفاة مريم عليها السلام ، وفي السادس أول عيد التجلى ، وفي التاسع تختلف الرياح ، وفي العاشر يقوم سوق عمان ، وفي الثاني عشر يبدو هواء العراق ، وفي السابع عشر آخر عيد التجلى ، وفي الثامن عشر تهيج الرياح البوارح ويكثر الرمان ويصفر الأترنج ، وفي العشرين آخر السموم ، وفي الثاني والعشرين فتور الحر ، وفي السادس والعشرين يهيج الدم وفي الثامن والعشرين يطيب الماء ويكثر الرطب والعنب ويسقط الطل والمن والسلى بالشام .

(أيلول) ثلاثون يوماً ، في الأول عيسد رأس السنة وتماها ويكون سوق منبج ، وفي الثالث يبدأ بإيقاد النار في البلاد الباردة ، وفي الثاني عشر يفصد ويشرب الدواء وفي الثالث عشر تنتهى زيادة النيل في مصر وعيد كنيسة القمامة ، وفي الرابع عشر عيد الصليب وفي السادس عشر فطام الأطنال ، وفي الثامن عشر اعتدال الليل والنهار وهو أول الخريف عند العجم والربيع عند الصينيين ، وزعموا أن المطر في السحاب الذى يرتفع فيه يصبى الروح ويبرى الجسد ، وفي العشرين يرجع الماء من أعلى الشجر إلى عروقه ، وفي الرابع والعشرين زعم أصحاب التجارب أنه تهب الريح وتأتى الغربان البقع في أكثر البلاد ، وهذه أمور تتكرر في كل سنة على رأى أصحاب التجارب في الأوقات المذكورة .

(فصل : في شهور الفرس)

وهي متساوية في العدد لأن أيام سنتهم عددها ثلثمائة وخمسة وستون يوماً فجعلوا كل شهر ثلاثين يوماً وضعوا في آخر السنة خمسة أيام ، والشهر عندهم لا يكون على أسابيع كما هو عند العرب بل هو عندهم من أول الشهر إلى آخره ، ولكل يوم اسم يعرف به ذلك اليوم ويتميز به عن غيره من الأيام ، وهذه صورتها : (ا) هرمز (ب) بهمز (ج) أرد بهشت (د) شهرير (هـ) استندان (و) حودار (ز) مرداد (ح) دى بادر (ط) لإحدى (ي) دى (يا) حور (يب) ماه (ييج) تبر (يد) كوش (به) ذى بهمر (يو) مهر (يز) سروسن (ييج) رشن (يبط) قرد وميز (ك) بهرام (كا) رام (كب) باد (كج) دى بديز (كد) دى (كه) أرد (كو) اشتاد (كز) أسمان (كح) زاميار (كط) مارال (ل) أنير . وإنما وضعوا لكل يوم من الأيام اسماً لأن لهم في كل يوم مأكولاً وملبوساً ومشموماً تخالف غيرها ، ولهم أعياد منها ما هو موضوع لأمر دنياوية ومنها ما هو لأمر دينية . أما الدنياوية فقد وضعها ملوك الفرس ليتوصلوا بها إلى سرور النفس مع اكتساب الدعاء والخير . والثناء أخذها الخلف عن السلف تيمناً وتفاناً ، وأما الدينية فقد وضعها أرباب الديانات والمطلوبات منها الخيرات والسعادات الأخروية فيما يروونه ، ونحن نذكر ما كان في كل شهر إن شاء الله تعالى ، وبالله التوفيق .

(فروردين ماه) اليوم الأول منه النيروز وهو أول يوم من السنة واسمه بالفارسية يعطى هذا المعنى ، وزعموا أن الله تعالى في هذا اليوم أدار الأفلاك وسير الشمس والقمر وسائر الكواكب واسم هذا اليوم هرمز ، وهو اسم من أسماء الله تعالى : قالوا : في هذا اليوم قسم الله السعادات لأهل الأرض ، من ذاق صبيحة هذا اليوم قبل الكلام السكر وتدهن بالزيت رفع عنه البلاء في عامة سنته ، ويتفاءلون بما وقع لهم في هذا اليوم ، وكان الملك يجلس في هذا اليوم ويأتيه كل واحد من خدمه وحشمه بطريقة عجيبة ، وإذا استيقظ من نومه أول ما تقع عينه على غلام حسن الوجه على فرس حسن على يده بازي حسن فإن هذا الشكل أحسن الأشكال قد أهدى إلى بعض خواصه ، والسابع عشر منه سروش روز ، وسروش اسم ملك هو رقيب الليل قيل إنه جبريل عليه السلام وهو أشد الملائكة على الجن والشجرة فيطلع على الخلق بالليل ثلاثاً ، بالأولى يبرد الجو وتعذب المياه وبالمرّة الأخيرة طلوع الفجر واعتزاز النبات ونماء الزهر وترويح العليل وصدق الرؤيا ، التاسع عشر فردور ميز روز عيد يسمى فردوميزجان له افقة اسمه اسم الشهر وذلك جار في كل شهر يعنى إذا كان اسم اليوم يوافق اسم الشهر كان عيداً ، وملوك الفرس اتخذوا هذا الشهر كاه أعياداً وجعلوه أساساً كل سدهس خمسة أيام ، فالأول للملوك والثاني للأشراف والثالث لحرم الملوك والرابع

للحاشية والخامس للعامه والسادس للرعاة ، وكان من رسم الأكاسرة أن يأمرؤا بإعلام الناس
بجلوسه لهم عامه ، وفي اليوم الثاني لمن هو أرفع مرتبة كالدهاقين والمشايخ وأرباب البيوت ،
وفي اليوم الثالث لأساورته وعظمائه ، وفي اليوم الرابع لأهل بيته وخاصته ، وفي اليوم
الخامس لأولاده ، وكان يوصل إلى كل أحد في كل يوم ما يستحقه من الإنعام والإكرام ،
وفي اليوم السادس كان فارغا عن قضاء الحقوق لم يصل إليه إلا أهل أنسه ، وكان يأمر
بإحضار الهدايا فيتأملها :

(أردبهبشت ماه) اليوم الثالث منه اردبهبشت روز عيد يسمى أردبهبشت كان لاتفاق
العيدين ، وأردبهبشت اسم ملك النار والنور وكله الله تعالى بذلك على زعمهم وبإزالة العلل
والأمراض بالأدوية والأغذية ، واليوم السادس منه هو اشتادروز وهو أول الكهنبار ،
والكهنبارت ستة كل واحد خمسة وهي أيام عبادات للمجوس وضعها زرادشت
نبي المجوس .

(خردادماه) اليوم السادس منه خردادماه روز ، سمي خرداد كان لاتفاق الاسمين ،
وهو اسم الملك الموكل بالنبات والأشجار يربها ويدفع النجاسات عن المياه ، واليوم السادس
والعشرون وهو اشتادروز أول الكهنبار الرابع فيه خلق الله النبات والأشجار ، واليوم الثلاثون
هو نيران روز وهو آب ريز كان يعني عيد الاغتسال :

(تيرماه) اليوم السادس منه وهو يوم خرداد عيد يسمى جشن نيلوفر وهو مستحدث ،
واليوم الثالث عشر منه نيروز يسمى النيركان لاتفاق الاسمين ، ذكروا أن في هذا اليوم
طلب منوجهر من أفراسياب لما تغلب على إيران شهر أن يردها عليه فأنعم عليه بها ، وكان
منوجهر متحصنا بطبرستان ، واليوم السادس عشر مهرروز ومهر اسم الشمس هو أول
الكهنبار الخامس ، زعموا أنه يوم خلق الله تعالى فيه البهائم .

(شهر يرمه) السادس عشر منه مهر روز عيد عظيم الشأن يعرف بالمهرجان لأن اسمه
موافق لاسم الشهر ، وكانت الأكاسرة في هذا اليوم يلبسون أبناءهم تاج الذهب الذي كان
عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها لأن مهر اسم الشمس : وذكروا أن هذا يوم خروج
أفريدون بعد أن أهلك الضحاك بيوراسف كل من كان ينسب إلى جمشيد وفريدون وضعته
أمه في غار وتركته وكانت تأتيه بقرة وحش فترضعه حتى وثب على الضحاك وطرده وأخرج
أفريدون وتزلت الملائكة لعونه : وذكروا أن في هذا اليوم دحا الله الأرض وجعل الأجساد
قرار الأرواح ، وقالوا : من أكل يوم المهرجان شيئا من الرمان وشم ماء الورد دفع عنه
آفات كثيرة ، واليوم الحادي والعشرون هو رام روز وهو اليوم الذي ظفر فيه أفريدون
بالضحاك وأسره فقال لأفريدون : لا تقتلني ، فأجابه إلى ذلك وحبسه بجبل نهاوند مسلسلا
في غار فيه :

(أبان ماه) اليوم العاشر منه أبان روز يسمى أبان كان لاتفاق الاسمين . قالوا : فيه أمر بعمارة الأرض وحضر أنهارها واتصل الخبر بالأقاليم السبعة ، والخمسة الأخيرة من هذا الشهر أولها اشتادروز وتسمى الفزورجان فيها وكانوا يصنعون فيها الأطعمة والأشربة في النواويس على ظهورها ، يزعمون أن أرواح موتاهم تخرج في هذه الأيام من مواضع عزابها وعقابها ، فتأتيها وتنفس قوتها ويدخنون بيوتهم بالراسن لتستلذ الموقى براحتته :

(آذرمه) اليوم الأول منه هو يوم هرز ، فيه ركوب الكوسج وهو سنة لهم كان يركب في هذا اليوم رجل كوسج حمرا في أطمار من الثياب وقد تناول الأطعمة الحارة والأشربة المسخنة وطلّى بدنه بالأدوية وفي يده مروحة يتروح بها ويقول الحر الحر والناس يتضاحكون ويرمون بالثلج والجمد فيصيب بذلك خيرا من الناس وبقي بذلك في عقبه إلى أن ضرب السلطان على ذلك ضربته ، وكان مع الكوسج نقيب المغرة وهي طين أحمر يلطخ به ثياب من لم يسمح له بشيء ، وفي هذا اليوم استخراج اللؤلؤ من البحر ولم يكن يعرف قبل ذلك : قالوا : إنه يوم قضى الله فيه الخير والشر ، وزعموا أن من طعم صبيحة هذا اليوم قبل الكلام سفر جلا وشم أترنجا سعد في سائر سنته ، واليوم التاسع هو آذروز ، عيد يسمى آذر جشن لاتفاق الاسمين وفيه اصطلوا بالنار ، وآذر اسم الملك الموكل بجميع النيران وقد أمر زرادشت أن تزار في هذا اليوم بيوت النيران وتقرب القرابين ويشاور في أمور العالم :

(دى ماه) ويسمى أيضا جرماه اليوم الأول منه يسمى حزم روز وهو اسم الله تعالى ، وكان الملك في هذا اليوم ينزل عن سرير الملك ويلبس الثياب البيض ويرفع الحجاب ويترك هيئة الملك وينظر في مصالح الناس ويخاطبه كل من شاء من الوضيع والشريف وبجالس الدهاقين والمزارعين ويواكلهم ويقول أنا كواحد منكم ولا قوام للدينا إلا بالعمارة التي تجرى على أيديكم وقوام العمارة بالملك لاغنى لأحدهما عن الآخر ونحن كأخوين متلازمين ، واليوم الحادى عشر أول الكهنبار الأول وفيه خلق الله السموات ، واليوم الرابع عشر زوركوش فيه عيد يسمى عيد سيرسو يتناول فيه الثوم والخمر ويطيخ فيه النبات باللحم التي يتحرز به عن الشياطين وبها يتداوى من العلل المنسوبة إلى الأرواح السوء ، واليوم الخامس عشر وهو سمهور روز عيد يتخذ فيه شخص من عجبن أو طين على هيئة إنسان ويوضع في مداخل الأبواب ويخدم خدمة الملوك ثم يحرق وفي هذا اليوم اتفق فظام أفريدون وركوب الثور ، وزعموا أن من أطمع صبيحة هذا اليوم قبل الكلام تفاحا وشم نرجسا عاش سنته بخير وخصب وأن التدخين في ليلته بالسوسن أمان في العام من القحط والفقر ، واليوم السادس عشر هو مهرروز عيد كاوكيل ، زعموا أن جمعا من الفرس تخلصوا في هذا اليوم من بلادترك وساقوا

البقر التي سببت منهم ، وزعموا أن في ليلة هذا اليوم يظهر ثور عجلة القمر وهو ثور قرناه من ذهب وقوائمه من فضة يظهر ساعة ثم يغيب والموفق لرؤيته مجاب الدعوة في ساعة النظر إليه .

(بهمن ماه) اليوم الثاني منه بهمن روز عيد يسمى بهمنجة لانفاق الاسمين وهو الملك الموكل بالبهائم التي يحتاج الناس إليها للعمارة ، وأهل فارس كانوا يطبخون فيه قدورا يجمعون فيها من كل حب ولحم ويشربون فيه اللبن ، يزعمون أن ذلك يصاح لحفظ ، ولهذا اليوم خاصية في لقط الأدوية من الجبال والأودية واتخاذ الأدهان وتهيئة البخور والدخن ، وزعموا أن ذلك وضع جاماسب الوزير ونفعها بين ، واليوم الخامس وهو يوم اسفندارمد عيد يسمى نوسدة ومعناه البندق الجديد وهو من مآثر هو راسف ، واليوم العاشر وهو أبان يسمى أبان عيد . ويسمى السدق وتفسيره المائة ، قيل إنه إنما سمي سدقا لأنه بقي إلى آخر السنة مائة يوم ، وقيل لأنه تم في هذا اليوم عدد المائة من الآب الأول وهو كيومرت . قالوا : إن الشتاء يخرج من جهنم إلى الدنيا في هذا اليوم ، والناس في هذا اليوم يوقدون نيرانا وينحرون قرابين لدفع مضرته حتى صار من رسم الملوك في هذه الليلة إيقاد النيران وإرسال الطيور والوحش وقد شدوا فيها باقات من الشوك مشتعلة مع الشرب والتأهي ، واليوم الثلاثون وهو أنيران روز عيد يسمى إبريز كان بأصبهان وتفسيره صب الماء . والسبب فيه أن القطر احتبس في زمان فيروز جد أنوشروان وأجذب الناس فترك فيروز الخراج وفتح الخزائن واستدان من بيوت النيران وجاد بها على الرعية وتفقدتهم تفقد الوالد الولد حتى لم يمت في تلك السنين أحد جوعا ، ثم صلى ودعا الله تعالى بإزالة ذلك عن الخلق ودخل بيت النار وأدار يده وساعده حوالى اللهب وضمه إلى صدره ثلاث مرات ضم الصديق صديقه ، وبلغ اللهب لحيته ولم تحترق وكان ذا لحية كثة ثم قال : اللهم إن كان هذا الاحتباس من أجلى وسوء سيرتى فبين لى حتى أخلع نفسى ، وإن كان لغيرى فبين لى وأزل عن أهل الدنيا ذلك وجد عليهم بالمطر ، ثم خرج من بيت النار فارتفعت سحابة وأقبلت بأمطار لم يعهد مثلها غزارة فأيقن فيروز بإجابة دعائه وجرت المياه في الخيام والسرادقات ، وكان الناس يصب بعضهم على بعض فرحا وسرورا فصار ذلك سببة لهم إلى هذا الوقت .

(اسفندار مذماه) اليوم الخامس وهو اسفندار مذروز عيد لانفاق الاسمين وهو اسم الملك الموكل بالأرض والمرأة الصالحة المحبة لزوجها ، وهذا عيد خاص للرجال والنساء يحسن بعضهم إلى بعض ويتخذون فيما بينهم العهود ، وقد بقي هذا بأصبهان يسمونه مرذكيران ، وهذا اليوم تكتب فيه الرقاع لدفع الهوام والحشرات فيكتبون من طواع الفجر إلى طلوع الشمس الرقية المعروفة ويلصقون ثلاثة منها على الجدران الثلاثة من البيت ويتركون الجدار المقابل لصدر البيت .

(القول: في السنين) السنة عند العرب اثنا عشر شهرا وعند العجم كذلك إلا أن العرب تجعل شهورها على مدار الأهلة وأيامها ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما . وأما العجم فجعلوا شهورهم على مدار الشمس وأيامها ثلاثمائة وخمسة وستون يوما ، وفي هذه المدة تقطع الشمس دائرة الفلك فسنو العرب قمرية وسنو العجم شمسية والتفاوت بينهما كل مائة سنة ثلاث سنين . قال الله تعالى : - ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا - بحساب العرب ، وأول السنة الشمسية مسامته الشمس لنقطة الاعتدال الربيعي ، ثم تتحرك متوجهة نحو الشمال حتى تبلغ غايتها في الشمال ، ثم ترجع متوجهة إلى نقطة الاعتدال الخريفي حتى تصير مسامته لها ، ثم تتحرك متوجهة نحو الجنوب حتى تبلغ غايتها في الجنوب ، ثم ترجع متوجهة إلى نقطة الاعتدال الربيعي ، فهذا الاعتبار قسموا السنة أربعة أقسام كل قسم فصل ، ومن جملة لطف الله تعالى أن أعطى كل فصل طبقة مغايرة لما بعده في كيفية أخرى ليكون ورود الفصول على الأبدان بالتدرج ، فلو انتقل من الصيف إلى الشتاء دفعة واحدة لأدى ذلك إلى تغيير عظيم في الأبدان ، فحسبك ما ترى من تغيير الهواء في يوم واحد من الحر إلى البر وكيف يظهر مقتضاه في الأبدان فكيف إذا كان مثل هذا التغيير في الفصول ، فسبحانه ما أعظم شأنه وأكثر امتنانه .

(أما الربيع) فهو نزول الشمس أول دقيقة من برج الحمل ، فعند ذلك استوى الليل والنهار في الأقاليم ، واعتدل الزمان وطاب الهواء وهب النسيم وذابت الثلوج وسالت الأودية ومدت الأنهار ونبتت العيون ، وارتفعت الرطوبات إلى أعلى فروع الأشجار وتلاؤأ الزهر وأورق الشجر وتفتح النوار واخضر وجه الأرض ، وتكونت الحيوانات ونمتجت البهائم ودرت الضروع ، وطاب عيش أهل الزمان وأخذت الأرض زخرفها وازينت والدنيا كأنها جارية شابة تجلت وتزينت للناظرين ، فلا يزال كذلك دأبها ودأب أهلها إلى أن تبلغ الشمس آخر الجوزاء فحينئذ ينتهي الربيع ويقبل الصيف .

(وأما الصيف) فهو نزول الشمس أول السرطان ، فعند ذلك تناهى طول النهار وقصر الليل ثم أخذ الليل في الزيادة واشتد الحر وسخن الهواء وأدركت الثمار وجفت الحبوب وقلت الأنداء وأضاعت الدنيا وسمنت البهائم واشتدت قوة الأبدان ، وانتشرت الحيوانات على وجه الأرض بعموم الخير ، وطاب عيش أهل الزمان وكثرت السموم ونقصت الأنهار ونضبت المياه . وأدرك الحصاد ودرت الأخلاف ، واتسع للناس القوت وللطير الحب وللبهائم العلف ، وتكامل زخرف الأرض وصارت الدنيا كأنها عروس حسناء ذات جمال كثيرة العشاق ، ولا تزال كذلك إلى أن تبلغ الشمس آخر السنبلة فعند ذلك انتهى الصيف وأقبل الخريف .

(وأما الخريف) فهو وقت نزول الشمس في أول الميزان فعند ذلك استواء الليل والنهار

مرة أخرى ثم ابتداء الليل بالزيادة، وكما ذكرنا أن الربيع زمان استواء الأشجار وربو النبات وظهور الأشجار، فبانخريف ذبول النبات وتغير الأشجار وسقوط أوراقها، فحينئذ برد الماء وهبت الشمال وتغير الزمان ونقصت المياه وجفت الأنهار وغارت العيون ويبتست أنواع النباتات، وماتت الهوام وانحجرت الحشرات وانصرف الطير والوحش لطلب البلدان الدفيئة، وادخر الناس قوت الشتاء ودخلوا البيت ولبسوا الجلود الغليظة من الثياب وتغير الهواء وصارت الدنيا كهلة تولت عنها أيام الشباب، ولا تزال كذلك إلى أن تبلغ الشمس آخر القوس، وقد انتهى الخريف وأقبل الشتاء.

(وأما الشتاء) فهو وقت نزول الشمس أول الجدى فعند ذلك تنهى طول الليل وقصر النهار ثم أخذ النهار في الزيادة واشتد البرد وخشن الهواء وتعري الأشجار عن الأوراق، وانحجرت الحيوانات في أطراف الأرض وكهوف الجبال من شدة البرد وكثرة الندى، وأظلم الجو وكلح وجه الزمان وهزلت البهائم وضعفت قوى الأبدان، ومنع البرد الناس عن التصرف ومن عيش أكثر الحيوان، وبرد الماء الذي هو مادة الحياة وانقطع الذباب والبعوض وهدمت ذوات السموم من الهوام وطاب الأكل والشرب وهوزمان الراحة والاستمتاع، كما أن الصيف زمان الكد والتعب، قيل من لم يغل دماغه في الصيف لم يغل قدره في الشتاء، وصارت الدنيا كأنها عجوز هرمة دنا موتها فلا تزال كذلك إلى أن تبلغ الشمس آخر الحوت وقد انتهى الشتاء وأقبل الربيع مرة أخرى ولا يزال كذلك إلى أن يبلغ الكتاب أجله.

(فصل: في بعض العجائب المتعلقة بتكرار السنين)

قال بعض العلماء: إن الله تعالى يبعث في كل ألف سنة نبيا بمعجزات غريبة واضحة لرفع أعلام دينه القويم وظهور صراطه المستقيم، ويجوز أن يكون ما بين النبيين أكثر من ألف سنة أو أقل، وكان في الألف الأول آدم أبو البشر عليه السلام، وفي الألف الثاني إدريس عليه السلام، ثم نوح عليه السلام على الترتيب المذكور فيه، وفي الثالث إبراهيم عليه السلام، وفي الرابع موسى عليه السلام، وفي الخامس سليمان عليه السلام، وفي السادس عيسى عليه السلام، وفي السابع محمد صلى الله عليه وسلم ثم ختمت به النبوة وانتهت آلاف الدنيا بألفه، لما روى عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضى الله عنهم أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة وقد مضى ستة آلاف ومائة وليأتين عليها سنون وعلى رأس كل مائة من مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يظهر صاحب علم يرفع أعلام العلم، فعلى رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وعلى الثانية محمد بن إدريس الشافعي رضى الله عنه، وعلى الثالثة أبو العباس أحمد بن شريح، وعلى الرابعة أبو بكر بن الخطيب الباقلائي، وعلى الخامسة أبو حامد الغزالي، وعلى السادسة أبو عبد الله الرازي رحمة الله عليهم.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « من عمره الله أربعين سنة كف عنه أنواعا من البلاء منها الجذام والبرص وجنون الشيطان ، ومن عمره الله خمسين سنة في الإسلام خفف حسابه يوم القيامة ، ومن عمره الله ستين سنة رزقه الإجابة بما يحب له عز وجل ، ومن عمره سبعين سنة أحبه أهل السموات وأهل الأرض ، ومن عمره ثمانين سنة محاسناته وكتب حسناته ، ومن عمره تسعين سنة غفر له ذنوبه وكان أسير الله في الأرض وشفع في أهل بيته . » وذهب العلماء إلى أن تكرار الأعوام يرى فيه حوادث عجيبة الشكل غريبة غير معهودة ، وبحسب اختلاف الأهوية معادن غريبة ونبات وأشجار بديعة ، ربما يصير العامر غامرا والغامر عامرا والبر بحرا والبحر برا والسهل جبلا والجبل سهلا كل ذلك بتقدير العزيز العليم .

ولنختم هذا الفصل بحكاية عجيبة وهي ما روى أنه كان من بني إسرائيل شاب عابد ، وكان الخضر عليه السلام يأتيه ، فسمع بذلك ملك زمانه فأحضره بين يديه وقال : إذا جاءك الخضر فائتني به وإلا قتلتك ، فقال الشاب : ويحك أأتيك بالخضر ؟ قال : نعم وإلا قتلتك ، فرجع الشاب إلى مكانه متفكراً في أمره حتى جاءه الخضر عليه السلام ، فحدثه بحديث الملك فقال : امض بي إليه ، فلما دخلا على الملك قال له الملك : أنت الخضر ؟ قال : نعم . قال : حدثني بأعجب شيء رأيته ، فقال الخضر عليه السلام : رأيت كثيراً من عجائب الدنيا وأحدثك بما حضر في الآن . كنت في اجتيازي مررت بمدينة كثيرة الأهل والعمارة سألت رجلاً من أهلها متى بنيت هذه المدينة ؟ فقال : هذه مدينة عظيمة ما عرفنا مدة بنائها نحن ولا آباؤنا ثم اجتزت بها بعد خمسمائة سنة فلم أر للمدينة أثراً ، ورأيت هناك رجلاً يجمع العشب فسألته متى خربت هذه المدينة ؟ فقال : لم تزل هذه الأرض كذلك ، فقلت : أما كانت هاهنا مدينة ؟ فقال : ما رأينا هاهنا مدينة ولا سمعنا عن آباؤنا ، ثم مررت بها بعد خمسمائة عام فوجدت بها بحراً ، فلقيت هناك جمعا من الطيادين فسألتهم متى صارت هذه الأرض بحراً ؟ فقالوا : مثلك يسأل عن هذا ؟ إنها لم تزل كذلك ، قلت : أما كان قبل ذلك يبسا ؟ قالوا : ما رأينا ولا سمعنا به عن آباؤنا ، ثم اجتزت بعد خمسمائة عام وقد يبست فلقيت بها شخصاً يخطئ ، فقلت : متى صارت هذه الأرض يبسا ؟ فقال : لم تزل كذلك ، فقلت له : أما كان بحر قبل هذا ؟ فقال : ما رأينا ولا سمعنا به قبل هذا ، ثم مررت بها بعد خمسمائة عام فوجدتها مدينة كثيرة الأهل والعمارة أحسن مما رأيتهما أولاً ، فسألته بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقال : إنها عمارة قديمة ما عرفنا مدة بنائها نحن ولا آباؤنا ، فقال الملك : إنى أريد أن أتبعك وأفارق ملكي . فقال له : إنك لا تقدر على ذلك ولكن اتبع هذا الشاب فإنه يدلك على الرشاد ، والله الموفق للصواب . تمت المقالة الأولى في العلويات والحمد لله رب العالمين .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدي ، الأزلى الذى لأول لوجوده ولا ينتقل من حالة إلى أخرى ، الأبدى الذى لا آخر لدوامه وإليه المرجع والمنتهى ، خلق الأرض والسموات العلى ، وأبدع الأركان والأمزجة والأعضاء والقوى ، وأنشأ الجهاد والحيوان وأزواجا من نبات شتى - له مافي السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى - والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد خير الورى وعلى آله مصابيح الدجى ومفاتيح الهدى ؛

(أما بعد) فقد أردنا أن نذكر بعض عجائب مادون فلك القمر من كرة الأثير وعجيب آثارها وكرة الهواء وصحوها وأمطارها وفوائدها ومعادنها وخواص نباتها وأشجارها وخواص حيوانها وآثارها ، مستعينا بالله ومتوكلا على الله وبالله التوفيق .

المقالة الثانية في السفليات

وهو ما دون فلك القمر من العناصر والمولدات والنظر فيها فى أمور حقيقة العناصر وطباعها وترتيبها وانقلاب بعضها إلى بعض . ذهبوا إلى أن العنصر هو الأصل ، وإنما سميت هذه الأجسام عناصر لأنها أصل المولدات أعنى المعادن والنبات والحيوان ، وتسمى أيضا أركاننا وهى أربعة : النار والهواء والماء والتراب ، فالنار حارة يابسة مكانها الطبيعى تحت الفلك وفوق الهواء ، والهواء حار رطب ومكانه الطبيعى تحت النار وفوق الماء ، والماء بارد رطب ومكانه الطبيعى تحت الأرض ، والهواء فوق الأرض والأرض باردة يابسة ومكانها الطبيعى الوسط ثم إن كل واحد من هذه الأركان متكيف بكيفيتين يشاكل الذى يقربه بكيفية ويضاده بأخرى فلأجل مشاكلها تقاربت مراكزها ولأجل تضادها تباينت ، واختص كل بمركز لا يقف إلا فيه إذا منعه مانع فإذا ارتفع المانع كان النزوع إلى مركز العالم فهو ثقل وإن كان إلى المحيط فهو خفيف ، والله أعلم .

(فصل : فى انقلاب هذه العناصر بعضها إلى بعض)

أما الهواء فينقلب ماء كما يشاهد فى القطرات التى تتجمد على سطح الإناء المتخذ من الصفر ، فإنك إذا تركت فيه ماء يرى على أطراف الإناء قطرات من الماء ومعلوم أن ذلك ليس من ترشح الإناء بل سببها أن الهواء المحيط بالسكون يصير باردا بسبب برودة الجمد فيصير ماء ويقع على أطراف الإناء ، والماء أيضا ينقلب هواء كما يشاهد من البخارات الصاعدة من حرارة الشمس أو النار ، والهواء ينقلب نارا كما يشاهد من السموم فى بعض المواضع عند

شدة الحر، وكما نرى من كبر الحدادين إذا بالغوا في نفخه فإن هواه يصير بحيث إذا دنا منه شيء يحترق، والماء يتقلب أرضا كما نرى من بعض المياه أنها تصير حجرا، والأرض تنقلب ماء كما يفعله أصحاب الإكسير بسحق أجزاءها وخلط بعض الأدوية بها حتى تصير كلها ماء ولا تبقى فيها أجزاء الأرضية، والله تعالى هو الموفق للصواب.

(النظر الأول: في كرة النار) النار جرم بسيط طباعه أن يكون حارا يابساً مكانه تحت كرة الفلك لا لون لها، زعموا أن النار الصرف لا يدركها البصر لأننا نرى الشمع إذا اشتعل كانت شعلته منفصلة عن الفتيلة ولا شك أن الحرارة عند اتصال الفتيلة أقوى. وأيضا إن كبر الحدادين إذا بالغوا في نفخه صار هواه بحيث إذا دنا منه شيء يحترق ولا ضوء له، فنعلم أن النار القوية الصرف لا لون لها، والنار هي فوق العناصر في غاية القوة والخواص فلذلك لا تدركه الأبصار. انظر إلى حكمة البارئ كيف جعل كرة الأثير دون فلك القمر كيما تحترق بحرارتها الأدخنة الغليظة الصاعدة وتلطف البخارات العفنة ليكون الجو أبدا شفافا، وجعلها طبقة واحدة شديدة الحرارة محيطة لكل ما وصل إليها من الأبخرة والأدخنة ناراً صرفاً لما ذكرنا من الحكمة، وخلقها غير ملونة إذ لو كانت مضيئة كالنار التي عندنا لمنعت الأبصار عن رؤية عالم الأفلاك، ثم حجبتها بكرة الزمهرير لينع برد الزمهرير وهيج الأثير عن الحيوانات والنبات وإلا لأدى إلى هلاكها، ثم أي شيء أعجب من خروج هذا الجرم النوراني من الحديد والحجر الكثيفين أو من الشجر الأخضر الذي يخالف طبيعة النار أو من الحرارة والضياء اللتين يلازمانها ثم من غلبتها وسلطانها على الأجسام حتى على الصخرة الصماء فتجعلها ترابا وعلى الحديد فتذيبه، وإذا تفكرت في المصايح المتعلقة بها للخلق سيما نوع الإنسان وجدت فهم الإنسان عن ضبطها قاصرا ولهذا قال تعالى - نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم - فسبحانه ما أعظم شأنه:

(ومن النيران) العجيبة نار خلقها الله لقبول القرابين تنزل من السماء تأكل النيران المقبول وهي التي أكلت قربان هابيل دون قربان قابيل، وكان ذلك الامتحان في بني إسرائيل أيضا إذا أرادوا امتحان إخلاصهم تركوا القربان في بيت لاسقف له ونبههم يدخل البيت ويدعو الله تعالى والناس خارج البيت فينزل من السماء نار يبضاء لها دوى يحيط بالقربان فتأكله وهي التي أخبر الله تعالى عنها حيث قال: - الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار - فهذه نار الرضا فسبحان من جعلها مرة للرضا ومرة للسخط، ومنها نار جعلها الله تعالى لسخطه كتار أصحاب الجنة التي ذكرها الله تعالى، وهو أنه كان لرجل صالح بستان إذا كان يوم قطافه يطعم من جاءه من المساكين، فلما مات عزم أولاده على أن لا يعطوا المساكين شيئا ويقطفوها سرا، فلما ذهبوا إليها وجدوها

قد احترقت - فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون - إلى قوله - فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون - .

(ومنها) نار الصاعقة وهي نار تسقط من السماء تحرق أي جسم صادفته وتتقد في الصخرة السماء لا يرد عليها إلا الماء ، ذكروا أنها ربما تحجرت فتصير ألماسا فقطع الألباس منها ، والله تعالى أعلم بذلك .

(ومنها) نار الحرتين كانت ببلاد عبس فإذا كان الليل تسطع من السماء وكانت بنو طى* تنفث بها إبلها من مسيرة ثلاثة أيام وربما بدر منها عقب فيأتي كل شيء بقرها فتحرقه ، وإذا كان النهار كانت دخانا فبعث الله تعالى خالد بن سنان العبسي وهو أول نبي من بني إسماعيل فاحتفر لها بئراً وأدخلها والناس ينظرون حتى غيها وقصتها مشهورة .

(فصل : في الشهب وانقضاض الكواكب)

زعموا أن الدخان إذا صعد الهواء ولم تصبه برودة حتى يصل إلى الطبقة النارية فإن لم تنقطع مادته عن الأرض وكان في الدخان دهنية تشتعل النار فيه ويصير كله نارا ويرجع إلى مادة الدخان : مثاله أن السراج إذا طيء وجعل تحت شعلته سراج آخر فإذا وصل دخان المنطقي* إلى الشعلة ترجع النار عن الشعلة وتوقد السراج المنطقي* . وأما إذا كانت مادته لطيفة تأخذها النار وتصير نارا صرفا وقد ذكرنا أن النار الصرف لا ترى ، وإن كانت المادة كثيفة فإذا أخذت النار فيها تبقى زمانا فترى منها أشكالا بحسب مادة الدخان وهيئتها ، وربما يرى كوكبا ذا زاوية وعلى شكل تين أو على شكل حيوان ذي قرنين أو على شكل أعمدة مخروطية ، وربما يرى على شكل كرة تتدحرج على شكل الفلك ، وربما كانت المادة الدخانية كثيرة فإذا أخذت النار فيها اشتعلت اشتعالا عظيما حتى أضاء الهواء منها واستنار وجه الأرض منها ، والله الموفق للصواب .

(خاتمة) من الحكماء من شبه تعلق النفس الإنساني ببدنه إذا صار مستعداً لقبول النفس بتعلق النار بالفتيلة إذا صارت مستعدة لذلك ، وكما أن إبطال هذا التعلق سهل بنفخه أو غيره فكذلك إبطال تعلق النفس بالبدن سهل بطريق الاحترام ، وكما أن السراج ينطفئ بانتهاؤ الدهن فكذلك النفس تفارق عند انتهاء الرطوبة الغريزية بحدوث الحمى وغيرها ، والإنسان يعيش في مكان لا ينطفي* فيه النار لذلك إذا أراد أصحاب المعادن والحجبايا دخول فتق أو مغارة أخذوا شعلة على رأس خشبة طويلة وقدموها ، فإن بقيت الشعلة دخلوها ، وإن انطفأت لم يتعرضوا لها وتركوها ، والمصباح عند ذهاب دهنه وانطفائه ينتعش مرتين أو ثلاثا انتعاشا ساطعا ثم يخمد كما أن الإنسان قبيل موته يزيد قوة وتسمى راحة الموت ولم يكن بعد ذلك لبث ؛ والله الموفق للصواب .

(بالنظر الثاني : في كرة الهواء) الهواء جرم بسيط طباعه أن يكون حاراً رطباً شفافاً متحركاً إلى المكان الذي تحت كرة النار وفوق الماء زعموا أن الأجرام الواقعة ما بين سطح الماء وسطح فلك القمر ثلاثة أقسام : أولهما ما يلي للقمر ، وآخرها ما يلي سطح الماء والأرض ، وأوسطها الهواء الواقع بينهما ؛ أما الهواء المماس لفلك القمر فلدوام دورانه مع الفلك وسرعة حركته صار نارا في غاية الحرارة ويسمى الأثير وقد مر ذكرها ، وكلما كان منهبطاً إلى أسفل كان أبطأ حركة وأقل حرارة ، وكلما قلت الحرارة غلبت البرودة إلى أن تصير في غاية البرد ويسمى الزمهرير . وأما القسم الثالث فإنه بواسطة مطارح شعاعات الشمس وغيرها من الكواكب على سطح الأرض وانعكاسها صار معتدلاً ، ولولا ذلك لكان الهواء المماس لسطح الأرض أشد برداً مما سواه كما يعرض ذلك للموضع الذي تحت القطب الشمالي لبعث الشمس عنه فيبرد فيه الهواء ويجمد الماء ويظلم الجو ويهلك الحيوان والنبات : وذكروا أن أكثر ما تكون كرة النسيم ستة عشر ألف ذراع ارتفاعاً وأقله ما يطابق سطح الأرض فإن أعلى جبل يوجد على وجه الأرض لا يبلغ ارتفاعه هذا المبلغ ، ولا تمنع حرارة الجو هناك من انعقاد الغيم فإن المانع من انعقاد الغيم في الهواء حرارة الجو ، وأما سطح كرة النسيم فإنه متداخل في عمق الأرض إلى نهاية ما ثم يقف ، فإن النازلين إلى أسفل لطلب المعادن إذا احتاجوا إلى النسيم نفخوا بالمنافخ والأنابيب ليستنشقوا النسيم ويضئء سراجهم فإن النسيم متى انقطع عنهم انطفأ سراجهم واختنقوا ولا يعيش الحيوان دون البرية إلا في موضع يوجد به النسيم ؛ وللهواء تغيرات عجيبة واستحالات من النور والظلمة والحر والبرد وقد سبق القول فيه .

وأما ما يحدث من كثرة الأبخرة والأدخنة واختلاف الرياح والزوايع والمالة وقوس قزح والغيوم والرعود والبروق والصواعق والأمطار والضباب والطل والصقيع والتلوج والشهب وذوات الأذئاب فإن بعضها يقع في كرة الأثير وقد ذكرناه ، ومنها ما يقع في كرة الزمهرير وكرة النسيم فلندكر الآن ذلك ، والله الموفق للصواب .

(فصل : في السحاب والمطر وما يتعلق بهما)

زعموا أن الشمس إذا أشرفت على الماء والأرض حللت من الماء أجزاء لطيفة مائة تسمى بخاراً ومن الأرض أجزاء لطيفة أرضية تسمى دخاناً ، فإذا ارتفع البخار والدخان في الهواء وتدافعهما الهواء إلى الجهات ومن فوقهما برد الزمهرير ومن أسفلهما مادة البخار غلظت في الهواء وتداخلت أجزاء بعضهما في بعض فيكون منهما سحاب مؤلف مترام ، ثم إن السحاب كلما ارتفع انضمت أجزاء البخار بعضها إلى بعض حتى يصير ما كان منهما دخاناً ركاباً وما كان بخاراً ماء ، ثم تلتئم تلك الأجزاء المائية بعضها إلى بعض فتصير قطراً

ثم تأخذ راجعة إلى أسفل ، فإن كان صعود ذلك البخار بالليل والهواء شديد البرد منعه من الصعود وأجمده أولا فصار سحابا رقيقا ، وإن كان البرد مفرطا أجمده البخار في الغيم وكان ذلك ثلجا لأن البرد يجمد الأجزاء المائية ويختلط بالأجزاء الهوائية وينزل برفق فلذلك لا يكون له في الأرض وقع شديد كما للمطر والبرد ، فإن كان الهواء دفيئا وارتفع البخار في الغيوم وتراكت منه السحب طبقات بعضها فوق بعض كما ترى في أيام الربيع والخريف كأنها جبال من قطن مندوف فإذا عرض لها برد الزمهرير من فوق غلظ البخار وصارت ماء وانضمت أجزاءها فصارت قطرا عرض لها الثقل فأخذت تهوى من أعلى السحاب ، وتلتئم القطرات الصغار بعضها إلى بعض حتى إذا خرجت من أسفلها صارت قطرا كبارا ، فإن عرض لها برد مفرط في طريقها جمدت وصارت بردا قبل أن تبلغ الأرض وإن لم تبلغ الأبخرة إلى الهواء البارد ، فإن كانت كثيرة صارت ضبابا ، وإن كانت قليلة وتكاثفت ببرد الليل ولم تجمد نزلت طلا وإن انجمدت نزلت صقيعا ، والله أعلم .

واعلم أن من لطف البارئ عز وجل أن أنزل المطر في كل سنة مقدارا معلوما عنده إلى مستقر الحيوان لا إلى القفار البلاقع التي لا حيوان بها ، فإن أهل التجربة زعموا أن كل بقعة بينها وبين البحر لا يكون أكثر من مسيرة أربعين يوما فإنها لا تصلح لمسكن الحيوان لأن المطر لا ينزل بها ، ثم من تمام لطفه عز وجل أن أنزل القدر الذي يكون كافيا لا قاصرا فلا ينبت شيئا ولا زائدا على الحاجة فيعفن النبات ويفسده ويضر بالحيوان كما فعل بقوم نوح عليه السلام ، وإلى هذا المعنى أشار جلت قدرته بقوله : — أنزل من السماء ماء بقدر — ثم إزاله قطرات صغيرة ، فلوصبه صبا خدش الأرض وأتلف الزرع ، فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأوضح برهانه ، والله الموفق .

(فصل : في الرياح)

زعموا أن حدوث الرياح من تموج الهواء وتحركه إلى الجهات كما أن تموج البحر هو تدافع الماء بعضه لبعض إلى الجهات ، فإن الهواء والماء بحران واقعان غير أن أجزاء الماء ثقيلة الحركة وأجزاء الهواء خفيفة الحركة . وأما كيفية حدوثها فإن الأدخنة التي تصعد من الأرض من تأثير الشمس وغيرها إذا وصلت إلى الطبقة الباردة إما أن ينكسر حرها وإما أن تبقى على حرارتها ، فإن انكسر حرها تكاثفت وقصدت النزول فيموج بها الهواء فيحدث الريح ، وإن بقيت على حرارتها تصاعدت إلى كرة النار المتحركة بحركة الفلك فتردها الحركة الدورية إلى أسفل فيموج بها الهواء فيحدث الريح ، وربما يحال تلك الأدخنة الهواء فيتحرك من جانب إلى جانب فيحدث منها الريح أيضا ، وسبب تحلل الهواء لها إما من خروجها من مخرج معوج أو رد الرياح النازلة إليها من الصعود المستقيم ، وربما تصل إليها رياح

أخر وتمدها أدخنة من السفلى فتميلها إلى جهة أخرى ، والله الموفق .
ومن الرياح العجيبة : (الزوبعة) وهي الريح التي تدور على نفسها شبه منارة ، وأكثر تولدها من
رياح ترجع من الطبقة الباردة فتصادف سحاباً تذرؤه الرياح المختلفة فيحدث من دروان الغيم
تدوير في الريح فينزل على تلك الهيئة ، وربما يكون مسلك صعودها مدوراً فيبقى هبوبها
كذلك مدوراً كما يشاهد في الشعر الجعد ، فإن سبب جعودته قد يكون لاعوجاج المسام ،
وربما يكون سبب الزوبعة التقاء ريحين مختلفتي الهبوب فإنهما إذا تلاقيا تمنع إحداها الأخرى
عن الهبوب فيحدث بسبب ذلك ريح مستديرة تشبه منارة ، وربما صادفت الزوبعة السفينة
فترفعها وتدورها وتفرقها ، وربما وقعت قطعة من الغيم في وسط الزوبعة فتدورها
في الهواء فترى شبه تنين يدورها في الجو ، وهذا كله من أمر الله وقدره ، والله أعلم بالصواب .
(القول : في أصول الرياح)

أصول الرياح أربعة :

(الشمال) ومهبها من بنات نعش إلى محرب الشمس (والجنوب) ومهبها من مطلع
ضهيل إلى مشرق الشمس (والصبيا) ومهبها من مطلع بنات نعش إلى المشرق (والدبور)
ومهبها من مطلع ضهيل إلى المغرب :

(أما الشمال) فإنها باردة يابسة لأنها تأتي من ناحية التي لاتسامتها الشمس أصلاً بل
لا تقرب منها وتكون الثلوج والمياه الجامدة بها كثيرة فالريح يجتاز بها ويكتسب منها ،
وأيضاً هذه الناحية قليلة البحار كثيرة البراري والجبال فتكتسب منها يديسا وتكون أشد
هبوباً من الجنوب لأنها تهب من موضع ضيق من وسط الجبال ، والجبال بناحية الشمال كثيرة
فيكون مهبها كخروج الماء من الأنبوب الضيق .

(وأما الجنوب) فمهبها على البحار التسعة فتكون كخروج الماء من الإناء الواسع الرأس ،
والشمال تصح الأبدان وتصلبها وتقوى الأدمغة وتصفي اللون وتصح الحواس وتهيج
الشهوة ، وزعموا أن الرياح الشمالية والجنوبية إذا دام هبوبها على مواضع تولد الحيوان ،
والشمالية تجعل أكثر أولادها ذكوراً والجنوبية أكثر أولادها إناثاً ، والله أعلم .

وأما الجنوب فحارة رطبة لأن هبوبها من ناحية خط الاستواء والحر مفرط هناك لأن
الشمس تسامتها في السنة دفتين ولا تباعد عنها فتزداد بذلك حرراً ، وأيضاً هذه الجهة كثيرة
البحار فتبخر الشمس منها أبخرة رطبة فتكسب الجنوب منها رطوبة ، والجنوب ترخي الأبدان
وتورث الكسل وتحدث ثقلاً في الأسماع وغشاوة في البصر ويظهر عند هبوب الجنوب
في البحر سواد عظيم . ومن العجب أن الجنوب إذا هبت على الماء الحار بردته والشمال إذا
هبت عليه تركته على حرارته كما كان ، قالوا : سبب ذلك أن عند هبوب الشمال تكمن

الحرارة في داخل الماء كما ترى في الشتاء أن الحرارة تكمن في جوف الأرض فيبقى داخلها حاراً ، وأما عند هبوب الجنوب فتخرج الحرارة من داخل الماء كما ترى في الصيف فإن الحرارة تخرج من جوف الأرض إلى خارجها ويبقى داخلها بارداً فخرجت الحرارة من داخل الماء عند هبوب الجنوب والماء في نفسه بارد يعود إلى طبعه ، والعرب تزعم أن اللوايح من الجنوب ولا يأتي بالمطر إلا الجنوب .

(وأما الصبا) فقرية من الاعتدال، فإن كان هبوبها في أول النهار فهي مائلة إلى البرد لأنها تمر على مواضع باردة فبردت ببعد الشمس عنها بالليل فتكون طيبة جداً إلا أن زمانها قليل لأن شعاع الشمس يسوقها من خلفها فإذا طلعت الشمس ساقها إلى قدامها فلا تزال كذلك تمر قدام الشعاع والشمس تلتطفها وتسخنها بجرها وضياؤها حتى تصير معتدلة ، وهي النسيم السحري الذي يلتذ به الإنسان وبطيب النوم عليه ويجد المريض راحة عند هبوبها ، ويكون هبوب هذا الريح بالأسحار من الليل والغدوات من النهار ، والله الموفق .

(وأما الدبور) فإنها مخالفة للصبا لأنها تهب والشمس مدبرة عنها فلا تسخنها تسخين الصبا وكذلك تهب في آخر النهار ولا تهب قبله ، ولا تهب بالليل لأن الشمس تبلغ موضع مهبطها في ذلك الوقت فتحلل منه البخارات ولهذا المعنى يكون زمن هبوبها قليلاً ، وجميع ما ذكرناه من فوائد الصبا أمر الدبور ضد ذلك ، وحسبك قول النبي صلى الله عليه وسلم « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » .

(فصل : في فوائد عجيبة للرياح)

منها حكايتها لما تمر به من صوت أو رائحة أو كيفية أو بخار أو دخان : ومنها إلقاها الشجر وترطيبها الزرع وتجفيفها إياه وتغييرها طباع الحيوان حتى قبل إن لها تأثيراً في الذكور والإناث كما ذكرنا ، وتأثيرها في الحيوان أن بعضها يرخي البدن وبعضها يصاب : ومنها ما يصحح القوى ويصفي البشرة ويدكي الحواس ويهيج الشهوة . ومنها ما يكون بضد ذلك : ومنها إجراء السفينة الثقيلة وقطع المسافة الطويلة بمدة يسيرة ، وأعجب من هذا نشرها السحاب وسوقها إياه إلى المواضع المحتاجة إلى السقي لإحياء البلاد والعباد كما قال تعالى : - وهو الذي يرسل الرياح بشرأ بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت . فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات - .

(فصل : في الرعد والبرق وما يتعلق بهما)

زعموا أن الشمس إذا أشرقت على الأرض حلت منها أجزاء أرضية يخالطها أجزاء نارية ويسمى ذلك المجموع دخاناً ، ثم الدخان يمازجه البخار ويرتفعان معا إلى الطبقة الباردة من الهواء فيتعقد البخار سحاباً ويحتبس الدخان فيه ، فإن بقي على حرارته قصد الصعود

وإن صار باردا قصد النزول ، وأياما كان يمزق السحاب تمزيقا عنيفا فيحدث منه الرعد ، وربما يشتعل نارا لشدة المحاكة فيحدث منه البرق إن كان لطيفا والصاعقة إن كان غليظا كثيرا فتحرق كل شيء أصابته فربما يذيب الحديد على الباب ولا يضر بحشبه ، وربما يذيب الذهب في الخرقه ولا يضر الخرقه ، وقد يقع على الماء فيحرق حيتانه وعلى الجبل فيشقه . واعلم أن الرعد والبرق يحدثان معا لكن يرى البرق قبل أن يسمع الرعد وذلك لأن الرؤية تحصل بمراعاة البصر ، وأما السمع فيتوقف على وصول الصوت إلى الصماخ ، وذلك يتوقف على تموج الهواء ، وذهاب النظر أسرع من وصول الصوت ألا ترى أن القصار إذا ضرب الثوب ثم يسمع الصوت بعد ذلك بزمان ، والرعد والبرق لا يكونان في الشتاء لقلّة البخار الدخاني ولهذا المعنى لا يوجد في البلاد الباردة عند نزول الثلج لأن شدة البرد تطفى البخار الدخاني ، والبرق الكثير يقع عنده مطر كثير وذلك لتكاثف أجزاء الغمام فإنها إذا تكاثفت انحصر الماء فيها، فإذا نزل نزل بشدة كما إذا احتبس الماء ومنع جريه ثم أطلق فإنه يجري جريا شديدا ، ولهذا العلة من أمسك نفسه عن الضحك قهقهة بغتة ، والله الموفق :

(فصل : في الحالة وقوس قزح وغيرهما من الأشياء التي تظهر وزاها في الجو)

قال القاضي عمر بن سهلان المناوي رحمه الله تعالى : تحقيق هذه الأمور موقوف على مقدمات : (المقدمة الأولى) في معنى انعكاس البصر وهو لا يقاس على انعكاس الضوء ، لأن انعكاس الضوء له حقيقة في الخارج وأما انعكاس البصر فلا حقيقة له في الخارج وإنما يقدر بطريق التوهم إذ لافرق في مقصودنا بين الانعكاسين ، أما انعكاس الضوء فهو أن يقع شعاع من جسم مضيء على جسم كثيف صقيل وينعكس منه ويقع على جسم يكون وضعه من هذا الجسم الصقيل كوضع الجسم المضيء من ذلك الصقيل لكنه يخالفه في الجهة على وجه تكون زاوية الاتصال كزاوية الانعكاس وليس ذلك بشكل هندسي ، ولتكن دائرة (كز) جرم الشمس ودائرة خط المرآة الصقيلة وخط (اب) شعاع الشمس و (لح) الجسم الكثيف الذي هو في خلاف جهة الشمس من المرآة ، فإن الشعاع يرجع من المرآة ويقع على الجسم الكثيف إذا لم يكن بينهما حائل ، فلو قدرنا أن من شعاع (اب) يقوم على سطح المرآة خط كالعمود وفرضنا على سطح المرآة خطا وهو (ده) تظهر من خط (اب) الذي هو شعاع (به) المفروض على سطح المرآة زاوية من خط (لح) الذي هو شعاع (به) المفروض على سطح المرآة زاوية ، ومن خط (لح) الذي هو الشعاع الراجع من خط (به) زاوية أخرى موازية للزاوية المتقدمة ، فزاوية (أيد) زاوية اتصال الشعاع ، وزاوية (هب ح) زاوية انعكاس الشعاع . فإذا فرضنا خط الشعاع عمودا على سطح المرآة كخط (وى) كان ناقصا على أعقابه فإذا عرف انعكاس الضوء فيقاس عليه انعكاس البصر فنقول : إذا كان في محاذاة النظر جسم

صقيل وتوهنا أن خطا خرج من الحدقة واتصل بالجسم الصقيل وقد رنا خروج خط من هذا السطح بين سطح الجسم الصقيل وبين سطح الخط المتصل من الناظر فيظهر من الخطين أعنى الخط المتصل من الناظر إلى الجسم الصقيل والخط المرسوم على سطح الجسم زاويتان ، فإن كانتا قائمتين فانعكاس البصر ناكص على أعقابه ، وإن لم تكونا قائمتين فالتى تكون من طرف الناظر حادة والأخرى منفرجة ؛ فلو فرضنا خطا خارجا من النقطة المشتركة بين هذين الخطين مخالفا لجهة الناظر ويكون وضعه من هذا الجسم الصقيل كوضع خط الناظر ، فكل جسم كثيف وقع في طريق هذا الخط يراه الناظر وتسمى هذه الرؤية انعكاس البصر كما إذا رأى الإنسان في المرآة من كان خلفه أو على جانبيه أو كان فوقه أو تحته إذا كان بهذه الشرائط ، والله الموفق .

(المقدمة الثانية) إن المرآة الصغيرة لا يرى فيها شكل الأشياء كما هي ، بل يرى منها لونها كالشكل المربع والمثلث وأمثالها فإن شكلها لا يرى في المرآة الصغيرة بل يرى لونها كأحمر وأسود .

(المقدمة الثالثة) إن المرآة إذا كانت ملونة لا يرى فيها لون الأشياء كما هي ، بل ترى فيها مشوبة بلون المرآة كالكاפור في الشيء الأخضر فإنه يرى أبيض مشوبا بلون الخضرة وهكذا سائر الألوان .

(المقدمة الرابعة) إن ما يرى في المرآة لا حقيقة له في المرآة لأنه لو كان له في المرآة حقيقة لكان الناظر إذا انتقل إلى مكان آخر رأى ذلك الشيء فيه على وضعه ، وليس كذلك لأننا نرى شجرة في المرآة ثم إذا انتقلنا إلى جانب آخر نرى الشجرة في جانب غير ذلك الجانب . وما كان حقيقيا لا يتغير مكانه بسبب تغير مكان الناظر إليه فثبت أن ما يرى في المرآة لا حقيقة له بل هو من باب الخيال ، ومعنى الخيال في هذا المقام أن ترى صورة الشيء مع صورة غيره بتوهم أن إحداهما داخل في الأخرى ، ولا يكون في الحقيقة كذلك بل إحداهما ترى بواسطة الأخرى من غير ثبوتها فيها ، فإذا نظر الناظر في المرآة ، فكل جسم تكون نسبته إلى المرآة كنسبة الناظر على ما بيناه في انعكاس شعاع البصر يصير مرئيا . إذا عرفت هذه المقدمات فتقول وبالله التوفيق :

(أما الحالة) فتحادث من أجزاء ثقيلة صغيرة حدثت في الجو وأحاطت بغير رقيق لطيف لا يستر ما وراءه ، وانعكس من الأجزاء الثقيلة شعاع البصر إلى القمر لأن ضوء البصر وغيره إذا وقع على الصقيل ينعكس إلى الجسم الذى يكون وضعه من ذلك الصقيل كوضع المضيء منه إذ كانت جهته مخالفة لجهة المضيء ، فيرى ضوء القمر ولا يرى شكله ، لأن المرآة إذا كانت صغيرة لا يرى شكل المرئى فيها بل ضوءه فيؤدى كل واحد من تلك الأجزاء ضوء القمر فترى دائرة مضيئة وهي الحالة .

(وأما قوس قزح) فإنما يكون إذا حدثت في خلاف جهة الشمس أجزاء مائة شفافة صافية من نزول مطر وبخار، وكانت الشمس مكسوفة قريبة من الأفق المقابل، ووراء تلك الأجزاء جسم كثيف مثل جبل أو سحاب مظلم، وإذا استدير الناظر الشمس ونظر إلى تلك الأجزاء صارت الشمس في خلاف جهة الناظر فانعكس شعاع البصر من تلك الأجزاء إلى الشمس لكونها صقيلة فأدت ضوء الشمس دون الشكل لكونها أجزاء صغيرة فكل واحد يؤدي ضوء الشمس دون شكلها كما بينا، وسبب استدارة القوس وقوع الأشياء مستديرة بحيث جعلنا مركز جسم الشمس قطب دائرة على محيط فلحها لكانت تلك الأجزاء مسامتة لتلك الدائرة، وتختلف ألوان القوس بحسب تركيب لون المرآة ولون الشمس كما بينا فترى قسما مختلفة الألوان بعضها أحمر وبعضها أخضر وبعضها أرجواني وأغلب الأوقات لونها مركب من ثمانية وقد ترى في بعض الأوقات فيها أصفر أيضا، فلو لم يكن وراء الأجزاء الثقيلة التي حدثت بعد المطر أو البخار جسم كثيف لا يظهر قوس قزح لأن الأجزاء الشفافة ينفذ شعاع البصر فيها ولا ينعكس كالبلور إذا جعلته في مقابلة الشمس من غير أن يكون وراءه جسم كثيف ينعكس عنه شعاع البصر. قال بعضهم: سبب اختلاف ألوانها قربها من الشمس وبعدها فما يرى منها أحمر فإنه أقرب إلى الشمس وما يرى أصفر فإنه أبعد من الأحمر وما يرى أرجوانيا فبعيد عن الشمس ومخالط للظلمة وما يرى كميثا فركب من الصفرة والأرجواني والبنفسجي. وحكى الشيخ الرئيس أنه كان على الجبل الذي بين باورد وطرس وأنه أعلى الجبال وكانت السماء مكشوفة فقال: كنت في وسط الجبل بيني وبين الأرض سحاب رطب والشمس في وسط السماء فنظرت إلى السحاب الذي كان بيني وبين الأرض فرأيت دائرة نقية بلون قوس قزح فشرعت في النزول عن الجبل والدائرة تصغر فكلما نزلت رأيتها أصغر مما كانت قبل ذلك إلى أن وصلت إلى السحاب فاضمحلت:

(النظر الثالث: في كرة الماء) الماء جرم بسيط طباعه أن يكون بارداً رطبا شفافا متحركا إلى المكان الذي تحت كرة الهواء وفوق كرة الأرض، زعموا أن شكل الماء كروي لأن راكب البحر إذا قرب من جبل ظهر أعلاه أولا ثم أسفله مع أن البعد بينه وبين الأعلى أكثر مما بينه وبين الأسفل، ولو لم يكن للماء حدة تمنع من ذلك لما رأى أعلاه قبل أسفله لكن استدارة كرة الماء غير صحيحة، لأن الباري تعالى لما أراد أن يجعل الأرض مقرا للحيوان وحيوانات البر لا بد لها من الهواء للتنفس ومن الأرض للمقر فخلق جات قدرته الأرض ذات تضاريس خارجة من الماء بمنزلة خشونات تكون على ظاهر الكرة وذلك لا يقدح في أن يكون شكل الماء أو شكل الأرض كرويا، ثم إنه تعالى جعل التضاريس محلا للحيوانات البرية والوهاد للحيوانات المائية وكل واحد من الأركان في حيزه محيط

بالآخر إلا الماء فإنه منعمته العناية الإلهية عن الإحاطة بجميع جوانب الأرض لما ذكرته من الحكمة :

واعلم أن الماء عذب ومالح وكل واحد منهما له فائدة لا توجد في الآخر ، أما المالح فلوحته من الأجزاء الأرضية السبخة التي احترقت من تأثير الشمس واختلطت بالمياه وجعلتها مالحة ، فلو بقيت على عذوبتها لتغيرت من تأثير الشمس وكثرة الوقوف لأن من شأن الماء العذب أن ينتن من كثرة الوقوف وتأثير الشمس فيه ، ولو كان كذلك لسارت الرياح بنتنها إلى أطراف الأرض فأدى إلى فساد الهواء ويسمى ذلك طاعونا فصار ذلك سببا لهلاك الحيوان فاقنضت الحكمة أن يكون ماء البحر مالحا لدفع هذا الفساد . ومن فوائد الماء المالح الدر والعنبر وأنواع ما يؤتى به من البحر وسيأتى شرحها مفصلا إن شاء الله تعالى : والمياه المالحة في الحمأة فيها شفاء للأمراض الصعبة وماء زمزم صالح لجميع الأمراض المتفاوتة : قالوا : لو جمع جميع من داواه الأطباء لا يكون شطرا بمن عافاه الله تعالى يشرب ماء زمزم : وأمه العذب فمعظم فائدته الشرب وفيه قوة إذا نقعت فيه مطعوما كالزبيب مثلا يمس جميع حلاوتها حتى لا يترك فيها شيئا من الحلاوة ، وإذا خالط شيئا يأخذ طبعه ولونه فيصير عسلا وزيتا ونخلا ولبنا ودما يقبل جميع الألوان والطعوم ولا لون له ولا طعم : ومن عجيب لطف الله تعالى أن كل ما كول ومشروب يحتاج إلى تحصيل أو معالجة حتى يصلح للأكل إلا الماء فإن الله تعالى أكثر منه ولا حاجة إلى معالجته لعدم الحاجة إليه ؛ فإن الله تعالى كفى الخلق معالجة لإصلاح الماء بتأثير الشمس في مياه البحر وارتفاع البخار منها ، ثم إن الرياح تسوق ذلك البخار إلى المواضع التي شاء وينزلها مطرا ثم يجول ذلك في الأوشال والكهوف في جوف الجبال وتحت الأرض وتخرج منها شيئا بعد شيء ، وتجري الأنهار والأودية وتظهر من القنى والآبار بقدر ما يكفي العباد لعامهم ، فإذا جاء العام المقبل أتاهم مطر وهكذا مثل الدولاب يدور حتى يبلغ الكتاب أجله ، فسبحانه ما أعظم شأنه .

(فصل : في صيرورة البحر في جانب الأرض)

إن من عجيب صنع الله تعالى انحسار الماء عن وجه بعض الأرض ولولا ذلك لكان الأمر الطبيعي يقتضى أن يكون الماء لا بسا جميع وجه الأرض حتى تصير الأرض في وسطه شبيهة بمح البيض والماء حولها بمنزلة البياض ولو كان كذلك لبطل النظام الحسى والحكمة العجيبة التي مر ذكرها من خلق الحيوان والنبات ، فاقنضى التدبير الإلهي المخالفة بين مركز الأرض ومركز الشمس لتدور على مركزها الخاص الذي هو غير مركز الأرض ليقرب من ناحية من الأرض ويبعد من الأخرى فصارت الناحية القريبة منها تحمي ماءها ، ومن شأن الماء إذا حي أن ينجذب إلى الجهة التي يحمي فيها بالبخار فإذا انجذب إلى هناك انحسر

عن وجه الأرض من الجانب الذى يقابله من الشق الذى تبعد عنه الشمس، والشق الذى قربت منه الشمس هو الجنوب والشق الذى بعدت عنه هو الشمال، فصار جانب الجنوب بحرا وجانب الشمال ييساً لتم حكمته وينتظم أمر العالم على ماهو موجود وما نرى من البحار من مستنقعات على وجه الأرض، وسيأتى شرحها إن شاء الله تعالى .

(فصل : في أحوال عجيبة تعرض للبحار)

إن للبحار أحوالاً عجيبة من ارتفاع مياهها وهيجانها في أوقات مختلفة من الفصول الأربعة وأوائل الشهور وأواخرها وساعات الليل والنهار . أما ارتفاعها فزعموا أن الشمس إذا أثرت في مياهها لطفت وتحللت وملأت مكاناً أوسع مما كان فيه قبل فدافعت أجزاءها ببعضها بعضاً إلى الجهات الخمس : الشرق والغرب والجنوب والشمال والفوق فتكون على سواحلها في وقت واحد رياح مختلفة ، هذا ما ذكره في سبب ارتفاع مياهها : وأما مد بعض البحار في وقت طلوع القمر ، فزعموا أن في قعر البحر ضخورا صلدة وأحجارا صلبة ، وإذا أشرق القمر على سطح ذلك البحر وصلت مطارح أشعته إلى تلك الضخور والأحجار التي في قرارها ثم انعكست من هناك متراجعة فسخت تلك المياه وحيت ولطفت فطلبت مكاناً أوسع وتموجت إلى ساحلها ودفع بعضها بعضاً وفاضت على شواطئها وتراجعت المياه التي كانت تنصب إليها إلى خالف ، فلا تزال كذلك مادام القمر مرتفعاً إلى وسط سماءه فإذا أخذ ينحط سكن غليان تلك المياه وبردت تلك الأجزاء وغلظت ورجعت إلى قرارها وجرت الأنهار على عاداتها ، فلا يزال كذلك دائماً إلى أن يبلغ القمر إلى الأفق الغربي ثم يبتدىء المد على مثال عادته في الأفق الشرقي ، ولا يزال ذلك دائماً إلى أن يبلغ القمر إلى وتد الأرض وينتهى المد ، ثم إذا زال القمر عن وتد الأرض أخذ الماء راجعاً إلى أن يبلغ القمر إلى أفقه الشرقي هذا قولهم في مد البحار وجزرها : وأما هيجانها فكهيجان الأخلاط في الأبدان فإنك ترى صاحب الدم والصفراء وغيرهما يحتاج به الخلل ثم يسكن قليلاً قليلاً ، وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك بعبارة لطيفة فقال « إن الملك الموكل بالبحر يضع رجله بالبحر فيكون منه المد ثم يرفع فيكون منه الجزر » .

ولنذكر الآن هيئات البحار وبعض ما يتعلق بها من العجائب ، والله الموفق :

(البحر المحيط) هو البحر العظيم الذى منه مادة سائر البحار ولم يعرف ساحله يسميه اليونانيون أوقيانوس ، والبحار التي تراها على وجه الأرض هي بمنزلة الخالجان له، وفيها من الجزائر المسكونة والخربة مالا يعلمه إلا الله تعالى . قال أبو الريحان الخوارزمي رحمه الله تعالى : إن البحر الذى في مغرب العمورة على ساحل بلاد الأندلس يسمى البحر المحيط وتسميه اليونانيون أوقيانوس لا يولج فيه وإنما يسلك بالقرب من ساحله ، ويمتد من هذه

البلاد نحو الشمال فيخرج منه خليج نبطس عند اليونانيين وعند غيرهم بحر طرابرندة يمر عليه سور القسطنطينية ويتصايق حتى يقع في بحر الشام ، ثم يمتد نحو الشمال على محاذاة أرض الصقالبة ويخرج منه خليج عظيم في شمال الصقالبة يمتد إلى أرض قريبة من أرض بلغاره (البحر الأبيض) ينحرف نحو المشرق بين ساحله وبين أقصى أرض الترك أرضون وجبال مجهولة وخربة غير مسلوكة ، ثم يتشعب منه خايج من أعظم الحاجان يكون منه البحر الذي يسمى في كل موضع من الأرض التي تحاذيه باسمه فيكون أولا بحر الصين ثم بحر الهند ، ثم يخرج منه خليجان عظيمان أحدهما بحر فارس والآخر بحر القازم ، ثم ينتهي إلى بحر معروف ببحر البربر ويمتد من عدن إلى سقالة الزنج وهذا البحر لا يتجاوزه مركب لعظم المخاطرة ، ثم ينتهي إلى الجبال المعروفة بالقمر التي ينبع منها عيون نيل مصر ثم إلى أرض السودان المغرب ثم إلى بلاد الأندلس وبحر أوقيانوس ، وفي هذا البحر من الجزائر مالا يعرفه إلا الله تعالى . وأما ما وصل إليه الناس فكثير كل جزيرة من عشرين فرسخا إلى مائة فرسخ وإلى ألف فرسخ والمشهور منها جزيرة قبرص وجزيرة شامس وجزيرة رودس وجزيرة صقلية ، وفي جهة الجنوب جزائر الزنج وسرنديب وسقطر أو جزائر الدنيجات .

وأما بحر الخزر فإنه غير متصل بالمحيط ولا بشيء من البحار وهو مستدير إذا أراد السائر أن يطوف به على ساحله لا يمتعه شيء . وذكر السمرقندي في كتابه أن ذا القرنين أراد أن يعرف ساحل هذا البحر فبعث مركبا فيه وأمره بالمسير سنة كاملة لعل أن يأتي ببحر فسار المركب سنة كاملة ما رأى سوى سطح الماء ، وأراد الرجوع فقال بعضهم نسير شهرا آخر لعلنا نطلع على شيء نبيض به وجوهنا عند الملك ونقال الزاد والماء في الرجوع ، فساروا شهرا آخر فإذا هم بمركب فيه أناس فالتقى المركبان ولم يفهم أحدهما كلام الآخر فدفع قوم ذي القرنين إليهم امرأة وأخذوا منهم رجلا ورجعوا به وزوجوه امرأة منهم فأتت بولد يفهم كلام الوالدين ، فقالوا له : سل أبك من أين جئت ؟ فقال : من ذلك الجانب ، فقال : لأي شيء ؟ قال : بعثنا الملك لنعرف حال هذا الجانب ، فقيل له : وهل لكم ملك ؟ قال : نعم أعظم من هذا الملك ، والله أعلم بصحة هذا القول .

(بحر الصين) هو متصل بالبحر المحيط ، حده من المشرق إلى القازم ومنه إلى المغرب وليس على الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط ، ويقال له بحر المركند وهو كثير الموج عظيم الاضطراب بعيد العمق . قال البحريون : جميع المد والجزر في بحر المركند وما يتصل به كما في بحر فارس ، وكيفية أن القمر إذا بلغ مشرق البحر ابتداء بالمد ولا يزال كذلك إلى أن يبلغ القمر وسط سماء ذلك الموضع فعند ذلك ينتهي المد منتهاه ، فإذا انحط القمر عن وسط سماءه خنس الماء ورجع ، ولا يزال كذلك إلى أن يصل القمر مغرب ذلك الموضع ، فعند ذلك

ينتهي الجزر منتهاه ، فإذا زال القمر من مغرب ذلك ابتدر المد هناك مرة ثانية ولا يزال كذلك إلى أن يصل القمر إلى وتد الأرض فحينئذ ينتهي المد منتهاه ثانياً ويبتدىء الجزر مرة ثانية إلى أن يبلغ القمر أفق ذلك الموضع فيعود الحال المذكور مرة ثانية . قال أبو الريحان في كتابه المسمى [بالآثار الباقية] : إن بحر الصين إذا قرب هيجانه يستدل على ذلك بارتفاع السمك من قعره إلى وجه الماء ، وإذا دنا سكونه يبيض طائر مشهور في البر في مجمع القرى وهو طائر لا يصير إلى الأرض أبداً ولا يعرف غير بلحة البحر ، ووقت سكون البحر وقت يبيضه . وفي هذا البحر من الجزائر ما لا يحصى وفيه مغاص الدر في الماء العذب يقع فيه الحب الجيد، وفي بعض جزائره ينبت الذهب وفيه الحيوانات العجيبة الأشكال، وفيه الدرودور وهو الموضع الذي إذا وقعت السفينة فيه لا تخرج ، ولندكرها إن شاء الله تعالى .

(فصل : في جزائر بحر الصين)

جزائر هذا البحر كثيرة لا يعلمها إلا الله لكن بعضها مشهور يصل إليه الناس : منها جزيرة راتج وهي جزيرة كبيرة في حدود الصين أقصى بلاد الهند يملكها ملك يقال له المهراج . قال محمد بن زكريا : للمهراج جباية تقع في كل يوم مائتا من الذهب زنة كل من ستائة درهم يتخذ منها لبنا ويطرحه في الماء وخزانتة الماء . وقال ابن الفقيه : بها سكان شبه الآدميين إلا أن أخلاقهم بالوحش أشبه ولهم كلام لا يفهم وبها أشجار وهم يطيرون من شجرة إلى شجرة . قال : وبها نوع من النسائيس له أجنحة كأجنحة الخنافس مع أصل الأذن إلى الذنب ، وفيها وعول كالبقر الوحشية ألوانها حمرة منقطة ببياض وأذناها كأذنان الظباء ولحومها حامضة ، وبها دابة الزباد وهي شبه الحر يجلب منها الزباد ، وبها فأر المسك . وبها جبل يسمى النصان وهو جبل مشهور به حيات عظام منها ما يتلغ الفيل ، وبها قرودة بيض كأمثال الخواميس وأمثال الكباش ، ونوع آخر أبيض الصدر أسود الظهر . قال زكريا ابن يحيى بن خاقان : بجزيرة الراتج صنف من البيغاء بيض وحر وصفه يتكلم بأى لغة تكون ، وبها خلق على صورة الإنسان يتكلم بكلام لا يفهم يأكل ويشرب كالإنسان وهم بيض وسود وخضر ولها أجنحة تطير بها . وقال ابن بحر السيرافي : كنت بعض جزائر الراتج فرأيت وردا كثيراً أحمر وأصفر وأزرق وغير ذلك فأخذت ملاءة حمراء وجعلت فيها شيئاً من الورد الأزرق فلما أردت حملها رأيت نارا في الملاءة أحرقت جميع ما فيها من الورد ولم تحرق الملاءة ، فسألت الناس عنها؟ فقالوا : إن في هذا الورد منافع كثيرة ولا يمكن إخراجها من هذه الغيضة : قال محمد بن زكريا : من عجائب هذه الجزيرة شجر الكافور وهو عظيم جدا الشجرة تظل مائة إنسان وأكثر فيقرأ على الشجرة فيسيل ماء الكافور عدة جرار ،

ثم ينقر أسفل من ذلك وسط الشجرة فتنتثر منها قطع الكافور وهو صمغ تلك الشجرة فإذا أخذ منها ذلك يديست .

(ومنها) جزيرة رامني وفيها عجائب كثيرة . قال ابن الفقيه : فيها ناس حفاة عراة رجالا ونساء لا يعرف كلامهم ، مساكنهم رؤوس الأشجار وعلى أبدانهم شعور تغطي سواتهم وهم أمة لا يخصى عددها ما كلهم ثمار الأشجار ويستوحشون من الناس ، فإذا حمل أحد منهم إلى مواضع الناس لا يستقر وينفر إلى الغياض . وقال محمد بن زكريا الرازي : بجزيرة الرامني ناس عراة لا يفهم كلامهم لأنه شبه صغير ويستوحشون من الناس ، طول أحدهم أربعة أشبار وجوههم عليها زغب أحمر ويصعدون على الأشجار ، وبها شجر الكافور والخيزران والبقم ويفرس شجر البقم غرسا وحمله أشبه بالخرنوب وطعمه طعم العلقم .

قال محمد بن زكريا الرازي : بجزيرة الرامني الكركدن ، وهو حيوان على شكل الحمار العظيم جدا على رأسه قرن واحد معقف ، وقال أيضا : إن بها جواميس لا أذنان لها ، ومنها جزائر السلاهي وهي جزائر كثيرة من دخلها من الآدميين لا يخرج منها لكثرة خيرها ، وفيها ذهب كثير وبزاة شهب وشواهين . ومن العجائب ما حكى أن ملوك السلاهي بها دون ملك الصين ويزعمون أنهم إن لم يفعلوا ذلك قحطت بلادهم ولم يمطروا حكاها ابن الفقيه في كتابه .

(ومنها) جزيرة الواق واق تتصل بجزائر الراتيج والمسير إليها بالنجوم : قالوا : إنها ألفت وسبعائة جزيرة تملكها امرأة . قال موسى بن المبارك السيرافي : دخلت عليها فرأيتها على سرير عريانة وعلى رأسها تاج من ذهب وعندها أربعة آلاف وصيفة أبكارا : قالوا : إنما سميت بهذا الاسم لأن بها شجرا يسمع من يمر بها صوته كأنه يقول واق واق ، وأهلها يفهمون من هذا الصوت شيئا فيتطهرون منه . قال محمد بن زكريا : هي جزيرة كثيرة الذهب حتى إن أهلها يتخذون منس سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم من الذهب وبها شجر الأبنوس :

(ومنها) جزيرة البنان ، فيها قوم عراة ألوانهم بيض ولهم جمال وحسن صورة ، يأوون إلى رؤوس الجبال ويأكلون الناس ، ومن وراء ذلك جزيرتان عظيمتان طولاً وعرضاً فيهما قوم سود لهم خلق عادي ، أجسامهم عظيمة وشعورهم مغلغلة وجوههم طوال وقدم أحدهم مقدار ذراع ، ويأكلون الناس أيضا .

(ومنها) جزيرة أطوران وهي جزيرة كبيرة بها الكركدن ونوع من القروود كالحمير العظام وبها شجرة الكافور . ذكر أن مراكب الإسكندر وقعت في هذا البحر فوصلت إلى جزيرة فيها قوم على هيئة الإنسان رؤوسهم كرؤوس السباع فلما دنوا منهم غابوا عن أبصارهم :

(فصل : في الحيوانات العجيبة التي وجدت في هذا البحر)

(منها) أنه إذا كثرت أمواج هذا البحر ظهرت فيه أشخاص سود طول الواحد منهم أربعة أشبار كأنهم أولاد الحبشة فيصعدون المراكب من غير ضرر .

(ومنها) ما حكى التجار أنهم يرون في هذا البحر شبه طائر من نور لا يستطيع الناظر أن ينظر إليه لأنه يملأ بصره ، فإن ارتفع على أعلى الرقل يرون البحر يسكن والأمواج تهدأ ويكون ذلك دليل السلامة ، ثم إنه يفقد فلا يدرون كيف ذهب :

(ومنها) طائر يسمى خرشة أكبر من الحمام . قال في [تحفة الغرائب] إذا طار هذا الطائر يأتيه طائر آخر يقال له كركر يطير تحته ويتوقع وقوع ذرقه فإن غدا كركر تحته ذرق خرشة عليه وإنه لا يذرق إلا في طيرانه .

(ومنها) دابة المسك تخرج من الماء في كل سنة في وقت معلوم فتصاد وهي شبيهة بالظباء تدبح ويوجد في سرتها دم هو المسك ، ولا يوجد لها هناك رائحة حتى تحمل إلى غيرها من البلاد ؛ (ومنها) دابة تستوطن شيئاً من الجزائر هناك لها رؤوس كثيرة ووجوه مختلفة وأنياب مقلعة ولها جناحان تأكل دواب البحر .

(ومنها) سمكة تزيد على ثلثمائة ذراع يخاف على السفينة منها وتوجد عند جزيرة واق واق ، فإذا عرف القوم مرورها صاحوا وضربوا بالخشب لتهرب من أصواتهم فإذا رفعت جناحها يكون كالشرع .

(ومنها) سلاحف ، استدارة كل سلحفة عشرون ذراعاً تبيض كل واحدة ألف بيضة ، وهذا أيضا يوجد بقرية واق واق .

(ومنها) سمكة تسمى سيلان . قال صاحب [تحفة الغرائب] هذه السمكة تبقى على اليابس يومين حتى تموت ، فإذا جعلت في القدر وغطى رأسه تنضج ، وإن ترك رأس القدر مكشوفاً فإذا أثرت فيها النار طفرت وهربت ، وتختبئ في كل موضع كاهن عرس :

(ومنها) سمكة يقال لها الأطم وجهها كوجه الخنزير ولها فرج كفرج النساء ، ولها مكان للفلوس شعر وهو طبق من لحم وطبق من شحم .

(ومنها) نوع من السرطان يخرج من البحر يكون كالشبر وأصغر من ذلك وأكبر ، فإذا بانث عن الماء بسرعة حركة وطار إلى البر عادت حجراً وزالت عنها الحيوانية ، وقد دخل في أكحال العين وأدويتها وأمره مستفيض .

(ومنها) حيات عظيمة تخرج إلى البر وربما تبتلع الجاموس والفيل وتنطوي على صخرة أو شجرة فتكسر عظامها في بطنها فيسمع لكسر العظام صوت ، وفي هذا البحر مغاص اللبر دور ، فإذا وقعت السفينة دارت فيه ولم تكذب تخرج والملاحون يعرفون مكانه ويجتنبون عنه ؛

حكى بعض التجار قال : ركبنا هذا البحر في جمع من التجار فجاءتنا ريح عاصف . صرفت المركب عن طريق المقصد وكان معلم المركب شيخا حاذقا إلا أنه كان أعمى ، وكان يستصحب معه في السفينة شيئا كثيرا من الجبال وأصحابه ينكرون عليه ويقولون لو حملنا مكان الجبال أحمال التجارة لأصبنا خيرا كثيرا ، فاما أصابتنا الريح العاصف كان المعلم يقول لأصحابه انظروا ماذا ترون وهم يخبرونه بالحال إلى أن قالوا نرى طيرا أسود على وجه الماء ، فجعل يدعو بالويل والثبور وبضرب على رأسه ويقول هلكننا والله ، فسألناه عن سبب ذلك ؟ فقال سترون ما يغنيكم عن إخباري ، فما كان إلا يسير حتى وقعنا في الدردور ، والذي حسبناه طيرا أسود كانت مراكب فيها أناس موتى فبقينا حيارى وانقطع رجاؤنا عن الحياة وانتظرنا الموت ، فلما شاهد المعلم منا ذلك قال : يا قوم هل لكم أن تجعلوا لي شطر أموالكم على إخراجي إياكم من هذه الغمرة ؟ فقلنا رضينا بذلك ، فأمر بأخذ قنيتين مملوءتين من الدهن فأدلتنا في البحر فاجتمع عليهما من السمك ما لا يحصى ، ثم أمر بتشريح الموتى الذين كانوا في المراكب وشدها في الجبال التي كانت معه ورموها في البحر فأكلها السمك ، ثم أمر القوم بضرب الدف والأخشاب والصبياح والتصفيق فإذا المركب تحرك عن مكانه وجرى ، فلم يزل يفعل ذلك حتى خرجنا من الدردور ثم أمر بقطع الجبال فنجدنا سالمين بإذن الله تعالى .

(بحر الهند) هو أعظم البحار وأوسعها وأكثرها خيرا ولا يعلم أحد بكيفية اتصاله بالبحر المحيط لعظم اتصال الموضع وسعته ، وليس كالبحر الغربي فإن انفصال البحر الغربي عن المحيط ظاهر ، ويتشعب من الهندي خليجان وأعظمها بحر فارس والقلزم فالأخذ منه نحو الشمال بحر فارس والأخذ منه نحو الجنوب بحر الزنج . قال ابن الفقيه : بحر الهند حاله مخالف لبحر فارس لأن عند نزول الشمس الحوت وقربها من الاستواء الربيعي يبدأ بالظلمة وكثرة الأمواج فلا يركبه أحد لظلمته وصعوبته ولا يزال كذلك إلى قرب الاستواء الخريفي ، وأشد ما تكون ظلمته وصعوبته عند نزول الشمس في الجوزاء ، فإذا صارت الشمس إلى السنبله تقل ظلمته وتنقص أمواجه ويلين ظهره ويسهل ركوبه إلى أن تصير الشمس إلى الحوت وألين ما يكون عند نزول الشمس بالقوس ، وفي هذا البحر عجائب كثيرة من الجزائر والحيوان وغيرها فلندكر بعضها إن شاء الله تعالى .

(فصل : في جزائر هذا البحر)

قال بطليموس : إن في هذا البحر من الجزائر ما يزيد على عشرين ألف جزيرة وفيها من الأمم ما لا يحصى عددهم لكن المشهور منها ما يصل إليه أهل بلادنا :
(منها) جزيرة برطابيل وهي قريبة من جزيرة الراتج . قال ابن الفقيه : بها قوم وجوههم كالجان المطرقه وشعورهم كأذناب البزاذين وبها الكركدن وبها جبال يسمع منها بالليل صوت

الطبل والدف والصياح المزعج والصيحة المنكرة، والبحريون يقولون: إن الدجال فيها يخرج منها، وفي هذه الجزيرة يباع القرنفل وذلك أن التجار ينزلون عليها ويضعون بضاعتهم وأمتعتهم على الساحل ويعودون إلى مراكزهم ويبيتون فيها، فإذا أصبحوا جاءوا إلى أمتعتهم فيجدون إلى جانب كل بضاعة شيئاً من القرنفل فإن رضيته أخذه وترك البضاعة، وإن أخذ البضاعة والقرنفل لم تقدر مراكزهم على السير حتى يرد أحدهما إلى مكانه، وإن طلب أحدهم الزيادة ترك البضاعة والقرنفل فيزاد له فيه. وذكر بعض التجار أنه صعد هذه الجزيرة فرأى فيها قوما مردا صفرا وجوههم كوجوه الأتراك آذانهم مخروقة ولهم شعور على زى النساء فغابوا عن بصرهم، ثم إن التجار بعد ذلك أقاموا مدة يترددون إلى الساحل فلم يخرجوا إليهم شيئاً من القرنفل فعلموا أن ذلك سبب نظرهم إليهم ثم عادوا بعد سنين إلى ما كانوا عليه: وخاصية هذا القرنفل أنه إذا أكله الإنسان رطبا لا يهرم ولا يشيب شعره، ولباس هذه الأمة ورق شجرة يقال لها اللوف يأكلون ثمرتها ويتحفون بورقها، ويأكلون أيضا السمك والموز والنارجيل، ويصطادون من البحر حيوانا على شكل السرطان وهذا الحيوان إذا خرج إلى البر صار حجرا صلبا وهو مشهور يدخل في الأدوية التي تتعلق بالكحل. (ومنها) جزيرة السلامة، يجلب منها الصندل والنبيل والكافور، ويخرج إليها من البحر سمكة تصعد الأشجار وتأكل فواكهها وتمصها مصاً ثم تسقط كالسكران فيأثى الناس فيأخذونها. وقال في [تحفة الغرائب] بهذه الجزيرة عين فوارة يفور الماء منها وبقرها ثقبه ينزل فيها فما بقي من الرشاشات على أطرافها ينعقد حجراً صلباً فما كان من الرشاشات في النهار يصير حجراً أبيض وما كان في الليل يصير حجراً أسود،

(منها) جزيرة القصر وهي جزيرة فيها قصر أبيض يتراءى للمراكب فإذا شاهدوا ذلك تباشروا بالسلامة والربح والفائدة. ذكروا أنه قصر مرتفع شاهق لا يدرى ما في داخله، وكان بعض الملوك سار إليها فدخل القصر باتباعه فغلبهم النوم وخذرت أجسامهم فلم يتقدروا على الحركة فبادر بعضهم إلى المراكب وهلك الباقون:

(ومنها) أن أصحاب ذى القرنين رأوا في بعض الجزائر أمة رؤوسهم رؤوس الكلاب وأنيابهم خارجة من أفواههم مثل لمبيب النار خرجوا إلى المراكب وطار بهم فرأوا نوراً بعيداً ساطعاً فإذا هو قصر من البلور تخرج منه هذه الأمة، فأراد ذو القرنين النزول عليهم ودخول القصر فنعه بهرام الفيلسوف وقال: من نزل هذا القصر يغلبه النوم والغشى ولا يستطيع الخروج فتظفر به هذه الأمة.

(ومنها) الجزائر الثلاث. قال صاحب [تحفة الغرائب]: هي ثلاث جزائر إحداها يجنب الأخرى. في إحداها تبرق السماء طول الليل. وفي الثانية تهب ريح شديدة. وفي الثالثة تمطر السحاب، ولا تزال كذلك من سنة إلى سنة أخرى.

(ومنها) جزيرة حارة بها جبل عليه نار عظيمة بالليل ترى من بعد بعيد وبالنهار دخان ولا يقدر أحد على الدنو منها وبها العود والموز والنارجيل وقصب السكر وسكانها قوم شقر على صورة الناس إلا أن وجوههم على صدورهم .
(ومنها) سمكة كبيرة معروفة عندهم يكتب الكتاب برطوبتها لايبين على الكاغد شيء فإذا كان الليل يظهر على الكاغد كتابة واضحة ويكتب برطوبتها من أراد أن لا يطلع على مكتوبه أحد :

(ومنها) سمكة خضراء رأسها كراس الحية من أكل منها اعتصم من الطعام أياما .
(ومنها) سمكة مدورة يقال لها مارماهى على ظهرها شبه عمود محدد الرأس لا تقوم لها في البحر سمكة إلا تضربها بذلك العمود وتقتلها .
واعلم أن في البحر حيوانات كثيرة ذوات صور شتى وليس في ذكرها فائدة فالاعتصار على البعض أولى ، وقد قيل : حدث عن البحر ولا حرج .
وأما الحيوانات المائية المشهورة فنذكرها إن شاء الله تعالى .

(بحر فارس) هو شعبة من بحر الهند الأعظم من أعظم شعبها ، وهو بحر مبارك كثير الخير لم يزل ظهره مزكوبا ، واضطرابه وهيجانه أقل من سائر البحار :

قال محمد بن زكريا : سئل عبد الغفار الشامي البحري عن مد البحار وجزرها فقال : لا يكون المد والجزر في البحر الأعظم في السنة إلا مرتين مرة بمد في شهور الصيف شرقا بالشمال ستة أشهر ، فإذا كان ذلك طما الماء في مغارب البحر وانحسر عن مشارقه . أما بحر فارس فإنه يكون على مطالع القمر وكذلك بحر الصين والهند وبحر طرابزنده ، فإن القمر إذا صار في أفق من آفاق هذا البحر أخذ المد مقبلا مع القمر ، ولا يزال كذلك إلى أن يصير القمر إلى وسط سماء ذلك الموضع فيجزر الماء ، ولا يزال راجعا إلى أن يبلغ القمر مغربه ، فعند ذلك يكون قد انتهى الجزر إلى منتهاه ، فإذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ابتداء المد هناك مرة ثانية إلا أنه أضعف من الأولى ، ثم لا يزال كذلك إلى أن يصير القمر إلى وتد الأرض فحينئذ انتهى المد إلى منتهاه في المرة الثانية في ذلك الموضع ثم يبتدىء بالجزر والرجوع ، ولا يزال كذلك حتى يبلغ القمر أفق مشرق ذلك الموضع فيعود الماء على مثل ما كان عليه أولا ، ولهذا البحر مد آخر بحسب امتلاء القمر ونقصانه ، فإذا كان أول الشهر أخذ الماء في الزيادة ويزداد كل يوم إلى منتصف الشهر فعند ذلك بلغ المد منتهاه ، ثم يأخذ في النقصان وينقص كل يوم إلى آخر الشهر ، فعند ذلك بلغ الجزر منتهاه ، ثم يعود إلى ما كان أولا ويأخذ في المد . قال ابن الفقيه : بحر فارس وإن كان متصلا ببحر الهند إلا أن حالهما مختلف في السكون والاضطراب لأن بحر فارس تكثر أمواجه ويصعب ركوبه عند لين بحر الهند وسكونه ،

وكذلك بحر الهند تكثر أمواجه عندسكون بحر فارس ، فأول ما تبدو صعوبة بحر فارس عند نزول الشمس ببرج السنبله قريبة من الاستواء الخريفي ، ولا يزال يزداد في كل يوم اضطرابه حتى تصير الشمس في الحوت ، وأصعب ما يكون آخر الخريف عند نزول الشمس القوس ، فإذا قربت من الاستواء الربيعي يعود إلى السكون ، وأسهل ما يكون ظهره آخر الربيع حال نزول الشمس الجوزاء .

قال أبو عبد الله الحسيني : خصص الله تعالى بحر فارس بمزيد الخيرات والفوائد والعجائب فإن فيه المد والجزر وغزارة الماء ، فإن الماء فيه من سبعين ذراعاً إلى ثمانين ، وفيه مغاص اللؤلؤ الجيد البالغ الذي لا يوجد مثله في شيء من البحار ، وفي جزائره معدن العقيق وأنواع اليواقيت والسبذاج ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الطيب والأفاويه ، وفيه الدرودور أيضاً الذي لا ينجو منه شيء من المراكب إذا وقع فيه إلا ما شاء الله ، وفيه عوير وكسير وهما موضعان قلما يسلم منهما مركب ، وفيه حيوانات عجيبة الأشكال والصور وسيأتي ذكر بعضها إن شاء الله تعالى .

(ومنها) جزيرة ليكالكوس . أهلها عراة وطعامها الموز والسملك الطرى والنارجيل وأموالهم الحديد يتعاملون عليه وتأتي التجار ويعاملونهم في الحر ويتحاون بالحديد كما يتحلى الناس بالذهب ، (ومنها) جزيرة التنين ، وهي جزيرة واسعة عامرة وفيها جبال وأشجار وعلى حصونها سور عال يظهر به تين عظيم ، فاستغاث أهلها بالإسكندر وذكروا أن التنين أتلف مواشيتهم وأنهم يأخذون له كل يوم ثورين وينصبونهما قريباً من موضعه فيقبل كالسحابة السوداء وعيناه تتقدان كالبرق الخاطف والنار تخرج من فيه فيبلغ الثورين ويعود إلى موضعه ؛ فاعلم الإسكندر ذلك أمر بإحضار الثورين فسلخهما وحشا جاودهما زفتا وكبريتا وكلسا وزنيخا وجعل مع ذلك كلاليب من حديد وجعلهما في ذلك المكان ، فخرج التنين وابتلعهما فاضطربت أحشاؤه في جوفه وتعلقت الكلاليب بأحشائه فانتظره الناس في اليوم الآخر فما وجدوا له أثراً فذهبوا إليه فإذا هو ميت فاتح فاه ، ففرح الناس بموته وشكروا سعي الإسكندر وحملوا إليه هدايا عجيبة : ومن جملتها دابة عجيبة يقال لها المهرج مثل الأرنب أصفر اللون وعلى رأسها قرن واحد أسود لم يرها شيء من السباع إلا هرب ، والله أعلم .

(فصل : في حيوانات هذا البحر)

قال صاحب عجائب الأخبار : في هذا البحر طائر يقال له فنون وهو مكرم لأبويه ؛ وذلك أن هذا الطائر إذا كبر وعجز عن القيام بأمر نفسه اجتمع عليه فرخان من فراخه يحملانه على ظهرهما إلى مكان وبينان له عشاً وطيباً ويتعاهدانه بالماء والعلف : ذكروا أن الله تعالى أكرم هذا الطائر بأن سخر له البحر فإنه إذا باض سكن البحر أربع عشرة ليلة

حتى تخرج فراخه في هذه المدة اليسيرة ، والبحريون يتبركون به فإذا كان أول سكون البحر علموا أن هذا الطائر قد باض .

(ومنها) سمكة وجهها كوجه الإنسان وبدنها كبदन السمك وعلى وجهها نقط وتظهر على وجه الماء ، ومنها سمكة تطفو على وجه الماء فإذا رأت حيوانا مفتوح الفم تدخل في فمه وتصير غذاءه ذكره صاحب [تحفة الغرائب] :

(ومنها) حيوان يطلع من الماء ويرتفع والنار تخرج من منخره وتخرج ما حول مراته ، فإذا رأوا الأرض المحترقة عرفوا أنها مراتع ذلك الحيوان ذكره صاحب [تحفة الغرائب] .

(ومنها) سمكة طيارة تطير ليلا وتأكل الحشيش طول الليل فإذا كان قبل طلوع الشمس عادت إلى البحر .

(فصل : في جزائر هذا البحر)

اعلم أن أكثر جزائر هذا البحر مسكونة معمورة يأتيها الرجال :

(منها) جزيرة خارك، بها معادن اللؤلؤ : ذكر البحريون أن صدف الدر لا يوجد إلا في بحر تصب فيه الأنهار العذبة ، فإذا أتى وقت الربيع يكثر هبوب الرياح وارتفاع الأمواج فتحمل رشاشات من بحر أوقياس ، وفيه ماء شبيه بالزئبق لزج مثل الغراء فيتولد منه الدربان تقع تلك الرشاشات في محل الصدف فيلقمه الصدف كما يلقم الرحم المنى فربما وقعت فيه قطرة كبيرة فتتعقد دراً كبيراً وربما تقع رشاشات فتتعقد منها أجزاء صغار كما نرى في أكثر الأصداف ، ثم إن الصدفة إذا التقت المطر خرجت من قعر الماء إلى ظاهره عند هبوب الشمال وطلوع الشمس وغروبها ولا تخرج في وسط النهار فإن شدة حرارة الشمس ووجهها تفسد الدر ، فإذا خرجت فتحت فاما ليقع الشمال على الدر فيتعقد من الأثر الشمال وحرارة الشمس ويتكون في الصدف كما يتكون الجنين في الرحم ، ثم إن جوف الصدف إن كان خالياً من الماء المرّ يكرن الدر كدرا أو أصغر غير مهندم ، وإذا تم الدر في الصدف ينتقل الصدف إلى موضع صلب وتثبت عروقه فيه ويكون عند الناس خيراً من وصول قفل الصدف فإذا انتقل إلى أرض البحرين يهتق الناس بعضهم بعضاً بوصول قفل الصدف ، والغواص إذا نزل لإخراجه يقلعه من الأرض بالقوة ، فما أخرج في وقته يبقى طرياً صقيلاً وما أخرج قبل وقته أو بعده لا يبقى كذلك بل يتغير لونه ، والله الموفق .

(ومنها) جزيرة جاشك وهي بقرب جزيرة قيس ، لأهلها خبرة وصبر على الحركة في الماء فإن الرجل منهم يسبح في الماء أياماً كثيرة وهو يجالذ بالسيف كما يجالذ غيره على وجه الأرض ، وغير أهل هذه الجزيرة يعجز عن ذلك . وسنغ من غير واحد أن بعض ملوك

الهند أهدي إلى بعضهم جوارى هنديات في مراكب فوق شيء من تلك المراكب إلى هذه الجزيرة فخرج الجوارى يتفسمحن في الجزيرة فاختنطفتهن الجن واقترستن فولدت هؤلاء الذين بها فلذلك فيهم من الجلادة ما يعجز عنها غيرهم .

(ومنها) جزيرة كندولاولودي ، وأنا شك في هذه الجزيرة في بحر فارس أظن أنها في غيره ، وقد ذكر بجمع من العمانيين والسرافيين أن العنبر ينبت في قعر هذا البحر كما ينبت القطن في الأرض فإذا اشتد اضطراب البحر قذفه البحر فلذلك يرى قطعاً ، وربما أكل منه السمك الكبير فيموت ويطفو على الماء فإذا اجتاز به أصحاب المراكب جذبوه بالكلايب والحبال إلى الساحل وأخذوا العنبر من بطنه ، والله أعلم .

(فصل : في ذكر بعض الحيوانات العجيبة في هذا البحر)

(منها) نوع من السمك يطفو على وجه الماء وسبب طفوه هيجان البحر ويعرفه البحريون . قال أبو الريحان في الآثار الباقية : في اليوم الثالث عشر من كانون الثاني يضطرب البحر إلى فارس وإلى الإسكندرية ويبقى أياماً يتعظمط وتشتد أمواجه ويتكدر هواؤه وتكثر ظلمته . ذكروا أنه يقع في قعره ريح تهيج البحر ، ويستدل على ذلك بنوع من السمك يظهر فيه وظهوره إنذار بتحرك الرياح في قعره وربما يتقدم بيوم .

(ومنها) الأسبور وهو نوع من السمك يأتي بالبصرة في وقت معين يعرفه أهل البصرة ، ويبقى مقدار شهرين وبعده لا توجد هناك واحدة من هذا النوع .

(ومنها) الجراف وهو أيضاً نوع من السمك ووصفه مثل وصف الأسبور .

(ومنها) البرستوح : قال البحريون : إن البرستوح يقبل من بلاد الزنج يستعذب ماء دجلة البصرة ، ويعرف هذا النوع بأرض الزنج ثم يعود ما فضل من صيد الناس إلى مكانه ، ولا يوجد هذا النوع فيما بين البصرة والزنج إلا في أوان مجيئه فإذا انقضى أوانها لا يوجد فيه واحد . وذكر البحريون أن البرستوح في الوقت الذي يوجد في البصرة لا يوجد بالزنج ، وفي الوقت الذي يوجد في الزنج لا يوجد في البصرة وحاله كحال الخطاطيف وغيرها من الطيور ينتقل من موضع إلى موضع ، فسبحان من ألهم كل حيوان ما فيه مصالح نفسه .

(ومنها) الكوسج ، وهو نوع من السمك شر من الأسد في الماء يقطع الحيوان بأسنانه كما يقطع السيف الماضي ورأيته ، وهو سمك مقدار ذراع أو ذراعين وأسنانه كأسنان الإنسان ينفر الحيوان منه ، وإذا أدرك سمكة كبيرة قطعها ، وإذا أدرك آدمياً قتله أو قطع يده أو رجله ، فإنه نائبة عظيمة في هذا البحر وله وقت معين يكثر فيه بدجلة البصرة .

(ومنها) حيوان يعرف بالثنين شر من الكوسج في فمه أنياب مثل أسنة الرماح ، وهو حلويل مثل النخلة ، وهو أحمر العينين مثل الدم كربه المنظر جداً يفر منه الكوسج وغيره .

(ومنها) سمكة خضراء اللون أطول من ذراع لها خرطوم عظمى أقصر من ذراع يشبه منشارا يكون كلا حديه أسنانا يضرب بها الحيوان فيجرحه ، ومن هذا النوع في بحر الحياطة كثير رأيتم يصطادونه ويبيعونه مقلبا في السوق هناك .

(ومنها) سمكة مدورة ذنبها أطول من ثلاثة أذرع وعلى وسط ذنبها شوكة معقفة شبه كلاب وهي سلاحها تضرب بها ، وهي نمراء بياضا في غاية البياض ونقط سوادها في غاية السواد ولها منخزان على ظهرها وفم على بطنها وفرج كفرج النساء والبحر لانهى عجائبه ، وفي هذا القدر كفاية ، والله الموفق .

(ولنختم) عجائب هذا البحر بحكاية عجيبة من دردوره أوردتها صاحب كتاب [عجائب البحر] في كتابه . قال : حدثني رجل من أصفهان أنه ركبته ديون ونفقة عيال عجز عنها فقارق أصفهان ودارت به الدوائر حتى ركب البحر مع بعض التجار ، قال : فطالمت بنا الأمواج حتى جعلنا في دردور بحر فارس المشهور ، فاجتمع التجار إلى المعلم وقالوا : هل تعرف لأمرنا مخلصا ؟ فقال المعلم : يا قوم إن هذا دردور لا يتخلص منه مركب إلا ما شاء الله تعالى ، فإذا سمح أحدكم بنفسه لأصحابه وأنا أبذل جهدي لعل الله يخلصنا ، فقلت أنا : يا قوم كلنا في معرض الهلاك وأنا رجل شئت من الشقاء وكنت أتمنى الموت ، وكان في السفينة جمع من الأصفهانيين ، فقلت لهم : احلفوا إنكم تقضون ديوني وتحسنون إلى أولادي وأنا أفديكم بنفسى ، فأجابوا إلى ذلك فقلت للمعلم : ماذا تأمرني ؟ فقال : أن تقف على هذه الجزيرة ، وكان بقرب الدردور جزيرة مسيرة ثلاثة أيام بلياليها ولا تفت عن ضرب هذا الدهل ، فقلت لهم : أفعل ذلك ، فحلفوا لي أيما مغلظة على ما شرطت عليهم وأعطوني من الماء والزاد ما يكفيني أياما وأنا على طرف الجزيرة ، فذهبت ووقفت وشرعت في ضرب الدهل فرأيت المياه تحركت وجرت المركب وأنا أنظر إليه حتى غاب عن بصرى . قال : فلما غاب عنى المركب جعلت أتردد في الجزيرة فإذا أنا بشجرة عظيمة لم أر أعظم منها وعليها شبه سطح غليظ فلما كان آخر النهار أحسست بهدة شديدة ، فإذا طائر لم أر حيوانا أعظم منه جاء ووقع على سطح تلك الشجرة فاخففت منه خوف أن يصطادني إلى أن بدأ ضوء الصباح فنفض جناحيه وطار ، فلما كانت الليلة الثانية جاء ووقع على عشه وكنت أيضا آيسا من حياتي ورضيت بالهلاك ودنوت منه فلم يتعرض لي بشيء وطار مصيحا ، فلما كانت الليلة الثالثة قعدت عنده من غير دهشة إلى أن نفص جناحيه عند الفجر فتمسكت برجله فطار أسرع طيران إلى أن ارتفع النهار فنظرت نحو الأرض فما رأيت سوى لجة البحر فكدت أترك رجله من شدة ما نالني من التعب فحملت نفسي على الصبر إلى أن نظرت نحو الأرض فرأيت القرى والعمارات ، فدنا من الأرض وتركني على صبرة تبغ في بيدل لبعض

القرى والناس ينظرون إلى ثم طار نحو الهواء وغاب عني ، فاجتمع الناس إلى وحملوني إلى رئيسهم فأحضر لي رجلا يفهم كلامي ، فقالوا لي : من أنت ؟ فحدثتهم بحديثي كله ، فتعجبوا مني وتبركوا بي وأمر الرئيس لي بمال فبقيت عندهم أياما ، فشيت يوماً إلى طرف البحر أتفرج فإذا قد وصل مركب أصحابي ، فلما رأوني أسرعوا إلى سائلين عن حالي ، فقلت لهم : يا قوم إنى بذلت نفسي لله تعالى فأنقذني بطريق عجيب وجعلني آية للناس ورزقني المال وأوصلني إلى المقصد قبلكم ، فهذه حكاية عجيبة وإن كانت غير بعيدة من لطف الله تعالى .

(بحر القلزم) هو شعبة من بحر الهند جنوبي بلاد البربر والحبشة ، وعلى ساحله الشرقي بلاد العرب وعلى الغربي اليمن . والقلزم اسم مدينة على ساحله سمي البحر بها . وأما حديث هيجانه ومدته وجزره فكما في بحر الهند فلا نعيده وهو البحر الذي أغرق الله تعالى فيه فرعون لعنه الله وجنوده . قالوا كان بين البحر وأرض اليمن جبل يحول الماء عنها وامتداده في أرض اليمن وكان بين البحر واليمن مسافة ، فقد بعض الماوك ذلك الجبل بالمعاول ليدخل منه خليجا يهلك بعض أعدائه فقطع من الجبل غلوتي سهم وأطلق البحر في أراضي اليمن فطفأ الماء وأهلك أمما كثيرة واستولى على بلاد كثيرة وصار بحراً عظيماً وصل إلى بلاد اليمن وجدة وجاوى وينبع ومدينة شعيب عليه السلام وأيلة إلى القلزم .

(فصل : في جزأره)

وأكثرها لاملوكة ولا مسكونة

(مئها) جزيرة ثارات وهي قريبة من أيلة يسكنها قوم يقال لهم بنو جدان معاشهم السمك وليس لهم زرع ولا ضرع ولا ماء عذب ، وبيوتهم السفن المكسرة يسألون الماء والخبز ممن يمر بهم في الدهر الطويل ، وعندهم دواراة ماء في سفح جبل إذا وقع الريح على دورته انقسمت إلى قسمين وتاتي المركب بين شعبتين متقابلتين فتخرج الريح من كليهما فيثور البحر على كل سفينة تقع في تلك الدورات باختلاف الريحين فتقلب ولا تسلم ، ومقدار طولها ستة أميال . قيل هذا الموضع الذي غرق فيه فرعون بجنوده لعنه الله .

(ومنها) الحسامية وفيها دابة تتجسس الأخبار وتأتي بها الدجال . روى الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهيرة وقام خطيباً وقال : إنى لم أجمعكم لرغبة ولا لرهبة ولكن لحديث حدثنيتم الدارى . حدثني أن نفرأمن قومه أقبلوا في البحر فأصابهم ريح عاصف ألجأهم إلى جزيرة فإذا هم بدابة قالوا لها : من أنت ؟ قالت : أنا الحسامية قالوا : أخبرينا الخبر ؟ قالت : إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير فإن فيه رجلا بالأشواق إليكم ، قال : فأثناه فقال : من أنتم ؟ فأخبرناه ، فقال : ما فاعلت بحيرة طبرية ؟ فلنا : تدفق بين

أجوافها ، قال : فما فعلت نخل عمان ؟ قلنا : يجتنيها أهلها ، قال : فما فعلت عين زعر ؟ قلنا : يشرب منها أهلها ؟ فقال : لو يبست أنقذت من وثاق فوطئت بقدمي كل منهل إلا مكة والمدينة ، (ومنها) جبل المغناطيس ، وهو جبل في هذا البحر يوجد فيه المغناطيس الذي يجذب الحديد ، والمراكب المستعملة في هذا البحر لا يعمل فيها شيء من الحديد خوفاً من أن يجذبها المغناطيس .

(فصل : في حيوان هذا البحر)

أما الحيوانات التي توجد في غيره فلا نعيدها . والتي توجد في هذا البحر : (منها) سمكة عظيمة تضرب السفينة بذنها فتغرقها طولها مائتا ذراع يخاف علي المراكب منها خوفاً شديداً .

(ومنها) سمكة مقدار ذراع بدنها بدن السمكة ووجهها وجه البوم . (ومنها) سمكة طولها عشرون ذراعاً وظهرها ذبل الجيد وأنها تلد وترضع ، وفيه سمكة كخلفة البقر تلد وترضع ، والله الموفق .

(بحر الزنج) وهو بحر الهند يعينه وبلاد الزنج منه في جانب الجنوب بجانب سهيل . ومن ركب هذا البحر يرى القطب الجنوبي وسهيلا ولا يرى القطب الشمالي وبنات نعش أبداً ، وأقصى هذا البحر يتصل بالبحر المحيط وموج هذا البحر عظيم كالجبال الشواهي ونفخه يرتفع كالأطواد الشوامخ وينخفض ، وماؤه يحفظ ليكون من الأدوية ولا ينكسر موجه ولا يظهر منه زبد كما يكون لسائر البحار ، وفيه جزائر كثيرة ذات أشجار وغيابض ولكنها ذات ثمار وإنما هي نحو شجر الأبنوس والصندل والساج والقنا والعنبر يلتقط من سواحله فرما توجد قطعة كتل عظيم :

(ولندكر) شيئاً من جزأره وحيوانه :

(منها) الجزيرة المحترقة ، وهي جزيرة واغلة في هذا البحر قلما يصل إليها من بلادنا أخذ : حكى بعض التجار قال : ركبت هذا البحر فدارت بي الدوائر حتى حصلت في هذه الجزيرة فرأيت فيها خلقاً كثيراً وبقيت بها زماناً واستأنست بهم وتعلمت لغتهم ، فإذا الناس في بعض الأيام مجتمعون ينظرون إلى كوكب طلع من أفقهم ، ثم شرعوا في البكاء والعويل وقالوا : إن الكوكب يطلع في كل ثلاثين مرة فإذا وصل إلى سمت رعوسنا يحرق ما في هذه الجزيرة فتأهبوا للنقل في المراكب ، فلما دنا الكوكب من سمت رعوسهم ركبوا فيها وأخذوا معهم ماخف من التماس فركبت معهم فغبنا عنها مدة ، فلما علموا أن الكوكب زال عن سمت رعوسهم عادوا إليها فوجدوا جميع ما كان فيها رماداً فشرعوا في استئناف العمارة . (ومنها) جزيرة الضوضاء ، وهي جزيرة مما يلي بلاد الزنج . وحكى بعض التجار أن

بهذه الحريرة مدينة من حجر أبيض يشع منها ضوء ولا ساكن بها من البشر ، وربما دخلها البحريون وشربوا من مائها فوجدوه حلوا طيبا فيه رائحة الكافور ويقولون : كنا نعرف منتهاها غير أن بقربها جبالا عظيمة تنوقد منها بالليل نار عظيمة ، وذكر أن في حوالها حياة تظهر في كل سنة مرة فيحتال ملوك الزنج في أخذها فإذا أخذوها يطبخونها ويتخذون من جلدها فراشا يجلس عليه صاحب السل يأمن من غائلته ويوجد ذلك في خزائن الملوك .

(ومنها) جزائر العور . حكى يعقوب بن إسحاق السراج قال : رأيت رجلا من أهل رومية قال : ركبت هذا البحر فألتفتي الريح إلى بعض الجزائر فوصلت بها إلى مدينة أهلها ناس قامتهم قدر ذراع وأكثرهم عور ، فاجتمع عليّ جمع منهم وساقوني إلى ملكهم فأمر بحبسني فجعلوني في شبه قفص فكسرتة فأمنوني فرأيتهم في بعض الأيام يتأهبون للقتال وقالوا : لنا عدو يأتينا وهذا أوان يجيئه فلم نلبث أن طلعت عليهم عصابة من الغرائق ، وكان عور نفر من الغرائق أعينهم فأخذت عصا وشدت عابها فطارت وذهبت فأكرموني . وذكر أرسطاطاليس في كتاب [الحيوان] أن الغرائق تنتقل من خراسان إلى ناحية مصر حيث يسيل ماء النيل فتقاتل هناك رجلا وقامتهم قدر ذراع .

(ومنها) جزيرة سكسار حكى يعقوب بن إسحاق السراج قال : رأيت رجلا في بعض الأسفار في وجهه خموش فسألته عن ذلك ؟ فقال : ركبت البحر فأقمنا الريح إلى جزيرة لم نستطع أن نبرح عنها فأتى قوم وجوههم كوجوه الكلاب وسائر أبدانهم كأبدان الناس فسبق إلينا واحد منهم بعضا ووقف الآخرون ، فساقنا إلى منازلهم فرأينا هناك الجمال والسيقان وأذرع الناس فأدخلونا بيتا رأيت فيه إنسانا فجعلوا يأتوننا بالفواكه والمأكول ، فقال ذلك الرجل : يطعمونكم لتسمنوا ومن سمن منكم أكلوه . قال : فكنت أقلل للمأكول حتى لا أسمن وكل من سمن من أصحابي أكلوه حتى بقيت أنا وذلك الرجل لأني كنت هزيلا والرجل عريلا ، فقال ذلك الرجل : إنهم قد حضر لهم عيد يخرجون كلهم إليه ثلاثة أيام فإن أردت النجاة فانج بنفسك وأما أنا فقد ذهبت رجلا لا يمكنني الهرب . واعلم أنهم أسرع شيء طلبا وأشد استنشاقا وأعرف بالأثر إلا من دخل تحت شجرة كذا فإنهم لا يطلّبونه ولا يقدرّون عليه . قال : فكنت أسير ليلا وأكمن نهارا ، فلما رجعوا وتفقدوني جعلوا يقصون أثرى فأدركوني وكنت تحت الشجرة فانقطعوا عني ، فلما أمنت منهم جعلت أسير في تلك الجزيرة إذ رفعت لى أشجار كثيرة فانتهيت إليها فإذا بها من كل الفواكه وتحتها رجال أحسن صورة فقعدت إليهم لأفهم كلامهم ولا يفهمون كلامي ، فبينما أنا جالس معهم إذ دنا إلى واحد منهم ووضع يده على عاتقي فإذا هو جالس على رقبتى ثم لوى رجليه عليّ فأنهضني فجعلت أعالجه لأطرحه عن رقبتى فمخمشني في وجهي وسخرني كما يسخر أحدكم مركوبه

فجعلت أدور على الأشجار وهو يقطع ثمارها ويرى بها أصحابه وهم يضحكون ، فبينما أسير به في وسط الأشجار إذ أصاب عينيه بعض عيدان الأشجار فعمى فعصرت له شيئا من العنب ثم قلت له اكرع فكرع فتحللت رجلاه فرميته وبقى أثر الحموش في وجهي ، والله الموفق .

(فصل : في حيوان هذا البحر)

(منها) المنشار . قال بعض التجار : إنها سمكة مثل الجبل العظيم ، ومن رأسها إلى ذنبها مثل أسنان المنشار من عظام سود مثل الأبنوس كل سن منها في رؤية العين مقدار ذراعين ، وعند رأسها عظامان طويلان كل عظم مقدار عشرة أذرع ، وكانت تضرب بالعظمين البحر يمينا وشمالا فيسمع صوته صوتا هزيبا . قال : وكنا نرى الماء يخرج من فيها وأنفها ويصعد إلى السماء وتصل إلينا رشاشاته مثل المطر وبيننا وبينها مسافة بعيدة ، وهذه السمكة تقطع السفينة إذا عبرت من تحتها أو خرجت عليها فإذا رأى أصحاب المركب هذه السمكة يضحجون إلى الله تعالى حتى يدفعها عنهم مكرمة .

(ومنها) سمكة تعرف باليال طولها أربعائة ذراع إلى خمسمائة ذراع فيظهر في بعض الأوقات طرف من جناحه يكون كالشراع العظيم ويظهر رأسه وينفخ فيه الماء فيذهب الماء في الجو أكثر من غلوتين ، والمراكب تفرع منها ليلا ونهاراً فإذا أحسوا بها ضربوا بالبدادب وضجوا حتى تنفر وإنها تحشو بذنبها وأجنحتها السمك إلى فيها ، فإذا بغت على حيوان البحر بعث الله سمكة نحو الذراع تدعى اللشك تلتصق بأذنانها ولا خلاص للبال منها فتطلب قعر البحر وتضرب الأرض بنفسها حتى تموت وتطفو فوق الماء كالجبل العظيم ، وربما يقذف البحر عند اشتداده قطعاً من العنبر كالتلال فيأكلها اليال فيقيئها فتطفو فوق الماء ، ولها أناس يرصدونها في المراكب من الزنج ، فإذا أحسوا بذلك طرحوا فيها الكلايب وجذبوها إلى الساحل ويشقون بطنها ويستخرجون العنبر منها ، فما يكون في بطنها يكون شهكا تعرفه التجار والطارون بالعراق وفارس والهند ، وما يكون في ظهرها يكون جيدا نقيا ، والله الموفق .

(بحر المغرب) هو من بحر الشام وبحر قسطنطينية ، مأخذه من البحر المحيط ثم يمتد مشرقاً فيمر بشمالى أندلس ثم ببلاد الفرنج إلى قسطنطينية ، ويمتد من جهة الجنوب إلى بلاد أولها سلام ثم سبتة وطنجة إلى طرابلس والإسكندرية ثم سواحل الشام إلى أنطاكية وفيه الجزائر العظيمة كجزائر الأندلس وغيرها . وذكر في كتاب [أخبار مصر] أنه بعد هلاك الفراعنة كان ملوك بني دلوك في شق البحر المحيط من المغرب وهو بحر الظلمات فغلب على كثير من البلدان العامرة والممالك العظيمة ، وامتد إلى الشام وبلاد الروم وصار حاجزا بين بلاد

مصر والروم وهو الخليج الذي في زماننا هذا على أحد ساحليه المسلمون وعلى الآخر النصرارى من الفرنج ، وهناك مجمع البحرين وهما بحر الروم والمغرب وعرضه ثلاثة فراسخ وطوله خمسة وعشرون فرسخا وفيه يظهر المد والجزر في كل يوم وليلة أربع مرات ، وذلك في البحر الأسود وهو بحر المغرب عند طلوع الشمس يعلو فيصب في مجمع البحرين حتى يدخل في بحر الروم وهو البحر الأخضر إلى وقت الزوال ، فإذا زالت الشمس غاص البحر الأسود وانصب فيه الماء من البحر الأخضر إلى مغرب الشمس ثم يفيض الماء الأخضر ويعلو البحر الأسود إلى نصف الليل ثم يفيض البحر الأسود وانصباب الماء من البحر الأخضر إلى طلوع الشمس ، وفي هذا البحر من الجزائر والحيوانات ما يعجب منه فلنذكر بعضها إن شاء الله تعالى .

(فصل : في جزأره)

ذكر أبو حامد الأندلسي في كتابه الذي ألفه للوزير ابن هبيرة : أن مجمع التراب جزيرة فيها منارة مبنية من الصخر الصلب لا يعمل فيها الحديد شيئا ولها أساس راسخ وليس للمنارة باب ، وعلى رأس المنارة صورة لإنسان ملتحف بثوب كأنه من ذهب يده اليمنى ممدودة إلى البحر الأسود يشير بأصبع إلى شيء ، وعلو المنارة أكثر من مائة ذراع . وقال غيره : إن تلك الصورة طلسم عمله بعض الملوك صيانة لذلك الموضع من إتيان العدو ولأنه مأمون مادام ذلك الطلسم باقيا .

(ومنها جزيرة تيس) وهي في بحر الروم . وذكر أبو حامد الأندلسي : أنها جزيرة عظيمة فيها مدن وقرى كثيرة ، من عجائبها أنه يخرج إليها في كل يوم طير يصطادونه ويبقى أياما ثم ينقطع ذلك النوع ويظهر نوع آخر ويبقى أياما وهكذا أبدا ، ويتم مائة ونيفا وثلاثين نوعا وأسماها مكتوبة رأيت في نقل ذلك سامة .

(ومنها جزيرة) ذكرها صاحب الغرائب . قال : إن في بحر الروم جزيرة كثيرة الأشجار والأزهار ، من شم شيئا منها نام في شاعته .

(ومنها) ما ذكره أبو حامد الأندلسي : من أن على البحر الأسود من ناحية أندلس جبل عليه كنيسة من الصخر منقورة في الجبل وعليها قبة عظيمة وعلى القبة غراب لا يبرح من أعلى القبة وفي مقابلة القبة وهي كشيء مسجد يزوره الناس ويقولون إن الدعاء فيه مستجاب ، وقد شرط على القسيسين ضيافة من زار المسجد من المسلمين ، فإذا قدم زائر أدخل الغراب رأسه في روزنة على تلك القبة ويصيح ، وإذا قدم اثنان صاح صيحتين وهكذا كلما وصل زائر أو زوار صاح على عددهم فيخرج الرهبان بطعام يكفي الزائر ، وتعرف الكنيسة بكنيسة الغراب ، وزعم القسيسون أنهم ما زالوا يرون غرابا على تلك الكنيسة ولا يدرون من أين مأكله .

(ومنها جزيرة مالطة) قال أبو حامد الأندلسي : رأيت في بحر الروم هذه الجزيرة مملوءة من الغنم الجبلية مثل الجراد المنتشر لا يمكنها الفرار من الناس ليكثرها ، فإذا وصلت المراكب إليها أخذت منها ما شاء الله وهي أغنام سمان كبار نعاج وحملان ، وليس فيها غير الغنم . وفيها أشجار وعشب كثير ، وهي على طريق الإسكندرية في البحر تقصدها السفن من كل جانب ، وظني أنه لو حملت كل سفينة في ذلك البحر منها لا تفي الغنم .
(ومنها جزيرة الدير) ذكر البحريون أنها بقرب قسطنطينية ، وهي دير ينكشف عنه الماء في كل سنة يوماً واحداً يحجها أهل تلك النواحي وينتظرون ذلك اليوم ويوزرون الدير ويحملون إليها الهدايا ، حتى إذا كان ذلك اليوم ينكشف عنه الماء فيبقى ظاهراً إلى وقت العصر ثم يأخذ الماء في الازدياد ويغطيها إلى العام القابل ، والله الموفق .

(فصل في الحيوانات العجيبة في هذا البحر)

حكى عبد الرحمن بن هارون المغربي . قال : ركبنا هذا البحر فوصلنا إلى موضع يقال له البطرون وكان معنا غلام صقلي معه صنارة فألقاها في البحر فصاد بها سمكة نحو البشر فنظرنا فإذا خلف أذنها اليمنى مكتوب لا إله إلا الله وفي قفاها محمد وخلف أذنها اليسرى رسول الله : (ومنها) ما حكى أبو حامد . قال : رأيت ملاحاً غاص في بحر الروم فأنكشف عن سنام جبل وعليه نارنج أحمر كأنه قطف الآن من شجرة فظننت أنها سقطت من بعض السفن فقبضت على واحدة منها فإذا هي حيوان التصق بالحجر لم أقدر على قلعه فرمت قطعه بالسكين فلم تعمل فيه السكين ، وليس له عين ولا رأس وفه في موضع العرجون فكنت ألق الثوب عليه وأجره بقوتي فيخرج من فمه مائية كاللعاب ، وهو لين محبب شديد الحرارة لا يغادر من النارنج شيئاً فإذا تركته كان يفتح فاه ويتحرك كأنه يتنفس .

(ومنها) ما ذكر صاحب [تحفة الغرائب] أن في بحر المغرب طائراً يقال له الماروز طائر مبارك يتبرك به أصحاب المراكب يبيض عند سكون البحر على الساحل فإذا رأوا بيضه عرفوا أن البحر يسكن ، وهذا الطائر إذا كانت المراكب قريبة من مكان مخوف يأتي ويظير قدام المركب ويصعد وينزل كأنه يخبرهم بالخوف حتى يدبروا أمرهم والملاحون يعرفونه ، والله الموفق :

(ومنها الشيخ اليهودي) قال أبو حامد : حيوان وجهه كوجه الإنسان واه لحية بيضاء وبدنه على شبه بدن الضفدع وشعره كشعر البقر ، وهو في حجم عجل يخرج من البحر ليلة السبت إلى البر حتى تغيب الشمس ليلة الأحد فإذا غابت الشمس ليلة الأحد وثب كما يثب الضفدع وبدخل الماء فلا تلحقه السفن ذكروا أن جلده إذا وضع على النقرس أزال وجعه في الحال ، والله الموفق .

(ومنها سمكة تعرف بالبغل) قال أبو حامد الأندلسي : رأيت بمجمع البحرين سمكة مثل جبل عظيم صاحت صيحة ما سمعت أهول منها يكاد القلب ينشق منها فاضطرب الماء منها وكثرت الأمواج حتى خفنا الغرق . قال البحرينيون : إنها سمكة يقال لها البغل هربت من السمكة الكبيرة ، وذلك أن السمكة تتبعها لتأكلها في بحر الظلمات فتفتقر منها وتعبر في مجمع البحرين إلى بحر الروم ، وتأتي السمكة الكبرى خلفها لتعبر في مجمع البحرين فلا يمكنها لعظمتها هكذا ذكر أهل ذلك الموضع يعني مجمع البحرين .

(ومنها حوت موسى ويوشع عليهما السلام) قال أبو حامد الأندلسي : رأيت سمكة بقرب مدينة سبته وهي نسل الحوت المشوي الذي أكل موسى ويوشع نصفه فأحيا الله النصف الآخر فاتخذ في البحر عجبا ولها نسل في البحر إلى الآن في ذلك الموضع وهي سمكة طولها أكثر من ذراع وعرضها شبر واحد في أحد جنبيها شوك وعظم وجلدها رقيق ملتصق على أحشائها ورأسها نصف رأس ، فمن رآها هكذا استقدرها ويحسب أنها مأكولة ميتة ونصفها الآخر صحيح والناس يتبركون بها ويهدونها إلى المحتشمين ويشويها اليهود ويقددونها ويحملونها إلى الأماكن البعيدة .

(ومنها سمكة بلغارية كأنها قلنسوة بلغارية) قال أبو حامد الأندلسي : رأيتها في جوفها شبه المصارين ولا رأس لها ولا عين ولها مرارة كمرارة البقر سوداء فإذا اصطادها أحد تحركت فيسود الماء الذي حولها مثل الخبز وأظن ذلك السواد من تلك المرارة فإذا وقعت في الشبكة يبقى ما حولها أسود جدا فيؤخذ من الماء ويكتب به أحسن من كل مداد لا ينمحي وله سواد وبريق .
(ومنها) سمكة ذكر أبو حامد أنها تقطع قطعاً وهي تتحرك وربما قلبت القدر إذا أرادوا طبخها فيها ولا يسكن اضطرابها حتى تصير نضجاً وهي سمكة لحمها طيب الطعم جداً .
(ومنها سمكة تعرف بالخطاف) قال أبو حامد : ولها جناحان على ظهرها أسودان وإنما تخرج من الماء وتطير في الهواء وتعود إلى البحر .

(ومنها سمكة تعرف بالمنارة) ترمي نفسها على السفينة فتسكنها ويعرفها أهلها فإذا أحسن الناس بها ضربوا بالطشوت والبوقات لتبعد عنهم ، وهي محنة عظيمة في البحر .
(ومنها سمكة كبيرة) إذا نقص الماء بقيت على الطين ولا تزال تضطرب إلى ست ساعات ثم تنسلخ من شدة اضطرابها وقوة تأملها فيظهر لها جناحان من تحت جلدها فتطير وتتحول إلى البحر . ذكرها أبو حامد والتنانين في هذا البحر كثيرة وأكثر ما يكون عند طرابلس واللاذقية والجبل الأقرع من أعمال أنطاكية ، وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى .

(بحر الخزر) هو البحر الذي في جهة الشمال على شرفه جرجان وطبرستان وفي شماله بلاد الخزر وفي غربيه جبال العقيق وفي جنوبيه الجبل والديلم ، وهو بحر عظيم واسع لا اتصال له بشئ من البحار على وجه الأرض فلو أن رجلاً طاف حوله رجع إلى مكانه الذي ابتداء

منه ، وهو بحر صعب المسلك سريع المهلك كثير الاضطراب شديد الأمواج لا مد فيه ولا جزر ولا يرتفع منه شئ* من اللآلى والجواهر ، وجزأره غير مسكونة ولكن في جزأره غياض مياه وأشجار وليس فيها أنيس : قالوا : إن دوران هذا البحر ألف وخمسمائة فرسخ وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل ، وهو مدور الشكل فلنذكر شيئا من جزأره وبحاره :
(فصل : في جزأره وبحاره)

(ومنها) ما ذكره أبو حامد ، قال : رأيت في هذا البحر جبلا من طين أسود كالقير والبحر محيط به وفي سنام ذلك الجبل شق طويل يخرج منه الماء ، ويوجد في ذلك الماء سناج الدائق من الصفر ، وربما يكون أكبر أو أصغر يحملها الناس إلى الآفاق للتعجب .

(ومنها) جزيرة الحيات . قال أبو حامد : إنها بقرب الجبل الذي ذكر وهي جزيرة امتلأت من الحيات وفيها حشيش كثير والحيات في وسطها لا يقدر أحد أن يضع رجله على الأرض لكثرة ما فيها من الحيات الملتفة بعضها على بعض ، وفيها طيور كثيرة والحيات لا تتعرض لبيض الطيور وفرادها رأيت الناس يأخذون بأيديهم العصي ويزيلون الحيات بها عن مكان أقدامهم ويمشون بين الحيات ، ويأخذون بيض الطيور وفرادها والحيات لا تؤذي أحدا منهم .

(ومنها جزيرة الجن) وهي جزيرة ليس بها أنيس ولا شئ* من الوحوش وتسمع أصوات كأنهم يقولون غلب الجن عليها ولا يجسر أحد أن يقربها ، والله أعلم :

(ومنها جزيرة الغنم) قال سلام الترجمان رسول الخليفة إلى ملك الخزر : وهي جزيرة ما بين الخزر والبلغار فيها من الأغنام الجبلية مثل الجراد لا يمكنها الفرار لكثرتها وما رأيت في تلك الجزيرة حيوانا غيرها ، وفيها عيون وحشيش وأشجار كثيرة فسبحان من لا تحصى نعمه :

(فصل : في حيوان هذا البحر)

ذكر أبو حامد الأندلسي في كتاب [العجائب] الذي ألفه للوزير ابن هبيرة عن سلام الترجمان رسول الخليفة إلى ملك الخزر . قال : أقت عند ملك الخزر أياما ورأيت أنهم اصطادوا سمكة عظيمة جدا وجذبوها بالحبال فانفتحت أذن السمكة وخرجت منها جارية بيضاء حمراء طريفة الشعر حسنة الصورة فأخرجوها إلى البر وهي تضرب وجهها وتنشف شعرها وتصيح ، وقد خلق الله تعالى في وسطها نشاء كالثوب الصفيق من سرتها إلى ركبها كأنه لزار مشدود على وسطها فأسكروها حتى ماتت :

(ومنها التنين العظيم) ذكروا أنه يرتفع من هذا البحر تنين عظيم شبه السحاب الأسود والناس ينظرون إليه ، زعموا أنها دابة تؤذي دواب البحر فيبعث الله إليه سحابا يخرجها من البحر ويحتمله وهو على صورة حية سوداء لا يمر ذنبها على شئ من شجر أو بناء عظيم إلا هدمته ،

وربما تنفس فتحرق الشجر فيلقبها إلى يأجوج ومأجوج وتكون لهم غذاء : وعن ابن عباس رضى الله عنه نحو هذا .

(ولنختم) هذا الفصل بحكاية عجيبة : وهو أن كسرى أنوشروان لما فرغ من سد بليخ وأحكمه سر بذلك سرورا شديدا وأمر بنصب سريره على السدورقي على السرير وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يارب الأرباب أنت أهتمنى سد هذا الثغر وقمع العدو فأحسن الموهبة إلى وعزنى وسجد سجدة أطالها ، ثم استوى على فراشه واستلقى وقال : الآن استرحمت يعنى من سطوة الخزر ومقاساة الترك ثم أغنى فطلع طالع من البحر سد الأفق بطوله وارفعت معه غمامة سدت الضوء فتبادرت الأساوره إليه ، فانتبه أنوشروان وقال : ما شأنكم ؟ قالوا الذى ترى ، فقال : أمسكوا عن سلاحكم لم يكن الله عز وجل يلهمنى الشغل اثني عشر عاما وستة أشهر وتهده بهيمة من بهائم البحر ، ففتحى الأساوره وأقبل الطالع نحو السد حتى علاه ، ثم قال : أيها الملك أنا من سكان البحر رأيت هذا الثغر مسدودا سبع مرات فأوحى الله تعالى أن ملكا عصره عصرك وصورته صورتك يسد هذا الثغر فينسد أبدا وأنت ذلك الملك فأحسن الله معونتك ثم غاب عن البصر كأنه طار في الجو أو غاص في الماء ، والله الموفق .

(القول في حيوان الماء)

حيوان الماء على قسمين : منه ما ليس له رثة كأنواع السمك فإنه لا يعيش إلا في الماء ومنه ما له رثة كالضفدع فإنه يجمع بين الماء والهواء ، فأما التي لا تعيش إلا في الماء فلا حاجة لها إلى استنشاق الهواء لأن البارئ تعالى لما خلقها في الماء جعل حياتها منه وجعلها على طبيعة الماء وركب أبدانها تركيبا بحيث يصل إليها برد الماء وروح الحرارة الغريزية التي في بدنها وينوب عن استنشاق الهواء فلذلك تراها لا صوت لها لفقد الرثة التي لا حاجة لها إليها . والحكمة الإلهية اقتضت أن يكون لسكل حيوان أعضاء كثيرة مختلفة وكل حيوان يكون أنقص فهو أقل حاجة ثم اقتضت أن لسكل حيوان أعضاء مشاكلة لبدنه ومفاصل مناسبة لحركاته وجاودا صالحة لوقايته فجعل أبدان حيوان الماء إما صدفية صلبة لا يعمل فيها الشيء الخاد أو فلوسية أو ماشاكلهما غطاء ووقاية من العاهات العارضة ، وجعل لبعضها أجنحة وأذنا تسبح بها في الماء كما يطير الطير في الهواء ، وجعل بعضها آكلا وبعضها مأكولا وجعل نسل المأكول أكثر لبقاء أشخاصها ، فسبحانه ما أعظم شأنه .

(ولنذكر) بعض حيوان الماء وعجائبه وخواصه على ترتيب حروف المعجم ، والله أعلم

بالصواب .

(أرنب البحر) هو حيوان رأسه كراس الأرنب وبدنه كبदन السمك. وقال الشيخ الرئيس ابن سينا: هو حيوان صدفى إلى الحمرة، ما بين أجزائه شبيه بورق الأشنان بنى الكلف والبهق، ورأسه تحرق لتثبت الشعر في داء الثعلب سيما مع شحم الدب.

(إليس) نوع من السمك عظيم جدا وحيوانات الماء كلها تصطاد إلا هذه السمكة. من خواصه أنه لو شوى وأطعم شخصان منه وكان بينهما خصومة شديدة تبدلت بالحبّة. (إنسان الماء) يشبه الإنسان إلا أن له ذنبا، وقد جاء شخص بواحد منه في زماننا في بغداد فعرضه على الناس وشكله على ما ذكرناه، وقد ذكر أنه في بحر الشام ببعض الأوقات يطلع من الماء إلى الحاضر إنسان ذو لحية بيضاء يسمونه شيخ البحر ويبقى أياما ثم ينزل فإذا رآه الناس يستبشرون بالخصب. وحكى أن بعض المنوك حمل إليه إنسان مائى. فأراد الملك أن يعرف حاله فزوجته امرأة فجاء منها ولد يفهم كلام الأبوين، فقيل لولد ما ذا يقول أبوك؟ قال: يقول أذناب الحيوانات كلها على أسافلها ما بال هؤلاء أذنابهم على وجوههم.

(بقرة الماء) زعموا أنه حيوان يطلع إلى البر للرعى روثه عنبر والله أعلم بصحته فإن الناس ذهبوا إلى أن العنبر ينبت في قعر البحر كالقير والنفط، فإن كان صحيحا فروث هذا الحيوان ينفع الدماغ والحواس والقلب، والله أعلم.

(بال) نوع من السمك عظيم يأكل العنبر فيموت، وقد ذكرناه في بحر الزنج فلا نعيده وفي دماغه دهن كثير ويستعملونه لإشعاع السرج.

(تمساح) هو حيوان على صورة الضب من أعجب حيوان الماء له فم واسع وستون ناباً في فكاه الأعلى وأربعون ناباً في فكاه الأسفل، وبين كل نابين سن صغير مربع يدخل بعضه في بعض عند الانطباق، ولسان طويل، وظهره كظهر السحلفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنبل طويل رأسه ذراعان وغاية طوله ثمانية أذرع يحرك فكاه الأعلى عند المضغ بخلاف سائر الحيوانات، ولا يقدر أن يلتوى ولا أن ينقبض لأنه ليس لظهره خرزات بل ظهره قطعة واحدة، وهو كربه المنظر جدا كثير العدوان يلتقم الآدمى والشاة ويقتل الخيل والجمال ولا يوجد إلا في النيل ونهر السند، وإذا رأى إنساناً على طرف الماء يمشى تحت الماء إلى أن يقرب منه ثم يثب وثبة واحدة يأخذه ويبيض كالطيور ويشم من بيضه رائحة المسك، وزبله يخرج من فيه إذا لم ينفذ له، وإذا أكل يبتى في خلال أسنانه شيء يتولد منه الدود فيخرج من الماء ويفتح فاه مستقبل الشمس فيأتيه طائر مثل الطيور ويدخل فاه ويلتقط ما في خلال أسنانه، فإذا رأى صياداً رفررف وصاح وأخبر التمساح حتى يرجع إلى الماء فإذا أحس التمساح أنه تقى خلال أسنانه أطبق فاه على الطائر ليأكله، وقد خاق الله تعالى على رأس ذلك الطائر عظما أحد من الإبرة فيضرب به حنك التمساح فيرفع حنكه فيطير

الطائر، وإذا انقلب التمساح لم يستطيع أن يتحرك ، وإذا أراد السفاد خرج من النيل وأثناءه معه فيبقى الأثني على ظهرها فإذا قضى وطره قابها فإن تركها صيدت فإنها لا تقدر أن تنقلب،
(فصل : في خواص أجزائه)

زعموا أن عينه تشد على صاحبه الرمد يسكن وجعه في الحال النيمي على النيمي واليسرى على اليسرى، وسنه الأيمن تعاق على الإنسان يزيد في الباه وأول سن من جانب فكك الأيسر يشد على صاحب القشعريرة تذهب في الحال ، ومرارته يكتحل بها تزيل بياض العين ، وشحمه يجعل ضماداً على عضته فإنه نافع في الحال ، وكبدته يدهن به المصروع يزول ما به وزيله يزيل بياض العين اكتحالا ، وجلده يشد على جبهة الكباش يغلب الكباش في النطاح.
(تين) حيوان عظيم الحلقة هائل المنظر طويل الجثة عريضها كبير الرأس براق العينين واسع الفم والجوف ، كثير الأسنان يبلغ من الحيوان كثيراً يخافه حيوان البر والبحر، إذا تحرك بموج البحر لكثرة قوته : والتنين أول أمره يكون حية متمردة تأكل من دواب البر ما ترى فإذا عظم فساده يبعث الله تعالى ملكاً يحتملها ويلقبها في البحر فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعله بدواب البر ويعظم جسمها فيبعث الله تعالى ملكاً فيحملها ويلقبها إلى يأجوج ومأجوج . وروى عن بعضهم : أنه رأى تينياً سقط فوجد طوله نحو الفرسخين ، ولونه مثل لون النمر مفلساً كفلوس السمك ، وله جناحان عظيمان على هيئة جناح السمك ، ورأس مثل التل العظيم كرأس الإنسان ، وأذنان طويلان وعينان مدورتان كبيرتان جدأ ، ويتشعب من عنقه ستة أعناق طوال كل عنق نحو عشرين ذراعاً على أكل عنق رأس كرأس الحية :

(أما خاصية أجزائه) فزعموا أن أكل لحمه يورث الشجاعة ، ولحمه يوضع على عصبه ينفع نفعاً بديناً ، ودمه إذا طلى به على الذكر وجامع تحصل للمرأة لذة عظيمة :
(جرتى) هو الذى يقال له مارماهى ، متولد من الحية والسمك : قال الجاحظ : إنه يأكل الجرذان وهو آكل لها من السنانير ، وذلك أن جرذان السنانير تخرج بالليل إلى شارع البصرة للماء، والجرى قد يكن لها واضعاً فاه على الشرعة فإذا دنا الجرذان إلى الماء التقمها، ومرارته يسعط بها الفرس المجنون يذهب جنونه . ولحمه يجود الصوت وينفع قصبه الرثة ، وإذا تضمد به أخرج السلاء من أعماق اللحم ، وأكله يزيد في الباه سيما الطرى .
(جلسكا) نوع منه يشبه المارماهى يخرج من البرك والعنسى لطلب الغذاء ، وإذا ذبح لا يخرج منه دم ، وعظمه رخو يأكل مع لحمه ، ولحمه يسمن النساء إذا أكل وهو نعم العلاج لذلك :

(دلفين) حيوان مبارك إذا رآه أصحاب المركب استبشروا ، وذلك أنه إذا رأى غريقاً

في البحر ساقه نحو الساحل وربما دخل تحته وحمله وربما جعل ذنبه في يده ويمشي به إلى الساحل وقيل له جناحان طويلان فإذا رأى المركب تسير بقلوعها رفع جناحيه تشبيهاً بالمركب وينادي وإذا رأى الغريق قصده :

(رعاد) سمكة صغيرة مخدرة جدا إذا وقعت في الشبكة والصيد ماسك حبل الشبكة يرتعد من برودة هذه السمكة، والصيدون يعرفون ذلك فإذا أحسوا به شدوا حبل الشبكة في وتد أو شجرة حتى يموت فإذا مات بطلت خاصيته ، وأطباء الهند يستعملونه في الأمراض الشديدة الحار، وأما في غير بلاد الهند فلا يمكن استعماله . وقال ابن سينا : الرعاد إذا قرب من رأس المصروع وهو حي أخذره عن الحس ، وإذا علقت المرأة منه شيئاً على نفسها لم يقدر زوجها على فراقها، والله الموفق.

(دامور) سمكة مباركة يجها البحريون والصيدون إذا رأوها في الشبكة أطلقوها ، زعموا أن هذه السمكة تحب الإنسان، وإذا رأت مركبا في البحر تمشي قدماه كالمدليل ، وإذا قصد السفينة شيء من الحيات الكبار تدخل في أذنها وتشغلها عن السفينة بتحريك دماغها فالسمكة العظيمة تطلب حجراً وتضرب رأسها عليه حتى تموت فإذا ماتت خرجت من دماغها :

(سرطان) هو حيوان لا رأس له وعينه على قفاه وفمه على صدره وله ثمانية أرجل يمشي على أحد جانبيه وفي كل سنة يستقط جلدته سبع مرات ، ولما كانه بابان أحدهما إلى الماء والآخر إلى اليابس فإذا انسلخ جلدته يسد الباب الذي في الماء لئلا يدخل بيته شيء من حيوانات الماء في حال ضعفه وعجزه ويترك الباب الذي على اليابس مفتوحاً ليهب الهواء منه ، وإذا كثرت وقوع الهواء عليه يصاب جلدته ويعود إلى حاله فحينئذ ينتح باب الماء ويخرج منه لطلب معاشه : وزعموا أنه إذا وجد سرطان ميت في حفرة مستلقياً على ظهره في أرض أو قرية تأمن تلك البقعة من الآفات السماوية ، وإذا علق على الأشجار يكثر ثمرها وما عليها من الثمار يبق ، ويذبح السرطان ويوضع على الجراحات تخرج النصول والشوك وينفع من لسع الحيات والعقارب ، وإذا أحرقت وشرب نفع من عضه الكلب، وإذا اكتحل به نفع من بياض العين ونزول الماء، وإذا أحرقت وطلى به يجلو الأسنان، ورماده يوضع على العضو ويخرج منه النصل والشوك . قال ابن سينا : لحمه صالح للمسلولين جداً سيما بلبن الأنثى وينفع من نهش العقارب والرتلاء ، وعينه تشد على النائم يرى منامات صالحة ، وإن كان به رمد زال عنه ، وعينه إن علقنا على شجرة لم يسقط ثمرها ، وشوكه يدخل به تحت ذيل صاحب حمى الربيع ويكرر ذلك سبع مرات يبرأ ، ورجله يعلق على صاحب الخنازير مع الكافور والعنبر يدفع عنه الخنازير ، وإذا علق رجل السرطان على أحد لم تعرض له الخنازير ما دامت عليه :

(شرطان البحر) هو حيوان عجيب الشكل كأنه خمس حيات برأس واحد ، إذا أحرق بعظامه وسحق جلا البهق والكلف والأسنان ، وينفخ في عيون الدواب يزبل عنها البياض العارض ، ويكتحل به مع الكحل يزبل الظفر : وقال ابن سينا : محرقة يملو الأسنان ويجفف القروح وينفع من الجرب .

(سمنقور) قال ابن سينا : إنه ورل مائي بصطاد من نيل مصر . وقال غيره : إنه من نسل التمساح إذا وضع خارج الماء فما قصد الماء صار تمساحا وما قصد البر صار سمنقورا ، وذكروا أنه إذا عض إنسانا غسل الإنسان معضه بريقه ، فإن كان قبل عود السمك إلى الماء مات السمك ، وإن كان بعد عوده إلى الماء مات الإنسان ، وله قضبان كما للضب : لحمه إذا أكل هيج قوة الباه ، وكلما كان جسمه أكبر كانت خاصية لحمه أقوى ، وشحمه يهيج الباه تهيجا لا يسكن إلا بحسو مرق الخس والعدس ، وخرزته الوسطى التي في صلبه إذا علقها الإنسان على صلبه هيجت به الباه .

(سلحفاة) حيوان برى وبحرى : أما البحري فقد يكون عظيما جدا حتى تظن أصحاب المراكب أنه جزيرة . وحكى بعض التجار قال : وجدنا في وسط البحر جزيرة مرتفعة عن الماء فيها نبات أخضر ، فخرجنا إليها وحفرنا للطبخ إذ تحركت الجزيرة فقال الملاحون : هلموا إلى مكانكم فإنها سلحفاة أصابها حرارة النار لثلاثا تنزل بكم ، قال : وكان من عظم جسمها ماشابه جزيرة ، واجتمع التراب على ظهرها بطول الزمان حتى صار كالأرض ونبت : قالوا : إذا أراد الذكر السفاد والأنثى لا تطاوعه يأتي الذكر بحشيشة في فمه . من خاصيتها أن حاملها يكون مقضى الحاجة فعند ذلك تطاوعه الأنثى ، وهي حشيشة تسميها العجم مهركياء لكن الناس لا يعرفونها ، وإذا باضت صرفت همها إلى بيضها محاذية له ولا تزال كذلك حتى يخلق الله الولد فيها إذ لا بد لها أن تحضن البيض حتى يدرك بحرارتها فإن أسفلها صلب لحرارة فيه ، وربما تقبض السلحفاة على ذنب الحية وتمضغ من ذنبها والحية تضرب بنفسها على ظهر السلحفاة حتى تموت . قال بليناس الحكيم : إذا قلبت السلحفاة على ظهرها في مكان فيه البرد لا يقع في ذلك المكان من البرد ضرر . أما خواص أجزائها : فعينها تشد على صاحب الرمدي برأ ، وقالوا : كل عضو من أعضاء السلحفاة إذا شد على مثله من أعضاء الإنسان وكان وجعا أبرأه ، ورجلها تشد على المنقرس البيني على البيني واليسرى على اليسرى تنفعه ، ودمها يطلى به على العانة والإبط بعد ما ينتف ماعليهما مرتين أو ثلاثا لا ينبت شعرها وتأثيرها في النساء أقوى ، وحرارة البحري أقوى منها تحاط بعسل النحل الشهد تمنع من نزول الماء إذا اكتحل بها وتزيل البياض والكدورة وتصلح للمخاق شربا ، وإذا وضعت على منخر المصروع نفعته ، وظهرها إذا اتخذ منه مكبية

ووضعت على رأس القدر لم تغل أصلا ، وييضها إذا سقى من صفرته ثلاث مثاقيل باللبن الحليب نفع من السعال الشديد .

(سمك) أصناف السمك كثيرة جدا ولكل صنف اسم خاص ، منها ما لا يدرك الطرف أولها وآخرها لعظمها ، ومنها ما لا يدركه الطرف لصغرها . وحكى بعض التجار قال : مرت بنا سمكة وانتهى ذنبها بعد أربعة أشهر . وذكروا أن السمكة إذا باضت تأتي إلى ماء ضحضاح وتحفر فيه حفرة وتبيض فيها وتغطيها بالطين فتفتقس فيها فلاذن الله تعالى . وأما خاصيته : فإن السكران التمل إذا شمه يرجع إليه عقله ويحول سكره . وقال ابن سينا : لحم السمك نافع لماء العين ويحد البصر مع العسل . وقال غيره : يزيد في الباه ويخصب البدن ، ومرارة السمك إذا شربت تنفع للحناق ، وكذلك إذا نفخت في الخلق مع شيء من السكر ، والله أعلم .

(شبوط) نوع من السمك مشهور طوله ذراع وعرضه أربع أصابع طيب اللحم جدا يكثر منه بدجلة : ذكر بعض الصيادين : أن الشبوط ينتهي إلى الشبكة فلا يستطيع الخروج منها فيعلم أنه ليس ينجيه إلا الرسوب فيتأخر قاب ربح ثم يقبل جامزا بجماميزه حتى يشب فر بما كان وثوبه في الهواء أكثر من عشرة أذرع فيحرق الشبكة ويخرج منها .

(شفنين) حيوان بحري تسمى بهذا الاسم وله جمه وشكل عجيب وجمته منتقبة إلى خلاف الناحية التي ينبت منها قشره ، تدلك به السن يسكن وجعها في الحال .

(صيرة) سمكة صغيرة يسميها أهل الشام بهذا الاسم ، يتخذ منه المرى ويتمضمض به صاحب القلاع الخبيث ينفع نفعا بينا :

(ضفدع) حيوان برى وبحري له عينان بارزتان غاية البروز وحامية سمعه وبصره حادة جدا . عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقتلوا الضفدع فإنها مرت بنار إبراهيم عليه السلام فحملت في أفواهها الماء وكانت ترشه على النار » . وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « لا تقتلوا الضفدع فإن نقيتهن تسبيح » وأول نشء الضفدع أن تظهر في الماء شبه معى رقيق وترى في الماء شبه حب أسود كاللدخن فإذا امتلأ ذلك الوعاء من ذلك الحب خرجت منه كالدعموص ثم بعد أيام تنبت منه اليدان والرجلان . قال الشيخ الرئيس : إذا كثرت الضفادع في شيء من السنين على خلاف العادة وقع الوباء عقيبه ، والضفدع كثير النقيق بالليل فإذا رأى النهار ترك النقيق : وقال بعضهم : إذا ألقى في النيد يموت ، وإذا ألقى في الماء عادت حياته . قال الجاحظ : الضفدع لا يمكنه النقيق إلا إذا كان حنكه الأسفل في الماء ، فإذا صار الماء في فمه صاح ، ولهذا لا تصيح الخارجات من الماء ، وضفدع البر أخضر وهو سم من سقى منه فسد مزاجه وينتفخ بطنه

ويعرض له الاستسقاء ، وإذا وضع على التآليل قلعتها ، وإذا شق بطنه ووضع على لسعة الحية ينفخ نفعا بينا . وقال الشيخ الرئيس : الضفادع الإجماعية الخضرة والبحرية تورث بمن شربها كمودة اللون وظلمة البصر وتتنن الفم والدوار أيضا ويعرض له اختلاط عقل ، ومن سلم منها تسقط أسنانه . قال الجاحظ : إن الأشد في مناقع المياه والآجام تأكلها أشد أكل : قال بليزاس : إن جعلت ضفدعا فوق قدر تغلي زال غليانها ، وإن علق على صاحب حمى الربيع برى . ومن خواصه العجيبة : ما ذكر أن الضفدع إذا أخذ فقد نصفين من رأسه إلى أسفله وتنظر إليه امرأة غلبت شهوتها وكثر ميلها إلى الرجال فإن شهوتها تنكسر . وأما خواص أجزائه : فإن لسانه إذا جعل في الخبز يطعم من أتهم بالسرقة أقرتها ، وإن وضعته على امرأة نائمة تكلمت بما عملت في اليقظة وهي نائمة ، وأطرافه تحرق بنار القصب ويطلق برمادها الموضع الذي ينبت عليه الشعر فإن الشعر لا ينبت عليه ، ودمه يطفى به على الموضع الذي تنف شجره فإنه لا ينبت . وقال بليزاس : من لطخ به وجهه أحبه كل من يراه ، شحمه يوضع على اللثة يستقط السن بلا وجع .

(ولنختم) خواص الضفدع بحكاية عجيبة ، وهي أني كنت بالموصل وبني صاحب الموصل في بستان مجلساً وبركة وتوالدت الضفادع فيها وكان نقيقها يؤدي سكان المجلس طول الليل ، فقال الأمير : دبروا دفع هذا النقيق فما أفاد شيئاً حتى جاء رجل وقال : اجعلوا طشتاً على وجه الماء مكبوا ، ففعلوا فلم يسمع بعد ذلك شيء من النقيق أصلاً .

(علق) حيوان أسود اللون بقدر أصبع الخنصر يوجد في المياه يستعمل في المعالجات ، فإن الأطباء إذ أرادوا إخراج الدم من موضع مخصوص أخذوا هذا الحيوان في قطعة طين وقربوه من العضو فإنه يتشبث به ويمص الدم منه ، وإذا أرادوا سقوطه رشوا عليه ماء الملح فإنه يسقط في الحال ، وربما يكون العلق في الماء يشربه الحيوان يتشبث العلق بحلقه فطريقه لأن يدخل بوبر الثعلب فإذا أصابها دخانه سقط في الحال ، وإن دخلت البيت بالعلق هلك ما فيه من الأنحل والبق والبعوض وأمثاله ، وإذا ترك العلق في قارورة حتى يموت ثم يسقى ويبتغى الشعر ويطفى به موضعه فإنه لا ينبت الشعر بعد ذلك أبداً .

(قطا) صنف من الدواب الصدفية يوجد ببلاد الهند في المياه القائمة المنبثة لل ناردين ، ويوجد بأرض بابل أيضاً ، وهو من أعجب الحيوانات ، له بيت صدفي يخرج منه وجلده أرق شيء وله رأس وأذن وعينان وفم ، فإذا دخل في بيته يحسبه الإنسان صدفة ، وإذا خرج منه ينساب على الأرض ويجر بيته معه فإذا جفت المياه في الصيف تجمع ، ورائحته عطرة لأن هذا الحيوان يرتعي الناردين ، وإذا بنجر بها ينفع من الصرع ، وإذا أحرق يجلو رماده الأسنان ، وإذا نثر على حرق النار وترك حتى يجف عليه نفع نفعا بينا ، والله الموفق :

(فرس الماء) قالوا : إنه كفرس البر إلا أنه أكبر عرقا وذنبا وأحسن لونا وحافره مشقوق كحافر بقر الوحش وجنته دون فرس البر وفوق الحمار بقليل ، وربما يخرج هذا الفرس من الماء وينزو على فرس البر فيتولد منهما ولد في غابة الحسن : حكى أن الشيخ أبا القاسم ويعرف بكر كان رحمه الله وهو من مشايخ خراسان نزل على ماء وكان معه حجرة فخرج من الماء فرس أدهم عليه نقط بيض كالدرهم ونزا على الحجرة فولدت مهراً شبيهاً بالذكر عجيب الصورة ، فلما كان ذلك الوقت عاد إلى ذلك المسكان والحجرة والمهر معه طمعا في مهر آخر . فخرج الفحل وشم مهره ثم وثب في الماء ووثب المهر بعده ، فكان الشيخ يعاود ذلك الموضع مع الحجرة فسمى أبا القاسم كركان . قال عمر بن سعد : فرس الماء بمصر يؤذن بطلوع النيل يئثر وطء فلانهم حيث وجدوا أثر رجله عرفوا أن ماء النيل ينتهي إلى ذلك الموضع . أما خواص أجزائه : فسنه نافعة لوجع البطن ذكروا أن جمعا من السودان الذين يسكنون شاطئ النيل من الحبشة يشربون الماء المكدر ويأكلون السمك التي فيصيبهم المغص فيشدون هذا السن على العليل فيزول عنه في الحال : عظامه تحرق وتخلط بشحمه ويضمده به السرطان يردعه ويزيل أثره في الحال . خصيته تجفف وتسحق وتشرب لنهش الهوام : جلده إن دفن وسط قرية لم يقع بها شيء من الآفات ، ويحرق ويجعل على الورم يسكن . (قاطوس) سمكة عظيمة تكسر السفينة ، والملاحون يعرفونها يتخذون خرق الحيفس ويعلقونها على السفينة فإنها تهرب عنهم .

(قطا) سمكة عظيمة . ذكروا أن عظام ضلعه يتخذ قطرة يعبر الناس عليها : شحمه إذا طلى به البرص يزول بإذن الله .

(قندر) برى وبحرى يكون في الأنهار العظام في بلاد إسودون ، ويتخذ من البر بيتا إلى جانب النهر ويجعل لنفسه فيه مكانا عاليا كالصفة ولزوجته دون الذي له بدرجة وعن شماله لأولاده وفي أسفل البيت لعبيده . ولمسكنه بابان ، باب إلى البر وباب إلى البحر فإن جاءه العدو من جهة الماء أو طغا الماء خرج إلى البر وإن جاءه من جهة البر خرج إلى الماء يأكل لحم السمك وخشب الخليج ، والتجار في تلك البلاد يعرفون جلد الخادم والمخدوم لأن الخادم يجذب خشب الخليج فتسقط طاقات جلده . أما خواص أجزائه : فخصيته تسمى الجندبيدستر تنفع من ريح أم الصبيان إذا سقى منه قدر حبة الجلبان وهو مجرب ، وينفع أيضا من الفالج والقوة والنسيان والرياح الغليظة كلها . قال الشيخ الرئيس : إنه ينفع من القروح القتالة والرعشية والتشنج والكزاز والخدر والفالج ، وينفع من النسيان ويخرج المشيمة والجنين ، وهو نافع من لسع الهوام .

(قنفذ الماء) هو حيوان مقدمه يشبه القنفذ البرى ومؤخره يشبه السمك : لحمه طيب

الطعم يدر البول : جلده ينفع الجرب إذا طلى به ، زعموا أنه إذا أخذ ظائر اسفيدرون وشد عليه من جلد هذا السمك فإن الهوام تموت من صوته والسباع تهرب .

(قوقى) صنف من السمك عجيب جداً على رأسه شوكة قوية يضرب بها : حكي الملاحون : أن هذه السمكة إذا جاءت رمت نفسها إلى شيء من الحيوان ليبلعها ثم لأنها تضرب بشوكتها أحشائه حتى تهلكه ، وربما تخرج من شق بطنه وتتغذى به هو وغيره ، وإذا قصدتها قاصد في الماء تضربه بالشوكة تهلكه ، ولعلها تضرب السفينة بالشوكة فتفتحها وتغرق أهلها وتأكل منها ، والملاحون لما عرفوا ذلك ألبسوا السفينة جلد ذلك السمك الذى تقدم ذكره . فإن شوكتها لا تعبر عليه .

(كلب الماء) حيوان مشهور يده قصيرتان ورجلاه أطول منها : ذكروا أنه يلطخ بدنه بالطين ليحسبه التمساح طينا ثم يدخل جوفه ويقطع أحشائه ويأكلها ثم يمرق وينخرج منه ، ولذلك من كان معه شحم كلب الماء يأمن غائلة التمساح : وذكر بعضهم : أن جنديدا ستر خصية هذا الحيوان ، وأن الذكر لا يصالح جلده للفراء وإنما الأنثى جلدها جيد ، والذكر لا يصالح إلا لخصيته ، والصيادون إذا ظفروا به سلوا خصيته وسيبوه ، فإن وقع في الشبكة مرة أخرى يرفع للصيد رجليه ليعلم أن خصيته قد نزعنا ليخلصه من الشبكة : أما خواص أجزائه : فإن دماغه ينفع من ظلمة العين اكتحالاً ، ومرارته قدر عدسة منها سم قاتل . وقال ابن سينا : خصيته تنفع من نهش الهوام مجرب لريح أم الصبيان إذا سقى قدر حبة الجلبان ، وجلده يتخذ منه جورب يلبسه المنقرس يزول عنه بإذن الله تعالى ، والله الموفق .

(كوسج) صنف من السمك معروف طولها مقدار ذراع لها أسنان كأسنان الناس يضرب بها الحيوان يقطعه وأكثرها يقرب البصرة : قال الجاحظ : في جوف الكوسج شحمة طيبة يسمونها الكبدة فإن اصطادوا هذه السمكة ليلا وجدوا هذه الشحمة وافرة ، وإن اصطادوها نهاراً لم يجدوا تلك ، وقد مر ذكر كوسج في بحر فارس فلا نعيده .

[النظر الخامس في كرة الأرض] الأرض جسم بسيط طباعه أن يكون بارداً يابساً متحركاً إلى الوسط . زعموا أن شكل الأرض كرة والقدر الخارج من الماء جذبته لأن القوم اعتبروا خسوفاً واحداً فوجدوه في البلاد الشرقية والغربية مختلف الأوقات ، فلو كان طلوع القمر وغروبه في وقت واحد بالنسبة إلى الأماكن لما اختلف ، وإنما خلقت باردة يابسة للغلظ والتماسك إذ لولا ذلك لما أمكن قرار الحيوان على ظهرها وجذب المعادن والنبات في بطنها ، وهى مركز الأفلاك واقفة في الوسط بإذن الله تعالى ، والماء محيط بها إلا القدر البارز الذى جعله الله تعالى مقراً للحيوان ، وبعد الأرض من السماء من جميع جهاتها متساوية

ليس شيء من ظاهر سطح الأرض أسفل كما توهم كثير من الناس ممن ليس له دراية بالهيئة والهندسة : ثم إن الإنسان في أى موضع وقف على سطح الأرض فرأسه أبداً مما يلي السماء ورجله أبداً مما يلي الأرض وهو يرى من السماء نصفها ، وإذا انتقل إلى موضع آخر ظهر له من السماء بقدر ما خفى من الجانب الآخر لكل تسعة وعشرين فرسخاً درجة ، والبحر المحيط الأعظم أحاط بأكثر وجه الأرض والمكشوف منها قليل على مثال بيضة غائصة في الماء ، وانكشف بعضها وعلى المنكشف منها الجبال والتلال والوهاد ، ولها منافذ وخلجان وأهوار وبطنائح وآجام وغدران وما فيها قدر شبر إلا وهناك معدن أو نبات أو حيوان ولا يعلم تفصيلها إلا الله - وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين - .

(فصل : في اختلاف آراء القدماء في هيئة الأرض)

قال بعضهم : إنها مبسوطة التسطيح في أربع جهات المشرق والمغرب والجنوب والشمال ، وقال بعضهم : هي كشكل الترس . ومنهم من زعم أنها كهيئة الطبل ، وذهب آخرون إلى أنها كنصف الكرة والذي يعتمد عليه جماهيرهم أن الأرض مدورة كالكرة موضوعة من جوف الفلك كالخفة في جوف البيضة ، وأنها في الوسط على مقدار واحد من جميع الجوانب ، ومن القدماء من أصحاب فيثاغورس من قال : الأرض متحركة دائماً على الاستدارة ، والذي نرى من دوران الفلك إنما هو دور الأرض لا دور الكواكب ، وقال بعضهم : إنها واقفة في الوسط على مقدار واحد من كل جانب والفلك بها من كل وجه فلذلك لا تميل إلى ناحية من الفلك دون ناحية لأن قوة الأجزاء متكافئة مثل ذلك :

(حجر المغناطيس) الذي يجذب الحديد لأن في طبع الفلك أن يجذب الأرض وقد استوى الجذب من جميع الجهات فوقعت في الوسط ، ومنهم من قال : إنها مدورة واقفة في الوسط ، بسببه دوران الفلك وسرعة حركته ودفعه إياها من كل جهة إلى الوسط ، كما أنه لو جعل تراب أو حجر في قارورة مدورة وأديرته في الخروط بقوة قام التراب أو الحجر في الوسط ، والله الموفق .

(فصل : في مقدار جرم الأرض ومعمورها وخرابها)

قال أبو الريحان : طول قطر الأرض بالفراسخ ألف ومائة وثلاثة وستون فرسخاً وثلثاً فرسخ ، ودورها بالفراسخ ستة آلاف وثمانمائة فرسخ ، فعلى هذا يكون مساحة سطحها الخارج سبعمائة وثمانية وخمسين ألفاً ومائتين واثنين وأربعين فرسخاً وخمسة فرسخ : وقال المهندسون : لو حفر في الوهم وجه الأرض لأدى في الوهم إلى الوجه الآخر ولو نقب بأرض فرسخ مثلاً لنفذ بأرض الصين ، واحتجوا على هذا ببراهين هندسية ، واعتبرت

مساحة الأرض في زمن أمير المؤمنين المأمون بارتفاع قطب معدن النهار فكان نصيب كل درجة فلكية ستة وخمسين ميلا وثاني ميل :

(فصل : في أرباع الأرض وعماراتها)

قال أبو الريحان : سطح معدل النهار يقطع الأرض بنصفين على دائرة تسمى خط الاستواء فيسمى أحد نصفها شماليا والآخر جنوبيا ، وإذا توهمت دائرة عظيمة على الأرض مارة على قطب خط الاستواء قسمت كل واحد من نصفي الأرض ينصفين فانقسم جملتها أرباعا جنوبيان وشماليان ، فالربع الشمالي المسكون يسمى ربعا معمورا ، وهذا الربع يشتمل على ما يعرف ويسلك من البحار والجزائر والجبال والأنهار والمفاوز والبلدان والقرى ، إلا أنه يبقى منه قطعة غير معمورة من إفراط البرد وتراكم الثلوج : وقال غيره : معدل النهار يقطع الأرض بنصفين كل نصف بربعين شماليين وجنوبيين فالشماليان هما المعمورة وهو من العراق إلى الجزيرة والشام ومصر والروم وفرنجية ورومية والسوس إلى جزائر السعادات فهذا الربع غربي شمالي ، ومن العراق إلى الأهواز والشمال وخراسان وتبت إلى الصين إلى واقرها فهذا الربع شرقي شمالي ، وكذلك النصف الجنوبي ربعان شرقي جنوبي فيه بلاد الزنج والحبشة والنوبة وربع غربي جنوبي لم يظأه أحد ألبتة وهو متاخم للسودان الذين يتاخون البربر . وحكى أن بطليموس الملك اليوناني بعث إلى هذا الربع قوما ليجتثوا عن بلاده ، فذهبوا وبحثوا عن أهل بلاده ثم انصرفوا وأخبروا أنه خراب يباب ليس فيه عمارة ولا حيوان فسمى هذا الربع الخراب ، وقيل الربع المحترق .

(فصل : في أقاليم الأرض)

واعلم أن الربع المسكون قد قسم سبعة أقسام كل قسم يسمى إقليما كأنه بساط مفروش من المشرق إلى المغرب طوله وعرضه من جهة الجنوب إلى جهة الشمال وهي مختلفة الطول والعرض ، فأطولها وأعرضها الإقليم الأول فإن طوله من المشرق إلى المغرب نحو من ثلاثة آلاف فرسخ وعرضه من الجنوب إلى الشمال نحو من مائة وخمسين فرسخا ، وأقصرها طولاً عرضها الإقليم السابع فإن طوله من المشرق إلى المغرب نحو من ألف وخمسمائة فرسخ وعرضه من الجنوب إلى الشمال نحو من سبعين فرسخا : وأما سائر الأقاليم التي بينهما فيختلف طولها وعرضها بالزيادة والنقصان . ثم إن هذه الأقسام ليست أقساما طبيعية لكنها خطوط وهمية وضعها الملوك الأولون الذين طافوا بالربع المسكون من الأرض ليعلم بها حدود البلدان هو الممالك مثل أفريدون وإسكندر وأردشير :

(فصل : فيما يعرض للأرض من الزلزلة والحسف)

زعموا أن الأدخنة والأبخرة الكثيرة إذا اجتمعت تحت الأرض ولايقاومها برودة حتى

تصير ماء وتكون مادتها كثيرة لا تقبل التحليل بأدنى حرارة ويكون وجه الأرض صلبا لا يكون فيها منافذ ومسام فالبخارات إذا قصدت الصعود ولا تجد المسام والمنافذ تهتز منها بقاع الأرض وتضطرب كما يضطرب بدن المحموم عند شدة الحمى بسبب رطوبات عفنة احتبست في محال أجزاء البدن فتشتعل فيها الحرارة الغريزية فتذيبها وتحللها وتصيرها بخارا ودخانا فيخرج من مسام جلد البدن فيتميز من ذلك البدن ويرتعد ، ولا يزال كذلك إلى أن تخرج تلك المواد فإذا خرجت يسكن ، وهذه حركات بقاع الأرض بالزلزال فربما ينشق ظاهر الأرض ويخرج من الشق تلك المواد المحتبسة دفعة واحدة ، والله أعلم .

(فصل : في صيرورة السهل جبلا والبر بحرا وعكسهما)

قالوا : إذا امتزج الماء بالطين وكان في الطين لزوجة وأثرت فيه حرارة الشمس مدة طويلة صار حجرا كما ترى النار إذا أثرت في اللبن صلبتها وجعلتها آجرا فإن الآجر نوع من الحجر إلا أنه رخو وكلما كان تأثر النار فيه أكثر كان أشبه بالحجر فزعموا أن تولد الجبال من اجتماع الماء والطين وتأثير الشمس . وأما سبب ارتفاعها وشموعها فجاز أن يكون بسبب زلزلة فيها خسف فتخفف بعض الأرض وترفع بعضها ثم المرتفع يصير حجرا لما ذكرنا ، وجاز أن يكون بسبب أن الرياح تنقل التراب من مكان إلى مكان فتحدث تلال ووهاد ثم يتحجر بسبب ما قلنا . وذكر صاحب علم المجسطى أن في كل ستة وثلاثين سنة ينتقل أوجات الكواكب ويدور في البروج الاثني عشر دورة واحدة فإذا انتقلت من الشمال إلى الجنوب تختلف مسامات الكواكب ومطارح شعاعاتها على بقاع الأرض فيختلف بها الليل والنهار والشتاء والصيف والحر والبرد ويتغير أرباع الأرض فيصير العمران خرابا والخراب عمراننا والبرارى بحرا والبحار برارى والسهول جبالا والجبال سهولا .

(وأما صيرورة الجبال سهولا) فإن الجبال من شدة إشراق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها بطول الزمان تنشف رطوبتها وتزداد يبسا وجفافا ، وتنكسر خاصته عند الصواعق فتصير أحجارا وصخورا ورمالا ، ثم إن السهول يحملها إلى بطون الأنهار والأودية ثم تحملها بشدة جريانها إلى البحار فتتوسط في قعرها ساقا بعد ساق بطول الزمان ويتأبد بعضها فوق بعض فيحصل في البحار جبال وتلال ، كما يتأبد من هبوب الرياح دعاص الرمل في البرد ولذلك قد يوجد في جوف الأحجار إذا كسرت صدقة أو عظام وذلك بسبب اختلاط طين هذا الموضع بالصدف والعظم ، وقد يصير البحر يبسا واليبس بحرا لأنه كلما انطمت قطعة من البخار على الوجه الذى ذكرناه فالماء يرتفع ويطلب الاتساع على سواحله ويغضى بعض البر بالماء له ، ولا يزال كذلك حتى تصير مواضع البر بحرا وهكذا لا تزال الجبال تنكسر وتصير حصى ورمالا يحملها سيول الأمطار مع طين ممرها إلى قعر البحار ، ويعتقد فيها كما ذكرنا

حتى يستوى مع وجه الأرض فيجف وينكشف ، وينبت العشب عليها الأشجار فتصير مسكنا للسباع والوحوش فيقصده الناس لطلب المنافع من الصيد والحطب وغيرهما فيصير مسكنا للناس موضعا للزرع والغرض فيصير مدنا وقرى ، فسبحانه ما أعظم شأنه .

(فصل : في فوائد الجبال وخواصها وعجائبها)

أما فائدتها العظمى فما ذكره الله تعالى في كتابه —وأنتى في الأرض رواسى أن تميد بكم— وقال بعضهم : لو لم تكن الجبال لكان وجه الأرض مستديرا أملس فكان مياه البحار تغطيها من جميع جهاتها وتحيط بها إحاطة كرة الهواء بالماء فبطلت الحكمة المودعة في المعادن والنباتات والحيوانات فافتضت الحكمة الإلهية وجود الجبال لما ذكرناه من الحكمة . وقال بعضهم : إن الجبال لوجود الماء العذب السائح على وجه الأرض الذى هو مادة حياة النبات والحيوان وذلك لأن سبب هذا الماء انعقاد البخار فى الجو فيصير سخابا ، والجبال الشامخة الطوال فى المشرق والمغرب والجنوب والشمال تمنع الرياح أن تسوق البخار بل تجعلها منحصرة حتى يلتقيها البرد فيصير مطرا أو ثلجا ، فلو فرضت الجبال مرتفعة على وجه الأرض لكانت الأرض كرة لاغور فيها ولا تنوء ، والبخار المرتفع لا يبقى فى الجو منحصرا إلى وقت يضربه البرد بل يتحلل ويستحيل هواء فلا يجرى الماء على وجه الأرض إلا قدرا ينزل مطرا ثم تنشفه الأرض ، فيعرض من ذلك أن الحيوان والنبات يعدم الماء فى الصيف عند شدة الحاجة إليه كما فى البادية البعيدة ، فافتضى التدبير الإلهى وجود الجبال ليحصر البخار المرتفع من الأرض من أغوارها ويمنع من السيولان ويمنع الرياح أن تسوقها كما يمنع السقف الماء فيبقى محفوظا إلى أن يلحقه البرد زمان الشتاء فيجمده ويعصره فيصير ماء ثم ينزل مطرا أو ثلجا ، والجبال فى أجرامها مغارات وأهوية وأوشال وكهوف فيقع على قلالها الأمطار والثلوج وينصب إلى تلك المغارات والأوشال وتبقى فيها مخزونة ، وتخرج من أسافلها من منافذ ضيقة وهى العيون فساحت منها المياه على وجه الأرض فينتفع بها النبات والحيوان ، وما فضل ينصب إلى البحار فإذا قفى ما استفادته من الأمطار والثلوج لحتمها نوبة الشتاء فعادت إلى مكان ما ، ولا يزال دأبها كذلك إلى أن يبلغ الكتاب أجله .

(ولندكر) بعض الجبال وخواصها العجيبة مرتبا على حروف المعجم إن شاء الله تعالى

(جبل أولشان) بأرض الروم ، فى وسط هذا الجبل درب فيه دوران من اجتاز فيه وهو فى حال اجتيازه يأكل الخبز بالحن ويدخل من أوله ويخرج من آخره لا يضره عضه الكلب الكلب ، وإن عض إنسانا غيره يعبر بين رجلى هذا المجتاز يأمن غائلته وهذا أمر مشهور عندهم :

(جبل أبي قبيس) مطل على مكة ، يزعم الناس أن من أكل عليه الرأس المشوى يأمن من أوجاع الرأس ، وكثير من الناس يفعلون ذلك .

(جبل أروند) مطل على همذان خضر نضر . دخل رجل من همذان على جعفر الصادق رضى الله عنه فقال له : من ابن أنت ؟ قال : من همذان . قال : أتعرف جبلها أروند ؟ قال : نعم ، إن فيها عينا من عيون الجنة ، وأهل همذان يرون أنها الماء الذى على قلة الجبل وذلك أن ماءها يخرج فى وقت من أوقات السنة معلوم ومنبعه من شق فى صخرة ، وهو ماء عذب شديد البرد لا يجد شارب منه ثقلا ، فإذا جاوزت أيامه المعدودة انقطع إلى وقته من العام الآخر لا يزيد ولا ينقص ، وهو شفاء للمرضى يأتيونه من كل وجه : قالوا : إنه يكثر إذا كثرت الناس ويقل إذا قلوا .

(جبل أروند أيضا) جبل آخر فيه بسيستان فيه ماء ينبت فيه قصب كثير فإكان من القصب فى الماء فهو كالحجر وما كان خارج الماء فهو قصب وما سقط من ذلك القصب فى الماء يصير حجرا ، وكذلك لو كان قشرا أو ورقا هكذا ذكره صاحب [تحفة الغرائب] . (جبل أسبرة) بناحية الشاش بما وراء النهر ، ومنها قال الإصطخرى : هناك جبال فيها منافع كثيرة من النفط والحديد والنحاس والآلك والصفير والفيروزج والذهب ، وفيها حجر كله أسود مثل الفحم ويحترق مثل الفحم يباع منه وقور وقران بدرهم فإذا احترق اشتد يياضاً ، وماؤه يستعمل فى تبييض الثياب ولا يعرف مثله من المواضع أصلاً .

(جبل التمر) على ثلاث فراسخ من قزوين شامخ جداً لا تحلو قلته من الثلج لا صيفا ولا شتاء وعليه مسجد يأوى إليه الأبدان والناس يقصدونه للتبرك ، ويتولد من ثاجه دود أبيض إذا غرزت فيه بأدنى شئ يخرج منه ماء أبيض صاف مقدار ما يروى دابة ، وقال بعضهم : إنه ليس بحيوان .

(جبل أندلس) فى جبل منها غار لا ترى منه النار ، وإذا أخذ فتيلة ودهنها وشدها على رأس خشبة طويلة ودخل الغار اشتعل ، وبقرّب هذا الجبل جبل آخر تشتعل النار على قلته بالليل والنهار يصعد منه دخان عظيم شديد الحرارة ، وعلى جبل من جبالها عينان بينهما مقدار شبرين ينبع من أحدهما ماء شديد الحرارة ومن الآخر ماء بارد شديد البرد ، والله أعلم . (جبل هجنة) بتركستان على قلته شبه خرقات من الحجر وداخل الخرقات عين ينبع الماء منها وعلى الخرقات شبه كوة يخرج منها الماء وينصب من الخرقات إلى الكوة ومنها إلى الجبل ومن الجبل إلى الأرض ، وتفوح من ذلك الماء رائحة طيبة ، والله الموفق .

(جبل البرانس) بأندلس ، فيه معدن الكبريت الأحمر والأصفر ومعدن الزئبق وهو غزير جداً يحمل إلى سائر الآفاق ، وبه معدن الزنجفر وليس فى جميع الأرض يعرف إلا ذلك .

(جبل القدس) قال صاحب [تحفة الغرائب] بأرض القدس جبل فيه شبه بيت غار يمشى إليه الزوار فإذا أظلم الليل يضيء البيت ولا سراج فيه ولا كوة يدخل منها الضوء فيه من خارج .

(جبل تحميد) قال صاحب [تحفة الغرائب] : بأرض أندران جبل يقال له تحميد ، وفيه قرية في طريقها مصيق لو صاح المار فيه صيحة يهب فيه هواء لا يقدر الإنسان على الوقوف فيه :

(جبل نيسون) بين حلوان وهمدان جبل عال ممتنع لا ترتقى ذروته . قال مسعود بن مهلهل : هو على فرسخ من قرمسين حفر فيه إيوان فيه صورة شبرين ، خطه كسرى أبرويز على حائط الإيوان ، وعلى وسط الإيوان صورة أبرويز على فرشته سرير منحوت من حجر عليه درع كأنه من الحديد وقد ثبت بمسامير وردة وقد بولغ في تجويدها إلى حد من يراه يحسب أنه متحرك ، وبين يدي أبرويز رجل في زى فاعل على رأسه قلنسوة وهو مشدود الوسط بيده مسحاة كأنه يحفر الأرض والماء يخرج من تحت رجله .

(جبل ثبير) بمكة بقرب منى ، وهو جبل مبارك يقصده الزوار ، وهو الذي أهبط عليه الكعبش الذي جعله الله تعالى فداء لإسماعيل عليه الصلاة والسلام ، والعرب تقول : أشرق ثبير كما نغير .

(جبل ثور الطحل) بقرب مكة فيه الغار الذي كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصديق رضى الله تعالى عنه لما خرجا من مكة مهاجرين ، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز حيث قال - إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار - .

(جبل حراب) بأرض الهند في ذروته نار تتقد مقدار مائتي ذراع في مثلها وبالنهار دخان حوالية منابت العطر يجلب منها إلى سائر الآفاق .

(جبل جيش إرم) في بلاد طيء على ذروته مساكن لعاد إرم فيها صور منحوتة من الحجر لا يعرف حالها ، والله أعلم بفائدتها .

(جبل الجودى) بقرب جزيرة ابن عمر من الجانب الشرقى استوت عليه سفينة نوح عليه الصلاة والسلام كما أخبر الله تعالى ، وقد بنى فيه نوح عليه الصلاة والسلام مسجداً وهو باق إلى الآن تزوره الناس .

(جبل جوشن) في يمين حلب فيه معدن النحاس الأحمر ، قيل إنه بطل منذ عبر عليه الحسين رضى الله تعالى عنه وكانت زوجة الحسين رضى الله عنه حاملاً فأسقطت هناك فطابت منهم الماء في ذلك الجبل فنعوها وشتموها فدعت عليهم ، فإلى الآن من عمل فيها لا يربح . (جبل الحارث والحويرث) جبلان بأرمينية لا يقدر أحد على ارتقاها . قال ابن الفقيه :

كان على نهر الرأس بأرمينية ألف مدينة فبعث الله إليهم نبيا دعاهم إلى الله تعالى فكذبوه وعصوا أمره فدعا عليهم ، فحول الله عليهم الحارث والحويرث من الطائف وأرسلهما عليهم فقالوا : إن أهل الرس تحت هذين الجبلين :

(جبل حراء) بمكة على ثلاثة أميال منها به غار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي يأتيه للخلوة فأقاه جبريل عليه السلام هناك وهو موضع مبارك يزوره الناس ، والله أعلم .

(جبل حودقور) حدث أحمد بن يحيى التميمي أن في ناحية قورشو في جبل يقال له حودقور غور مقداره خمسة أرماع وعرضه قليل ينبت فيه ذكة ، فمن أراد أن يتعلم شيئا من السحر عمد إلى ماعز أسود ليس فيه شعرة بيضاء وذبحه وسلخه وقسمه سبعة أجزاء وأعطى جزءا منها للراعي المقيم بالجبل وستة أجزاء ينزل بها إلى الغار ويأخذ الكرش فيشقتها وينظف بما فيه ويلبس جلد الماعز مقلوبا ويدخل الغار ليلا ، ومن شرطه أن لا يكون له أب ولا أم فإذا دخل الغار لم ير أحدا فينام ، فإذا أصبح ووجد جسمه نقيما مما كان عليه كأنه مغسول دل على القبول ، وإن أصبح بحاله دل على أنه لم يقبل فإذا خرج من الغار لم يحدث أحدا ثلاثة أيام بعد القبول فيصير ساحرا وحودقور بين حضرموت وعمان .

(جبل الحيات) بأرض تركستان فيه حيات من نظر إليها يموت إلا أنها لا تخرج من ذلك الجبل البتة .

(جبل دامغان) جبل مشهور ودامغان يقرب من الري ، وعلى هذا الجبل عين ماء إذا ألقى فيها نجاسة تهب ريح قوية بحيث يخاف منها الهدم ذكره صاحب [تحفة الغرائب] .

(جبل إنهوند) بقرب الري يناطح النجوم ارتفاعا ويحكيها امتناعا . قال مسعود ابن مهلهل : إنه جبل شاهق لا يفارق أعلاه الثلج شتاء ولا صيفا ولا يقدر الإنسان أن يعلو ذروته . زعموا أن سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام حبس به ماردا يقال له صخر ، وذكروا أن أفريلون حبس به بنى راسف الذي يقال له الضحاك . قال : فصعدت الجبل إلى أن وصلت إلى نصفه بمشقة ومخاطرة بالنفس ، وما أظن أحدا يجاوز هذا الموضع ، الذي وصلت إليه رأيت عينا كبيرتا وحولتا كبيرت مستحجر إذا طلعت الشمس عليها التهبت وصارت نارا ، وسمعت من أهل تلك الناحية يقولون إن النمل إذا أكثر جمع الحب على هذا الجبل يكون بعده جذب وقحط ، وأنهم إذا دامت عليهم الأنداء والأمطار فصبوا لبن الماعز على النار انقطع . قال : فاعتبرت هذا فوجدتهم صادقين ، وأنه ما يرى في وقت من الأوقات قلة الجبل منحسرا عن الثلج إلا وقد وقعت فتنة وأهريقت الدماء من الجانب الذي يرى منحسرا ، وهذه أيضا صحيحة بإجماع أهل تلك الناحية : وقال محمد بن إبراهيم الضراب : إن أبي عرف

أن بجبل نهاوند الكبيرت الأحر فاتخذوا مغارف حديد طول السواعد فذكروا أنه لا يقرب من ناره حديدة إلا ذابت في ساعتها . وذكر أهل نهاوند أنه جاءهم رجل من خراسان ومعه مغارف حديد طول مطلية بما عالجها بها وأخرج الكبيرت منها البعض الملوك . وذكر محمد بن إبراهيم أن الأمير موسى بن حفص كان واليا على الري إذ ورد عليه كتاب المأمون يأمره بالشخص إلى نهاوند ويعرفه حال المحبوس به . قال : فوافينا القرية التي بحضيض الجبال ومكثنا أياما لا نرى الاهتداء حتى أتانا شيخ فعرفناه أمر الخليفة فقال : أما الوصول إلى ذلك المكان فلا سبيل إليه لكن إذا أردتم صحة ذلك أريتم فاستحسن الأمير قوله فعند ذلك صعد الشيخ بين أيدينا وصعدنا خلفه وأوقفنا على موضع فبالغنا في حفرة حتى انكشف لنا عن بيت منقور من الحجارة ، وفيه تمثال على صورة عجيبة يضرب بمطرقة على أعلاه ساعة بعد ساعة من غير فتور ، فاستخبرنا الشيخ عن شأنه فقال : هذا طلسم ليوراسف المحبوس هاهنا لئلا ينحل من وثاقه ، ثم أمرنا أن لا نتعرض للطلسم وأن نرده إلى ما كان فعلنا ، ثم دعا بسلام أطول مايكون فأمر الأمير بإحضارها فشد بعضها إلى بعض حتى بلغ مدار مائة ذراع ، ثم رفعها ونقب موضعها فظهر باب فوصلنا إلى أسكفته وعليها مسامير من حديد مذهبة كأن الصانع قد فرغ منها عن قريب ، وفوق الأسكفة كتابة بالذهب تنطق بأن على هذه القبة سبعة أبواب من حديد على كل باب مصراع أربعة أقفال من حديد ، وعلى العضادة مكتوب : هذا حيوان له أمد إلى غاية لا يتعرض أحد لهذه الأبواب فإن من فتحه يهجم على هذا الإقليم آفة لا تدفع ، فقال الأمير : لا يتعرض أحد لشيء من هذا حتى تستأذن الخليفة فأمر برد البيت على ما كان واستأذن الخليفة فيه ، فكتب المأمون إليه أن يترك ذلك على حاله ، والله تعالى الموفق للصواب .

(جبل ربوة) على فرسخ من دمشق : ذكر بعض المفسرين أن المراد بقوله تعالى : — وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين — هو جبل عال على قلته مسجد حسن وهو في بعض البساتين من جميع جوانبها الخضرة والأشجار والرياحين وللمسجد مناظر إلى البساتين ، ولما أرادوا إجراء نهر بردى وقع هذا الجبل في طريقه فنقبوا تحته وأجروا الماء فيه ويجرى على رأسه نهر يزيد وينزل من أعلاه إلى أسفله ، وفي هذا الجبل كهف صغير زعموا أن عيسى عليه الصلاة والسلام ولد فيه ، ورأيت في هذا المسجد في بيت صغير حجرا كبيرا ذا ألوان عجيبة حجمه كحجم صندوق وقد انشق نصفين وبين شقيه مقدار ذراع لم ينفصل أحد النصفين عن الآخر بل متصل به كرمان متشقق ولأهل دمشق في ذلك أقاويل ، والله أعلم بصحتها ولا ريب أنه شيء عجيب :

(جبل رضوى) قال عامر بن أصيب : هو من المدينة على سبعة مراحل وهو جبل منيف

ذو شعاب وأودية يرى من البعد أخضر وبه مياه وأشجار كثيرة . زعم الكيسانية أن محمد ابن الحنفية مقيم فيه وأنه حى وأنه بين أسد ونمر يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ويعود بعد الغيبة يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وهو المهدي المنتظر ، وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك بن مروان وقتله أبي يزيد بن معاوية ، وكان السيد الحميري على هذا المذهب ، وهو يقول :

ألا قل للوصى فدتك نفسى أطلت بذلك الجبل المقاما

ومن رضوى يقطع حجر المسن ويرفع إلى جميع الآفاق ، والله الموفق :

(جبل الرقيم) هو المذكور في القرآن - أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا - قيل الرقيم اسم الجبل الذي فيه الكهف ، وقيل اسم القرية التي كان أصحاب الكهف منها ، والجبل بالروم بين عمورية ونيقية . روى عن عباد بن الصامت رضى الله عنه أنه قال : بعثني أبو بكر الصديق رضى الله عنه رسولا إلى ملك الروم أعوه إلى الاسلام قال : فسرت حتى دخلت بلاد الروم فلاح لنا جبل أحمر . قالوا : إنه جبل أصحاب الكهف ، فوصلنا إلى دير فيه وسألنا أهلها عنهم فأوقفونا على سرب في الجبل فقلنا لهم : نحن نريد أن ننظر إليهم ووهبنا لهم هبة فدخلوا ودخلنا معهم في ذلك السرب وكان عليه باب من حديد ففتحوه ، فانتهينا إلى بيت عظيم محفور في الجبل فيه ثلاثة عشر رجلا مضطجعين على ظهورهم كأنهم رقود على كل واحد منهم جبة غبراء وكساء أغبر قد غطوا بها رؤوسهم إلى أرجلهم ، فلم نر مابشاهم من صوف أو وبر إلا أنها أصلب من الديباج وإذا هي تتققع من الصفاة ، وعلى أكثرهم خفاف إلى أنصاف سوقهم منتعنين بنعال مخصوفة ولنعالم وخفافهم من جودة الخرز ولين الجلود ما لم ير مثله فكشفنا عن وجوههم رجلا بعد رجل فإذا هم من وضاعة الوجوه وصفاء الألوان كالأحياء ، وإذا الشيب قد وخط بعضهم وبعضهم شباب وبعضهم موفورة شعورهم وبعضهم مضمومة ، وهم على زى المسلمين فانتهينا إلى آخرهم فإذا هو مضروب الوجه بالسيف كأنه ضرب في يومه فسألناهم عن حالهم فذكروا أن قوما يدخلون عليهم في كل عام يوما يجتمع أهل تلك النواحي عند باب هذا الكهف فيدخل عليهم من بنفض التراب عن وجوههم وجباههم وأكسيتهم ويقلم أظفارهم ويقص شواربهم ويتركهم على الهيئة التي ترونها ، فقلنا لهم : هل تعرفون من هم وكم هم وكم مدة ما لهم هاهنا ؟ فذكروا أنهم يجدون في كتبهم أنهم كانوا أنبياء بعثوا في زمان واحد وكانوا قبل المسيح بأربعمائة سنة ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن أصحاب الكهف سبعة : وهم مكسلمينا أمليخا ، مرطوكش نوالس أسانيوس بطنيوس أكشفوط واسم كلهم قطمير .

(جبال رانك) قال صاحب [تحفة الغرائب] إنها بأرض تركستان وهناك جمع من الترك

يقال لهم رانك ، وهم أناس ليس لهم زرع ولا ضرع وفي جبالهم ذهب وفضة كثيرة ، وربما قطعوها كرأس شاة؛ فن أخذ القطع الصغار ينتفع بها ، ومن أخذ الكبار يموت هو وأهل البيت الذي يكون فيه تلك القطع الكبار وما يزال الموت فيهم حتى يردوها إلى مكانها، وإذا أخذ الغريب لا يضره .

(جبل زغوان) بقرب تونس وهو جبل منيف يرى من مسيرة أيام لعلوه ويرى السحاب دونه ، وأهل أفريقية يقولون : فلان أثقل من جبل زغوان ، وفيه قرى كثيرة ومياه وأشجار وثمار ، وفيه مأوى الصالحين ، وكثير ما يمتطر سفحه ولا يمتطر أعلاه؛ فمن كان بيته في سفح الجبل يكون من شدة المطر ومن كان بيته في أعلاه يكون من قلة الماء وكثرة العطش .

(جبل ساوة) هو جبل على مرحلة منها رأيتة وهو شامخ جدا ، فيه غار شبه لإيوان يسع ألف نفس ، وفي آخر الغار قد برز من سقفه أربعة أحجار شبيهة بتدى النساء يتقاطر الماء من ثلاثة والرابع يابس قالوا مصه كافر فيبس ، وتحتها حوض يجتمع الماء فيه وماؤه طيب غير متغير مع طول وقوفه ، وعلى باب الغار ثقب ذوباين يدخاوان من أحدهما ويخرجون من الآخر ، زعموا أن من لم يكن له والد يرشده لا يقدر على الخروج منها ، ورأيت رجلا دخل فيها فإخرج لإبعد جهد شديد ، والله الموفق .

(جبل سيلان) وهو بقرب مدينة أربيل بأذربيجان من أعلى جبال الدنيا، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - إلى قوله تعالى - وكذلك نخرجون - كتب الله له من الحسنات بعدد كل ودق وتلج وقع على جبل سيلان، قيل : وما سيلان يارسل الله؟ قال : جبل أرمينية وأذربيجان عليه عين من عيون الجنة وفيه قبر من قبور الأنبياء». قال أبو حامد الأندلسي : على رأس الجبل عين عظيمة ماؤها بارد جدا وحول الجبل عيون حارة يقصدها الناس ، وفي حضيض الجبل شجر كثير وبينها حشيش لا يتناوله شيء من الحيووانات إلا مات من ساعته . قال : ولقد رأيت البهائم من الخيل والحمير والبقر والغنم يقصدونها فإذا قربت منها نفرت حتى العاصف . قال : وفي سفح الجبل قرية اجتمعت بقاضيا وهو أبو الفرج بن عبد الرحمن الأربيلي فسألته عن حال تلك الحشيشة فقال : إنها تحميها الجن ، وذكر أنه بنى في هذه القرية مسجدا فاحتاج إلى قواعد حجرية لأعمدة المسجد فأصبح وعلى باب المسجد قواعد من الصخر المنحوت محكمة الصنع من أحسن ما يكون :

(جبال السراة) حاجزة بين تهامة واليمن عظيمة الطول والعرض ، وهي كثيرة الأهل والأنهار والأشجار ، وبأسفلها الأودية تنصب إلى البحر ، وكل هذه الجبال منابت القرظ ، وفيها الأعناب وقصب السكر والأشجبل ، وفيها معدن البرام :

(جبل السماق) جبل عظيم من أعمال حلب يشتمل على مدن وقرى وقلاع أكثرها للإسماعيلية وهو منبت السماق وهو مكان نزوة ترابه طيب . ومن عجيب هذا الجبل أن فيه بساتين ومزارع ومياها عذبة فتنبت الحبوب والفواكه في الحسن والطراوة كالمشقوق حتى المشمش والقطن والسهم .

(جبل سرنديب) هو الجبل الذي أهبط عليه آدم عليه السلام وهو بأعلى الصين في بحر الهركند ذاهب في السماء يراه البحريون من مسافة أيام ، وفيه أثر قدم آدم عليه السلام مغموسة في الحجر ، ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحب ، ولا بد له في كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه السلام . ويقال إن الياقوت الأحمر يوجد على هذا الجبل تحدره السيول والأمطار إلى الخضيض ويوجد به الماس أيضا وبه يوجد العود .

(جبل سمرقند) قال صاحب [تحفة الغرائب] جبل سمرقند فيه غار يتقاطر الماء منه في الصيف وينعقد جمدا ، وفي الشتاء يكون حارا حتى لو أن أحدا غمس يده فيه استرقت .

(جبل السم) ذكر الهيجاني أن أهل الصين نصبوا من رأس جبل إلى رأس آخر قنطرة في طريق حسن إلى تبت فإن من جاوزها يدخل في هواه يأخذ بالأنفاس ويثقل اللسان ويموت من المازين كثير ، وأهل تبت جبل السم .

(جبل الشب) بأرض اليمن على قمة الجبل ماء يجري من كل جانب وينعقد حجرا قبل أن يصل إلى الأرض ، والشب الأبيض اليماني من ذلك .

(جبل شبام) قال محمد بن أحمد بن إسحاق الهمداني : هو جبل بقرب صنعاء وبينها وبينه يوم واحد وهو صعب المرتقى ليس له إلا طريق واحد وذروته واسعة فيه ضياع كثيرة ومزارع وكروم ونخيل والطريق إليها في دار الملك ، وللجبل باب واحد مفتاحه عند الملك من أراد النزول إلى السهل دخل إلى الملك وأعلمه بذلك ليأمره بفتح الباب ، وحول تلك الضياع والكروم جبال شاهقة لامسك فيها ولا يعلم أحد ما وراءها ، ومياه هذا الجبل تنصب إلى سد هناك فإذا امتلأ السد ماء فتح فيجري الماء إلى صنعاء ومخاليقها .

(جبل شرق البعل) في طريق الشام من المدينة فيه بنيان عظيم للأصنام صنعوا فيها من النقوش العجيبة محفورة في الحجر مالا يأتي حفره في الخشب مع علو سمكها وعظم أحجارها وطول أساطينها ، وهو شيء عجيب إذا رآها الناظر يتحير في صنعتها ، والله أعلم بما كان في غرضهم منها .

(جبل شقان) بخراسان . ذكر بعض فقهاء خراسان أن من داخله غار من دخله برى من المرض أى مرض كان . وذكر أيضا أن به جبلا آخر من ارتقى ذروته لا يحس بشيء من هبوب الريح حتى يبتى بينه وبين أعلى ذروته ذراعان وهناك يحس بهبوب الريح .

(جبل شكران) بأرض شكران هو جبل ولست أدري أنه بالأندلس أو باليمن على قلته شبه مسرجة من الحجر في كل سنة لا يرى ثلاث ليال على تلك المسرجة سراج مضىء ولا يقدر أحد على الصعود إلى مكان المسرجة لهبوب الريح العاصف لأنه عند وصوله إلى نصف الجبل ترميه الريح ، وفي الليلة التي يرى فيها السراج على المسرجة ترى في منارها شبه طاوس على تلك المسرجة ولا علم للناس بحقيقة ذلك ، والله أعلم :

(جبل الصور) قال صاحب [تحفة الغرائب] بأرض كرمان جبل من أخذ منه حجرا وكسره يرى في وسطه شبه صورة إنسان قائما أو قاعدا أو مضطجعا ، وإن دقت هذا الحجر ثم سمعته وحلته في الماء حتى يرسب تر في الراسب مثل ما كان في الحجر .

(جبل الصفا) بين بطحاء مكة والواقف على الصفا بجذاه الحجر الأسود والمروة يقابله . قيل إن الصفا والمروة كانا اسمي رجل وامرأة زنيا في الكعبة فسخهما الله تعالى حجرين افوضوا كل واحد على الحجر المسمى باسمه لاعتبار الناس ، وجاء في الحديث أن الدابة التي هي من أشراف الساعة تخرج من الصفا ، وكان ابن عباس رضى الله عنهما يضرب عصاه على الصفا ويقول : إن الدابة تسمع قرع عصاي هذه .

(جبل صقلية) هو جبل في وسط بحر المغرب . قال الحسن بن يحيى في تاريخ صقلية : إنه جبل مطل على البحر ذروته ثلاثة أيام فيه أشجار كثيرة أكثرها البندق والصنوبر والأرز وحوله أبنية كثيرة وفيها أصناف الثمار ، وفي أعلاه منافس يخرج منها النار والدخان وربما سالت النار منه إلى بعض جهاته فتحرق جميع ما مرت عليه فتجعله مثل خبث الحديد ، وعلى قمة هذا الجبل السحاب والثلوج والأمطار أبدا صيفا وشتاء . وزعم أهل الروم أن الحكماء كانوا يدخلون إلى هذه الجزيرة للنظر إلى عجائبها واجتماع النار والتاج فيه . وفيه معدن الذهب وتسميه أهل الروم بجزيرة الذهب أو جبل الذهب :

(جبلا الضلعين) في طريق مكة من البصرة يسمى أحدهما ضلع بنى مالك والآخر ضلع بنى سيبيان ، وهم بطن من الجن كفار ، فأما ضلع بنى مالك فيحل به الناس ويصطادون صيدها ويرعون كلاًها ، وأما ضلع بنى سيبيان فلا يصطاد صيدها ولا يرعى كلاًها ، وربما مر عليها من لا يعرف حالها فأصابوا من كلثها أو من صيدها فأصابهم شر في أنفسهم وأموالهم ولم يزل الناس يذكرهم كفرا ولا يريدون إسلام هؤلاء ، وضم حديث عجيب يأتي في مقالة الجن إن شاء الله تعالى .

(جبل طارق) بطبرستان . ذكر أبو الريحان الخوارزمي في الآثار الباقية من تصانيفه أن في هذا الجبل مغارة فيها دكة تعرف بدكة سليمان بن داود عليهما السلام إذا لطخت بشيء من الأقدار تفتحت السماء ولا تزال تمطر حتى يزال التندر عنها .

(جبل الطاهر) بأرض مصر: قال صاحب تحفة الغرائب: على هذا الجبل كنيسة فيها حوض يجري من الجبل ماء عذب إلى ذلك الحوض ويسمى ذلك الماء الطاهر، فإذا امتلأ الحوض ينصب الماء من جميع جوانبه فإذا ورد الحوض جنب أو حائض وقف الماء ولا يجري حتى يراق مافي الحوض وينظف تنظيفا جيدا وبعد ذلك يجري الماء.

(جبل طبرستان) قال صاحب [تحفة الغرائب] به حب شجر يسمى جوز مائل، من قطعه ضاحكا وأكله غلب عليه الضحك، ومن قطعه باكيا وأكله غلب عليه البكاء، ومن قطعه راقصا فكذلك، فعلى أى صفة من قطعه وأكله تغلب عليه تلك الصفة.

(جبل طور سيناء) بقرب مدين بين الشام وبين قرى مدين، وقيل إنه بقرب أيلة كان عليه الخطاب لموسى عند خروجه من مصر مع بنى إسرائيل فكان إذا جاءه سيدنا موسى ينزل عليه غمام وهو عليه السلام يدخل في ذلك الغمام ويكلمه ربه وهو الجبل الذى ذكره الله تعالى حيث قال - فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا - والذى بقرب مدين لا يخلو من الصلحاء وحجارته كيف كسرت خرج منها صورة شجر العليق.

(جبل طور هارون) جبل مشرف على قبلى بيت المقدس، وإنما سمي طور هارون لأن موسى بعد قتل عبدة العجل أراد المضى إلى مناجاة ربه، فقال له هارون: احملنى معك فإنى لست آمنأ أن يحدث ببنى إسرائيل حدث فتغضب على مرة أخرى فحمله معه، فلما كان ببعض الطريق إذاهما برجلين يحفران قبرا فوقفا عليه وقالا: لمن يحفران هذا القبر؟ فقالا لأشبه الناس بهذا الرجل، أشارا إلى هارون ثم قالاه: بحق إلهك إلا ما نزلت هل هو واسع؟ فنزع هارون ثيابه ودفنها إلى موسى أخيه ونزل القبر ونام فيه فقبض الله روحه في الحال وانضم القبر عليه، فانصرف موسى باكيا حزينا على مفارقتة وانصرف إلى بنى إسرائيل بثياب هارون فاتهموه بقتله، فدعا الله تعالى حتى أراهم تابوته بين الصفا على رأس الجبل فسمى الجبل جبل هارون.

(جبل الطير) بصعيد مصر في شرق النيل بقرب أنصنا وإنما سمي بذلك لأن صنفا من الطير أبيض يقال له البوقير يبنى في كل عام في وقت معلوم فينعكف على الجبل، وفيه كوة يأبى كل واحد منها ويدخل رأسه في هذه الكوة ثم يخرج ويبنى نفسه في النيل، ويقوم ويذهب من حيث جاء حتى يدخل واحد رأسه فيها فينقض على رأسه شىء من تلك الكوة فيضطرب ويبقى معلقا فيها إلى أن يتلف فيسقط نفسه من بعد مدة، فإذا كان ذلك انصرف الباقي لوقتة فلا يرى شىء من هذا الطير في هذا الجبل إلى ذلك الوقت المعلوم من العام القابل. قال أبو بكر الموصلى: سمعت من أعيان تلك البلاد أنه إذا كان العام مخصبا قبضت الكوة على طائرين وإن كان متوسطا فعلى واحد وإن كان مجدبا لم تقبض على شىء، والله أعلم بحاله.

(جبل غروان) في ذروة الطائف ليس بجميع الحجاز موضع أبرد منه . قالوا : إن الماء يبرد فيه ومن هذا الجبل اعتدال هواء الطائف وليس بالحجاز . وضع يجمد الماء به إلا غروان : (جبلا غوير وكسير) وهما جبلان في وسط البحر بين عمان والبصرة عظيمان يخاف على المراكب منهما صعب مسلكهما قلما ينجو منها مركب ، فلصعوبة المنجى منها سموهما بهذا : يقولون : غوير وكسير وثالث ليس فيه خير .

(جبل فرغانة) قال صاحب [تحفة الغرائب] إنه ينبت به نبات على صورة الأدمى منها على صورة الرجال ، ومنها على صورة النساء يوجد مع الطريقين كثيرا يتكلمون عليها ويقولون : أكلها يزيد في الباه .

(جبل قيلوان) قال أبو الريحان الخرازى : إنه بقرب المهرجان فيه صفة محفورة والماء يترشح من سقفها دائما ، وإذا برد الهواء جمد على شكل القضبان .

(جبل قاسيون) مشرف على دمشق ، فيه آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومغارات وكهوف ، منها مغارة تعرف بمغارة الدم . قالوا : فيها قتل قابيل هابيل ، وهناك حجر يزعمون أنه الحجر الذي فلق به هامته ، وفيه مغارة أخرى يسمونها مغارة الجوع ، يقولون : إنه مات فيها أربعون نبيا جوعا .

(جبل قاف) قال المفسرون : إنه جبل محيط بالدنيا وهو من زرجدة خضراء منه خضرة السموات ووراءه عالم وخلاتن لا يعلمهم إلا الله تعالى .

(جبل فدفد) بمكة ، وهو من الجبال التي لا ترتقى ذروته ، وفيه معدن البرام يحمل منه إلى سائر البلاد .

(جبل قصران) قال الشيخ الرئيس : إن العسل يقع بجبل قصران كما هو طلا ويختلف بحسب ما يقع عليه من الشجر والحجر ، والظاهر منه يلقطه الناس والخفي يلقطه النحل .

(جبل الكحل الإمد) بالأندلس بقرب مدينة بسطة . قالوا : إذا كان أول الشهر أخذ الكحل يخرج من نفس الجبل وهو كحل أسود ، ولا يزال كذلك إلى نصف الشهر فإذا زاد على النصف نقص الكحل ، ولا يزال يرجع الذي خرج إلى تمام الشهر ، والله الموفق للصواب .

(جبل كرنان) عند ناحية المعادن جبال فيها صحور إذا اشتعلت فيها النار انقادت كما يتقد الحطب .

(جبل كلستان) كلستان من قرى طوس . ذكر بعض فقهاء خراسان أن في هذا الجبل كهفا شبيه إيوان وفيه دهليز يمشى فيه الإنسان منحنيا مسافة ثم يظهر الضوء عن حظيرة محوطة

فيها عين ينبع الماء منها وينعقد حجرا على شكل القضبان ، وفي هذه الحظيرة ثقب يخرج منه ريح شديدة جدا لا يمكن دخوله لشدة هوب الريح .

(جبل الأرجان) بأرض طبرستان ، فيه ماء يتقاطر من الجبل من كل جبانة ومن كل قطرة ينعقد حجرا مسدسا أو مثمنا والناس يتخذون منه الخرز .

(جبل لبنان) مطل على حمص ، فيه الفواكه والزروع من غير أن يزرعها أحد بأوى إليه الأبدال لما فيه من الثقوت الحلال ، وفي تفاحه أعجوبة وهي أن يحمل من الشام ولا رائحة له حتى يتوسط نهر الثلج فإذا توسط النهر فاحت رائحته .

(جبل المغناطيس) قال المهلبى : جبال المغناطيس متصاة بجبال القلزم وقد علا الماء عليها ، ولهذا المعنى لا يستعمل في مراكب هذا البحر المسابير الحديد خوفا من جذب المغناطيس إياها .

(جبل موركان) بأرض فارس ، فيه كهف يتقاطر الماء من سقفه . قالوا : إن دخل الكهف واحد خرج من الماء ما يكفي الواحد وإن دخل ألف خرج من الماء ما يكفي الألف .

(جبل الغار) بأرض تركستان فيه غار من دخله من الحيوانات يموت في الحال . (جبل نهاوند) قال ابن الفقيه : على هذا الجبل طلسمان صورة ثور وسمك يقال إنهما للماء حتى لا يقل ، وماؤه ينقسم قسمين قسم يجرى إلى نهاوند والآخر إلى دينور .

(جبل هرمز) بأرض طبرستان جبل يسمى هرمز ينزل منه الماء وينصب إلى وهد فإذا صاح الإنسان صيحة يقف ، وإذا صاح أخرى يسيل وهكذا جبل الهند . قال صاحب [تحفة الغرائب] بأرض الهند جبل عليه صورة أسدين والماء يخرج من فمهما فيصير ساقيتين وعليهما شرب قريتين على كل ساقيه قرية ، ف وقعت بين القريتين خصومة على الماء فكسروا فم إحدى الصورتين فانقطع ماؤه وخربت القرية ، والله أعلم .

(جبل واسط) قال أحمد بن عمر العذرى : إنه بالأندلس بقرب سدونة في هذا الجبل كهف فيه شق وفي الشق فأس حديد متعلق تراه العيون وتناله الأيدي ، ومن أراد إخراجه لم يطق ذلك وإذا رفعته اليد ارتفع وغاب في الشق ثم يعود إلى حالته . ذكر بعض مشايخ بسدونة : أن بعض الناس أوقد نارا عظيمة على هذه الصخرة ورش عليها الخلل لتفتح الصخرة ويخرج الفأس فما أفاد شيئا .

(جبل بله سيم) بل اسم ضيعة من ضياع قزوين ، هناك جبل حدثني من صعد هذا الجبل قال : عليه صور الحيوانات مسخها الله تعالى حجرا منها راع متكى على عصا يرعى غنمه وامرأة تحلب بقرة وغير ذلك من صور الإنسان والبهائم كلها مسخت حجرا وأهل قزوين يعرفون ذلك ، والله تعالى أعلم بالصواب .

(فصل في تولد الأنهار)

إذا وقعت الأمطار والثلوج على الجبال تنصب إلى المغارات وتبقى مخزونة فيها في الشتاء فإذا كان في أسفل الجبال منافذ ينزل الماء من الأوشال بتلك المنافذ فتحصل ومنها الجداول ينضم بعضها إلى بعض فيحدث منها أنهار وأودية ، فإن كانت الخزانات في أعلى الجبال فيستمر جريانها أبدا لأن مياهها تنصب إلى سفح الجبال ولا تنقطع مادتها لوصول مددها من الأمطار وإن كانت الخزانات في أسافل الجبال فتجري منها الأنهار عند وصول مددها ثم ينقطع عند انقطاع المدد وتبقى المياه فيها واقفة كما ترى في الأودية التي تجرى في بعض الأيام ثم تنقطع لانقطاع مادتها .

قال صاحب [تحفة الغرائب] إن في هذا الربع المسكون مائتين وأربعين نهرا طولا، منها ما طوله من خمسين فرسخا إلى مائة فرسخ إلى ألف فرسخ، ومنها ما يجري من المشرق إلى المغرب، ومنها ما يجري من المغرب إلى المشرق، ومنها ما يجري من الشمال إلى الجنوب، ومنها ما يجري من الجنوب إلى الشمال وكلها تبتدى من الجبال وتنتهي إلى البحار والبطائح وفي مرها تنسقي المدن والقرى وما فضل ينصب إلى البحار ويختلط بالماء المالح والشمس تشرق فيها فيصعد بخارا وينعقد غيوما وتسوقها الرياح إلى الجبال والبراري، وتمطر هناك وتجري في الأودية والأنهار وتسقي البلاد ويرجع فاضلها إلى البحر، ولا يزال هذا دأبها وتدور كالرحى في الشتاء والصيف إلى أن يبلغ الكتاب أجله .
(ولندكر) بعض الأنهار وخواصها وعجائب أحوالها وغرائب حيواناتها مرتبا على حروف المعجم .

(نهر إتل) نهر عظيم يقارب دجلة في بلاد الخزر يجيئه من أرض الروس وبلغار ومصبه بحر الخزر وقالوا: يتشعب من هذا النهر نيف وسبعون نهرا وعمقه يبتى كما كان لا يتغير لغزارة الماء فإذا انتهى إلى البحر يجري فيه يومين فيغلب ماء البحر ويبين لونه من لون ماء البحر ويحمد في الشتاء لعدوبته، وفي هذا النهر حيوانات عجيبة . ذكر أحمد بن فضلان رسول المقتدر بالله إلى بلغار قال : لما وصلت إلى بلغار سمعت أن عندهم رجلا عظيم الخلق فسألت الملك عنه ؟ فقال : نعم ما كان من أهل بلادنا . ومن خبره أن قوما خرجوا إلى نهر إتل وكان قدمد وطني فقالوا : أيها الملك قد وقف على الماء رجل إن كان من أمة تقرب منا فلا مقام لنا فركبت معهم حتى صرت إلى النهر وإذا رجل طوله اثنا عشر ذراعا ورأسه كأكب من يكون من القدر وأنفه أطول من شبر وعينه عظيمتان وكل أصبع منه شبر ، فأقبلنا نكلمه وهو لا يزيد على النظر إلينا فحملته إلى مكاني وكتبت إلى أهل ويسو وبيننا وبينهم ثلاثة أشهر فعرفوني أن هذا الرجل من يأجوج ومأجوج . قالوا يحول بيننا وبينهم البحر . قالوا : فأقام الرجل عندنا مدة ثم أصابه في نحره علة مات منها فخرجت ورأيت جثة هائلة جدا .

(نهر أذربيجان) قال محمد بن زكريا الرازي عن الجبهاني صاحب [المسالك والممالك الشرقية]: إن بأذربيجان نهرا يجري ماؤه فيستحجر ويصير صفائح صخر يستعملونه في البناء .

(نهر أسفار) قال صاحب [تحفة الغرائب]: بأرض أسفار نهر يجري الماء فيه سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود في التاسعة ثم ينقطع ثمان سنين وهكذا دأبه :
(نهر آنه) قال العذري صاحب [الممالك والمسالك الأندلسية] يخرج هذا النهر من موضع يعرف بفتح العروس ثم يفيض ويجري تحت الأرض لا يبقى له أثر على وجه الأرض، ثم يجري بقرية يقال لها آنه ثم يفيض ويجري تحت الأرض ثم يبدو ثم يفيض بين ماردة وبطليوس ثم يبدو وينصب في البحر .

(نهر جيحون) قال الإصطخري: جيحون يخرج من حدود بدخشان ثم ينضم إليه أنهار كثيرة في حدود الجبل ووحش فيصير نهرا عظيما ثم يمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم، ولا ينتفع به شيء من البلاد إلا خوارزم لأنها مستقلة به ثم ينصب في بحيرة خوارزم بينها وبين خوارزم ستة أيام . وجيحون مع كثرة مائه يجمد في الشتاء عند اشتداد البرد فيجمد أولا قطعا تجري على وجه الماء ويلتصق بعضها ببعض حتى يصير جيحون سطحا واحدا، ثم يثخن ويصير ثخنه في أكثر الأوقات خمسة أشبار والماء يجري تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم آبارا بالمعاول ليستقوا منها لشربهم فإذا استحكم جموده عبرت عليه القوافل والعجلات المحملة، ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق ويتظاهر عليه الغبار ويبقى على ذلك شهرين، فإذا انكسر البرد عاد يتقطع قطعا كما بدأ أول مرة إلى أن يعود إلى حاله الأول، وإنه نهر قتال قلما ينجو منه غريقه :

(نهر حصن المهدي) قال صاحب [تحفة الغرائب] إنه بين البصرة والأهواز في بعض الأوقات يرتفع منه شبه منارة يسمع منها أصوات الطبل والبوق ولا يعرف أحد سبب ذلك .
(نهر جريح) بأرض الترك فيه حيات إذا وقع عين أحد من الحيوان عليها يغشى عليه .
(نهر دجلة) هو نهر بغداد، مخرجه من أصل جبل بقرب آمد هند حصن ذي القرنين تجري عين دجلة من تحته وهناك ساقية وكلما امتدت انضم إليها مياه جبال ديار بكر وآمد يخاض فيه الدواب ثم يمتد إلى مياه فارقين ثم إلى حصن كينبي ثم إلى جزيرة ابن عمر ثم إلى الموصل وينصب فيه الرايات، ومنها يعظم إلى بغداد ثم إلى واسط ثم إلى البصرة ثم ينصب إلى بحر فارس، وماء دجلة من أعذب المياه وأصفها وأخفها وأكثرها نفاعا لأن مجراه من مخرجه إلى مصبه في العمارات . وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله تعالى أوحى إلى دانيال عليه الصلاة والسلام أن احفر لعبادي نهري واجعل مفيضهما البحر ففسد أمرت

الأرض أن تطيعك فأخذ خشبة يجرها في الأرض والماء يتبعه، وكلما مر بأرض يتيم أو أرملة أو شيخ ناشده الله تعالى فيحجد الماء عنهم . قيل : دجلة والفرات من ذلك ، ودجلة نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقها .

(حكى) أنهم وجدوا فيها غريقتا فأخذوه فإذا فيه رمق فلما رجعت إليه نفسه سئل عن حاله ، وكان من موضع وقوعه إلى موضع نجاته مسيرة أيام .

(نهر الذهب بالشام) يزعم أهل حلب أنه وادي بطنان ، ومعنى قولهم نهر الذهب لأن جميعه يباع أوله بالميزان وآخره بالكيل فإن أوله تزرع عليه الجيوب وتغرس عليه الأشجار وآخره ينصب إلى بطيحة فرسخين ينقذ ملحا ، والعجب من هذا النهر أنه لا يضيع منه شيء بل يباع كله بالذهب .

(نهر الرأس) بأذربيجان شديد جرى الماء وبأرضه حجارة بعضها ظاهرة وبعضها مغطاة بالماء ولهذا ليس للسفن فيه مجرى وله أجراف هائلة ذات حجارة عظيمة لأمشاع لها . زعموا أنه من عبر نهر الرأس بدجلة إذا مسح برجليه ظهر امرأة عسرت ولادتها تضع في الحال ، وكان بقزوين شيخ تركاني اسمه الخليل كان يفعل ذلك : وزعموا أيضا أن نهر الرأس مسامح بالغرق كثيرا ما ينجو غريقه . ومن العجائب ما ذكره ديسم بن إبراهيم صاحب أذربيجان . قال : كنت أجتاز على قنطرة الرأس بعسكري فإذا صرت في وسط القنطرة رأيت امرأة ومعها طفل في قماطه فصدمتها دابة فرمتها فسقط الطفل من يديها في النهر فوصل إلى الماء بعد زمان لبعده ما بين القنطرة وسطح الماء ثم غاص وطفا الماء يجري به وسلم من الحجارة التي في النهر ، وللعقبان أوكار على أجراف النهر فرآه عقاب فانقض عليه فرفعه وخرج به إلى الصحراء فأمرت جماعة بالركض في أثر العقاب فإذا العقاب قد وقع على الأرض واشتغل بمخرق القماط فأدركه القوم وصاحوا به وركضوا نحوه فطار وترك الطفل فوجدوه سالما يبكي فردوه إلى أمه .

(نهر بين الموصل وأربل) يبتدىء من أذربيجان وينصب في دجلة يقال له الزاب المحنون لشدة جريانه ، ولقد شربت من مائه وقت القيظ عند الظهيرة وكان باردا جدا وذلك لشدة جريه فإن الشمس لا تؤثر فيه حتى يسخن ماؤه .

(نهر زرير ونهر أصفهان) موصوف باللطافة والعدوبة يغسل فيه الثوب الخشن يصير لينا مثل الحرير مخرجه من قرية يقال لها بياكان ويعظم بانضمام المياه إليه عند أصفهان ويسقى بساتينها ورساتيقها ثم يغور في رمل هناك ويخرج بكرمان ثم ينصب في بحر الهند : ذكر بعضهم : أنهم أخذوا قصبه وعملوا وأرسلوها في موضع الغور فخرجت بكرمان . (نهر زوبر) بأذربيجان بقرب مزبد لا يخوضه الفارس فإذا وصل إلى قرب مزبد

يجرى تحت الأرض أربعة فراسخ ثم يظهر على وجه الأرض، أخبر به الشريف محمد بن ذى الفقار العلوى المزيدي .

(نهر سنجة) هو نهر عظيم بأرض مصر بين حصن المنصور وكيسوم لا يتهاى يخوضه لأن قراره رمل سيال ، وعلى هذا النهر قنطرة ، وهى إحدى عجائب الدنيا لأنها عقد واحد من الشط إلى الشط مقدار مائتى خطوة من حجر مهندم طول كل قطعة عشرة أذرع .

(وحكى) أنه عندهم طلسم على لوح إذا غاب موضع من القنطرة أدى ذلك اللوح على موضع العيب فينزل الماء عنه فيصلح ثم يرفع اللوح فيعود الماء إلى حاله الأول ، والله أعلم .

(نهر شلف) بأفريقية : حدثني الفقيه سليمان الملباني : أن فى كل ستة أيام الورد يظهر فيه صنف من السمك يسمى الشبوق طيب اللحم إلا أنه كثير الشوك طوله قدر ذراع ويبقى شهرين ، ويكثر صيدها فى هذا الوقت ويرخص ثمنها ثم ينقطع فلا يرى فيها شيء إلى العام القابل .

(نهر صقلاب) بأرض صقلاب فى كل أسبوع يجرى فيه الماء يوماً واحداً ثم ينقطع ستة أيام ثم يجرى فى السابع وهكذا :

(نهر طبرية) نهر عظيم والماء الذى يجرى فيه نصفه حار ونصفه بارد لا يختلط أحدهما بالآخر ، فإذا أخذ فى الإناء يبقى كله بارداً خارج النهر .

(نهر العاصى) نهر حماة وحمص ، مخرجه من قدس ومصبه البحر قرب أنطاكية ، وإنما سمى العاصى لأن أكثر الأنهر تتوجه من نحو الجنوب هكذا وهذا يتوجه من شمال .

(نهر الفرات) مخرجه من أرمينية ثم من قاليقلا قرب أخلاط ثم إلى ملطية ثم إلى سميساط ثم إلى الرقة ثم إلى غانة ثم إلى هيت ثم ينصب فى دجلة بعدما يسقى المزارع والبساتين بهذه البلاد ، والفاضل منها ينصب فى دجلة بعضه وبعضه فى بحر فارس : وللفرات فضائل كثيرة روى « إن أربعة أنهار من الجنة النيل والفرات وسيجان وجيحان » وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : يا أهل الكوفة إن نهركم هذا يصب إليه ميزابان من الجنة : وروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه : أنه شرب من ماء الفرات ثم ازداد وحمد الله تعالى وقال ما أعظم بركته لو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا على حافتيه القباب ، ولولا ما يدخله من الخطائين ما اغتمس فيه ذو عاهة إلا برى . وعن السدى أن الفرات مد فى زمن على رضى الله عنه فألقى رمانة عظيمة كان فيها كرحب فأمر المسلمين أن يقتسموه ، بينهم وكانوا يرون أنها من الجنة .

(نهر القورج) بين القاطول وبغداد . وكان سبب حفره أن كسرى لما حفر القاطول أضر

بأهل الأسافل فخرج أهل تلك النواحي للظلم فوافوه وقد خرج متنزها فقالوا: جثناك متظلمين فقال: ممن؟ قالوا: منك، ففتى رجله ونزل عن دابته وجلس على الأرض، فأتى بشيء يجلس عليه فأبى أن يجلس على غير التراب إذ أتاه قوم للنظم، ثم قال: ما مظلمتكم؟ قالوا: حفرت القاطرل وقطعت الماء عنا فخربت ديارنا، فقال: إني لأسده ليعود الماء إليكم. قالوا: لا نجشمك ذلك لكن مر ليعمل لنا مجرى دون القاطرل فعمل لهم مجرى بناحية القورج فعمرت بلادهم، وأما الآن فهو بلاء على أهل بغداد فإنهم يجتهدون في سدده وإحكامه فإذا زاد الماء تعدى إلى البلد.

(نهر السكر) بين أرمينية وأران، وهو نهر عظيم سليم، أكثر ما يقع فيه من الحيوان ينجو. حدثني بعض فقهاء نقجوان قال: وجدت غريقا في نهر السكر يجرى به الماء فبادر القوم إلى إمساكه فأدركوه وقد بقي منه رمق، فلما استقرت نفسه وسكن جأشه قال: أي مرضع هذا؟ قالوا: نتجوان. قال: إني وقعت في الماء من الموضع القلاني فكان بينه وبين نتجوان ستة أيام فطلب منهم طعاما فذهبوا لإحضار الطعام فانقض عليه الجدار الذي كان قاعدا تحته، فتمعج التوم من مساححة الماء وتعدى الجدار.

(نهر الملك) ببغداد مشتمل على كوة واسعة. قيل أول من حفره سليمان عليه السلام، وقيل حفره الإسكندر، وقيل حفره أردشير بن مامك وأخذ ملكه فقال: إنه يشتمل على ثلثمائة وستين قرية على عدد أيام السنة، وإنما وضع هذا ليكون ذخيرة لقوت سنة كل قرية قوت يوم لو أجدبت غيرها من الأرض كما فعل يومسف عليه الصلاة والسلام بالفيوم بمصر: (نهر مهران) بالسند عرضه كعرض جيحون يقبل من المشرق إلى المغرب حتى يقع في بحر فارس أسفل الهند: قال الإصطخرى: يخرج من ظهر جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون ويظهر بملطان ثم على المنصورة ثم يقع في البحر، وهو نهر كبير جدا ماؤه عذب فيه تماسيح كما في النيل، وإنه يرتفع ويمتد على وجه الأرض ثم ينصب فيزرع عليه مثل ما يزرع على النيل بأرض مصر. قالوا: إن تماسيح هذا النهر أصعب من تماسيح النيل وأصغر.

(نهر مكران) عليه قنطرة من الحجر قطعة واحدة من عبر عليها يتقيأ جميع ما في بطنه بحيث لا يبقى فيه شيء، ولو كانوا ألوفا كان هذا حالهم، فمن أراد من الناس النجاة عبر على تلك القنطرة.

(نهر النيل) ليس في الدنيا نهر أطول من النيل لأنه مسيرة شهر في بلاد الإسلام وشهرين في بلاد النوبة وأربعة أشهر في الخراب إلى أن يخرج ببلاد القمر خلف خط الاستواء، وليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال ويمد في شدة الحر حين تنقص الأنهار كلها ويزيد بترتيب وينقص بترتيب غيره: وسبب مده أن الله تعالى يبعث الريح الشمال فيتلج عليه

البحر المالح فيصير كالسكن له فيزيد فيعم الرنى والتلال ويجرى في الخجلان حتى يملأها ، فإذا بلغ الحد الذى هو تمام الرى وحضر زمان الحراثة بعث الله الريح الجنوب فأخرجته إلى للبحر وانتفع الناس بما أروى من الأرض . ولما كان زمان يوسف عليه السلام اتخذ مقياسا يعرف به قدر الزيادة والنقصان فيزرعون عليه فإذا زاد على قدر كفايتهم يستبشرون بخصب السنة وسعة الرزق ، وذلك المقياس عمود قائم فى وسط بركة على شاطئ النيل لها طريق إلى النيل يدخلها الماء إذا زاد وعلى ذلك العمود خطوط معروفة عندهم يعرفون بوصول الماء إليه مقدار زيادته ، فأقل ما يكفى أهل مصر لستهم أن يزيد أربعة عشر ذراعا ، فإن زاد ستة عشر ذراعا زرعوا ما يفضل عن عامهم ، وأكثر ما يزيد ثمانية عشر ذراعا والذراع أربعة وعشرون أصبعا . وذكر عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الحكم : أن المسلمين لما فتحوا مصر جاء أهلها إلى عمرو بن العاص رضى الله عنه وقالوا : أيها الأمير إن لبلادنا سنة لايجرى النيل إلا بها ، وذلك أنه إذا كان لاينتى عشرة ليلة من شهر بؤنة عمدنا إلى جارية بكر فأرضينا أبوها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون وألقيناها فى النيل ليجرى ، فقال لهم عمرو : إن هذا فى الإسلام لا يكون فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى والماء لا يجرى قليلا ولا كثيرا وهم الناس بالجللاء ، فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلمه بذلك ، فكتب فى جوابه : أما بعد : فقد أصبت فى أن هذا فى الإسلام لا يكون وقد بعثت إليك بطاقة فألقها فى داخل النيل ، فإذا فى الكتاب :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر .

(أما بعد) فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وإن كان الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك ، فألقى عمرو بن العاص البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم وقد تهبأ أهل مصر للجللاء فأصبحوا يوم الصليب وقد أجرى الله تعالى النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة ، فإذا استوى الماء كما ذكرنا عند المقياس كسر الخجلان حتى تمتلئ جميع الأرض من مصر وتبقى التلال والقرى عليها وسائر الأرض تكون فى البحر ، فإذا استوفت الأرض الماء ورويت وزرعت عليها أصناف الزروع واكتفت بتلك الشربة لأنه كلما تأخر الوقت برد الجو فلا تنشف الأرض إلى أن يدرك الزرع وعاد الوقت يأخذ فى الحر والصفى حتى ينضج الزرع فيأخذوا فى حصادها وفى ذلك عبرة . ومن عجائب النيل السمك الرعادة والتمساح وقد ذكرناهما فى حيوان الماء ، وفى النيل موضع يجتمع فيه السمك فى كل سنة يوما معلوما فالإنسان يصيد بيده ما يشاء ثم يفرق إلى ذلك اليوم من السنة القابلة .

(نهر هند مند) بسجستان نهر عظيم يقول أهل سجستان : إنه ينصب فيه ألف نهر ولا تتبين زيادة فى عموده وينشق منه ألف نهر ولا يظهر فيه نقصان وإنه فى الحاليتين سواء

(نهر اليمن) قال صاحب [تحفة الغرائب] بأرض اليمن نهر عند طلوع الشمس يجرى من المشرق إلى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب إلى المشرق ، والله تعالى أعلم .

(فصل : في تولد العيون والآبار وعجائبها)

ذهبوا إلى أن في جوف الأرض منافذ ومسام وفيها إما هواء أو ماء ، فإن كان هواء يصير ماء بسبب برودة تلحقها ، فإن كان أصابه مدد من جهة أخرى لا يسع ذلك الموضع تنشق الأرض إن كانت رخوة ويظهر على وجهها ، وإن لم يكن لها قوة الخروج فيحتاج إلى أن ينحى عنه التراب حتى يظهر كماء القنوات والآبار ، هذا إذا لم يكن لها مادة من البحار والأنهار والأوشال فإن كان لها مدد فسببها ظاهر :

وأما سبب اختلاف العيون فإن منها حارة وباردة وعفصية وشبية وأمثال ذلك ، فإن المياه تسخن تحت الأرض في الشتاء وتبرد في الصيف بسبب أن الحرارة والبرودة ضدان في باطن الأرض لا يجتمعان في مكان واحد وزمان واحد ، فإذا جاء الشتاء برد الجو وفرت الحرارة إلى باطن الأرض والأمر في الصيف بضد ذلك ، فإن كانت مواضعها كبريتية بقيت الحرارة فيها دائمة بسبب المادة الكبريتية وهي مادة رطوبة دهنية ، فإن أصابها نسيم الهواء وبرد الجو جمدت فصارت زئبقا أو قيرا أو نفطا أو شبا أو ملحاً أو ماشابه ذلك بسبب اختلاف تراب بقاعها وتغيير أهوية أماكنها .

ولنذكر بعض العيون العجيبة ثم الآبار العجيبة مرتبة على حروف المعجم ، والله الموفق :
(عين أذربيجان) قال في [تحفة الغرائب] بأذربيجان عين ينبع الماء منها وينعقد حجرا والناس يتخذون قالب اللبن ويصبون من ذلك الماء عليه ويصبرون عليه يسيرا والماء في القالب يصير حجرا :

(عين أدريهستل) أدريهستل ضيعة من ضياع قزوین على ثلاث فراسخ منها ، بها عين إذا شرب الإنسان من مائها أسهل إسهالا شديدا . ومن خواصها أن الإنسان يقدر أن يشرب منها عشرة أرطال ويقصدها في كل يوم خلق كثير من النواحي لشربها لأجل الإطلاق . وإذا حمل من مائها إلى قزوین زالت خاصيته فلا يعمل شيئا ، وسمعت أهل قزوین يقولون : بين هذه الضيعة وبين قزوین نهر إذا جاوز ذلك النهر بطلت خاصيته .

(عين إسكندرية) عين مشهورة فيها نوع من الصدف يطبخ ويؤكل لحمه ويشرب مرقه ينفع من الجذام ويبرئه ، ويوجد فيها كل وقت لا يخلو عنه شيء من الأوقات .

(عين إيلابستان) قال صاحب [تحفة الغرائب] إن بين إسفرايين وجرجان ضيعة تسمى إيلابستان بها عين ينبع منها ماء كثير ، فربما ينقطع في بعض الأوقات ويدوم انقطاعها أشهراً ، فعند ذلك يخرج أهل الضيعة رجالها ونساؤها في أحسن ثيابهم بالدفوف والشبابات

والملاهي و برقصون عند ماء العين و يلعبون فإن الماء ينبع و يجرى ، وهو ماء كثير مقدار ما يدور رحون .

(عين بادحاني) قال صاحب [تحفة الغرائب] مكان بدمعان يسمى كهن به عين تسمى بادحاني ، فإذا أراد أهل الضيعة هبوب الريح عند الدياس لتنتقيه الحبوب أخذوا خرقة الحبيص ورموها في تلك العين فيتحرك الهواء ، و من شرب من مائها ينتفخ بطنه ، و من حمل معه شيئاً من ذلك الماء إذا فارق منبعه يصير حجراً .

(عين باميان) قال في [تحفة الغرائب] بأرض باميان عين ينبع منها ماء كثير بصوت و جلبة و يشم منها رائحة الكبريت ، من اغتسل به يزول جربه ، و إذا ترك من ذلك الماء في كوز و سد رأسه سدا وثيقاً و تركته يوماً يصير خائراً شبه الخمير ، و إذا عرضت عليه شعلة نار يشتعل ، والله أعلم .

(عين جاج) قال في [تحفة الغرائب] إذا خرجت من جاج بقربها عقبة على رأسها عين ماء إذا كانت السماء مصحية لا ترى فيها قطرة ماء ، و إذا كانت السماء مغيمة ترى العين مملوءة من الماء .

(عين جاجرم) هي منبع قناة بين جاجرم و أسفرايين ، حدثني بعض فقهاء خراسان أن من غاص في مائها و به جرب زال جربه ، و يقصدها أصحاب الجرب للعلاج ؛
(عيون جبال سيران) بناحية باميان جبال فيها عيون لا تقبل شيئاً من النجاسة ، و إذا أتى فيها شيء من النجاسة ماج و علا نحو الملقى فإن أدركه أحاط به حتى يغرقه ؛
(عين جبل ملطية) حدثني بعض التجار أن بقرب ملطية جبل فيه عين يخرج منها ماء غذب غزير شديد البياض يشرب الحيوان منه ولا يضره ، فإذا جرى مسافة يسيرة يتعقد حجراً ،
(عين وادان) عين فيها نبات ، من غاص فيها يلتفت عليه ذلك النبات يمسكه ، و كلما سعى في تخليص نفسه كان إمساكه له أشد ، و إذا لم يسع في التخليص انحل عنه يسيراً .

(عيون دوراق) حدثني الشيخ عمر التسلمي أنها عيون كثيرة تنبع في جبل كلها حارة ، فربما يصعد منها دخان يلتهب فترى شعلته بيضاء و حمراء صفراء و خضراء يجتمع في حوضين أحدهما للرجال و الآخر للنساء يقصدها الناس لدفع الأمراض البلغمية فمن نزل فيها يسيراً يسيرا انتفع به ، و من طفر فيها يحترق جميع بدنه و يتنفط ، والله أعلم ؛

(عين رأس الناعور) بشرقي الموصل عين في قرية تسمى زراعة بها عين فوارة غزيرة الماء ينبت فيها من اللينوفر شيء كثير يباع بثمان جيد ، و يدمن غلة تلك الضيعة ؛

(عين نهاوند) بقرب البحيرة المنتنة بأرمينية أجمة شريفة كثيرة المنفعة ، و ذلك أن الحيوان يموص فيها و به كلوم فتراه عن قريب قد اندملت قروحه و التحمت ، ولو كان درنها

عظام موهنة وأزجه كامنة وشظايا غامضة تنفجر أفواها وتجتمع على النظافة ويأمن الإنسان غائلتها .

(عين زعر) على طرف البحيرة المنتنة بينها وبين البيت المقدس ثلاثة أيام ، وزعر اسم بيت لوط عليه السلام ، وهي العين التي جاء ذكرها في حديث الجلجاسة وعدها من أشراط الساعة .

(عين سياه سنك) قال صاحب [تحفة الغرائب] بجرجان موضع يسمى سياه سنك به عين على تل تأخذ الناس ماءها لتشرب وفي الطريق إليها دودة فنأخذ من ذلك الماء وأصابت رجله تلك الدودة يصير الماء الذي معه مرافيرد ويعود إليها مرة أخرى .

(عين شميرم) وهي ناحية بين أصفهان وشيراز بها مياه مشهورة وهي من عجائب الدنيا ، وذلك أن الجراد إذا وقعت بأرض يحمل من ذلك الماء إليها بشرط أن لا يوضع الظرف الذي فيه ذلك الماء على الأرض ولا يلتفت حامله إلى ورائه فيتبع ذلك الماء من الطير الأسود عدد لا يحصى ويقتل الجراد وهذا مجرب ، ولقد وقع بأرض قزوين جراد كثير وأكل جميع زرعها وباضت فبعث أهل قزوين لطلب هذا الماء فجاءوا به فجاء الطير خلفه وأكل الجراد جميعه .

(عين شيركيران) وهي من ضياع مراغة فيها عينان يفور منهما الماء ويذهبا قدر ذراع ماء لإحدهما في غاية البرودة وماء الأخرى في غاية الحرارة أخبر به الفقيه حسن المراضى .
(عيون طبرية) ذكروا أن هناك عيوناً ينبع الماء منها سبع سنين متواليات ثم يبس سبع سنين متواليات وهكذا على مرور الأيام .

(عين العقاب) قال صاحب [تحفة الغرائب] بأرض الهند عين على رأس جبل إذا هرم العقاب أتى به فراخه إلى هذه العين وتغسله فيها ثم تضعه في شعاع الشمس ، فإن ريشه يتساقط عنه وينبت له ريش جديد ويزول عنها الضعف وترجع إليه القوة والشباب .
(عين غرناطة) قال أبو حامد الأندلسي : بقرب غرناطة من أرض الأندلس كنيسة عندها عين ماء وشجرة زيتون يخرج الناس إليها في يوم معلوم من السنة يقصدونها ، وإذا طلعت الشمس في ذلك اليوم فاضت تلك العين بماء كثير ، ويظهر على الشجرة زهر الزيتون ثم ينعمد زيتونها ويكبر ويسود في يومه ويؤخذ من الزيتون من قدر على أخذه وكذلك يأخذون من ماء تلك العين للتداوى ، وهذا الحديث قرأته في كتب عديدة .

(عين عرنة) بقرب عرنة عين إذا ألقى فيها شيء من القاذورات يتغير الهواء ويظهر البرد والرياح العاصف والمطر ويبقى على تلك الحالة إلى أن تنحى النجاسة عنها . وذكروا أن السلطان محمود بن سبكتكين لما أراد فتح عرنة كان كلما قصدها بادر أهل عرنة إلى العين
(٩ — عجائب الخلوقات)

وألقوا فيها شيئا من القاذورات فلم يمكنه الإقامة هناك حتى عرف ذلك منهم فبعث السلطان أولا على العين حفاظا ثم سار إليهم فلم ير شيئا مما كان يرى قبل ذلك ففتحها .
(عين الفرات) بقرب أرزن الروم ، من اغتسل بمائها في الربيع يأمن من أمراض تلك السنة .

(عين قراور) وهى بأرض خراسان : حدثني بعض فقهاء خراسان وقال : من المشهور عندنا أن من اغتسل بالعين التي بقراور يزول عنه حمى الربيع ، والله أعلم .
(عين القيارة) بالموصل على مرحلة منها ينبع منها شيء كثير من القير ويحمل منها إلى سائر البلدان ، يقصدها الناس من الموصل يستحمون بها ويستشفون بمائها :

(عين المشقق) وهو واد بالحجاز . قال ابن إسحاق : كان بها وشل يخرج منه ماء يروى الراكب والراكبين ، فقال صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك « من سبقنا فلا يسقين منه شيئا حتى تأتبه فسبقه نفر من المنافقين فاستسقوا منها ، فلما أتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليها فلم يرفها شيئا فقال : من سبقنا إلى هذه ؟ فقالوا : فلان وفلان يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : أولم أنبههم أن يسقوا منها شيئا ، ثم نزل فوضع يده تحت الوشل وجعل يصب في يده من الماء ماشاء الله ثم نضح به ومسحه بيده ثم دعا بما شاء الله فانخرق من يده من الماء ما يسمع له حس كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : لئن بقيتم أوبقى منكم أحد ليسمعن بهذا الوادى وقد اخضر ما بين يديه وما خلفه » وكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(عين منكور) ذكر أبو الريحان الخوارزمي في الآثار الباقية : أن ببلاد كيمال جبلا يسمى منكورا ، وفيه عين في حفرة على قدر ترس كبير وقد استوى سطح الماء مع حافتها فرما يشرب منه عسكر ولا ينقص أصبعها ، وعند هذه العين صخرة عابها أثر رجل لإنسان وأثر كفيه بأصابعهما وأثر ركبته كأنه كان ساجدا وأثر قدم صبي وأثر حوافر حمار ويسجد لها الأتراك للقرية ،

(عين منية هشام) وهى قرية بأرض طبرية . حكى الثعالبي أن بها عينا يجري ماؤها سبع سنين دائما ثم ينقطع سبع سنين دائما هكذا وذلك معروف .
(عين النار) بين أقشهر وأنطاكية . حدثني من رآها قال : إذا غمست فيها قصبية احترقت . وقال : كنت مع السلطان علاء الدين كيخسرو عند اجتيازه بها فوقف عليها وأمر بتجربتها فكان صحيحا .

(عين ناطول) ناطول اسم موضع بمصر فيه غار وفي الغار عين ينبع الماء منها ويتقاطر

على الطين فيصير ذلك الطين قارا . حكى بعضهم قال : رأيت من ذلك الطين قطعة نصفها قارا والباقي طين .

(عين نهاوند) قال صاحب [تحفة الغرائب] بأرض الجبال بقرب نهاوند عين في شعب جبل من احتاج إلى الماء لسقى الأرض يمشى إليها ويدخل الشعب وعنده يقول بصوت رفيع : إني محتاج إلى الماء ثم يمشى نحو زرعه فالماء يجرى نحوه ، فإذا انقضت حاجته يرجع إلى الشعب عند العين ويقول : قد كفاني الماء ، وبضرب برجله على الأرض فإن الماء ينقطع .
(عين هرماس) عين عجبية بقرب نصيبين على مرحلة منها وهي مسدودة بالحجارة والرصاص لئلا يطلع منها ماء كثير فيغرق المدينة ، وكان المتوكل على الله لما وصل إلى نصيبين سمع بأمر هذه العين وعجيب شأنها وكثرة مياهها أمر بفتحها ففتح منها شئ يسير فغلب عليه الماء غلبة شديدة فأمر بإحكامها وردها إلى ما كانت ؛ فمن هذه العين يحصل نهر الهرماس فيسقى نصيبين ، وفاضل ماثا ينصب إلى الخابور ثم إلى الرثار ثم إلى دجلة .

(عين الهم) قال صاحب [تحفة الغرائب] إذا توجهت من طريق جهينة إلى جرجان ترى في سفح جبل عينا يجتمع ماؤها في غدير مقدار غلوة سهم في غلوة سهم ، وفي هذا الغدير شجرة ليس عليها غصن ولا لحى ترى بالليل كأنها تدور في ذلك الغدير ، وقد تختفي أربعة أشهر ولا علم لأحد بجالها ثم تظهر ، وربما تنفق في بعض الأوقات أن يكون مدة اختفائها سنتين ثم تظهر ، وإذا كانت السنة مطيرة كان ظهورها أسرع ، وفي بعض الأوقات شدوها بالجبال لما دنت مدة غيبتها شدا وثيقا فأصبحوا والجبال مقطعة والشجرة ذاهبة ، فأخبر بذلك رافع بن هرمثة صاحب جرجان وخراسان فوكل بها من ينظر إليها لما دنت مدة غيبتها ليلا ونهارا فترقبوا أربعة أشهر ثم اتفق لهم غيبتها فعادوا والشجرة قد ذهبت ، فأخبر بذلك رافع وكان في عسكره غواص كوفي فأمره أن يغوص ويعرف حالها فغاص زمانا طويلا ثم خرج وقال : نزلت ألف ذراع وما رأيت لها أثرا ، وتسمى هذه العين عين الهم ، بينها وبين بحر السكون يوم .

(عين ياسي جمن) بين أخلاط وأرزن الروم موضع يقال له «ياسي جمن» به عين يفور الماء منها فورانا شديدا يسمع صوته من بعيد ، وإذا دنا الحيوان منها يموت في الحال فترى حولها من الطيور والوحوش موتى ماشاء الله تعالى ، وقد وكلوا بها من يمنع الغريب عنها :

(عين يل) يل ضيعة من ضياع قزوين عندها جبل يخرج من شعب من شعبه ماء كثير حار جدا ويجتمع في حوضين هناك ، يقصدها الزمنى والجربى وأصحاب العاهات تنفعهم نفعاً بينا وتسمى «بله كومان» والله الموفق للصواب .

(فصل : في الآبار)

أما الآبار فنقول وبالله التوفيق :

(بئر أبي كنود) بطرابلس من شرب من ماؤها يتمحق ، يقال للرجل إذا أتى بما يلام عليه : لانعتبك فإنك شربت من ماء أبي كنود .

(بئر بابل) قال الأعمش : قال مجاهد : يجب أن يسمع من الأعاجيب ، وكان لا يسمع بشيء إلا صار إليه وعينه فأتى بابل فلقى الحجاج وقال : ما تصنع هاهنا ؟ قال : لحاجة أن تسير إلى رأس الجبالوت لتريني هاروت وماروت ، فأرسل إلى رجل وقال : اذهب بهذا فأدخله على هاروت وماروت لينظر إليهما ، فانطلق به حتى أتى موضعا وكان هناك يهودى عارف بذلك الموضع فسألاه أن يرهما فرفع صخرة فإذا شبه سرداب ، فقال له اليهودى : انزل معي وانظر إليهما ولا تذكر اسم الله تعالى . قال مجاهد : فنزل اليهودى ونزلت معه فلم يزل يمشى بي حتى نظرت إليهما مثل الحلبين العظيمين منكوسين على رؤوسهما وعليهما الحديد من أعقابهما إلى ركبهما ، فلما رأهما مجاهد لم يملك نفسه أن ذكر الله تعالى فاضطر با اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان ما عليهما من الحديد ، فهرب اليهودى ومجاهد تعلق به حتى خرجا ، فقال له اليهودى : أما قلت لك لا تفعل ذلك كدنا والله نهلك .

(بئر بدر) بين مكة والمدينة في الموضع الذي كانت فيه الوقعة المباركة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركي مكة فقتلوا المشركين وروهوم في البئر ، فدنا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « يا عبدة يا شديدة هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فقيل : يا رسول الله هل يسمعون كلامنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لستم بأسمع منهم » .

وحكى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنه : أنه رأى في اجتيازه هناك شخصا خرج من البئر هاربا فخرج عقبه آخر معه سوط فضربه ورده إليها .

(بئر برهوت) بئر بقرب حضرموت ، وهى التى قال صلى الله عليه وسلم « فيها أرواح الكفار والمنافقين » وهى بئر عادية في فلاة وواد عظيم . وعن على رضى الله تعالى عنه : أبغض البقاع إلى الله تعالى وادى برهوت فيه بئر ماؤها أسود منتن تأوى إليها أرواح الكفار .

(وحكى) الأصمعي عن رجل من أهل حضرموت أنه قال : نجد من ناحية برهوت في بعض الأوقات رائحة فظيعة منتنة جدا فيأتينا الخبر بموت عظيم من عظماء الكفار . وذكر أن رجلا بات بوادى برهوت قال : كنت أسمع طول الليل يادومه يادومه ، فذكرت ذلك لرجل من أهل العلم فقال : إنه اسم الموكل بأرواح الكفار .

(بئر بضاعة) بالمدينة في الخبر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بئر بضاعة فتوضأ من الدلو وردها إلى البئر وبصق فيها وشرب من ماؤها فكان إذا مرض المريض في أيامه صلى الله عليه وسلم يقول : اغسلوه بماء بضاعة ، فيغتسل فكأنما نشط من عقال » وقالت أسماء بنت أبي بكر رضى الله تعالى عنه : كنا نغسل المرضى من بئر بضاعة ثلاثة أيام فيعافون .

(بئر بنحن) بقرب وادى زبيد مشهورة، وهى البئر التى حبس أفراسياب فيها « بنحن » مكبلا وأنزل على رأس البئر صخرة عظيمة فذهب إليه رسم مختفيا وسرقه وأتى به بلاد إيران، ولها قصة طويلة .

(بئر قنصورة) وهى جزيرة بأرض الهند يجلب منها الكافور القنصورى ، فيها صنف من السمك إذا أخرجته من البئر يصير حجرا صلدا .

(بئر جندق) جندق قرية من أعمال مراغة يخرج منها حمام كثير . حدثنى بعض فقهاء مراغة : أنهم أرسلوا إليها رجلا ليعرف حال الحمام فنزل فى البئر حتى زاد الجبل على خمسمائة ذراع ثم أخرج فأخبر أنه لم ير من الحمام شيئا ورأى فى آخرها ضوءا وشيئا كثيرا من الحيوانات الموتى .

(بئر دماند) بئر عميق يجبل دماند يصعد منها بالنهار الدخان وبالليل النار، وإذا رميت فيها شيئا ينزل ويلبث ساعة ثم يرجع خارج البئر على الأرض :

(بئر ذروان) بالمدينة طب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى ابن عباس رضى الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض مرضا شديدا ، فبينما هو بين النائم واليقظان رأى ملكين أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله ، فقال الذى عند رجله للذى عند رأسه ما وجعه ؟ قال : طب . قال : ومن طبيه ؟ قال : لبئد بن الأعصم اليهودى . قال : وأين طبيه قال : فى كرمة تحت صخرة فى بئر كملى ، فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حفظ كلام الملكين ، فوجه عليا وعمارا مع جمع من الصحابة حتى أتوا بئر كملى وهو بئر ذروان ، فنزحوا ماءها حتى انتهوا إلى الصخرة فقلبوها فوجدوا الكوبة تحته وفيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة ، فأحرقوا الكوبة وما فيها فزال عنه صلى الله عليه وسلم وجعه كأنه نشط من عقال ، فأنزله الله تعالى عليه المعوذتين إحدى عشرة آية على قدر عدد العقد » والله الموفق .

(بئر زمزم) فى الخبر « أن إبراهيم لما ترك لإسماعيل وأمه هاجر بموضع الكعبة وأراد الرجوع قالت له هاجر : إلى من تكلمنا ؟ قال : إلى الله . قالت : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فأقامت عند ولدها حتى نفذ ماؤها فأدركتها الحنة على ولدها فركت إسماعيل بموضعه وارتقت على الصفا تنظر هل ترى عينا أو شخصا فلم تر شيئا ، فدعت ربها واستسقت ثم نزلت حتى

أنت المروة فدعت مثل ذلك ، ثم سمعت صوت السباع فخشيت على ولدها فأسرعت نحو لإسماعيل فوجدته يفحص الماء قد انفجر من عين من تحت عقبه ، فلما رأت هاجر ذلك الماء جعلت تحوطه بالتراب لثلا يسيل ويذهب « قيل لو لم تفعل ذلك لكان عينا جارية . وقال محمد بن أحمد الهمداني : كان ذرع زمزم من أعلاها إلى أسفلها أربعين ذراعا ، في قعرها عيون تجرى عين حذاء الركن الأسود وعين حذاء أبي قبيس والصفاء وعين حذاء المروة ، ثم قل ماؤها في سنة أربع وعشرين ومائتين فحفر فيها محمد بن الضحاك تسعة أذرع فزاد ماؤها ، ثم جاء الله تعالى بالأمطار والسيول في سنة خمس وعشرين ومائتين فزاد ماؤها ، وذرعها من رأسها إلى الجبل المنقور فيه أحد عشر ذراعا وسعة فيها ثلاثة أذرع وثلاث ذراع وعليها ميلان من ساج مربعة فيهما اثنا عشر بكرة يستسقى عليها ، وأول من عمل عليها الرخام وفرش به أرضها المنصور . وقال مجاهد : ماء زمزم إن شربته منه تريد شفاء شفاك الله تعالى وإن شربته لظلم أرواك الله ، وإن شربته لجوع أشبعك الله تعالى . وقال المسعودي : إن ملوك الفرس يزعمون أنهم من أولاد الخليل من سبي بني إسرائيل ، أو كانوا يحجون البيت ويطوفون به تعظيما لجدهم ، وكان آخر من حج منهم أردشير بن بابك طاف بالبيت وزمزم على البئر وزمزمة الجوس قراعتهم عند صلواتهم وطعامهم .

(بئر ضاهك) بكورة أرتجان . ذكر أهلها أنهم امتحنوا قعرها بالأرسان فلم يقفوا على شيء ، ويفور منها الماء الدهر كله مقدار ما يدير رجا تسقى تلك القرية .

(بئر عروة) بعقيق المدينة منسوبة إلى عروة بن الزبير . قال الزبير بن بكار : كان الناس إذا مروا بالعقيق أخذوا من ماء بئر عروة يهدونها إلى أهاليهم . قال : ورأيت أبي يأمر به فيغلي ثم يجعله في القوارير ويهديه إلى الرشيد وهو بالرقعة .

(بئر غرس) بالمدينة بقاء . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيب ماءها ويبارك فيها . وقيل لأنه صلى الله عليه وسلم بصق فيها فلماذا وجد فيها البركة ، وروى أن فيها عينا من عيون الجنة .

(بئر قرية عبد الرحمن) بأرض فارس جافية القعر طول السنة ، حتى إذا كان الوقت المعروف من السنة ينبع منها ماء يرتفع على وجه الأرض مقدار ما يدير رجا ويجرى وينتفع به في سقى الزرع ثم يغور .

(بئر الكاب الكلب) بقرية من قرى أعمال حلب إذا شرب منها من عضه الكلب الكلب برأ وإنها مشهورة ، قال بعض أهل القرية : إذا لم يجاوز المسكوب أربعين يوما وشرب منها برئ ، أما إذا جاوز الأربعين مات إن شرب ، وذكر أنه شاهد ثلاثة أنفس مكلوبين فشرّبوا

فسلم اثنان وكانا لم يبلغا الأربعين ومات الثالث وكان قد جاوز الأربعين ، وهذه بئر منها يشرب أهل الضيعة :

(بئر المطرية) في قرية من قرى مصر عليها شجر البلسان ويسقى من هذا البئر والخاصية في البئر يقال إن المسيح عليه الصلاة والسلام اغتسل فيها ، والأرض التي تنبت هذا الشجر نحو مد البصر في مثله محوط عليه وماء هذا البئر عذب فيه دهنية لطيفة ، وقد استأذن الملك الكامل أباه الملك العادل أن يزرع فيه شيئاً من شجر البلسان فأذن له فغرم غرامات كثيرة وزرعها فلم ينتج شيء ولا خلص منه دهن ألبنة فسأل أباه أن يجرى له ساقية من المطرية له فأذن له ففعل ذلك فنتج وليس في جميع الدنيا موضع ينبت فيه البلسان إلا هذا الموضع ، والله الموفق للصواب :

(بئر نيسابور) بنيسابور آبار كثيرة وهي معادن الفير وزج كان يوجد فيها التقطع الجيدة فظهر فيها العقارب القتالة فامتنع الناس عنها بسبب ذلك الشيء .

(بئر هنديان) هنديان ضيعة بفارس بها بئر يخرج منها دخان يعلو لا يتهياً لأحد أن يقربها وإذا طار طائر فوقها سقط محترقا .

(بئر يوسف الصديق) صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء التي ألقاه فيها إخوته وهي بالأردن على أربعة فراسخ من طبرية مما يلي دمشق . قال الإصطخرى وغيره : كان منزل يعقوب عليه السلام بين نابلس وبين قرية يقال لها سخل ولم تزل هذه البئر مزارا للناس يتبركون بها ويشربون من مائها . وليكن هذا آخر الكلام في الأنهار والعيون والآبار ، والله الموفق للصواب .

(ثم يتصدى النظر في الكائنات وهي الأجسام المتولدة من الأمهات) فنقول : الأجسام المتولدة من الأمهات إما أن تكون نامية أو لم تكن فهي المعدنيات ، وإن كانت نامية فإما أن تكون لها قوة الحس والحركة أو لم تكن فإن لم تكن فهي النبات وإن كانت فهي الحيوانات . زعموا أن أول ما يستحيل إليه الأركان الأربعة والعصارات ، فالبخار ما يصعد من لطائف مياه البحار والآجام والأنهار من تسخين الشمس ، والعصارات ما ينجلب في باطن الأرض من مياه الأمطار ويختلط بالأجزاء الأرضية ويغلظ وتنضجها الحرارة المستبطنة في عمق الأرض فتصيرها مادة للنبات والمعادن والحيوان ، وإنها متصلة بعضها ببعض بترتيب عجيب ونظام بديع تعالى صانعها عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا .

فأول مراتب هذه الكائنات تراب وآخرها نفس ملكية طاهرة ، فإن المعادن متصلة أولها بالتراب أو الماء وآخرها بالنبات والنبات متصل أوله بالمعادن وآخره بالحيوان ، والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالإنسان والنفوس الإنسانية متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية ، والله تعالى أعلم بالصواب .

(النظر الأول في المعادنات)

هي أجسام متولدة من الأبخرة والأدخنة تحت الأرض إذا اختلطت على ضروب من الاختلاطات مختلفة في الكم والكيف ، وهي إما قوية التركيب أو ضعيفة التركيب وقوية التركيب ، إما أن تكون متطرقة أو لم تكن متطرقة وهي الأجساد السبعة أعنى الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والأسرب والحارصين ، والتي لا تكون متطرقة فقد تكون في غاية اللين كالزئبق وقد تكون في غاية الصلابة كالياقوت والتي تكون في غاية الصلابة قد تنحل بالرطوبات وهي الأجسام الذهبية كالزرنبخ والكبريت ، والأجساد السبعة إنما تتولد من اختلاط الزئبق بالكبريت على اختلاف في الكم والكيف ، والزئبق يتولد من أجزاء مائية اختلطت بأجزاء أرضية لطيفة كبريتية ، والكبريت يتولد من أجزاء مائية وهوائية وأرضية نضجتها حرارة قوية حتى صار مثل الدهن . وأما الأجسام الصلبة الشفافة فتتولد من مياه عذبة وقعت في معادنها بين الحجارة الصلدة زمانا طويلا حتى غلظ وصفا وأنضجته حرارة المعدن بطول وقوفها . وأما غير الشفافة فمن امتزاج الماء بالطين إذا كانت فيه لزوجة وأثرت فيه حرارة الشمس بمدة طويلة . وأما الأجسام التي تنحل بالرطوبات فمن ماء مختلط بأجزاء أرضية محترقة يابسة اختلاطا شديدا . وأما الأجسام الدهنية فمن الرطوبات المختلفة في باطن الأرض إذا احتوت عليها حرارة المعدن تحللت ولطفت واختلطت بتربة القاع وحرارة المعدن دائما في نضجها وطبخها حتى تزداد غلظا وصار مثل الدهن ، وسيأتي الكلام في تولد كل واحد منهما إن شاء الله تعالى . وزعموا أن الذهب لا يتولد إلا في البراري الرملية والجبال والأحجار الرخوة . وأما الفضة والنحاس والحديد وأمثالها فلا يكون إلا في جوف الجبال والأحجار المختلطة بالتراب الندي ، والكبريت لا يتكون إلا في الأراضي الندية والتراب الندي والرطوبات الدهنية والأملاح لا تنعقد إلا في الأراضي السبخة ، والاسفيداج لا ينعقد إلا في الأرض الرملية المختلط تراها بالحصص ، والزاجات والشبوب لا يتكون إلا في التراب العفص النشف ، وعلى هذا القياس حكم أنواع الجواهر كل واحد منها مختص ببقعة من البقاع وتولدها فيها من خاصية تلك البقعة ، وهي مع كثرة أفرادها داخلية تحت ثلاثة أنواع :

(النوع الأول الفلزات) وهي الأجساد السبعة . زعموا أن تولدها من اختلاط الزئبق والكبريت ، فإن كان الزئبق والكبريت صافيين واختلطتا اختلاطا تاما وشرب الكبريت رطوبة الزئبق كما تشرب الأرض نداوة الماء وكان فيه قوة صبغة ومقدارهما متناسبين وحرارة المعدن تنضجهما على اعتدال ولم يعرض لهما عارض من البرد واليبس قبل إنضاجهما انعمد ذلك مع طول الزمان الذهب الإبريز ، وإن كان الزئبق والكبريت صافيين وانطبخا انطباخا تاما وكان الكبريت مع ذلك أبيض تولدت منه الفضة . وإن أصابه قبل النضج برد علقد

تولد الخارصيني ، وإن كان الزئبق صافيا والكبريت رديئا وفيه قوة محرقة تولد النحاس ؛ وإن كان الكبريت غير جيد المخالطة مع الزئبق تولد الرصاص ، وإن كان الزئبق والكبريت رديئين وكان الزئبق متحللا أرضيا والكبريت رديئا تولد الحديد ، وإن كان الزئبق والكبريت رديئين وكانا مع رداءتهما ضعيفي التركيب تولد الأسرب ، فبسبب هذا الاختلاف اختلفت أنواع الجواهر المعدنية وهي العوارض التي تعرض لها من كمية الكبريت والزئبق وكيفيةهما ، والذي يدل على هذه الأشياء كلها تجربة أهل الصناعة . ولنذكر بعض عجائبها وخواصها العجيبة إن شاء الله تعالى .

(الذهب) طبعها حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائها المائية بأجزائها الترابية لا تحترق بالنار لأن النار لا تقدر على تفريق أجزائها ولا تبلى بالتراب ولا تصدأ على طول الزمان وهي لينة صفراء براقه حلوة الطعم طيبة الرائحة ثقيل رزين جدا فصفرة لونها من ناريتها ولينها من دهنتها وبريقها من صفاء لونها ورزانتها من ترايتها ، وهي أشرف نعم الله تعالى على عباده إذ بها قوام أمور الدنيا ونظام أحوال الخلق فإن حاجات الناس كثيرة وكلها تنقضى بالنقود فإن النقدين يباع بهما كل شيء ويشترى بهما كل شيء لرواجهما بخلاف سائر الأموال فإنها لا يرغب فيها كل أحد رغبته في النقود فإنهما كالقاضيين يقضيان حاجة كل من لقيهما ، ولذلك قال الله تعالى : - والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم - لأن المقصود منهما تداولهما بين الناس لقضاء حوائجهم ، فمن كنزهما فقد أبطل الحكمة التي خلقها الله تعالى كمن حبس قاضي البلد ومنعه أن يقضى حوائج الناس .

ومن خواصها ما ذكر أرسطاطاليس : أنها تقوى القلب وتدفع الصرع إن علق على إنسان وتمنع الفزع ، وإن أخذ من الذهب ميلا وأديم التكحل به وإدخاله في العين جلا العين وحسن النظر وقواه . وإن ثقب الأذن بإبرة من الذهب لم تلتحم وإذا كوى بالذهب لم يتنفط موضعه ويبرأ سريعا . وقال الشيخ الرئيس : لمسك الذهب في الفم يزيل البخر ، والذهب يقوى العين كحلا ، وينفع من أوجاع القلب والخفقان وحديث النفس .

(الفضة) أقرب الفلزات إلى الذهب ولولا برد أصابها قبل النضج لكادت تكون ذهبا ، وهي تحترق بالنار إذا داوم عليها وتبلى في التراب بطول الزمان : قال أرسطو : إن للفضة وسخا بخلاف الذهب فإذا أصابها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت عند الطرق ، فإذا أصابها رائحة الكبريت اسودت وإن طرح الكبريت على مذابها احترقت واسودت وتكسرت كالزجاج ، وإذا ألقى عليها شيء من البورق ردها إلى حالها لكن ينقص منها شيء كثير ، والأسرب والقلبي يعيبانها ولكن لاكتعييب الذهب : ومن خواصها : تقطع الرطوبات

اللزجة إذا خلطت سحالتها بالأدوية المشروبة ، وتنفع من البحر إذا أمسكها في الفم ، وتنفع للحكة والجرب وعسر البول ، وتدخل في أدوية الخفقان جدا ، وتنفع مع الزئبق للبواسير طلاء ، والله تعالى أعلم .

(النحاس) قريب من الفضة والفرق بينهما حمرة اللون واليبس وكثرة الوسخ ، أما الحمرة فمن إفراط الحرارة والكبريتية ، وأما يبسه ووسخه فلغلاظ مادته فمن قدر على تبييضه وتلينه فقد ظفر بحاجته ، وإذا طلى بالحموضات أخرج الزنجار ، وإن أخذ منه إبرة وسقيت دما وتقب بها شحمة الأذن لم تلتحم منه ، ومن أخذ منه آنية لطعامه أو شرابه يتولد فيه أمراض لا دواء لها .

(الحديد) تولده كتولد سائر الأجساد وقد مضى ذكرها وسواد لونه لإفراط الحرارة ، والحديد أكثر فائدة من سائر الفلزات ، ولذلك قال الله تعالى - أنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس - فالباأس في النصول والمنافع في الآلات ، حتى قيل : مامن صنعة إلا وللحديد فيها أو في أدواتها مدخل . ومن خواصه العجيبة ما ذكر أرسطو : أن برادة الحديد إذا علقت على إنسان يغط في نومه يزول عنه ذلك ، ومن استصحب شيئا من الحديد يقوى قلبه ويزول عنه المخاوف والأفكار الرديئة ويسر في نفسه ويطرد عنه الأحلام الرديئة وتزيد هيئته في عين الناس ، وصداه يأكل أوساخ العيون اكتحالا وينفع من جرب العين والرمد والسبل ويخفف ثقل الأجنان ، وينفع كحلا للعين وينفع للنقرس ، وإذا احتمل من صداه نفع للبواسير ، ومن أخذ مسمارا ويحميه حتى يحمر ثم يدلك بذلك النصل لا يصدأ .

(الرصاص) قال أرسطو إنه صنف من الفضة لكنه دخل عليه ثلاث آفات : رائحة ورخاوة وصريرة فدخلت عليه هذه الآفات في بطن الأرض كما تدخل على الجنين في بطن أمه فيفسد . ومن خواصه ما ذكره أرسطو : أن من اتخذ منه طوقا وطوق به شجرة عند أصلها من الأرض لم يسقط من ثمرتها شيء ويزيد فيها ، وإن شد منه صفيحة على الظهر أو البطن سكن الإنعاظ وإن ألقى في قدر لا ينضج اللحم ، والرصاص يطلى بالدهن والملح ، ويؤخذ سواده يطلى به السيف فإنه لا يصدأ .

(الأسرب) تولده كالرصاص وهو صنف أردأ منه لأن مادته أكثر وسخا . ومن خواصه تكليس الذهب وتكسير الماهن ولو وضع الماس على السندال وضرب بالمطرقة دخل إما في السندال أو في المطرقة ، ولو وضع على الأسرب تكسر بأدنى ضربة ويكون جميع أقطاعه مثلثا : وقال الرئيس ابن سينا : تؤخذ منه صفيحة وتشد على الخنازير والغدد تديبها . وقال بليناس في كتاب [الخواص] من اتخذ منه صفيحة وزنها ثمانية وعشرون درهما وشدها على بطن إنسان بطلت شهوته .

(الخارصيني) تولده كتولد الأجساد المذكورة معدنه بأرض الصين ولونه أسود يضرب إلى الحمرة نصله شديد الضرب جدا ، ويتخذ منه الكلابيب يصاد بها الخوت الكبير لأنها إذا انتشبت بشيء لا ينصل منه إلا بالشدّة ، ويتخذ منه المرأة ينظر فيها صاحب اللقوة في بيت مظلم فإنه أنفع دواء لهذا المرض ، ويتخذ منه منقاش ينتف به الشعر ويدهن موضعه مرارا يفعل ذلك فإن الشعر لا ينبت .

(النوع الثاني في الأحجار) وهي أجسام تتولد من مياه الأمطار والأنداء التي احتبست تحت الأرض وإن كانت شفافة ، ومن امتزاج الماء بالأرض إن كان في الطين لزوجة وأثرت حرارة الشمس فيها تأثيرا شديدا .

(أما القسم الأول) فنقول : إذا احتبست مياه الأمطار والأنداء في المعادن والكهوف والأهوية لا يخالطها شيء من الأجزاء الأرضية ، وأثرت فيها حرارة المعدن وطال وقوفها هناك ازدادت المياه صفاء وثقلا وغلظا فينعدق منها الأحجار الصلبة التي لا تتأثر من النار والماء كأنواع اليواقيت وماشا كلها ، فذهب قوم إلى أن اختلاف ألوانها بسبب حرارة المعدن وقتها وكثرتها . وقال آخرون : بسبب أنواع الكواكب التي تدل على ذلك النوع من الجواهر ومطارج شعاعاتها على تلك البلاد ، فزعموا أن السواد لزحل والخضرة للمشتري والحمرة للمريخ والصفرة للشمس والزرقة للزهرة والمتلون لعطارد والبياض للقمر ، والله الموفق للصواب .

(وأما القسم الثاني) فيتولد من امتزاج الماء بالأرض إذا كان فيها لزوجة وأثرت فيها حرارة الشمس مدة طويلة كما ترى النار إذا أثرت في اللبن فتصلبها وتجعلها آجراً فإن الآجر أيضاً صنف من الحجر إلا أنه رخو وكلما كان تأثير النار أكثر كان أصلب . ثم إن هذه الأحجار تختلف باختلاف بقاعها ، فإن كانت في بقاع ترابية وطين انعدق حجراً مطلقاً وإن كانت في بقاع سبخة تولد منها أنواع الأملاح والبوارق والشبوب وإن كانت في بقاع عفصية تولدت منها ضروب الزاجات الأحمر والأصفر والأخضر ونحوها ولكل موضع خاصية لا يعلمها إلا الله تعالى ، وقد ينعدق الحجر من الماء فإذا نرى في بعض المواضع أنه ينعدق الحجر من الماء وذلك إما من خاصية ذلك الماء أو من خاصية ذلك الموضع ، وقد يتولد الحجر في الهواء وذلك من أجزاء دخانية يغلب عليها الأرضية فإذا ضربها البرد انطقت حرارتها وتصير حجراً وقد يقع في وسط الصواعق مثل هذه الأحجار ومثل الحديد والنحاس . قال الشيخ الرئيس : أخذت من هذه الأجسام وعرضتها على النار لتذوب فما حصل منه الذوبان وارتفع منه دخان يضرب إلى الخضرة وما زال هكذا حتى صار رماداً .

(وحكى) الشيخ الرئيس أيضاً أن في زمانه وقع من الهواء بأرض جورجيان جسم كتقطعة

جديد في قدر خمسين منا كحبات الجاورس المنضمة، فما كان يتناثر من الحديد والجواهر المعدنة كثيرة لا يعرف الإنسان منها إلا القليل، فن الحكماء من كان له بها عناية بحث عنها واستخرج خاصية بعضها فأوردنا طرفاً منها وما فيها من الخواص العجيبة ومعادنها وكيفية جعلها فأقول وبالله التوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل:

(إئمد) قال أرسطو: هو حجر معروف له معادن كثيرة وأغلبها في أكفاف المشرق، وأجود أصنافه الأصفهاني وهو حجر يخالطه الرصاص ينفع العيون اكتحالاً ويرفع عنها طيق الماء ويقوى أعصابها ويدفع عنها كثيراً من الآفات والأوجاع لاسيما المشايخ والعجائز الذين ضعفت أبصارهم وإذا جعل معه شيء من المسك يكون هاية، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «عليكم بالإئمد فإنه ينبت الشعر ويحد البصر» وينفع من حرق النار إذا طلى بالشحم.

(حجر أرسون) حجر يوجد بأرض الروم وهو أملس مخمس إذا كسر قطعاً يسكون جميع أقطاعه مخمساً، وخاصيته أن حامله يبقى مهيباً محترماً بين الناس، ومن اكتحل به لا يصيبه رمد إن شاء الله تعالى.

(حجر إسفيداج) هو رماد الرصاص القلعي والآتق فإذا أفرط تحريقه صار سرباً، والإسفيداج الرصاصي إذا ذلك به لسعة العقرب نفع، وإن نفع مع شيء من قثاء الحمار في ماء وملح ثم رش به البيت خرج منه البراغيث. وإذا اتخذت منه المراهم يأكل منه اللحم الميت العفن وينبت اللحم الطرى، وينفع من حرق النار إذا طلى ببعض الأدهان ولا يكاد يستحيل موضع الحرق إلى البياض بل يبقى على لون الجسد.

(حجر إفرنجس) قال أرسطو: هو حجر يصاب في مواضع الزرنبخ. من كاسه حتى يبيض وألقى منه وزن مثقال على خمسين مثقالاً من النحاس الأحمر بيضه ولين جسمه، وهو إذا خلط مع الكلس حلق الشعر، وهو في الحدة أقوى من الزرنبخ. وإذا سحق وطلّى به موضع الورم سكنه.

(حجر إقليميا الذهب) قال أرسطو: إذا خلط الذهب بغيره من الأحجار ثم أدخل النار للخلاص يتخلص منه الأجساد التي خالطها وعلاذ جسم مشوب بسواد وقد يكون على لون الزجاج وهو المسمى بالإقليميا، ينفع من وجع العين ويذهب بالبياض الحادث فيها، وينفع من البلة التي تتحلب من العين ومن ابتداء الماء في العين ويدمل القروح الخبيثة وينقى أوساخها.

(حجر إقليميا الفضة) قال أرسطو: إن الفضة أيضاً إذا أدخلت النار للخلاص من الأجساد التي خالطتها يعلوها جسم يسمى إقليميا الفضة نافع من القروح والسعفة والجرب طلاء

مع الأدهان . وقال غيره : ينفع من وجع العين ذروراً وفي المراهم ينبت اللحم في الجراحات (حجر باهت) أبيض في لون المرقيثا البيضاء يتألاً حسناً . إذا وقعت عليه عين الإنسان يغلبه الضحك ، وقيل إنه مغناطيس الإنسان .

(حجر بسذ) هو أصل المرجان منه أبيض ومنه أحمر ومنه أسود يقطع نرف الدم ذروراً ويقوى العين اكتحالاً ، وينشف رطوبتها الفضلية ، ويقوى القلب وينفع من عسر البول ، وإذا علق على المصروع نفعه نفعاً بيناً ، والأولى أن يعلق على ركبته .

(حجر بلور) قال أرسطو : أنه صنف من الزجاج إلا أنه أصلب ، وهو مجتمع الجسم في المعدن بخلاف الزجاج فإنه متفرق الجسم يجمع بالمغنيسيا والبلور يصبغ بألوان الياقوت فيشبه الياقوت ، والملوك يتخذون من الباور أواني على اعتقاد أن للشرب فيها فوائد ، والبلور إذا قابل الشمس فيقرب منه قطنة أو خرقة سوداء تأخذ فيها النار . وقال غيره : البلور الأغبر إذا علق على من يشتكى وجع الضرس يسكن في الحال .

(حجر البورق) أجزاء سبخة من الأرض كالمالح إلا أن البورق أقوى . قال : إنه إذا طلى به الكلف في الحمام يزيله . وقال أرسطو : أنواع البورق كثيرة ، فمنه ما يتكون من الماء الجارى ، ومنه ما يتكون من الحجر في معدنه ، ومنه أبيض وأحمر وأغبر وألوانه كثيرة وهو يذيب الأجساد كلها ويلينها للسبك ، وينفع من الجرب والبرص طلاءً وينضج الدمامل وينفع الصمم ويجلو البياض العتيق من العين ، وينفع من الحمى التي تنوب بأدوار إذا مزج به قبل الدور بساعة . وقال ابن سينا : إنه إذا ضمده به يجذب الدم إلى ظاهر البدن ويحسن اللون .

(حجر تنجاردق) قال أرسطو : إنه حجر أحمر اللون وخرته غير حمرة الياقوت ومعدنه بلاد الشرق فإذا خرج من معدنه أصابه ظلمة فإذا قطعه الصناع خرج نوره وحسنه ، فن تخم منه بوزن عشرين شعيرة يدفع عنه الأحلام الرديئة ، ومن أدام النظر إليه في شعاع الشمس نقص نور عينيه ، وإذا مسح به الرأس والنحية ثم وضع رأسه على الأرض أتاه ما حو إليه من عودتين .

(حجر تدمر) قال أرسطو : إنه حجر يوجد بناحية الغرب في شاطئ البحر وليس يوجد إلا في هذه المواضع فقط ، وهو أبيض مثل الرخام . خاصيته أنه إذا شمه إنسان حمد دمه في جسده ومات من ساعته .

(حجر تنكار) قال أرسطو : إنه حجر من جنس الملح يوجد فيه طعم البورق معدنه ساحل البحر وهو يعين على سبك الذهب ويلينه ، وينفع من تأكل الأسنان ويقتل دودها ويسكن ضربانها ويجلوها ، وله في تسكين أوجاع الأسنان خاصية عجيبة .

(حجر توتيا) قال أرسطو : حجر معدني ذو أنواع أبيض وأخضر وأصفر معادنها سواحل بحر الهند والسند كلها تنفع العيون المرطوبة وتزيل الصنان .

(حجر جالب النوم) قال أرسطو : هو حجر شديد الحمرة صافي اللون يرى بالنهار كأنه يخرج منه شبه بخار وبالليل يسطع ضوءه حتى يضيء به ما كان حوله ، وإذا علق منه على إنسان ولو وزن درهمين أورثه نوماً ثقيلاً ، وإن جعلته تحت رأس إنسان نائم لا يستيقظ حتى يدور رأسه ، وإذا طلى به موضع الحمرة أبرأها .

(حجر جزع) قال أرسطو : هو حجر ذو ألوان كثيرة يؤدي به من اليمين أو الصين ، والناس يكرهون أخذ شيء منه لأنه يكثر الهموم والغموم لمن يستصعبه ويورث أحلاماً رديئة ويعسر معه قضاء الحوائج ولا يفلح لابسها في الأمور كلها ، وإذا علق على صبي كثر بكاءه ونسكده وفزعه وسيلان لعابه ، ومن سقى منه مسحوقاً قل نومه وكثر فزعه وساء خلقه وثقل لسانه ، وإن سحق وجلى به الياقوت حسنه وصيره مشرقاً نيراً ، والنظر إليه يورث الهم ، وإن وضع بين قوم لا علم لهم به يقع بينهم عداوة شديدة ، وإذا علق على المرأة تسهل ولادتها ، وإن وضع بقرها خف وجعها .

(حجر حامي) قال أرسطو : هو حجر شديد الحمرة مشوب بنقط سود صغير يجلب من بلاد الهند من أزال تلك النقط من هذا الحجر حتى يصير كله أحمر وألقاه على النحاس حمره مثل الذهب لأن تلك النقط هي دخان الفضة ، وتنفع من الفالج إذا استعط به .

(حجر بليناس) قال في كتاب [الخواص] إذا كان الجمل كثير الرغاء فربطت في ذنبه حجراً لا يرغو البتة . وقال صاحب كتاب [الفلاحة] الحجر الذي فيه ثقبه خلقة إذا علق على شيء من الأشجار يكثر ثمرها ولا يصيب ثمرها شيء من الآفات .

(حجر اسمانجوني) قال أرسطو : إذا كان الحجر اسمانجونياً فحككته فخرج أبيض من استصعبه يبقى فريحا غير حزين ، وإن خرج أسود من علقه عليه لم ينجح عمله ، وإن خرج أصفر فهو صالح لكل عمل ، وإن طرح في بئر أو نهر قل ماؤها وربما انقطع ، وإن خرج أحمر من استصعبه يرى كل خير ، وإن خرج أخضر من أمسكه يزكو ما يزرع سواء زرع في أرض خير أو أرض سوء ، وإن خرج أغبر واكتحل به على اسم امرأة أحبته .

(حجر أبيض) قال أرسطو : إذا كان الحجر أبيض فحككته فخرج من محكه أصفر فإن من أمسكه إذا تكلم بشيء سواء كان صادقا أو كاذبا يقع ، وإن خرج محكه أحمر فكل شيء يعمله يرتفع سريعا ، وإن خرج أغبر على لون الأرض فكل من استعان به في شيء مع عمله أعين عليه ، وإن خرج محكه اسمانجونياً فلا يزال صاحبه الذي يمسكه طيب النفس ، وإن خرج أخضر إن علق في بستان أسرع خروج غرسه وتعظم أشجاره سريعا ، وإن خرج

أسود أبراً من سقى السم القاتل ومن لذغ الحية والعقرب إذا شرب من محكه أو علق عليه :
 (حجر أحمر) قال أرسطو : إذا كان الحجر أحمر فخرج محكه أبيض فإن حامله ينجح
 في كل عمل يعمله ، وإن خرج أسود كان حامله أى شىء يحدث به نفسه يقدر عليه ، وإن
 خرج أصفر فمن ربطه على عضده يحبه الناس ، وإن خرج أغبر فإنه حيث ذهب على عمل
 يحبه الناس وينجح ، وإن خرج أخضر فإن الذى يمسه معه يصرف عنه السلاح . قال الشيخ
 الرئيس : إن فى الأحجار حجرا أحمر يشبه البسند وزن دائق منه قتال يفعل بحمله جوهرة
 كالبيش .

(حجر أخضر) قال أرسطو : إذا اخضر فحككته فخرج محكه أبيض فمن أمسكه معه
 وغرس غرسا أو زرع زرعاً وجعل هذا الحجر فى خرقه أو قطنه ودفنه فى الزرع يثبت
 بإذن الله تعالى أحسن نبات ، وإن خرج أسود يجتمع لمن أمسكه خير كثير ، وإن خرج أصفر
 فكل دواء يعطيه إنسانا يوافقه ، وإن خرج أحمر تسكثر له من كل أحد العطية ويكرم ،
 وإن خرج أغبر لا يعالج مريضاً به إلا برأ بإذن الله تعالى .

(حجر أسود) قال أرسطو : إذا كان أسود فحككته فخرج محكه أبيض ينفع من سم
 الحية والعقرب إذا شرب المملدوغ من محكه أو علق عليه ، وإن خرج أصفر فمن أمسكه
 لم يعى كثيراً وكل بيت هو فيه يصح أهله من الداء ، وإن خرج أسود على لونه فمن أمسكه
 معه تقضى له الخواجج من الناس ويزيد فى عقله ، وإن خرج أخضر فمن أمسكه لم تلدغه
 الهوام .

(حجر أصفر) قال أرسطو : إذا خرج محكه أبيض من أمسكه معه يحصل له كل شىء
 يطلبه من الناس ، وإن خرج أخضر فإنه إذا وضعه على شىء من الأعمال كان جذباً أن يقع ،
 وإن كان أحمر لقرن الجواب عن كل شىء يسأل عنه بإذن الله تعالى ، وإن خرج أسود فمن أخذه
 معه وسمى اسم من يريده فإنه يتبعه ولا ينقطع عنه مادام الحجر معه .

(حجر أغبر) قال أرسطو : إذا كان الحجر أغبر وخرج محكه أبيض أو سحيقه إن سحق
 على اسم إنسان واكتحل به وسمى اسم ذلك الإنسان فإنه يحبه ويشفق عليه ، وإن خرج
 محكه أسود فمن اكتحل بمحكاكه بكرمه كل أحد ، وإن اكتحل به النساء أجهن أزواجهن ،
 وإن خرج أصفر ينثى عليه كل من رآه حيث ذهب ، وإن خرج أحمر فحيث ذهب يبسط عليه
 المعاش ، وإن خرج أخضر فمن أمسكه إذا جلس مع قوم أكرموه ، وإن خرج اسمانجونيا فإن
 صاحبه يعد حكيماً وإن لم يكن كذلك .

(حجر الباءة) قال أرسطو : إن الإسكندر أصاب هذا الحجر بإفريقية ومعدنه هناك
 وخاصيته أنه إذا أدنى من الإنسان أو الحيوان ظهر به شهوة الوقاع فنع الناس من حمله إلى عسكريه .

مخافة افتضاح النساء ، ومن أمسك من هذا الحجر تحت لسانه أمن من العطش ، وإذا سقى منه صاحب الماء الأصفر ولو أربع شعيرات أسهله من ساعته : وذكر أن بأرض مصر حجرا من شده على ظهره يثور به شهوة الوقاع :

(حجر البحر) قال أرسطو : هذا حجر يوجد على ساحل البحر يتولد من لطيف أجزاء الأرض وبخار البحر ، وهو حجر أسود خشن المحس مثل الرحا إلا أنه خفيف لا يفوصن في الماء . وخاصيته أن الإنسان إذا استصحبه وركب البحر أمن من الغرق ، وإذا ألقى في القدر لم يقل وإن أوقد تحته حطب كثير . وذكروا أن الإسكندر أصاب هذا الحجر في الظلمات وأبرأ به الزمنى وأصحاب العاهات :

(حجر الحبارى) يوجد في حوصلة الحبارى يشد على الإنسان لم يحتلم مادام عليه ، وإن كان به إسهال يجبس بطنه .

(حجر الحصاة) قال أرسطو : حجر فيه رخاوة يخرج من بحيرة بأرض المغرب يشرب منه مقدار عشر حبات يفتت حصاة المثانة ، وهذا حجر عزيز ترميه الأمواج إلى الساحل كأنه الفلك الذي يغزل بها النساء .

(حجر الحية) يقال له بالفارسية مهرة حار في حجم بندقة صغيرة توجد على رأس الحيات بعضها لاكلها . وخاصيته أن العضو المملوغ يجعل في اللبن أو في الماء الحار وهذا الحجر يلقى فيه فإنه يلتزق بموضع اللدغ ويستخرج منه السم . وقال ابن سينا : إنه ينفع من نهش الحية تعليقا . وقال جالينوس : أخبرني بذلك رجل صدوق .

(حجر الخطاف) الخطاف يوجد في عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض ، فإن علق الأحمر على من يفزع في نومه يدفع عنه ذلك ، وإن علق الأبيض على من به صرع يزول عنه .

(حجر الدجاج) حجر اسما نجوى يوجد في قانصته إذا شد على المصروع يزول عنه الوجع والصرع ، ويزيد في قوة الباه ، وإذا علق على الإنسان يدفع عنه العين سوء ، ويترك تحت رأس الصبي لا يفزع في نومه :

(حجر الرحا) يشد من السفلاتي قطعة على المرأة التي تسقط ولدها فإنها لا تستط وينحى عنها عند الطلق كي لا يتعسر عليها ، وإذا أحمى ورش عليه الخل وجلس عليه قطع نرف الدم ويحلل الأورام الحادة .

(حجر السامور) حجر يقطع الأحجار كلها . ذكر أن سليمان بن داود عليهما السلام لما أراد بناء البيت المقدس أمر الشياطين بقطع الأحجار فشكا الناس من صوت قطع الأحجار فجمع علماء بني إسرائيل وعلماء الجن وطلب منهم قطع الحجر من غير صوت ، فقال بعض

العفاريت : أنا أعلم حجراً له هذه الخاصية ولكن لست أعرف مكانها ولي حيلة في تحصيله .
ثم قال : على بعض العقاب وبيضها ، فجاء بها بعض العفاريت في الحال ، فدعا بجام من
القوارير غليظاً شديد الصفاء وكتبه على بيض العقاب وكرها وأمر بردها إلى مكانها ، فعادت
العقاب إلى عشها فرأى أنها مغطاة فضربت بها برجليها فلم تعمل فيه شيئاً ، فسارت وأقبات صبيحة
اليوم الثاني وفي منقارها قطعة حجر ألقته على الجام فانشق نصفين من غير صوت ، فدعا
سليمان عليه الصلاة والسلام العقاب وقال : أخبرني من أى موضع حملت هذا الحجر ؟ فقال :
يأبى الله من جبل بالمغرب يقال له السامور ، فبعث سليمان عليه الصلاة والسلام الجن فحملوا
منه مقدار حاجته ، وكان بعد ذلك يقطع الجن الصخور من غير أن يسمع لها صوت .

(حجر السم) هو حجر كالجزع وليس بجزع ، يوجد في خزائن الملوك . خاصيته أنه يتحرك
إذا حضر السم .

(حكى) الوزير نظام الملك الحسن بن على قدس الله روحه في كتاب [سير الملوك] أن
سليمان بن عبد الله قال ذات يوم : إن مملكتي ليست تقصر عن مملكة سليمان بن داود عليه
الصلاة والسلام إلا أن الله تعالى سخر له الجن والطيور والرياح ، وليس لأحد من الملوك على
وجه الأرض مثل ما لي من الأموال والعدة . قال بعض الحاضرين : أهم شئ يحتاج إليه الملوك
ليس عندك بأمر المؤمنين . قال : ما هو ؟ قال : وزير يكون وزيراً ابن وزير ابن وزير كما
أنك خليفة ابن خليفة ابن خليفة . قال : وهل تعرف وزيراً هذه صفة ؟ قال : نعم جعفر
ابن برمك فإنه ورث الوزارة أبا عن جد إلى زمن أردشير ، ولهم كتب مصنفة في الوزارة
يعلمون أولادهم ذلك ، فكتب سليمان إلى عامل بلخ وأمره بإرسال جعفر إلى دمشق مع التجميل
والإعزاز ، فلما وصل إلى دمشق ودخل على سليمان فرأى سليمان صورته استحسنته وتحرك له
وأمره بالجلوس بين يديه ، فما كان إلا يسير أحتى عبس سليمان وجهه وقال : لاحول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم قم من عندي ، فأقامه الحاجب ولم يعرف أحد سبب ذلك إلى أن خلا
سليمان بندمائه ، فقال بعضهم : يا أمير المؤمنين طلبت جعفرًا من خراسان بإعزاز فلما حضر
أبعدته ! فقال سليمان : لولا أنه جاء من أرض بعيدة لأمرت بضرب عنقه لأنه حضر بين يدي
ومعه السم الفاتل فكان أول ماجاءنا وصحبتة السم الفاتل ، فقال ذلك النديم : أتأذن لي يا أمير
المؤمنين أن أكشف عن هذا ؟ فقال : افعل ؟ فذهب إلى جعفر وقال له : أنت لما حضرت
عند أمير المؤمنين أكان معك شئ من السم ؟ قال : نعم ، وهو الآن معي تحت فص خاتمي
هذا ، لأن أبائى احتملوا من الملوك مشاق كثيرة طلبوا منهم الأموال وعذبوهم ، ولأنى خشيت
أن أكلف شيئاً من ذلك فأحببت أن أمص خاتمي هذا وأستريح من الإهانة ، فرجع النديم
إلى سليمان وأخبره بما سمع من جعفر ، فتعجب سليمان من نظره في العواقب ، فأحضره مرة

أخرى وخلع عليه وأقعده بجانبه ووضع الدواة بين يديه حتى وقع بحضور سلبان عدة توافق ، فلما انبسط معه بعد ذلك سأله ذات يوم فقال : يا أمير المؤمنين كيف عرفت أن السم مع العبد ؟ فقال : معي خرزتان لا أفارقهما أبدا ، من خاصيتهما أنهما يتحركان إذ حضر نامن كان معه السم ، فلما دخلت على تحركتا وحين قعدت بين يدي اضطربتا وكادتا أن تقع إحداهما على الأخرى ، فلما قت من عندي مسكتنا ، ثم فتحهما وعرضهما على جعفر فكانتا خرزتين كالجرع .

(حجر الشياطين) قال أرسطو : هو حجر أملس أحمر اللون لونه كلون الياقوت وكسره ككسره وليس له شفاف ، إذا غمس في الماء اصفر مثل الزرنينج ، وإذا كلس ثلاث مرات أحمر وصار مثل الزنجفر ، فإن ألقى جزء منه على أربعة عشر جزءا من الفضة صبغها ذهباً أحمر .

(حجر الصدف) هو حجر أحمر يضرب إلى سواد ، يجاب من أرض كرمان ، ويسمى أيضا حجر الخمار ، يستقى من أضرب به النبيذ أو أصابه صداع الخمار يستريح في الحال ويحل ويكتب به مثل الزنجفر .

(حجر الصنونو) قال أرسطو : إنه صالح نافع لدفع اليرقان ، يوجد في عش الخفاف . والحيلة في تحصيله أن يلطخ فرخ الخفاف بالزعفران ويترك في مكانه فإذا عادت أمه ترى عليه أثر الصفرة تحسب أن به اليرقان فتذهب وتأتي بهذا الحجر وتركه في العش وتذلك الأفرارح به .

(حجر العاج) قال ابن سينا : يمنع من نزول الدم في التروح والراحات :

(حجر العقاب) حجر يشبه نوى التمر هندي ، إذا حرك يسمع منه صوت وإذا كسر لا يرى فيه شيء يوجد في عش العقاب ، والعقاب يجلبه من أرض الهند ، وإذا قصد الإنسان عشه يرمى إليه هذا الحجر ليأخذه ويرجع فكأنه عرف أن قصدهم إياه لهذا الحجر . وخاصيته أنه إذا علق على من بها عسر الولادة تضع سريعا ، ومن جعله تحت لسانه يغلب الخصم في المفاولة ويبقى مقضى الحاجة :

(حجر الفأر) شبيهه بالفأر يوجد بأرض المغرب يتركه الناس في بيوتهم فيجتمع عليه الفأر بحيث يسهل أخذها باليد ، وهم يدفعون الفأر بهذا الحجر ، لأن أرضهم خالية عن السنابير .

(حجر القمر) قال ابن سينا : إنه يوجد ببلاد المغرب عند زيادة القمر ، ويقال له أيضا براق القمر . حجر خفيف . خاصيته أنه يعاق على الشجرة فتثمر ، وينفع من الصرع إذا

علق على المصروع . وبالمهند حجر إذا خسف القمر يتقاطر منه الماء يقال له أيضا حجر القمر ، والله أعلم .

(حجر القير) قال أرسطو : إنه أسود اللون خشن الملمس ، إذا أتى على القير ولو على ألف من يغلي كما يغلي من النار ، وإذا أتى في عين الماء الحارى المسرع حاد عنه الماء :

(حجر القىء) يوجد هذا الحجر بأرض مصر . إذا أخذه الإنسان بيده غلبه الغثيان حتى يتقايأ جميع ما في معدته بحيث لو لم يلقه من يده خيف عليه التلف :

(حجر الكلب) إذا رميت الكلب بحجر فعضه ، فإن ألقبت ذلك الحجر في النبيذ ، فمن شرب منه لم يعد .

(حجر المطر) يجلب من بلاد الترك وهو أنواع مختلفة الألوان ، إذا وضع شيء منها في الماء تنعيم السماء وتمطر وربما يقع البرد والثالج وهذا أمر مشهور ، ورأيت من شاهد هذا :

(حجر تتمرغ فيه الناقة) يوضع هذا الحجر على الخوان عند أكل الناس لا يجرد أحد منهم طعام المأكول مادام ذلك الحجر عليه ، ويعلق على العاشق الهائم يسلو ويحول عنه الغمان

(حجر يتولد في الإنسان) . قال أرسطو : إذا سحق مع الكحل قلع البياض من العين إذا اكتحل به :

(حجر يتولد في الماء الراكد) . قال أرسطو : إذا سحق وسعط به نفع من الصرع والجنون نفعاً بيناً .

(حجر حرص) قال أرسطو : إنه حجر أصفر اللون مشوب ببياض وخضرة ، وهو خفيف لين الملمس يوجد بأرض المغرب : خاصيته أنه ينفع من لسع الهوام ومن جميع ذوات السم .

(حجر موسى) قال أرسطو : الحديد إذا خلص بالنار حدث منه حجر يسمى حجر الحديد وهو خبثه . له خاصية عجيبة في تجفيف الجراحات وإبراء النواصير ، وإذا جعلته

في شيء من الجوارشيات ينفع لمن به استرخاء المعدة ولينها ، وبذهب بريح البواسير واللون المتغير من قبيل البواسير .

(حجر خبث الطين) قال أرسطو : إن الطين إذا عمل منه آنية أو قوالب ثم أدخل النار انسكب منه شبه العسل ثم يتحجر فيستعمل في الأصباغ ، والصباغون يسودون به بعد ما يبقونه

في الخل ، وهو نافع لدبر الدواب إذا سحق ونثر عليها ، والله الموفق .

(حجر خصية اللص) حجر يوجد بأرض الصين ، من استصحبه لا يدور الاصل حوله ولا حول متاعه ويزيد حامله وقارا .

(حجر در) قال أرسطو : إن البحر المسمى أوقيانوس يضرب في كل فصل ربيع من

هبوب الريح فيأتيه الصدف في هذا الوقت فتأني الريح برشاشات يلتصقها الصدف كما يلتصق الرحم النطفة ثم يرجع إلى قعر البحر فتصير تلك النطفة مركبة من الماء واللحم في جوف الصدف ، فربما وقع في بطنها قطرة كبيرة فتتعدد درة كبيرة ، وربما تقع رشاشات فتتعدد أجزاء صغارا كما ترى في أكثر الأصداف ، ثم إن الصدفة إذا وقعت في فمها القطرة تخرج من قعر الماء إلى ظاهره عند هبوب الشمال وطلوع الشمس وغروبها ولا تخرج من وسط النهار فإن شدة الحر وقوته تهيج البحر فيفسد الدر وتفتح فاما ليقع الشمال على الدر فينقصد من أثر الشمال وحرارة الشمس كما ينقصد الجنين في الرحم من حرارتها ، ثم إن جوف الصدف إن خلا من الماء المر يكون في غاية الصفاء والجلاء وحسن الهيئة ، وإن خالط الصدف شيء من الماء المر يكون الدر أصفر اللون أو كدرا غير مهندم ، وكذلك إن استقبل الهواء في غير هذين الوقتين كانت الدرة كدرة ، وإذا كانت فيها دودة أو كانت مجوفة غير مصممة كان سببها استقبال الصدف في الهواء الرديء وهو الليل وأنصاف النهار . ثم إن الصدفة إذا تجسدت الدرة في جوفها تجسدا مستويا هبط إلى أصل البحر حتى يترشح في قعر البحر وتتشعب منه العروق ويصير نباتا بعد ما كان حيوانا ، فعند ذلك يقع في قعر البحر : وإذا تركت تغيرت وفسدت كالثرثرة إذا لم تقطف أو ان قطافها فإنه يذهب حسن لونها وطيب طعمها . قال أرسطو : من خاصية الدر أنه ينفع من الخفقان والخوف الذي يكون من المرة السوداء ويصفي دم القلب جيدا ، وإنما يخلطه الأطباء في الأدوية لهذا المعنى ويستعملونه في الأكحال لتشديد أعصاب العين ، ومن جعل الدر والآلى ماء رجراجا فإنه إذا طلى به البياض الذي في الجسد برصا أو بهقا أذهبه بإذن الله تعالى :

(حجر دهنج) قال أرسطو : إنه حجر أخضر في لون الزبرجد لين المحس كما قال هرمس يتكون في معدن النحاس : وذلك أن النحاس في معدنه إذا طبخته بخارات الأرض ارتفع منه بخار من كبريت الأرض التي يتولد فيها فيرتفع ذلك البخار وتضمه الأرض فيتكاثف بضم بعضه إلى بعض ، فإذا ضرب به الهواء عقده وصيره حجرا . وهو أنواع كثيرة : الأخضر الشديد الخضرة والمرشحي وعلى لون ريش الطاوس والكمد ، ونسبة الدهنج إلى النحاس كنسبة الزبرجد إلى الذهب ، وهو حجر يصفو بصفاء الجو ويتكدر بكدورته . ومن عجيب خواصه أنه إذا سقى إنسان من محكه يفعل فعل السم ، وإن سقى شارب السم نفعه ، وإن لدغ إنسان ومسح الموضع به سكن وجعه ، ويسحق بالخل ويطلّى به القوي فإنها تذهب بإذن الله تعالى : وقال غيره : ينفع من خفقان القلب ، ويدخل في أدوية العين فيشدد أعصابها ، وإن طلى بمحكاكته بياض البرص أزاله ، وإن عاق على إنسان غلبته قوة الباه :

(حجر دمياطى) قال أرسطو : إنه حجر أسود مثل السجم يصاب في البحر : إذا أحرق

ويصق مع الزئبق عقده ، وإذا طرح على الطلق وعرض على النار صيره ماء رجراجا .
(حجر رخام) حجر أبيض مشهور . إذا أردت أن لا تحبل المرأة فاسقها وزن درهم رخاما مسحوقا . وقال بليناس : قد يوجد في وسط الرخام دودة من أخذ ثلاثة منها وشدها في خرقة ثم علقها على المرأة لم تحبل :

(حجر رقوس) قال أرسطو : يوجد بقرب البحر الأخضر : ومن خواصه أن الإنسان إذا تختم به زال عنه الهم والحزن .

(أحجار زاجات) تتولد جميع أجزاء الزاجات من أجزاء مائية وأجزاء أرضية محرقة إذا اختلط بعضها ببعض اختلاطا شديدا . وسبب الحرارة الزائدة التي وجدت في دخانيتها إذا اختلطت بالأجزاء المائية تحدث فيها دهنية فتصير قابلة للذوبان ولهذا وجد في الزاج ملوحة وكبريتية وحجرية ، فمن حيث إنه وجدت فيه الأجزاء المائية والأجزاء الأرضية المحترقة وجد فيه ملوحة ، ومن حيث إن الحرارة أنضجتها حتى أحدثت فيه دهنية كبريتية ، ومن حيث أن الماء والتراب انعقادا بحرارة الشمس وجد فيه حجرية . وأما اختلاف ألوانها فبحسب اختلاف المعادن : وأما خاصيته فإنه ينفع من الجرب والسعفة والناصور والرعاف وتآكل الأسنان ، وإذا دخن البيت بالزاج هرب من رائحته الفأر والذباب :

(حجر زبد البحر) قال ابن سينا : إنه أنواع : منه قطري يصلح لحلق الشعر وينفع من البهق ، ومنه إسفنجي شديد الجلاء للأسنان ، ومنه وردى نافع للنقرس والطحال والاستسقاء . ومن عجيب خواصه أنه يحلق الشعر وهو ينبت ، وينفع من البهق والكلف والآثار ، ويجلو الأسنان ، وينفع من الخفازير والاستسقاء وعسر البول : وزعم بعضهم أن زبد البحر إذا علق على فخذ صاحبة الطلق سهل ولادتها :

(حجر الزجاج) قال أرسطو : الزجاج أنواع كثيرة يوقد عليه كثير احتق يخلط ويجرى والزجاج إذا أصابته النار قبل أن يدخل النار يتكسر ولم ينتفع به ، وهو يتاون بألوان كثيرة لأنه من ألين الأحجار يوجد في الأحجار كالماتق من الناس لأنه يميل إلى كل صبغ يصبغ به ، وهو يخرج اللحم . قال ابن سينا . من خاصيته أنه يجلو الأسنان وينبت الشعر إذا طلى بدهن الزئبق ويجلو العين ويذهب بياضها .

(حجر الزرنيخ) معروف . قال أرسطو : له ألوان كثيرة فنه أحمر وأصفر وأخضر . أما الأحمر والأصفر فهما ذهيبا اللون إذا اجتمعا مع الكلس حلقا الشعر ، وهو سم قاتل : ومن أحرق الزرنيخ وذلك به الأسنان نفعها وذهب بخضرتها : وقال غيره : الزرنيخ يجعل على البحر الحاحات والجرب والسعفة الرطبة ينفعها ، ومع الزيت يقتل القمل ، ومع دهن الورد يقطع البواسير ، وإذا طلى الإنسان به جسده لإزالة الشعر يحدث به كلفا فيطلى بعده بالأرز والعصفر

ليدفع غائلته : والزرنينخ الأصفر يقتل الذباب برائحته : فإن جعلته في شيء حلوا ليأكله الذباب قتله قتلا بينا ، وإذا ألقيت الزرنينخ مع الملح في النبيذ أفسده .

(حجر الزنجار) قال أرسطو : هو حجر يستخرج من النحاس بالخل وفيه قوة السم إذا شرب . وخاصيته أنه يبرى البواسير ويأكل اللحم الميت من الجراحات . وقال ابن سينا : هو نارح النحاس بأن يكب آنية نحاس على خل ، وينفع من البواسير بأن يتخذ منه ومن الآسق فتائل يحشى بها .

(حجر الزنجفر) قال أرسطو : إن الزئبق إذا طبخ منه في الزجاج على النار واستوثق رأس الزجاج كي لا يطير الزئبق منه استحال بياضه إلى الحمرة وصار زنجفرا . فإن انشقت الآنية أو أصاب بدن صاحبه دخانه حدث من ذلك مرض صعب وربما يقتل وهو يدمل الجراحات وينبت اللحم في القروح ويمنع من حرق النار ويأكل الأسنان ، وهو من السموم القتالة .

(حجر سبيج) قال أرسطو : هو حجر يؤتى به من بلاد الهند أسود شديد البريق شديد الرخاوة يتكسر سريعا . إذا أصاب الإنسان ضعف في بصره من الكبر وبدا الماء في عينه والعياذ بالله تعالى . وعلامته عسر الرؤية وأن يرى قدام عينيه شيئا كالمدخان أو كالذباب فيديم النظر في السبيج فإنه ينفع نفعا بينا ، ومن لبس شيئا منه يأمن من العين السوء . وقال غيره : من أدمن إليه النظر أحمى بصره ، وإذا سحق واكتحل به جلا البصر ، وإذا علق على الرأس نفع من الصداع .

(حجر سنسليس) قال أرسطو : هذا حجر خفيف يتخلخل إذا حبسته ظننت أن الريح يخرج منه يعني أن الريح يحرق جسمه ، وهذا الحجر إذا عصفت الريح على أهل البحر وأقبلت الأمواج ومر ماء البحر منصرفا مع الريح أقبل هذا الحجر مع الريح والماء ، ومن استصحب من هذا الحجر ولو زنة قيراط أو أقل لم يظفر به عدوه أبدا ولا يغلبه .

(حجر سنباج) قال أرسطو : معدنه جزائر بحر الصين كأنه الرمل الخشن ومنه أحجار صغار وكبار ، إذا أحرق وسحق وطلى به القروح أودرت عليها أبرأها بإذن الله تعالى ، وهو يجلو الأسنان من الوسخ .

(حجر شاذنج) ويقال له أيضا حجر الدم يحرق المغناطيس فيخرج شاذنج ومنه معدني صنوع يلطف في إحراق المغناطيس . ومن خاصيته أنه يقوى البصر . ويذر على اللحم الزائد فيضمره ويدمل قروح العين خصوصا مع بياض البيض ، وينفع من خشونة الأجفان .

(حجر شب) قال ديستوريدس : أصناف الشب كثيرة ، وأشهرها اليماني وهو أبيض وفيه صفرة وفي طعمه حموضة . وذكر أن الشب اليماني يقطر من جبال اليمن وهو ماء فإذا صار إلى الأرض استحال شيئا ينفع من نزف كل دم وقذفه ، وهو مع دردي الحل يجفف

القروح العسرة المتآكلة ، وطبيخه إذا تمضمض به نفع من وجع الأسنان ، والصابغون يجعلون الأثواب في الشب ثم في الصبغ فإن الصبغ لا يفارقه ، والشب في آنية الرصاص أمان من القولنج ، والله تعالى أعلم .

(حجر صدف) حجر معروف ، منه ما يتكون في الماء العذب ومنه في المالح . ومن خاصيته جذب السلا والعظام ، ويسكن وجع النقرس والمفاصل إذا ضمده به ، وإذا سحق بجمل قطع الرعاف ، ولحمه ينفع من عضمة الكلب الكلب ، ومحرقه يجلو الأسنان إذا استيك به ، وفي الأكلحال ينفع من قروح العين ، وإذا طلى به موضع الشعر الزائد في الجفن بعد نتفه منع نباته ثانيا ، وينفع من حرق النار ويجفف القروح والجراحات ، وإذا شدت قطعة صافية على صبي نبتت أسنانه بلا وجع :

(حجر طرد النوم) قال أرسطو : إنه حجر أبيض مائل إلى السواد ثقيل الجسم جسدا كأنه في وزن الرصاص في مسه خشونة وربما يكون كلون الطحال ، إذا علق على إنسان لا ينام ليلا ولا نهارا ولا يحس بتعب السهر بخلاف من مهر ليلا ، ويسعط المخدوم بذلك يبرأ .
(حجر طاليقون) هو نحاس طرح عليه الأدوية حتى صار صلبا ، إن اتخذ منه شيء من النصول أضر به جدا . وقال أرسطو : هو من جنس النحاس غير أنهم ألقوا عليه الأدوية الجاذبة حتى حدثت فيه سمية فإن جرح به حيوان أضر به جدا ، ومن أحمى الطليقون ثم غمسه في مائع لم يقرب ذلك المائع ذباب .

(حجر طلق) قال أرسطو : هو نوعان أبيض غليظ التشر صافي البياض وأحمر رقيق القشر لبن الخبس ، وهو حجر شريف يأتي على الرصاص والنحاس والحديد يصيرها فضة بإن الله تعالى . ومن أراد حله فليشده في خرفة ويجعل فيه حصى ويضرب بالماء فينحل من بعد ما غمس في الماء .

(حجر طرسوطوس) قال أرسطو : تولده في معدن الفضة والنحاس جميعا وهو أخضر فيه طمع الدهنج . وخاصيته أنه إذا نقع في ماء وشرب يقتل ، وقد فعل ذلك بقوم من عساكر الإسكندر فماتوا ، وإذا أتى في الكحل أذهب بياض العين العتيق ، وإن لم يكن عتيقا يضر بالعين ،

(حجر عتيق) قال أرسطو : أصنافه كثيرة وأجودها ما يجلب من اليمن وقد يوجد على ساحل البحر بالأردن ، وأحسنه ما اشتدت حرته وصدفت صفرتها ، فمن لبس من أحسنه سكنت حدته عند الحسومة وعند الضحك أيضا ، ومن استاك بنحاته ذهب عنه صداد الأسنان ويبيضها ، ويذهب بالرائحة السكرية من الفم والأسنان وينفع من خروج الدم من حوالها . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من تخم بعقيق لم يزل في بركة وسرور » ومحرقه يقوى العين وينفع من الخفقان .

(حجر عنبرى) قال أرسطو : هو حجر يضرب لونه إلى الغبرة والخضرة التي ليست بالمشرقة وفيه نقط سود وصفر وبيض يشم منه رائحة العنبر ، والملوك اتخذوا منه أوانى فغلب عليهم المرة السوداء فاحتاجوا إلى العلاج وتعبوا . قال : إن إبليس لعنه الله دلم على ذلك ، (حجر عطاس) قال أرسطو : هو حجر يطفى النار إذا وقع فيها ، وإذا ألقى في النار لم تشتعل ألبته ، وإذا جعل تحت اللسان وشرب عليه الشراب لم يرتفع بخاره إلى الرأس . ولم تسكره .

(حجر فادزهر) معناه حجر السم ، وهو اسم لكل حجر حفظ قوته على الروح ودفع ضرر السم . قالوا : إن السم حار وبارد؛ فالحار يذيب الدم ويفنى الرطوبة التي بها قوام الحيوان ويذب في البدن ديبب الزعفران إذا وقع في الماء ، وأما البارد فيجمد الدم والرطوبات اللطيفة كالأنفحة إذا وقعت في اللبن الحليب فإنها تجمده في أقرب مدة . وأما فعل الفادزهر فمثل فعل الحموضات إذا وقعت على لون الزعفران فإنها تغسله من ساعته ، والفاعل لهذه الأفاعيل قرة موجودة في هذه الأشياء خلقها الله تعالى فيها وهي كالآلة للفاعل بفعلها أفعالا مختلفة وأعمالا متقنة . قال أرسطو : أصناف الفادزهر كثيرة : الأصفر والأخضر والمشوب بالخضرة والمشرب بالبياض والجيد منها الأصفر الصافي والأخضر ، معادنه في بلاد الصين والمند وخراسان ، فمن شرب منه زنة قيراط مسحوقا أو مبرودا بالمبرد تخلص من السم بالعرق والرشح ، وإن وضعه على سم العقرب والموام نفع به نفعا بينا ، وإن سحق وذر على موضع اللسع حين يلسع أحدث البرء ، وإن عقر الموضع قبل أن يتداوى بدوائه فذر عليه مسحاقتة نفعه .

(حجر فرسلوس) قال أرسطو : هو حجر أسود يوجد في الظلمات أخرجه الإسكندر وكان في خزانته ، وهو حجر أسود ثقيل الجسم إذا وقع في النار تلاشى واضمححل ، وإذا طرح على الزئبق وعرض على النار عقد الزئبق وضبط بعضه بعضا فيصيران جسدا واحدا وفضة لينة تصير على النار وطرق المطارق ، وإذا علق على إنسان لم يزل يتكلم بالحكمة مادام عليه ولا ينسى ذكر الله تعالى ليلا ولا نهارا ، وينفع من عين السوء ، وإذا سحق مع لبن البقر وطلبي به البرص يبرأ بإذن الله تعالى .

(حجر فرطاسيا) قال أرسطو : إنه يوجد في أسافل الجبال الشواهي إذا كان الليل أسرج مثل النار ، وإذا سحق بماء الكرفس صار سماقاتلا لسائر الحيوانات .

(حجر فرفوس) قال أرسطو : هذا حجر أحمر على لون النار إذا سحق وجعل على الجرح الذي لا يلتحم ألمه .

(حجر فير وزج) قال أرسطو : هذا الحجر أخضر مشوب بزرة معادنه أرض خراسان .

وهو يصفو لونه من صفاء الهواء وإذا تكدر الجو تكدر، يفع العيون إذا سحق مع الأكحال. واكتحل به ، وليس هو من لبس الملوك لأنه ينقص الهيبة : وعن جعفر بن محمد رضى الله عنهما : ما افتقرت يد تحتمت بغير وزج ،

(حجر فليفوس) قال أرسطو : تفسيره المتلون بألوان كثيرة ، وهذا الحجر يتلون ألوانا في كل يوم مرارا عديدة مرة أحمر ومرة أصفر ومرة أخضر ، وبالليل يلمع كالمرآة ، فلما ظفر الإسكندر بهذا الحجر في معدنه أخذ منه شيئا فلما جن عليهم الليل أخذهم الرجم من كل ناحية ، فزعموا أن لهذا الحجر خاصية لا يجب الجن أن تعرفها الإنس فأمر الإسكندر بامساكها فامر بها بموضع إلا هرب منه الجن وما كان يقربها إشيء من السباع والحوام فجهلها في خزانته .

(حجر فيهار) قال أرسطو : هو حجر يوجد بناحية المشرق في معدن الذهب لونه لون الياقوت الأحمر شفاف مثل الياقوت. خاصيته أنه يدفع غائلة السحر إذا استصحبه إنسان معه ، وإذا سقى منه مقدار شعيرتين أزال الخبل والجنون .

(حجر قرياطيسون) قال أرسطو : إنه يوجد بأرض الهند ينفع من سيلان الدم ، وإن أمسكه إنسان في فمه ووضع على أخذه الحجام وشرط لم يخرج من الدم شيء أصلا .

(حجر قروم) قال أرسطو : هذا حجر يخرج الغواصون من البحر ملون بالبياض والحمرة والصفرة والخضرة والدكنة ، إذا علق على إنسان تكلم بالصواب والصدق وتهرب منه الشياطين ، وإذا شرب منه وزن شعيرة مسحوقا بالعود نفع من أوجاع كثيرة : خاصيته أنه ينفع من وجع المفاصل والعظام .

(حجر قلقديس) هو صنف من الزاج وهو أقوى فعلا من الصنفين المذكورين بعد .

(حجر قلقطار) هو صنف من الزاج . قال جالينوس : ينفع من الأورام الساعية ويحرق اللحم الزائد وينفع من الرعاف وأورام اللثة ويمنع من النزف ويقع في الأكحال جلاء .

(حجر قلقند) صنف من الزاج محرق جداً أكال اللحم ومجفف له ، وينفع من نواصير الأكتف والرعاف ، ويقتل دود الأذن والبطن ، ويبقى في الماء ويرش به البيت يموت ما فيه من البراغيث والبق برائحته ، وإذا ضم إليه الكبريت والشونيز كان أقوى فعلا ، ويدفع الفأر أيضا ، ويدلك به المسن ، ويحد به الموسى يفيد قوة عجيبة في إزالة الشعر ، وإذا ذلك به منخر الإنسان لا ينم ألبنته ، فإن أراد إزالة ذلك يلطخ أنفه بالزيت حتى ينم .

(حجر قلى) حجر يتخذ من الأسنان بأن يحرق حتى يصير رمادا ، وهو جلاء أكال أقوى من الملح ، ينفع من البهق والحرب واللحم الزائد ، يدق مع النوم ويعجن بالنفط الأبيض ويطلب به لدغ العقرب فإنه يسكن وجعه في الحال .

(حجر قيسور) قال أرسطو : إنه حجر خفيف مخلخل يعوم على الماء ولا يفوص ، يوجد بأرض صقلية وأرمينية ، ويسمى أيضا حجر الدفاتر لأنه إذا حك به المكتوب محاه . ومن خاصيته تنقية الأسنان من الوسخ وتبييضها إذا سحق واستن به . وقال سرجويه : إنه يحاق الشعر إذا مر به :

(حجر قباطير) قال أرسطو : إنه حجر مدور كالبنادق يخرج من البحر ، خاصيته أنه إذا سحق وسقى من به الحصا في المثانة أخرجها قطعاً من الإحليل كالرمل .

(حجر كرسيد) قال أرسطو : هو حجر يوجد على ساحل البحر يجتمع عليه الحيات لونه أسود مثل المداد ، وهو خفيف خشن المحس لا تعمل فيه المبادر ، وإذا كلس يكلس في سبع مرات ويصير كلسه أبيض ، وإذا خلط مع كلسه شيء من التوشادر والتي جزء منها على سبعة أجزاء من زئبق عقده وصيره حجراً .

(حجر كرسيان) قال أرسطو : إنه أخضر اللون يوجد بأرض الهند ، وهو ثقيل شفاف صاف إذا كلس هذا الحجر حتى يبيض وحر حتى يحمر ويصير في كيزان الزنجفر فإذا انحل ألقى عليه مثله مغنيسيا وأذيب البلور في النار وألقى من هذا الكرسيان المدبر عليه عشر شعيرات على عشرة أساتير صبغه وجعله في لون الياقوت ، وإذا علق على إنسان أمن من الحميات .

(حجر كرك) قال أرسطو : إنه حجر أبيض ، إذا خرج من الخراط يشبه العاج يؤتى به من ساحل بحر السند ينفع لحكة العين اكتحالاً ، وأهل السند والهند يتختمون به لدفع العين والسحر والشياطين ، وكان الفلاسفة يضعونها عندهم كيلا تقر بهم الأرواح الرديئة .

(حجر كرماني) قال أرسطو : هو حجر أسود يشوبه كمودة يصاب في الآجام والرجل وقد يكون على لون الطحال ، إذا سحق بالشب واللبن وأسعط المجذومين يبرئهم بإذن الله تعالى :

(حجر كهربا) هو حجر أصفر مائل إلى البياض وربما كان إلى الحمرة ، ومعناه جاذب التبن لأنه يجذب التبن والحشيم إلى نفسه ، وهو صمغ شجر الجوز الرومي . وإذا علق على إنسان نفعه من الأورام والحفقان ويحبس القيء ويمنع نزف الدم . وإذا علق على الحمل حفظ جنينها ، وإذا علق على صاحب اليرقان نفعه وأزال صفرتة والكهربا شبيه بالصندروس إلا أنه أصفى لونا وأميل إلى البياض .

(حجر لازورد) قال أرسطو : هو حجر به رخاوة وهو مشهور . من تختم به نبيل في أعين الناس ، وإن اكتحل به في الأكحال ينفع العين . قال ابن سينا : إنه ليستقط الشآليل ويحسن الشعور ويكثرها . وقال غيره : اللازورد ينفع من السهر وينفع أصحاب المالبخوليا .

(حجر لاقط الذهب) قال أرسطو : هذا حجر يختلس الذهب معدنه ببعض جبال المغرب وهو أصفر مشوب بغبرة يسيرة أملس لبن المحس من نظر إليه ظنه تبرا : وخاصيته أن الذهب إذا برد بالمبرد واختلطت برادته بالتراب وأمر عليه هذا الحجر لقطها وأخرجها من التراب حتى لا يبقى فيه شيء .

(حجر لاقط الرصاص) قال أرسطو : هو حجر يسمح اللون نتن الرائحة مشوب بشيء من البياض والرصاص مع ثقل جسمه هذا الحجر يختلصه فإذا وقع في موضع يشم منه رائحة الحلتيت ، وإن أحرق بالنار حتى يصير كالصخر ثم ألقى عليه الزئبق يكون منه فضة جيدة تصير على السبك والمطرقة .

(حجر لاقط الشعر) قال أرسطو : هو حجر رخو وخفيف متخلخل الجسم إذا مد على ظهر الحيوان يخلق شعره مثل الكاس والنورة ، فإن شد على شعر مطروح على وجه الأرض لقطه ، وإن سحق وطلى به الموضع الذي حلق منه الشعر يزبل منه أثر الحلق مثل داء الحية والثعلب ، وإن أصاب رائحة هذا الحجر الذهب المسبوك فسد وتفتت عند الطرق كما يفتت الزجاج ولم يكن له حيلة .

(حجر لاقط الصوف) قال أرسطو : هذا الحجر أخضر يشوبه عروق خضر وصفرة ، وهو خفيف الجسم مائل إلى البياض مدور صغار وكبار . إذا أدنى منه الصوف التفت عليه حتى يفوس في الصوف ، ومسحوقه يزبل البياض من العين اكتحالا ، وإذا كلس وعقد مع زبد البحر عقد الزئبق عندها شديداً .

(حجر لاقط العظم) قال أرسطو : هو حجر أصفر خشن المحس ، يجلب من بلاد بلخ إذا أدنى من العظام لقطها .

(حجر لاقط الفضة) قال أرسطو : هو حجر أبيض مشوب بغبرة وإذا غمز عليه الإنسان صر كما يصير الرصاص ، وإذا أخذت منه قدر أوقية ووضعته من الفضة على مقدار خمسة أذرع اجتذبت إليه . وإن كانت مسمرة اقتنع المسار من موضعه ، وليس شيء من المغناطيس أقوى من هذا .

(حجر لاقط القطن) يوجد على سواحل البحر ، وهو أبيض إذا أدنى من القطن أو انثرق اختلسها . ومن خواصه أنه إن حل في الزبل وألقى على النحاس بيضه وصيره مثل الفضة .

(حجر لحاغيطوس) قال أرسطو : إنه حجر أسود اللون يشم منه رائحة انثار شديد اليبس . يلحم الجراحات الشديدة الغور ، وينفع أصحاب الصرع ويطرد الهوام .

(حجر الماس) قال أرسطو : إنه يقرب لونه من لون النوشادر العنابي لا يلتصق بشيء

من الأحجار إلا هشمه وكسره غير الأسرب فإنه إذا ضرب بالأسرب كسر الماس، ولو جعلته ألف قطعة كان جميع قطاعه مثلثة وكلما كان حجمه أكبر كان تأثيره أقوى، والصناع يجعلون قطاعه في طرف المثقب يثقبون بها الأحجار الصلبة، والموضع الذي فيه الماس لم يصل إليه أحد، وهو واد بأرض الهند لا يلحق البصر أسفله وفيه الأفاعي، وهذه الأفاعي لا يراها أحد إلا مات، ولها مصيف ستة أشهر ومشتاة مثلها، فأمر الإسكندر باتخاذ المرأى وإلقاءها في الوادي حتى ترى الحيات فيها صورتها فيها فتموت، وقيل إنه راقب وقت غيبتها وألقى فيها قطع اللحم فتشبثت بقطع الماس وجاءت الطير من الجو وأخذت من ذلك اللحم وأخرجته من الوادي، فأمر الإسكندر أصحابه باتباع الطير والنقاط ما ينتثر من ذلك اللحم. ومن عجائب الماس أنه إذا طرق بالمطرقة على السندان دخل في المطرقة أو في السندان، وإذا ضرب بالأسرب يتكسر في الحال، وإن ألقى في دم التيس وأدنى من النار يذوب، وهو ينفع من المغص وفساد المعدة وتكسر الأسنان إذا أخذ في الفم، وهو سم قاتل جدا.

(حجر مغناطيس) قال أرسطو: هذا حجر هندي لا يعمل الحديد فيه. إذا وضع في مكان بطل فيه عمل السحر ويهرب عنه الشياطين، والإسكندر كان يعمل في عسكره لدفع الجن والسحر.

(حجر ماهاني) قال أرسطو: هو حجر أبيض أصفر يوجد بأرض خراسان ينفع من السكته، وإذا أحرق بالنار وجعل على البواسير أبرأها، ومن تخم به أمن من الروع والغم والجزع.

(حجر مراد) قال أرسطو: إنه حجر عجيب يوجد بناحية الجنوب، إن أخذ من معدنه والشمس بناحية الجنوب كان طبعه حارا يابس وإن كانت بناحية الشمال كان طبعه باردا رطبا، وهو أحر اللون إذا كانت الشمس جنوبية وأخضر إذا كانت شمالية. وخاصيته أن الشياطين تتبع حامله ويعلمونه بما أراد منهم.

(حجر مرجان) قال أرسطو: إنه ينبت في البحر أحر اللون وهو إذا كلس عقد الزئبق وصبغه بلون الذهب وهو يدخل في معالجات العين ويصلب الحدقة، وقال غيره: إنه يستخرج من موضع يسمى مرسى الخذر بقرب ساحل إفريقية يجتمع التجار بها ثم يستأجرون أهل تلك الواحي على استخراج المرجان من قعر البحر، ومن أراد ذلك يتخذ صلهيا من الخشب طوله ذراع ويشد فيه حجرا ويركب ركوة ويبعد عن الساحل نصف فرسخ ويرسل الصليب إلى أن ينتهي إلى قعر البحر، ثم يمر بالركوة يمينا وشمالا حتى يتعلق المرجان بذوائب الصليب ثم يقتله بقوة ويرفعه إليه وقد علق بالصليب، وهو جسم شجر أغبر القشر فإذا حك خرج أحر اللون، وزعم بعض الناس أنه يوجد أيضا في قعر بحر الأندلس والغواصون ينزلون عليه ويقطعون.

أما خواصه فقد ذكر في البسد وهو خلاصته فلا نعيدها .

(حجر مرداسنج) هذا حجر متخذ من الرصاص ينفع من الجراحات ويجففها إذا اتخذت منه المراهم ، ويبرى القروح ويلحم الجروح ويذهب برائحة الزفر من الناس . قال ابن سينا : إنه يطيب رائحة البدن والإبط ويجلو الكلف والآثار السود والدم الميت وآثار الجلدري ، وهو سم قاتل يحبس البول . وإذا طلى به الإبط رد الفضلات إلى القلب فليكن بدهن ليأمن غائلة ذلك .

(حجر مرقشينا) قال أرسطو : إنه أصناف منها ذهبية ومنها فضية ومنها نحاسية زجميع أصنافها يخالطها الكبريت فإذا أحرق كبريتها وكلست حتى صارت كالدقيق دخلت في كثير من الصنعة ، وإذا ألقى منها على ذهب مسبوك خلص الذهب ، وإن ألقى مكلسا على النحاس أو الرصاص قلبهما إلى البياض حتى يقاربا النفضة في اللون ، وإن طرح على النحاس الذائب يبسه ويبيضه حتى يصير كلفضة ، وينفع العين من جميع العلل الحارة اكتحالا . وقال ابن سينا : إنه ذهبي وفضي ونحاسي وحديدي وكل صنف يشبه جوهره الذي ينسب إليه في لونه ، والفرس يسمونه حجر الروشناوى أى حجر النور المنفعة البصر ، وينفع من البهق والبرص والكلف طلاء ، ويرقق الشعر ويجعده ويجلو العين ويقويها ، وإذا علق على الصبي لم يفرع . وقال غيره : إذا علق على الإنسان أصاب خيرا وكرامة من الناس .

(حجر مسن) قال أرسطو : المسن الحجر الأخضر الذي يسن الحديد إذا حنطه بالأدهان . وهو نافع لبياض العين إذا سحق واكتحل به قبل أن يصيبه الدهن . قال ابن سينا : حكاكة المسن تطفى على الثدي والخصية لتلا يعظما .

(حجر مسهل الولادة) قال أرسطو : هذا حجر هندي إذا حركته سمعت في جوفه صوتا ومعدنه جبل بين مدينة عمان والبحرين ، وإنما عرفت خاصيته في تسهيل الولادة من أنثى النسر إذا حان وقت أن تبيض يبلغ بها حد الموت من شدة العسر وربما ماتت وجعا ، فعند ذلك يذهب النسر الذكر إلى الجبل ويأتي بذلك الحجر ويعمله تحمها فأهل الهند عرفوا ذلك من النسر ، فإذا وضعت هذا الحجر تحت كل حيوان أضر به الطلق سهل الولادة .

(حجر مغناطيس) قال أرسطو : إنه حجر يجتذب الحديد وأجود أصنافه ما كان أسود مشوبا بالحمرة ، ومعدنه ساحل بحر الهند وهو قريب من بلادها ، والسفن التي تعبر في البحر إذا قربت من معدن المغناطيس وفيها شيء من الحديد طارت مثل الطير والتصقت بالجبل ولهذا المعنى لا يستعمل في سفن البحر شيء من الحديد أصلا . ومن عجيب خاصية المغناطيس أنه إذا أصابها رائحة الثوم أو البصل بطل تأثيرها ولا يسلب الحديد فإذا غسلته بالخل عاد إلى حالته وكذلك دم النيس إذا نقتته فيه ، وإن سقى إنسان سخالة الحديد يسقى من هذا الحجر مسحوقا .

بالبن فإنه ينزعه ويستقصيه حتى لا يترك منه شيئاً ، وكذلك إذا سقى من جرح بحديد مسموم فإنه يبطل عمل السم ، وكذلك إذا نثر على الجراحة الحارة التي من حديد مسموم أبرأها ، فالحديد طائع لهذا الحجر بسبب قوة خلقها الله تعالى فيه ولا يزال ينجذب إليه كالعاشق إلى المعشوق . وقال غيره : إنه إذا علق المغناطيس على إنسان نفعه من وجع المفاصل ، وإن أمسكته المرأة التي تعسرت ولادتها وضعت في الحل ، وينفع النقرس في اليدين أو الرجاين ، وإذا أخذ في اليد نفع من الكزاز ، وإذا علقته المزة التي أضربها الطلق على ثديها الأيسر وضعت سريعاً ، ومن علقه في عنقه زاد في ذهنه ولم ينس شيئاً .

(حجر ملح) قال أرسطو : الملح أصناف منها المتحجر كالبلور ، ومنها ما يكون كالثلج وتحجره كتحجر سائر الأحجار ، ومنها ما يكون سؤرجاً في الأرض السبعة جعلها الله تعالى قواماً لمصالح الدنيا فيصالح لكل شيء يخالطه حتى الذهب فإنه يحسن أونه ويزيد في صفوته ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يا على ابدأ بالملح واختم به فإن فيه شفاء من سبعين داء » ومن خواصه دفع العفونات كلها ، والملح المحرق ينفي الأسنان من الحنرة ويزيل كهبة اللون حيث طلى ، واستعماله بالعسل يحسن اللون ويأكل اللحوم الزائدة الثابتة ، وينفع القوي والجرب ، ويضمده به مع بزر الكتان للسع العقرب ، ومن العسل والحل انهشة ذى الأربعة والأربعين والزناير ، وينفع من الجرب والحكة البلغمية والنقرس ، ولإندرافى هو الذى يشبه البلور يحد الذهن ويشد اللثة المسترخية .

(حجر نظرون) قال أرسطو : إنه يغسل الأجسام من الوسخ وينور وجهها ، وهو نافع للأرحام اللواتي غلبت عليها رطوبة يذشفها ويقويها . وقال غيره . هو البورق الأرمنى . ينفع من القولنج الشديد ويقلع بياض القرنية ، وإذا أقيمت في العجين طيب خبزته وبيضه ويدسه ، وإن طرح في القدر أهرى اللحم :

(حجر نوبى) قال أرسطو : إنه حجر شريف لين المحس ، ومعنى النوبى النافع للسم وهو ينفع من سائر السموم إلا أنه يعمد إلى الكبد والقلب ويذوبهما إلى العروق فيفسد كيفية ما فيها من الدم ، وقد يسد مجارى الروح الحيوانية فيغشى على الإنسان فإن بادر الأدوية القتالة قبل نفثها في البدن نفعها بيننا وإذا أبطأ ذلك ضره :

(حجر نورة) من الأجساد الحجرية المحترقة ، ويقطع زرف الدم إذا جعلته على الموضع وينفع من حرق النار جداً ، وإذا طلى بها في الحمام لأجل إزالة الشعر أبرزت بما تحت الجلد فينبغى أن يدهن بعدها بدهن البنفسج وماء ورد . وذكر أن استعمال النورة لإزالة الشعر من تعليم الجن ، وذلك أن سيدنا سامان بن داود عليهما الصلاة والسلام لما تزوج بلقيس ملكة اليمن وجد ساقها أرغب ، فسأل الجن هل في ذلك حيلة ؟ فذكروا له استعمال النورة ، وإذا فرشت في موضع لم تقر به البراغيث :

(حجر النوشادر) تولده كتولد الملح إلا أن الأجزاء النارية فيه أكثر من الأرضية ولهذا إذا أرادوا تصعيده يتصعد كله ، وقيل لأنه من أجزاء مائية وأجزاء دخانية لطيفة كثيرة الحرارة وربما يتخذ من أرخام الحمامات . قال أرسطو : إنه أصناف كثيرة فمنه مركب في سواد وغيره ، وبياض ومنه الأغبر ومنه الأبيض الصافي ؛ فالشبيه بالبلور ينفع من بياض العين ومن الخوانيق البلغمية إذا طبخ ونفخ في الحلق مع أدوية أخرى . وقال الشيخ الرئيس : إذا رش البيت بالماء الذي جعل فيه النوشادر يهرب منه جميع الهوام .

(حجر هادى) قال أرسطو : هذا الحجر يوجد بناحية الجنوب والشمال جميعا لونه لون الطحال ، إن علق على إنسان لم تذب عليه الكلاب ، وإذا كلس وأتى عليه زاج منقى عقد الزئبق . ولم يفر من النار .

(حجر ياقوت) حجر صلب شديد اليبس رزين شفاف صاف مختلف الألوان أحمر وأصفر وأخضر وأزرق ، وأصل كلها ماء صاف وقف في معادنها بين الحجارة الصلدة زمانا طويلا فغلظ وصفا وثقل أنضجته حرارة المعدن بطول وقوفه فصير صلبا لا تذوبه النار لقلته دهنيته ولا يفتت لغلظ رطوبته بل يزداد لونه حسنا ولا تعمل فيه المبارد لصلابته ، ومعدنه بالبلدان الجنوبية عند خط الاستواء وهو قليل الوجود عزيز . قال أرسطو : الياقوت في الأصل ثلاثة أصناف : مختارها الأحمر والأصفر والأخضر ، أما الأحمر فأكثر وله على النار صبر ، وأما الأصفر فإنه أصبر على النار من الأحمر ، وأما الأخضر فلا صبر له على النار ألبته وأماماعدا هذه الأصناف فليست في الشرف والخاصية كهذه الألوان ، فمن تختم أو تقلد بشيء من هذه الأصناف الثلاثة التي وصفناها لا يعلق ببذنه الطاعون وإن عم أهل البلد وتبل في أعين الناس وسهل عليه أمور المعاش . وقال غيره : إنه يمنع الماء من الجمود ، والله الموفق :

(حجر يشب) أبيض مشهور يقال له حجر الغلبة ، من استصحبه لا يغلبه في الحرب أحد ولا يحججه أحد ، ولهذا يجعله الملوك في مناطقهم المرصعة ، وإذا وضعه العطشان في فمه سكن عطشه .

(حجر يقظان) قال أرسطو : هو مجرب إذا علق على إنسان لم ينس شيئا ، والفلاسفة قدر مزوه وستروه عن العامة : قالوا : إنه يتحرك ولا يسكن حتى يلمسه إنسان ، وهو يصلح لخفقان القلب والفؤاد والأرتعاش واسترخاء الأعصاب .

(القسم الثالث : في الأجسام الدهنية) : زعموا أن الرطوبات الخفيفة تحت الأرض تسخن في الشتاء وتبرد في الصيف ، لأن الحرارة والبرودة ضدان فلا يجتمعان في مكان واحد ، فإذا جاء الشتاء برد الجو وفرت الحرارة إلى باطن الأرض فمنها مواضع دهنية فاكتسبت الرطوبات المنصبة إلى تلك المواضع بواسطة الحرارة منها دهنية ، فإذا أصابها نسيم الهواء

أو برودة الجو غلظت وربما انعقدت وربما بقيت على ميعانها فتصير كبريتا أو زئبقا أو قبرا أو نفطا أو ما شابه ذلك وذلك بحسب اختلاف البقاع وتغيرات الأهوية بحرارة المعدن ونضجه إياها وتصفيتها مرة بعد أخرى ، فإذا اختلط الكبريت والزئبق مرة أخرى وتمازجا والتأثير بحاله تركب من امتزاجهما الجواهر المعدنية بأنواعها كما ذكرناه قبل فلا نعيده ونذكر تولد كل واحد منها مع بعض خواصها ، والله الموفق .

(أما الزئبق) فإنه يتولد من أجزاء مائة اختلطت بأجزاء أرضية لطيفة كبريتية اختلاطا شديداً لا يتميز أحدهما عن الآخر وعليه غشاء ترابي ، فإذا اتصلت إحدى القطعتين بالأخرى انفتح الغشاء وصارت القطعتان واحدة والغشاء محيط بهما ، وأما بياضه فسبب صفاء ذلك الماء وهو التراب الكبريتي الذي ذكرناه . قال أرسطو : الزئبق فضة إلا أنه دخل عليه آفة في معدنه كما ذكرنا آفات الرصاص أنها آفات الزئبق أيضا . ومن طلى بدنه بالزئبق قتل عنه القمل والصئبان والقراد ، وتراب الزئبق يقتل الفار إذا جعل في طعام أو نحوه ، ومن دنا من الزئبق إذا مسته النار أفلجه ، ودخانته يحدث أسقاما رديئة مثل الرعدة والفالج وذهاب السمع وصفرة اللون والرعدة في الأعضاء والبحر في الفم ويسبب الدماغ ، ومن دخانته تهرب الحيات والهوام جميعا ، ومن أقام عنده مات ، وإن طرح من الزئبق في تنور الخباز سقط جميع خبزه في النار ، والمسافر يتقلد بقلادة من صوف ملطخة بالزئبق المقتول فإنه لا يتولد في ثوبه قمل أصلا .

(وأما الكبريت) فإنه يتولد من أجزاء مائة وهو آثية وأرضية إذا اشتد اختلاط بعضها ببعض بسبب حرارة قوية ونضج تام حتى يصير مثل الدهن ثم ينعقد بسبب برودة ضربته . قال أرسطو : الكبريت أصناف منه الأحمر الجليد اللون ومنه الأبيض الذي هو كالغبار ومنه الأصفر ، أما الأحمر فمعدنه بالمغرب لأناس في موضع بقرب بحر أوقيانوس على فرسخ منه ، وهو نافع من الصرع والسكتة والشقيقة ويدخل في أعمال الذهب ، وأما الأبيض فيسود الأجسام البيض وذلك في العيون التي يجرى منها الماء جريا مشوبا به ويوجد لتلك المياه رائحة منتنة ، فمن انغمس في هذه العيون في أيام معتدلة الهواء أبراه من الجراحات والأورام والجرب ورياح الأورام والسلع التي تكون من المرة السوداء . وقال ابن سينا : إن الكبريت من أدوية البرص مالم تحسه النار ، وإذا خلط بصمغ القربطم قلع الآثار التي تكون على الأظفار وباخلل على البهق ، ويجلو القوي خصوصا مع علك ، وهو طلاء للنقرس مع النظرون والماء ويحبس الزكام بخورا . وقال غيره : إذا سحق الكبريت الأصفر ونثر على موضع اللسعة نفعه ، وهو يبيض الشعر بخورا ، وتهرب من رائحته البراغيث وكذلك الحيات سيما مع دهن أو حافر حمار ، وإذا دخن به تحت شجرة الأترج نزل الأترج كاه .

(وأما القير) فثمة ما ينبع في بعض الجبال ومنه ما ينبع مع الماء في بعض منابع المياه فيفور مع الماء الجاري من العين، فإدام مع الماء يكون لنا فإذا فارق الماء برد وجف فيخرف من الماء بالقف ويطح على الأرض، ثم يجعل في القدر ويوقد تحته وينخل له الرمل ويطح عليه مقدار معلوم ليختلط به ويحرك تحريكاً متداركاً فإذا بلغ حد استحكامه صب على وجه الأرض فيجمد، وتقير به السفن والحمامات. قال ابن سينا: إنه ينوب الدم الجامد في البطن إذا شرب، وينضج الخنازير، ويطل به القبري، وهو ضئاد للقرس، ويطل به عرق النساء، وينفع من السعال والحناق.

(وأما النفط) فيطفو الماء في منابع المياه، منه أسود ومنه أبيض وقد يصاعد الأسود بالقرع والأنبق فيصير أبيض، ينفع من أوجاع المفاصل والقوة والفالج وبياض العين والماء النازل فيها، وإذا شرب منه نصف مثقال نفع من المغص والرياح ويخرج الأجنة الموتى والمشيمة المحتبسة ويقتل الدود وحب القرع وينفع للمسوع طلاء، وربما يتوقد من غير نار بل بتحريكه.

(وأما الموميان) فإنه شبيه بالقير لكنه كثير المنافع ومعدنه بالموصل وأرجان من أرض فارس، ينفع من الخلع والكسر والضربة والسقطة والفالج والقوة شرباً وتمريخاً، ومن الشقيقة والصداع البارد والصرع والدوار سعوطاً بماء المرزنجوش، ومن الحناق والحنقان: (وأما العنبر) فقد اختلف الناس في معدنه فمنهم من زعم أنه من عين في البحر كالقير، ومنهم من زعم أنه طل يقع على بعض الأشجار في البحر ثم يترشح من خلالها وينعقد هناك وإنها في بقاع مخصوصة في زمان معلوم، كما أن الترنجيبين طل يقع على نوع من الشوك بخراسان في وقت معلوم، ومنهم من قال إنه روث حيوان مائي. ولا خلاف في أن تولده في البحر والبحر يقذفه إلى الساحل. وذكروا أن بحر الزنج يقذف في بعض الأوقات قطعة عظيمة تشبه تلاً وأكثر ما يرى على قدر الجمجم أكثرها ألف مثقال، وكثيراً ما يوجد في جوف السمك البحري والذي يأكله يموت ويكرن في هذا الصنف سهوكة لارائحة له، ومن خاصيته تقوية الدماغ والحراس والقلب تقوية عجيبة وهو يزيد في جوهر الروح وينفع المشايخ جدا بلطف تسخينه والشربة منه دائق وما فوقه مضر، وليكن هذا آخر الكلام في المعدنيات، والله الموفق للصواب.

(النظر الثاني في النبات)

النبات متوسط بين المعادن والحيوان بمعنى خارج عن نقصان الجمادية الصرفة التي للمعادن، وغير واصل إلى كامل الحس والحركة اللتين اختص بهما الحيوان لكنه يشارك الحيوان في بعض الأمور، لأن البارئ تعالى يخلق لكل شيء من الآلات ما يحتاج إليها (١١ - عجائب المخلوقات)

في بقاء ذاته ونوعه وما زاد على ذلك تكون ثقلًا وكلاءً عليه لا يخلفه ، ولا حاجة للنبات للحس والحركة بخلاف الحيوان . ومن عجيب صنع الله تعالى أن الحب والنوى إذا حصلتا في تربة ندية وأصابتها حر الشمس انشقتا وحدث بقوة خلق الله تعالى فيهما الأجزاء اللطيفة الأرضية من الأرض والمائية من الماء ، ثم إن تلك الأجزاء يترآكم بعضها على بعض بواسطة قوى خلقها الله تعالى فيها حتى يصير الحب بالغًا ذا عروق وقضبان وأوراق وأزهار ، والحب والنوى شجرًا عظيمًا ذا عرق وساق وأوراق وثمر ، فسبحانه ما أعظم شأنه وأوضح برهانه ، والنبات قسيان شجر ونجم ، والله تعالى الموفق للصواب :

(القسم الأول في الشجر) وهو كل ما له ساق من النبات والأشجار العظام بمثابة الحيوانات العظام والنجوم بمثابة الحيوانات الصغار ، والأشجار العظام لا ثمر لها كما ترى في الساج والدلب والعرعر لأن المادة كلها صرفت إلى نمس الشجر ، ولا كذلك الأشجار المثمرة فإن مادتها صرفت إلى الشجرة والثمرة ويشبه حالها حال الذكور والإناث من الحيوان فإن الذكر أعظم بدنا من الإناث لأن بعض مواد الإناث تصرف الأجنة . ومن عجيب صنع البارئ خلق الأوراق على الأشجار زينة لها ووقاية لثمرها من نكابة الشمس والهواء ، ثم إنه تعالى خلقها مرتفعة عن الثمار متفرقة بعض التفرق لا متكاثفة عليها ولا بعيدة عنها لتأخذ الثمار من النسيم تارة ومن الشمس أخرى ، فلو تكاثفت عليها حتى منعها إصابة النسيم وشعاع الشمس لبيت على فجاعتها غليظة الجلد قليلة المائية ، وإذا سقط منها بعض الورق أصابتها الشمس وأحرقتها كما ترى في الرمان التي احترق منها إحدى الجوانب ، ثم إذا فرغت الثمرة تناثرت الأوراق حتى لا تجذب مائة الشجر فتضعف قوتها كما ترى في الحيوان الأم تضعف من إرضاع أولادها ، وأعجب ما فيها ما ذكره الله تعالى - يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل - ولندكر بعض ما يتعلق بواحد واحد من الأشجار مرتبًا على حروف المعجم إن شاء الله تعالى .

(أبنوس) شجر كقطعة حجر على رأسه نبت أخضر وخشبه صلب جدًا لا ينف على الماء بل يرسب وهو أشبه خشب بالحجر . قال الشيخ الرئيس : إذا وضعت على الحجر فاحت منه رائحة طيبة ، ويجلو الغشاوة والبياض إذا حل بماء واكتحل به ، وإذا أحرقته نشارته على طابق ثم غسلت واكتحل به ينفع من الرمذ اليابس وجرب العين . وقال غيره : ينفع من حرق النار ويحل نفخ البطن ، والله الموفق .

(آس) شجرة معروفة . قال صاحب الفلاحة : إذا أردت غرس الآس فاجعل في حفرتها شيئًا من الرمل وازرع الشعير يقوى أصل الآس . قال الشيخ الرئيس : ورق الآس يطيب رائحة البدن بدل التوتيا ، ويتوى أصل الشعر وبطيله ويسوده ويمنع تساقطة ، ورماده .

الآس يقوم مقام التوتيا في دفع الرائحة الكريهة وينفي الكلف ويجلو البهق، وينفع من عضمة الرتيلا ، ويزر الآس يتمضمض به يقتل الدود المتولد في الأسنان .

(أنرج) من الأشجار التي لا تنبت إلا ببلاد الحر . قال صاحب الفلاحة : إذا جعل رماد ورق اليمقطن تحت شجرة الأنرج يكثر ثمرتها ولا يستقط منها شيء أصلا وورقه يمضغ يطيب نكهة الفم ويقطع رائحة الثوم والبصل . قيل إن بعض الملوك حبس جمعا من الحكماء وأمر أن لا يدخل عليهم إلا خبز مع إدام واحد ، فاختروا الأنرج فسئلوا عن ذلك؟ فقالوا: إن قشره الظاهر مشوم وشحمه فاكهة وحماضه أدام ويزره دهن . قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يبني الأنرج على الشجرة طول سنتها فليطها بالحص ومن دفنها في شعير تبقى زماما طويلا ، قشره يطيب نكهة الفم إمساكا ينفع من الفالج وعصارة قشرة تنفع من لسع الأفاعي شربا ورماد قشره جيد للبرص والتوبا طلاء . قال الشيخ الرئيس : يجعل قشر الأنرج في الثياب يدفع عنها السوس ، ورائحته تصلح فساد الهواء والوباء ، وشحمه يورث التمولنج ، وحماضه يجلو العين ويذهب الكلف ويسكن غلظة النساء ، وحبه يسحق ويوضع على لسع العترب يسكن وجعه ، وينفع السليم شربا في الجلاب وضمادا، ويشد في صرة على عضد المرأة فإنها لا تحبل ، وعصارة حماضه تبيض الخبز وتزيل الكتابة بالخبر .

(إجااص) قال صاحب الفلاحة : إذا سقيت شجرة الإجااص بدردي الأجااص طيب طعم ثمرتها فوق ما كانت ، وإذا طليت شجرة الإجااص الحلو بمرارة البقر لا يتولد الدود في ثمرتها ، وورقها يطبخ بسذاب ويتمضمض به يمنع سيلان الدم من اللثة ، ثمرتها تسكن العطش وحرارة القلب ، وإذا أردت أن تبقى الإجااص مدة طويلة فاجعله في ظرف وصب عليه من العصير ما يغمره ثم طين رأسه فإنه يبقى الإجااص مدة طويلة والله الموفق :

(ازدرخت (١)) شجرة كبيرة معروفة تسمى بطبرستان ضاحك لها ثمر يشبه الزبق ، ورقها يقتل البهائم وعصارة ورقها تقتل القمل وتطيل الشعر عن الشيخ الرئيس ، وقال غيره عصاراته تنفع من السم إذا شربت بالعسل وتنفع من القولنج . قال ابن سينا : وثمرتها ربما قتلت وأحدثت كريا عظيما إذا أكلت ، والله الموفق .

(أم غيلان) شجرة من عضاها الأبدية كثيرة الشوك . قال ابن سينا : أصله يسمى بنك إذا نجر به طيب رائحة البدن وقطع رائحة الثوم .

(بان) شجرة معروفة حبهما أكبر من الحمص مائل إلى البياض طيب الرائحة وله لب دهني قال ابن سينا : إنه ينفع من البرص والكلف والبهق وآثار القراح وينفع من التأليل في

في المراهم ، وطبيخه ينفع من وجع الأسنان مضمضة ، وقال غيره : ينفع من الجرب .
وينفع في الرعاف .

(بطم) شجر جبلية معروفة ثمرتها الحبة الخضراء . قال ابن سينا : يجلو الجرب والقوبا
وقال غيره : ينفع من الباه سيما رطبها ، ودهنها ينفع من الفالج واللقوة ويذهب شهوة الطعام
وصمغها وثمرتها ينفعان بالشرب لنهش الرتيلا .

(بلسان) شجرة توجد بمصر دون غيرها من البلاد ولا في غير ذلك الموضع بمصر
أيضا وهو موضع يعرف بعين الشمس ، وهي شبيهة الرائحة والورق بالسذاب لكنها تضرب
إلى البياض . قال ابن سينا : حمها وعودها ينفعان من وجع الرئة والجنين وعرق النساء والصرع
والدوران وينشفان رطوبة الأرحام بخورا ، وينفعان من العقم ويقاومان السموم ونهش
الأفاعى . دهنها يؤخذ عند طلوع الشعري بأن يشرط بالحديده ويجمع ما يتبدى بقطنة ولا
يجاوز الستة أرتال ثم يدفَع إلى رجل نصراني يعرف طبخها ولا يعلم أحداً إلا ولده وهو
أعز دهن الدنيا . قال ابن سينا : يجلو الغشاوة ويخرج الجنين والمشيمة وينفع من عسر البول
ويذهب بالنافض وينفع من سموم الهوام خاصة العقرب . ذكروا أن الخاصية للبر التي يسقى
منها تلك الأشجار أنه اغتسل فيها عيسى عليه الصلاة والسلام ، وأما الأشجار فنقلت إلى
غير ذلك الموضع وسقيت من غير ذلك الماء فما أفادت شيئا ثم سقيت بها فزكت ، والله الموفق .
(بلوط) من أشجار الجبال . قالوا : إنها تثمر سنة بلوطا وتثمر أخرى غفصا . قلت :
إن صح هذا فإنها شبيهة بالأرنب والضبع والحدأة في الحيوان فإنها تكون سنة ذكرًا وسنة
أنثى والله أعلم بصحة ذلك ، ورقها إن أتى على حية لم تستطع أن تسعى . قال ابن سينا :
ينفع من سم السهام وسموم الهوام ونزف الدم : وقال غيره ، إذا نثر رماد البلوط عند
أحجرة الجرذان أصابها الجرب ويقتل بعضها بعضها .

(تفتح) قال صاحب الفلاحة : إذا أردت غرس تفتح فازرع حوالها العنصل فإن الدود
لا يتبع في ثمرتها ، وإذا غرست تحتها الورد الأحمر يحمر ثمرتها . قال ابن سينا : عصارة
ورق التفتح نافعة من السموم وزهرة شجرة التفتح تقوى الدماغ تقوية عجيبة . قال ابن سينا :
إدمان أكل التفتح يورث أوجاع الأعصاب ، وخصوصا الربيعي وهو نافع من السموم .
وقال غيره : تطلى رجل المنقرس بعصارته يسكن ألمها وأكله وشمه يقوى القلب ، والفتح منها
نافع من سم العقرب ومن كل سم حار ، وإذا أردت أن تبقى التفتح زمانا طويلا لفتحها في
ورق الثين أو ورق الجوز وتركتها تحت الأرض أو وسط الطين تبقى مدة طويلة ، والله أعلم .
(تنوب) شجرة عظيمة جاء منابتها جبال ذروة الروم يوجد منها أجود القطران . قال
ابن سينا : ورقها بوضع على الجراحات الطرية يمنع فسادها ، وخشبها بالخل نافع لوجع

الأسنان ، ويقال لحبه قضم قريش وهو يهين على التعب من الصداع ، وصمغه عظيم النفع للسعال المزمن ، والزفت البرى سيال شجرته يقلع بياض الأظفار وينفع من شقاق القدم طلاء وينبت الشعر في داء الثعلب ضامدا ، ودخان الزفت يحبس أهداب العين وينبت الأشفار ويقوى البصر كل ذلك عن ابن سينا ، والله الموفق :

(توت) شجرة من أعز الشجر لأن دود القز لا يأكل إلا من شجره وورقه . قال صاحب الفلاحة: إذا زرعت تحت شجرة التوت العنصل يقوى ويكثر نماؤه ، وقال ابن سينا: يطبخ ورق التوت الحلو وورق الكرم وورق التين الأسود بماء المطر لتسويد الشعر ، وقال غيره: ورق التوت الحامض ينفع لوجع السن والتوت الأسود بوضع على لسع العقرب يسكن وجعه في الحال ، وقشر التوت يؤكل مع الترنجيبين ينقى البطن والبدن عن حب القرع .

(تين) قال صاحب الفلاحة : إذا أردت غرسه فاجعله في ماء الملح يوما ثم اجعله تحت خشي البقر ثم اغرسه فإن طعم ثمرته يطيب جدا ، وإذا سقيتها بماء الزيتون لا يسقط من ثمرتها شيء ، وإذا غسلت ورق التين بالماء الحار هلك جميعا . قال ابن سينا: خشبها ينفع من لسع الرتيلا سقيا ومسحا ودخانا ، وخشبها إذا أصاب الأذرة لا يملك صاحبها نفسه من وجع المثانة والحصى ولبن عيدانها إن قطر على موضع اللسعة لم يسر سمها في الجسد ، وقضبائها تهرى اللحم إذا طبخ معها ، وعصارتها قبل أن تورق تنفع إذا جعلت على السن المتآكلة . قال صاحب الفلاحة : إذا نثرت رماد خشب التين في البساتين هلك ديدانها . قال ابن سينا: يجعل ورق شجر التين طريا مع الفج من ثمرتها على عضه الكلب فإنه ينفع ، وعصارة ورقها تفلح آثار الوشم ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : هذه الثمرة أقسم الله تعالى بها لأنها تشبه ثمار الجنة لكونها على قدر اللقمة وخلوها عن العجم والنوى ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحضر عنده التين « لو قلت ثمرة أنزلت من الجنة لقلت هذه كلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس » قال ابن سينا : الفج منه يضمد به الخيلان والنائليل والبهق يقلعها ، والمداومة على أكله تصلح اللون الفاسد ، وهو يسمن سمنا سريع التحلل ويعمل جدا ، وينفع أكله رطبا ويابساً من الصرع ، ويطلى بلبنه الدماميل ينضجها ويقطر على النائليل يقلعها وعلى الجراحة التي عليها لحم فاسد ينقيها ، ولبن التين مع العسل ينفع من الغشاوة ويقطع شهوة الطعام وينفع من لدغ العقرب . قال محمد بن زكريا: دخان التين يهرب منه البق والجرجس . (جميز) شجرة عظيمة شبيهة شجرة التين وورقها كورق التوت ، تثمر في السنة ثلاث مرات أو أربع ، ولا يخرج ثمرها من فروع الأغصان كسائر الأشجار بل يخرج من ساقها وورقها يقلع آثار الوشم إذا طلى بعصارته مرارا وتضمده به الخنازير يجلها ، وثمرتها تلتصق الجواحات وتحلل الأورام وتنفع من النهوش أكلا وطلاء .

(جوز) من الأشجار التي لا تنبت إلا بالبلاد الباردة . قال صاحب الفلاحة : إذا أردت أن يفتت قشر الجوز باليد فخذ جوزة واركها في بول صبي غير مدرك خمسة أيام ثم ازرعها وانثر عليها الرماد ، وإن شئت خذ جوزة وقشرها بحيث لا يصبب اللب خدش ثم ضعها في كاغد أو خرقة أو ورق من كرم أو دلب ثم ازرعها وانثر عليها الرماد فإنها تثمر جوزا قشرها كالكاغد ، وال : إذا وصلت الجوز بشيء من الأشجار لا يعلق إلا بالنسوق فإنها تعلق بها وتكون لها ثمرة عجيبة ، وقال ابن سينا : الجوز الرطب ضهاد لأنار الضربة يزيلها ولبه مصدع يثقل اللسان والإكثار منه يسهل الديدان وحب القرع ، وإذا فتت الجوزة وألقيتها في القدر التي ينبت منها الدخان التقطت التين منها ، ولو أقيت تلك الجوزة في الزيت لم يتغير ولو بقي سنة ، وإذا أحرق قشرها يجنم القروح تجفيفا جدا لالذع فيه ، والجوز المحرق بقشره يسود الشعر .

(خسردار) شجرة عظيمة جدا خشبها خولنجان . قال ابن سينا : ينفع من القوانج ويريد في الباه ويطيب النكهة .

(خروج) إذا جف حبه في أكمامه تصدعت عنه وتحذف به الصن فرما رقت على أكثر من قاب رمح ، حبا ينفع من القولنج والفالج والقوة وقدر ما يؤكل منه عشر حبات مقشورة . وذكر بليناس في كتاب الخواص : أن دهن الخروج إذا مسحت به رأس الديك لا يصبح البتة .

(خلاف) شجرة الصنصاف خشبها خفيف جدا يتخذ منه الصوانح ، ورقها على شكل الخنجر يقوى الدماغ ويرطبه ويجعل في فراش من ضربه السعوم ينفعه . قال ابن سينا : إذا ضمد به رطبا منع نزف الدم ، ورماد ورقه مع الخل يقلع الثآليل والتملة ، وفقأها طيب الرئحة جدا ويقوى الدماغ وماؤه يسكن الصداع .

(خوخ) قال صاحب الفلاحة : إذا أردت أن يحمر الخوخ غاية الحمرة فخذ النواذ التي تنشق بنفسها واجعل في شقها شيئا من الزنجفر وضع اللحم فيها ولا تنقها عن اللحم وارك لحمها عليها فإنها تثمر خووخا شديدا الحمرة ، وإذا نقشت في باطن النواة نفضا بأسكين أو كتابة يكون ذلك في جميع أفراد ثمرتها ، وإذا أخذت النوى وأخرجت ما في جوفه من الأصل الذي يشرب به بحيث لا ينسد شيء من عيونته وغرته فإذا أدرك لا يكون لثمره تلك الشجرة نوى دون عظم وورق الخوخ يقطع رائحة الثوم ، وإذا طلى به السرة قتل ديدان البطن .

(دار سيشعان) شجرة كبيرة ذات شوك كثير . قال : إذا رميت في الماء الذي فيه التماسيح تجتمع عليها التماسيح . قال ابن سينا : هو جيد لتنن الأنف . إذا أخذ فتيلة وتمضمض بطبيخه جنظ الأسنان ، وإذا احتمل بخرج الحنين .

(دردار) شجرة البق وهي شجرة كبيرة عالية يخرج منها أقعاق متفتحة كل لمرانات ثم يتفقا فيخرج من كل واحدة من البق ماشاء الله ، ولقد كسرت قعا من أقعاعه على الشجرة فكان يجوفا فإذا شحم وعلى شحمها شبه بزر الرمان ما لا يبعد ولا يحصى ، فنها ما خلق الله تعالى فيه الروح يتحرك ومنها لم يخلق بعد ، ومنها ما نبت له جناحان ، ورقها يؤكل كالبقول ، وطريها يلصق الجراحات ويقوى العظام الواهية المكسورة فيصلحها إذا ضمدت به . قال ابن سينا : ورقها يظلى به العظام المكسورة يصلحها ، وأقعاعها تجلو الوجه طلاء ، وقشرها رطبا بالخل يجلو البرص ويصالح الجراحات .

(دب) من أعظم الأشجار وأعلاها وأبقاها فإذا طالت مدتها تفتت جوفها ويبقى ساقها بجوفا ، ورقها تهرب منه الخنافس وبعض الطيور يجعلها في أوكارها لدفع الخنافس فلعلها تهرب منه ، فإذا غسل وطبخ وضمده به حيس الأوزل عن العين ، وقشرها مطبوخا بالخل ينفع من حرق النار ووجع الأسنان وثمرتها يقال لها حوزالسر ، ومع الشحم ضمادا جيد لنهش الحوام والله الموفق للصواب .

(دهمشت) هو شجر القار شجر حار ، ورقه كورق الآس إلا أنه أكبر في ثمرته حمرة وينبت في مواضع جبلية ولها حب على شكل البندق الصغار عليها قشور سود : قال صاحب الفلاحة : إذا طرحت في الأرض غصنا من أغصان دهمشت أصابته كل آفة تتوجه نحو تلك الأرض ويسلم ماسواه من الآفات ، وورقه ينفع من الفالج والقوة والقولنج ، وإذا نثر ورقه على الشعر وخلطته به يبقى زمانا طويلا لا يفسد ، وإذا طحن ومرخ به البدن لا يقربه الذباب ، الطرى منه ضمادا جيد للسم النحل والزنابير وهو ترياق للسموم كلها ، دهنه يحلل الصداع والطنين .

(رمان) من الأشجار التي لا تقوى إلا في البلاد الحارة . قال صاحب الفلاحة : إذا غرست حول الرمان الآس يكثر ثمرتها ، وإذا دفنت نوى التمر مع الملح تحت شجر الرمان يفسد ، وإذا أردت أن لا يكون في الرمان عجم شق عن أسافل قضبانه عند الغرس ونق أجوافها عن نخها واضمم بعضها إلى بعض واربطها بشيء من الحشيش واغرسها فإنها إذا نبتت لا يكون فيها شيء من العجم ، وإن أردت أن يحمر لونها فاخلط رماد الحمام بالماء وصبه في أصل شجرتها فإنه تشتد حمرة حبيها ، وإن أردت أن يحلو الرمان الحامض فنجح التراب عن أصل شجرتها واطل عروقها بجعور الخنازير وانضحها بأبوال الناس ثم أعد التراب عليها كما كانت . وقال أيضا : تأخذ الرمانة من شجرة وتعد حبتها فتكون جميع حبات رمان تلك الشجرة بذلك العدد : وقال : كذلك تعد شرفات قع الرمانة فإن كان زوجها فعدد حباتها فرد ، خشبها يهرب منه أكثر الحشرات ولذلك يأخذها بعض الطيور ويتركه في عشه حتى

لا يقرب عشه الهوام . وقال ابن سينا : قضبان الرمان عجيبة لطرد الهوام وكذلك دخان خشبه . وقال محمد بن زكريا : دخان خشب الرمان يطرد الحيات وأكبر الهوام . وقال غيره : من ضرب بخشب الرمان وأصابه من الضرب جراحة لا يصح إلا إذا وضع عليه لحم الفرس الأشهب ، زهرها يقال له الجلنار قد يكون أحمر وقد يكون أبيض .

قال ابن سينا : إنه جيد للثة الدامية ويقوى الأسنان المتحركة ومانع لنفث الدم ثمرتها عن ابن عباس رضى الله عنهما : مانفجت رمانة قط إلا بقطرة من ماء الجنة ، وعن علي رضى الله تعالى عنه إذا أكلتم الرمانة فكلوها بشحمها فإنه دباغ للمعدة ، وها من حبة منها تقوم في جوف رجل إلا أنارت قلبه وأخرست شيطان الوسوسة أربعين يوما .

وقال صاحب الفلاحة : من أراد أن يبقى الرمان غضاطريا فيلقطه بيده من شجره من غير أن يصيبه جراحة ويغمس طرفه في زيت مسخن ويعلمقه في بيت بارد فإنه يبقى زمانا طويلا غضا طريا ، ولو تركها على شجرتها ولف عليها شيئا من الأوراق ثم حصنها بحيث لا يدخلها الهوام يبقى زمانا طويلا ، قشرها يهرب منه الهوام كما يهرب من خشبها ولا يترك قشر الرمان في سائر الفلاة لثلاث يتولد الحيوان في الطعام :

(زيتون) شجرة مباركة كثيرة النفع أقسم الله تعالى بها في القرآن العزيز لعموم نفعها ، وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن آدم عليه الصلاة والسلام وجد ضربانا في جسمه فاشتكى إلى الله تعالى فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بشجرة الزيتون وأمره أن يفرسها يأخذ ثمرتها فيعصرها ، وقال له : إن في دهنها شفاء من كل داء إلا السام : ومن عجيب خواص هذه الشجرة أنها تصبر عن الماء طويلا ولا دخان لخشبها ولا لدهنها . قال صاحب الفلاحة : ينبغي أن يكثر تحت شجرة الزيتون من المدرقان القبار إذا سطع على الزيتون زاده دتبا ونضجا ، وإذا أخذت أو تادا من شجر البلوط ودققتها في الأرض حول شجرة الزيتون فإنها تقوى ويكثر ثمرها ، قال بليناس : إذا علق شيء من عروق شجر الزيتون على من لسعته العقرب برأ من وقته ، وورقها الأخضر إذا طبخته بالماء ورششت به البيت هرب منه الذباب ، ورماد ورق الزيتون يقوم مقام التوتيا ، وإذا طبخ ورق الزيتون بالخل نفع من وجع الأسنان ، وإذا طبخ بماء العسل حتى يصير كالعسل وجعل على الأسنان المتأكلة قلعها ، صمغها ينفع من البواسير إذا نقع في الماء وبل به الحبز وترك للفأرة فإذا أكلته ماتت ، وصمغ الزيتون البرى ينفع من الجرب والقوباء ولو جمع الأسنان المتأكلة إذا خشيت به وهو يعد من الأدوية القتالة كل ذلك عن ابن سينا . ثمرتها ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « عليكم بالزيت فإنه يكشف المرة ويذهب البلغم ويشد العصب ويذهب بالإعياء ويحسن الحلق ويطيب النفس ويذهب الهم » وزيت الزيتون البرى ينفع من الصداع والالته

الدائمة تمضمضه وبشد الأسنان المتحركة، نواها يبخر به لوجع الضرس وأمراض الرثة .
 (سرو) شجر حشن الهيئة قويم الساق يضرب به المثل في استقامته وقده وهو في الصيف
 والشتاء أخضر ، يدخن بأغصانه يطرد البق ويؤخذ من نشارته بنادق أو تطرح في الطحين
 الدرماك يبقى زمانا طويلا لا يفسد ، ورقه يشرب من السذاب ينفع من عسر البول وإذا دق
 ورقه رطبا وجعل على جراحة الحمها، ورمادها ينفع من حرق النار ذورا وكذلك سائر القروح
 الرطبة ، وجوزه يطرد البق إذا دخن به ، وطبيخه بالخل يسكن وجع الأسنان ، والله الموفق .
 (سفرجل) رماد خشبها يفعل فعل التوتيا وورقها يفعل فعل خشبها. زهرها عجيب الأثر
 في تقوية الدماغ والقلب ثمرتها كثيرة الفوائد. وروى يحيى بن طلحة بن عبد الله عن أبيه قال «دخلت
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده سفرجلة فألقاها إلى وقال: دونكها يا أبا محمد فإنها
 تجمد الفؤاد» أى تقويه . وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كسر سفرجلة وناول منها جعفر
 ابن أبي طالب رضى الله عنه وقال له كل فإنه يصنع اللون ويحسن الولد » ومن عجيب شأن
 السفرجل أنه إن قطع بالسكين ذهبت مائته ويبقى أبيض ما يكون وإن كسر كان الأمر
 بخلاف ذلك. قال ابن سينا: السفرجل يسكن العطش ويقوى المعدة، وقال غيره: إذا داومت
 المرأة الحامل على أكل السفرجل سيما في الشهر الثالث كان ولدها حسن الصورة، وإذا انعقد
 اللبن في ثدى المرأة يطبخ السفرجل بالعلس ويوضع على ثديها يسكن ألمها ويزيل ورمها .
 وإذا وضعت السفرجل في موضع فيه العنب يفسد العنب . قال صاحب الفلاحة : إذا
 أردت أن يبقى السفرجل زمانا طويلا فضعه على نشارة الخشب أو التبن ولا تدع السفرجل
 في بيت فيه شيء من الثمار فإنه يفسد كلها ويهلك ماسواه .

(سماق) شجرة جبلية. وقال ابن سينا: ثمرتها تقوى المعدة وتجلب الصفراء من الأجساد.
 ويضمدها الضربة فيمنع الورم والخضرة وينفع من الداحس ويحققن به للبواسير، صمغها إذا
 وضع على الأضراس يسكن وجعها .

(سندروس) شجرة مشهورة بأرض الروم يتخذ من خشبها دهن هو دهن الصواني
 يدهن به الأخشاب ، وخاصة هذا الدهن حبس الدم والمصارعون يستعملونه فيخفوا ولا
 يبهروا ويقووا على الصراع ، صمغه يشبه بالكهربا في جذب التين إلا أنه أميل إلى الحمرة
 والكهربا أصفى لونا منه ، ودهن السندروس يخفف البواسير إذا دهن به ، ودخان يمنع
 النوازل وينفع من البواسير ومنفعته في تسكين وجع الأسنان كثرة ويصلح للباه من الحلقان:
 (شباب) شجرة يشبه ورقها السمك الصغار ويكون في طول أصبع ثمرتها مثل البنادق
 الكبار في كل ثمرة ثلاث حبات سود يقال لحبها ماهودانه ويقال لها أيضا حب الملوك :

قال ابن سينا: نافع لإسهاله من أوجاع المفاصل والنقرس وعرق النسا والاستسقاء ورقها يطبخ بالديك الهرم وينفع من القولنج كل ذلك عن ابن سينا .

(شاهبلوط) شجرة توجد بأرض الشام وبأرض إيران أيضاً ثمرتها أعذب من البلوط وشكلها كنصف جوزة يقال طعمها كطعم البندق الرطب . قال ابن سينا: إنه جيد للسموم وينفع نزف الدم .

(صندل) شجرة هندية معروفة ، وهو نوعان أحمر وأبيض ، أما الأحمر فخشبها صلب يطلى به الحمرة وينفع من الصداع أيضاً طلاء ، وأما الأبيض فخشبها رخو ورأحتها طيبة . قال ابن سينا: ينفع من الصداع والخفقان العارض في الحميات شرباً وطلاء .

(صنوبر) شجرة مشهورة أكثرها بأرض الروم خشبها دهن جيد حتى يشتعل رطبها كالشمع والقطران يؤخذ منه وذلك بأن يقشر ثم يعرض على النار فيسبل منه نداوة وهي القطران ؛ قال ابن سينا: التبخر بخشب الصنوبر واقتراش رماده يطرد الهوام خصوصاً مع القنة ، وإذا جعل حول المجلس مندل من رماد خشب الصنوبر تؤمن غائلة الهوام ، ويبخر بنشارته لطرد الهوام والبق والبعوض ، ولو أضفت إليه الفلنقديس والشونيز كان أجود ، بخارها نافع لحرق الماء الحار ، ولخاؤها بالخل يتمضمض به لوجع الأسنان ، وورقها يلصق الجراحات ، وجوزها ضماد للفتق وجبها هو الجوز ينفع من الأوجاع العصبية والاسترخاء ويهيج الباه ، وينفع من لدغ العقرب خصوصاً مع النين والجوز والتمر ، وينفع من السعال المزمن العتيق ، وهذا عجيب جداً لأن فيه حرارة وحدة لكن هذا كله ذكره ابن سينا .

(ضرو) شجرة عظيمة كشجرة البلوط تنبت بجبال اليمن تثمر عناقيد كعناقيد البطم ورقها يضرب إلى الحمرة يطبخ حتى ينضج ويصفى ويرد على النار ويرفع فيكون دواء عجيباً من السعال وأوجاع الفم وخشونة الصدر يزيها عن المسكان ، وصمغها يجلب إلى مكة وهو كاللادن في القوة طيب الرائحة يدخل في الطيب للنساء .

(طرفا) شجرة مشهورة قطبانها تنقع في الخل تكون نافعة لوجع الطحال . قال ابن سينا: يطبخ ورقها بالسذاب يكون نافعاً لوجع الأسنان مضمضة ويستعمل نظولاً على القمل فيقتله ، وقال غيره: ورقها ضماد للأورام الرخوة ، ودخانها يخفف القروح الرطبة والجدري ، ورماده يذر على حرق النار والقروح الرطبة ، وثمرتها تنفع من أمراض العين ونهش الرتيلا ، والله الموفق .

(عرعر) شجرة كبيرة يشبه ورقها ورق السرو وقالوا هو السرو الجبلي . قال ابن سينا: للتدخين بأى شيء كان من أجزائه يطرد الهوام ثمرة تشبه الزعرور إلا أنه شديد السواد حاد الرائحة طيبها يقال له الأبهل ، وإذا أغلى بالشيرج في مغرفة من حديد حتى يسود الجوز

وقطر في الأذن نفع من الصمم جدا ، وإذا شرب الأهل أسقط الجنين ، وإذا تدخن به أو احتمل يفعل ذلك أيضا .

(عشر) شجرة غريبة كانت العرب في الجاهلية إذا أراد أحدهم أن يسافر عن حليلته عمد إلى هذه الشجرة وشد غصنا منها إلى الآخر وتركهما ، فإذا عاد من سفره ذهب إليهما فإن وجدتهما بحالهما مشدودين استدل بهما على أن حليلته ماخانتة في غيبته ، وإن وجدتهما محلولين استدل بهما على خيانتها قالوا : إنها سم قاتل وإن منها نوعا يقتل بالخواوس في ظله ، خشبها ينفع من القوبا والسعفة .

(عقص) شجرة جبلية . قالوا : إن شجرة البلوط تثمر سنة باوطا وسنة عفصا ، ونقل الجاحظ عن الفضل بن إسماعيل أنه قال : رأيت العفص والبواط على غصن واحد ، فإن كان صحيحا فإنها في الأشجار كالأرانب في الحيوان فإن الأرنب سنة ذكرا وسنة أنثى والتي عليها البلوط والعفص كالخثي . قال ابن سينا : ثمرتها يطلى بها القوباء يزيلها ويمنع الرطوبات الزائدة الفاسدة عن اللثة وتنفع من تأكل الأسنان ، وقال غيره : ينثر على القروح الرطبة ينفعها وماؤها يسود الشعر .

(عناب) هي الشجرة المشهورة ورقها ينفع من وجع العين ضمادا إذا كان من الحرارة وثمرتها تسكن الدم وتنشفه فيما زعموا حتى إن مسها أيضا يفعل ذلك ، إذا أرادوا حملها من بلد إلى بلد كل يوم تحمل على دابة أخرى لثلاثين يوما دمها : قال جالينوس : إنه لا ينشف الدم لكنه يغلظه وهو طلاء جيد لتصفية اللون .

(غبيرا) شجرة مشهورة أصبر خشب يكون على الماء يبقى في الماء زمانا طويلا لا يتعفن منه شيء ، زهرتها إذا شممت المرأة رائحتها هاجت بها شهوة الوقاع حتى ترمى الحيا والصيانة وراء ظهرها . قال ابن سينا : النقع من ثمرتها يبطل السكر ويجبس القيء وينفع من إكثار البول .

(غرب) شجرة كبيرة . قال ابن سينا : خشبها يحرق ويعجن بالخل يخفف الثآليل ، شجرها يدخل في خضاب الشعر يفيد فائدة جيدة ، وورقها يجعل على الجراحات الطرية مسحوقا ينفعها ، وقال غيره : ينفع شربا من تشبث العلق بالخلق ، وإذا شرب زهرها ينفع من ظلمة العين ، وصمغها ينفع من ظلمة البصر أكلا .

(فارانيا) هي شجرة عود الصليب منه رومي ومنه هندي . قال ابن سينا : خشبها يجلو الآثار السود من البشرة وينفع من الثقرس والصرع تعلقا وقد جرب تجليقه فوجد مانعا من الصرع فحيث كانت إبانته يعود معها الصرع ، ثمرتها تنفع الجانين والمصروعين إذا دخن بها ، وتنفع الكابوس إذا شرب خمس عشر حبة منها بالشراب .

(فستق) هي شجرة مشهورة زعموا أن الفستق تركيب الحبة الخضراء على اللوز ، خشبها يشعل في النار وإن كان نديا لفرط دهنيته بخلاف غيره من الأخشاب ، ثمرتها تنفع من نهش الحوام ، ويزيد في الباه وينفع من السعال البلغمي ، ودهنها يزيل الزرقة من العين إذ داوم على اكتحاله كل ذلك عن ابن سينا .

(فلفل) شجرة تنبت بالهند بناحية منها تسمى مليار ، وهي شجرة عالية لا يزال الماء تحتها فإذا هبت الرياح تساقطت على وجه الماء فيجمع منه وكذلك فسخه ، وهي شجرة حرة لا ملك لأحد فيها وحملها عليها شتاء وصيفا ، وهو عنقايد فإذا حيت الشمس عليها انطبقت على كل عنقود منها أوراق حتى لا تحترق بالشمس فإذا زالت الشمس عنها زالت الأوراق عن العناقيد لتنال النسيم . وذكر من رآها أن شجرتها مثل شجرة الرمان وبين الورقتين شمر اخان منظومان بالفلفل وشمراخه في طول الأصبع . قال جالينوس : أول ما تطلع ثمرتها تكون دار فلفل ثم يفصل عن حب يكون هو الفاضل أما الدار فلفل فينفع من نهش الحوام أكلا وطلاء بالدهن ، ويزيد في الباه وينفع من الغثى مع كبد المعز مشويا ، وأما الفلفل فقد قال ابن سينا : هو بالنظرون طلاء للبهق وبالزفت طلاء للخنازير يحللها ، وهو يخفف المنى وينبذه ويدبر البول وينفع من ظلمة البصر ، وإن احتملته المرأة بعد الجماع منع الحمل .

(فندق) هي شجرة معروفة : ذكر أنه إذا خط بخشب الفندق دائرة حول العقرب لا يقدر على الخروج منها . قال بقراط : ثمرتها تزيد في الدماغ . قال ابن سينا : زعم قوم أن الفندق يطلى به يافوخ الصبي الأزرق العين يذهب زرقته ، وقال : إنه ينفع من النهوش سيما مع السذاب والتين ، وقال غيره : من استصحب فندقة يأمن من لدغ العقرب ، ويشوى ويسحق ويطلّى به داء الثعلب ينبت الشعر ، وإذا أكل مدقوقا محلولا بالعسل يذهب السعال العتيق ، والتنقل به يبطن السكر والمداومة على أكله يشحذ الخاطر ، وقشره يحرق ويسحق . ويجعل في الزيت زريل زرقة عيون الأطفال اكتحالا ويسودها .

(فليز هرج) هي شجرة الخضض لها ثمرة كالفلفل يتخذ منه الخضض ، قال ابن سينا : خشبها يقوى الشعر طلاء ، وتطبخ فروعها بالخل ويشرب للطحال ، ثمرتها تطبخ ويؤخذ منها الخضض ينفع من الكلف طلاء ويبرىء قروح اللثة وينفع من الرمذ ويزيل غشاوة العين وينفع من جرب العين والبواسير ، والهندي يسقي لعضة الكلب الكلب كل ذلك عن الشيخ الرئيس .

(قرنفل) شجرة تنبت في بعض جزائر الهند ثمرتها كالياسمين إلا أنها أشد سوادا ، وذكروا أن أهل تلك الجزيرة لا يخرجونها إلا مطبوخة لثلاث تنبت في غيرها من البلاد ، قال ابن سينا : ثمرتها تطيب النسكحة وتحذ البصر وتنفع من الغشاوة ، وقال غيره : ينفع من الغثيان

وراحتها تقوى الدماغ البارد الذى غلبت عليه السوداء وتقوى القلب وتفرحه :

(قصب) معروف وأنواعه كثيرة ، وأنفعها قصب السكر وأحسنها ما يوجد بأرض مصر ، ينفع من السعال ووجع الصدر ويدبر البول ويجلو الصدر من الرطوبات ، ومنها القصب البنطى . ومن عجيب خواصه ما ذكر أنه إن ضربت حية بقصبته ضربة واحدة لم تستطع أن تريم أو تنقلب وتبقى في مكانها حتى تتلف وإن ثبت الضرب أو أكثرت ذهبت وسلمت ورقها وأصلها مع البصل يجلب السلى ويدبر الطمث والبول ، وإذا دقت القصب الرطب وجعلته في الطيبخ الذى أكثرت ملحه تزول ملوحته وأصل القصب فيه قوة جاذبة إذا دق وضمده به العضو الذى فيه الحديد يجذبه ، ومنها قصب الذريرة يجلب من نهاوند . ذكر أن مالا يعبر على ثنية الركاب لا يفيد فائدة قصب الذريرة بل يكون كسائر القصب ، وما عبر به على ثنية الركاب وهى ثنية بناوند فهو مفيد . قال ابن سينا ، ينفع من كودة الدم الميت ويجلو البصر ويبخر به في الحلق ينفع السعال ، ومع العسل وبزر السكرفس ينفع من الاستسقاء ، ومنها قصب القنا ينبت بأرض الهند يتخذ منه الرماح : قالوا : لأنها تحترق لاحتكاك أطرافها عند عصوف الرياح ورمادها الطباشير ، وهو ينفع للخفقان وأورام العين الحارة ، ويقوى القلب وينفع من الحميات :

(كافور) شجرة كبيرة هندية يألفها النسر تظل خلقا كثيرا لا يصل إليها الناس إلا في وقت من السنة معلوم ، وهى سفحية بحرية خشبها أبيض هش خفيف صمغها كافور ويسيل من أسفل الشجرة . قال محمد بن زكريا : الكافور صمغ هذه الشجرة إلا أنه في داخلها ينقب أعلى الشجرة فيسيل منه الكافور عند الحرارة وينقب أسفل من ذلك فيخرج منها قطع الكافور . قال ابن سينا : استعمال الكافور يسرع الشيب وينفع من الصداع الحار ويسهر ويقوى الحواس ويقطع الباه .

(كرم) أكثر الأشجار وجودا ونفعا . قال صاحب الفلاحة : من عجائبها أنك إذا أخذت وديها الذى فيه قوة الثمرة وغرسها يأتى في السنة الأولى بالعناقيد الكبيرة ، وإذا أردت أن يكون الكرم كثيرا النفع قوى الأصل سريع الثمار فخذ غرسها من قضبان شجرة قريبة العهد واغرسه في النصف الأول من الشهر ولطح رأس القضيبي بخنى البقر وبدد في المغرس شيئا من البلوط والناخواه ليقوى أصله وشيئا من الباقلا لينمو سريعا فإذا أتى بهذه الشرائط تكون شجرتها عجيبة جدا مخالفة لسائر الكروم ، وإذا أخذت وزنا من العنب الأسود وآخر من الأبيض وثالثا من الأحمر وشققها بحيث لا يقع منها قشرها وتناصق بعضها ببعض وتغرسها ثمر العنب الأسود والأبيض والأحمر ترى هذه الألوان الثلاثة على شجرة واحدة ، وإذا أردت أن تسود العنب الأبيض فاحفر ما حول السكرمة واقاب فيها شيئا من

النفط الأسود فإن عنها يسود ، وإذا أردت أن لا يقع في السكرم دود فاقطع طاقتها بمنجل ملطخ بدم الضفدع أو دم الذئب ، وإن أردت أن تسلم من البرد فدخن السكرم بالزبل بحيث يصل الدخان إليها جميعا ثم انثر عليها ثمر الطرفاء فإنها تسلم من آفة البرد بإذن الله تعالى ، ودمعة السكرم التي تتقاطر من قضبانها بعد ما قطعت تجمع ويستقى منها الإنسان المشغوف بالخمير من غير أن يعلم بعد شرب الشراب فإنه يبغضها وإن كان لا يصبر عنها ساعة واحدة . قال ابن سينا : دمعة السكرم جيدة للجرب والقوباء وورقها يمزج يقوى اللثة المسترخية ويدق ناعما ويضمده به يسكن الصداع الحار . وقال ابن سينا : ورقها وخيوطها ضمادا للصداع الحار ، وأصناف ثمرتها كثيرة وأعجبها عيون البقر كل حبة كجوزة وأصابع العذارى ، فإن حياتها طوال كأصابع العذارى الخضوية فربما يكون العنقود نحو الذراع والدوالي وهو عنب أسود غير حالك وعناقيد عظيمة كأنها رعوس معلقة وحبانه تنكسر بالفم . قال ابن سينا : العنب المقطوف في الوقت يحرك البطن ، وقال غيره : يسمن ويقوى شهوة الجماع ويولد مادة المنى ، تبخيرها ينفع لنهش الهوام والأفاعي ، وهو مع الخل دواء جيد للبواسير والقوبة . وأما الخمر فقد ذكر سبب حدوثها أن جمشيد الملك في بعض متصيدانه رأى في كل شيء من الجبال كرامة عليها عنقايد عنب فتعجب منها وأمر بقطعها . وقال : إنا سمعنا أن الجبال ينبت فيها السموم فلعل هذه منها وأمر بحفظها حتى يجربها فيمن يستحق القتل ، فجعلوها في رحلهم فتسكسرت حياتها فعصروها وجعلوا ماءها في ظرف حتى عاد الملك إلى مستقره فأمر بإحضار رجل يستحق القتل وأحضر العصير وقد احتدت وصارت خمرا فسقى الرجل منها قهرا فشربها بمشقة شديدة فما شكوا في كونها سما فزادوا في سقيه فنام الرجل نومة ثنيلة فلم يشكوا في أنه يجود بنفسه ، فلما انتبه من نومه قال : استقوني مرة أخرى فسقوه مرارا فما كان إلا الخير فشرب غيره وذكر ما فيه من اللذة والطرب وشرب الملك أيضا وأمر بغرس تلك الشجرة في البلاد ليسكثر ثمرها ففعلوا ذلك . وأما الخل فهو نعم الإدام كما قال صلى الله عليه وسلم ، ويصب على نرف الدم فيقطعه ، وينفع من الجرب والقوبى وحرق النار ، ووضعه على الرأس ينفع من الصداع الحار ، والمضمضة به تنفع الأسنان المتحركة وتفتق الشهوة ويحلل الاستسقاء . وأما الزبيب فإن النبي صلى الله عليه وسلم أهدى إليه الزبيب فقال : بسم الله نعم الطعام الزبيب يشد العصب ويذهب الوصب ويطفى الغضب ويرضى الرب ويطيب النكهة ويذهب البلغم ويصفي اللون» وقالت الأطباء : إنه يقوى المعدة ويحبس الطبع بالعجم وبغير العجم يطلق ، والله الموفق .

(كثرى) قال صاحب الفلاحة : إذا أردت أن تنقى الكثرى زمانا طويلا فخذ ظرفا واجعل فيه شبتا من الملح وضع كل واحدة من الكثرى في الظرف على الشجرة فإنها تنقى

زمانا طويلا ولا يفسد زهرها له تأثير عجيب في تقوية الدماغ . ثمرتها قال ابن سينا : تسكن الصفراء لكنه يحدث القولنج . قال صاحب الفلاحة : إذا طليت رأس كل كثرأة بشيء من الزيت وعلقتها فإنها تبقى زمانا طويلا ، وكذلك إذا جعلتها في فخارة بعد ما طليت رأس كل واحدة بشيء من الزيت وجعلت رأسها نحو الأرض على مثال ما تكون على الشجرة :

(لاعية) تعد من السموم تنبت في سفوح الجبال وورقها من اليتوعات ، إذا دق وشرب أسهل إسها لا شديدا نورها طيب الرائحة جداً يرعى النحل منها فعسلها يكون مضرا جدا ، وإذا أقيت شيئا منها في غدير يطفو سمكه على وجه الماء .

(لبان) شجرة ذات شوكة لا ينمو أكثر من ذراعين ، وهي شجرة تنبت في الجبال بشجر عمان ورقها كورق الآس صمغها هو الكندر يعقر مواضع منها بالفئوس فيسيل منها الكندر ، ويقال له أيضا اللبان من أدام مضغه ذكا قلبه وأعانه على حفظ الأشياء التي نسيها ، وهو يدمل الجراحات الطرية ويمنع الخبيثة من الانتشار ، ويجعل على القوباء بشحم البط يزيلها ، ويقوى الذهن ويقطع الرعاف .

(لوز) قال صاحب الفلاحة : يجمل اللوز في العسل ثم يزرع لتكون ثمرة طيبة جدا ، وإذا أردت أن ينفرك تجعل له في قرطاس أو ورقة كما ذكرنا في الجوز ، وإذا أردت أن لا يتساقط منها شيء فاجعل في وسطه فروعها رأس حمار معلقة . أما الحلو فينتفع من السعال وينقى الصدر سيما مع التين ويسمن وينفع من عضه الكلب الكلب . قال ابن سينا : إنه يسمن ويقوى البصر وينفع من القولنج والمر منه إذا طبخ وجعل على الكلف كان دواء نافعا ويفتح القولنج ، وإذا اختلط اللوز المر بالعسل وأكل نفع من التولنج ، ومن أراد أن لا يشمل فليأكل سبع لوزات مرة على الريق وخمسة قبل الشرب فإن قوة الشراب لا يعمل فيه لخاصية ، وينفع من الجرب :

(ليمون) إنه من أشجار بلاد الحر وخواص شجر الليمون وثمرتها تشبه بالأترج وقد مرت فلا نعيدها هنا ، ولماء الليمون خاصية عجيبة في دفع سم الحيات والأفاعي . ومن عجيب حكاياتها ما ذكره أبو جعفر بن عبد الله الضبي من ثقات البصرة قال : كانت لي ضيعة على نهر الدير وكنت متوطنا بها وبجنب دارى بستان ظهرت فيه أفعى كأنها جراب طولها وسعة وانتفاخا وكثرت جناياتها فطلبت حاويا يصيدها فجاء رجل وبخر بدخنة فخرجت عليه فلما رآها هاله أمرها فنهشته فتلغ في الحال فانتشر خبرها وامتنع الحاوون عنها ، وترك البستان والدار حتى جاءني رجل يوما قال : بلغني أمر الحية التي عندكم جئت لتدليني عليها . قلت : إنها عن قريب قتلت حاويا ما أحب تعرضك لها ، فقال : إنه كان أنخي وجئت لأخذ بثأره فأريته البستان فأخرج دهنا فطلى به جميع بدنه وجلست أنا فوق السطح أنظر فأخرج دخانها وبخرها فما كان بأسرع من أن ظهرت كأنها دب فحين قربت من الحاوى دهما فهربت منه فتبعها ولحقها

فتقبضها فالتفت عليه وعضت يده وقلنت فحملنا الرجل فمات في ليلته وأنا على هذا مدة ، فإذا في بعض الأيام جاءني رجل وسألني ماسألني السائل قبله وكان شبيها بصورته ففنته . قال : الرجلان كانا إخواني ولا بد إما الأخذ بثأرها أو اللحق بهما ، فعينت له البستان وصعدت السطح فأخرج الدهن وطلت به بدنه حتى صار الدهن يتقاطر منه ثم نخر فخرجت الأفعى فطلبها الحواء فأخذت تحاربه فتمكنت يد الحواء من قفاها فانقلبت عليه وعضت إبهامه فبادر الحواء ووخزم فاهها وجعلها في سلة ، وأخرج سنكيننا كان معه وقطع إبهام نفسه وأغلى زيتنا وكواها به ، فحملناه إلى الضيعة فرأى ليمونة بيد صبي يلعب بها فقال : أهذا موجود عندهم ؟ قالت : نعم ، فقال : أغضني بما تقدر عليه منه فإن هذا في بلدنا يقوم مقام الترياق . قلت : أين هو بلدكم ؟ قال : عمان ، فأتيته بشيء من الليمون فأخذ يقضمه ويسرع في أكله وعصر ماءه وطلت به موضع السعة حتى جاوز وقت موت إخوانه وأصبح من غد سالما . وقال : ماخلصني الله إلا بالليمون وأظن أن أخوى لو وقع لها لما تنفا ، ثم أخرج الأفعى وقطع رأسها وذنبها وأغلاها في طنجير وأخرج دهنها وجعلها في قارورة وانصرف ، والله الموفق للصواب .

(مشمش) شجرة عجيبة شحم ثمرتها ولها ما كولان طيبان ، بخلاف غيرها من الثمار فإن المأكول إما شحمها أولها . وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن نبيا من الأنبياء بعثه الله تعالى إلى قومه وكان لهم عيد يجتمعون فيه في كل سنة ، فأتى النبي ذلك اليوم ودعاهم إليه الله تعالى ، فقالوا له : ادع الله تعالى أن يخرج لنا من هذا الحشب اليابس ثمرة على لون ثيابنا وكانت ثيابهم صفراء ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فاخضر وأورق وأتى بالمشمش في ساعته فن أكل منه على عزم أن يؤمن خرج نواه حلوا ، ومن أكل على عزم أن يكفر ولا يؤمن خرج نواه مرا » ورقها يزيل الضرس إذا مضغ والضرس كلال الأسنان من أكل الحامض والرطب من المشمش يولد الحميات لسرعة عفونته ، ومضدده إذا نقع بالماء يزيل الحميات . وحكى أن طيبيا مر برجل يغرس شجرة المشمش فقال له : ماذا تصنع ؟ فقال : أعمل لي ولك ، يعنى أنتفع أنا بعلته وأنت بعلته يأكلها الناس فيمرضون ويحتاجون إلى الطيب ؛ دهن نواه ينفع من البواسير ودهن لبه المر له خاصية دهن اللوز المر وقد مر فلا نعيده .

(موز) شجرة تنبت بالجروف وأكثر ما يوجد في الجزائر أوراقها طويلة عريضة تكون ثلاثة أذرع في ذراعين ليست منخرطة كنبات السعفة لكنها تشبه المربعة ويكون ارتفاعها قائمة باسطة ، ولا تزال تنبت فراخها حولها فإذا أدرك موزها تقطع الأم ويؤخذ قنوها وتطلع فراخها التي كانت قد لحقت بها فتصير أما ، ولا تثمر كل أم لإمرة واحدة ثمرتها تشبه بالعنب إلا أنها حلوة دسمة . قال ابن سينا : يدر البول ويزيد في الباه ، والإكثار منه يولد السدد .

(نارنج) قال صاحب كتاب الفلاحة : لو زرع النرجس تحت شجرة النارنج تبدلت حموضته بالحلاوة ، ورقها إذا مضغ طيب النكهة ويقطع رائحة الثوم والبصل ، نورها طيب الرائحة بخلاف نور الأترج ينفع الدماغ ويقوى القلب ثمرتها شبيهة بشمرة الأترج في الخواص وقد مر فلا نعيده ، حبها يطيب النكهة ويجفف ويدخن به لدفع الغل :

(نارجيل) هو الجوز الهندى . زعم أهل الحجاز أن شجرة النارجيل هي المقل لكنها أثمرت نارجيلا لطباع التربة والأهوية على ثمرتها ليف يتخذ منه الحبال يستعمل في سفن البحر لا يتعفن ويصبر على ماء البحر طويلا ، لبنها كالزبد كثير الحلاوة إذا كان رطبا وإن كان يابساً عتيقا ينقى البدن من حب القرع ، وأكله يزيد في مادة المنى سيما مع السكر ويزيد في الباه أيضاً ، ودهنه نافع للبواسير سيما إذا كان عتيقاً .

(نبق) قال صاحب كتاب الفلاحة : إذا نعت نواة النبق في عصارة الورد أياما ثم زرعه شملت منها رائحة الورد من ثمرتها وورقها ، وإذا نعت في عسل ولبن ثم تجفف وتزرع فإن ثمرتها تحلو وتطيب ، ورقها هو الصدر الذى يغسل به الرأس يقوى الشعر ويمنع انتشاره ويطوله ، ثمرها قد يكون حلوا وقد يكون حامضاً ، واليابس منه يمنع النزف والإسهال الكائن من ضعف المعدة إذا قلى ودق مع نواه .

(نخل) شجرة مباركة لا توجد إلا ببلاد الإسلام ، قال صلى الله عليه وسلم « أكرموا عماتكم النخل » وإنما سماها عماتنا لأنها خلقت من فضلة طينة آدم عليه الصلاة والسلام وأنها تشبه الانسان من حيث استقامة قدها وطولها وامتياز ذكرها عن أنثاها واختصاصها باللقاح ولو قطع رأسها هلكت ولطاعها رائحة المنى ولها غلاف كالمشيمة التى يكون الولد فيها ، والجمار الذى على رأسها لو أصابه آفة هلكت النخلة كهيئة مخ الانسان إذا أصابه آفة ، ولو قطع منها غصن لا يرجع بدله كعضو الانسان وعليها ليف كشعر يكون على الإنسان : قال صاحب الفلاحة : إذا لم يثمر شيء من النخل يأخذ رجل فأساً ويقرب منه ويقول لغيره : إني أريد قطع هذه الشجرة لأنها لا تثمر ، فيقول الآخر : لا تفعل فإنها تثمر في هذه السنة ، فيقول الرجل : إنها لا تفعل شيئاً ويضربها ضربتين أو ثلاثاً ، فيمسكه الآخر بيده ويقول : لا تفعل فإنها شجرة حسنة واصبر عايتها هذه السنة فإن لم تثمر فاصنع بها ما شئت . قال : فإذا فعل ذلك فإن الشجرة تثمر ثمراً كثيراً ، وكذلك غير النخل من الأشجار إذا فعل به هذا يثمر : وقال أيضاً : إذا قاربت بين ذكران النخل وإنثاها فإنها يكثر حملها لأنها تستأنس بالمجاورة ، وإذا قطع إلفها من الذكران فلا تحمل شيئاً لفراقها ، وإذا غرست الذكران وسط الإناث فهبت الريح فخالطت الإناث رائحة طلع الذكران حملت من تلك الرائحة كل أنثى حوله ، وإن اتخذت لها منطقة من الأسرب يكثر ثمرتها ولا يسقط منها شيء ، وكذلك

لو اتخذت لها أوتاداً من خشب البلوط ودققتها في الأرض حول خشبها إن أحرق لا يكون له فحم ، وإذا وضع السقف على جذعه ينكسر ، فإن فلقه نصفين وجعلت ظهر أحدهما إلى الآخر يبقى زماناً طويلاً . خواصها إذا مضغ بعد أكل الثوم يقطع رائحته ، وثمرتها حكي أبوهريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «العجوة من الجنة وهي شفاء من السم» والبسر . قال ابن سينا : إنه والبلح جيدان للعمور والبسر مصدع وكثيرا ما يوقع في النافض والتشعريرة . وأما الرطب فقال الربيع بن خيثم ليس للنساء عندي دواء إلا الرطب ، وكانت الأكاسرة زمان الرطب يرفعون عن سناطهم الحلأوى ، وفي زمن الورد يرفعون المشموم ، وفي زمن البطيخ يرفعون الأشنان ، والرطب يابن الطبع ويزيد في المنى ومع الخيار والخس أنفع .

(ورد) قال ابن سينا : هي الشجرة المعروفة إذا أردت أن تخرج أوراقها من أكمامها سريعا فاستمها الماء الحار ، وإذا جعلت وقت غرسها في جوف قضبانها شيئاً من الثوم تزداد رائحتها جداً ، خشبها تهرب منه الحيات ، وإن لسعت حية عند شجرة الورد لا يؤثر سمها شيئاً ، زهرها أحسن الأزهار لونا وشكلا ورائحة . قال ابن سينا ، الورد يصاح رائحة العرق إذا استعمل في الحمام ولذلك تستعمله النساء مخالفة علاجاً لزفر العرق ، وقال قوم : إنه يقطع التأيل ويخرج السلا والشوك مسحوقا ويسكن الصداع رطبا ويضر بالمركوم ، والنوم على المفروش منه يقطع الشهوة ، والجعل يموت من رائحته وكذلك كل حيوان يتولد من العنقوة ، عصارته تنفع من الرمذ وتزيف الدم ، وماء الورد ينفع من الغشي إذا رثر على وجه المغشي عليه ودهنه يدهن به منخر السنور يمرض .

(ياسمين) شجرة معروفة ثمرتها زهرها وهو أصفر وأبيض وأرجواني . قال ابن سينا : رطبه ويابس يذهب الكلف ، وكثرة شمه تورث صفرة الوجه ويصدع ولكنه يحال الصداع البلغمي . وقال غيره : ينفع أصحاب اللقوة والفالج وعرق النساء ، ودهنه ينفع عسر البول تمريناً ، والله الموفق للصواب .

(القسم الثاني من النبات النجوم)

(النجم) كل نبت ليس له ساق صلب مرتفع مثل الزروع والبقول والرياحين والحشائش البرية فنقول : إن الله تعالى أجرى منته كل سنة أنه يحيي الأرض بعد موتها فيجري يابس أنهارها وينشر رفات نباتها فترى الأوراق مخضرة والأنوار والأزهار مصفرة ومحمرة ليستدل بها على إحياء الأموات وإعادة العظام الرفات ، وإلى هذا أشار بقوله تعالى — فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لحكي الموتى وهو على كل شيء قدير — ومن الأمور العجيبة القوة التي خلقها الله تعالى في نفس الحب فإنها إذا وقعت في الأرض

جذبت بواسطة تلك القوة الرطوبية من نفس الأرض مما حولها كما تجذب شعلة النار في السراج تلك الرطوبة فتعمل فيها القوى الطبيعية بإرادة الله تعالى حتى تبلغ كمالها كما أراد الله تعالى . والنجوم في النبات كالحيوانات الصغار في الحيوان والأشجار الكبار كالحيوانات الكبار ، فكما أن شدة البرد لا تبقى من الحيوانات التي لا عظم لها فكذلك لا تبقى من النبات شيئاً إلا ماله خشب صلب : واعلم أن عقول العقلاء متحيرة في أمر الحشائش وعجائبها وأفهام الأذكىاء قاصرة عن ضبط خواصها وفوائدها ، وكيف لامع ما يشاهد من اختلاف صور قضبانها واختلاف أشكالها وألوانها وعجيب ستور أوراقها وأثمارها ، وكل لون منها ينقسم إلى أقسام كالحمرة مثلاً فإنها وردى وأرجوانى وسوسى وشقائق وأذريونى وإلى غير ذلك مع اشتراك كلها في الحمرة ، ثم عجائب روائحها ومخالفة بعضها البعض مع اشتراك الكل في الطيب ، ثم عجائب أشكال جنوبها فإنه لكل واحدة شكل وورق وعرق وزهر ولون وطعم ورائحة وخاصة بل خاصيات لا يعرفها غير الله والتي عرفها الإنسان بالنسبة إلى الملم يعرفه كقطر من البحر . ولندكر شيئاً من خواصها وما ركب الله تعالى فيها من الأدوية مرتبة على حروف المعجم إن شاء الله تعالى :

(آذان الفأر) حشيشة صغيرة الورق دقيقة انضبان تبسط على وجه الأرض منها ماله زهر أسمانجوني ومنها ماله زهر لازوردي ، إذا وضعت على الشوك أو السلا أبرزته وتلصق الجراحات ويسعط بها للقوة وتشرب للصرع .

(آذريون) زهرة في غاية الحمرة وفي وسطه سواد كأنه نصف بلوطة إذا قطعت عرضاً . قال ابن سينا : ينفع من داء الثعلب مسحوقاً بخل ، ورماده ينفع من عرق النسا وينفع من السموم كلها خصوصاً للدماغ . وقال ديسقوريدس : إن احتملت المرأة منه شيئاً ثم يغشاها زوجها حملت وإن احتملتها وهي حامل أسقطت . وقال غيره : إذا دخلت الحبلى بيتاً فيه آذريون أسقطت .

(إذخر) نبت طيب الرائحة ينفع من الحسكة ويقوى المعدة ويدبر البول والحيض ويفنت الحصا ، وينفع من وجع الأسنان إذا كان من برد .

(أرز) ذكروا أن المداومة على أكله تزيد في نضارة الوجه ويخصب البدن ، وأكله يرى أحلاماً طيبة قشره يعد من السموم . قال ابن سينا : من سقى منه اعتراه في الوقت وجع في الفم واللسان فإنه من السموم والله أعلم .

(أسفاناج) ينفع من السعال وخشونة الصدر وأوجاع الظهر ، من الحرارة وكثرة الدم لكنه يسيء المضم ، بزره ينفع من الحمى وأوجاع القلب ، والقدر المأخوذ منه درهم والله الموفق .

(إسقييل) وهو بصل الفأر : قال ابن سينا : إنه يقطع التأليل طلاء وينفع من الصرع والماليخوليا وعرق النسا والقالج ويشد اللثة ويثبت الأسنان المتحركة ويزيل البخر ، وإن علق على صاحب الطحال إحدى وأربعين يوما صلح طحالها ، وينفع الاستسقاء والبرقان وخله يحسن اللون .

(أشتر غار) شوك معروف تأكل الإبل منه أكلا ذريعاً فينفع من حمى الربيع ، وخله جيد للمعدة يفتق الشهوة ويعين على الهضم لكنه يورث الغثيان ويضر بالدماغ ضرراً بينا .
(أشنان) هو الحرص الذي يغسل به : وهو أنواع أظفها الأبيض الذي يسمى حرص العصافير ثم الأخضر ، وكلاهما جلاء منق ، درهم منه يدر البول والحيض وثلاثة دراهم تسقط الأجنة وعشرة دراهم قتالة ، ودخان الأخضر ينفر منه الهوام كلها كل ذلك عن ابن سينا .

(إفستين) حشيشة يشبه ورقها ورق الصعتر . قال ابن سينا : إنه يمنع الثياب من السوس والمداد من التغير والكاغد من الأرضة ، ويحسن اللون ، وينفع من داء الثعلب وداء الحية ، وينفع من الآثار البنفسجية ويزيلها عن الجلد ، وينفع من فساد الهواء :
(أقحوان) قضبان دقيقة عليها زهر أبيض وقد يكون أحمر ينفع من النواصير ، وإذا أديم شمه أحدث السبات ، وهو ودهنه يفتح البواسير وغير البواسير وينفع من القولنج ووجع المثانة .

(أكشوث) حشيشة تلتف على الشجر والشوك لا ورق له مر الطعم جدا فربما تلتف على الشجرة الكرمة فتجعل عناقيدها مرة ، لها نور صغار أبيض إذا شرب بانخل سكن الفواق ، وماؤه عجيب للبرقان ويذر البول والحيض وينفع من الحميات العتيقة والمغص .
(بابونج) شجرة معروفة منها أصفر الزهر ومنها أبيضه . قال ابن سينا : إنها نافعة من الصداع البارد وقد الطمث شربا وجلوسا في مائها وتخرج الجنين والمشيمة ، وتنفع من التولنج الزبلي نعوذ بالله منه ، كل ذلك عن ابن سينا .

(بارد تجويه) يتال لها بالفارسية بادر نكبو . قال ابن سينا : إنه يقتل العقرب ويطيب النكهة ويزيل البخر ، وينفع من الجرب السوداوى ويفرح القلب ويذهب الخلقان ، وينفع من الفواق ، وقال غيره : يصفى الدهن وينفع من العلل البلغمية والسوداوية .

(بادروج) هو الحرك . قيل إن استنشاقه يحدث عطاسا كثيرا والإكثار من أكله يورث ظلمة العين ويولد الدود في البطن ، زعموا أنه إذا مضغ وجعل في الشمس يتولد فيه الدود . قال ابن سينا : عصارتها تنفع الرعاف سيما بخل خمر وكافور ويحدث ظلمة العين أكلا ويقوى البصر جلاء ، وبزره ينفع من عسر البول ، ويوضع على لسع الزنابير والعقارب يبرئه :

(باذنجان) أكله يورث أخلاطا رديئة وخيالات فاسدة : قال معمر بن المنزي : قطعت في ثلاثة مجالس ولم أجد لذلك سببا إلا أني أكثر من أكل الباذنجان في أحدهما ومن الباقلا في الثاني ومن الزيتون في الثالث . قال الحكماء : يشق الباذنجان ويجفف في الظل ثم يسحق بشحم البقر ويظلى به ثدى البنات قبل أن يسكعب فإنه لا يتدلى ويبقى على الصدر . وقال ابن سينا : يولد السدد والسوداء ويفسد اللون ويسود البشرة ويصفر الوجه ويولد الجذام والسرطانات والصداع والسدد والبواسير ، وإن أردت أن يبقى زمانا طويلا فأغمسه في الشحم المذاب وعلقه فإنه يبقى زمانا :

(باقلا) قال صاحب الفلاحة : إذا نعت الباقلا قبل أن تغرسه في ماء نظرون رومي أسرع نباته قبل جميع أنواعه ، ورقه إن أكل عاد صحيحا ، إذا تم القمر بدا زهره ، النظر إليه يورث الهم والحزن . وإذا سحق في هاون رصاص ووضع في الشمس صار خضابا جيدا ، شربه يورث ظلمة العين والأحلام الفاسدة . قال الجاحظ : الإكثار من الباقلا يفسد العقل ويقطع رائحة الثوم وإذا قطع نصفين ووضع على نزف الدم قطعه ، وإذا اعتلفت الدجاجة منه انقطع بيضها ، والباقلا يقشرها تجلو البهق والكلف والتمش طلاء وتحسن اللون ، قشره يضمده به عانة الصبي يمنع نبات الشعر عليه والله أعلم .

(برشاوشان) حشيشة منبتها حياض الماء والشطوط والأنهار لها قضبان حمر تميل إلى السواد بلا ساق ولا زهر ، ورقها يشبه ورق الكرفس : زعموا أن أفراسياب ملك الترك لما قتل سياوش ملك الفرس ظلما نبتت هذه الحشيشة من دمه . ورقها ، قال ابن سينا : ينفع من البواسير ويفتت الحصا ويدر البول والطمث ويخرج المشيمة .

(برنجاسف) نبات له ورق صغار دقاق بيض وصفر يشبه الأفسنتين يظهر في الصيف ينفع من الصداع البارد ضhada ، ومصلوقه ينفع من الزكام ويسقط المشيمة والجنين وينفع من السدد والدوار وإذا نثر على القروح جففها وبفتت حصى الكلى .

(بصل) قال صاحب الفلاحة : إذا أردت زرع البصل فقشر بزره لتكون ثمرة حسنة ، وكلما كان زو في الأرض أكثر كان أقوى ، وايتصد لوقت زرعه غروب الثريا ليسكون طعمه طيبا وكذلك عند حصاده : قالوا : الاكتحال بماء البصل مع العسل مما يحد البصر ويزيل ضعفه . وزعم الجاحظ أن الإكثار منه يفسد العقل : وعن معاوية أنه وفد إليه وفد فقرب إليهم الطعام ثم عاد بالبصل وقال : كلوا من هذا فإن كل من جاء أرضنا وأكل منه لم يضره ماؤها . وأما دفعه لغائلة السموم فأمر لا يشك فيه . ومن العجائب أن من أراد تقشير البصل وتقطيعه يفرز سكينه في بصلة ويتركها على رأس السكين ثم يقطعها ويقشرها فإنه لا يتأذى من رائحتها . قال ابن سينا : البصل يحمر اللون بجذبه الدم إلى خارج

وله خاصية في دفع ضرر المياه وتهيج الباه وينفع من عضه الكلب الكلب إذا طلى عليها وأكله يدفع ضرر الريح السموم ، وعصارته تنفع من الماء النازل في العين ويجلو البصر ، وبزره يكتحل به لبياض العين ويذهب البهق ويدلك به لداء الثعلب فينفع ، وهو بالملح يقلع النائل .

(بطيخ) قال صاحب الفلاحة : ينقع بزر البطيخ في العسل واللبن ثم يزرع فتكون ثمرته في غاية الحلاوة ورائحة البطيخ يحدتها قوى الأدوية ، وإذا كان البطيخ في بيت لا يختمر فيه العجين أصلا ، وإذا اجتازت الحائض بالمطبخة تغير جميع بطيخها ، وإذا أصاب بزر البطيخ والقثاء رائحة الدهن يصير مرا وذلك بأن يجعل البزر في ظرف كان فيه دهن أو شده في خرقه أصابها دهن . وإذا وضعت بزر البطيخ في وسط المطبخة دفع عنها كثيرا من الآفات وأسرع نباتها وحملها ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن البطيخ كان أحب الثمار إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال « تفكهاوا بالبطيخ وعضوا منه فإن ماءه رحمة وحلاوته من حلاوة الجنة ، من أكل لقمة من البطيخ كتب الله له ألف حسنة ومحامنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة فإنه أخرج من الجنة » وعن وهب بن منبه في بعض الكتب أن البطيخ طعام وشراب وفاكهة ، وخلال وأشنان وريحان ينقى المعدة ويشهى الطعام ويصفي اللون ويزيد في ماء الصاب : وقال ابن سينا : البطيخ ينقى الجلد ، وبزره ينفع من البهق والكلف والحزاز . قشره يلصق بالجبهة يمنع النوازل إلى العين ، أكل لحمه ينفع من حصا الكلى والمثانة .

(بنفسج) ينبت في مواضع ظليلة حسنة ، زهره إذا شرب بالماء نفع من الخناق وأم الصبيان : قال ابن سينا : يسكن الصداع الدموي شما وطلاء وينفع الرمد الحار . وقال غيره : شم البنفسج مضر بالزكام ودهنه نعم الطلاء للجرب اليابس .

(بودانث) قال ابن سينا : إنه حشيشة تنبت مع البيش وأى بيش جاورها لم تنم شجرتة وهو أعظم ترياق للبيش وله جميع منافع البيش من دفع البرص والجلد ، وهو ترياق لكل سم سيماسم الأفاعى .

(بهار) هو الذى يقال له عين البقر ورده أصفر وورقه أحمر الوسط شمه ينفع الدماغ ويحلل الرياح الغليظة التى في الرأس ، والله الموفق .

(بيش) نبات ينبت بأرض الهند نصف درهم منه سم قاتل : وعلامته أنه يعرض لمن سقى منه جحوظ العين وورم الشفتين واللسان والدوار والغشى : ذكر أن ملوك الهند إذا أرادوا الغدر بملوك تعاديتهم ربوا جارية بالبيش من طفوليتها وذلك بأن يفرش البيش تحت مهدها مدة ثم تحت فراشها مدة ثم تحت ثيابها مدة ، وهكذا على التدريج إلى أن تأكل الجارية

منها ولم يضرها فحينئذ تمت التربيّة ثم يبعثوها مع الهدايا إلى من أرادوا الغدربه فإنه إذا واقعها مات ، والسنان يعلف منها ولا يضرها شيئا وكذلك فأرة البيش ، وهو حيوان يسكن في أصله ويأكل منه . قال ابن سينا : إنه يذهب البرص طلاء وشربا وينفع من الجذام وهو سم قاتل يقتل نصف درهم منه وترياقه فأرة البيش .

(ترمس) هو الباقلا المصرى . قال صاحب الفلاحة : إذا أردت أن يزكو الترمس فازرعه عند استواء الليل والنهار ولا يترصص به المطر ، وإذا نبت فاترك فيه البقر قبل أن يتورد فإن البقر ترعى مافيه من غريب ولا ترعى الترمس حينئذ لمرارته فإنه يزكو جدا ، ومن خاصية الترمس أنك إذا زرعت في أرض لا ينبت بها النبات ثلاث مرات : قال ابن سينا : يرقق الشعر ويجلو الكلف والبهق والآثار الكريمة ويجلو الوجه سيما إذا طبخ بماء المطر حتى يتهرى ، وإذا رششت البيت بطبيخ الترمس هرب منه الذباب :

(ثوم) قال صاحب الفلاحة : إذا زرعت الثوم في الأيام التي يكون القمر بها تحت الأرض لم توجد له رائحة وليترصد غروب الثريا لوقت الزرع ، ورقه يمزغ ويجعل على العين الرمدة يكون أنفع لها من كل ذرور ، وإن مضغ مع العسل وطلّى به الوجه ذهب شقاه وكلفه ، ومن أكله على الريق لا يضره سم ولا لدغ . وقال ابن سينا : إنه ينفع من تغير المياه ويشرب بطبيخ الفوتنج فيقتل القمل والصبثان ، ورماده إذا طلى بالعسل على البهق وكهبة العضو نفع ، ومشويه يسكن أوجاع الأسنان ويصفي الحلق مطبوخا وينفع من السعال المزمن ، وهو نافع من لسع الهوام والحيات إذا شرب بالشراب . وقال ابن سينا : وقد جربنا ذلك في عضّة الكلب الكلب . ومن خواصه دفع الحكاك عن المقعدة إذا أخذ منه صاحبها شيئا واحتمله ، وإذا أردت أن تعرف أن المرأة بكر أم ثيب فاخلط الثوم المدقوق مع العسل وأمرها أن تتحمل به واصبر عليها ساعتين فإن شممت رائحة الثوم من فيها فهى بكر وإلا فهى ثيب ، ومن خواصه إزالة البخر الذي لا يقبل المعالجة إذا داوم على أكله سنة كاملة :

(جاورس) هو الدخن : قال صاحب الفلاحة : الأرض التي يزرع بها الجاورس تفسد ولا ترجع إلى صلاحها إلا بعد مدة طويلة ، حبه يبقى مدة طويلة لاتصبيه آفة ولهذا يدخره الناس لخوف القحط . قال ابن سينا : إنه ضماد جيد لتسكين الأوجاع . وقال غيره : إنه يمسك الطبع جدا بيوسته ويسقط الأجنة .

(جرجير) هو الأيمقان إذا زرعت وسط البقول نفعها ويزكونبتها ويدفع عنها الآفات كاللود ونحوه . وعن علي رضي الله تعالى عنه قال : من أكل جرجيرا ثم نام بات الجذام يتردد في جوفه ، وإن أخذت مدقوقه وداسكت به الكلف أزاله ، ومن مضغ منه وطلّى به لبظه زال صنانه ، ويخلط الجرجير بمرارة البقر ويطلّى به يزيل آثار القروح ، ويزره بالعسل

يحرك الباه ويزيد الإنعاض : ومن عجيب خواصه أن الغراب إذا أكل من بزر الجرجير انتثر ريشه .

(جزر) أصله يطبخ بالعسل ويؤكل منه كل يوم خمسة دراهم يزيد في الباه زيادة عظيمة ويقوى الكلوية ، بزره يغلى على النار ويبخر به تحت المرأة فإن الجنين يسقط بإذن الله تعالى .
(حاج) ضرب من الشوك يقع عليه الترنجيبين طلاء وأكثر ما يوجد بأرض خراسان وما وراء النهر : وفي الأمثال : الحاحه في الصدر حاجة ، وشوك هذا النبات طويل جدا حاد كالإبر والإبل تأكل منه أكلا ذريعا لا يחדشها شوكه ، طله ينفع من السعال ويأين الصدر ويسكن العطش ويزيد الصداع ويطلق البطن .

(حاشا) حشيشة لها زهر يميل إلى الحمرة مستدير وأوراق صغار : قال ديسقوريدس : أكثر ما ينبت على الصخر . قال ابن سينا : إنه يحلل التآليل ويخلط بالطعام فيحفظ صحة البصر ويزيل ضعفه .

(حرف) هو حب الرشاد أكله يزيد في الذهن والذكاء ويهيج الباه عصارته تحفظ الشعر : قال ابن سينا : ينفع من الجرب المتقرح ومن عرق النسا والقوباء شربا وضادا ، وكذلك من نهش الهوام شربا وضادا مع العسل ، وإذا دخن به طرد الهوام وإذا داومت على أكله الحبل سقط جنينها .

(حرشف) نبات ذو شوك يقال له بالفارسية كنسكر . قال ابن سينا : ينفع من داء الثعلب طلاء وماؤه يقتل القمل إذا غسل به الرأس ويذهب الحدار ، وإذا أكل يزيل تنن الإبط لخاصية فيه ويزيد في قوة الباه .

(حرمل) نبت معروف له رائحة كريهة : قال ابن سينا : إنه صالح لأوجاع المفاصل وفيه قوة مسكرة كإسكار الخمر ينفع من القولنج شربا وطلاء ، وبزر الحرمل ينفع في خل ويرش به البيت لا يدخله الذباب .

(حسك) عشب يضرب إلى الصفرة له شوك مدحرج ينفع من قروح اللثة العفنة ويزيد في الباه ويفتت الحصا وينفع من عسر البول والقولنج شربا وطلاء ، وبزره يسقى شرابا للسموم القاتلة ويرش طبيخه فيقتل البراغيث وإن رش طبيخه جحر الحيات هربت وكذلك إن دس شوكه فيها .

(حلبة) قال صاحب الفلاحة : إذا خلطت بزرها بالبذور ثم زرعه يسلم من الدود ، قال ابن سينا : دهنها مع الآس ينفع الشعر والآثار المنتقحة وهو من أدوية السكف ، ويحسن الوجه ويغير النسكحة إلا أنه ينتن رائحة البول والبدن والعرق .

(حمص) قال ابن سينا : أكله يحسن اللون وكذلك الطلاء به ويجلو النمش . وزعموا أن

أكله نيئا يورث البخر ودهنه ينفع من القوبا، ونقيعه ينفع من وجع الضرس ويصني الصوت، وطبيخه يخرج الجنين ويزيد في الباه وينعظ بقوة إذا شرب على الريق.

(حنذوق) من خواصه أنه ينفع من نهش الحيات طلاء، وعصارته تنفع من ظلمة البصر شربا واكتحالا. قال ابن سينا: إنه ينفع من الصرع ووجع الحلق والخوانيق وورقه وبزره يهبجان الباه. قال ابن سينا: فيما يقال إن صاحب حمى الغب يستقي من ورقه ثلاث ورقات أو من بزره ثلاث حبات فيشوش على الحمى أدوارها وللحمى الربع أربعاً من أيهما شئت. وقال غيره: بزر الحنذوق يورث الجرب لكنه ينفع من لسع الهوام:

(حنظل) نبت معروف تحب الأطباء أكله والسباع تهرب من شجر الحنظل والشجرة التي ليس عليها إلا حبة واحدة من الحنظل فإنها رديئة جدا، ورقها الطرى يقطع نزف الدم وينفع من المايخوليا والصرع، ثمرتها إذا نعتها في الماء ورششت به البيت ماتت براغيثه. قال القاضي أبو علي التنوخي عن بعض بني عقيل إنه قال: كانت عندنا جارية زمنة ومن عادتنا أنا نقور الحنظل ونجعل فيه شيئا من اللبن ونرد رأسها إلى مكانها وندفنه في الرماد الحار حتى يغلي فإذا غلت حسا ذلك من أراد الإسهال: قال: فاتخذنا ثلاث حناظل لثلاثة أنفس فالجارية الزمنة حست جميع الثلاث فحصل لها إسهال شديد حتى أيسنا من حياتها، فلما كان الليل انقطع إسهالها وقامت ومشت برجليها وعاشت بعد ذلك سنين، والحنظل يدللك به الجذام وداء الفيل وعرق النسا والنقرس، وأصله نافع لنهش الأفاعي وهو أنفع الأدوية للدغ العقرب سقيا وطلاء، وسقى واحد لدغته العقرب في أربع مواضع فبرىء في الحال:

(حنطة) قال كعب الأبحار رضي الله عنه: لما أهبط آدم عليه السلام أتاه ميكائيل عليه السلام بشيء من حب الحنطة وقال: هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث الأرض وابدن البذر، وقال: لم يزل الحب من عهد آدم إلى زمن إدريس عليهما السلام كبيض النعامة، فلما كفر الناس نقص إلى قدر بيض الدجاجة ثم إلى قدر بيض الحمامة ثم إلى قدر البندقة، وكان زمن العزيز على قدر الحمصة. قال صاحب الفلاحة: الحبة التي تقع على قرن الثور عند بث البذر لا تنبت أصلا حبا ينقي الوجه وكذلك النشا، ومدقوقها ينفع من عضه الكلب الكلب ضمادا أو يوضع على جديدة محماة حتى يظهر منها رطوبة ويصلى بتلك الرطوبة القوباء يزيلها، خيرها يخلط بالملح ويضمده به الدمامل ينضجها، خبزها يبيل بماء وملح ويضمده به القوباء ينفعها.

(خبازي) حشيشة معروفة ينضم ورقها بالليل وينفتح بالنهار، ورقها إذا طلى به الجرب والحكة والقمل أزالتها ويسكن لسع الزناير ضمادا خصوصا مع الزيت، وإذا مضغ مع الملح

وجعل على النواصير نفعها ، بزرها يشربه المسموم ويتقايأ مرة بعد أخرى يدفع عنه غائلة السم . وينفع من نهش الرتيلا .

(خربق) نبت ورقه كورق الدلب وساقه قصير وشكله كشكل العناقيد : قال صاحب الفلاحة : إذا غرست في البستان قضبان الخربق مات ما فيها من البراغيت ، وإذا زرعتها مع أى بذر كان لا يقربها الطير ، وإذا دخنت البيت به هربت الهوام منه ولا يبقى فيه بق ولا برغوث ولا ذباب ونحوها ، وإن جعلته في العجين وتركته للفأرة إذا أكلته ماتت ، وإن دققته مع الكبريت ونثرته في جحر النمل هربت ، وإذا طليت اللحم بالخربق ووضعته للسباع اصطيدت بالسهولة ، وهو سم قاتل للإنسان والسباع . قال ابن سينا : إذا نبت الخربق عند أصل كرمة صار شرابها مسهلا ، ويطلى على البهق والتآليل يزيلهما واستفراغه ينفع من البرص ، وإذا طبخ بالخل وقطر في الأذن نفع الدوى ويقوى قوة السمع ، وإذا تمضمض به مسكن وجع السن .

(خردل) بزره يبقى في عصير العنب يمنعه أن يغلى ويبقى على حاله . قال محمد بن زكريا الرازى : إن جعلت الخردل في كوى الحيات قتلها قال ابن سينا : يقتل دخانه الهوام وينقى الوجه ويزيل النكهة وأثر الدم الميت : والبرى منه ينفع من حمى الربع ، ومن داء الثعلب والقوباء ضمادا وكذلك من وجع المفاصل وعرق النساء . عصارته قطورا لوجع الأذن ، وإن شرب على الربق ذكى الفهم وشهى الباه :

(خس) قال صاحب الفلاحة : إذا تركت بزره في وسط النانخواه ثم زرعه يسلم من جميع الآفات ، وإذا أخذت بعن الحمل ونقبتها وتركها فيها بزر الخس والجرجير وحب الرشاد وتحفر لها وتسترها بالتراب وتسقيها ينبت عليها هذه الأنواع الثلاثة على ساق ، وإذا قطعت أوراقه السفلانية يطيب طعم الفوقانيات ، والخس يجلب النوم ويدفع العطش ويقطع شهوة الباه ولذلك يأكله الخصيان الأقوياء على النساء وتأكله النساء اللاتي غاب عنهن أزواجهن بالخل ليقطع عنهن شهوة الوقاع ، والإدمان على أكلامه يورث ظلمة البصر لكنه يكثر اللبن ويمنع من السكر ، بزره إن استصف منه منع من كثرة الاحتلام وهملان المنى :

(خشخاش) يورث النعاس كالخس وهو أبيض وأسود وأحمر وأما الأبيض فنافع للسعال جدا من نوارل الصدر ومع العسل يزيد في المنى . وأما الأسود فنوّم جدا وصاحب السهر إذا ضمده به جبهته انتفع به : عصاراة المصرى تسمى أفيونا ، وهو مخدر مسكن كل وجع شرابا وطلاء ، الشربة منه مقدار عاسة ، وإذا طلى به الرأس مسكن وجعه لكنه يبطل الفهم والذهن وإن طلى به النقرس مسكن وجعه .

(خصى الثعلب) حشيشة حاوة الطعم تسمى ثمرتها خصى الثعلب ، هو ينفع من التشنج والعالج ويعين على الباه ، ويفعل فعل السقنور إذا استعمل مع الشراب .
(خصى الكلب) حشيشة مثل خصى الكلب ثمرتها زوجان أحدهما تحت والآخر فوق وأحدهما رخو والآخر ممتلي ، يحلل الأورام البلغمية ويبقي القروح وينفع البواسير والرطب منها يزيد في الباه واليابس يقطعه ، وحكى ابن سينا : أنه شاهد ذلك بأرض شروان فأخبره بعض سكان تلك البلاد بأن الذابل هو الذى يزيد والرطب قاطع فقال : أظن أن الأمر بالعكس ، والله أعلم .

(خطمى) هو الثبت المشهود له نور أحمر وقد يكون أبيض . قال ابن سينا : يطلى على البهق بالخل ويجلس في الشمس ينفع نفعا بينا وينفع من الخنازير سيما مع الكبريت ، ويطبخ ويشرب من مائه ينفع من عسر البول وعسر الولادة ، ورق الخطمى الرومى منه يدق مع السكرات والشحم ويوضع على لدغ العقرب والحية ينفع جدا ، وينفع منه مثقال من القولنج شربا وإذا غسل به الشعر نفعه ويضمده به الجرب ينفع نفعا بينا .

(خيار) قال صاحب الفلاحة : إن أردت استعمال باكورته فاعمد إلى فخارة في ذى ماء وازرع فيها الخيار بزرا وكلمما سخنت الشمس أطلعها إليها وكذلك للطر أيضا وإذا غابت الشمس ردها إلى أكتاف البيوت وتعاهد سقمها نضحا ورشا ، فإذا انساخ الشتاء فانقل ماني الفخارة إلى الأرض فإذا نبتت فاقطع شيئا من أعلى ورقها فإنه يسرع بثمرته على جميع أصنافه بأيام يسيرة وإذا أردت أن لا يضره الدود فاخلط بزره إذا زرعه شيئا من النانخواه ، ثمرته تنفع من الحميات المحرقة ويدر البول ويعطش في الحل لاستحائه إلى الصفراء ، بزره يدق ويطلب به الوجه يحسب اللون .

(خبرى) ويسمى المتثور أيضا : قال صاحب الفلاحة : إذا أخذت من الأحمر والأصفر الأبيض من كل واحد قضيبا وضفرتها مثل الضفيرة ثم غرستها فإذا نبتت تجد في غصن واحد أوراقا مختلفة الألوان، شمه ينفع الدماغ البارد الرطب وتحلل الرياح الغليظة ويدر الحويض ويسقط المشيمة شربا .

(دفلى) برى ونهرى فالبرى ورقه كورق الحمقاء بل أدق وقضبانه طوال منبسطة على الأرض ينبت في الخرابات، والنهرى على شطوط الأنهار وينض قضبانه على الأرض وشوكه خفي وورقه كورق الخلاف وأعلى ساقه أغلظ من أسفله أوفقاه كالورد الأحمر وثمرتها صلبة محشوة شيئا كالصوف ، قال ابن سينا : ورقه تهرب منه البراغيث ، وأكله يقتل الناس وسائر الحيوانات ، قال بليناس : علم بعض الملوك بعدو قصده في عسكر لاطافة له به فأخذ من الشعير وطبخه بالدفلى وتركه حتى جف فأخذ الشعير معه وخرج إلى وجه العدو ، فلما

قرب من العدو تنحى عنه وترك الأثقال والميرة والشعير فورد عسكر العدو وأطلقوا دوابهم في الشعير فهلكت كلها ففكر عليهم وأسروهم. قال ابن سينا : يرش البيت بطبيخ الدفلى تموت براغيثه وأرضته ونحوها ، وإذا دلكت مسنا بالدفلى حددت عليه النصل يحمى ولا يكل زمانا ، وإن حفرت في وسط في البيت حفرة وألقيت فيها شيئا من الدفلى اجتمعت براغيث البيت فيها ، ويهرب الفأر والخفاش من الدفلى .

(رازيانج) هو النبات المشهور منه برى ومنه بستاني ، رطبه يعقد اللبن ويدر الطمث والبول ويفتح من السدد ويمنع من نزول الماء والبرى يفتت الحصى وينفع من الحميات العتيقة ويحلل الرياح ويحد البصر. قال دقراطيس إن الهوام ترعى الرازيانج الطرى ليقوى بصرها ، والحيات إذا خرجت من تحت الأرض وحكت أعينها عليه استضاءت ، فسبحان من ألهمها ذلك .

(ريباس) نبت جبلي لا ينبت إلا على الصخر قيل إنه من تأثير الرعد ، وذكر هذا القول عند كسرى وقد شكوا من قلة الريباس فقال : رشوا الماء واضربوا بالطبل استخفافا بكلامهم : قال ابن سينا : إنه ينفع من الطاعون ، والاكتحال بعصارته يحد البصر وينفع من الحصبة والجدرى ويقطع السكر وينفع من الغثيان .

(ريحان) يقال له بالفارسية شاهسفرم. ذكر الفرس أنه لم يكن قبل كسرى أنوشروان شيء من الريحان وأنه وجد في زمانه : وسببه أنه كان ذات يوم جالسا للمظالم إذ أقبلت حية عظيمة تنساب تحت سريره فهموا بقتلها ، فقال الملك : كفوا عنها فإنى أظنها مظلومة فمرت تنساب حتى استدارت على فوهة بئر فنزلت فيها ثم أقبلت تتطلع فإذا في قعر البئر حية مقتولة وعلى متنها عقرب أسود فأدلى بعض الأساورة رمحها إلى العقرب ونحسها به وأتى الملك ينحبره بجبال الحية ، فلما كان العام القابل أقبلت الحية في اليوم الذي كان كسرى قاعدا فيه للمظالم وجعلت تنساب حتى وقفت ونفضت من فيها بزرا أسود فأمر الملك أن يزرع فنبتت منه الشاهسفرم ، وكان الملك كثير الشكاية من الزكام واجتماع الفضول في الدماغ فاستعمل منه فنفعه جدا : قال ابن سينا : الريحان ينفع من البواسير بزره يجعل في دم الجمل ويطل به الإبط فإنه يدفع الصنان القوى الذي لا علاج له ، والريحان ينفع من الدوار والرعاف :

(زعفران) هو نبت نوره الزعفران وأصله يشبه البصل يدق ويعصر يكون عصيره كالحليب وقد يجفف ويتخذ منه الدقيق ويؤكل . قال ابن سينا : بزره ينوم ويحسن اللون ويجلو البصر ويمنع النوازل إليه ويكتحل به للزرقة العارضة في الأمراض ، ويهيج الباه ويدر البول ، وزعم قوم أنه إن سقى للطلاق المتطاول وضعت من ساعتها ، ويقوى القلب ويفرح ويورث الضحك ، والزائد على الدرهم سم قاتل ولا يقرب سام أبرص بيتا فيه زعفران . قال بليناس الحكيم : إذا عسرت الولادة على المرأة أو سقطت المشيمة تأخذ بيدها عشرة دراهم زعفران لا زائدا ولا ناقصا فتخلص .

(سادج) نبت يكون بأرض الهند. قالوا : إن الماء إذا جف في المستنقعات أو ان الصيف أحرقوا فيها الحطب لينبت السادج فإن لم يفعلوا لا يكون منه شيء ، له أوراق وقضبان على مثال الشاهسفرم وله نور ينبت في المياه فيقوم على وجه الماء من غير تعلق بأصل : قال ابن سينا : يجعل في وسط الثياب يحفظها من السوس ، ويطيب النكهة إذا جعل تحت اللسان : وقال غيره : ينفع من وجع القلب ويذهب نمن الإبط ، والله الموفق .

(سذاب) هو النبت المشهور : فوائده كثيرة عجيبة . قالوا : إذا ترك في برج الحمام لا يقربه سنور ، وإذا ترك في بيت لا يقربه حية ، وأكله يزيد في قوة الباه وإذا دخن به تحت حبل أسقطت ، ورائحته تنفع المصروع والصداع الشديد في الحال سيما إذا كان رطبا ، والاكتحال بعصارته مع لبن النساء يزيل ظلمة العين ، وإن نقع في ماء ورش به البيت ماتت براغيثه ، والمدقوق منه بالزيت يجعل تحت السن الوجعة يسكن ألمها ، قال ابن سينا : يطلى مع النظرون على البهق والتآليل والتوتية يزيلها ويقطع رائحة الثوم .

(سلق) قالوا : يلقى السلق في النبيذ يصيرها خلا في يوم وليلة . قال صاحب الفلاحة : إن سممت أرضها بجثى البقر يقوى أصله ويطيب طعمه . قال ابن سينا : عصارته ترفع التآليل وتقتل القمل ويغسل به الرأس فيذهب النخالة وانتشار الشعر ، ويزيل الكلف إذا غسلت الموضع بالنظرون ثم طليت به .

(سمس) قال ابن سينا : ورقه وعصارة شجره يطول الشعر ، وبزره يزيل خضرة الضربة والدم الجامد ، وهو نافع من الشقاق شربا وطلاء ومسمن جدا ، ونقيعه يدر الحيض ، ومقلوه يزيد في قوة الباه ومادة المنى .

(سنبل) نبت طيب الرائحة جداً له سنبله صغيرة يطيب النكهة ويخفف اللسان إذا مسك في الفم ، ومن خواصه تقوية الدماغ ومنع النوازل وإنبات الشعر في الأشفار إذا جعل في الكحل ، وينقى الصدر ، وينفع من الخفقان ويحبس التزف من الرحم .

(سوسن) نبت له ساق وزهر مختلف الألوان من بياض وصفرة وأسمانجونية رائحته تجاب النوم يلطخ به الكلف يزيله ، يضمده به الرأس مع الخل يزيل الصداع ، وهو ينفع من نهش الهوام ويسحق ويخلط بالعسل للبهق والجرب طلاء وإذا غسل به الوجه جلاه ونقاه . قال صاحب الفلاحة : إذا جعلت السوسن في ظرف جديد واستوثقت رأس الظرف يبقى طريا غضا طول السنة ، دهنه يزيل نمن المنخرين .

(سيسنبر) نبت له رائحة طيبة يقال له النمام لأن رائحته تدل عليه ، ورقه يسكن الصداع إذا ضمده به الجهة والصدغين وينفع من لسع الزنابير ضمادا . قال ابن سينا : إذا فرشت السيسنبر تهرب منه أكثر الهوام وهو يقتل القمل ضمادا ويزيل الفواق شربا ويخرج

الجنين الميت والديدان وحب القرع شرباه، بزره يسكن الفراق والمغص شربا ويسهل الولادة.
(شبت) نبت مشهور . قال صاحب الفلاحة : إذا أثبرت الأرض وسقيت ولم تزرع
ومضى على ذلك سنة يذبت فيها الشبت من غير بث حب ، أكله يورث ظلمة البصر . قال
ابن سينا : إنه منوم جدا ، وإذا سحق وعجن وضمد به البواسير قلعها وأبرأها . قال بليناس :
إذا مضغت الشبت الأبيض وأخذت النار في فمك لا تضرك ، وإذا وضعت الشبت تحت مخدة
الإنسان ذهب عنه الفزع والمطيط ، بزره يدر اللبن وينفع من الفواق الامتلائي والمغص
ويقطع مادة المنى ويقلع البواسير .

(شبرم) نبت في البساتين له قضيب دقيق ، ورقه كورق الطرخون . قال ابن سينا : هو
مضر بالباه ومادة المنى ولبته معين على قلع الأسنان ، ويولد الحميات ويقتل منه درهمان .
(شجر مريم) شوك أصله الغرطيثا . قال ابن سينا : ينفع من الزكام البارد ونزول
الماء في العين أصله يدفع الفواق ويسقط الأجنة .

(شعير) من الخنطة . عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى
خلق الشعير من الخنطة ، وذلك أن جبرائيل عليه الصلاة والسلام أتى آدم عليه السلام بخنفة
من الخنطة وقال : هذا الذي اخترته على جنة رب العالمين هو لك رزق ولولئك ، فعمد
آدم إلى قبضة منها وعمدت حواء إلى قبضة ، فقال آدم لحواء : لا تزرعي فخالفته فجاء الذي
زرعت حواء شعيراً . وخاصية الشعير أن يحفظ الأشياء عن التعفن والتغير . قال صاحب
الفلاحة : لو تركت في الشعير عنبا بعناقيده لم يتغير وأكلت في كل يوم عنبا طريا كأنه قطف
من كرمه . قال ابن سينا : الشعير يستعمل على الكلف طلاء ويطبخ بالخل الثقيف ويضمد به
الجرب المتقرح والقرس .

(شقائق النعمان) والعرب يقولون : إنه خد العذارى ، قيل كان ظهر في الكوفة نبت
الشقائق فمر النعمان بن المنذر به وقال : من نزع منه شيئا انزعوا كتفه فنسب إلى النعمان ،
وشقائق النعمان يدور مع الشمس يفتح ورقه بالنهار وينضم بالليل ، الاكتحال منه ينفي ظلمة
البصر . قال ابن سينا : إنه مع قشر الجوز خضاب يسود الشعر وهو نافع للجرب والقروح
وإذا طبخ بقضبانة يدر اللبن ، ويمزج عرق شقائق النعمان بماء الورد فإذا رششت على الثياب
البيضاء يحمر الثوب وإذا ببس لا يبقى على الثوب منه أثر أصلا .

(شلجم) قال صاحب كتاب الفلاحة : بزر الشلجم وبزر الكرنب إذا أتى عليهما
ثلاث سنين يذبت من بزر الشلجم الكرنب ويذبت من بزر الكرنب الشلجم وهذا أمر يعرفه
الزارعون ، وإن نقعت بزر الشلجم في عصير الزيت أو العسل يذبت حلوا طيب الطعم جداً ،
والمطبوخ منه يحرك شهوة الوقاع ويضمد به العضو الحار إذا كان حاراً ينفعه نفعاً بيناً ، بزره
يعلق على صاحب الأبتة ينفعه .

(شوكران) سم قاتل ساقه كساق الرازيانج وورقه كورق القناء وبزره كالأنيسون وله زهر أبيض: قال ابن سينا: يطلى به موضع النتف يمنع نبات الشعر ثانياً ويضمده به ثدى النساء فلا يعظم وينفع من نزف الدم بتجميده ، ويمرغ به أعضاء المنى فيمنع من الاحتلام :
(شونيز) قال محمد بن زكريا الرازي : يرش اليبب بطبيخ الشونيز يقتل براغيثه ، ويسحق الشونيز مع الصابون ويطلى به الوجه يزيل كلفه : وإن نخرت به وبالقلقند البيت لم يدخله بق البتة. قال ابن سينا : إنه يقطع التآليل والخيلان والبهق والبرص وينفع من الزكام طلاء ، وطبيخه ينفع من وجع الأسنان مضمضة سيما مع خشب الصنوبر ، والهوام تهرب من دخانه ، وإن سحق بدهن الرشاد منع ابتداء الماء: قالوا: الإكثار منه قاتل :

(شيح) نبات أجوف العود ورقه كورق السرو : وقال ابن سينا : إنه يقتل الديدان وحب القرع ورماده بالزيت نافع من داء الثعلب . دهنه ينبت اللحم المتباطى* ويمنع من برد النافض ومن لدغ العقارب والرتيلا والسموم كلها .

(شيلم) هو الزوان يدق ويعجن ويوضع على موضع دخل فيه شوك أو سلا يجذبه ويخرجه ، ويطلى على البهق مع الكبريت ، ومع بزر الكتان يحلل الأورام والخنزير ، ومع الحنطة على القروح والقوباء ذروراً ، والبخور به يعين على الحبل .

(صعتر) إذا مضغ يسكن وجع الأسنان ويقتل الديدان وحب القرع والبري منه ينفع من لسع الحيات، ذكر أن القنفذ وابن عرس إذا تناهشا الأفاعى والحيات تعالجا بأكل الصعتر البري وإنما كتب بالصاد لثلا يشبهه بالشعير .

(طرخون) هو النبات المعروف إذا مضغ أزال حس الذوق حتى لا يحس الإنسان بعد مضغها بمرارة الأدوية المرة. قال ابن سينا: إنه يحدث وجع الحلق ويقطع شهوة الباه، وأصل الطرخون الجبلي هو العاقر قرحا، وهو نافع من وجع السن، وإذا طبخ بالخل وأمسك في الفم يشد الأسنان المتحركة، ويدلك البذر به قبل نوبة النافض ينفعه، وإذا مضغ وجعل على موضع اللسعة ينفعها نفعاً بيناً .

(عبيران) قال ابن سينا : إنه نافع من الزكام الحادث من البرودة وماؤه يحد البصر :

(عدس) إذا خلطت العدس بأي بزر كان وافقه ، فإذا أردت أن يتعجل فاجعله في أخشاء البقر ثم ازرعه ، وزعم أن آكله يزداد ارتياحا وجدلا إلا أن الإكثار منه يورث الجذام وظلمة البصر : وقال ابن سينا: إنه مع السويق ضامداً جيد للنقرس، آكله يرى أحلاما رديئة .

(عظم) حشيشة يوجد من عصارتها النيل يجلو الكلف والبهق ، وينفع من داء الثعاب

والجراحات البردية والقروح العفنة ويخرج الشوك ، ومع السكر ينفع من سعال الصبيان وكذلك عصارته .

(عنب الثعلب) هو أنواع: منه أخضر الورق وأصفر الثمرة وهو مستعمل ، ومنه نوع ينحدر كالأفيون ومنه قاتل ، عصارته جميعها تقوى البصر اكتحالاً ، ومن المنحدر اثنا عشر حبة يورث الجنون ، ومن القاتل أربعة دراهم تفعل ذلك .

(فجل) قال صاحب الفلاحة : إذا نعتت بزر الفجل في العسل وزرعته يأتي فجله حلوا طيبا أكله يورث جشاء منتنا . قال أبو الفرج : سببه أن الفجل يلمس الفضلات البردية فإذا ورد الفجل قطعها بأثرها فيكون الثمن من الفضلات لا من الفجل كما ترى من الحمأة فلأنها إذا لم تزعج فلا رائحة لها فإذا أثرت يظهر منها رائحة منتنة ، أكل الفجل بعد الثوم رائحة الثوم يقطع ، والمداومة على أكله تنقي المعدة وإن أكلته النساء زاد في لبنها وإن أكله الرجال زاد في قوة فهمهم لكنه يفسد الصوت ، وإن وضع شرخه منه على عقرب ماتت ، وإن لدغت العقرب من أكل فجل لم تضره وهو ينبت الشعر في داء الثعلب وداء الحية ، وأكله يكثر القمل في البدن ويضر بالرأس والأسنان والعين ، والضاد به مع العسل يقطع الآثار الكمدة من الوجه وغيره ، وإذا ألقيته في الشراب يفسده وعصارته يطلى بها الكلف يزيله ، وإذا طليت سلة الحواء بالنوشادر وعصير الفجل ماتت حياتها ، وإن شربها صاحب اليرقان خمسة أيام زالت صفيرته ، وإن اكتحل به يحد البصر وينفع من بياض العين ، قشره يكتحل به مجففا مسحوقا يحد البصر ويهرب منه العقرب وإن طلى به الوجه أزال كلفه ، بزره يهيج الباه أكلا وينفع من السموم ، ورقه : قال ابن سينا وما سويه : يحد البصر ويزيد في اللبن .

(عرفج) ويقال له البقلة الحمقاء لأنها تنبت في ممر المياه : قال : ومن ترك العرفج في فراشه نام عليه لم ير شيئا من الأحلام أصلا ، ولا يوضع على شيء من القروح إلا نفعه وينفع من الباه نفعا بينا . قال ابن سينا : تحك به التآليل يقلعها ، ورقها ينفع من أصابه ضرر من أكل الحموضة ، بزرها إن شرب الإنسان منه مدافا بالخل يصبر على العطش طويلا ، والمسافرون يستصحبونها في أسفارهم عند توقع فقد الماء ، والإكثار منه يقطع شهوة الوقاع والله أعلم .

(فنجكشت) نبات لعظمه كاد أن يكون شجرا ينبت بقرب الماء ورقه كورق الزيتون وله زهر : قال ابن سينا : إنه يتقى اللون ، وإذا ضمد به يزيل الإعياء والصداع ويكثر اللبن ويقلل مادة المنى ويدخن به عند شدة الشهوة للنساء ، وينفع من لسع الحيات شربا ومن عض السباع ضمادا ، ويدخن به لطرود الحوام ويجعل منه شيء في الفراش يمنع الاحتلام .

(قويح) نبت معروف طيب الرائحة صغير الأوراق منه نهري ومنه جبلي ، فالنهري

يفيق المغشى عليه إذا شممه وينفع من نهش اذوام ضمادا ويطرد الهوام تدخيناً ورقه يطرد الهوام ومضغه يزيل روائح الثوم وهو يقطع الباه ، والجلبى يزيل الآتار السوداء ضمادا مطبوخاً بالشراب ويستحم بطبيعته للجرب والحكة وينفع من الجذام وقروح الفم والفواق واليرقان وهو جيد للدغ العقارب.

(قاتل الذئب) حشيشة لاستعمل البتة ويقتل الذباب قتلاً وحياً .

(قاتل الكلب) حشيشة تجذب الرعاف وتقتل الكلاب بسرعة كما ذكر .

(قتاد) شجرة مشوكة معروفة تتخذها الناس وقوداً لإبرها طريفة حادة جداً يقال للأمور الصعبة دونها خرط القتاد ، صمغها الكثير ينفع من السعال وقرحة الرئة ويصني الصوت ، والله الموفق .

(قت) علف الدواب دهنه أنفع شيء للرعشة :

(قتاء) قال صاحب الفلاحة : إذا أردت أن يكون القثاء على صورة شيء من الحيوانات فخذ قالباً للصورة التي أردت واجعلها فيه وهي صغيرة واستوثق منها ربطاً بحيث لا يدخل القالب ريح ولا غبار فإنها إذا عظمت فيه كانت على صورة القالب التي جعلتها فيه ، وإذا عبرت طوامس النساء بالقثاء تغيرت وذبلت وفسدت ، وإن أصاب بزرها رائحة الدهن صارت ثمرتها مرة وإذا نقعت بزرها بالعسل واللبن تكون ثمرتها حلوة طيبة . قال ابن سينا : إنه ينفع من عضه الكلب الكلاب أكلاً ، ثمرتها تسكن العطش وتقوى المثانة وتنفس حرارة المغمى عليه ، بزرها يدر البول ويحسن اللون طلاءً ويطفيء حرارة الصفراء .

(قرطم) نبت يقال له بالفارسية كائيره . قال ابن سينا : بزره ينقى الصدر ويصني الصوت وينفع من القولنج ، وإذا أكل بتين أو غسل ينفع من الباه ، زهره هو العصفري ينقى الكلف والبهق ويطلو بالخل على القوباء .

(قطن) زعموا أن عصارة ورقه إن سقى لصبي به إسهال نفعه جداً ؛ ثمرته إن كانت ناعمة تنعم البدن وإن كانت خشنة ليسها يهزل البدن ، وينفع المبرودين لبسها ، قشر جوزها محروقاً ينفع لقرحة اللثة والفم نفعاً ينياً .

(قنابرى) يجلو الكلف والبهق وهو أنفع شيء للبرص أكلاً وضماداً يذهب في أيام يسيرة ، وورقه ضماداً لقروح الثدي الخشنة وللسع الهوام كلها .

(قنب) منه برى ، ومنه بستاني ، فالبرى طول شجره ذراع ، ورقها يغلب عليه البياض وثمرتها كالفلفل ، والبستاني هو الشهدانج ورقه البنج إذا أكل منه شيء يخالط العقل ويفسد الذكر ويحدث بالخرورين خناقاً أو جنوناً وهو مخدر يقطع النزف ويسكن بتخديره الأوجاع الضربانية حتى وجع النقرس طلاءً وشرباً ، بزره يسكن أوجاع العين وكذلك عصارتها ،

قال ابن سينا : إنه يصدع ويظلم البصر واستكثاره يختمف المنى ، وقال غيره : إنه يطرد الرياح ودهنه دواء جيد لوجع الأذن من البرودة .

(قنبيط) هو الكرنب . قال صاحب الفلاحة : إذا زرع في الأرض السبعة كبر جرمة . ويطيب طعمه ولا يتدور ورقه مع قصبانه ، يدق ويوضع على جبهة الحزين يفرج عنه ، ومن أكل منه يرى منامات هائلة ، وإن اعتادت الصبيان أكله أسرع نباتهم ، ويصنى صوت من به بحوحة ولذلك يديم عليه أصحاب الغناء . وقال ابن سينا : القنبيط يسقط الأوجاع وينفع من الرعشة ومنوم جدا ومظلم للبصر ، بزره يدخن به المناخس والبساتين يقتل دودها ، وإذا احتملته المرأة بعد الجماع أفسد المنى ، وأكله يزيد في مادة المنى .

(قيصوم) نبت طيب الرائحة والحيات تهرب منه ومن رائحته فإن زرعه حوالى القرية لا يبقى فيها حية : قال ابن سينا : ينفع من إنبات اللحية البطيئة النبات إذا طبخ ببعض الأدهان ويدر الطمث ويخرج الجنين ينفع من عسر البول ومن النافض إذا مزج بالدهن ، وإذا افترش طرد الهوام وإذا سقى بالشراب نفع من السموم كلها .

(كاوزوان) معناه لسان الثور . قال ابن سينا : خاصيته التفريح وإزالة الغم .

(ككتان) هو النبات المبارك الذى يتخذ منه الثياب ثيابه تنعم البدن وتخصبه سيما فى الصيف ولأصحاب الأمزجة الحارة دخان الككتان ينفع من الزكام ، بزره يسكن الأوجاع ضامدا ومع النظرون والتين ينفع من الكلف ومع الشمع ينفع من برص الأظافر .

(كراث) منه شامى ومنه نبطى . قال صاحب الفلاحة : من أراد زرعه فليثر بزره ثم يسقيه بعد ثلاثة أيام ليكون نبتة قويا ، وإن أردت أن يكون أصله قويا جدا تجعل فى كل بعرة من بعر الغنم ثلاث حبات فإنه ينبت أقوى ما يكون ، والكراث يدق ويوضع على لسع العقرب والزبور يسكن وجعه فى الحال ، وإدامة أكله تورث ظلمة البصر . قال ابن سينا : الكراث الشامى يذهب بالنأليل والبثرات وأكله يفسد اللثة والأسنان ويضر بالبصر ، والنبطى ينفع البواسير مصاوقا مأكولا وضامدا ويحرك الباه ويوضع على الجراحات الدامية يقطع دمها وأصحاب الألمان يستعملونه لتصفية أصواتهم .

(كرسنة) حب فى حجم العدس إلا أنه غير مفرطح بل مضلع ولونه ما بين الغبرة والصفرة وطعمه ما بين الماش والعدس . وقال ابن سينا : هو طلاء جيد للبق والكلف والبرص ويحسن اللون ودقيقته يسمن المهازيل يضمده بالشراب على نهش الأفاعى وعضة الكلب الكلاب والإنسان الصائم .

(كرفس) منه برى ومنه بستانى ، يطيب النكهة ويهيج شهوة الباه للرجال والنساء ويوضع على العضو المرتعش يسكن ، قال ابن سينا : البستانى يطيب النكهة ويستعمله من بشاور .

الملوك سرا وينفع من الجرب والقوباء وإذا لدغت العقرب آكله يشتد الأمر به ، فينبغي أن يتجنب أيام ظهور العقارب ، عصارته تنفع من ظلمة العين اكتحالاً أصله يعلق على الرقبة ينفع من وجع السن ، بزره ينفع من الاستسقاء وعسر البول ويخرج المشيمة ، وإذا بنجر به عند قوم سدروا وناموا ، وهو ينفع من وجع السن والفواق الذي عن الامتلاء .

(كراويا) قال ابن سينا : ينفع من الرياح يطردها وينفع من الخفقان وهو جيد لقتل الديدان والمغص الشديد .

(كزبرة) قال بليناس : يقلع الكزبرة بأصاها قلعاً رقيقاً ويلقى على فخذ صاحبة الطاق تضع في الحلال . قال ابن سينا : رطبه ينوم ويولد ظلمة البصر ويابس يكسر قسوة الباه ويخفف المنى وعصارته مع اللبن تسكن الضربان الشديد والإكثار منه رطبا ويابساً يحاطظ الدهن ، بزره ينفع من لسعة الزنبور ، يتناول منه ثلاث راحات يسكن الوجع ويزيل رائحة البصل والثوم ، وقال بليناس : يبخر به البيت تهرب الحيات والعقارب منه : (كلواشة) حشيشة يلقى شيء منها في الفراش تجد البراغيث كلها لا تقدر على الظهور ولا على أذى فتؤخذ حينئذ بسهولة .

(كمون) قالوا : إن الحمام يحبه فإذا أردت أن تألف لمسكنها فاطرح شيئاً من الكمون قبل أن يخرج لطلب العلف فإنها تزداد حبا لمسكنها والنمل تهرب من رائحته . قال ابن سينا : إذا غسل الوجه بمائه صفاه وإن استكثر من أكله يورث صفرة الوجه وإذا سحق بالخل واشتم قطع الرعاف وعصارته تجلو البصر ، ويؤخذ الكمون والملح سواء ويجعل أقراصاً ويترك في وسط الدقيق الدرملك يبقى زماناً طويلاً لا تصيبه آفة أصلاً .

(كمامة) نبات يتولد من تحت الأرض لا بزر لها ولا عرق لكنه ينبطح كالجواهر في أعماق الأرض جاء في الحديث « إن الكمامة من المن وماؤها شفاء للعين » وإنما شبه بالمن لأنه ينبت في الأرض بلا تعب كما أن المن يقع من الهواء من غير تعب ، والعرب تقول : إن الكمامة تبقى في الأرض فيمطر عليها مطر الصيف فتستحيل أفاعى ، ومنه نوع يتولد في ظل شجرة الزيتون يسمى القطر وهو نوع سم قاتل . قال ابن سينا : الكمامة يخاف منها الفالنج والسكنة ، وماؤها يجلو العين كما هو مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال غيره : يورث القوانج وعسر البول .

(لبلاب) ويقال له جبل المساكين يلتف على الشجرة ويرتقى منه خيوط دقاق وورق رقاق طوال ، ينفع من الصداع المزمن ، ورقه بالخل ينفع من الطحال : قال ابن سينا : لبن اللبالب يخلق الشعر ويقتل القمل .

(لسان الحمل) نبات يشبه لسان الحمل في شكله . قال ابن سينا : أصله يعاق على صاحب

الخنزير ينفعه ، وطبيخ أصوله ينفع من وجع السن مضمضة ، والعدسة التي يكون فيها لسان الحمل بدل السلق تنفع من الصرع ، وقيل لأنه نافع من حمى الربيع :
(لسان العصافير) نبات يشبه لسان العصافير ، ورقه يدمل الجروح : قال ابن سينا :
ينفع من الخفقان ويزيد في الباه :

(لصف) يقال له بالفارسية كبر ، ثمرة تشبه القثاء يجعل في العصير يحفظه من الغليان قشورا ، أصله نافع من عرق النسا ومن الفالج والحدرد ، وبعض على قشوره بالسن الوجعة ينفعها سيما إذا كان رطبا ، ورقها ينفع من البواسير ويزيد في الباه وهو ترياق السموم ، ويقطر ماؤه في الأذن التي فيها ديبب يقتله ، ويطلى به البهق يزيله .

(لقاح) منه نوع أبيض الورق لاساق له يقال هو الذكر ، شمه كثيرا يورث السكته ، ورقه يدللك به البرص أسبوعا يزيله من غير تفريح ، وشمه ينفع من الصداع لكنه يبلى الحواس وينوم وبزره إذا خلط بكبريت لم تمسه النار . أصل اللقاح البري الليبروح وهو على صورة الإنسان ، الذكر كالذكر والأنثى كالأثني ، زعموا أن من قلعه مات فإذا أرادوا ذلك شدوه في كلب أو حيوان خسيس حتى يمشى به ويقلعه ، يجعل ضمادا للأورام الصلبة والخنزير والدمامل وأوجاع المفاصل يبرئها ، ومن احتمل منه شيئا أسبته ويتخذ ذلك لدفع السهر . قال ابن سينا : من احتاج إلى قطع عضو والعياذ بالله يسقى من ذلك ثلاث لولوسات في شراب فيسبته ولا يكون له حس عند القطع .

(لوبيا) نبت معروف . قال ابن سينا : من أكله يرى أحلاما رديئة ، وقال غيره :
يخصب البدن ويخرج المشيمة والجنين الميت ويدر الطمث ويتنى من دم النفاس .

(لينوفر) نبات طيب الرائحة ينبت في الآجام والمياه القائمة في فضاء ويغيب النهار كله ويظهر بالليل . قال ابن سينا : إنه منوم مسكن للصداع الحار لكنه يكمد شهوة الباه ويجمد المنى لخاصية فيه ، بزره يذهب البرص طلاء بالماء وأكله يضعف الباه وإذا جعل على داء الثعلب أبراه .

(ماش) هو النبت المعروف . قال ابن سينا : إنه مضر بالباه . وقال غيره : يضمده بالأعضاء فيسكن وجعها ويضعف الأسنان .

(مازريون) حشيشة معروفة من اليتوعات منها صغير وكبير ، فالكبير يشبه ورق الزيتون والأسود منها قتال جدا وجميع أصنافها يستعمل للبهق والبرص والبرص طلاء ويخلط بها الكبريت ليكون أبلغ . قال ابن سينا : يسقى بالشراب لنهش الحوام فإذا خلط بالسويق وجمع بماء أو زيت قتل الفأر والكلاب والخنزير والقاتل للناس درهان . وقال غيره : يقتل السمك في الماء ويدفع الاستسقاء ، وإذا سقى العليل منه درهما فإنه يسهله لإسهالا محكما يزيل عنه

الاستسقاء لكن العلاج بها خطر جدا : وذكر القاضى أبو على التنوخى أن بعض من ابتلى بالاستسقاء عجز الأطباء عن علاجه فأيقن بالهلاك وترك المماثلة والاحتماء ، فاجتاز عليه رجل في دروب بغداد يبيع الجراد المقلى فاشترى منه وأكل كثيراً فانحل طبعه ثلاثة أيام ثم عاد إلى حاله وعوفى ، فسأله الطبيب عن حاله فذكر له أكل الجراد ، فقال لصاحب الجراد من أين أخذه ؟ فقال : من الموضوع الفلانى ، فذهب إليه فرأى أكثر نبتة المازريون ، فعلم الطبيب أن الجراد قد أكل منه فنقصت قوة المازريون ثم نضجت فنقصت شيئاً آخر فأكلها الرجل وقد اعتدلت فصارت سبب النجاة لمن عجز الأطباء عن علاجه - إن الله على كل شى قدير - .

(ماهيزهرج) نبات له قصب دقيقة مستوية ورقه كورق الطرخون شديد الشبه بالشبرم إلا أنه أطول في لونه غبرة إلى صفرة يعده الناس من اليقوتات إذا طرح منه في الغدير أسكر السمك وأطفاها ، وهو نافع من التقرس ووجع المفاصل والظهر :

(مرزنجوش) نبت طيب الرائحة . قال ابن سينا : نافع من الشقيقة والصداع ، وطبيخه ينفع من الاستسقاء والمغص وعسر البول ، ومع الخل ضمادا للسع العقارب ، وبزره يسقى لمن به لسعة الزنبور قدر درهم يسكن وجعه في الحمال ، دهنه ضماد للفالج ، يابسه يطلى بالعسل على كهية الدم واخضراره خصوصاً لجرب العين .

(ناردين) هو السنبل الرومى ورقه كورق العصفر وأغصانه صفر ملس ولا ساق له ولا زهر ولا ثمر ، ينبت أهداب العين إذا جعل في الأكحال ، ودرهم منه ينفع من الفالج والقوة ،

(نانخواه) نبت معروف . قال صاحب الفلاحة : من عنف الغنم منه في الشتاء كثرت نطفها وولدت إنانها توأما وازدادت أصوافها وألبانها ولم يتعرض لها القراد ، وكذلك نحل العسل إذا حرثت منه وهو نافع من كل لدغ ولسع . قال بليناس : من أدام النظر إليه اصفر وجهه . قال ابن سينا : شربه والطلاء به يحيل اللون إلى الصفرة ، وهو من أدوية البق والبرص ويعجن بالعسل لكهوية الدم ضماداً ، وطبيخه يصب على لدغ العقارب يسكن ويشرب للذغ الهوام :

(نرجس) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « شموا النرجس فما منكم إلا من له بين الصدر والفؤاد شعبة من برص أو جنون أو جذام لا يذهبها إلا شم النرجس » وقال جالينوس : من كان له رغيقان فليجعل أحدهما في ثمن النرجس فإن الخبز غذاء البدن والنرجس غذاء الروح . وقال صاحب الفلاحة : إذا قطعت بصل النرجس قطعاً صليدياً أو عبرت فيه شوكتين عبوراً ثم زرعت نبت نرجساً مضاعفاً : وزعموا أن من قطع نظره على النرجس حالة

الجماعة تنعقد شهوته عقدا لاينحل ، وإذا وضعت بصلة على الجراحة التآمت شقوقها . وقال ابن سينا : إنه يخرج الشوك والسلاسيا مع دقيق السلم والعسل ، زهره يجلو الكلف والبهق وينفع من الصداع ، وأكله يهيج القيء ، وإذا شرب منه أربعة دراهم مع ماء العسل أسقط الأجنة الأموات .

(نسرین) قال ابن سينا : البستاني منه يقتل ديدان الأذن وينفع من الطنين والدوى وأوجاع الأسنان ، والبرى منه يطلى به الجبهة يسكن الصداع وينفع من الفواق .

(نضع) قال ابن سينا : إنه يقوى المعدة ويسكن الفواق ويعين على الباه ، والمرأة إذا احتملتها قبل الجماع يمنع الحمل ، ويضمده به الجبهة ينفع من الصداع ومن عضه الكلب الكلب ، عصارته بالخل تمنع سيلان الدم من الباطن . وقال غيره : إذا شرب بالخل يحرك شهوة الباه ويقوى المعدة ويسكن الفواق والامتلاء .

(هليون) حشيشة لها ورق ، وبزره منه جبلى ومنه سهلى . قال ابن سينا : ورقه يطبخ ويشرب ينفع من وجع الظهر وعرق النساء ، وهو نافع من الفالج الرجيح ، أصله يطبخ ويشرب ينفع من وجع الظهر وعسر البول وعسر الحبل ويزيد في الباه وفي مادة المنى ، بزره جيد لوجع الضرس ويدر الطمث ويضرب بالمعدة .

ومن الحكايات العجيبة ما حكى لى صديق أربلى أن بجبال أربل هليوناً كثيراً ، وكان عامل تلك الناحية يتخذ منه كل سنة شرايا يبعثه إلى صاحب أربل ، فوقع الأكراد اللصوص على القافلة ونهبوهم ورأوا آنية الشرب فحسبوا أنها عسل فأكلوا منها وأفرطوا فغلبهم الإسهال حتى ضعفوا وعجزوا عن الحركة ، فرعلهم بعض المارين فلما رأهم على تلك الحالة أخبر صاحب أربل بحالهم فبعث إليهم من حملهم إلى أربل مطروحين على الدواب ، فاستقبل الناس دخولهم يضحكون بهم ويقولون هم سكارى هليون .

(هندبا) قال على كرم الله وجهه ورضى عنه : فى كل ورقة من الهندبا وزن حبة من ماء الجنة . قال ابن سينا : يضمده به النقرس ينفعه وينفع من الرمذ الحار ، ولبن الهندبا البرى يجلو بياض العين أصله مع ورقه ضماداً لسع العقرب والحية والزنبور وسام أبرص ، وينفع من حمى الربيع :

(ورس) نبت بزرع باليمن يشبه السمسم فإذا جف عند إدراكه تفتت خريطته فينفص منها الورس ويزرع نبتة ، يبقى عشرين سنة ، وينفع من الكلف والنمش طلاء فإذا شرب نفع من الوضع وقت الحضا .

(يقطين) هو القرع إذا أردت أن يعظم القرع فدع بزره على الأرض معكوساً عند الزرع . وقال على رضى الله عنه : إذا طبختم اللحم فأكثرهوا القرع فيه فإنه يسلى القلب الحزين :

ومن خواصه أن الذباب لا يقع على شجرته ، ولما خرج بونس عليه الصلاة والسلام من بطن الحوت أنبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين لدفع الذباب حتى صلبت بشرته ، والله الموفق للصواب .
وليكن هذا آخر مقالة النبات ، والله تعالى أعلم .

(النظر الثالث في الحيوان)

أما الحيوان ففي المرتبة الثالثة من الكائنات وأبعد المولدات عن الأمهات لأن المرتبة الأولى للمعادن وهي باقية على الجهادية لقربها من البسائط؛ والمرتبة الثانية للنبات فإنها متوسطة بين المعادن والحيوان بمحصول النشو والنمو وفوات الحس والحركة ، والمرتبة الثالثة للحيوان فإنه قد جمع بين النشو والنمو والحس والحركة وهذه قوى موجودة في جميع أفراد الحيوان حتى في الذباب والبعوض ، أما الحس فلأن الله تعالى لما قضى لكل حيوان أمدا معلوما وأبدان الحيوانات متعرضة للآفات المنسدة بها والمهلكة إياها فاقتضت الحكمة الإلهية لها القوة الحساسة لتشعر بواسطتها بالماضي فقد دفعه عن نفسها إذا أحست بألم فلولا هذه القوة لما أحس الحيوان بالجوع إلى أن يموت بغتة فجأة من عدم الغذاء ولما كان إذا نام فأصاب يده أو رجله تار لم يكن يحس به حتى ينتبه من نومه فإذا هو بلا يد ولا رجل ، وأما الحركة فإن الحيوان لما كان محتاجا إلى الغذاء ولم يكن غذاؤه يكفيه في جميع الأوقات اقتضت الحكمة الإلهية آلات الحركة ليتحرك بها إلى الغذاء ، ولولا القوة لاحتاج الحيوان إلى الغذاء ولم يقدر على المشي إليها فأت جوعا كشجرة لا تجد الماء حتى تجف ، ولما كان إذا أصابه آفة من حرق أو غرق بقي في مكانه حتى أدركه الغرق أو الحرق ، ولما كانت الحيوانات بعضها عدو لبعض اقتضت الإلهية لكل حيوان آلة يحفظ بها نفسه من عدوه :

(فنها) ما يدفع العدو بالقوة والمقاومة كالقيل والأسد والجاموس .

(ومنها) ما يسلم من عدوه بالفرار فأعطى آلة الفرار كالظباء والأرانب والطيور :

(ومنها) ما يحفظ نفسه بسلاح كالقنفذ والشاهين والساحفة .

(ومنها) ما يحفظ نفسه بحصن كالفأر والحية والهوام ، ومقتضى الحكمة الإلهية أن الله تعالى خلق لكل حيوان من الأعضاء ما يتوقف عليه بقاء ذاته ونوعه لازائدا ولا ناقصا ، ولذلك اختلفت أشكالها وأعضاؤها وتنوعت أنواعها بأنواع كثيرة .

روى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله تعالى خلق في الأرض ألف أمة سنائة منها في البحر وأربعمائة منها في البر ، وقال بعض المفسرين : من أراد أن يعرف معنى قوله تعالى - ويخاق مالا تعلمون - فليرقد نارا في وسط حقله بالليل ثم لينظر ما يغشى تلك النار من أنواع الحيوان فإنه يرى صوراً عجيبة وأشكالا

غريبة لم يكن يظن أن الله تعالى خلق شيئاً منها في العالم على أن الذي يغشى تلك النار يختلف باختلاف المواضع من الغياض والجبال والبحار والصحارى فإن سكان كل بقعة يخالف سكان غيرها — وما يعلم جنود ربك إلا هو — فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأوضح برهانه لآله إلا هو سبحانه .

ولندكر الآن بعض أنواع الحيوان وعجائتها وخواصها إن شاء الله تعالى :

(النوع الأول : في حقيقة الإنسان ؛ والنظر فيه أمور)

(النظر الأول : في حقيقة الإنسان)

اعلم أن الإنسان مجموع مركب من النفس والبدن وأنه أشرف الحيوانات وخلاصة المخلوقات ، ركه الله تعالى في أحسن صورة روحاً وبدناً وخصمه بالمنطق والعقل سرّاً وعانته وزين ظاهره بالحواس والحظ الأوفى وباطنه بالقوى ما هو أشرف وأقوى ، وهياً للنفس الناطقة الدماغ وأسكنته أعلى محل وأوفق رتبة ، وزينه بالفكر والذكر والحفظ وسلط عليه الجواهر العقلية لتكون النفس أميره والعقل وزيره والقوى جنوده والحس المشترك مريده والأعضاء خدمه والبدن محل مملكته ، والحواس يسافرون في جميع الأوقات في عالمهم ويلتقطون الأخبار الموافقة والمخالفة ويعرضونها على الحس المشترك الذي هو واسطة بين النفس والحواس على باب المدينة ، وهو يعرضها على القوة العقلية لتختار ما يوافق وتطرح ما يخالف ؛ فمن هذا الوجه فالإنسان عالم صغير ، ومن حيث إنه يتغذى وينمو قالوا نبات ، ومن حيث إنه يحس ويتحرك قالوا حيوان ، ومن حيث إنه يعلم حقائق الأشياء قالوا ملك فصار مجعاً لهذه المعاني فإذا صرف همه إلى جهة من هذه الجهات ليلتحق بها ، فإن كان قد صرف همه إلى الجهة الطبيعية فيكون راضياً من أمر دنياه بالتغذى وتنقية الفضول ، وإن كان إلى الحيوانية فيكون إما غضوباً كسبع أو أكولاً كبقر أو شرهاً كخنزير أو جزعاً ككلب أو حقوداً كجمل أو متكبراً كنمر أو ذاروغان كثعلب أو يجمع هذا كله فيكون شيطاناً مريداً ، وإن كان صرف همه إلى الجهة الملكية فيكون متوجهاً إلى العالم الأعلى ولا يرضى بالمنزل الأسفل والمربع الأدنى فيكون مراداً من قوله عز وجل — وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ، والله الموفق للصواب .

(النظر الثاني : في النفس الناطقة)

قالوا : هو كما أول النفس الطبيعي إلى جهة ما يعقل من الأمور الدكائية .

واعلم أن الإنسان حال ما يكون شديد الاهتمام بالشئ يقول قلت كذا وفعلت كذا وهو في هذه الحالة عالم بذاته غافل عن جميع أعضائه الظاهرة والباطنة ، والمعلوم في هذه الحالة

هو النفس وإنه متقلد لهذه التكاليف متعرض لخطر الثواب والعقاب باق بعد الموت إما في نعيم وسعادة كما قال الله تعالى - بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين - وإما في جحيم وشقاوة كما قال عز من قائل - النار يعرضون عليها غدوا وعشيا - وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في يوم بدر لما قتل صنديد قريش وألقوا في قلب بدر «يا عتبة يا شيبة قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فقيل: يا رسول الله تناديهم وهم أموات؟ فقال: والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع منهم لكلامي لكنهم لا يقدرُونَ على الجواب» وهذه النفس في البدن كالوالى في مملكته والقوى والأعضاء كالخدم له وهو متصرف فيها وإنما مجبولة على طاعته لا تستطيع مخالفته ، فالبدن مملكة النفس ومدينته والقباب واسطة المملكة والأعضاء كالخدم والقوى الباطنة كصناع المدينة والعقل كالوزير المشفق الناصح ، والشهوة طالب أرزاق الخدم ، والغضب صاحب الشرطة وهو عبد مكار خبيث يتمثل بصورة الناصح ونصحه سم قاتل ودأبه أبدا منازعة الوزير الناصح ، والقوة المتخيلة في مقدم الدماغ كالخازن واللسان كالترجمان والحواس الخمس جواسيس وقد وكل كل واحد منهما بأخبار صمغ من الأصقاع ، فقد وكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم الأصوات وكذلك سائرهما فإنها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه الأصقاع ويردونها إلى الحس المشترك الذى هو صاحب البريد وهو يسلمها إلى الخازن والخازن يحفظها لتستعمل النفس منها ما تحتاج إليه وقت حاجتها في تدبير مملكته، وهذه النفس أبدى الوجود لكنه منتقل من حال إلى حال ومن دار إلى دار . وقد ذكر على رضى الله عنه في بعض خطبه : إنما خلقتم للأبد من دار إلى دار تنتقلون من الأصلاب إلى الأرحام ومن الأرحام إلى الدنيا ومن الدنيا إلى البرزخ ومن البرزخ إلى الجنة أو النار ثم تلا قوله عز وجل - منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى - وقال الشيخ الرئيس في تعلق النفس بالبدن واستئناسه به ومفارقة إياه شعرا :

هبطت إليك من المحل الأرفع	ورقاء ذات تعزز وترفع
محبوبة عن كل مقلة ناظر	وهى التى سفرت ولم تبرقع
وصلت على كره إليك وربما	كرهت فراقك وهى ذات تفجع
أنفت وما سكنت فلما استأنست	أنفت مجاورة الخراب الباقع
وأظنها نسيت عهدا بالحمى	ومنازلا بعراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها	من ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها هاء الثقيل فأصبحت	بين المعالم والطول الخضع
تبكى إذا ذكرت عهدا بالحمى	بمدافع تهمنى ولما تقطع
إذ عاقها شرك الكئيف وصدها	قفص عن الأوج الفسيح المربع

وتظل ساجدة على الدمن التي
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى
وغدت مفارقة لكل مخلف
سمعت وقد كشف الغطاء فأبصرت
وعدت تغرد فوق ذروة شاهق
فلأى شيء أهبطت من شاهق
إن كان أهبطها الإله لحكمة
فهبوطها إن كان ضربة لازب
وتكون عالمة بكل حقيقة
وهي التي قطع الزمان طريقها
فكانها برق تألق بالحمى

زعموا أن هذه النفوس في هذا العالم الجسائي وما قد ابتلى به من آفات هذا البدن كرجل حكيم في بلد أوقرية وقد ابتلى بعشق امرأة رعناء فاجرة سيئة الخلق وهي في أكثر الأوقات تطالبه بالمأكول الطيب والمشروب اللذيذ والثياب الفاخرة والمسكن المزخرف والشهوات المردية وإن ذلك الحكيم من شدة محنته بعظم محبتها وعظم بلائه بصحبته قد صرف كل همته إلى إصراف أمرها وأكثر عنايته إلى إصلاح شأنها ، وقد نسى أمر نفسه وإصلاح شأنه وبلدته وأقاربه الذين نشأ فيهم ونعمته التي كان فيها ، ولا راحة لهذا الحكيم إلا بمفارقة هذه المرأة والتسلي عن حبها ، ولكنه إن سمع هذا الحديث تنشق مرارته من خوف مفارقتها ، ولا يخفى أن النفوس جواهر روحانية لا حاجة لها إلى الأكل والشرب واللباس والنكاح فإن كل ذلك مما يحتاج إليه البدن في قوم وجوده ، والنفس مادام مع هذا البدن تكثر همومه لإصلاح هذا البدن ولا راحة للنفس دون مفارقتها كما قلنا إن الحكيم المبتلى يجب الموهبة لراحة له إلا بمفارقتها والسلو عنها ، والله المستعان ، وعليه التوكل .

(فصل : في نفوس عجيبة التأثيرات)

ذهب أهل الحق إلى أن النفوس مختلفة بحسب جواهرها ، فمنها نفوس علوانية نورانية لها شعور بعالم الأرواح فتستفيد بالفيز من عالم الأرواح أموراً عجيبة ، ومنها نفوس كثيفة كدرة مشغوفة بالجسائية لاحظ لها من عالم الأرواح . وذهب بعض الحكماء إلى أن النفوس الناطقة جنس تحت أنواع وتحت كل نوع أفراد لا يخالف بعضها بعضاً إلا بالعدد وكل نوع منها كالولد لروح من الأرواح السماوية وهذا هو الذي تسميه أصحاب الطلسمات بالطابع التام ، ويؤمنون أنه يتولى إصلاح تلك النفوس تارة بالمنامات وتارة بالإلهامات وتارة بالنفث

في الروح ، فمن النفوس الفاضلة نفوس الأنبياء صاوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإن الله تعالى لما أراد أن يجعلهم قدوة للخلق جمع في نفوسهم أنواع الفضائل ونفى عنها أصناف الرذائل لاقتداء الخلق بهم وأظهر عليها الآثار العجيبة لانقياد الخلق إليهم .

(ومنها نفوس الأولياء) فإنها لما كانت تابعة لنفوس الأنبياء مشبهة بها صدرت عنها آثار عجيبة كما ذكرنا في مقامات الزهاد والعباد والعارفين من شفاء المرضى باستشفائهم وسقى الأرض باستسقيهم وصرف الوباء والمؤذيات بدعائهم وتبدل نفرة الطيور بالهدو والوقوع ووصول السباع بالبصبة والخضوع ، وأولى غير ذلك من الأمور التي تحكى عنهم .

(ومنها نفوس أصحاب القراسة) وهي نفوس تستدل بالأحوال الظاهرة على الأمور الباطنة وإنه استدلال صحيح ، وقد قال الله تعالى - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » .

حكى أبو سعيد الخراز قال : رأيت في الحرم رجلا فقيرا ليس عليه إلا ما يستر عورته غانفت نفسي منه ففترس في ذلك وقال - واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه - فندمت على ذلك واستغفرت في نفسي فقال - وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات - :

وحكى أن الشافعي رضى الله تعالى عنه ومحمد بن الحسن رحمة الله عليهما رأيا رجلا ، فقال أحدهما : إنه نجار ، وقال الآخر : بل حداد ، فسألا عنه فقال : كنت حدادا قبل هذا والآن صرت نجارا .

وحكى عبيد الله بن ظبيان وكان أميرا من أمراء العراق فنادى إنه كان يترصد الفتك بالحجاج مدة . قال : فظفرت به يوما كان واقفا على باب داره وحده فقلت في نفسي الآن وقته ففترس ذلك في وبق بيني وبينه مقدار رمح ، فقال لي : أخذت كتابك من فلان ؟ فقلت لا . قال : امض إليه فإن كتابك معه ، فلما سمعت اسم الكتاب تركت عزمي وانصرفت لطلب الكتاب فأدركني عدوانه .

(ومنها نفوس أصحاب القيافة) والقيافة على ضربين : قيافة البشر ، وقيافة الأثر : أما قيافة البشر فالاستدلال بهيئات الأعضاء على الإنسان ، ويختص هذا الاستدلال بقوم من العرب يقال لهم بنو مدليج يعرض على أحدهم مولود في عشرين امرأة فيمن أمه يلحقه بها : (حكى) بعض التجار قال : ورثت من أبي مملوكا أسود شيخا فكنت في بعض أسفاري راكبا على بعير والمملوك يقوده ، فاجتاز علينا رجل من بني مدلاج أمعن فينا نظره وقال : ما أشبه الراكب بالقائد ، فوقع في قلبي من قوله ما وقع حتى رجعت إلى أمي وأخبرت بها بما قال المدلجي ، فقالت : صدق والله المدلجي ، اعلم يا بني أنه كان زوجي شيخا كبيرا

ذامال لم يولد له ولد ، فخشيت أن يفوت ماله عنا بموته فمكنت نفسي من هذا المماوك
الأسود فحملت بك ، ولولا أن هذا شيء ستعلمه في الآخرة ما أخبرتك في الدنيا .

(وأما قيافة الأثر) فالاستدلال بآثار الأقدام والخفاف والحوافر ، وقد اختص هذا
الاستدلال بقوم في المغرب أرضهم ذات رمل فإذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق
تبجوا آثار قدميه حتى يظفروا به . ومن العجب ما حكى أنهم يعرفون أثر قدم الشاب من
الشيخ والرجل من المرأة والغريب من المتوطن .

(ومنها نفوس الكهنة) وهي نفوس تتاقى الروحانيات وتكتسب أحوال الكائنات
التي تدل عليها المنامات وغيرها من الحادثات .

حكى أن ربيعة بن نصر اللخمي رأى رؤيا هائلة فبعث إلى أهل مملكته يسأل عن تفسيرها
فقالوا: ليعث الملك إلى سطيج وشق فلا يجد أعلم منهما بها فبعث إليهما فقلما ، فقال الملك
لسطيج : رأيت رؤيا هالتي فأخبرني بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها ، فقال سطيج :
رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض نعمة فأكلت منها كل ذات جمجمة ، فقال
الملك : ما أخطأت منها شيئا فما تأويلها ؟ فقال : ليهبطن بأرضكم الحبش وليلكن ما بين آيين
وجرش ، فقال الملك : يا سطيج إن هذا لغائظ ، فأخبرني متى هو كائن في زماني أم بعده
فقال : بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضين من السنين ، ثم يقتلون بها أجمعين
أو يخرجون منها هارين ، فقال الملك : ومن الذي يملك قباهم ؟ قال : ابن ذى يزن يخرج
عليهم من عدن ولا يترك منهم أحدا باليمن . قال الملك : أيدوم ملك ذلك أم ينقطع ؟ قال :
بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكي كريم عظيم يأتيه الوحي من قبل العلي . قال
الملك : ومن هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك
في قومه إلى آخر الدهر ، قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم يوم يجمع فيه الأولون
والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال : أحق ما تخبر به ؟ قال : نعم ،
والشفق والقمر إذا اتسقا إن ما نباتك به لحق : فلما فرغ من حديثه دعا بشق وخاطبه مثل
ما خاطب سطيجا وكم جواب سطيج لينظر أيتفان أم يختلفان ؟ فقال شق : رأيت جمجمة
خرجت من ظلمة فأكلت منها كل ذات نسمة ، فعلم الملك اتفاقهما : فقال : ما أخلت بشيء
منها يا شق فما تأويلها ؟ قال : لينزلن أرضكم السودان وليلأون ما بين آيين ونجران ، فقال
الملك : إن هذا لغائظ ، فمتى هو كائن في زماني أم بعده ؟ فقال : بل بعده بزمان ثم ينقدكم
منه عظيم دوشان ويذيقهم أشد الحران . قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟ قال : غلام من بني
ذى يزن يخرج من عدن . قال الملك : أيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع
برسول من الرسل يأتي بالحق والعدل من أهل الدين والفضل يبقى الملك في قومه إلى

يوم الفصل ، ثم إنه اتفق استيلاء الحبشة على اليمن وملكوها إلى أن جاء سيف بن ذى يزن إلى كسرى واستنجده فأمدّه بعساكره برا وبحرا وقتلوا الحبشة قتلا ذريعا وأخرجوهم من اليمن ، وملكها سيف بن ذى يزن فاجتمع على بابه رؤساء العرب ودخل عليه عبد المطلب ابن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فأكرمه وخلع عليه وقال : إنا نجد في كتبنا أن هذا الملك صائر إلى أحد أولاده فليتني كنت أدركه .

(ومنها نفوس أصحاب العرافة) وهي نفوس تستدل ببعض الحوادث على بعض لمناسبة بينهما أو مشابهة خفية :

كما حكى أن الإسكندر تملك بعض البلاد فدخل هيكلها فوجد فيها امرأة تنسج ثوبا فقالت : أيها الملك أعطيت ملكا ذا طول وعرض ، ثم دخلها والى بلدها فقالت له : إن الإسكندر سيعزلك ، فغضب الوالى فقالت : لا تغضب إن النفوس تعلم أمورا بعلامات فإن الإسكندر لما دخل كنت أدبر طول الثوب وعرضه ، وأنت لما دخلت فرغت منه وأردت قطعه فكان الأمر كما قالت .

وحكى أن سيف بن ذى يزن لما استنصر بكسرى على قتال الحبشة بعث إليهم كسرى في جند عظيم برا وبحرا ، فخرج إليهم ملك الحبشة مسروق بن أبرهة في مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حمير وكهلان ، فصادف التوم وكان بين عيني مسروق بن أبرهة ياقوتة حمراء معلقة من تاجه بعلاق من الذهب تضيء كالنار وهو على فيل عظيم فقاتل عليه ساعة ثم نزل عن الفيل وركب جملا ساعة ثم نزل عن الجمال وركب فرسا ساعة ، ثم أنف من محاربتهم على الفرس استصغارا لأصحاب سيف فدعا بحمار فركبه ، فتأمل هر مزدك وقال : احموا عليه فإن ملكه قد ذهب انتقل عن كبير إلى صغير ، فحمالوا عليهم وكشفوا الحبشة فأخذتهم السيوف من كل جانب وقتلوا مسروق بن أبرهة وخواصه .

وحكى عن علي رضي الله عنه أنه لما جلس للبيعة فأول من بايعه طلحة بن عبيد الله ؛ فبايعه بيده وكانت يده شلاء فتطير منها على رضي الله عنه وقال ما أخلقه أن ينكث ، فكان كذلك ولم تصف له الخلافة إلى أن درج إلى رحمة الله تعالى .

وحكى إبراهيم بن المهدي قال : بعث إلى الأمين فسرت إليه فإذا هو جالس في طارم خشبها عود وصندل مزين بأنواع الحرير والديباج الأخضر والذهب الأحمر ، وإذا سليمان ابن منصور معه في القبة وبين يدي الأمين قلدح من باور محروط وكان شديد الإعجاب به فقال : إنما بعثت إليك لما بلغني وصول طاهر بن الحسين إلى النهروان وقد صنع في أمرنا من المكروه ما صنع فدعوتكما لأفرج همي بكما ، فأقبلنا نحدثه فدعا بجارية تسمى صعب ، فخطيرنا بها لاسمها فأمرها أن تغني فغنت :

أبكي فراقهم عيني فأرقها إن التفرق للمشاق بكاء
ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر عدا
فزجرها وتطير من قولها وقال لها: لعنك الله ما عرفت غير هذا؟ فقالت: ياسيدي ما قصدت
إلى ما نطقت إلا أنك تحبه فعاد إلى حزنه ، فأقبلنا نحدثه إلى أن ضحك ، ثم أقبل وقال لها :
هاتي ما عندك فغنت :

هو قتلوه كي يكونوا مسكانه كما فعلت يوما بكسرى مرآبه
بني هاشم كيف التواصل بيننا وعند أخيه سيفه ونجائبه
فزجرها وعاد إلى الحالة الأولى فسلينا حتى عاد إلى الضحك ، وأقبل عليها في الثالثة
وقال لها : غني فغنت :

أما ورب السكون والحرك إن المنايا شديدة الشرك
ما اختلف الليل والنهار ولا دار نجم السماء في فلك
إلا بنقل النعيم عن ملك قد انتهى ملكه إلى ملك
وملك ذى العرش دائم أبدا ليس بفان ولا بمشرك
فقال لها ، قومي لعنك الله ، فقامت فعثرت بالقدح الذي كان بين يديه فكسرتة ،
وكانت ليلة مقمرة ونحن على شاطئ دجلة فقمنا متعجبين مما شاهدنا متفكرين في أمره
فسمعنا قائلاً يقول - قضى الأمر الذي فيه تستفتيان - وكان ذلك آخر الاجتماع به .
وحكى صاعد بن محمود النهاوندي أنه كان ببغداد عراف من الطرقيين يخبر بأشياء قلما
يخطف فيها ، فجاءه رجل وقال له : إن لي مسألة إن أصبت فيها فلك كذا وكذا ، فقال :
سلها ، فقال : إن أخرجتها لك لا أطمئن إلى جوابها ، فكث يسيراً ثم قال : تسألني عن
محبوس؟ فقال: أصبت والله فأخبرني عن حبسه؟ فقال الشرط أملك إذا وفيت بالوعد أخبرتك
بحاله ففضي الرجل إلى بيته وأتاه بما وعده به وقال : أخبرني عن حبسه ؟ فقال : إنه يخرج
عن قريب ويخلع عليه ، فلم يمض أيام حتى كان الأمر على ما قال ، فأنى السائل إلى العراف
وقال له : أخبرني بكيفية معرفتك أمر هذا المحبوس ؟ فقال له : أعلم أني إذا سئلت عن شيء
أنظر أمانى وعن يميني وعن يساري فإن رأيت شيئاً يكون بينه وبين المستول مناسبة أو مشابهة
أجبت على وفق ذلك ، فإنك لما سألتني رأيت قرابة فيها ماء مع رجل سقاء فقلت السؤال
محبوس ولما سألتني ثانيا رأيت تلك القرابة بعينها قد أفرغت وألقاها الرجل السقاء على منكبه
فقلت يخرج ويخلع عليه ، والله أعلم بغيبه .

(النظر الثالث في تولد الإنسان)

اعلم أن الغذاء إذا ورد المعدة وأثرت فيها القوة الهاضمة تصفيه وتجذب ما فيه إلى الكبد فالكبد يقسمه على جميع البدن وما فضل من الغذاء في الهضم الأخير يبعث إلى النخاع ومن النخاع إلى الأثنين فيستحيل فيهما إلى طبيعة المنى يدغدغ ويهيج اضطراب القدم فلا يسكن إلا بنفض تلك المادة فيكون ذلك سبب اجتماع الذكر والأنثى ، فإذا حصلت النطفة في الرحم صار نطفة الذكر والأنثى ممزجين على شكل كرة فتتعقد عليها بحرارة الرحم قشرة رقيقة كما ترى في العجين إذا وضع في شيء حار وتتشبث بها أفواه العروق التي يرد منها دم الحيض إلى الرحم ، ثم إن القوة المصورة بإذن الله تعالى تجمع دهنية النطفة فتأخذ منها حصة إلى الوسط إعداداً للقلب ومن عن يمينه حصة الكبد ومن أعلاه حصة الدماغ ، ثم تخلق السرة متصلة بوريد وشريان وهذا يتم في ستة أيام ، ثم تأخذ في التخطيط والتنقيط ويتم ذلك إلى خمسة عشر يوماً ، ثم ينغذ دم الحيض في جميع الكرة فيصير علقة ، وبعده بانثى عشر يوماً تصير الرطوبة لحماً متميز الأجزاء وتمتد رطوبة النخاع فإنه أساس البدن ، وبعده بسبعة أيام ينفصل الرأس عن المنكبين والأطراف من الضلوع والبطن إلى أربعين يوماً ، ثم تظهر عظامه وتكسى باللحم المتولد من دم الحيض كما قال الله تعالى - ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين - .

(فصل : في وضع الجنين في الرحم)

قال بقراط : إنه جالس ورأسه على ركبتيه وعضدها ملتصقتان بأضلاعها ويدها حاملتان لرأسه ، ورأسه نحو رأس الأم ورجلاه نحو رجليها مقبوض الأعضاء على غاية ما يمكن من الهدام ووجهه إلى صلب حاملته وصلبه إلى مراقها وكونه على هذا الوضع بعناية الله عز وجل وذلك أن الرأس أثقل من سائر الأعضاء فاحتيج إلى ما يحمله فأستند بالركبتين والركبتان ضعيفتان رطبتان تخفف عنهما بأن عاوتهما اليدين في الحمل ، وصير الوجه إلى جانب صلبها ليكون أحفظ من المصادمات بدفع الصلب إلى جهة مراقها لأن صلبه أبعد عن قبول الآفة لأن هذا الوضع موافق لجدا لسهولة الولادة لأن رأسه إذا كان قريباً من رجليه وانحل الرباط من الرحم جاء على رأسه ثقيل يهوى إلى أسفل بسرعة ، وأيضاً فإن أقرب الأشكال إلى المستدير المنحني والمستدير أبعد عن قبول الآفات فلذلك جعل شكل الجنين على هذا الوجه ليكون أبعد عن قبول الآفات ، ولأن القلب الذي هو ينبوع الحياة يكون محفوظاً وأن شكاه على هذه الهيئة ضروري الوقوع لأن الجنين في موضع ضيق فجمع بالحكمة الإلهية سائر أعضائه

وجعله كالكرة ليسعى في ذلك الموضع الضيق ، كما أننا نحن إذا كنا في موضع ضيق جمعنا أعضائنا فيكون شكلنا قريبا من شكل الجنين في الرحم .

(فصل في سبب الذكورة والأنوثة)

زعم بعضهم أن السبب لذلك زيادة حرارة خلقها الله تعالى للمادة التي يخلق منها الذكر ونقصانها في المادة التي يخلق منها الأنثى وكذلك تبرز أعضاء التناسل من هذا وتختفي من هذه ، ثم إذا كانت الحرارة الغريزية في أصل الخلق كاملة خرج الذكر تام الأعضاء قوى التذكير وإن نقصت نقصت قوة تذكيره فتشبه أفعاله أفعال النساء وهكذا قوة التأنث فإن من الإناث من تشبه أفعاله أفعال الرجال ، إذا تصورت هذه المراتب فربما يقع فيها مرتبة بعيدة الاتفاق فيكون المولود لا ذكر ولا أنثى بل مختل ، ومنهم من زعم أن الأغلب على خلقة الذكور وقوعها في الجانب الأيمن من الرحم وفي خلقة الأنثى وقوعها في الجانب الأيسر ، وربما يعين على الإناث الفصل الحار والبلد الحار والريح الجنوب وسن الكهولة كما أن أصداده تعين على الذكور وهو الفصل البارد والبلد البارد والريح الشمال وسن الشباب . وزعم قوم أن نطفة الذكر إن جرت من يمينه إلى يمينها كان الولد ذكرا تام الذكورة ، وإن جرت من يساره إلى يسارها كان الولد أنثى تام الأنوثة ، وإن جرت من يمينه إلى يساره كان ذكرا مؤنثا كما ترى في الرجال من تشبه أفعاله أفعال النساء ، وإن جرت من يساره إلى يمينها كانت أنثى مذكرة كما ترى في النساء من تشبه أفعالها أفعال الرجال ، والله تعالى أعلم .

(فصل : في وضع الحمل)

اعلم أن القوة الإلهية إذا كملت في المولود أبرزته القوة الموجودة في الرحم إذ لو بقي في الرحم بعد كماله لاحتاج إلى غذاء كثير لكبره ولا يسهل خروجه لكبره والوعاء لا يحمله فيفضي إلى هلاكه وهلاك أمه ، فإذا كمل المولود كفت القوة الماسكة عن الإمساك وتحركت الدافعة للدفع ، وهو أيضا يتحرك بيديه ورجليه فينشق الغشاء المطيف به وانحل رباط الجنين فيقع كالشيء الواقع من أعلى إلى أسفل ، فعند ذلك ينقبض قعر الرحم وينفتح عنقه ويبتدىء بالبرطوبات التي كانت في الأغشية قبل ورود الجنين لينزلق الجري فيسهل الخروج ، والخروج إذا كان طبيعيا يبتدىء بالرأس لأن أعاليه أثقل من أسفله فإن من السرة إلى الرأس أنقل مما هو من السرة إلى اللقمة أولاً ثم يتبعه الخفيف بتقدير العزيز العليم .

(النظر الرابع في تشريح أعضاء الإنسان)

اعلم أن في تشريح الأعضاء من العجائب ما تحير فيها عقول الأولين والآخرين ، وقصر عن إدراك بعضها فهم الخلق أجمعين ، ولكثرة ما فيها من العجائب قال جل من قائل — وفي أنفسكم أفلا تبصرون —

ولنذكر شيئاً من عجائب أعضاء الإنسان والأسرار المودعة فيه وفي تركيبها إن شاء الله تعالى فنقول : الأعضاء أجسام متولدة من أول مزاج الأخلاط، وهي على قسمين : متشابهة ومركبة .

(القسم الأول المتشابهة)

وهي التي يكون حدها كلها حد خروجها ، وهي أنواع :

(النوع الأول : العظام) وهي أجسام صلبة جعلت قواماً للبدن ودعامة تنشأ منها الرطوبات وتمتد من بعض الأعضاء إلى بعض فيشدها ويقويها ويكون له بها الاعتماد في الحركات ، ولم يتم ذلك بشيء من الأعضاء الرخوة كاللحم فاقتضت حكمة البارئ تعالى خلق العظام لتلك المنافع ، فمنها ما يكون للبدن كالأساس مثل فقار الصلب فإن البدن يبني عليه كالخشبة التي تبنى عليها السفينة ، ومنها ما يقيسه قياس الخن كعظم اليافوخ ، ومنها ما هو كالدافع يدفع به المؤذي كالأساس على فقار الظهر ، ومنها ما هي لسد فرج بين التناسل كالعظام السمسمانيات بين السلاميات ، وما خلق للدعامة والوقاية خلق مصمماً لزيادة الحاجة إلى صلابته ، وما كان لأجل الحركة خلق مجزئاً ليكون جرمه خفيفاً وجوفه يكون محل غذائه وهو المخ فيغذيه ويرطبه كيلا يتفتت . والحكمة في أن كل عضو خلق من عظام لامن عظم واحد لأن الآفات صائبة لها ، فعند ذلك يسلم الآخر بخلاف ما إذا كان عظماً واحداً فإن الآفة إذا أصابت بعض أطرافها صار السكل مروجوعاً ، وأيضاً عند الحاجة إلى حركة بعضها لا يفتقر إلى حركة لأن السكل وجميع العظام إذا عدت تكون مائتين وثمانية أربعين عظماً سوى السمسمانيات وعظم الحنجرة الشبيهة باللام .

(النوع الثاني : في الغضروف) وهو جسم متوسط بين اللحم والعظم في الصلابة واللين يثبت على أطراف العظام في موضع دعت الحاجة فيه إلى العظم وإلى اللحم فيدخل الغضروف بينهما حتى لا يتأذى اللحم بصلابة العظم ولا يتألم العظم برطوبة اللحم . وأيضاً إنها آلات الحركة والاحتكاك تكسر اليابس وتفسخ الرطب فاحتاج إلى متوسط لا ينكسر ولا ينفسخ برطوبته وهو الغضروف .

(النوع الثالث : العصب) وهو جسم لين لادن ينشأ من الدماغ والنخاع كنهراً يأخذ من عين فالعين الدماغ والنخاع . وفائدته الحس والحركة لسائر الأعضاء ؛ ولما كان الدماغ غير محتمل للأعصاب ينشأ منها ويصل إلى أقصى غاية البدن أجرى الله تعالى منها نهراً في الدماغ ليتشعب منه الجداول وتصل إلى جميع أجزاء البدن ، وأما أعصاب الرأس فتفيد الحس والحركة للوجه والأعضاء الباطنة ، وأما سائر الأعضاء الظاهرة فإنها تستفيد بالحس والحركة من النخاع .

(النوع الرابع : الرباط) وهو جسم كالعصب في الشكل إلا أنه أصلب منه ينشأ من العظام

فيربط بعضها ببعض . ولما كانت الحركة الإرادية إنما تكون بقوة تفيض من الدماغ بواسطة العصب ، والعصب لدن لطيف لا يحسن اتصاله بالعظام بلطف البارئ تعالى بإنبات جسم من العظام شبيه بالعصب أصلب منه وألين من العظام وهو الرباط ليحسن اتصال العصب بالعظام بواسطته .

(النوع الخامس : اللحم) وهو جسم حار رطب . من منافعها معاونة الأعصاب والشرايين والأوردة فإنها باردة يابسة ، فلولا حرارة اللحم لأنها الهواء من خارج وأفسدها ، ولما كانت هي حوامل الروح والغذاء واحتاجت إلى الخضم ولا يتم ذلك بنفسها خلق الله تعالى معيناً من اللحم محيطاً بها ليتم الخضم الجيد ، ومن منافعها حشو خال العظام فيستوى شكل الأعضاء به كما يستوى البناء بالطين فيفيدها حسناً وزينة .

(النوع السادس : الشحم) وهو جسم حار لطيف هوائى خاق على أطراف العضل ومواقع العصب فإنهما آلة الحس والحركة فافتقرت إلى موادة في الفعل والانفعال وذلك إنما يتم بالحار الرطب . ولما كان العصب بارداً يابساً ألحق بالشحم يسخنه ويعينه على هضم الغذاء وإنضاجه ولم يلحقه باللحم كالعروق ، لأن الغرض من اللحم هضم ما في داخل العروق فحسب ، والغرض من الشحم تسخين العصب على وجه لا يمنع من سرعة الحركة ، فلو ألحق بجسم غليظ كاللحم تسمرت حركته وتبلد جسمه ، وكما قلنا إن مثال اللحم كطين البناء فكذلك أمثال الشحم كجصته .

(النوع السابع : الشرايين) وهى جداول مضاعفة لأنها وعاء الروح خلقت ذات صفاقين إلا واحدة منها فإن الشرايين تحمل الروح الحيوانى من القلب إلى سائر البدن كالزيت للمصباح وإنما خلقت ذات صفاقين صيانة للروح التى فيها واحتياطاً بحفظها فيطلع من القلب شعبتان إحداها إلى الرئة وإنها ذات طبقة واحدة ليسكون أسلس وأطوع للانبساط والانقباض عند الاستنشاق ، والشعبة الأخرى تنقسم قسمين أحدهما يمضى صاعداً والآخر إلى أسفل حتى استوعبا جميع البدن .

(النوع الثامن : الأوردة) وهى جداول تشبه الشرايين إلا أنها ذات طبقة واحدة لأن ماتحويه من الدم أغلظ مما تحويه الشرايين وتنشأ من الكبد وتحمل الغذاء إلى سائر الأعضاء ، وأول ما ينبت من الكبد عرقان : أحدهما من الجانب المحذب ومنفعته جذب الغذاء من الكبد ويسمى الباب ، والآخر من الجانب المحذب ومنفعته اتصال الغذاء من الكبد إلى سائر الأعضاء . ويسمى الأجوف .

(النوع التاسع : الثرب) وهو جسم شحمى خص بإلحاق المعدة من قدام ليفيدها حرارة مع سهولة الانبساط إذا امتلأت المعدة من الغذاء .

(النوع العاشر : الغشاء) هو جسم فتسج من ليف عصباني كنسيج الثياب ينسبط على سطوح الأعضاء التي لاحس لها يحويها كاللفائف فيصير لها حافظاً يحفظ جواهرها وأشكالها على هيئاتها ومنبها لها على المؤذى إذا طرأ عليها .

(النوع الحادى عشر : الجلد) وهو جسم مركب من الشظايا العصبية والرباطية والأجزاء الشعرية من العروق بنسج بعضها في بعض كما ينسج الغشاء فيحل البدن بأسرها فيحفظ ما تحويه لصلابتها ويشعر بسبب الحسن بما يوافقته ويخالفه ، وهو مفيض فضولا إلى أعضاء البدن الظاهرة لأنها تدفع الفضول من العروق والوسخ إلى المسام .

(النوع الثانى عشر : المخ) وهو جسم مناسب لطبيعة العظام خلقت في تجاويف العظام لغذائها وذلك أن حرارة الدم ورطوبته اعتدلت ببرودة العظم ويبوسته فصار غذاء صالحا للعظم ، والله أعلم بالصواب .

(القسم الثانى من الأعضاء المركبة)

وهو على نوعين ظاهرة وباطنة

أما الظاهرة فأنواع : الأول الرأس . ولما كان الرأس محل السمع والبصر وهما محتاجان إلى مكان عال لأن محل الديدبان لا يصلح إلا عاليا ليطلع على الأخبار من البعد ويخبرها اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الرأس في أعلى موضع من البدن وخلق مستديرا لأن الشكل المستدير أكثر مساحة من غيره من الأشكال وقد احتيج إلى زيادة المساحة لكثرة ما تضمها ، والشكل الكروى أحسن الأشكال ولا ينفعل من المصادمات انفعال ذى الزوايا وخلق مستديرا إلى الطول لأن منابت الأعصاب الدماغية موضوعة في الطول ، وخلق الجمجمة صلبة حاوية للدماغ لتمنع الآفات عنه كالبيضة التى يتوقى بها الرأس ، وخلقت مركبة من عظام ليبقى بعضها ساجا إذا أصاب البعض آفة .

(فصل : فى العين)

لما كانت الحاجة إلى العين ماسة اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون فى غاية الرقة واللين وقاها بضرور كثيرة من الوقاية ، فوضعها فى حفرة من العظم وجعل حولها عظاما صلبة وغطاها بالأجفان وصانها بالأهداب وجعلها عينين اثنتين ، حتى لو أصاب إحدهما آفة بقيت الأخرى سليمة ، وجعلهما فى الرأس لأن حاسة البصر بمنزلة الديدبان وأنه كلما كان أعلى مكانا كانت مسافة مبصراته أكثر ، ولأن العصبية التى فيها الروح الباصرة رقيقة جدا نازلة من الدماغ لا تحمل مسافة بعيدة وقد وضعت أمام البدن لتكون حارسة للأعضاء التى غطاؤها ضعيف كالبطن وغيره ، ولأن عمل الأعضاء الخارجة كاليد والرجل من قدام لتكون مشاهدة لأعمالها

وهي سبع طبقات . وتركيبها أنه ينشأ من الدماغ من تحت القحف عصبية مجوفة تنتهي إلى قعر العين وعليها غشاءان أحدهما غليظ والآخر رقيق ، فإذا صارت إلى عظم العين فارقها الغشاء الغليظ وصار لباساً وغشاء لعظم العين وتسمى الطبقة الصلبة ، ويفارقها أيضاً الغشاء الرقيق وبصير لباساً وغشاء دون الطبقة الصلبة وتسمى الطبقة المشيمية لشبهها بالمشيمة ، وتعرض العصبية نفسها أن تصير غشاء بين الغشاءين المذكورين ويسمى الغشاء الشبكي ، ثم يتكون في وسط هذا جسم لين رطب في لون الزجاج يسمى الرطوبة الزجاجية ، ويتكون في وسط هذا الجسم جسم آخر مستدير إلا أنه مفرطح شبيه بالجليد في صفاته وتسمى الرطوبة الجليدية وتحيط الزجاجية بالجليد بمقدار النصف ويعلو النصف الآخر جسم شبيه بنسيج العنكبوت شديد الصفاء والصفال وتسمى الطبقة العنكبوتية ثم يعلو هذا الجسم جسم سائل في لون بياض البيض تسمى الرطوبة البيضية ، ثم يعلو الرطوبة جسم رقيق أملس الخارج يختلف لونه في الناص فر بما كان شديد السواد وربما كان دون ذلك وفي وسطه حين يحاذي الجليد ثقب يتسع ويضيق في حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية إلى الضوء فيضيئ عند الضوء الشديد ويتسع في الظلمة وهذا الثقب هو الحدقة ، ويسمى هذا الغشاء الطبقة العينية ويعلوها ويغشاها جسم كثيف صاف شبيه بصفيحة رقيقة من قرن أبيض وتسمى الطبقة القرنية غير أنها تتكون بكون الطبقة التي تحتمل المسماة العينية ، ويعاها ويغشاها إلى موضع سواد العين في حوله جسم أبيض اللون صلب يسمى الملتحم وهو بياض العين ونباته من الجلد الذي خارج القحف ونبات القرنية من الطبقة الصلبة ونبات القرنية العينية من الطبقة المشيمية ونبات العنكبوتية من الطبقة الشبكية ، والله الموفق .

(أما الروح الباصر) فإنه في جوفه عصبتان يبتدئان من غور البطنين المتلازمين المقدمين من الدماغ نبتاً يصير النابت منهما يساراً ونبتاً يصير النابت منهما يمينا ثم يلتقيان على مقاطع صلبى ، ثم ينفذ النابت يمينا إلى الحدقة اليمنى والنابت يساراً إلى الحدقة اليسرى . ولوقوع هذا التقاطع منافع : منها أن الروح السائل إلى أحد الحدقتين لا يكون محجوبا عن الأخرى وإذا عرضت لإحدهما آفة صار الروح الناظر من الطرفين إلى العين السليمة ، ولذلك ترى إحدى الحدقتين أقوى إبصارا إذا غمضت الأخرى لقسوة اندفاع الروح الباصر إليها . وأما منافع الطبقات والرطوبات فكثيرة والحاجة إليها للطبيب ليس كتابنا بصدد ، وأما الجفن فنشؤه من الجلد الذي هو على خارج القحف والرأس ، وفيه ثلاث عضلات تأتي اثنتان من جهة الموقين يجذبان الجفن إلى أسفل جذبا متشابهاً ، وأما فتح الجفن فيكفيه عضلة واحدة تأتي من وسط الجفن فينبسط طرف وترها على طرف الجفن فإذا نشجت فتحت العين ، وأما الجفن الأسفل فإنه لا عضلة فيه وجعل الأسفل أصغر من الأعلى لأن الأعلى يستر الحدقة مرة ويكشفها أخرى بتحركه ، وأما الأسفل فإنه غير متحرك فلوزيد على هذا القدر استر

شيئا من الحدقة دائما ولكن فضول العين تجتمع فيه ولا يسيل ، وأما منفعته فليمنع نكاده ما يلاقى الحدقة من خارج ويمنع عند إطباقها وصول الغبار والدخان والشعاع ويصقل الحدقة دائما ويبعد عنها ما أصابها من الهباء والقذى ، وأما الأهداب فإنها بمنزلة السياج حول العين يمنع عن الحدقة بعض الأشياء التي لا يمتنعها الجفن مع انفتاح العين كما ترى عند هبوب الريح الذي يأتي بالقذى فتفتح أدنى فتح وتصل الأهداب الفوقانية بالسفلانية فيحصل منها شبه شبك لينظر من ورائها فتحصل الرؤية مع اندفاع القذى ، والله أعلم .

(فصل : في الآذان)

ولما كانت القوة السامعة لا تفيد السمع إلا بواسطة قرع الصوت الهواء ووصول ذلك الهواء إلى الدماغ فاقترضت الحكمة الإلهية مجرى السمع في عظم صلب ذى عطفات وتعاريج كثيرة إلى أن ينتهي إلى عصبيتين ناشئتين من الدماغ ، وذلك العصب لو كان بارزاً لأضر به الهواء البارد فيخرج من حد الاعتدال بملافة أدنى برودة لأن طبعه بارد فجعل كامنا في الدماغ لهذا المعنى ، وقد جعل مجراه مفتوحا أبدا ليصل إليه الهواء المقروع دائما فيسمع ما يشاء وما لم يشأ . ولما كان في فتحه سعة وكان متعرضا لآفات البرد والغبار ومصادمة الهواء المقروع بعنف كالرعد والصيحة العظيمة جعل مجراه ذا عطف وتعاريج على هيئة اللولب لئلا يصل الهواء إلى السمع دفعة واحدة بل يبقى في العطف ويرد على السمع شيئا فشيئا وتسكن شدته في التعاريج فيفهم بالتأني ، وجعلت على مجراه صدفة ناشدة لرد الصوت إلى الثقبة وتمنعه من الانتشار وخلقت من الغضروف لأن الغضروف موافق لقبول الصوت .

(فصل : في الأنف)

خلق الأنف بارزا عن الوجه لما فيه من الجمال ولتكون أرنبته آلة لاستنشاق الهواء ، وخلق مجراه مفتوحا لأن الحاجة إلى استنشاق الهواء للتنفس ضرورية دائما ، وإنما جعل مجراين احتياطا لمصاحبة النفس حتى لو أصاب إحدى المجراين آفة تحصل بالأخرى مصاحبة التنفس ، وخلقت قصبته صلبة لتكون وقاية للوجه من المصادمات وأرنبته لينة ليحصل بانقباضها وانسائها جذب الهواء كما ترى من كبير الحدادين ، ومجراه إذا علا ينقسم قسمين أحدهما يفضى إلى فضاء الفم والآخر يمر صاعدا حتى يفضى إلى العظم الشبيه بالمصفاة الموضوع في وجه محل الإحساس فيحصل بأحد القسمين الشم وبالأخر التنفس ، وإنما جعل في منتهى ثقبتي الأنف عظم مثقوب شبيه بالمصفاة لتصل الروائح بنفسها إلى موضع الإحساس ويستفرغ منها الفضول المخاطية ، ولم تجعل هذه المنافذ مستقيمة بل معوجة إذ لو كانت مستقيمة لكان الهواء المستنشق يصل إلى الدماغ بسرعة فيفسد فجعلت مموجة ليبقى الهواء في تلك التعاريج

مدة فتتكسر برودتها فإذا وصل إلى الدماغ يكون معتدلاً ، وجعل منفذ المنخرين إلى الخنك حيث يوازى الحلقوم ليكون التنفس أسهل ، ولو لم يكن كذلك لما أمكن إطباق الفم ساعة ولو كان التنفس بالفم لكان الفم جافاً بدخول الهواء وخروجه فلم يحصل إدراك الطعم ولا حركة اللسان ولا مضغ الطعام ولا بلعه .

(فصل : في الشفة)

خلقت الشفتان أمام الفم غطاءً للحوام الأسنان ومعيناً في تناول الغذاء وآلة للامتصاص ولج ما يحتاج إليه من الفم والكلام ، وخلقنا من طبيعة اللحم ممتزجة بطبيعة الجلد واتصلت بهما عضلات الوجنتين من فوق وعضلات الذقن من تحت وعضلات الفك من الجانبين ، وإنما خلقنا من طبيعة اللحم للحركة والحس والانبساط والانقباض والالتواء بواسطة الأوتار والأعصاب التي خالطتها ، وإنما خلقنا من طبيعة الجلد ليكون لهما أدنى صلابة مع لين فتتشكل بالأشكال المختلفة بحسب الحاجة .

(فصل : في الفم)

ولما كان الإنسان محتاجاً إلى غذاء يدخل من خارج خلق له الفم ، ولما كانت الحاجة إلى الغذاء وقتاً بعد وقت خاق الفم بحيث يفتح مرة وينطبق أخرى بخلاف المنخرين فإنهما خلقتا مفتوحتين لدوام الاستنشاق ، ثم لم يخلق مجرى الفم مستقيم التجويف كقصبية الرئة مثلاً بحيث لا يصلح إلا للمرور الغذاء بل جعل فيه فضاء يجتمع الطعام فيه حتى يصير مستعداً للبلع ولتخبره آلة الذوق ، فإن كان صالحاً طحنته آلة الطحن وإلا مجته وجعل عليه الشفتان يطبقانه لئلا تجف رطوبته بالهواء الواصل إليه من خارج كما في سائر الأعضاء لأن هذه الرطوبة معينة على بلع الطعام وتحريك اللسان للكلام . ومن منافع كونه مدخلاً للهواء إلى قصبية الرئة ، ولما كان بقاء الإنسان لا يمكن إلا بالتنفس اقتضت عناية البارئ تعالى للتنفس طريقين : أحدهما بالخياشيم والآخر بالفم ، حتى لو تعطل أحد الطريقين لآفة أو مرض يحصل التنفس بالطريق الآخر . وأما اللسان فإنه مؤلف من لحم رخو وتحتة فوهتان يخرج منهما اللعاب يفيض إلى الغدد الموضوعة عند أصله يتعرف به الطعام وينفع به في الكلام وإدارة المأكول عند المضغ ، وجعل مقداره بحيث يصل إلى جميع أطراف الفم وجعل أصله أعظم للثبات وأطرافه أدق لتسهيل حركته عند الكلام وإدارة الطعام وتنقية أصول الأسنان عن بقية المأكول . وأما الأسنان فإنها خلقت من جوهر آخر مغاير لجوهر سائر العظام ، وقياسها بالنسبة إلى سائر العظام جوهر الذكر المسقى إلى الأنثى وجعل مقاديرها حادة للعض والقطع ، والأنياب غليظة حادة الرؤوس للنهش ، والطواحن عريضة للطحن ، وجعل أسنخ الأضراس

العليا أكثر عدداً من أسناخ الأضراس السفلى وذلك لأن العليا معلقة فحتاج إلى زيادة ،
وأما السفلى فإنها موضوعة على القرار فيكفيها أدنى وثاق وثبات كالسندان .

(فصل : في اللحين)

ولما وجب أن يكون النعم متحركا للمضغ والكلام ومفتوحا لاستنشاق الهواء في بعض
الأوقات اقتضى التدبير الإلهي تحريك الفك الأسفل لأن تحريكه أسهل من تحريك الفك
الأعلى وأنفع . وأما سهولته فلأنه أصغر حجما وأطوع حركة ، وأما نفعه فلأن الفك الأعلى
متصل بالرأس ومواضع الحواس وكان يتحرك بحركته الدماغ والحواس وذلك فيه من الفساد
مالا يخفى فخلق الفك الأعلى ثابتا والأسفل متحركا ، وجعل في عظم الرأس عند الصدغين
ثقتين واسعتين علق فيهما الفك الأسفل تعليقا سلسا ليسهل انطباقه وانفتاحه .

(فصل : في الشعر)

قالوا : إن الفضلة الباقية من الغذاء إذا أثرت فيها الحرارة بحدتها وأخرجتها من الجلد ،
فما كان منها لطيفا تحلل تحليلا خفيفا على الحس وما كان غليظا تحلل في المسام وتكالف
فيحدث منه الشعر فجعل بعضها زينة ووقاية كشعر الرأس فإنه غطاء وزينة وكالحاجب فإنه
يمنع ما ينحدر من الجبهة إلى العين وهو زينة أيضا وكالأهداب فإنها تحوط العين كالسياج
وتصير عليها كالشباك حتى ينظر من ورائها عند هبوب الرياح ونثرها القذى وفيه من الزينة
مالا يخفى . ومنها ما جعل للزينة كالشارب واللحية فإنهما يفيدان الجمال والبهاء ومن لالحية له
لابهائه له ، ومنها ما نبئت في المواضع الحارة الرطبة كالإبط والعانة وهو كالعشب الذي ينبت
في القراح ذات الندى وإن لم يقصد إنباته فإنه فضلة يندفع إليها في الإنسان بخلاف سائر الحيوان
فإن شعورها لباسها وزينتها .

(النوع الثاني : العنق) ولما كان الرأس معدن الحواس وكان بعض الحواس كالسمع
والبصر يحتاج إلى أن يكون في أعلى الأماكن اقتضى التدبير الإلهي أن يكون الرأس على عضو
طالع من البدن وهو العنق ، ثم جعل هذا العضو متحركا إلى جهات مختلفة بعضلات تمده
إلى فوق وأسفل وقدام وخلف ويمين ويسار وموربا ومستديرا لتعم منفعته الحواس وإنها
في جهة واحدة فكأنها في جهات ، وجعلت قصبة الرئة والمرىء فيها وهي سبع فقرات ،
ولما كانت الفقرات العنقية شحولة على ماتحتها من الفقرات وجب أن تكون أصغر من الحامل ،
ولما كان مخرج أول النخاع وجب أن يكون ثقبها أعظم من ثقب فقرات الصلب . ولما
كان جرمها رقيقا لا يحتمل الثقب الكبير اقتضى التدبير الإلهي أن يكون ثقبها في أطرافها
ليكون في كل فقرة منها نصف الثقب ويكبرن في طرفه لآفي وسطه فإن النخاع وما أحاط به
من الأغشية محتاجة إلى الغذاء ، فجعل في كل فقرة ثقتان يمينا ويسارا يخرج عن كل واحدة

شعبة من العصب ويدخل فيه وريد وشريان فيفيد كل ثقبه ثلاث منافع ، وفي جوف العنق المرء لازدراء الطعام والشراب وقصبة الرئة لينفذ الهواء إلى الرئة ، وجعل لقصبة الرئة غطاء ينطبق عليها وقت ازدراء الطعام والشراب لئلا يقع في مجرى النفس شيء وهو آلة الصوت أيضا .

(النوع الثالث : الصدر) ولما كان الصدر وقاية للقلب خلق صلبا من إحدى عشرة فقرة ذات سناسن وأجنحة عراض لكونها وقاية للقلب واتصلت بالأضلاع لتحتوي أعضاء التنفس ، وإنما لم يخلق عظما واحدا لما عرف من الفائدة في سائر المواضع وخلقت هشة لتكون أسلس في مساعدة ما يطيف بها من أعضاء التنفس في الانبساط والانقباض .

(النوع الرابع : اليد) ولما كانت الحكمة الإلهية اقتضت أن النفس الإنسانية تدرك بالحواس ما ينفعها وما يؤذيها من قوام البدن خلقت لها آلة لتناول بها ما ينفعها وتبعد عنها ما يضرها وهي اليد خلقت من ثلاثة أجزاء من العضد والساعد والكف : أما العضد فقد خلق من عظم واحد قوى متصل بالكف بمفصل واحد حتى يمكنه التحرك إلى جميع الجهات وذلك بأن خلق رأس العظم مستديرا وركب على رأس الكنف في حق ليكون خلفها سلسلة إلى جميع الجهات . ولما كانت اليد آلة لأعمال كثيرة مختلفة جعل الكتفان موضوعين على جانبي البدن غير ملاقيين للأضلاع لينبسط البدان في اليمين والشمال على استقامة ويلتقيان من قدام وخلف فيمكنهما الوصول إلى جميع الجهات بسهولة . وأما الساعد فخلق مؤلفا من عظمين متلاصقين طويلين يسميان الزندين والفوقاني الذي يلي الإبهام منهما أدق ويسمى الزند الأعلى والأسفل الذي يلي الخنصر منهما أغلظ لأنه حامل ومنفعة الزند الأعلى أن يكون به حركة الساعد إلى الالتواء والانقباض ومنفعة الزند الأسفل أن يكون به حركة الساعد إلى الانقباض والانبساط . أما الكف فخلقت مركبة من أربعة عظام متباعدة لتكون الأصابع الأربع مركبة عليها، وخلق عظم الرسغ صلبا قويا لأن تركيب المشط والأصابع الأربع عليه فهو كالعهدة التي عليها اعتماد اليد ، وخلق وضع الأصابع الأربع على صف واحد والإبهام مقابلا لها ليدغمها كلها بواحدة وجعلت غليظة قوية لتكون مساوية لقوة الباقي ، وخلقت الأصابع مختلفة المقادير لتستوي أناملها كلها عند تمعير الراحة وعند القبض تبقى كالصندوق الحافظ للشيء . والإبهام عليه كالقفل ويمكن أن يكون سلاحا يضرب به العدو ، فلو اجتمع الأولون والآخرون على وضع أحسن من هذا لا يمكنهم ، فسيحان من أحسن كل شيء خلقه ، وخلق الأصابع من عظام مصمتة ليدغمها فلو كانت لحمية لكانت أفعالها واهية ولم يخلق من عظم واحد لتشاكل بالأشكال المختلفة ولم تزد على ثلاثة أنامل لأنها كانت تورث ضعفا ولو خلقت من أمثلتين لكانت الوثاقة أزيد لكن الحركات كانت تنقص عن الكفاية والحاجة

إلى الحركات المتقنة أمس من الحاجة إلى الوثاقة ، وخلق عظام قواعدها أعرض ورءوسها أدق لتحسن نسبة الحامل إلى المحمول ، وخلق عظاما مستديرة لتكون أبعد من الآفات ، وخلقت مصممة لتكون أقوى على الثبات ، وخلق باطنها لحميا ليتمكن من القبض ولا كذلك ظاهرها ليكون سلاحا موجعا .

(فصل : في الظفر)

خلق الظفر للإنسان بمنزلة المخلب للطير والخافر للفرس والظلف في سائر الحيوان وقاية لقوائمها ، وجعل معينها للأصابع ، الإمساك إذ به يقوم وثاقها ويمكنه التقاط الأشياء الدقيقة . وهي آلة لأعمال كثيرة كالحك والجرد والتنف وغيرها ، وجعل صلابتها مع لين ليفيد الفائدةين جميعا ، وجعلها قد أحاط بها اللحم من الجوانب لئلا تتسارع إليها الآفات .

(النوع الخامس : البطن) وهو غشاء مستدير من الصدر إلى الأثنين ليستبطن آلات الجوف التي هي تحت الحجاب ليكون وقاية جامعة لجميعها مع الوقاية الخاصة بكل واحد منها ، وإنما اقتصر على غشاء من غير عظم لأنه بين يدي الحاسة فتحرسه من الآفات بخلاف الظهر والدماغ وليكون لها انبساط وانتباض عند امتلاء المعدة وخلوها :

(النوع السادس : الظهر) ولما كان الظهر غائبا عن الحاسة اقتضى التدبير الإلهي لإحكامه وتوثيقه بعظام صلبة ذات سناسن وأجنحة جنة ووقاية للآلات الشريفة التي وراءه كالرئة والقلب والمعدة ، وخلق فقاره كالقاعدة لسائر العظام كالثنية التي تهبأ أولا ثم يربط بها سائر خشب السفينة ثانيا ، فإن عظام الفص والأصابع والرأس واليدين والرجلين كلها مربوطة بها ، وخلقت خرزات للانحناء ولكون النخاع في وسطها والحاجة إلى حفظ النخاع ماسة ، وخلق لكل فقرة شوكة ثابتة إلى الجانب الوحشي وجناحان من يمينها ويسارها وربطت برباطات عصبية وغشيت بالجواهر الغضروفية ويقال لهذه الشوكات السناسن وإنما خلقت لتكون خشبة بارزة تلقاها الآفات الهاجمة من خارج فتصيدها النكابة وتسلم الخرزات ، وإنما غشاها بالغضروف لئلا تنكسر عند مصادمة الأشياء الصلبة . وأما الرباطات العصبية ليربط بعضها ببعض ربطا وثيقا فتصير كالشيء الواحد ، وأما الأجنحة فتكون مدخلا لرءوس الأضلاع فيها ووقاية للخرزات من جوانبها كما أن السناسن وقاية من ورأها وإنما خلقت خرزات ليسلم الباقي إن أصابت الآفة شيئا منها . ولما كان انحناء البدن إلى قدام أكثر من انحنائه إلى خلف جعل السناسن والربط من خلف ليكون قدامها أسلس للحركة فصار جملة الصلب كشيء واحد مخصوص بأفضل الأشكال وهو المستدير لأنه أبعد الأشكال عن قبول الآفات ، وتعطفت رءوس الخرزات العالية إلى أسفل والسافلة إلى أعلى واجتمعت العاشرة وهو الوسطة ذات فقرة لا بارز لها ، وجعلت الفم الفوقانية والسفلية متوجهة إليها لأن الإنسان يحتاج إلى الانحناء

وذلك بأن تميل الواسطة إلى ضد الجهة وما فوقها وما تحتها إلى الجهة لأن طرفي الصلب يميلان إلى الالتقاط والواسطة تميل إلى خلاف جهة ميل الطرفين كانهاء التوس عند المد . ولما كان الواجب أن يعم الحس الظاهر جميع البدن وجب أن يصل إليها شعب العصب ولم يمكن لإيصال عصب الدماغ إليها لبعده ما بين هذه الأعضاء والدماغ ودقة أعصابه فإن حجم الدماغ لا يحتمل أعصاباً قوية تصل إلى جميع أعضاء البدن فاقتضت الحكمة الإلهية إخراج شعبة قوية من مؤخر الدماغ في طول البدن وهو النخاع وأحاط به عظام الفقرات ليحفظ النخاع بصلابتها وأخرج من النخاع في كل موضع يحتاج إلى التحريك والإحساس عصباً يتصل به والقطن مع العجز كالقاعدة للصلب وهو دعامة وحامل لعظم العانة ومنبت لأعصاب الرجل .

(النوع السابع : الجنب) وهو مركب من الأضلاع وقد شدت خللها بلحم دقيق وقاية لما يحيط به من آلات التنفس وآلات الغذاء ولم يجعل عظماً واحداً لثلا يثقل ولا تعم آفته ، وكل ضلع مقوس يدخل منه زائدتان في فقرتين غامرتين في كل جناح من أجنحة الفقرات فالصلب كالحائز والأضلاع كالجدوع واللحوم في خللها كالعوارض . ولما كانت محيطية بالرئة والقلب وجب الاحتياط في وقايته فخلقت الأضلاع السبعة العليا مشتملة على ما تحويها من جميع الجوانب ملتقية عند القص وجناح الفقرات . وأما ما يلي ذلك فخلقت من خاف محرزة حيث لا يخرسه الحاسة ، ولم يتصل من قدام بل درجت يسيراً يسيراً في الانقطاع لتصير وقاية للكبد والطحال وتوسع لمكان المعدة ولا تنضغط عند امتلائها ، فالخمس المتقاصدة خلقت رؤوسها متصلة بغضاريف ليأمن الانكسار عند المصادات ولثلا يلاقى الأعضاء اللينة والحجاب بصلابتها بل يجرم متوسط في الصلابة واللين .

(النوع الثامن : الرجل) ولما كان المقصود من الرجل القيام والمشي وحمل البدن واقفاً وماشيا والقعود مع التشكل بأشكال مختلفة جعل آخر الرجل على ما يوافق إتمام هذه المقاصد في الجوهر والشكل والمقدار والعدد والوضع والتأليف ، وخلق ركبة عظم الفخذ على الورك على استقامة وعظم الساق على الفخذ على نحو ينقبض إلى خلف ليتم الانتصاب والتخطي والقعود مفترشا ومتربعا وغيرها من الأثناء والأشكال الكثيرة ، وخلق طول القدم ومشطها ووسعها لفائدة الثبات والاستقرار ، وخلق أصابعها على نحو آخر يخالف لأصابع اليد فإنها كلها في سطر واحد ليتم بها الثبات والاستقرار على الأشياء المختلفة كالخشب والمقعر والصعود بالمراتق والدرج ، وخلق العصب من عظم صلب ليكون حاملاً للبدن ، وخلق الكعب فيما بين الساق والعقب ليعين القدم على الانقباض والانبساط في المشي وغيره من الحركات ، والله الموفق للصواب .

(الضرب الثاني من الأعضاء المركبة) الأعضاء الباطنة وهي أنواع :

(النوع الأول : الدماغ) وهو جسم لدن محوى في غشاءين منبع للروح النفساني ومنه ينبعث في الأعصاب إلى سائر البدن . ولما كان جوهر الدماغ شديد اللين اقتضت الحكمة أن يكون في غشاء رقيق وهي الأم لتحفظه وتكون وقاية له ثم خلق بين القحف والدماغ غشاء غليظا يلاقى القحف من داخل يكون كالبطانة لها ويكون هذا الغشاء وقاية للدماغ من الأشياء الغريبة . ولما كان جوهر الدماغ لينا سريع الانفعال من أدنى سبب خاق له حصن صلب من العظم وهو القحف وجعل بعيدا منه ليدفع الآفات عنه ، وجعل خريطة للدماغ معلقة من القحف غير ملاقية له لأنها لو كانت ملاقية والقحف صلب يصادمه دائما فينضغط عنه وكان دائم النكاية . وللدماغ ثلاثة بطون وكل بطن في عرضه ذا جزئين ، أما البطن المقدم فهو محسوس الانفصال ينقسم إلى جزئين عظيمين يمنة ويسرة وهذا الجزئين على الاستنشاق وعلى نفث الفضول والعطاس ، وأما البطن المؤخر فهو أيضا عظيم وهو مبدأ النخاع لكنه أصغر من البطن المقدم . وأما البطن الأوسط فإنه كمنفذ من الجزء المقدم إلى الجزء المؤخر وكدهليز مضروب بينهما يؤدي عن التصور إلى الحفظ فلما كان كذلك كان أحسن موضع للتفكير والتذكر ، فالحكمة الإلهية اقتضت أن يكون مقدم الدماغ في غاية اللين لأن ظاهره منشأ شعب الحواس وباطنه محل التخيل والإحساس ولين الموضع مناسب لها للانطباع وسرعة القبول وأن يكون مؤخر الدماغ أصلب من المقدم لأن ظاهره منشأ الشعبة العظيمة التي هي النخاع وباطنه موضع الحفظ والصلابة مناسبة لهما ، فسبحان من أتقن كل شيء خلقه وهو اللطيف لما يشاء ، والله الموفق .

(النوع الثاني : الرئة) وهو جسم متخاقل رخو كأنه زبد منعقد وذلك لكونه آلة الترويح عن القلب دعت الحاجة إلى الخفة والانبساط والانقباض ، ومعنى الترويح جذب هواء صاف يقع على القلب ويخرج هواء محترقا أحرقته حرارة القلب ، ومدخل الهواء ومخرجه قصبية الرئة وخلق مجرى واسعاً من عظم غضروفي على شكل حلق مربوط بعضها ببعض ، وإنما خلق واسعاً لينفذ فيه من الهواء شيء كثير في زمان يسير ، وإنما خلق من حلق غضروفية ليكون مفتوحاً دائماً ولا يحتاج إلى آلة تفتحها لأن الحاجة إلى التنفس ماسة دائماً ، وإنما خلقت قصبية الرئة محتاجة إلى أن تتسع في حال وتضيق في حال لاختلاف الحاجة عند شدة الصوت وضعفه . ولذلك لم يخلق حلقاتها تامة وإلا لم تتمدد في العرض المذكور فخلق ثلاثة أرباعها غضروفية وتمم الباقي بالغشاء ، وجعل جانبا الغشائي إلى نحو المراء ليتطواع عند الازدرد ، وجانبها الغضروفي إلى الخارج لأنه أصلب فيكون أصبر على المصادم الخارجى . ثم إن قصبية الرئة لما تجاوزت الترقوة وانبسطت إلى فضاء الصدر انقسمت إلى قسمين يمينا ويسارا ثم ينقسم كل

قسم منها إلى أقسام مختلفة على حسب أقسام الأوردة والشرايين في منافذ هذه القصبات ليدخل الهواء في الشرايين من الرئة عند انبساط القاب ويندفع فيها الدخان عند انقباضها . ولما كان الهواء الذي تجذبه الرئة ليس صالحا لترويح القلب حتى يصير معتدلا خلقت القصبات التي هي خزانة الهواء تحفظ جوهر الهواء المحصور فيها وإعداده موافقا للقلب وصالحا لأن يتكون منه الروح ، كما أن جوهر الكيلوس المحصور في الكبد ينضج الكبد ويجعله صالحا لأن يتكون منه بدل ما يخلل من الأعضاء ، وأما نفس الرئة فمكتنفة بالقلب ، وهي منقسمة قسمين : أحدهما في تجويف الصدر الأيمن والآخر في تجويف الصدر الأيسر لتحصل منفعة الرئتين مادامت الرئة سليمة ، ومتى وقعت في إحدى الجهتين آفة تمنعها من بادية فعلها قام الجانب الآخر بفائدة الترويح ولا يؤدي إلى فساد البدن والله تعالى الموفق .

(النوع الثالث : القلب) وهو جسم صئوري الشكل لحمي الجوهر له جوف يحوى الدم ، والروح الحيوانى ينشأ منه وينصب في الشرايين إلى سائر البدن ، ولحمه قوى لثلاث ينثائر من المؤذيات ، وأعلاه غليظ لأنه منبت الشرايين وأسفله مستدق ليبعد عن عظام الصدر من جهاته ، وله غلاف يسمى الشغاف خلق لوقايته لأنه منبع الروح الحيوانى ولهذا وضع في وسط البدن في موضع حصين مثل نتوء من عظام الصدر والظهر والأضلاع ، وجعل هذا الحصن متجاфия عنه ليفيد الوقاية من غير مماسة . ولما كان محتاجا إلى الدم الذى أنضجته الكبد ورققه ولطفه وأسخنه ليفيد قوة الحياة جعل في القلب تجويف يرد إليه الدم من الكبد ويستقر فيه حتى يتغذى منه هو ويغذى غيره . ولما كان القلب محتاجا إلى الغذاء كسائر الأعضاء وجب أن يرد إليه الغذاء من الكبد فخرج من جذبة الكبد عرق عظيم ودخل في تجويف القلب من الجانب الأيمن ليملاً ما يتغذى منه القلب والباقي يسرى في الشرايين إلى جميع البدن . ولما كان القلب محتاجا إلى الإحساس بالمؤذى خلق له شعبة دقيقة متصلة بالغشاء الذى على القلب منشؤها من الدماغ لفائدتين : الأولى الإحساس بالمؤذى بواسطة الغشاء . والأخرى أن القلب معدن القوة الحيوانية ، وهذه القوة تنفعل بالأفعال النفسانية كالغضب والخوف والسرور والحزن ، فهذه أفعال أسبابها أمور خارجة عن البدن فالحواس تدركها وتؤديها إلى النفس فيصل آثارها إلى القلب فيتنفعل بالانفعالات التي تبتغى فوجب أن يكون بين الدماغ والقلب اتصال فجعل الشعبة الواصلة من الدماغ مشبوتة في جميع جرم القلب لتم الفوائد التي ذكرناها ، والله أعلم .

(النوع الرابع : الكبد) وهو جسم لحمي ألين من القلب وأرطب يحمل روحا طبيعيا ودماغا ينفذ منه في العروق إلى سائر الأعضاء ، وهو موضوع في الجانب الأيمن تحت الضواغ العالية من ضلوع الخلف وشكله هلالى وتقعيره في الجانب الذى يلي المعدة وحدبته

تلى الحجاب ، وهو مربوط برباطات تتصل بالغشاء الذى عليه ، وينبت من مقعره قناة تنقسم إلى أقسام منها ما يأتى قعر المعدة وإلى الأمعاء ، وهذه القوهات تجذب الغذاء إلى الكبد ويصير فى الكبد ما ينضجه ، وفى جذبة الكبد عروق تسمى الأوردة يجرى فيها الدم إلى سائر الأعضاء ، وخلق جرم الكبد شبيها بالدم الجامد ليحيل الكيلوس فيه إلى شبه جوهرة :

(النوع الخامس : المرارة) وهى وعاء المرة الصفراء موضوعة فى قعر الجانب الأعلى من الكبد ، ولها مجريان أحدهما يتصل بتقعر الكبد والآخر يتشعب فيتصل بالأمعاء العليا وبأسفل المعدة ، فالمرارة تجذب من مقعر الكبد المرة الصفراء وتقذفها إلى الأمعاء ؛ أما الجذب فلتصفية الدم عن المرة الصفراء ، وأما القذف فلتنقية الأمعاء من الفضول وينصب منها إلى عضلة الخارج فيثبته على الحاجة ، ولما كانت المعدة والأمعاء محتاجة إلى التنقية من الفضول لما بقى فيها من بقية الغذاء فضلة لزجة يتلطخ بها جعل للمرارة مجرى ضيقا إلى المعدة فتنصب إليها المرة وتجلوها من الخلط البلغمى وتغسلها ، فإن البلغم لا يزال يتولد فى المعدة عند خلاء المعدة واشتداد الجوع ، فلو كان انصبابها وقت امتلاء المعدة لاختلطت بالغذاء وأفسدتها ،

(النوع السادس : الطحال) وهو جسم لحمى طويل الشكل موضوع فى الجانب الأيسر يحوى دما سوداويا ينبت منه قناتان أحدهما تتصل بتقعر الكبد تجذب الخلط السوداءى من الدم لئلا يتغذى الدم مع السوداءى بل يصفوه عن الخلط الردى* ، والقناة الثانية تتصل بقم المعدة وتثبت على شهوة الغذاء انظر إلى حكمة الصانع جلّت قدرته كيف اقتضى تدبيره تصفية الدم من الصفراء والسوداء ليكون الغذاء صالحا سليما من الفضول ثم استعمالها لفائدتين عظيمتين إحداهما التنبيه على شهوة الغذاء والأخرى التنبيه على خروج الفضلة .

(النوع السابع : المعدة) وهى شبيهة بقرعة طريالة العنق مركبة بثلاث طبقات مركبة من شظايا دقاق شبيهة بشظايا العصب تسمى الليف يحيط بها لحم وليف أحد الطبقات بالطول والأخرى بالعرض والأخرى بالورب ، فالليف الطولانى يجذب الغذاء والليف الذى بالعرض يدفعها والمورب يمسكها ربما تؤثر فيه الحرارة وتنضجها ، ووضعت تحت القلب وبين الكبد والطحال يمينا ويسارا ولحم الصلب من خلف لينال من حرارة هذه الأعضاء فينضم فيها الغذاء وجعل أمامها إلى صفاق البطن ليمدد إذا امتلأت من الغذاء ، وخلقت مستديرة الشكل لتسع غذاء كثيرا وقعرها أوسع من أعلاها لأن قامة الإنسان منتصبه وما يتناوله من الطعام والشراب ثقيل فيل الجميع إلى جهة قعر المعدة فوجب أن يكون أوسع ، وقم المعدة مفتوح أبدا لأن وضعه فوق المعدة فلا يخرج منه ما فى المعدة ، وخلق مجراها إلى الأمعاء بحيث يفتح فى وقت ويتعلق فى وقت لأن وضعه أسفل فيحتاج الغذاء إلى أن يلبث فيه ريثما ينضج ، فلو

كان مفتوحا لنزل الغذاء فيه من غير هضم، فإذا صار الغذاء نضيجا كف الماسكة عن الإمساك وأخذت الدافعة في الدفع إلى الأمعاء، وخلق من خارج المعدة عابها غشاء وثر، أما الغشاء فليكون وقاية لها ويربطها بالأعضاء التي حولها وأما الثرب فلتسخين المعدة بالحرار الدسم وجعل الثرب من قدام أكثر لأن توقع وصول البرد من هذا الجانب أكثر، وخلق فم المعدة عصبانيا ليكون قوى الإحساس بالحاجة إلى الغذاء، وخلق قعرها لحمانيا ليضج الغذاء بحرارة اللحم.

(النوع الثامن: المعى) وهو جسم من جوهر المعدة مجوف ليس بواسع التجويف له شظايا بالطول والعرض والورب ينزل فيه ما انهضم في المعدة من الغذاء وهذا الجسم ينعطف ويلتف وفي مروره عظام كثيرة، ويليه من الكبد جداول كثيرة ضيقة وإنما خلق من جوهر المعدة ليم فيه هضم ما قصرت المعدة عن هضمه، وإنما خلق ضيقا ليكون اشتماله على ما ينفذ فيه زمانا طويلا فيتمكن من هضم الغذاء. وأما طوله فليهضم الثاني ما فات الأول وهكذا إلى آخرها ولا يبقى مع الفضول غذاء فيه، وأما الشظايا فالموضوع بالطول لجذب الغذاء والموضوع بالعرض لدفعه والموضوع بالورب لإمساكه، والأمعاء جميعا ستة وفي آخرها تجويف واسع يجتمع فيه الثفل كما يجتمع البول في المثانة وعلى طرف هذا المعاء العضلة المانعة حتى تطلقه عند الإرادة:

(النوع التاسع: الكلىة) وهي جسم صلب لحمي من شأنه تصفية الدم يجذب المائية ويرسل تلك المائية إلى المثانة وهما اثنتان على جنبي خرز الصلب بالقرب من الكبد ولكل واحدة منهما عنقان أحدهما يتصل بالعرق الطالع من جذبة الكبد والآخر يمر إلى المثانة، ولما كان الغذاء محتاجا إلى قوام رقيق ليتمكن نفوذه في العروق الدقيقة ولا بد لها من قوام صالح جذبت الكلىة منها ما زاد على قدر الحاجة وأرسلتها إلى المثانة وخلق كليتين، إذ لو كانت واحدة لكبر جرمها فإن وضعت في أحد الجانبين مال البدن إليها وإن وضعت في الوسط انفصلت عن الفقار.

(النوع العاشر: المثانة) وهي جسم مجوف عصباني مؤلف من طبقتين على فم عضلة تضمه وتفتح وتتمتع خروج البول من غير إرادة وذكرنا أنها تفيض البول ويأتيها من الكليتين وإنما خلقت عصبانية لتحس بالامتلاء وجعل داخلها من ثلاث لفائف إحداها بالطول حتى تجذب المائية من الكليتين والثانية بالعرض ليم بها الدفع إلى خارج والثالثة بالورب ليم بها الإمساك إلى أن يجتمع شيء كثير ثم تدفعها مرة واحدة، وجعل على فمها عضلة تفتحها وتغلقها بالاختيار.

(النوع الحادي عشر: آلات التوليد) وهي متساوية في الذكور والإناث إلا أن القوة

المدبرة أبرزت آلة الذكور لفرط حرارتهم وتركزت آلات الإناث داخلة لتقصان حرارتهم ، فإذا فرضت الآلة بارزة فالصنف الذي هو كيس الأنثيين الرحم في الإناث والإحليل عنق الرحم إلا أن الحصى في الذكور داخل الصنف وفي الإناث خارج الرحم بجنبها ليتسع مكان الجنين ، والأنثيان من الرجل والمرأة من لحم غددي صلب ينصب المنى منهما في الذكور إلى الإحليل وفي الإناث إلى داخل الرحم . والقضيب جسم عصبى ثابت من عظم العانة كثير التجاويف فيه عروق كثيرة ينفذ منه مجريان إلى الأنثيين ينصب منهما المنى إلى الإحليل ، وهو بمنزلة رقية الرحم التي في الإناث . ولما وجب أن يكون القضيب متوترا حالة التوليد لإبصال المنى إلى فم الرحم متقلصا في غير تلك الحالة اقتضت القوة المدبرة خلقه من جوهر صلب ذى تجاويف حتى إذا امتلأ تجويفه من الريح توتر وإذا خلا من الريح استرخى ، والرحم من جوهر عصبى لتكون صادقة الحس والالتذاذ وليمكنها أن تتمدد وتتسع عند نمو الجنين وتنقبض عند خلوها ، وخلق للرحم بطنان يميننا ويسارا وجعل البطن الأيمن أسخن من الأيسر ليكون الأيمن موافقا للذكور والأيسر موافقا للإناث ، ولها عنق يمتد إلى القبل وإنه بمثابة الإحليل من الذكر ، هذا ما صح عند أصحاب التشريح ، والله أعلم بالصواب :

(خاتمة) قال بعض الحكماء في تشبيه بدن الإنسان بمدينة : لما خلق الله تعالى بدن الإنسان وسواه ونفخ فيه من روحه كان مثل أساس بيته وتركيب أجزائه مثال مدينة بنيت من أشياء مختلفة كالحجارة والآجر واللبن والجص والطين والنورة والرماد والخشب والحديد وماشا كلها ، فأحكم بنيتها وشيد بنيانها وحصن سورها وحفظ شوارعها وقسم محالها وزين منازلها وملأ خزائنها وأجرى أنهارها وفتح سواقها وأشغل صناعها وأقعد تجارها ودبر ملكها وأخدم ملكها ، فخلق تسعة جواهر مختلفة أشكالها وهى ملاك بنيانها ثم ألفها وركب بعضها فوق بعض طبقات متصلات بهندامها ثم أسندها بمائتين وثمانية وأربعين عمودا ثم إنه سمرها ومد حبالها وشد وصلاتها بسبعمئة وعشرين رباطا ممدودات ملتفات عليها ثم قدر بيوتها وقسم جوانبها وأودعها إحدى عشرة خزانة مملوءة جواهر مختلفة ألوانها ، وخط شوارعها وأنفذ طرقاتها وفتح أبوابها ثلثمائة وثلثين مسلكا لسكانها ، واستخرج منها عيوننا وشق فيها أنهار ثلثمائة وستين جدولاً مختلفات مجرياتها ، وفتح على سورها اثني عشر بابا من درجات مسالك لخزائنها ، وأحكم بناء هذه المدينة على أيدي ثمانية صناع متعاونين هم خدامها ، ووكّل بحفظها خمس حراس خواص على حفظ أركانها ، ثم رفع هذه المدينة في الهواء على عودين وحركها إلى ست جهات بجنّاحين ، ثم أسكن فيها ثلاث قبائل من الجن والإنس والملائكة هى سكانها ثم رأس عليهم مسلكا واحدا وأمره بحفظها وأوصاه بسياستهم .

(تفسير ذلك) أما الجواهر التسعة فهى العظام والمخ والعصب والعروق والدم واللحم

والجلد والظفر والشعر . والطبقات العشر هي الرأس والرقبة والصدر والبطن والجوف والحقوان والوركان والفخذان والساقان والقدمان ، والأعمدة هي العظام ، والرباطات هي الأعصاب ، والأحد عشر جزءا هي الدماغ والنخاع والرثة والقلب والكبد والطحال والمرارة والمعدة والمعي والسكليتات والأنثيان ، والشوارع والطرقات هي العروق الضواري ، والأنهار الأوردة ، والأبواب الاثنا عشر العيذان والأذنان والمنخران والثديان والسبيلان والقوم والسرة والصناع الثمانية هي القوة الجاذبة والماسكة والماضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة والمصورة والحواس الخمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس ، والعمودان الرجلان والجناحان اليدين . والجهات الست معروفة ، والقبائل الثلاثة النفوس الثلاثة : فالنفس الشهوانية كالجن ، والنفس الحيوانية كالإنس ، والنفس الناطقة كالملائكة ، والرئيس الواحد عليهم هو العقل ، والله الموفق للصواب .

(النظر الخامس في القوى)

القوى صنف من الملائكة خلقها الله تعالى لتدبير الأبدان وقوام منافع أعضائها من الأفعال والإدراكات فتشبه أفعالها فيها أفعال صناع البلاد وسكانها ، فإن حال البدن مع الروح ، وهذه القوة تشبه مدينة عامرة بآلاتها مانوسة بسكانها مفتوحة الأسواق مسلوكة الطرق مستغلة الصناعات ، وحاله عند النوم وهذه الحواس وسكون الحركات تشبه حال المدينة بالليل إذا غلقت أبوابها وتعطلت صناعاتها ونام أهلها . ومنهم من قال : إن البدن كبيت بنقوش وصور عجيبة وألوان مختلفة ؛ فالقوى تلك النقوش ، والصور والنفس كالسراج الذي يدار في أطراف البيت وبسبب وصول ضوئه إلى آخر البيت يرى له في سقفه وحيطانه وفرشه عجائب بينهن فيها بل في كل زاوية من زواياه مثل الحس والعقل والفهم والقوى الظاهرة والباطنة والجمال وغيرها ، فإذا فارق النفس بطالت هذه المعاني كما أن البيت عند انطفاء السراج لا يرى لتلك النقوش والصور أثر عجائب القوى خارجة عن فهم الإنسان ، لكن أحببت أن أذكر بعض ما أدركه أذكيا النفوس من الحكماء من العجائب المودعة في الأنواع الأربعة من القوى ، والله الموفق للصواب .

(النوع الأول : القوى الظاهرة) وهي الحواس الخمس)

(الأولى : حاسة اللمس) وهي قوة منبهة في جميع جلد البدن تدرك ما يلاقيه ويؤثر فيه فإنها أول حاسة خلقت للحيوان حتى إذا مسه نار أو حديد جارح يحس به فيهرب منه ، ولا يتصور حيوان إلا وله هذه الحاسة حتى الدودة التي في الطين فإنها إذا غرز فيها لمبرة انتقبضت .

(الثانية : الشم) وهي قوة في مقدم الدماغ تدرك الروائح التي يؤدي إليها الهواء المتكيف بتلك الكيفية .

(الثالثة : البصر) وهو قوة مرتبة في عصبية مجوفة في العين تدرك صور الأشياء ذوات الأضواء والألوان ، فإن الضوء إذا سرى في الأجسام الشفافة وحمل معه ألوان الأجسام واتصل بحدقة الحيوان وسرى فيها كما يسرى في الأجسام الشفافة انصبغت الحدقة بتلك الألوان كما ينصبغ الهواء بالضياء فعند ذلك تحس القوة الباصرة .

(الرابعة : السمع) وهو قوة مرتبة في عصب داخل الصماخ يدرك الصوت الذي يؤدي إليه اهواء بلفتوج وحاله شبيهة بتموج الماء ، فإن الهواء أشد لطافة من الماء ، فإذا وقع شيء في الماء يحدث من وقوعه دوائر ، وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه إلى أن يضمحل فكذلك يحصل من وقوع الصوت في الهواء تموج فأى سامع حصل في ذلك المتموج دخل أذنه فتحس به القوة السامعة .

(الخامسة : الذوق) وهو قوة منبثة في جرم اللسان يدرك بها ما يماسه من الطعوم بواسطة الرطوبة العذبة التي تحت اللسان ، فإن تلك الرطوبة تخالف الجسم الذي فيه كيفية الطعم فيتكيف بتلك الكيفية فيحصل الإحساس بالطعم .

(فصل : في فوائد هذه القوى)

أما اللمس فقد بينا أن كل حيوان له هذه الحاسة حتى الدودة تدرك بها الحار والبارد والرطب واليابس والصلب واللين والخشن والأملس والثقيل والخفيف ، إلا أن الحيوان لو لم تخلق له إلا هذه القوة لكان ناقصا إذا كان لا يحس بالغذاء إذا كان بعيدا عنه فافتقر إلى قوة أخرى يدرك بها ما يبعد عنه فاقنضت حكمة البارئ خلق البصر ليدرك به ما بعد عنه ويدرك جهته ، إلا أنه لو اقتصر على هذا لكان أيضا ناقصا لأنه لا يدرك إلا الشيء المخاذي ، وأما ما بينه وبينه حجاب فلا يمكنه إدراكه إلا بكلام منظوم فاقنضت حكمة البارئ تعالى السمع ليدرك به الغرض ممن يكون وراء الجدار ، ولو اقتصر على هذا لكان ناقصا لأنه إذا وصل إليه الغذاء فلا يدري أنه موافق أو مخالف فربما يكون شيئا مضرا فيهلكه فاقنضت حكمة البارئ عز وجل خلق الذوق ليدرك به الموافق والمخالف .

(النوع الثاني : القوى الباطنة) وهي أصناف :

(الأولى : القوى الجاذبة) وهي التي تجذب النافع من الغذاء ، وهي موجودة في سائر الأعضاء لأن كل عضو يجذب ما يوافقه وغذاء كل عضو يخالف غذاء الآخر .

(الثانية : الماسكة) وهي التي تمسك الغذاء ريثما تنصرف فيها القوة المغيرة ، وذلك بأن تجعل العضو محتويا على الغذاء بحيث لا تترك فرجة .

(الثالثة : الهاضمة) وهي التي تحيل ماجذبه الجاذبة وأمسكته الماسكة إلى مزاج صالح تجعل بعضها جزءا من المغتذى وبعضها فضلا .

(الرابعة : الدافعة) وهي التي تدفع الفضل الذي لا يصلح أن يكون غذاء أو زادا على قدر الكفاية ، والله أعلم بالصواب .

(الصنف الثاني : القوى الخادمة) وهي أربع أيضاً :

(الأولى : الغذائية) وهي التي تحيل الغذاء إلى مشابهة المغتذى ليخلف بدل ما يتحلل :

(الثانية ، النامية) وهي التي تزيد في أقطار الجسم على التناسب الطبيعي ليلبغ به تمام النشوى ، والفرق بينها وبين الغذائية أن الغذائية تورد الغذاء تارة مساويا وتارة زائدا وتارة ناقصاً ، وأما النامية فلا تورد إلا زائداً من المتحلل .

(الثالثة : المولدة) وهي القوة التي تولد ما يصلح أن يكون مبدأ لشخص آخر كالنطفة في الحيوان والحب والنوى في النبات .

(الرابعة : المصورة) وهي التي يصدر عنها التخطيط والتشكيل والملاسة والخشونة وأمثال ذلك .

(فصل في الفوائد العجيبة لهذه القوة في أمر التغذية)

وذلك أن تصير جزء النبات جزء الحيوان بأن تصيره في المعدة مثل ماء الكشك الشخين ثم تجذبه إلى الكبد فيصير دماً . ثم الكبد يقسمه على البدن بواسطة الأوردة فيصل إلى كل عضو حظه فيصير لحماً وعظماً بأطوار وتصرفات كثيرة فيه ، كما أن البر يجعل طحيناً ثم خبزاً يتصرف صناع البلد فيه فصناع الباطن القوى كما أن صناع الظاهر أهل البلد ، فقد أسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة . فأقول : لا بد من قوة تجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من قوة أخرى تمسك الغذاء في جواره ريثما تعمل فيه القوة الأخرى ، ولا بد من قوة أخرى تخلع عنه صورة الدم وتعطيه صورة العضو ، ولا بد من قوة أخرى تدفع عنه الفضل والزائد على الحاجة فهذه هي القوى الخادمة ، ثم لا بد من قوة تلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى يصير جزءاً منها ، ثم لا بد من قوة تراعى المقادير في الإلصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يزيل تجويفه ، ويحفظ على كل واحد قدر حاجته ، فلو جمع على الأنف من الغذاء مقدار ما يجمع على الفخذ كبر الأنف وبطل تجويفه وتشوهت صورة الإنسان ، بل ينبغي أن يسوق إلى الأجناف مع دقتها وإلى الحدقة مع صفاها وإلى الفخذ مع غلظها وإلى العظام مع صلابتها ما يليق بكل واحد من حيث القدر والشكل وإلا بطلت الصورة ، ولا بد من قوة أخرى تتصرف في أمور التناسل بأن يفصل من الغذاء جوهر النطفة لبقاء النوع .

فإن كل فرد من الأفراد ضروري الفناء ، ولا بد من قوة أخرى يصدر عنها تمرينات مختلفة بحسب كل عضو حتى يجعل من النطفة المتشابهة الأجزاء أنصاء مختلفة طويلة وعريض ومستدير وزوراوية ومجوف ومصمت ودقيق وجليظ وصلب ورخو وهي أنقاش تنقش في ظلمة الأحشاء هذه الأشكال العجيبة الحدقة والأجنان والجهة والحد والأنف والشفة والذقن ولا يرى ذلك النقاش لاداخلا ولا خارجاً ولا خبر للأم به ولا للأب ، فسبحان من فتح عين أوليائه حتى شاهدهوه في جميع ذات العالم :

(الصنف الثالث : القوى المدركة التي في الباطن) وهي خمس :

(الأول : الحس المشترك) وهي قوة في مقدم الدماغ تدرك صورة المحسوسات على سبيل المشاهدة وذلك غير البصر ، ألا ترى القطرة النازلة خطاً مستقيماً والنطفة الدائرة بسرعة خطأً مستديراً وليس ذلك في البصر لأن البصر لا يدرك إلا المقابل والمقابل نطفة وقطرة ، فالذي يدرك الخط والدائرة قوة أخرى غير البصر ، فالصور الواردة على هذه القوة تارة تكون من خارج بواسطة الحواس ، وتارة من داخل فإن القوة الثانية المتخيلة ربما ركبت صورة وأوردتها على الحس المشترك فتصير مشاهدة كالصور التي يدركها الحس المشترك وهي خزائنه :

(الثالثة) الوهم وهو قوة في وسط الدماغ التي تدرك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات كصدقة زيد وعداوة عمرو ، وهي التي تحكم في الشاة أن الولد معطوف عليه والذئب مهروب عنه .
(الرابعة) الحافظة وهي قوة في مؤخر الدماغ تحفظ المعاني التي يؤدي إليها الوهم كأنها خزائنه .

(الخامسة) المفكرة وهي قوة في وسط الدماغ أيضا تنصرف في الصور الموجودة في الخيال والمعاني الحاصلة في الحافظة بالتفصيل والتركيب ، فإن كانت في طاعة العقل تسمى مفكرة وإن لم تكن تسمى متخيلة وهي التي تتخيل لإنسانا عظيم الرأس أو إنسانا ذا رأسين :

(النوع الثالث : القوى المحركة) وهي صنفان :

(الصنف الأول : الباعثة) وهي ضربان : الأول الشهوانية وهي القوة التي تدعو إلى طاب النافع ومن جعلتها شهوة المأكل فإنها مادة القوى كلها ، فلو خاق للحيوان جميع القوى سوى الشهوانية لسكانت القوى كلها ساطعة والحواس معطلة ، فكم من مريض يرى الطعام وقد يقع الاشتياق له وقد سقطت شهوته فالقوى كلها بسبب ذلك معطلة فاقضت حكمة البارئ تعالى شهوة الغذاء في الحيوان ووكلاها به ليضطره كالمتقاضى إلى تناول ليبقى بالغذاء سايم القوى صحيح الأعضاء ومنها شهوة الوقاع فلو لم يخلق للحيوان هذه القوى لأدى إلى انقطاع نسله سيما نوع الإنسان فإن له قوة الفكر والحفظ كان يمتنع عن المباشرة لما فيه من تعب الحمل والوضع والتربية فاقضت حكمة البارئ تعالى قوة الوقاع في الحيوان ووكلاها به كالمتقاضى لندعوه إلى الوقاع فيبقى نسله .

(الضرب الثاني : القوة الغضبية) وهى التى تدعو إلى الغلبة ، فلو لم يخلق للحيوان هذه القوة لبقى عرضة للآفات لأنه كثير الأعداء فكل حيوان يقصد إمان نفسه ليحمله طعمة أو يقصد ماعنده من الغذاء ، ونوع الإنسان أخرج إلى هذه القوة لكثرة من يزاحمه فى النفس والمال والجاه والحرم وغيرها فلا بد للحيوان من قوة يدفع بها من يغلبه بالدفع .

(الصنف الثانى : القوى الفاعلة) وهى التى يصدر عنها تحريك الأعضاء بمباشرة الأفعال طاعة للقوة الشوقية وذلك بأن تشد الأوتار أو ترخيها فتتحرك بها الأعضاء والمفاصل ، فلولا هذه القوة لكان جميع بدن الحيوان كاليد الشلاء فكان الانفعال والقبض والبسط غير ممكن فلم يكن له آلة الطاب والمهرب كالزمن فاقنضت حكمة البارى عز وجل آلات الحركة لتكون حركته بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة هربا .

(النوع الرابع : : القوى العقلية) وهى أربع مراتب :
(الأولى : القوة التى يفارق الإنسان البهائم) وهى استعداد لقبول العلوم النظرية والصناعات الفكرية .

(الثانية : القوة التى تدخل الوجود للصبي المميز) وبها يدرك الضروريات والممكنات والامتنعات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد والشخص الواحد لا يكون فى مكانين فيقال له التصورات والتصديقات الضرورية .

(الثالثة : قوة تحل بها العلوم المستفادة من التجارب بمجارى الأحوال) فمن اتصف بها يقال له عاقل فى العادة ومن خلا عنها يقال له غبي غمر ، وهى معان مجتمعة فى الذهن فيستنبط بها مصالح الأعراض .

(الرابعة) قوة يعرف بها حقائق الأمور مباهيها ومقاطعها حتى يقمع الشهوة العاجلة للذة الآجلة ويحتمل المكروه العاجل لسلامة الآجل فيسمى صاحبها عاقلا من حيث أن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة والأولان مجبولان والأخيران مكتسبان ، وقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه :

رأيت العقل عقليين فطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع

(فصل : فى تفاوت الناس فى العقل)

اختلف الناس فيه . والحق أن التفاوت يتطرق إلى التسم الأول والثالث والرابع ، أما الثانى فهو العلم بوجوب الضروريات وجواز الجائزات واستحالة الاستحالات فإنه غير قابل للتفاوت :

(أما القسم الأول) وهو الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جرده فإنه مثل نور يشرق على النفس ومبادئ إشارته عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو إلى تمام الأربعين ، وقد شاهدنا الناس في ذلك مختلفين في فهم العلوم وانقسامهم إلى ذكي وبليد ومغفل ويقظ ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل آخره قال الله تعالى « إني خلقت العقل من أصناف شتى كمدد الرمل ؛ فمن الناس من أعطى حبة ، ومنهم من أعطى حبتين ، ومنهم الثلاث والأربع ، ومنهم من أعطى فرقا ، ومنهم من أعطى وسقا ، ومنهم من أعطى أكثر من ذلك . »
 (ومن الحكايات العجيبة) ما حكى أن بعض الأطباء دخل على مريض وجس نبضه وشاهد تعسره فقال له : لعلك تناولت شيئا من الفواكه ؟ قال المريض : نعم ، فقال الطبيب لا ترجع تأكل منها فإنها تضرك ، ثم دخل عليه في اليوم الثاني ورأى النبض والتفسرة ، فقال : لعلك أكلت لحم فروج ؟ قال المريض : نعم ، فقال الطبيب : لا ترجع تأكله فإنه يضرك ، فتعجب الناس من حدق الطبيب ، وكان للطبيب ابن ، فقال له : يا أبت كيف عرفت تناوله الفاكهة والفروج ؟ قال : يا بني ما عرفت ذلك بالطب وحده بل بالطب والفراسة ، فقال له : كيف عرفت بالفراسة ؟ فقال له : إني لما دخلت دار المريض رأيت على سطح الدار سقاطات الفواكه ثم رأيت في وجه المريض انتفاخا وفي النبض ليينا وفي التفسرة غلظا وفجاجة ، وعلمت أن الفاكهة إذا حضرت عند المريض لا يبصر عنها فظهر لي من هذه الشواهد أنه تناول الفاكهة وما جازمت بها بل قلت لعلك أكلت ، وفي اليوم الثاني رأيت على باب الدار ريش الفروج وفي النبض امتلاء وفي الرسوب غلظ فعرفت أن الفروج لا يأكله إلا المريض غالبا فظهر بهذه الشواهد وما جازمت به بل قلت لعلك فعلت هذا ، فسمع ابنه هذا الكلام فأحب أن يسلك مسلك أبيه فدخل على مريض وجس نبضه وشاهد تفسرته فقال له : لعلك أكلت لحم حمار ؟ فقال المريض : حاشا وكلا كيف يؤكل لحم الحمار أيها الطبيب ؟ فخرج ابن الطبيب وخرج ، فانتهى ذلك إلى أبيه فأحضره وسأله كيف عرفت أنه أكل لحم الحمار ؟ فقال : لأنني رأيت في دارهم برذعة فعلمت أنها لا تكون إلا للحمار ، ثم قلت لو كان الحمار حيا لكانت برذعته عليه وإذا لم يكن حيا فإنهم ذبحوه وأكلوه ، فقال أبوه : لو كان شيء من هذه المقدمات صحيحا لرجوت فيك النجابة ولكن المقدمات كلها فاسدة وطمع النجابة فيك محال ، ونعم ما قال ، فلا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع .

(وحكى) أن أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه كان جالسا يذكر الدروس فدخل عليه شخص ذو هيئة ، فلما بدأ قال لأصحابه : تثبتوا كيلا يأخذ عليكم هذا الرجل شيئا ، فلما جلس وأبو حنيفة رحمة الله عليه يذكر أوقات الصلاة قال : أما الصبح فوقته من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس فإذا طلعت الشمس زال وقتها ، فقال ذلك الرجل : فإن طلعت الشمس

قبل الفجر كيف يكون حكمها؟ فالتفت أبو حنيفة إلى أصحابه وقال : كونوا كما شئتم فإن الأمر على خلاف ما حسبنا .

(وحكى) أن معاوية بن مروان ضاع له باز ، فقال : أغلقوا باب المدينة كيلا يخرج .
(وحكى) أن الوزير أبا السعادات خطأ الفرس تحته فأمر بقطع قضيبه ، فقيل له في ذلك؟
فقال : أعطوه ولكن لا تعرفوه أنى علمت ذلك .

(أما القسم الثالث) وهو علم التجارب والرسوم والعيادات فتفاوت الناس فيه ظاهر ويدل عليه حكايات : منها ما حكى أن أبا النجم العجلي دخل على هشام بن عبد الملك وأنشد أرجوزته التي أولها . الحمد لله الواهب المجزل . وهي من أجود شعره ، وهشام أصغى إليه إلى أن انتهى إلى قوله . والشمس في الجور كعين الأحوال . فغضب هشام وكان أحول وأمر بصفعه وإخراجه .

(وحكى) أن بعض الملوك قال لصاحب خيله : قدم الفرس الأبيض ، فقال له الوزير لا تقتل الفرس الأبيض فإنه عيب يخجل بهيبة الملوك ولكن قل الفرس الأشهب ، فلما أحضر السباط قال لصاحب سمائه : قدم الصحن الأشهب فقال له الوزير : قل ما شئت فما في تقويمك حيلة .

(وحكى) أن عتاب بن ورقاء دخل على عمرو بن هذاب وقد كف بصره فقال له : يا سيدي لا يسوءك فقد هما ، فإنك لو رأيت ثوابهما لتمنيت أن الله تعالى يقطع يديك ورجليك ويدق عنقك .

(القسم الرابع) انتهاء القوة الغريزية إلى حد يعرف به عواقب الأمر ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة لأجل سلامة العاقبة ، ولا يخفى الناس فيه فإن إقدام الشبان على المعاصي أكثر من إقدام المشايخ وكذلك إقدام العلماء أقل من إقدام العوام لقوة علمهم بضرر المعاصي كما ترى أن الأطباء أقدر على الاحتماء من غيرهم .

(وحكى) أن بعض الملوك كان يتخذ كل سنة وزيرا فإذا تمت السنة عزله وبعثه إلى جزيرة واستوزر غيره إلى أن اتخذ وزيرا عاقلا ، فلما ولي بعث إلى تلك الجزيرة وبنى بها دارا لنفسه ونقل إليها ما كان له من الأموال فلما تمت السنة لم يعزله الملك بل أقره على حاله فسئل الملك عن ذلك فقال : اعلموا أني كنت محتاجا إلى وزير عاقل ينظر في العواقب فما وجدت إلا من يراعى الحال ولا ينظر في العواقب ، فسكرهت أن أعجل عزله فصبرت على سوء تدبيره سنة ، فلما عزلته كرهت اختلاطه بالناس وهو مطلع على أسرار ملكي فبعثته إلى الجزيرة ، وأما هذا الرجل فوجدته مراعىا للعواقب في جميع أموره فلست أستبدل به مادام هذا تدبيره ، والله الموفق للصواب بمنه وكرمه .

(فصل في خواص الإنسان وفوائده أجزاءه وهو النظر السادس)

أما خواصه فكثيرة :

(منها) النطق وهو القوة التي يعرف بها الإنسان ما في ضمير غيره بواسطة رمز أو إشارة أو كناية والكلام أقوى الدلالات منها .

(ومنها) قوة التعجب وهي التي توجب الضحك عند رؤية ما يتعجب منه وذلك من خاصة الإنسان دون غيره من سائر الحيوانات .

(ومنها) نبات الشعر على رأسه بخلاف سائر الحيوان لأن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون شعر الحيوانات كسوتها ووقايتها من الحر والبرد ، أما الإنسان فلما كانت كسوته من خارج جعل شعره على رأسه ليكون زينة ووقاية ، وخلق الإنسان أزرع إذ لو كان أزرع لبطل الجمال وحاسة اللمس .

(ومنها) الشيب فإنه لا يوجد إلا في الإنسان وسببه أن الإنسان أضعف حرارة وأكثر رطوبة وبياض الشعر إنما يكون من بلغم متعفن ولهذا لا يوجد إلا عند تغير المزاج إلى الرطوبة في آخر من الكهولة عند قصور الحرارة وكثرة الرطوبة فيحدث بخار متراوح متعفن يتولد منه شعر أبيض .

(ومنها) أنه إذا لمس العضو الوجع بالكف خف وجعه ، وكذلك إذا أصابه ضربة أو خدشة يمسكها بكفه فيسكن في الحال .

(ومنها) سراية بعض الأمراض ، زعموا أن من أدام النظر إلى العين الرمدة ترمد عينه ، ومن خالط الأجرى والأبرص والمجنون يحل به مثله .

(ومنها) أن الأبرص إذا مشى حافيا على الأرض لا يثبت موضع قدمه .

(ومنها) أن الإنسان إذا خصى يضعف بدنه بخلاف كثير من الحيوانات ، ويتن ربحه ويتغير وتكثر شهوة أكله وتطول عظامه وتعوج أصابعه وتقوى شهوة جماعه ويحتم كثيرا ويطول عمره ويقبل شعر بدنه ويصير صوته حادا دقيقا . ومن عجيب ما يعرض للخصيان سرعة الغضب والرضا وضيق الصدر عن كثبان السر وحب اللعب بالشرطيح :

(ومنها) أن الأعمى يصير أكثر الناس نكاحا كما أن الخصى يصير أصح الناس أبصارا فإنهما طرفان ناقص من أحدهما زاد في الآخر فزاد العميان إما قوة الفهم أو الحفظ أو النكاح :

(ومنها) أن الحائض إذا كشفت عن سرتها انقشع السحاب ، وإذا استلقت في أرض يخاف عليها البرد سلمت من ضرره ، وإذا دنت من الرياض والأشجار فسدت ، وإذا مرت

في المقناة تصير القشاء مرة ، وإذا نظرت في المرأة تكدرت ، وإذا وطئها الرجل يصير بليدا وينقص من نشاطه وطرأوته وحسنه ، وإذا مست المصروع سكن صرعه ، وإذا وطئت سلخ الحية ماتت تلك الحية وإذا رعت الغنم لم يقر بها الذئب ولو دنا منها يوجع بطنه ، وخرقة حياضها إذا شدت على مؤخر السفينة تأمن من الرياح المخالفة .

(ومنها) أن صاحبة الطلق إذا لبس قميصها من به حمى الربيع قبل أن يغسل تزول عنه .

(فصل في فوائده أجزاء الإنسان)

(شعره) يدخن به ينفع من النسيان ويغلى على النار ثم يطلى به رجل المنقرس يزول وجعه ، وشعر المرأة إذا وقع في الماء الملح المكشوف للشمس يصير حية . (جمجمة الإنسان) إذا كانت نخرة تجعل في برج الحمام يكثر فيه وبألفه ، وإذا وقعت في أرض يهرب عنها البق .

(دماغه) يسقى للملسوع أو يجعل على الموضع قدر حبتين أخرج السم من الموضع . (ودمع الإنسان) إذا كان من الفرح وهو بارد يجمع ويعطى للحزين يزول حزنه وإن أعطى للمصروع يزول صرعه ، وإن كان من حزين يجمع ويعطى إنسانا يبكي بكاء شديدا . (ريقه) سم

للعقرب ، ذكر جالينوس أن ههنا رجلا يرقى العقارب فتموت فأحضره وأحضر غداء وأكل معه ثم أحضر عقربا فرقى وتفعل عليها فلم يظهر بها شيء فعلم أن تلك الخاصية للعاب على الريق .

(ريق الصائم) يبيل به المغناطيس تبطل قوته فلا يجذب الحديد ، أول سن تقع من الصبي

يحفظ كيلا تقع على الأرض وتتخذها عروة من الفضة وتعلق على المرأة لانهج ، وزعم

بعضهم أن السن التي تقع من الألم يوم السبت أول الشهر إذا جعلت تحت رأس من يغط في

نومه فإنه لا يغط ، وسن الصبي تدق ناعما وتجعل على نهش الحيات تنفع نفعاً بينا . (سن الميت)

تعلق على من به وجع السن يسكن ألمه . (عظام الميت) يعلق على صاحب حمى الربيع تزول

حماه وتشد على رجل المنقرس تنفعه ويسحق وينفخ في دماغ السكران يبطل سكره ، ومن غلب

عليه الكهبر فان رجلا ينفخ في دماغه سحاقة عظم المرأة الميتة فإنه ينام وإن كانت امرأة نفخ

في دماغها سحاقة عظم الرجل الميت فإنها تنام . (عظم الإنسان) يحرق ويسقى من الصرع .

قال جالينوس : رأيت إنسانا يسقى الناس به تبرأسة الإنسان المقطوعة حال ولادته يجعل

شيء منها تحت فص زبرجد من تخم به أمن من القولنج . (فلفجة الصبي) تجفف وتذق ويخلط

معها شيء من المسك ويسقى من به ابتداء الجذام يقف ولا يزيد .

(خصيته) إذا علقت في خشبة وغرزت في وسط الزرع لا يقربه الجراد ، وكذلك

لو جعل في بستان ، ولو أكل خصية الإنسان كلب أو سنور أصابه الجنون ، ولو جففت

وسحقت واكتحل بها الأجره يزول عنه ، ولو أكل منها الخصى يحتمل ، زعموا أن قلامه

أظفار الإنسان كلها إذا أحرقت وسقيت إنسانا يحبه جبا شديدا بشرط أنه يعلم ، قالوا إنه يجرب .

(دمه) يخلط بالماء ويطل به بدن اللديغ يسكن وجعه ، وإذا رعف الإنسان فكتب اسمه بدمه على خرقة ووضعها نصب عينيه انقطع دمه : (دم الحيض) يطل به عضه الكلب الكلب يبرئه وكذلك من البهق والبرص وإذا طلى العين به من خارج سكن وجعها ، (دم حيض البكر) ينفع من بياض العين إذا كتحل به . (ثدى الجارية) إذا طلى بدم بكارة الجارية حال افتضاضها لا يكبر (نظفته) يطل بها البهق والبرص والقوبازيلها ، وإذا خلط به زهر الغبير أو جفف وأعطى امرأة عشقته عشقا مبرحا . (عرقه) إذا ترشح في الحمام يطل به الدمامل ينضجها . (عرق المصارعين) يطل به ثدى المرأة التي انعقد اللبن من ثديها يزول وجعها (عرق النساء) يطل به الجرب ينفعه . (لبن النساء) يشرب مع شيء من العسل يفتت الحجر من المثانة (لبن الجارية) يداف بشيء من الزعفران أو حب السمرجل ويقطر في الأذن قليلا قليلا يسكن وجعها (بوله) يغلى ويطل به رجل المنقرس يزول وجعها وإذا شرب ينفع من نهش الأفاعى والأدوية القتالة (بول الصبي الذي لم يحتم) يطبخ في إناء نحاس مع العسل جلاء للبياض العارض في العين ، ويشرب منه صاحب البرقان ماء مقدار رطل بحيث لا يدري يزول عنه ذلك . (بول من لم يبلغ عشرين) إذا شربه صاحب البرص يرى منه ، ويطل به الجرب المتقرح والحكة والقوبا يمنعها من أن تسعى ، قال ابن سينا : بول الانسان مع رماد السكرم يوضع على موضع النزف يقف وينفع من نهش الأفاعى شربا ، وقال أيضا : أمر إنسان مطحول في النوم يشرب من بوله كل يوم ثلاث حفنات ففعل فعوفي وجرب فوجد عجيبا (رجيعه في الصبا) يكتحل به يزول بياض العين . قال بليناس : يداف شيء منه مع خمر ويسقى من به القالنج العسر فإنه يطل ، ومن لسعته الرتيلا يسقى منه ويجعل في تنور حتى يعرق عرقا كثيرا فإنه ينجو من الموت ويؤخذ الرجيع من بيت الزنبور ويحرقان ويطل به الجرب في الحمام ثلاثة أيام فإنه يزول ، وإن اكتحل به أيام يزول جرب العين ، وإذا جفف الرجيع وسحق وعجن بالعسل ويطل به ينفع من الخوانيق وزيلها ، وكذلك شربها ينفع أيضا لمن أصابه سهم مسموم . (حيات بطن الانسان) تجفف وتسحق ويكتحل بها يذهب بياض العين والله الموفق للصواب .

(النوع الثاني من الحيوان) زعموا أن الجن حيوان نارى مشف الجرم من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة ، واختلف الناس في وجود الجن فمنهم من ذهب إلى أن الجن والشياطين مرده الإنس وهم قوم من المعتزلة ، ومنهم من ذهب إلى أن الله تعالى خلق الملائكة من نور النار وخلق الجن من لهبها والشياطين من دخانها ، وأن هذه الأنواع لا يراها الناظر ، وأنها تتشكل بما شاءت من الأشكال فإذا تكاثفت صورتها يراها الناظر . وجاء في الأخبار أن نوع الجن في قديم الزمان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كانوا سكان الأرض ، وكانوا قد طبقوا

الأرض برا وبحرا وسهلا وجبالا وكثرت نعم الله تعالى عليهم فكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة فظفقت وبغت وتركت وصية أنبيائها وأكثرت في الأرض الفساد ، فأرسل الله تعالى إليهم جندا من الملائكة فسكنت الأرض وطردت الجن إلى أطراف الجزائر وأسرت منها كثيرا وكان ممن أسر عزازيل وجرى بينهم قتال وكان عزازيل إذ ذاك صبيان نشأ مع الملائكة وتعلم من علمهم وأخذ يسوسهم وطالت أيامه حتى صار رئيسا ، وبقي الأمر على ذلك زمانا طويلا حتى جرى بينه وبين آدم ماجرى كما قال الله تعالى - فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس - وقال تعالى - وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه - قال مجاهد : لإبليس خمسة من الأولاد وقد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره ، فذكر أن أسماءهم بيهر والأعور ومسرت وداسم وزلنبور ، وأميره فصاحب المصائب يأمر بالثبور وشتق الجيوب ، وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به ويزينه في أعينهم ، وأما مسرت فصاحب الكذب ، وأما داسم فيدخل بين الزوجين ويوقع بينهما البغضاء ، وأما زلنبور فهو صاحب السوق فيسببه لا يزال أهل السوق متخاصمين .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلتني وجعلتني رجيا فأجعل لي بيتا قال الحمام قال فأجعل لي مجلسا قال الأسواق وجماع الطرق قال فأجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسم الله عليه قال فأجعل لي شرابا قال كل مسكر قال فأجعل لي مؤذنا قال المزامر قال فأجعل لي قرآنا قال الشعر قال فأجعل خطا قال الوشم قال فأجعل لي حديثا قال الكذب قال فأجعل لي مصائد قال النساء . »

(فصل في عجائب من مكايد الشيطان)

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان راهب في بني إسرائيل اسمه يرصيصا مستجاب الدعوة فأخذ الشيطان جارية فمخنتها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فحملوها إليه فأبى أن يقبلها فإز الوا به حتى قبلها ، وكانت عنده ليعالجها فأناه الشيطان فوسوس إليه وزين له مقاربتها فلم يزل حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن يأتيها أهلها فتفتضح فاقتلها وقل لهم ماتت فقتلها ودفنها ، فأبى الشيطان أهلها وأخبرهم أنه أحبلها وقتلها ودفنها ، فأناه أهلها وأرادوا قتله فأناه الشيطان وقال له : أنا الذي أخذتها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها فأطعني تنجح وتنجو واسجد لي سجدين ، ففعل فقتل على الكفر. قال تعالى - كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين - .

(ومنها) ماروى عن عيسى عليه السلام أنه لما رفع كان له تلامذة يدعون الناس إلى التوحيد وأكبرهم أربع نفر مرقس وهو أصغرهم سنا وحسن وهو أعينهم ومنبوس وهو

أوسطهم ويوقاس وهو أسنهم فبنى كل واحد منهم صومعة يعبد الله تعالى فيها فجاء الشيطان إلى مرقس ويده سراج فقال له من أنت؟ قال: أنا رسول المسيح إليك وإلى أصحابك يقول: وبلكم أنتم عرفتم أني كنت أبري الأكمة والأبرص، وأحبي الموتى، ومن كان كذلك يكون لها فكيف تنسبوني إلى العبودية، فنزل عن صومعته ودخل على محسن وأخبره بما سمع من الشيطان فقاما إلى صومعة منبوس وذكرنا له ما كان من الشيطان فقال منبوس: كانت نفسي تحدثني بذلك غير أني كنت أكذبها، فقاموا إلى صومعة يوقاس وحدثوه بذلك فقال لهم: إن عيسى ثالث ثلاثة، فدعوا الناس إلى ذلك فاضلوا وأضلوا العنهم الله:

(ومنها) ما ذكر في الإسرائيليات أن عابدا سمع أن قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فقام بالأس لقطع الشجرة فلقبه إبليس لعنه الله في صورة شيخ فقال له: وأي شيء تريد يرحمك الله؟ فقال: أريد قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله، فقال له: ما أنت وذلك تركت عبادتك وتفرغت لهذا فالقوم إن قطعها يعبدون غيرها، فقال العابد: لا بد لي من قطعها، فقال إبليس: أنا أمنعك عن قطعها، فقاتله العابد وضربه على الأرض وقعد على صدره، فقال له إبليس: أطنتني حتى أكلمك؟ فأطلقه فقال: يا هذا إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا وله في الأرض عباد لو شاء أمرهم بقطعها، فقال العابد: لا بد لي من قطعها فتابذه للقتال فغلبه العابد مرة أخرى وصرعه، فقال له إبليس لعنه الله: هل لك أن تجعل بيني وبينك أمرا، هو خير لك من هذا الحال؟ فقال له العابد: وما هو؟ فقال له: أنت رجل فقير فاعلمك تحب أن تفضل على إخوانك وجيرانك وتستغني عن الناس؟ فقال: نعم فقال: ارجع عن ذلك ولك على أن أجعل تحت رأسك كل ليمة دينارين تأخذها وتنفقهما على عيالك وتتصدق منهما فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة، فتفكر العابد وقال: صدقت فيما قلت فعاهده على ذلك وحلف له وعاد العابد إلى متعبده، فلما أصبح العابد رأى دينارين تحت رأسه فأخذهما وكذلك في اليوم الثاني فلما كان في اليوم الثالث وما بعده لم ير شيئا، فغضب وأخذ الأس وذهب نحو الشجرة فاستقبله إبليس لعنه الله في صورة ذلك الشيخ وقال له: إلى أين تريد؟ قال: إلى قطع هذه الشجرة، فقال له: ليس لك إن ذلك من سبيل فتناوله العابد ليغلبه كما غلبه قبل ذلك، فقال إبليس، هيات هيات وأخذ العابد وضربه على الأرض كالعصفور وقال له: لئن لم تنته عن هذا الأمر وإلا ذبحتك، فقال العابد: خل عني وأخبرني كيف غلبتني؟ فقال: لما غضبت لله تعالى سخرني الله تعالى لك والآن غضبت للعالم ولنفسك فصرعتك.

(ومنها) ما ذكر أن مردك ادعى النبوة في زمن قيار ملك العرب وجعل الأموال والأبضاع مشتركة بين الناس فبعه خلق كثير لا يحصى ولا يعد، فاحتال ابن كسرى الحير وقتل مردك وأصحابه اثني عشر ألفا في يوم واحد وهرب منهم كثير ونواختوا في البلاد فإذا مات منهم

ميت دفنوه وقعدوا مترصدين أول ليلة من دفنه فيأتيهم إبليس لعنه الله على صورة الميت يقول: جثثكم لأودعكم اعلموا أن دين مردك حق ، حتى لو مات أحدهم فجأة وكان عنده ودیعة : قالوا اصبر فإنه يأتينا للوداع فنستخبره عن الودیعة .

(فصل ذكر بعض المنشيطنة)

وأشهرها الغول ، زعموا أن الغول حيوان شاذ مشوه لم تحكمه الطبيعة ، وأنه لما خرج مفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار ، وهو يناسب الإنسان والبهيمة وأنه يترامى لمن يسافر وحده في الليالي وأوقات الخلوات فيتوهمون أنه إنسان فيصد المسافر عن الطريق . وقال بعضهم إن الشياطين إذا أرادوا استراق السمع تصيهم الشهب فمنهم من احترق ومنهم من وقع في البحر فصار تمساحا ومنهم من وقع في البر فصار غولا . قال الجاحظ : الغول كل شيء من الجن يتعرض للفساد ويكون في ضروب الصور والثياب . قال كعب بن زهير :

فما تدوم على حال تكون بها كما تلون في أثوابها الغول

وذكر جماعة من الصحابة رضی الله عنهم أنهم رأوا الغول في أسفارهم منهم عمر بن الخطاب رضی الله عنه رأى الغول في سفره إلى الشام قبل الإسلام فضربه بالسيف ، وذكر ثابت ابن جابر الفهمي رحمة الله عليه أنه لقي الغول وجرى بينهما ما ذكر ، فقال الشاعر المعروف بتأبط شرا الفهمي في ذلك :

ألا من مبلغ فتیان فهم	يا لا قيت عند رحا بطان
فإني لقد لقيت الغول تهوى	بشهب كالصحيفة صحصحان
فقلت له كلانا نضو دهر	أخا سفر فخلي لي مكاني
فشدت شدة نحوى فأهوى	لما كفى بمصقول يماني
فأضربها بلا دهش فخرت	صريعا لليدين وللحران
فقال عد فقلت لها رويدا	مكانك إنني ثبت الجنان
فلم أنفك متكئا لديها	لأنظر مطبخا ماذا أتاني
إذا عينان في رأس قبيح	كرأس الهر مشقوق اللسان
وساق مخدج وسرار كلب	وثوب من علا وشنان

(ومنها) السعلاة ، وهي نوع من المنشيطنة مغايرة للغول . قال عبيد بن أيوب يذكرها :

وساخرة مني ولو أن عينها	رأت ما ألقىه من الهول حبت
أبيت وسعلاة وغول بقفرة	إذا الليل وارى الجن فيه أزنت

وأكثر ما توجد السعلاة بالغياض إذا ظفرت بإنسان ترقصه وتلعب به كما تلعب الهر بالفأرة ، رأيت رجلا من بلاد اصفهيد ذكر أن عندهم من هذا النوع كثير ، وذكروا أن

الذئب ربما يصطادها بالليل يأكلها فإذا اقتربها ترفع صوتها تقول: أدركوني فإن الذئب قد أكاى ، وربما تنادى من يخلصنى ومعى مائة دينار يأخذها، والقوم يعرفون أنه كلام السملا ولا يخلصها أحد فياً كلها الذئب .

(ومنها) الغدار ، وهو نوع آخر من المتشيطنة يوجد بأكتاف اليمن وربما توجد بتهاى مصر وأعالها يلحق الإنسان فيدعوه إلى نفسه فيقع عليه ، فإذا أصاب الإنسان منه يقول أهل النواحي : أمنكوح أم مدعور ؟ فإن كان منكوحا ينسوا منه ، لأن له قضيبا كقرون الثور يمتل الإنسان بغرزه فيه وإن كان مدعورا سكن روعه وشجع ، والإنسان إذا عاين ذلك ينجر مغشيا عليه وربما لم يكثرث لشجاعة نفسه .

(ومنها) الدهاب ، وهو نوع آخر من المتشيطنة يوجد فى جزائر البحار ، وهو على صورة إنسان راكب على نعامة يأكل لحوم الناس الذين يقذفهم البحر . وذكر بعضهم : أن الدهاب إذا تعرض لمركب فى البحر وأراد أخذ أحدهم فحاربوه فصاح بهم صيحة خروا على وجوههم فأخذهم .

(ومنها) الشق ، وهو نوع آخر من المتشيطنة صورته كخصف آدمى ، زعموا أن النسناس مركب من الشق والإنسان ، يظهر للإنسان فى أسناره :

(وذكر) أن علقمة بن صفوان بن أمية خرج فى بعض الليالى فانتهى إلى موضع يعرف بجومان فإذا قد تعرض له شق فقال علقمة : إنى مقتول ، وإن لحمى مأكول ، أضرهم بالهدلول ضرب غلام بهلول ، فقال علقمة : يا شق أقبلى مالى ومالك عهد على بفضلك تقتل من لا يققلك ، فقال شق هيت لك نفسى فاصبر لما قد حم لك فضرب كل واحد منهما صاحبه فقتله فوقعا ميتين وهو مشهور أن علقمة بن صفوان قتله الجن ، والله تعالى أعلم :

(ومنها) المذهب ، ذهب بعض العباد أن لم شيطانا يقال له المذهب يخدمهم ويريد أن يريهم العجب ، وأن بعض العباد نزل به ضيف وأقام عنده أياما لم يرفى صومعة العابد أحدا وكان يرى كل ليلة عند الإفطار منارة ومسرجة وخوانا عليه طعام ، فتعجب الضيف من ذلك وسأل العابد عنه فأعرض عن جوابه فألح عليه فقال : اعلم أن هذا منذ مدة يأتينى به شيطان يريد أن أحمله على كراماتى ، وأنا أعلم أنه من الشيطان من أول يوم فعند ذلك انطفأ السراج وزال الطعام ، والله الموفق للصواب .

(فصل فى حكايات عجيبة عن الجن وما جرى لهم)

روى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «أن إبليس لعنه الله يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأعظمهم فتنة أذناهم منه مجلسا فيجئىء أحدهم

فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً ثم يجيء أحدهم فيقول فرقت بينه وبين أهله فيقول نعم أنت ابني فيدنيه مني .

(ومنها) ما حكي أن الله تعالى لما سخر الجن لسليمان عليه السلام نادى جبريل عليه الصلاة والسلام : أيتها الجن والشياطين أجيئوا بإذن الله تعالى لئيبه سليمان بن داود ، فخرجت الجن والشياطين من المقازات ومن الجبال والآكام والأودية والتلوات والآجام وهي تقول : لبيك لبيك ، تسوقها الملائكة سوق الراعي غنمه حتى حشرت سليمان طائفة ذابئة ، وهي يومئذ أربعائة وعشرون فرقة ، فوقفوا بين يدي سليمان فجعل ينظر إلى خلقها وعجائب صورها وهم بيض وسود وصفر وشقر وبلق على صورة الخيل والبغال والسياب وطاخر اطيم وأذئاب وحوافر وقرون ، فسجد سليمان لله تعالى وقال : اللهم ألبسني من القوة والهيبة ما أستطيع النظر إليهم ، فأناه جبريل عليه السلام وقال : إن الله تعالى قواك عليهم قم من مسكانك ، فقام والخاتم في أصبعه فخرت الجن والشياطين ساجدة ، ثم رفعت رؤوسها وقالت : يا بن داود إنا قد حشرنا إليك وأمرنا لك بالطاعة ، فجعل سليمان عليه السلام يسألهم عن أديانهم وقبائلهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ، فقال لهم : مالكم وركم مختلفة وأبوكم الجن واحد؟ فقالوا : إن اختلاف صورنا لاختلاف معاصينا واختلاطه بنا ومنا كحمتنا مع ذريته ، فنظر سليمان عليه السلام فرأى المردة يهيمون بالفساد والملائكة يحولون بينهم وبين ذلك بالأعمدة ، فصفد المردة وفرقهم في الأعمال المختلفة من عمل الحديد والنحاس وقطع الأحجار والصخور والأشجار وأبنية الحصون ، وأمر نساءهم بغزل القز والإبريسم والقطن ونسج البسط والخمارق ، وأمر بعضهم بعمل الخاربيب والتماثيل وجفان كالجواب وقدر راسيات ، فاتخذوا له قدوراً من الحجارة كل قدر تأكل منها ألف نسمة ، وأشغل طائفة منهم بالطحن وطائفة بالخبز وأخرى بالذبح والسبخ ، وطائفة بالغوص في البحار لاستخراج الجواهر واللآلئ ، وطائفة لحفر الآبار والتقى وشق الأنهار ، وطائفة لاستخراج الكوز من تحت الأرض ، وطائفة بالمعدنيات واستخراجها من المعادن ، وطائفة بريضة الخيل الصعاب ، فأشغل كل طائفة منهم بأمر صعب ليقبل فسادهم ويكون قوة ملكه .

وقال وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه : كان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا شرب الماء كلفت الشياطين في وجهه وهو لا يراه لأن الكوز كان يمنعه ففكره ذلك منهم فاتخذ له صخر الجني الأواني من القوارير كان يشرب منها ولا يمنعه من ذلك رؤية الشياطين ، ثم أمره أن يتخذ له مدينة من القوارير لا تحجب سقوفها وحيطانها شيئاً ، فبنى مدينة على طول عسكر سليمان عليه الصلاة والسلام وعرضه ، وجعل لكل سبط من الأسباط فيها قصرأ في طول ألف ذراع وعرض مثله ، وفي كل قصر دور ومجالس وبيوت وغرف لرجال والنساء .

ثم بنى مجلساً في طول ألف ذراع وعرضه كذلك ليجلس فيه العلماء والقضاة ، ثم بنى لسليمان عليه السلام قصراً رفيعاً عجيباً في طول خمسة آلاف ذراع وعرضه مثله وزخرفته بأنواع القوارير ورصعه بأنواع الجواهر ، وكان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا ركب الريح على بساطه في هذه المدينة يرى كل شيء كان على بساطه خارج المدينة لصفاء القوارير حتى الطباخين والخبازين وجميع من ركب بساطه من الجن والإنس والخليل والخدم والحشم وكان الكل يبرأى من سليمان عليه الصلاة والسلام والريح تمشي بأمره رخاء حيث أصاب :

وقال وهب بن منبه : لما رد الله تعالى على سليمان ملكه أمر الريح الصرصر حتى حشرت إليه شياطين الدنيا فرآهم سليمان عليه السلام على صورة عجيبة : منهم من كانت وجوههم إلى أفتيتهم ويخرج النار من فيه ، ومنهم من كان يمشي على أربع ، ومنهم من كان له رأسان ومنهم من كانت رؤوسهم رؤوس الأسود وأبدانهم أبدان الفيلة ، فرأى سليمان عليه السلام شيطانه نصفه صورة الكلب ونصفه صورة السنور وله خرطوم طويل فقال له : من أنت؟ فقال : أنا مهر بن هفان بن فيلان فقال سليمان عليه السلام : ما عندك من الأعمال؟ فقال عندي عمل الغناء وعصر الخمر وشربه ، وأزين الشرب والغناء لبني آدم ، فأمر بتصفيده ثم مر به آخر قبيح الشكل أسود له سمج الكلاب والدم يقطر من كل شعرة على بدنه وهو قبيح الشكل جدا ، فقال له : من أنت؟ قال : أنا الهلهال بن الحول ، فقال له : ما عملك؟ فقال : سفك الدماء ، فأمر بتصفيده ، فقال : يا نبي الله لا تقيدني فإني أحشر إليك جبابرة الأرض وأعطيتك العهد والميثاق أن لا أفسد في مملكتك ، فأخذ عليه الميثاق ظافر وختم على عنقه وأطلقه ، ومر به آخر في صورة قرد له أظافر كالمناجل وهو قابض على بربط ، فقال له : من أنت؟ فقال : أنا مرة بن الحارث فقال له : ما عملك؟ فقال : أنا أول من وضع هذا البربط وحركها فلا يجد أحد لذة الملاهي إلا بي ، فأمر بتصفيده :

قال أبو عبيدة : خرج عبيد بن الأبرص يريد الشام فاما كان ببعض الطريق عرض له شجاع يلهث عطشا فعمد عبيد إلى راوية ونزل عن بعيره وسقى الشجاع حتى روى ، ثم مضى حتى أتى الشام وقضى حاجته وانصرف فإذا في الليالي أضل بعيره ونكب عن الطريق وساء ظنه وإذا هاتف يقول :

يا صاحب البكر المضل مذهبه دونك هذا البكر منا فاركبه
حتى إذا الليل تراءى غيبه وأقبل الصبح ولاح كوكبه
فحط عنه رحله وسببه

فرأى بعيراً فاستوى على ظهره فلم يلبث أن رأى باب داره وكان على مسيرة عشرين مرحلة فأقبل يحط عنه الرجل وهو يقول :

ياصب البكر قد أنجبت من كرم
هلا بدأت لنا خلوا لتعرف من
ارجع حميدا فقد بلغت حاجتنا
فأجابه بقوله :

أنا الشجاع الذي أرويتني ظمأ
وجدت بالماء لما عز مطلبه
هذا جزاؤك منا لا نمن به
الخير يبقى وإن طال الزمان به

قال جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه : وفدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسيت بواد وحدي فإذا شخص واقف على فقال لي : انطلق . قلت : وأنا آمن ؟ قال : نعم فذهبت معه إلى جميع شيب وشبان ، فقالوا : إنسى ؟ قال : إنسى . قالوا : أنشدنا ، فأنشدتهم :

• ودع هريرة إن الركب مرتحل •

فضحكوا وقالوا : شعر سجل ، ادعه يا غلام فأقبل شخص كأنه رمح ورأسه مثل قلة ، فقالوا : هذا إنسى أنشدنا من شعرك ؟ قال جرير : فحدثتهم إلى الصبح ، وعلموني دواء لا أحد يعرفه إلى اليوم ، فلما قدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته به قال : حدث الناس به ، وقد جرى ذكر الجن في مجلس عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال رجل من بني الحارث : خرجت عاشر عشرة أريد الشام فتأخرت عن أصحابي حتى اختلط الظلام فرفعت لي نار فقصدتها ، فإذا أنا بنخيمة أمامها جارية جميلة ، فقلت لها : ما تصنعين في هذا المكان ؟ فقالت : أنا جارية من فزارة اختطفني عفريت وهو يغيب عني بالليل ويأتيني بالنهار ، فقلت لها : امضى معي ، فقالت : إنى أخاف على نفسي الهلاك ، فألححت عليها فأركبتهاناقتي وجعلت أمشي فسرنا حتى طلع القمر ، فالتفت فإذا ظليم عظيم عليه راكب فقالت هاهو قد أتى فما تريد أصنع ، فنزلت وأنخت راحتي وخططت حولها وقرأت آية من القرآن وتعوذت بالله ، فتقدم إلى وأنشد يقول :

ياذا الذى للحين يدعوه القدر
خل عن الحسناء رسلا ثم سر
إنى أمر مالك حين فاصطبر

فأجبهته وقلت :

ياذا الذى للحين يدعوه الحمق
خل عن الحسناء رسلا وانطلق
فلست فى الجن بأول من عشق

فبرز إلى فى صورة أسود فتصارعنا فلم يظلب أحد منا صاحبه ، فقال لي : هل لك فى

خصال ثلاث؟ قلت: ما هي؟ قال: تجز ناصيتي وتعرض عن الجارية، قلت: ناصيتك أهون شيء على. قال: فتأخذ ما تشاء من الإبل؟ قلت: لا أبيع ديني بعرض الدنيا. قال: فأخدمك أيام حياتي؟ قلت: مالي إلى خدمتك حاجة، فأنشد يقول:

بلى جسدى والحب يبلى جديده ولم يبلى منى إذ بلى جسدى وحدى
عليك سلام الله يادعد ما جرت رياح الصبا في الغور يوما وفي نجد
فسرت بها إلى أهلها فزوجنيها أهلها ولي منها أولاد.

(وحكى) بعض الرعاة أنه نزل بواد بغنمه فسلب ذئب شاة من غنمه فقام ورفع صوته ونادى: يا عامر الوادى، فسمع صوتنا يقول. يا سرحان رد عليه غنمه، فجاء الذئب بالشاة وتركها وذهب.

(وحكى) عن بعض الأعراب أنه أبق له غلام قال: فخرجت أفقوا أثره فبينما أنا أسير إذ رأيت أربعة يختصمون في شعر الفرزدق وجريير، فدنوت إليهم وسلمت عليهم وقلت لهم: أيهما أشعر؟ فقال شيخ منهم: الذى يقول:

وكل رضيع منهاه رضاعه وكل كلبى من اللؤم راضع
فلم تتبعوا موت الهزبل ببابكم بنى الكلب والحامى الخفيضة مانع
فقال أحدهم: والله كان الصعب شاعرا، ولقد كان حاطب له قرنا في الجواب حيث قال:
إذا قيل أى الناس شر عشيرة وأكثر عارا قيل تلك مجاشع
ولو سفرت يوما نساء مجاشع بدت سوءة فيما تبجن البراقع
وأنشد شيخ منهم:

لا تعدان بشعر كندة غيره إلا اللواتى من مقال زياد
لله هادر فى القريض لقد جنى منه العداة زيادهم بجياد

فقلت له: ما عرفت الصعب وحاطبا وهادرا؟ قال الشيخ: أما الصعب فالناطق على لسان اليربوعى، وحاطب على لسان الذبياني. وهادر على لسانى قال: فضحكت وظننت أن كلامهم استهزاء. قال بعضهم: هل لك من حاجة إلى غلامك؟ قلت: وما علمك بقصة غلامى؟ قال: كعلمى بجهلك. قلت: أو جاهل أنا عندك؟ قال: وأحق، ثم قام ومضى وجاء بغلامى، فلما رأيت الغلام غشى على وكان الغلام مكتوبا بلارباط، فقال لى ذلك الرجل: انفخ فى كف غلامك حتى يستوى، فنفخت فأطلق، فصرت بعد ذلك لأنفخ فى شيء من الأوجاع إلا برى.

وذكر إبراهيم بن المنصور: أن محمدا الأمين غضب عليه فسلمه إلى كوثر الخادم فحبسه فى سرداب وأغلق عليه الباب وكان إبراهيم عديم المثل فى الغناء. قال: فكثت فى السرداب

ليلة فلما أصبحت إذا أنا بشيخ خرج من زاوية السرداب دفع إلى وسطا وقال : كل فأكلته
ثم أخرج قنينة وقال : اشرب فشربت ، ثم قال غن لى فغنيت :

لى مسدة لا بد أبلغها معلومة فإذا انقضت مت
لو ساورتنى الأسد ضارية تغلبتها إن لم يجى الوقت

فسمع كوثر صوتى فذهب إلى الأمين وقال له : إن عمك قد جن هاهو قاعد يعنى
فى السرداب بكيت وكيت ، فأمر بإحضارى فأخبرته بالقصة فرضى عنى وأمر لى بسبعمائة
ألف درهم .

(النوع الثالث من الحيوان الدواب) هذا النوع أحسن البهائم صورة وأكثرها نفعا ،
ولما كان الإنسان لطيف البدن بطيء المشى كثير العدو من جنسه وغير جنسه وحركاته
قاصرة عن الوفاء بمقاصده من الطلب والحرب اقتضت الحكمة الإلهية خلق هذا النوع من الحيوان
وهده إلى تذليلها وتصريفها تحته فى إنجاح مقاصده ليقوم له مقام الجناح للطائر والقوائم للبهائم
والدواب ، فقال عز من قائل - والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة - زعموا أن أذنانها
إنما خلقت فوق رأسها ذات حركات شتى لتحاذى بالثقب جهات شتى ويرد الهواء إليه
فتكون فائدة السمع أكثر ، ولما كان الفرس أذكى حسا من الحمار خلقت أذنه أصغر من
أذن الحمار وذنبه أطول من ذنب الحمار لأن الفرس يكفيه من قرع الهواء دون ما يكفى الحمار
لصفاء حس الفرس وكدورة حس الحمار وكذلك طول ذنبه لأن إحساسه بلدغ الحوام
فوق إحساس الحمار فجعل طاقات ذنبه طويلة ليطرد بها الحوام عن بدنه ، ولما كان المطاوب
من الدواب السير صلبت حوافها ليمكن المشى الكثير عابها وليكون سلاحا دافعا للعدو
فإن كل حيوان له حافر لاقرن له لأن المادة لاتنى بهما جميعا وكل حيوان له قرن لاحافر له
بل له ظلف فإن المادة تنى بها فتم آلة المشى والسلاح فسبحان من أعطى كل شىء ما يستحقه
دون الزيادة والنقصان. ولتذكر ما يتعلق بأصناف الدواب إن شاء الله تعالى :

(فرس) هو أحسن الحيوانات شكلا بعد الإنسان وأرشد الدواب عدوا وذكاء ، وله
خصال حميدة وأخلاق مرضية ، وله صفاء اللون وحسن الصورة وتناسب الأعضاء وحسن
طاعته للفارس كيف شاء صرفه وانقاد له ، ومن الخيل ما لا يبول ولا يروث مادام الراكب عليها .
(ومنها) ما يستعمل فى لعب الكرة مرارا يتعلم ذلك فرا كبه لا يحتاج إلى إدارته بل يكون
نظره على الكرة كلما رأى الكرة عدا خلفها ومن الخيل ما يعرف صاحبه ولا يمكن غيره من ركوبه .
ومن كرم أخلاقه أنه إذا ضلت حجرة ولدها يرضع مهرها سائر الحجاج إشفافا عليه . وقال
محمد بن السائب الكلبى : إن الصافنات الجياد التى عرضت على سليمان عليه الصلاة والسلام
كانت ألف فرس ورثها من أبيه داود عليه الصلاة والسلام ، فلما أهدته عن صلاة العصر حتى

توارت بالحجاب عرقها إلا أفراسا فوفد عليه قوم من الأزد وكانوا أصهاره فلما فرغوا قالوا
يا نبي الله أرضنا شائعة زودنا ما يبلغنا إليها ، فأعطاهم من تلك الخيل وقال : إذا نزلتم
منزلا فاحلوا عليه غلاما واحتطبوا فإنكم لاتورون ناركم حتى يأتكم بطعام فساروا بالفرس ،
وكانوا إذا نزلوا منزلا حملوا عليه غلامهم للقص فلا يفوته شيء يقع عليه عينه من ظبي أو بقر
أو حمار إلى أن قدموا بلادهم فسموا ذلك الفرس زاد الراكب ، وزعموا أن خيل العرب من نتاجه :
(فصل في خواص أجزائه) .

(سنه) تشد على الصبي تنبت أسنانه بلا ألم ويترك تحت رأس من يغط في نومه يزول
عنه ذلك (لحمه) صالح لطرد الرياح . (ذنبه) يؤخذ منه شعره ويمد على باب البيت عرضا
لم يدخله بعوضة (حافر الرمكة) إذا تبخرت به المرأة يخرج الجنين الميت والمشيمة المحتبسة :
(حافر الفرس الشموس) تدفن في الدار تهرب عنها الفأرة ، وإذا سقيت الفاريج أول
ماتسقيها في حافر الفرس لا يقربها باشق ولا شاهين ولا شيء من الجوارح : (وعرقه)
يطل به عانة الصبي وإبطه لا ينبت عليهما الشعر : (وزبله) يدخن به تحت من عسرت ولادتها
تسهل عليها ، ويابس يد على الجراحات ينقطع دمها .

(البغل) المتولد من الفرس والحمار إن كان الذكر حمارا فشديد الشبه بالفرس وإن كان
الذكر فرسا فشديد الشبه بالحمار ، ومن العجب أن كل عضو فرضته منه يكون بين الفرس
والحمار وكذلك أخلاقه فليس له ذكاء الفرس ولا بلادة الحمار وكذلك صوته ومشيه بين الفرس
والحمار ولا شك في عقمها لكن منهم من يقول إن الولد لا يتعلق في رحمها ، ومنهم من يقول
يتعلق لكن يخرج ضيق لا يمكنه الخروج فتموت الأم وكذلك يجهاونها مكتوبة لأن الذكر
إذا نزا عليها أحبلها فتموت بالولادة :

(فصل في خواص أجزائه)

(شحم أذنه) إذا سقى امرأة لا تحبل ، وكذا (وسخ) أذنه يداف ويسقى ويمنع من الحبل :
(غمه) إذا طعم إنسان منه ينقض من جميع حواسه حتى يبقى كالنائم ، وإذا أطعمت الحبلى تلد
ابنها خبيثا . (قلبه) تأكله المرأة لا تحبل أبدا . (نحافة حافره) إذا أحرقت حتى
صارت رمادا يمنع من الحبل إذا أكلته المرأة ، ويطل به رأس الأقرع أي يدهن الآس ينبت
شعره (خصيته) تشد خرقه حرير وتعلق على دابة تقوى على السير ولا تعب . (بوله)
تشره المرأة تسقط الجنين الميت وصاحبة الطلق تضع سريعا . (زبله) زعموا أن المزكرم
إذا شمه ونقل عليه ثم رماه على الطريق فن تحطاه ينتقل الزكام إليه ويرأ الناقل . (الزنبور
الذي يوجد في دبر البغال) يجفف ويتبخر به صاحب البواسير يبرأ ، وجلاد جهته يحرق
في مكان لا يتم فيه شيء من الأمور البتة .

(حمار) حيوان خدر الأعضاء من غاية البرودة كدر القوى إلى الحافظة فإنه إذا مشى بطريق لا ينسأه بعد ذلك ، وإذا ضل المكارى طريقه قدم حمارا قارحا ويخلى سبيله يمشى كما أراد يمينا وشمالا فإنه يعثر بالطريق وإذا وقع بالطريق يحرك رأسه وأذنيه وذنبه يعني إذا أصاب الطريق. وزعموا أن الكلب إذا سمع نهيق الحمار يتألم ظهره ، وإذا سد أذناه لا يهتق ، وإذا رأى الأسد وقف وقف مكانه وربما عدا إليه بحسب أن ذلك ينفعه من سطوته كما أن الشاة إذا تسلمها الذئب فإنها تعدو مع الذئب تحسب أن ذلك ينفعها من سطوته . وقال بليناس في كتاب الخواص :
إذا حملت خنزيرا عطشاننا على ظهر حمار فإذا شرب الحمار مات الخنزير :

(فصل في خواص أجزائه)

(مخه) من سقى منه يغلب عليه الذسيان ، ولو سقيته الحبلى ولدت أبله . (سنه) يجعل تحت رأس من به سهر ينام ، (كبده) يشد مجففا على من به حمى الربع تزول عنه : (طحاله) يجفف ويطلق به ثدى النساء يكثر لبنها . (حافره) يسحق ويطلق به جبهة المصروع أياما يزول صرعه ، ويخلط بالزيت ويطلق به الخنسايزر يخللها . قال : يسحق حافر الحمار ويطلق به البرص فإنه يقلعه ولو كان عتيقا ، وإذا تدخنت المرأة به يسرع خروج ولدها حيا كان أو ميتا وإذا خلط محرقا بدهن الجوز وجعل على الناصور يصلحه ، ويؤخذ من ذنبه ثلاث طاقات حين نزوانه على الأتان ويشد على ساق الرجل ينعظ في الحال . (لحمه) من أكل منه يأمن من آفات السموم ، وينفع صاحب الجذام نفعا بينا . (دمه) يطل به البواسير مرارا تسقطه (لبنه) يسقى الصبي الذى يكثر بكاؤه يزول عنه ، ومن ضرب بالسياط يكمد يجلد الحمار في الوقت الذى سلخ وينام فيه يومه فإنه يزول الألم : (جلد جهته) يعلق على المصروع يزول صرعه . (ذنبه) يلقى في النبيذ شئ من شعره يقع بين شاربها خصومة ، وتسقى عصارة روثه لمن في مثانته حصاة يفتتها ، وذكر الجاحظ : أن تلك العصارة دواء للضرس المأكول .

(حمار الوحش) هذا النوع شديد الشبه بعضها ببعض ، وذكروا أن الفحل إذا رأى جحشا ذكرا ينزع خصيته حتى لا يزاحمه إذا كبر في أتانه ، والأتان إذا ضربها الطلق طلبت موضعا قليل المسلك ووضعت فيه خوفا من أن يكون الولد ذكرا فيخصيه الفحل ثم إذا صلب حافره وقدر على العدو أتت به إلى الغابة ، ومن عاداتها أنها لا ينقطع بعضها عن بعض ولو كانت ألوفا ولذلك يسهل صيدها فإن الصائد يكمن في مضيق ويصبر حتى يعبر عليه بعضها ثم يخرج فلورجعت البقية سلمت من الصائد لكنها أرادت اللحوق بالتي عبرت فبرمى الصائد منها مايرمى ، ومن حمر الرحش صنف يسمى الأخذرية منسوبة إلى أخذر حصان كان لكسرى أزدشير توحش واجتمع بغابات فضرب فيها فالتولد منه يقال له الأخذرية وهذا الصنف أحسنها شكلا وأشدّها عدوا .

(فصل في خواص أجزائه)

(مخه) يسحق بدهن الزئبق ويطلّى به البهق فإنه يزول ، ومن أكل منه مع الخس وكان كثير الاحتلام يندفع عنه وينفع لمن يبول في الفراش . (مرارته) قال ابن سينا : تلعق التوتة . (لحمه) ينفع من النقرس طلاء مع دهن الورد . (شحمه) جيد للكلف طلاء . (حافره) يتخذ منه خاتم ويعلق على أصحاب الجنون والصرع . رأس الشهر يزبل عنه ذلك ويكتحل به محرقا ينفع من ظلمة العين والغشاوة . (روثة) يحرق في تنور الخباز يسقط جميع أقراصه ، وإذا سحق وخلط ببياض البيض واستنشق به ينفع من الرعاف .

(النوع الرابع من الجيوان النعم) هذا النوع كثير الفائدة شديد الانقياد ليس له شراسة الدواب ولا نفرة السباع ، ولشدة حاجة الناس إليها لم يخلق لها سلاح شديد كأنياب السباع وبرائتها وأنياب الحشرات وإبرها ، ومن شأنها الثبات والصبر على التعب والجوع والعطش وخلقت ذلولاً كما قال تعالى - وذلكناها لهم فيها ركوبهم ومنها يأكلون - وخلق القرن للبقير سلاحاً ليتدارك تقصير الحافر وجعل لها بدل الحافر ظلفاً لقصور المادة عن الحافر والقرن ، وربما صرفت المادة في جهة أنفع وتركت الجهة التي هي أقل نفعاً كترك الفك الأعلى للبقير بلا سن وصرف مادتها إلى القرن ، والقوة المدبرة بإذن الله تعالى تؤيد الحيوان إما بسلاح أو جثة أو هرب وأي هذه فقدت مادته دبرت بمادة أخرى حتى يكمل لها ما تحتاج إليه في بقاء شخصه ونوعه ، ثم إن النعم لما كان ما أكلها الحشيش اقتضت الحكمة الإلهية أفواها واسعة وأسنانا حدادا وأضراسا صلابا تطحن بها الصلب من الحب والنوى ، ولما افتقرت إلى زيادة قوة لتتمكن من العمل المطلوب منها خلق لها كرش واسع لتحمل فيه من العلف شيئا كثيرا يبنى بغذائها فإذا رجعت إلى مكانها تجعلها بالاجترار مهياً للنضج فعند ذلك طبيعتها تميز لطيفها من ثقلها فتجعل التبن اليابس لحما ودما ، ومن العجب القوة التي خلقها الله تعالى في أضراسها فإنها بالليل والنهار في الطحن لا تفتر إلا قليلا، فلو كانت من الحديد المذكور لانسحقت وتفتت فسبحانه ما أعظم شأنه. ولندكر بعض ما يتعلق بواحد واحد :

(إبل) من الحيوانات العجيبة وإن كان عجبها سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم إياها وهو أنه حيوان عظيم الجسم شديد الانقياد ينهض بالحمل الثقيل ويبرك به ، وتأخذ بزمامه فأرة تقوده إلى حيث شاءت ، ويتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه مع ما كوله ومشروبه وملبوسه وظروفها والوسادة والملحفة والفرقة كما في بيته ويتخذ للبيت سقف وهو يمشى بكل هذه ولهذا قال تعالى - أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت - وربما تصبر عن الماء عشرة أيام ولما طولت رقبته ليستعين بها على النهوض بالحمل الثقيل وينال الأرض رعى منها حالة قيامه لتكون الرقبة مناسبة للقوائم وليبلغ مشفره سائر جسده يحكه به ، يهيج في شباط وعند ذلك

لا خبر له بالحمل يحمل ما يحمله بعيران أو ثلاثة تؤخذ عصارة النودنج وتقطر في منخره يذهب عنه ذلك ، وإذا مرض أكل من شجرة البلوط يزول عنه والشقشقة التي يخرجها لم تعرف أى شيء هي وقد يجتر والشقشقة خارجة ، وإذا نهشته حية يأكل السرطان يزول عنه غائلة السم : قال ابن سينا : بهذا عرف أن السرطان نافع لنهش الحية .

(فصل في خواص أجزائه)

قالوا: ليس للبعير مرارة وإنما على كبده شيء يشبهها ، وهي جلدة فيها لعاب يكتحل به ينفع من الغشاء العتيق ، وتطلى به الرقبة ينفع من الخوانيق ، ووزن قيراط مع مثله من المسك يسعط به ينفع من الصرع . (كبده) يداوم على أكله يدفع نزول الماء . (شحمه) لم يوضع في موضع إلا وهربت الحيات منه . (سنامه) يذاب ويطلى به البواسير يسكن وجعها . (كرشه) فيه غدة إذا خرجت منه استحجرت وإذا سخقت بالخل ابيضت وهي من أنفع الأشياء للسموم القتالة ذكر ذلك بليناس . (عظمه) يسحق ويخلط بالزيت ويطلى به رأس المصروع يزول صرعه . (شعره) يشد على الفخذ الأيسر يمنع سلس البول ، ويشد على فخذ الصبي الذي يبول في الفراش يمنع ذلك : (وبره) يذر محرقا على الأنف يجبس الرعاف والدم والسائل من الجراحات إذا ذر عليها . (لبنها) ينفع من السمومات كلها والتضمض به ينفع للأسنان المأكولة : (بوله) يغلى حتى ينعقد ويطلى به الناصور يزيله ، شربه يقوى على الجماع ويزيل صفرة الوجه . (بعره) قال ابن سينا : يقطع الرعاف ويمنع الجدرى أن يبقى أثره ويزيل الشآليل :

(بقر) حيوان شديد القوة كثير المنفعة خلقه الله تعالى ذلولا ، وإنما لم يخلق له سلاح شديد كما للسياح لأنه في رعاية الإنسان والإنسان يدفع عنه عدوه ولأن حاجة الإنسان إليه ماسة فلو كان له سلاح شديد لصعب على الإنسان ضبطه ، والبقر الأجم يعلم أن سلاحه في رأسه فتستعمل محل القرن كما ترى من العجاجيل قبل نبات القرن تنطح برؤوسها وذلك لمعنى خلقت لطبيعتها فتعلم ذلك بالطبع ، وليس للبقر الثنايا الفوقانية فتقطع الحشيش بالتحنانية ولو لم يحصن لم يفد عملا كثيرا لأنه كثير النزوان إذا هاج لا يندفع بالسيف فتسقط قوته وبهرم سريعا ، وزعموا أن البقر إذا دهن قرنه لا يخور البتة وينتفع به ظلفه إذا أصابه الحفا وله مشية مليحة بتبختر ، وإذا مرض مرضا شديدا ركب في قرنه شيء من العاج يبرأ مرضه .

(فصل في خواص أجزائه)

(قرنه) يحرق ويجعل في طعام صاحب حمى الربع تزول عنه ، ويشرب في شيء من الأشربة يزيد في الباه ويقوى التضييب ويورث النعوظ ، وينفخ في منخر الرعاف ينقطع

دمه ، ويحرق قرنه حتى يصير رمادا ويداف بالخل ويطلى به البرص مستقبلا به الشمس فإنه يزول . (منحه طريا) يداف بدهن ويقطر في الأذن الوجعة يسكن وجعها : (لسان الثور الأسود) يخفف ويسحق ويمزج بماء حماض الأترج ويستف منه مقدار مثقال فإنه لا يخاصم أحدا إلا غلبه . (مرارته) مع بزر الجرجير وبزر الفجل ، وماؤه يعرض على النار ليقوى ويطلى به السكلف فإنه يزول عنه إذا تركه زمانا (مرارة البقر) تخلط بورق الغبير المدقوقا وتتحمل به المرأة فإنها تحبل ، وفي مرارة البقر حجر قدر عدسة يجعل في ماء الشهدانج وماء العرفج ويسعط به المصروع يزول صرعه ، وتطلى الشجرة بمرارة البقر لا يتولد فيها الدود ، وتخلط مرارة البقر ببيعر الفأر ويتحمل به صاحب القولنج يفتح في الحال : (مرارة البقرة السوداء) يكتحل بها من به ظلمة العين فإنه يجد بصره حتى يقرأ نقش الخاتم : وإذا أردت أن ترى عجبا فادفن جرة في الأرض إلى عنقها وقد طليت باطنها بشحم البقر فإن البراغيث كلها تجتمع فيها : (كلية البقر) تعلق على من به الخنازير تزول ، (خصية الفحل) تخفف وتسحق وتشرب تهبج الباه وتنعظ وتعين على كثرة الجماع . (قضيبه) يخفف ويسحق ويلقى على البيض النيمرشت ويحسى فإنه يزيد في الباه حتى يرى عجبا . (كعبه) يحرق ويدلك به السن يبيضها ويذهب وسخها . (لبنه) يزيل صفرة اللون ، وإذا شرب بالخيض ينفع من اللبواسير . (سمنها) يطلى به للسع العقرب يرثها للوقت والعتيق منه نافع للجراحات . (دمه) يطلى به الورم يسكن وجعه . قال بليناس ، يخلط بول الثور ببول الإنسان ويوضع على أصابع اللذين والرجلين فإنه يزيل حمى الربع ، وأقل ما يحتاج إلى ذلك ثلاث مرات ، وهذا من للعجائب . (أخشاء البقر) يخلط بخل التمر ويضمده به الدماميل الصلبة يردعها ، واليابس منه يخلط بخل وماء ورد ويضمده به لسعة الزنبور يسكن وجعها وتطلى خلية النحل به يكثر فيها ويقوى ، وإذا طليت به الثآليل قلعتها :

(بقر الوحش) يقال له بالفارسية كوزن له قرن عظيم ذو شعب كل سنة تنبت على قرنه شعبة زائدة ، وقرنه مصمت بخلاف قرون سائر الحيوانات فإن قرونها مجوفة ، وإذا سمع للغناء أو صوت الملامى يصغى إليها ولا يحذر حينئذ من الشباب لشدة التذاذبه بها ، وإذا رفع أذنه يسمع الأصوات فإذا أرخاها لا يسمع شيئا ، وإذا مرض يأكل الحيات والأفاعى يزول مرضه ويأكل الأفاعى من ذنبها فإذا وصل إلى رأسها يرميها والأفعى إذا أحست به تنسل في جحرها ، والبقرة تأتي إلى جحرها وتجعل فيها على الحجر وتجذبها بقوة النفس فنقتلها . (وحكى) أن بقرة أزعجت وتبعها الفرسان والكلاب وهي تعدو سريعا فأصابها في عدوها حية فوقفت وقتلتها ثم شرعت في العدو فكأنها رأت أن قتل الحية أهم من نجاة النفس ،

(فصل في خواص أجزائه)

(مخه) يطعمهم صاحب الفالج ينفعه نفعا بينا ، (قرنه) من استصحب معه منه شعبة نقرت عنه السباع ويدخن به في بيت تهرب منه الحيات ، ورماده يذر في السن المتآكلة المتألمة يسكن وجعها . (دمعه) ترياق وللسموم كلها . (دمه) يسقى يفتح القولنج ويفتح أيضا من به عسر البول . (جلده) يبخر به البيت تهرب منه الحيات . (شعره) يبخر به البيت يهرب منه الفأر ، والخفاش يأخذ من شعره ويتركه في عشه ليأمن من الحية والخنفساء . (كعبه) يشد على العضد يأمن من الحشرات كلها . (ظلفه) يبخر به البيت تهرب عنه الحيات والله أعلم .

(جاموس) حيوان عظيم لا ينام البتة ولعله في بعض أوقات الليل يغمض جفنه : زعموا أن في دماغه دودة تتحرك دائما لا تخليه ينام ويدفع السباع عن نفسه ويقتل التماسيح مع عظم بدنه ولذلك يسرحون الجواميس على طرف النيل ، والجاموس يمشى إلى الأسد وهو ثابت الجنان وليس له إلا قرنه وليس في قرنه حدة فضلا عن حدة أطراف مخالب الأسد وأنيابها ويغلب الأسد . قالوا : إنما يغلب الجاموس الأسد لأنه يذب الأسد عن نفسه والأسد يريد أن يجعله طعامه ، وقالوا : إنه لا يتزو على أمه .

(فصل في خواص أجزائه)

(الدودة) التي في دماغه إذا علقت على أحد لا ينام ما دامت عليه . (لحمه) يورث قولد القمل . (شحمه) يذاب بالملح الأندرائي ويطلى به الكلف والجرب والبرص يزيلها ، (زرافة) رأسها كراس الإبل وقرنها كقرن البقر وجلدها كالغمر وقوائمها كالبعير وأظلافها كالبقرة ، طويلة العنق جدا طويلة اليدين قصيرة الرجلين ، وصورتها بالبعير أقرب وجلدها بالبقرة أقرب وأشبه ، وذنبها كذنب الظباء . قالوا : الزرافة متولدة من ناقة الحبش والبقرة الوحشية والضبعان ، وذلك أن الضبعان ببلاد الحبشة تسفد الناقة فتجيء بولد بين خلقه الناقة والضبعان فإن كان ولد تلك الناقة ذكرا ولحق بالمهارة أنتت الزرافة .

(وحكى) طهمان الحكيم أن بجانب الجنوب بقرب خط الاستواء يجتمع بالصيف حيوانات مختلفة الأنواع على مصانع الماء من شدة العطش والحر فربما تسافدت غير أنواعها فيتولد مثل الزرافة والسمع والعمار وأمثالها ، والزرافة من الخلق العجيب ليس عندها إلا ظرافة الصورة وغرابة النتائج .

(الضأن) جعل الله البركة في نوع الغنم فتراها تلد في كل عام مرة واحدة ويؤكل منها ما شاء الله ويمتلئ منها وجه الأرض بخلاف السباع فإنها تلد ستا وسبعيا ولا يرى منها إلا واحدا في أطراف الأرض ، والغنم مال مبارك محبوب حتى لو أرادوا مدح إنسان قالوا إنه كبش .

من الكباش ، ومن عجائبه أنه يرى الفيل والبعير والجاموس ولا يخافها مع ضخامة أبدانها ويرى الذئب يخافه وإذا رآه اعتراه خوف عظيم لمعنى خلقه الله تعالى فيه ، وسمعت أن القطيع إذا كان على طرف دجلة وأحس بالذئب هربت وخاضت في الماء حتى تتوسطه فإذا أمنت عادت إلى مكانها .

(وأعجب) من هذا أن الغنم تلد في ليلة واحدة عددا كثيرا ثم إن الراعي يسرح بالأمهات من الغد ويأتي بها عند العشى ويحلب بين الأمهات والأولاد فيذهب كل واحد إلى أمه ، ويحلب من الهند نوع من الضأن على صدره ألية وعلى كتفيه أليتان وعلى فخذه أليتان وعلى ذنبه ألية وربما تكبر ألية الضأن حتى تمنعه من المشي فيتخذ لأليتها عجلة توضع عليها وتشد إلى صدرها فيمشي الضأن وتجر العجلة والألية عليها ، وذكروا أن الغنم إذا نساقت عند نزول المطر لا تعلق بولد وإن كان ذلك عند هبوب الشمال تكون الأولاد ذكورا وإن كان عند مجيء الجنوب تكون الأولاد إناثا ، وزعموا أن الضأن إذا رعت الزرع يرجع وإذا رعت المعز لا يرجع .

(فصل : في خواص أجزائها)

(قرن الكباش) إذا دفن تحت الشجرة بكرت بالحمل قبل أوانها ، ويكتحل بمراة الضأن مع العسل ينفع من نزول الماء في العين ويزيل البياض الذي في العين إزالة عجيبة : (مخه) يورث البله وأصحاب الصرع إذا أكلوا منه يشتد صرعهم . (عظمه) يحرق بخشب الطرفاء ويخلط رماده يدهن الشمع المتخذ من دهن الورد ويطل به موضع الفسوخ والهشم يصلحه .

(قال) بليناس : إذا احتملت المرأة صوف النعجة قطع الحبل ، وإذا غطيت الإناث بصوف أبيض وفيه عسل لا يقربه التمل .

(معز) حيوان غبي أحمق فلذلك إذا أرادوا ذم إنسان قالوا تيس من التيوس أى في غاية الغباوة والتن والمعز يفضل على الضأن بغزارة اللبن وثخانة الجلد ، وما نقص من ألية المعز يزداد في شحمها ولذلك قالوا ألية المعز في بطنه . ومن العجب أن الله تعالى لما خلق جلد الضأن رقيقاً أكثر صوفه ولما خلق الله عز وجل جلد المعز تخينا رق شعره ليحصل للمعز بشخانة الجلد ورقة الشعر ما يحصل للضأن برقة الجلد وكثافة الصوف ، وتتن التيس يضرب به التمل فإن جميع بدنه كالإبط ، والجدى إذا رأى الشبل يقرب إليه يسيراً يسيراً فإذا شم رائحته غشى عليه ووقع كالميت فإذا غاب الشبل عنه يرجع إلى حاله ، ومن العناكب نوع يقال له الرتيلا له لعاب إذا مشى على الإنسان نال من لعابه ألماً عظيماً حتى يفضى الأمر به إلى الموت غالباً فالجدى يأكل منه شيئاً كثيراً وينفعه فسبحان من أعطى كل شئ خاصية .

(فصل : في خواص أجزائه)

قال بليناس : (قرن ماعز أبيض) يسحق ويشد في خرقه ، ويجعل تحت رأس نائم فإنه لا ينتبه ما دام تحت رأسه. (مرارة التيس) تخلص بمرارة البقر وتلطخ به فتيلة تجعل في الأذن تزيل الطرش وتمنع نزول الماء ، ويكتحل بمرارة التيس بعد نتف الشعر من الجفن فإنه يمنع من النبات ، وينفع أيضا من الغشاوة اكتحالا ومن الغشى ، ويقلع اللحم الزائدة التي يقال لها التوتة ، وينفع طلاء من الورم الذي يقال له داء الفيل . (لحية التيس) تشد على صاحب حمى الربيع تزول حماه وتشد على رأس من به صداع تنفعه. (كبد الجدى) يشوى وإذا سالت منه رطوبة يكتحل بها فإنها تنفع من الغشاء ، وإذا احتملت المرأة من كبد المعز شيئا تنكسر شهوتها بحيث لا تميل للرجال زمانا طويلا . (طحاله) يقطعه صاحب وجع الطحال بيده ويعلقه في بيت هو فيه فإذا جف الطحال زال ألم المطحول ، ويسقى المعز في ظرف خشب أربعين يوما ثم يذبح ويأكل المطحول طحاله فإنه يتهرى ولو كان الظرف من خشب الطرفاء كان أقوى تأثيرا . (لحمه) يورث الهم والنسيان ويحرك الوسواس : قال بليناس ، دم التيس يفتت حجر المغناطيس وكذلك كل حجر يذبجه عليه يفتته ، وتسقى إبرة بدم المعز فإنها إذا ثقب بها أذن يلم جلدته ، وإذا سلخ وهو حار ووضع على لسع الأفعى وجميع الحوام وعلى المضروب بالسياط يدفع الألم ، (لعاب التيس) يسقى يهيج الباه . (لبن الماعز) ينفع من النوازل ويحبسها ويحسن اللون شربا سيما مع السكر خصوصا للنساء ، وهو علاج للنسيان والغم والوسواس ويرخي لثة الأسنان ويحدث ظلمة البصر ويهيج الباه . (أنفحة الجدى والخرفان) تجذب الفضول من أعماق البدن (بوله) يغلى حتى يغلظ ويخلط بمثله من السكر ويطل به الجرب في الحمام ثلاث مرات يذهب . (بعره) يجعل تمت رأس صبي يبكي كثيرا أعدادا منها فإنه يزول عنه . قال ابن سينا : بع الماعز يحلل الخنازير بقوة وإذا احتملت المرأة بصوفة يمنع من سيلان الدم من الرحم ، وبع الماعز مع الضأن والخل يوضع على العضو المحترق بشمع ودهن ورد ينفعه ، والبع اليابس مجرب لحرق النار في البدن .

(ظبي) وهو أشد الحيوانات نفورا . ومن طبعه أنه إذا أراد دخول كناسه يدخله مستديرا ويستقبل بعينه ما يخافه على نفسه وخشفانه فإنه إن رأى أحدا أبصره حين دخوله الكناس لا يدخله وإلا دخل ، وترى الظبي إذا رعى الخنظل يستعذبها وماء الخنظل يسيل من فمه ومن شدقيه ويستلذ بذلك ، ويرد البحر ويشرب من مائه المر العلقم فالعجب لحيوان يستعذب ملح البحر ويستحلى مرارة الخنظل ، وأما ظباء المسك فإنهم كظباء بلادنا إلا أن لها نابين معقنين خارجين من الفم كما للفيل وربما صيدت والمسك في سرتها غير نضجة يكون فيه زهومة ، ومثله مثل الثمار إذا قطعت قبل الإدراك فإنها تكون ناقصة الطعم

والرائحة وأجود المسك ما ألقاه الغزال وذلك أن الطبيعة تدفع مواد الدم إلى سرته فإذا استحكم الدم فيها ونضج يجمع من ذلك إربة وحسكة في سرته فيفزع حينئذ إلى صخرة حادة فيحتك بها ملتذاً بذلك فتفجر المادة حينئذ وتسيل على ذلك الحجر كأنفجار الحراج والدماويل إذا نضجت فيجد الغزال بخر وجهها لذة ، والناس يتبعون مراعيها في الجبال فيجدون ذلك الدم قد جف على الصخور فيحملونه ويدعونه في نوافج معهم مدة لذلك فهذا هو أصل المسك الذي يستعمله ملوكهم ويتمادونه فيما بينهم .

(فصل : في خواص أجزائه)

(قوله) ينحت ويبخر به لطرد الهوام : (لسانه) يجفف في الظل ويطعم للمرأة السلطة تزول سلاطتها . (مرارته) تقطر في الأذن الوجعة يزول وجعها . (بعر الظبي وجلده) يجرقان ويجعلان في طعام الصبي يأكله ينشأ ذلك الصبي حافظاً فصيحاً ذليلاً . (مسكه) يقوى الدماغ وينشف الرطوبات منه ويجلو بياض العين ويقوى القلب وينفع من الخفقان ، وهو ترياق للسموم إلا أنه يورث صفرة الوجه ، ومن خواصه أن استعماله في الطعام يورث البخر . (إليل) هو العز الجبلي وأكثر أحواله يشبه بقر الوحش من أكل الأفاعي وغيرها ، وهو يرمى بنفسه من قلة الجبل إذا خاف من الصياد ولو كان ألف ذراع ويقع على قرنه ويسلم وعدد سني عمره عدد عقود قرنه ، وإذا لسعته حية أكل السرطان ولذلك قالوا إن السرطان دواء للدغ الحية ، وإذا مشت الأروى خلف الذئب أسقطت ولدها والإليل يصادق السمك فيمشى إلى ساحل البحر فيرى السمك والسمك أيضا يقصد الساحل ليرى الإليل والصيداؤون يعرفون هذا المعنى فيلبسون جلد الإليل ليقتصد بهم السمك فيصطادون منه ماشاءوا .

(فصل : في خواص أجزائه)

إذا شرب المصروع من برادة قرنه وزن مثقال مع مسك في ماء قراح على الريق نفعه نفعاً بيناً ، ويسحق ويطلق به البهق والبرص يزيلهما ، والحيات تهرب من رائحتها إذا دخن بها ، وإذا علق على صاحبة الطلق تضع في الحال . (مرارته) يكتحل بها تنفع الغشا . قال ابن سينا : مرارة التيوس الجبلية ترياق لجميع السموم . (كبده) يشوى ويجفف ويتخذ منه ذرور ينفع من الغشاوة وظلمة البصر (لحمه) يورث حمى الربيع ويدلك به لسعة العقرب والزنبور يسكن ألمهما ، والعقرب تموت من رائحة شحم الإليل . (قضيبه) يسحق ويشرب ينفع من لسع الأفعى ويهيج الباه ويجفف نبتاً فإذا أصاب الإنسان عسر البول أو ريح القولنج يغسله ويسقى غسالته يفتح البول والقولنج . (خصيته) إذا جففت وشربت هيجت الإنعاض الشديد الذي لا يكاد يسكن . (جلده) يتخذ منه سفرة لا يقربها فأرة ولا حية ولا شيء من الهوام : (ذنبه مع قرنه) يجرقان ويخلط رمادها بالدهن ويطلق به أسفل القدم فإنه لا يتعب من السير

وزيد في المشى نشاطا . (شعره) يذخن به يهرب من رائحته جميع الهوام . (شعر ذنبه) سم قاتل يعرض لمن شربه غم وغشى بوله يخلط بالدمس يلغمه صاحب القولنج ينفع في الحال . (بعره) يذر على سيلان الدم يجسه . (بعر الأروى) إذا وقع في ماء وشربه الماعز يأخذه داء يسمى الآباء يقتله ولا يضر الضأن ، والله الموفق :

(النوع الخامس من الحيوان السباع)

هذا النوع من الحيوان شديد الشبه بالشياطين لما فيه من الكبر والغضب وضيق الخلق وكثرة الفساد وقلة الاستئناس ، ولما لم تكن عناية الإنسان مصروفة إلى تربيتها كأنواع الغنم خلق الله تعالى لها آلات تحصل بها الأطعمة كالعدو الشديد والقوة والحرارة والأنياب والبرائن والهَيْئَة المائلة وسعة الفم وغلظ الرقبة وسعة الصدر ورقة الخصر : ولما كانت كثيرة الفساد رفع الله البركة عنها فترى نوع السباع تلد في كل سنة مرة واحدة أو مرتين في كل بطن ستا أو سبعا ولا يبقى منها إلا القليل في أطراف الأرض ولولا ذلك لامتلأ وجه الأرض من السباع ، بخلاف الغنم فإن الله تعالى جعل فيها البركة فلو كان جميع أنواع السباع بعدد الغنم لأدى إلى فساد عظيم ، فسبحانه ما أعظم شأنه بكثرة المنافع وبتقليل المضار رفقا بعباده وشفقة على خلقه إنه على ما يشاء قدير .

ولنذكر بعض أفراد ما يتعلق بالسباع مرتبا على حروف المعجم :

(ابن آوى) يقال له بالفارسية سعال حيوان مفسد للكروم والثمار إذا وقع نظر الدجاج عليه لا يبصر حتى يأتيه ليأكله ولو كانت الدجاجة على سطح أو شجرة تقع عنه . ومن العجب أن الدجاج إذا رأت كلبا أو ثعلبا أو سنورا أو شيئا من الحيوانات الطالبة لها لم تتحرك وإن مر بها ابن آوى سقطت حتى لو كانت مائة لم تبق واحدة إلا رمت نفسها إليه وانقياد الدجاج لابن آوى كانقياد الشاة للذئب ، وإذا أراد ابن آوى صيد طير البحر يجمع حزمة شوك أو حطب ويرميها فوق الماء حتى يستأنس بها الطير ويمشى خلفها ، والطير لا ينفر من الحزمة لأنه يستأنس بها فيشب من خلفها ويصطاد ماشاء .

(فصل : في خواص أجزائه)

(لسانه) إذا ترك في بيت وقعت الحصومة بين أهله ، ويسقى من مرارته نصف درهم بالماء الحار على الريق ثلاثة أيام ينفع من وجع الطحال . (لحمه) ينفع من الجنون والصرع الآتى عند آخر الأهلة . (كبده) ينفع المصروع إذا سقى منه وزن مثقال (مخ عظمه) يخلط بالبورق ويضمده به البرص يزيله بإذن الله تعالى .

(ابن عرس) حيوان دقيق طويل يقال له بالفارسية راسو هو عدو الفأر يدخل جحرها يخرجها ويحب الحلى والجواهر يسرقها ، ويعادى التمساح فإن التمساح لا يزال مفتوح الفم

وإن عرس يدخل فيه وينزل جوفه ويأكل من جوفه أحشائه ويمزقها ويخرج ، ويعادى الحية أيضا وإذا أراد قتال الحية يأكل السذاب لأن رائحة السذاب تضعف الحية فيقتلها ابن عرس وإذا مرض أكل بيض الدجاج يزول مرضه .

(وحكى) أن ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة ولم يزل يتبعها حتى انتهت إلى رأس الغصن ولم يبق مهرب فنزلت على ورقة وعضت طرفها وعلقت نفسها فيها ، فعند ذلك صاح ابن عرس فجاءت زوجته فلما انتهت إلى تحت الشجرة قطع ابن عرس الورقة التي عضتها فأرة فسمت فاصطادها ابن عرس الذي كان تحت الشجرة .

(فصل : في خواص أجزائه)

(دماغه) يكتحل به ينفع من ظلمة العين . (لحمه) يستعمل ضمادا لوجع المفاصل ويخلط بالشراب يستعمل للصرع . (شحمه) يطلى به السن ينفع في الحال ، وصاحب الزرق يطلى خشبة بهذا الشحم ، وإذا اشتكى أحد سنه يضع عليه تلك الخشبة فإنه يقع بسهولة ويظهر دمه من رقبته ويطلى به الخنازير يحللها ويحفظ دمه بدم فأرة ويمزج بالماء ويرش به البيت فإن الخسومة تقع بين أهله ، ولو دفن ابن عرس وفأرة في بيت فعل فعل ذلك : (كعبه) إذا استصحبه المرأة حالة المباشعة لم تحمل (خصيته) تفعل مثل ذلك . (زبله) يجعل على الجراحة ينقطع دمها ، والله الموفق .

(أرنب) حيوان كثير التوالد يقال له بالفارسية حوز كوش ، قيل إنه سنة ذكر وسنة أنثى ، وتحيض مثل النساء يديه أقصر من رجله إذا نام تشخص عيناه وإذا مرض أكل من القصب الأخضر يزول مرضه .

(فصل : في خواص أجزائه)

(دماغه) تأكل المرأة منه وتحمّل ويباشرها زوجها تحبل وإذا مرج به أسنان الصبي أسرع نباتها بلا وجع ، قالوا : يؤخذ من الأرنب مثل السن المتأكلة إن كانت أعلى أو أسفل أو يمينا أو يسارا ، يؤخذ من الأرنب مثل ذلك إذا وضعت عليه تنبته بإذن الله تعالى : (مرارته) إن سقى منها إنسان غلب عليه النوم ولم يزل كذلك حتى يسقى الخلل . (طحاله) يأكله صاحب الشرقة مع السكر النبات تزول شرقة : (دمه) إذا شربته المرأة لم تحبل أبدا : (ذكره) في كتاب الخواص : وإذا اكتحل به لا ينبت الشعر في العين : قال ابن سينا : ويطلى به البهق الأسود والكلف فيزول : قال ابن سينا : يطبخ ويقعد في مرقته صاحب النقرس وصاحب وجع المفاصل ينفعه نفعاجيدا . (أنفحته) تداف في ماء ولبن ويشربه صاحب القولنج يزول وجعه من ساعته : قال بليناس : أكل أنفحته تنفع القولنج إلا أن أنفحة الأرنب أقوى وإذا شرب بخل نفع من الصرع وهو بالخل ترياق نافع من جميع السموم

(رجله) تشد على من به وجع المفاصل اليمنى على اليمنى واليسرى على اليسرى يزول وجعه. (فرجها) تأكله المرأة ثم يجامعا زوجها فإنها تحبل. (كعبه) زعم العرب أنها تنفع من لعين والسحر ويشد على المرأة مع زبله لا تحبل (وشعره) يبخر به يمنع من وجع الرثة، ويجعل شيء منها على الموضع الذي يسيل منه الدم ينقطع.

(أسد) هو أشد السباع قوة وأكثرها جراءة وأعظمها هيبه وأهولها صورة لأنه لا يهاب شيئا من الحيوان ولا يوجد حيوان له شدة بطشه، زعموا أنه لا يأكل من صيد غيره البتة وإذا صاد شيئا أكل قلبه وترك الباقي لغيره ولا يرجع إليه ويحب الغناء وصوت الدف والشبابة وإذا رأى ضوءا بالليل ذهب إليه ووقف بالعدمه وحينئذ يسكن غضبه وزعموا أنه من ذل له وتواضع ينجم منه وإذا أكل لحم الفريسة يقصد السلخ ويأكل منه، وإذا مرض أكل قردا يزول مرضه وقل ما تفارقه الحمى ولذلك يقال للحمى داء الأسد، وإن أصابه نصل وبقى في بدنه يأكل السعد يخرج النصل من بدنه وهذه خاصية في الأسد، وإن أصابه خدش أو جراحة تجتمع عليه الذئب ولا تنتقل عنه حتى تقتله، ويهرب من الديك الأبيض ومن ضرب الطاس وجميع الحيوانات تهرب من زثيره إلا الحمار فإنه يقف عن السعي ولا يزار حالة جوعه حتى لا يهرب الصيد، والنمل يفعل بالأسد ما يفعله البق بالنمل فإنه في عذاب من النمل، وإذا ولدت اللبوة يتعرض لأشباهها فعند الولادة تطلب أرضا ندية لدفع النمل، واللبوة تضعف عند الولادة لأن الولد يخدش رحمها برأسه فالليث يأتي بحرباء لتأكلها فتبرأ من مرضها، وقالوا ليس في السباع أشد تجرؤا من الأسد وأنه لا يتعرض للمرأة الطامث.

(وحكي) القاضي محمد بن سهل الواسطي أنه خرج صناع لتقطع القصب من قرنه على نهر جعفر فأروا شبلا كالسنور فقتله أحدهم فقال الباقرن الساعة يأتي أبواه يطلبانه ونحن نبيت في الصحراء فلا نأمن؛ فما كان بأسرع من أن سمعنا زئير الأسد فهربنا ولجأنا إلى بيت خارج الأجمة فصعدنا الغرفة ولها باب، فلما رأى الأسد شبلة قتيلنا جاء على أثرنا فوجدنا مجتمعين في الغرفة فجعل يثب نحو الغرفة حتى يصعد فلم يقدر فصعد أكمة هناك وصاح صيحة شديدة فأتى بضعة عشر سبعا فلما جاءوا الغرفة فلم يقدرنا ونحن كالموتى فاجتمعت السباع كالحلقة وصاحوا صيحة هائلة فما كان إلا ساعة حتى جاء سبع أسود هزبل متجرد الشعر طويل فنلقته السباع ووقفت بين يديه، فجاء نحو الغرفة والسباع حوله فوثب حتى صعد إلى باب الغرفة ونحن قد أغلقناه وقعدنا خلفه، فلم يزل يدفع الباب بمؤخره حتى كسر منه لوحين فدخل عجزه إلينا فعمد أحدنا إلى ذنبه وجذبناه إلى داخل وقطعناه بمنجل فصاح صيحة عظيمة منكورة ورمى نفسه إلى الأرض، فلم يزل يخدش السباع وينهشها حتى قتل غير واحد منها وهربت السباع من بين يديه وهام هو في الصحراء يتبعها، فزلنا ولحقنا بالقربية وأخبرنا أهلها بما رأينا، فقال شيخ كبير: إنه كالجراد العتيق إذا قطع ذنبه أكله الفأر، والله أعلم.

(فصل : في خواص أجزائه)

(سنه) من استصحبه أمن من وجع السن ، ويعلق على الصبي تبت أسنانه بسهولة (مرارته) تسقى لإنسان يبقى جريئاً جسوراً شجاعاً مقداماً ويزول عنه الصرع وداء الثعلب ، والاكتحال به يمنع سيلان الدم ، وتطلى به الخنازير يستأصلها (شحمه) يطلى به البواسير والأورام الحارة ينفعها ويطلى به الوجه والبدن لا يقربه شيء من السباع وإن ترك في بيت يهرب منه الفأر والعقرب ، ولو ألقى في ظرف ماء لا يشربه شيء من الدواب ، والشحم الذي بين عينيه يذاب ويمسح به الرجل وجهه يها به كل من يراه . (لحمه) ينفع الفالج والاسترخاء . (دمه) إذا طلى به السرطان يزيله وكذا جميع أنواع السباع وإذا مزج بالخلتيت وطلّى به البرص مراراً أزاله (خصيته) تولد العقرب في الرجال ومن أكلته لم تحبل . (برثه) يأخذ الإنسان معه لا يقربه شيء من السباع وإذا طرح في الماء وشربته الدواب أو النعم أصابها هزال ولم تسمن بعده البتة . (جلده) ينام عليه صاحب حمى الربيع يوم نوبته ويغطي بالثياب حتى يعرق تزول عنه ، وإذا داوم عليه الجاوس يذهب البواسير ويذهب أيضا الخوف من الخائف ولو أخذ من جلده طبل أي فرس سمع صوته فزع ، وجلد جبهته يشد على الجبهة تحت العمامة يبقى صاحب هيئة وافرة عند الملوك ، وإذا أدرج جلده في جلد سائر الدواب تساقط وبرها ، وإذا أحرق شعره في موضع تهرب منه سائر السباع ، ومن به حب القرع يخالط رماد هذا الشعر بدهن الشمع ويحملة يزول عنه ذلك (شعره) يجعل منه في النبيذ قليل ويسقى الإنسان فإنه يبغضه ولا يعود إلى شربها بعد ذلك .

(ببر) حيوان هندي أقوى من الأسد بينه وبين الأسد معاداة ، وإذا قصد الببر النمر فالأسد يعاون النمر وبين العقرب والببر مصادقة وربما تتخذ العقرب في شعر الببر بيتاً . قال الجاحظ : إذا رمى الببر استكلب فعند ذلك تخافه جميع السباع ، وإذا مرض الببر يأكل كلباً يزول مرضه ، وإذا هرم لا يتعرض للناس بخلاف الذئب ، وإذا وضعت بيرة ولدها يأكله الضب .

(فصل : في خواص أجزائه)

من به برسام يطلى رأسه بمرارة الببر مضروبة بالماء تنفعه نفعا يتنا وإذا احتملت المرأة منه لا تلد أبداً وإن كانت حاملاً تسقط الجنين . (كعبه) يشد على البريد لا يتعب من السير ولو سار كل يوم عشرين فرسخاً . (جلده) يجلس عليه من به حب القرع يزول عنه ويدخن به تحت ذيل من به حمى الغب تزول حماه ويتولد الخمل من رائحة دخان جلده . (شعره) يدخن به تهرب منه جميع الهوام إلا الخمل فإنها تجتمع بدخانها . (ثعلب) حيوان كثير الحيسل ، عجيب الروغان والعطفات والمسكر والالتفات .

يتخذ لو كره أبو ابا حتى لو سد عليه باب يخرج من الآخر. (شعره) يتساقط كل سنة لذلك سمى تساقط شعر الإنسان داء الثعلب، ويجعل الغنصل حول بيته حتى لا يقصده الذئب فإن الذئب إذا وقعت رجله على الغنصل يموت وينام في وجاره بطمأنينة ، وإذ اجاع يرمى نفسه في الصحراء متاوتا ويمد يديه ورجليه ويركز بطنه وينفخه حتى يحسبه الطير أنه ميت فيجتمع عليه الطير لياً كله فيصيد منها ما شاء .

(وحكى) بعضهم قال : مررت على ثعلب فوجدته قد ركز بدنه فظننت أنه قد مات منذ أيام ففكرته فلما أحس بالكلاب علم أن حيلته لا تخفى على الكلاب فوثب وولى هاربا وصار في شجرة وإذا نزلت عليه الجوارح تضرب بجناحها حتى يدركه الكلاب يستلقى ويخدش الجارحة خدشا لا تقربه بعد ذلك ، وله حيلة في قتل القنفذ وذلك أنه إذا أتى القنفذ استدار القنفذ وأمكنه من شوكة فيبول الثعلب عليه فإذا فعل ذلك اعتراه الانسياب فانبسط وتمدد فيقبض على مرق بطنه ويأكله ، وإذا مرض أكل البصل البرى يبرأ ، وإذا تولدت القمل فيه وتأذى منه أخذ بفيه ليفة أو صوفة ويقف في الماء ثم ينزل قليلا قليلا حتى يجتمع القمل في تلك الليفة أو الصوفة ثم يحاها ويغوص في الماء ويسبح ويستريح .

(فصل : في خواص أجزائه)

(رأسه) إذا ترك في برج الحمام يهرب عنها . (نابه) يشد على الصبي الذي به ربح الصبيان يذهب عنه ويحول عنه فزع النوم وتحسن أخلاقه . (ونابه اليسرى) يعلق على من تألم من نابه اليسرى واليمينى على اليمنى يزول ألمها . (مرارته) تنفخ في أنف المصروع لا يصرع في ذلك الشهر ويكتحل بها من زول الماء . (لحمه) ينفع من اللقوة والجذام والفالج إذا داوم على أكله . (شحمه) يذاب ويطلّى به رجل المنقرس يزول وجعه في الحال ويطلّى به خشب الرمان ويفرش في البيت تجتمع عليه البراغيث . (خصيته) تشد على الصبي ينبت سنه بسهولة . (قضيه) يشد على من به صداع يزول عنه . (جلده) من أحسن الفراء ليس في الوبر أكثر وفاء منه ، قال ابن سينا : إنه أنفع شيء للمبطونين . (دمه) يطلّى به رأس الصبي ينبت شعرا حسنا ولو كان أقرع قبل ذلك . (ذنبه) إذا استصحبه إنسان لا يؤثر فيه حيلة محتال عليه ، وإذا علق شيء من الحيوان يدخن بوبر الثعلب في كوز طبق الرأس ، والعليل يجعل فمه عليه فإذا وصل الدخان إليه سقط في الحال . (زبله) يعين على الجبل إن استعمل عند المباضة .

(جريس) حيوان في حجم الجمل ذو عدو شديد على رأسه قرن واحد كقرن الكركند وأكثر عدوه على رجليه لا يلحقه شيء لسرعة مشيته وأنه لا يوجد في غياض سجستان وبلغار .

(فصل : في خواص أجزائه)

(دمه) يشربه من به خناق بالماء الحار يفتح في الحال : (لحمه) يطبخ بالقنطريون ويأكله صاحب القولنج يفتح في الحال . (شحمه مع رماد كعبه) يجعل على العرق الموجوع يسكن ألمه ويتخلص منه سريعا :

(خنزير) حيوان سميج والعين تكرهه له نابان كناني الفيل يضرب بهما ورأسه كرأس الجاموس وله ظلف كما للبقر والغنم ، وللخنزير عند الهيجان خصومة شديدة على الإناث ذكروا أن الذكر يدلك جسمه بالطين والأشياء اللزجة حتى يصير ظاهر بدنه كالجوشن لا يؤثر فيه ناب الخنازير وعلامة هيجانه إطراق رأسه وتغير صوته ، وإذا نزا الذكر على الأنثى يبقى فوقها زمانا مثل الذباب ، وإذا دفنت سفرجلة ينبش الأرض كلها حتى يظفر بها ، والخنزير أنسل الحيوان لأنها قد تضع عشرين خنوصا ، والخنزير يأكل الحيات أكلا ذريعا وسموم الحيات لا تؤثر في الخنازير ، وهو أروغ من الثعلب يهرب عن من قصده حتى يمشى خلفه كثيرا ويتعب ثم يكر عليه فيضربه بنابه بقطعه ، وإذا جاع ثلاثة أيام ثم أكل سم في يومين وهكذا تفعل بها النصارى بالروم يجوعونها ثلاثا ثم يعلفونها لتسمن ، وإذا مرض أكل السرطان يزول مرضه . ومن خواصه العجيبة ما ذكروا أن الخنزير إذا شد على ظهر الحمار بحيث لا يقدر على الحركة فإذا بال الحمار مات الخنزير ، والفيل يهرب من صوت الخنزير .

(فصل : في خواص أجزائه)

(نابه) يستصحبها الإنسان يبقى مكرما عند الناس ويأمن العين ، ويترك في الدهن أسبوعا ثم يدهن به الرأس فإنه يطول الشعر ويؤخر الشيب ، وزعموا أن الإنسان إذا رأى نابه اليسرى يصيبه في يومه ذلك غم ولا يتأخر . (مرارته) تجفف وتجعل على البواسير تسقط ، ويسقى منه صاحب الصرع مع شيء من البول العتيق يزول صرعه . (لحمه) أطيب لحم الحيوان نافع من لسع الهوام يطعم منه البازي المهزول بدهن الجوز يسمن سريعا . (شحمه) يدللك به العضو المنفوخ بالبن ويخاط به زرق الحمام وبزر الكتان ويضمده الخنازير والدمامل الصلبة ينضجها ويخرج وسخها . (شحمه الطرى) يطلى به البواسير ينفعها نفعاً بيناً (عظمه) يوصل بعظم الإنسان يلتئم سريعا ويستقيم من غير اعوجاج وليس لشيء من عظام الحيوان هذه الخاصية ، ويشد في خرقه كتان على صاحب حمى الربع تزول عنه بالتدريج ، ولو أحرق وشد في خرقه أو صرة وترك في مسيل ماء الأرز يأتي بربع كثير ولا يقربه الخنزير ، ويحرق عظمه ويسحق ويحشى به الناصور يبرأ . (جلده) يترك في البيت يهرب منه البق . (كعبه) يحرق حتى يبيض رماده ويسحق ويسقى للقولنج والمغص المزمن يزيلههما . قال ابن سينا :

إذا طلى به البرص نفعه : (بوله) يسقى بالنبيذ يفتت ججر المثانة . (زبله) يسمد به شجرة التفاح تحمر ثمرتها ، وإذا احتملته المرأة تسقط المشيمة وتندفع عنها أذى النفاس ، ويطلق به الرتيلا يحللها .

(دب) حيوان جسيم سمين يحب العزلة ، وإذا جاء الشتاء يدخل وجاره الذي اتخذه في الغيران ولا يخرج منه حتى يطيب الهواء ، وإذا جاع يمص يديه ورجليه فيدفع بذلك جوعه ، ويخرج من وجاره في فصل الربيع أسمن مما كان ، ويخاصم البقر فإذا نطحه البقر استلقى ويأخذ بيديه قرنيه ويعضه عضوا شديدا يقهره ، وعند ولادتها تستقبل بنات نعش الصغرى تسهل ولادتها ، والدبة إذا ولدت يكون ولدها كقطعة لحم تخاف عليه من النمل فتنتقلها من موضع إلى موضع خوفا من النمل فإذا صلب بدن الولد أقرته في موضع ، وربما تركت أولادها وترضع ولد الضيع ، ولهذا تقول العرب : فلان أحق من جعار وهي الأثني من الدب ، ولا يخاف شيئا إلا الأسد :

(حكي) بعضهم أن أسدا قصده فالتجأ إلى شجرة فصعد عليها فإذا على بعض أغصانها دب يقطف ثمرتها ، فلما رأى الأسد قد قصدت الشجرة جاء واقترش تحتها ينتظر نزولي ، فنظرت إلى الدب فإذا هو يشير بأصبعه إلى فيه يعني لا تنطق كي لا يعرف الأسد أني على الشجرة . قال : فبقيت متحيرا بين الدب والأسد وكان معي سكين صغير فأخرجته وجعلت أقطع الغصن الذي عليه الدب فقطعت أكثره وانكسر الباقي فثقل الدب فوقع على الأرض فوثب الأسد عليه وتصارعا زمانا وغلبه الأسد فأكله ومر .

(فصل : في خواص أجزائه)

(نابه) يلتقي في لبن المرضعة ويسقى للصبى تنبت أسنانه بسهولة . (عيناه) يعلقان في خرقه كتان على صاحب حمى الربيع تزول عنه . (مرارته) تنفع من ظلمة العين اكتحالها . قال الشيخ : شحمه يزيل البرص طلاء وينفع من الشقاق العارض من البرد ويلين المفاصل والعصب طلاء . (دمه) يخلط بعصارة الكزبرة ويطلق به الموضع الذي لا يريد أن ينبت عليه فإنه لا ينبت ، وإذا نمت الشعر التي في العين واكتحل بعده بهذا الدم لا ترجع تنبت . (جلده) يعلق على الصبى الذي ساء خلقه يذهب عنه ذلك .

(دلق) حيوان وحشى عدو الحمام لا يستأنس البتة يشبه السنور إذا دخل برجا لا يترك واحداً فيه . ذكروا أن الثعابين تنقطع من صوت الدلق ، ولذلك أكثر الدلق يوجد بأرض مصر فإنها كثيرة الثعابين . ومن عجيب ما ذكر أنه إذا ربط رأس عود بخيط شديد الفتل في رقبة دلق ويقابل به بيت العصافير فإنه يلج فيه ويأخذ العصافير وفراخها ويخرج بها ولا يقتل منها شيئا حتى لو طيف به على بيوت العصافير يخرجها كلها أحياء .

(فصل : في خواص أجزائه)

(عينه اليمنى) تعلق على صاحب حمى الربيع تزول عنه بالتدريج ولو علق عليه اليسرى عادت . (شحمه) يزيل إكلال الأسنان العارض من أكل الحامض . (دمه) يقطر في أنف المصروع نصف دائق يفيق وينفعه . (شحمه) يدخن به برج الحمام يهرب منه كلها ، وتهرب الحية والعقرب أيضا من رائحته . (جلده) يجلس عليه صاحب البواسير ينفعه . (خصيته) يهرب الفأر من دخانها .

(ذئب) حيوان كثير الخبيث ذو غارات وخصومات ومكابرة وحيل شديدة وصبر على المطاولة وقلماء مخطئ* في وثبته ، وعند اجتماعها لا ينفر أحد منها إذ لا يأمن أحد على نفسه منها ، وإذا نامت واجهت بعضها بعضها حتى قالوا ينام بإحدى عينيه وإذا أصاب أحدهما جراحة أكلته البقية ، والأنثى أكثر فسادا من الذكر ، وإذا عجز عن من يقاومه يعوى حتى يأتيه من يسمع عواءه يعاونه ، وإذا مرض ينرد عن الذئب لعلمه بأنها إن علمت بضغفه أكلته ، وإذا رأى مع الرجل عصا يفرع منه ، ومن رمى إليه الحجر يتركه ومن رمى إليه الشباب لا يتركه ، وإذا مرض أكل حشيشة تسمى جعدة يزول مرضه ، وإذا دنا من الغنم يعوى ثم يذهب إلى جهة أخرى ليذهب الكلب إلى الجهة التي سمع منها العواء ثم يأتي يسلب الغنم والكلب بعيد عنه ، ويأخذ بقفا الشاة ويضربها بذنبه حتى تعدو معه ، وأكثر ما يأتي وقت طلوع الشمس لأنه يعلم أن الكلب طول الليل يحرس ولا ينام وفي ذلك الوقت يغلبه النوم ه وزعموا أن الفرس لا تعدو خلف الذئب وإن ركضها الفارس تعثر ، وإن وقع حافر الفرس على أثر الذئب تبرد خصره ويسحب قوائمه ، وإن عض ذئب برذونا اشتد خصره وإن عض شاة طاب لحمها ، ولا تتولد الحيوانات المؤذية في صوفها ، والذئب أشد الحيوانات شتا وإذا رمى الإنسان وشم منه رائحة الدم لا ينجو منه وإن كان أشد الناس قلبا وأتمهم قوة وسلاحا . قال الجاحظ : إن السباع القوية ذوات الرياضة لا تتعرض للإنسان إلا بعد الهرم والعجز عن صيد الوحش والجوع الشديد ، والذئب ليس كذلك بل هو أشد السباع طلبا للإنسان . قال بليناس : إن وقعت عين الإنسان على الذئب أولا استرخى الذئب وإن وقعت عين الذئب على الإنسان أولا استرخى الإنسان .

(فصل : في خواص أجزائه)

(رأسه) يعلق في برج الحمام لا يقربه السنور ولا ما يؤذى الحمام ، وإذا دفن رأس الذئب في زريبة تمرض غنمها وتموت . (نابه) من استصحبه يدفع عنه قوة النبيذ ولا يسكره . ولو علق نابه على الفرس سبق الخيل . (عينه اليمنى) من استصحبها تدفع عنه قوة البله ولا يفرع في الليل . (عينه اليسرى) من استصحبها لا يغلبه النوم . (مرارته) يطلى بها بين

الحاجبين يبقى مكرما بين الناس ، وتشد على الفخذ اليمنى تزيد في قوة الباه ، ويسقى منها قدر دائق مع حبة من المسك للمصروع الذي يصرع أول كل شهر يزول عنه ذلك ، ولو احتملته المرأة العقيم تحبل بإذن الله تعالى إذا باشرها زوجها ، ويكتحل بها ينفع من نزول الماء في العين ومن الغشاوة . (دمه) يخلط بدهن الجوز ويقطر في الأذن يزيل الطرش ، وإذا سقيت المرأة منه لا تحبل أبدا . (خصيته) تؤكل مشوية تهيج الباه ، ومن أخذها معه يأتي النساء كثيرا . (عظمه) يسحق ويذر حول الزريبة لا يقربها الذئب . (عظم ساقه) يحرق يهرب من دخانه الفأر . (كعبه) يشد على ساق الماشي لا يتعب من السير ، ويشد على صبي سيء الخلق توسع أخلاقه ، ومن استصحب كعبه اليمنى يغلب في مخاصمته الرجال ومن استصحب اليسرى يغلب في مخاصمته النساء ، وزعم بعضهم أنه يحظى عند السلاطين ، ويعلق على الرمح في الحرب تنفر الخيل منه . (جلده) قال بليناس : من جلس عليه يأمن القولنج مادام عليه . (ذنبه) يدفن في قربة لا يقربها الذئب . (بوله) زعموا أن المرأة إذا بالت على بول الذئب لا تحبل أبدا . (زبله) يسقى منه صاحب القولنج يبرأ في الحال . قال بليناس : وإن علق على صاحب القولنج يبرأ في الحال .

(ساد) هو حيوان على صفة الفيل إلا أنه أصغر منه جثة وأعظم من الثور : قيل : إن ولدها يخرج رأسه من الرحم ويرعى حتى يقوى فإذا قوى خرج وهرب من الأم مخافة أن تلحسه بلسانها فإن لسانها مثل الشوك وإنما إن وجدته لحسته حتى ينحاز لحمه عن عظمه : (وحكى) أبو الريحان أن هذا الحيوان بأرض الهند .

(سنجاب) حيوان كالفأر إلا أنه أكبر منه حجما . (شعره) في غاية النعومة يتخذ من جلده الفراء يلبسها المنتعمون صيفا لأنها تبرد بخلاف سائر الفراء . (لحمه) يطعم منه المحنون يزول جنونه ويأكله صاحب الأمراض السوداوية ينفعه ، وإياه الموفق :

(سنور) حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر . ذكر أن سفينة نوح عليه السلام تأذى أهلها من الفأر فسح نوح عليه السلام جبهة الأسد فعضت ورمى سنورين فلذلك هو أشبه حيوان بالأصم يجب النظافة يمسح وجهه بلعابه وإذا تلطخ شيء من بدنه لا يلبث حتى ينظفه ، وعند هيجان شهوته آخر الشتاء ينال ألما شديدا من لدغ مادة النظفة فلا يزال يصيح حتى ينفض تلك المادة ، وإذا ولدت الأنثى يغلب عليها الجوع الشديد فإذا لم تجد ما تأكله تأكل أولادها وإذا رمت بعرها تدفنه حتى لا يشم رائحته الفأر فيهرب ولذلك تشمه فإن وجدت رائحته ألقته عليه من التراب زيادة أخرى ، وإذا مر الفأر على السقف استلقى السنور وحرك يديه ورجليه فيسقط الفأر من السقف فزعا وإذا ظفر بها يلعب بها زمانا طويلا وربما خلى سبيلها حتى تمنع في الهرب فإذا ظنت أنها نجت وثب عليها فلا يزال يخذعها

بالسلامة ويوربها الجسرة ويلتذ بتعذيبها ثم يأكلها . وزعموا أن من أكل لحم السنور الأسود لم يعمل فيه السحر ، وقد جعل الله تعالى في قلب الفيل الهرب من السنور فكلمنا يراه يهرب منه :

(فصل : في خواص أجزائه)

(عيناه) إذا جففتا وبخرهما الإنسان لم يطلب حاجة إلا قضيت . (نابيه) من استصحبها لم يفرع بالليل من شيء . (قلبه) يشد في قطعة من جلده من استصحبه لا تظفر به الأعداء . (مرارته) من اكتحل بها يرى بالليل مثل ما يرى بالنهار ، وتخلط بدهن الزئبق نصف درهم ويسعط به ينفع من اللقوة : (طحال السنور الأسود) يشد على المرأة المستحاضة ينقطع دمها ولا تحيض مادام ذلك مشدودا عليها : (دمه) يسقى منه صاحب الجذام ينفعه نفعاً بينا : ذكر بليناس في كتاب الخواص أن من شرب دم السنور الأسود تحبه النساء : (بعره) يهرب الفأر من رائحته ويذاب بدهن الآس ويدهن به بدن الإنسان وقت الحمى فإن الحمى لا تأتيه ، ويذاب بالماء ويطلّى به المتقرس يزول وجعه .

(سنور البر) حيوان على شكل السنور الأهلي إلا أن حجمه أكبر ولكثرة عدوه يببالغ في حفظ نفسه ونوعه حتى يحفظ بعضها بعضاً في النهار فإذا كان الليل أقاموا حارساً لا ينام فإذا نام قتلوه . (مخه) عجيب لوجع الكلى ولعسر البول إذا أديف بماء الجرجير وسخن على النار وشرب على الريق في الحمام . (دماغه) يدخن به يخرج المنى من الرحم .

(سرباس) قالوا : إنه حيوان يوجد في الغياض بكابل وراء بلسان في قصبه أنفه اثنا عشر ثقبه إذا تنفس يسمع من صوته صوت المزمار : ذكروا أن المزمار اتخذ على مثال قصبه أنف ذلك الحيوان فالحيوانات تجتمع عليه لاستماع هذا الصوت فربما تدهش من لذة استماعها ، فإذا رأى سرباس ذلك منهم يصيد منهم ما شاء وإن لم يرد صيد شيء منها أو ضجر منها ومن اجتماعها عليه صاح فيهم صيحة عظيمة هائلة تنفر كلها عنه ، والله الموفق .

(ساده وار) حيوان يوجد بأقصى بلاد الروم يقال له أيضاً أرس ، له قرن عليه اثنتان وأربعون شعبة مجوفة فإذا هبت الريح يجتمع الهواء فيها فيسمع منه صوت في غاية الطيب وتجتمع الحيوانات عنده لما تسمع من حسن صوته . وذكر أن بعض الملوك أهدى إليه قرن منها فترك بين يديه عندبوب الريح فكان يخرج منه صوت عجيب مطرب حتى يكاد يدهش الإنسان من سماعه طرباً ثم وضعوه منكوساً فكان يخرج منه صوت حزين حتى يكاد يغلب على الإنسان عند سماعه البكاء .

(ضبع) يقال له بالفارسية كعنار حيوان قليل العدو قبيح المنظر يفتش القبور ويخرج الجيف ، والعرب تزعم أنها لا تأكل إلا لحوم الشجعان ولهذا قال ابن زبيرة :

حديبي وحرمي جعار وأسرهما بلحم امرئ* لم يشهد النوم ناظره
 وذكر أن الضبع سنة ذكر وسنة أنثى كالأرنب ، وبين الضبع والكلب عداوة ، فإن وقع
 ظل الضبع على الكلب يقف مكانه ولا يقدر على المشي خوفاً من الضبع أن يأكله ، وإن
 مرض الضبع أكل لحم الكلب يبرأ ، وبين الضبع والذئب مصادقة ويتولد منهما ولد يقال له
 السمع وهو حيوان عجيب الشكل بين الضبع والذئب ، فإن كان الذكر ذئباً يقال له العسبار
 وشكله عجيب أيضاً : وفي العرب قوم يقال لهم الضبعيون ومنهم الضبعي ولو كان أحدهم
 في قفل فيه ألف نفر وجاء الضبع لا يتصد أحداً إلا الضبعي ، وزعموا أن الضبع الصحيح
 يطبخ كما هو تنفع مرقته ودسمه من الأوجاع الباردة والرياح .

(فصل : في خواص أجزائه)

(رأسه) يجعل في برج يجتمع عليه حمام كثير . (لسانه) من يأخذه معه لم ينبح عليه
 كلب ولم يتلعثم عند الحاجة ويغلب خصمه ، وإذا علق على باب دار فيها عرس أو دعوة
 لم يقع فيها مكروه ويزداد فرحهم . (نابه) من اصطحبه لم ينس شيئاً . (مرارته) تنفع
 من نزول الماء اكتحالاً وتجلو البصر من الظلمة . قال بليناس : تخلط مرارة الضبع بدم
 العصافير ويطل به الإنسان عينه يمنع من نزول الماء : (قلبه) يعلق على الصبي يبقى ذكياً
 ويتعلم الأشياء بسرعة . (مخه) يطل به الحواجب يكون محبوباً إلى الناس ، ولو طلى به كلب
 جن . (يده اليمنى) من استصحبها تقضى حوائجها عند الملوك ، وتشد على عضد المرأة
 أو ساقها تسهل ولادتها . (برثته) تعلق على شجرة لا يقربها طير ضار : (قضيه) قال
 هرمس : يجفف ويسحق ويستف منه الرجل قدر دانقين فإنه يهيج به شهوة الوقاع بحيث
 لا يمل من النساء ولو أتى عشرين امرأة ، وإن أسقيته المرأة الفاجرة ترك الفجور ولا تميل
 إليه : قال بليناس : (فرجها وجلد سرتها) إن شد على رجل لم تنظر إليه امرأة إلا أحبته
 وإن شد على امرأة لم ينظر إليها رجل إلا أحبها ، وإن شد فرجها على المحموم زالت حماه .
 (جلده) يتخذ منه غربال يغربل به البرثم يزرع فإن زرعه يأمن من الجراد والجوارح كلها . قال
 ابن سينا : ينفع من عضة الكلب الكلب فإذا فرغ من الماء يسقى في إداوة من جلد الضبع أو مغشاة
 بجلد الضبع . وقال بليناس : إذا أخذت شيئاً من جلد الضبع وشدت فيه شيئاً من ورق
 الشيح وربطته في خرقة حرير على إنسان فإن النساء تتبعه ويرى من ذلك أمراً عجيباً ،
 ولو دفن في باب بيت لا يدخله الكلب وإذا شدته على رقبة الأرنب تهرب عنه الكلاب
 وحين يسلم الجلد إذا أخذته وطففت به معالم قريبة وعلقت على بابها لا يصيبها آفة . (الشعور
 التي حول أنفه) تنتفها وتحرق وتسحق بزيت ويدهن به للمحبة يزول ما به . (بعره) يخلط
 بدهن الآس ويدهن به الرأس فإنه ينبت به الشعر ويحسنه :

(عناق) يقال له بالفارسية شياه كوس فوق الكلب حجما حسن الصورة جدا لونه كلون البعير الأحمر وأذناه سوداوان يصيد كما يصيد الفهد وإذا مثنى أخفى آثاره ، ويصيد الكركي فإذا طار الكركي يثب وثبة شديدة نحو الهوى ويأخذه برجله ، والله الموفق :
(فالأ) قال ابن سينا : إنه حيوان أصغر من ابن عرس في حجمه ولونه أميل إلى الرمدة مع لطافة ودقة وطول وسعة فمه إذا رأى حيوانا ظفر به ويتعلق بخصتيه ويناله بعضه منه وجع شديد صعب العلاج :

(فهد) حيوان شديد الغضب ضيق الخلق ذو وثبات بعيدة كثير النوم ويستأنس بالناس خلاف النمر ، وقال بعضهم : إن الفهد متولد بين الأسد والنمر والله أعلم ، وسائر السباع تحب رائحة الفهد والسباع الصغار تتبع رائحته لتأكل من فضلة فريسته . قال الجاحظ : الفهد إذا سمن عرف أنه مطلوب وأن حركته ثقيلة وأن كوكبه يقتله ورائحته مشهية للسباع يخاف من الأسد والنمر فيخفي نفسه حتى تنقضي أيام سمنه ، ولا يكاد يكون على علاوة الريح لئلا يحمل الريح رائحته إلى السباع ، ويحب الأصوات الحسنة يصغى إليها إصغاء شديدا ، وإذا مرض أكل لحم الكلب يزول مرضه ، ويتولد منه ومن الدب حيوان عجيب الشكل يقال له كوسال .

(فصل : في خواص أجزائه)

(لحمه) يورث حدة الذهن وقوة البدن . (دمه) من سقى منه تغلبه البلاهة . (برثته) إذا ترك في موضع هرب الفأر منه .

(فيل) هو حيوان ظريف بهي نبيل من أعظم الحيوانات وربما كان في فها ثلاثمائة سن وهو أطرف وألطف من كل حيوان خفيف الروح رشيق صنع الله في خلقته عجائب قدرته وهو أن رقبتة لما كانت قصيرة خلق الله لها خرطومًا طويلًا يقوم مقامها يرفع العلف والماء إلى فمها وتدور على جميع بدنه كما تدور يد الإنسان ويضرب بها ، وله أذنان كبيرتان كل واحدة على شكل زرين متحركتان وإنما يدفع بهما الذباب والبق عن فمها لأنه مفتوح دائما فلو دخل شيء من البق أو الذباب إلى فمها لهلك وليس له من المفصل إلا مفصل الكعب والكف والتمخذه ولا يظهر له شهوة الضراب إلا بعد خمس سنين ويضع لسبع سنين ولدا مستوى الأعضاء، والفيل يعادى الحية إذا رآها يقتاتها تحت رجله، والحية تلدغ الفيل تهلكه، والفيل إذا تعب تدلك كتفاه بالسمن والماء الحار يزول تعبها ، وإذا مرض يأكل حية ميتة يزول مرضه، وإذا وقع على جنبه لا يقدر على القيام فتحخر الفيلة بعضها بعضا فبأيتيه الفيل الكبير يجعل خرطومته تحته وسائر الفيلة يعاونونه حتى ينتصب على قوائمهم، والفيل إذا أراد قلع شجرة يلف خرطومته عليها ويقلعها من أصلها. وقالوا: ربما يعيش الفيل أربعائة سنة . قال الزيادة:

رأيت فيلا في أيام المنصور، وقالوا إنه يسجد لسابور ذي الأكتاف وللمنصور، من زمانه أربعائة سنة وإذا علم الملك سجد له كلما رآه، والفيل أشد الحيوانات حقداً :
 (حكى) أن رجلاً فيلا ضرب فيلا فقالوا له لا تنم حيث ينالك فإنه حيوان حقود، فشد الفيل الفيل إلى أصل شجرة وأحكم وثاقه وتنحى عنه ونام، وكان لذلك الفيل شعر كثير منقوش فتناول الفيل بخرطومه غصنا ووضع رأسه على رأس الفيل ولوى بها حتى ظن أنه تشبث به ثم جذب العصا جذبة قوية فإذا الفيل تحت قوائمه فخطه خطا هشمه :

(فصل: في خواص أجزائه)

قالوا: من سقى من وسخ أذنه ينام سبعة أيام. (برادة نابه) إذا تضمد بها تنفع من الداحس. (مرارته) يطلى بها البرص ويترك ثلاثة أيام يزول. (عظمه) يعلق في رقاب الصبيان يدفع عنهم الصرع، وإن علق في رقبة البقر يدفع عنها الموت، وإذا سحق وعجن بالعسل وطلّى به الكلف يزول، ولو علق العاج على شجرة لم تثمر تلك السنة، ولو دخن به في بيت فيه بق مات البق، وحكاك العاج ينثر على الجراحة الميتة تبرأ وينفخ في خيشوم الراعف ينقطع دمه، ولو أكلت المرأة من حكاك العاج تحبل إذا أتاها زوجها: (جلده) يشد قطعة منه على من به حمى نافض تزول عنه، وتسقط البواسير من دخانه، وإذا نام على جلد الفيل صاحب الفالج يزول عنه. (بوله) إذا رش في مكان يهرب الفأر منه، وإذا سقيت منه المرأة العاقر تحبل. (زبله) يتخذ منه سافة تتحمل بها المرأة لا تحبل، ويسقى منه صاحب القولنج لا يعود قولنجه أبداً، ويدخن تحت ذبل من به حمى ينفعه نفعاً بيناً، وزواني الهند اللاتي وقفن يتحملن زبل الفيل دفعا للحبل واستبقاء للطراوة والشباب فإنهن موقوفات على جميع أصناف الرجال وهذا أسرع إلى الحبل لأنها لا تعدم من يوافق مزاجها مزاجه فتحبل فيبطل جمالها.

(قرود) حيوان قبيح مليح ذكي سريع الفهم يتعلم الصنعة. وأهدى ملك النوبة إلى المتوكل قردا خياطا وآخر صائغا، وأهل اليمن يعلمون القروود القيام بمواجبهم حتى إن القصاب والبقال يعلم القرد الحفظ للذكان فالقرد يحفظ دكانه حتى يعود صاحبه، وتلد القردة في بطن واحد من واحد إلى عشرة واثني عشر وتحمل الأنثى بعض أولادها والباقي يحمله الذكر، والقروود مجالس مشهورة تجتمع فيها كثيرا يسمع منها حس مهمة، والإناث معتزلات عن الذكور وللذكور منها غيرة شديدة على الإناث.

(وحكى) بعض أهل صنعاء أنه مر بقرد في سفح جبل نائم واضع رأسه في حجر زوجته وقد غاص في نومه فإذا بقرد آخر قد جاء ووقف حذاءها فوضعت القردة رأس زوجها رويدا رويدا وقامت إلى ذلك القرد وجامعها كما يجامع الرجل المرأة، فلما انتبه القرد ولم

يجدها اتبع أثرها حتى وجدها فلما دنا منها شمها فعلم أنها زنت ، فصاح صيحة عظيمة فاجتمع عليه كثير من القرود فأخبرهم بفعلها فحفروا لها حفرة وجعلوها في تلك الحفرة ورجعوا حتى ماتت ، قال بليزاس : إذا ألقيت القرود في ماء وسقيت من ذلك الماء إنسانا أشبه القرود في أفعاله . وقال أيضا : من تصبح بوجه القرود عشرة أيام متوالية جلب إليه السرور ولا يكاد يحزن واتسع رزقه وأحبته النساء محبة شديدة وأعجبين به .

(فصل : في خواص أجزائه)

(عينه) تعلق على إنسان يمزح معه كل من رآه . (سنه) يعلق على إنسان لا يغلبه النوم ولا الفرع بالليل ، ويكتحل به بعد أن يسحق يزيل بياض العين : (لحمه) ينفع من الجذام أكلا وعرف ذلك من الأسد فإنه كثير الجذام وإذا أكل القرود برى : (دمه) من شرب منه يخرس حتى لا يقدر على الكلام أصلا ويقبح في أعين الناس . (جلده) إذا علق على شجرة يدفع عنها ضرر البرد ، ويتخذ من جلده غربال يغربل به البذر فإنها إذا زرعت تسلم من آفات الجراد ، والله الموفق :

(كركند) حيوان في جثة الفيل خلقته خلقة الثور إلا أنه أعظم منه ذو حافر وقرون وغضبه سريع وحملته صادقة تخافه جميع الحيوانات بأرض الهند على رأسه قرن حاد الرأس غليظ الأسفل فيه أنحاء محدبة إلى وجهه ومتمعره إلى ظهره ، ومن العجب كونه جمع بين الحافر والقرن فإن كل حيوان ذي حافر ليس له قرن وهو أقل الحيوانات عدوا يعيش سبعائة سنة وهيجانه بعد خمسين سنة ومدة حمله ثلاث سنين . وزعموا أن الكركند إذا كان بأرض لم يبدع شيئا من الحيوانات في تلك البلاد حتى لو كان بينه وبينها مائة فرسخ من جميع الجهات فإنها تهرب من هيئته ، وإذا رأى الفيل يأتيه من ورائه ويضرب بقرنه بطنه ويقوم على رجليه ويدفع الفيل حتى ينتشب بقرنه ثم يريد أن يتخلص فلا يمكنه فيخر على الأرض فيموت هو والفيل أيضا : وذكروا أن السلاح لا يعمل في الكركند ولا يقاومه سبع ولا بهيمة وأنه يحب الفاختة يمشي إلى شجرة عليها عش الفاختة يقف تحتها ويطيب نفسه بهديرها والفاختة تقع على قرنه فلا يحرك رأسه لكيلا تنفر الفاختة :

(فصل : في خواص أجزائه)

قالوا : على قرنه شعبة منحنية انحناؤها مخالف لانحناء القرن ، وله خواص . وعلامة صحتها أنه يرى منها شكل فارس لا توجد تلك الشعبة ، إلا عند ملوك الهند . من خواصها حل كل عقد فلو أخذها صاحب القولنج بيده يفتح في الحال ، والمرأة التي ضربها الطلق إذا أخذته بيدها وضعت في الحال ، ولو أرادوا استخلاص حصن توضع الشعبة في الماء ويرش في الحصن فإنه يتخلص ، ولو مسح منها شيء وسقى لمصرع يزول صرعه وكذلك

من به فالج أو شنج ، وحاملها يأمن عين السوء ولا تكبويه الفرس ، وإذا ترك في الماء الحار يتركه باردا ، ومن عضه الكلب الكلب يسقى من قرن الكركند بدهن اللسان ينفعه نفعا بينا . قال ابن أبي الخير الاستر اباذى صاحب كتاب [برهة نامت الجلاس] حاكيا عن أبيه قال : كنت رائحا إلى عرنين مع قافلة فأنا الخبر أن قوما من اللصوص في الطريق فأصاب القوم اضطراب من ذلك ، وكان فينا رجل فقال : يا قوم لا تحزنوا فإني أكفيكم شرهم بشرط أنكم تذهبوا بي إليهم ، فذهب به بعض أهل القفل إلى موضع اللصوص وكانوا في شعب بين جبلين ، فأخرج شيئا من وسطه ودلكه بالتراب دلكا شديدا ثم أشرف عليهم ونثر ذلك التراب على رؤوسهم فهبت ريح عاصفة في ذلك الشعب منع اللصوص من القيام ومن قام منهم وقع ، ثم عاد إلى القفل ثم قال : امضوا بدعة وسلامة ، ففزنا من ذلك المقام وسلمنا فلما وصلنا إلى عرنين دخلت يوما على الشيخ الرئيس أبي علي فرأيت ذلك الرجل عنده فأخبرته بصنيعه فقال : كان ذلك عنده قرن الكركند وفيها عجائب كثيرة ، وهذا الرجل من خواص أصدقائنا جاءنا من بلاد الهند وأهدى إلينا ذلك العقد ، ويتخذ من قرن الكركند نصل السكاكين فإذا قربت من طعام أو شراب فيه سم كسر قوة السم . (عينه اليمنى) تعلق على الإنسان تزول عنه الآلام كلها ولا يقربه الجن ولا الحيات ، والبسرى تمنع من النافض والحمل ، ويتخذ من جلده الجواشن والتحافيف لا يعمل فيها شيء من السلاح .

(كلب) حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء دائم الجوع والسهر يخدم كثير أو يحرس ويدفع اللصوص . قال الجاحظ : من ذكاء الكلب أنه إذا اتبع الظباء يعرف التيس من العنز فيترك العنز ويقصد التيس وإن كان التيس أشد عدوا ، لكن يعلم أن التيس يعتريه البول من الفزع فلا يستطيع الإراقة مع شدة الحصر فيقل عدوه فيعتريه البهر فيلحقه الكلب ، وأما العنز إذا اعترأها البول أراقته لسعة السبيل وسهولة الخرج فلا تقصر وهذا شيء عرف من الكلب مرارا وهو ظاهر عند المكبلين . وقال أيضا : من عجائبه أنه يخرج يوم الثلج ووجه الأرض مغشى من الثلج ومعه الصياد المحرب لا يعلم موضع الصيد مع ذهنه وعقله والكلب يذهب يمينا وشمالا ولا يزال يتشمم حتى يعرف مواضع الصيد بأنفاس أبدانها وبخار أجوافها وإذابة مالا قاها من وجارها وهذا غامض جدا لا يدركه إلا الكلب الماهر ، وإذا صبت السحاب بالثلوج على الكلاب في أيام الشتاء لقي منها جهدا ، فتي أبصر غما نبج لأنه يذكر مالتى من مثله . وفي المثل : لا يضر السحاب نباح الكلاب ، وإذا نبج على إنسان بالليل فلا ينجه إلا أن يقعد فإذا قعد انصرف كأنه قد ظفر به ، وقد يصيب الكلب في الصيف جنون لأن مزاجه حار يابس جدا ويزيده الصيف حرارة ويبوسة فيغلب عليه المرارة فيحدث له هذا المرض فيصير ريقه سما ، وعلامة ذلك اللهث الدائم واحمرار العينين وإطراق الرأس واعوجاج الرقبة واسترخاء الذنب وجعله بين فخذيته ويمشي مانلا خائفا كأنه سكران كئيب مغموم ويتعثر

في كل خطوة ، وإذا لاح له شبح عدا إليه حاملا عليه سواء كان شجرا أو حجرا أو حيوانا وقلما تكون حملته مع نباح بخلاف سائر الكلاب ، وإذا نبح يكون في نباحه بجوحة ، والكلاب تنحرف عنه ، وإذا دنا من بعضها على غفلة بصبصت وخشعت بين يديه ورامت أن تهرب وتفر ، ومرض هذا الكلب صعب المداواة ومن عضه ينبع كالكلب ويرى بوله مرشوشا على صورة الكلب وينظر في الماء يرى صورة الكلب ولا يشرب من الماء حتى يهلك عطشا ، (وحكى) أن كلبا عض بغلة فعضت البغلة راكبها فصار الراكب أيضا مكلوبا ، وإذا مرض الكلب أكل سنابل القمح . هذا ، وإذا سمع صوت الحمار يتألم رأسه وإذا سمع المحتصب صوت السكاب الأبيض أو الأحمر يكوّن لجناحيه لونا جيدا ، والكلب يرتبط عند السفاد والحكمة في ذلك أن نظفة الذكر يابسة لزجة لا تخرج إلا بزمان وبتفخ إحليله كي لا يخرج حتى ينزل تمام المنى ، وإذا رمى إنسان كلبا بحجر فأخذه بفضه ثم ألقاه فذلك الحجر إن ترك في برج الحمام هرب منه وإذا ألقى في الشراب من شربه يعر يد . ومن عجيب ما حكى عن الكلب أن شخصا قتل شخصا بأصفهان وألقاه في بئر وللمقتول كلب يرى ذلك فيأبى الكلب كل يوم ويحفر رأس البئر ويزيح التراب عنها وإذا رأى القاتل نبح عليه ، فلما تكرّر ذلك منه حفروا البئر فوجدوا فيها المقتول فعذبوا القاتل حتى أقر .

(فصل : في خواص أجزائه)

عينا الكلب الأسود الميت إذا دفنتا تحت جدار يخرب وإن أخذهما الإنسان معه لا ينبع عليه الكلاب . (نابه) يشد على الكلب العقور لابعقر ويشد على الصبي تنبت أسنانه بلا وجم ومن يتكلم في نومه يستصحبها لا يرجع يتكلم في النوم ، وناب الكلب الكلب الذي عض إنسانا يشد في قطعة جلد على عضد الإنسان يبرأ من عضه الكلب الكلب وأسنان الكلب الأسود يحمله إنسان لا تنبع عليه الكلاب هكذا تعمل اللصوص . (مرارته) تنفع من ظلمة العين إذا اكتحل بها . (كبده) يؤكل مشويا ينفع من عضه الكلب الكلب . (شحم الكلب الميت) يطلى به الخنازير يحللها سيما إذا كان في الحلق ومخه أيضا يفعل ذلك . (قضييه) يخففه ويستصحبه الإنسان يكثر من الوقاع . (شعره) يشد على المصروع يخفف صرعه وشعر الكلب البهم أقوى تأثيرا . (بوله) يقطع التآليل إذا طلى به . قال ابن سينا : قردان الكلب يسقى منه صاحب القولنج ينفع في الحال . (زبله) إذا كان أبيض اللون من أكل العظم دون اللحم فإنه دواء جيد للذبحة والخوانيق ، وزبل الكلب الأسود تحمله المرأة تأمن من إسقاط الجنين .

(نمر) حيوان ذو قهر وقوة وسطوة صادقة ووثبات شديدة ، وهو أعدي عدو للحيوانات لا تردعه سطوة أحد ولا ينصرف عن العسكر الدم ، وهو ذووشى وألوان حسنة

وخلقه في غاية الضيق لا يتأدب البتة ، وهو معجب بنفسه فإذا شبع نام ثلاثة أيام ورائحة فمه طيبة بخلاف الأسد، وخرزوات فقاره ضيقة تنكسر بأدنى شيء أصابها ، وبينه وبين الأفعى صداقة وعند ولادتها تسير الأفعى حلقة في عنقها، وإذا خدش النمر إنسانا ينثر عليه التراب حتى يموت الإنسان ، وإذا مرض يأكل الفأر يزول مرضه ، والنمر يتعرض لكل شيء يراه حالة جوعه وشبهه بخلاف الأسد فإنه لا يتعرض إلا في حالة الجوع .

(فصل : في خواص أجزائه)

(رأسه) إذا دفن في موضع يجتمع فيه من الفأر شيء كثير : (مرارته) يكتمل بها تزيد في ضوء البصر ويمنع من نزول الماء . (شحمه) يذاب ويجعل على الجراحات العتيقة ينفعها ويبرئها . (لحمه) من أكل منه خمسة دراهم لا يضره سم الحيات والأفاعى . (قضيبه) يطبخ ويشرب من مرقه ينفع من تقطير البول وأوجاع المثانة . (جلده) يتخذ منه طرحة يجلس عليها صاحب البواسير يزول عنه ، وإذا حمل معه شيئاً من جلد النمر يبقى مهاجراً بين الناس ، وأجزاؤه كلها تفعل فعل السم القاتل .

(نامور) حيوان وحشى نفور له قرنان كالمنشارين أكثر أحواله تشبه أحوال بقر الوحش يأوى إلى اللدوحات التي التفت أشجارها ، وإذا شرب الماء ظهر به النشاط يعدو ويثب على الأشجار وربما تشعب قرناه بشعب الأغصان ولا يقدر على امتخاضها فيصيح والناس إذا سمعوا صباحه ذهبوا إليه فيصيدوه . (لحمه) يطبخ بالنبيذ ويأكل منه الصبي يزول عنه البلادة ، جلده يتخذ منه مطرحة يجلس عليه صاحب البواسير يزول عنه . (كعبه) يشد على البريد على الساق يأمن من تعب السير .

(النوع السادس من الحيوان الطير)

هذا النوع من الحيوان مختص بحفة البدن وفقد أعضاء كثيرة توجد في غيره : والحكمة في ذلك أن الله تعالى لما خلق الحيوان وجعل بعضها عدوا لبعض أعطى كل واحد إمامة أو سلاحاً يدفع بها عدوه كما للدواب وللسباع ، أو آلة يهرب بها كما للوحوش والطيور ، أما الوحوش فالآلات قوائمها وأما الطيور فأجنحتها ، ثم إن هذه الآلة اقتضت خفة الجثة إذ لو كانت الجثة كبيرة اقضت كبر الجناح والجناح الكبير لا يحصل معه سرعة الطيران بل يكون طيرانه بطيئاً لا يزيد على سرعة المشى فلا يحصل الغرض المطلوب . ومن العجب طيران الطير في الهواء وعدم سقوطه والهواء أخف منه وهو أثقل منه كما قال الله تعالى - ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله - فلما اقتضت هذه الآلة خفة الجناح والحفة نقص منها أعضاء كثيرة توجد في غيرها من الحيوانات التي تلد وترضع ويحف عليها النهوض ويسهل الطيران كالأسنان والآذان والكرش والمثانة وخرزوات الظهر

والجلد الثخين ، وإذا تأملت خلقة الطير وجدت نسبة قدامه إلى أسفله كنسبة يمينه إلى شماله فإن كان طويل الرقبة تطول أيضا رجلاه ، وإذا قصرت رقبته قصرت رجلاه ، ولو نتف ذنب الطير لمال إلى قدام كالسفينه التي خف مؤخرها . قال الجاحظ : كل طائر جيد الجناح يكون ضعيف الرجلين كالزراير والعصافير ، وإذا قطعت رجلاه لا يقدر على الطيران كما إذا قطعت يد الإنسان فإنه لا يقدر على العدو ، وكل طائر يعب الماء يزرق فرخه . ومن الطيور ما أعطى العجب في لونه كالطاوس والبيضاء والنعام وأبي براقش ، ومنها ما أعطى في حلقه كالحمام ، ومنها ما أعطى في حنجرتة كالبلابل والقنابر ، ومنها ما أعطيت العجب في تركيب أعضائها كالديكة والقاتل والكرابي والنعام ، ومنها ما أعطى في صنعته كالخفاف واليقوط والقنبرة وسندكر بعض ما يتعلق بها من العجائب وترتيب أسماء الطيور على حروف المعجم إن شاء الله تعالى .

(أبو براقش) طائر حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار في حجم الغنق يتلون كل ساعة بلون من أحمر وأخضر وأصفر وأزرق ، وفيه يقول الشاعر :

كأبي براقش كل لو ن لونه يتخيل

وعلى لون هذا الطائر نسجت ثياب تسمى أبو قلمون تجلب من بلاد الروم ، ولم يحضر في شيء من خواصه .

(أبو هارون) طير في حنجرتة أصوات مليحة شجية يفوق النوايح و يروق كل معنى لا يسكت بالليل البتة ويصيح إلى وقت الصباح وتجتمع عليه الطيور لالتذاذها باستماع صوته وربما يمر العاشق عليها فلا يقدر على العبور بل يقعد ويبسكي على صوته .

(إوز) طير يحب السباحة وفرخه يخرج من البيض ينزل في الماء ويسبح في الحال ، والأنثى إذا حضنت لا تقبل إلا بيض نفسها ولا تقبل إلا تسعا أو إحدى عشرة ، وإذا حضنت الأنثى قام الذكر يحرسها لا يفارقها طرفة عين وتخرج أفرانها يوم التاسع عشر فإن أبطأ فإلى آخر للشهر ، وفي جوف الإوز حصاة تنفع من الاستطلاق إذا سقى المبطون .

(فصل : في خواص أجزائه)

(لسانه) ينفع من تقطير البول إذا أكل . (مخه) يكمد به الرأس ينفع من الصداع . (مرارته) تذاب بدهن البنفسج ويسعط به صاحب الشقيقة في المنخر الذي يلي الألم ينفعه : (شحمه) ينفع انشقاق العارض من البرد وداء الثعلب . قال ابن سينا : شحم الإوز يصني اللون وخنه يسمن ويصني الصوت ويزيد في الباه (خاصة عينه اليسرى) تشد على يمين صاحب الحمى الربيع تذهب عنه ، وتنفع من وجع الأعضاء كلها . (عظمه) يحرق ويندر على جراحات

النصول ينفها نفعا بينا : (بيضة) يزيد في الباه أكلا . (زرقة) يخفف ويسحق ويشرب ينفع السعال اليابس ، والله الموفق .

(بازى) هو أشد الجوارح تكبرا وأضيقها خلقا يوجد بأرض الترك قالوا : البازى لا يكون إلا أنثى وذكرها يكون من نوع آخر من الحدأة والشاهين ، ولهذا ترى الاختلاف في أشكال البازات وذلك بحسب الذكر ، فإن كان الغالب عليه بياض اللون فهو أحسن البزاة وأملأها جسما وأجرأها قلبا وأسهلها رياضة ، والأشهب لا يوجد إلا بأرض أرمينية وأرض الجزر . وجاء في أخبار الرشيد أنه خرج ذات يوم إلى الصيد فأرسل بازيا أشهب فلم يزل يعلو حتى غاب في الهواء ثم عاد بعد اليأس منه وقد تعلق بشبه سمكة لها ريش كأجنحة السمكة ، فأحضر الرشيد العلماء وسألهم هل تعلمون في الهواء شيئا ؟ قال مقاتل : يا أمير المؤمنين روينا عن جدك عبد الله بن عباس أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان فيه أقربها منا ذوات بيض تفرخ فيه يرفعها الهواء فينشأ في هيئة الحيات والسمك لها أجنحة ليست بذات ريش يأخذها بزاة بيض تكون بأرمينية ، فأمر الرشيد بإخراج طشت وأراهم فإذا فيه البازى الأشهب وذلك الحيوان . فأجاز مقاتلا يحق منز ، والبازى لا يتخذ الوكر إلا على شجرة لها أغصان لدفع ألم الحر ودفع البرد ، وإذا أراد أن يبيض يبني بيتا مسقما للثلا يقع على فرخه المطر والهج ، ويأتى بحشبة يقال لها المارار يتركها في وكره لدفع العدو : وإذا مرض يأكل لحم العصفور يبرأ ، وإذا كان في التحشير يعطى لحم الفأرة لينبت ريشه حسنا .

(فصل : في خواص أجزائه)

(مرارته) من اكتحل بها يأمن من نزول الماء إذا رأى آثار نزول الماء الذى كشه ذباب يطير بين عينيه أو مثل دخان ويسعط صاحب اللقوة بقدر حبة تنفعه نفعا جيدا . قال ابن سينا : مرارة الجوارح كلها تنفع مع ظلمة البصر اكتحالا . (عظمها) يحرق ويذر على الموضع المحرق ينفعه نفعا بينا (مخالبها) يعلق على شجرة لا يصيبها شيء من الطيور ولا يصيبها ضرر من الطير البتة .

(باشق) طائر حسن الصورة أصغر الجوارح جثة يصطاد العصافير وما في حجمها (دماغه) ينفع الخفقان العارض من السوداء إذا سقى منه درهم بماء ورد (مرارته) تنفع من ظلمة العين اكتحالا .

(ببغاء) يقال له بالفارسية طوطو طير حسن اللون جدا والشكل أكثرها أخضر اللون وقد يكون أحمر وأصفر وأبيض له منقار عريض ولسان كذلك يسمع كلام الناس ويعيده ولا يدرى معناه ويأتى بحروف مستقيمة ، وإذا أرادوا تعليمها أخذوا مرآة في قفصها فإنها ترى صورة نفسها فيها ويتكلم أحد خلف المرأة فإنها إذا سمعت أعادت لأنها تريد أن تأتي بما أتى به مثلها فتتعلم مربعا . ومن عجائبها أنها لا تشرب الماء أبدا ، فإنها إن شربت هلكت .

(فصل : في خواص أجزائها)

من أكل لسانها يصير فصيحاً جريئاً في الكلام . (مرارتها) تنقل اللسان أكلاً . (دمها) يخفف ويسحق وينثر بين صديقين تظهر بينهما العداوة . (وزرقها) يخلط بماء الحصرم ينفع من الظلمة والرمم اكتحالاً .

(بلبل) يقال له بالفارسية هزارستان طائر صغير الجثة سريع الحركة فصيح اللسان كثير الألحان يسكن البساتين وله مغنى ويوجد أيام الورد ، يقولون إنه يحب الورد فإذا رأى من يقطفه يكثر صياحه ولا يصبر عن الماء ساعة لفرط حرارته ولا يتراوح إلا في البساتين والرياح يعصف به من صغره وهو يعلم ذلك فإذا كان يوم الريح لم يخرج أصلاً . (لحمه مع عين السرطان) يشد في جلد الإبل على ذراع إنسان لا يغلبه النوم مادام معه . (يوم) طائر معروف لا يبرز بالنهار تضعف بصره ويحب الوحدة وتنشأ من الناس به والحيات والأفاعى تهرب من صوته ، وتصطاد السنابير الضعاف وتعادى الغراب ، وهو ذليل بالنهار أما بالليل فلا يقدر عليه شيء من الطيور والطير تعرف ذلك منه فإذا كان النهار تجتمع عليه الطير وتنتف ريشه ولهذا ينصب الصياد في الشبكة البومة .

(فصل : في خواص أجزائه)

يكتحل بمرارته تنفع من ظلمة العين ، زعموا أن إحدى عينيه تنام والأخرى تسهر وسبيل معرفتها أن الراسبة في الماء تنوم تجعل تحت وسادة مع أردت فإنه لا يستيقظ مادامت تحت وسادته ، والطافية تسهر ، فالتى تسهر تجعل تحت فص الخاتم من تختم به لا يغلبه النوم . (وعيناه) تخلط بالمسك ويستصحبه فكل من شم رائحته يحبه محبة شديدة . (قلبه) يطعم صاحب القولنج والقوة يزيلهما وليكن مشويماً . (مرارته) تخلط برماد خشب البلوط يأكله من في مثانته حصة يفتتها ، وتخلط برماد خشب الطرفايا كاله صاحب البول في الفمراش يزول عنه ذلك . (كبده) سم قاتل يورث القولنج ولادواء له والعياذ بالله (لحمه) يورث الغثيان ويخفف ويجعل في طعام ويطعم جماعة تقع بينهم الخصومة . (دمه) يلطخ به طريا وجه الملووق يزول عنه ذلك . (قانصته) تعمل عمل كبده . (عظمه) يدخن به بين ندمان الشراب يعربد بعضهم على بعض . قالوا إنها تبيض بفضين إحداها منبته للشعر والأخرى مزيلة ، ومن أراد أن يعرف ذلك فليغسلها بالماء ويعصرها فالمنبته تميل إلى السواد والمزيلة إلى الصفرة .

(تدرج) طائر يقال له بالفارسية مدور يغرد في البساتين بالحن طيبة يسمن عند صفاء الهواء وهبوب الشمال وهزل عند كدورتها وهبوب الجنوب ، ووقت البيض يتخذ دائرة

من التراب اللين ويضع البيض فيها لئلا تتعرض له الآفات ، وإذا كان وقت الزلزلة تجتمع التداريج وتصيح قبل ذلك بساعة ثم تقع الزلزلة نعوذ بالله من ذلك .

(تبوط) طائر يقال له بالفارسية كسواتنخذ من لحا الأشجار شبه الليف وتتخذ منه

كهيئة القفة ويفتل خيطا تشد القفة به وتدلها من بعض الأغصان ثم تبيض فيها :

(فصل : في خواص أجزائه)

بذبح بسكين من الشبة ويسقى لمن يعربد في سكره فإنه يتأدب ولا يرجع إلى ذلك . (مرارته)
تطعم الصبي بالسكر يحسن خلقه . (عظمه) يعاق على الصبي وقت زيادة نور القمر يبقى محبوبا إلى الناس ولو كان كرهه الملقى .

(حبارى) طائر يقال له بالفارسية حور . قالوا : ما في الطيور أشد بلها منها لأنها تترك بيضها وتحضن بيض غيرها . وفي المثل : كل شيء يحب ولده حتى الحبارى ، وإذا وقع زرقه على شيء من الطيور يعمل عمل الدبق ، والعرب تقول : الحبارى سلاحه سلاحه لأنها إذا قصدها الصقر لاتزال تعلق وتنزل مع الصقر حتى تجد فرصة فترمي بزرقها فيبقى الصقر مقيدا مثل المكتوف فعند ذلك تجتمع عليه الحبارات وتنف ريشه وفي ذلك هلاك الصقر . والحبارى إذا حبس وحبس معه شيء من الطير وتنف ريش صاحبه قبله يموت كندا . ويقال في المثل : مات كندا الحبارى .

(فصل : في خواص أجزائه)

(داخل قانسته) يجفف ويسحق مع الملح الأندرائي والخبز المحرق أجزاء سواءيزيل بياض العين اكتحالا . قال ابن سينا : يبيض الحبارى خضاب جيد فيما يقال فليجرب بصوفة بضاء : (زبله) نافع للتوابع .

(حدأة) طائر يقال له بالفارسية زعق وهو خسيس يغلبه أكثر الطيور . قيل إنه ذكر في سنة وأثنى في سنة ، والغراب يسرق بيض الحدأة ويترك مكانه يبيضه فالحدأة تحضنها فإذا فرخت فالحدأة الذكر تعجب من ذلك ولا يزال يزعق ويضرب الأنثى حتى يقتلها وإذا مرض يأكل شيئا من ريشها ، وإذا رأت الحدأة شيئا أحمر تحسه لحما تسلبه . قال صاحب الفلاحة : الحدأة والعقاب يتبدلان فيصير العقاب حدأة والحدأة عقابا .

(فصل : في خواص أجزائه)

(مرارته) إن جفنت وسحقت وذرت في جونة الحواء ماتت الحيات التي وقع عليها ، ويكتحل بها من لدغته العقرب في العين التي من جانب اللدغة ينفعه . (دم) ينفع من السموم القاتلة شربا . (عظمه) يحرق ويسحق ويضمده به الدمامل ينضجها وكذلك الجراحات . (حمام) هو الطير المشهور الهادي إلى أوطانه من المسافة البعيدة ، وهو أشد الطيور ذكاء

فإذا أرسل من موضع بعيد يصعد نحو الهواء ويكون صعوده مدورا كما أخذ المنارة فلا يزال يصعد وينظر حتى يرى شيئا من علامات بلده فعند ذلك يهبط إليها في أدنى زمان وربما نغمت السماء فيصير الغيم حائلا بينه وبين الأرض فيقع في بلاد شاسعة أو يصيده شئ من الجوارح ، وترى عجبا بين زوج الحمام من الملاعبة والغنج مثل ما يجري بين الناس من القبلة والمعانقة وغيرهما ، ورأيت حمامة تسجد لذكرها حال طلبه وحمامة رأيتها لاتسجد إلا مع شدة الطلب ورأيت ذكرا له اثنيان يحضن بيض هذه وهذه وأنثيين يتساحقان كسحاق النساء يبيضان أربع بيضات ولا يفقسان ، ومن العجب أن الحمام الذكري يحس بما أودع رحم الأنثى فعند ذلك يهتم بعمل الأفحوصة فيتخذانها على قدر بدنهما ، فإذا شخصتا لتلك الأفحوصة جوفها حتى يظهر فيها مقعد تبقى البيضة فيه مصونة ، فإذا وضعت يتناوبان عليه الحضن بعد ما سخنا موضعهما وأحدثنا له رائحة أخرى مستحدثة من طبيعة أبدانهما ويقبلان البيض في أيام الحضن وساعاتها وأكثرها على الأنثى كالمرأة التي تتكفل بالحضانة ، فإذا صارت فراخا فأكثر الزق على الذكر كالرجل الذي يتكفل بالنفقة ، وإذا خرج الفرخ نفخا في حلقه حتى يتسع ممر الغذاء لعلمهما بأن آلات ممر غذاء الفرخ لا تحتمل الطعام فيزقانه أولا باللعاب المختلط بالطعام اللبن ويعلمان أن حوصلته تحتاج إلى ديبغ فيأكلان سوارح الحيطان . قالوا : من أراد لونا من الحمام كأسود الرأس أو الذنب أو مثل ذلك فليخذ حماما من الخرق على ذلك اللون ويتركها عند مسق الحمام فإذا كان حمامة وقعت عينها عليها حالة التزاوج يأتي فرخها على ذلك اللون ، وحمام البر إذا مرض يأكل الجراد يزول مرضه ، والمتروك الذي يقال له البجامة يأكل أطراف القصبية يزول مرضه . ومن ذكاء الحمام أن جوازها إذا رأت النسر لا تخاف ، وإذا رأت العقاب خافت ، وكذلك تفرق بين الغراب والصقر وإذا رأت الشاهين رأت السم الناقع كما أن الشاة لا تفرغ من القيل والجاموس وتفزع من الذئب . قال الجاحظ : الحمام أسرع طيرانا من سباع الطير إلا أنه إذا رأى الجوارح يعتريه ما يعتري الشاة عند رؤية الذئب والفأرة إذا رأت السنور .

(فصل : في خواص أجزائه)

(عينه) من أكلها يصيبه الغشى . (مرارة الحمامة البيضاء) تزيل الغشاوة والظلمة من العين اكتحالا . (دمه) يطلى به الكلف يقلعه : (دم الجوازل) يطلى به الجراحة يبرئها سريعا ، ويطلى به الموضع الذي أصابه صدمة أو ضربة تصلحه ، ويزيل الزرقة من آثار الضربة والصدمة ، وينفع من الغشاء اكتحالا . (لحمه) من داوم على أكله يدفع عنه البلادة ويورث الذكاء : (عظمه) يحرق وينذر على الجراحة يلتئم شقها ويصلح بإذن الله تعالى : (زرقة) تحمله المرأة التي أضر بها الطلق يسهل ولادتها ويتلع الخشركشات والنار الفارسية

إذا طلى به ، وزرق الحمام الأحمر يفتح أثر البول ويفتت الحصى والدمل ويطرح زرق الحمام في أدوية الحتمنة يفتح القولنج (رجل الحمام والاصطرك وحب النيل) أجزاء سواء يسحق وتخلط بدهن الجوز ويطلى به البرص يغير لونه :

(خطاف) طائر لا يزال ينتقل من الضروب إلى الحروم ويتبع الربيع وإذا عرف استقبال الصيف يأخذ فراخه ويمشي بها إلى الوكر الذي تركه في البلد الآخر ولا يبقى منها واحدا إلا يرجع إلى وكره القديم ، ويتخذ الوكر من الطين المخلوط بالشعر ليبقى بعضه على بعض ويقوى كطين الحكمة . ومن العجائب أن يعمل بعضه ويتركه حتى يجف ثم يعمل البعض الآخر فلو عملت البيت كله دفعة واحدة لتثاقلت وسقطت ، وإذا أرادت اتخاذ الوكر عاونته الخطاطيف فإذا فرغت تأتي بالماء في أفواهها وتسوى به باطن الوكر وتملمسه وتزيل خشونته ، وتضع السذاب في أوكارها لدفع الحيات والبعوض والذباب ، ومن المشهور أن عش الخطاف يحل في الماء ويسقى صاحبة الطلق تضع بسهولة .

(فصل : في خواص أجزائه)

(ريش رأسه) يجعل تحت وسادة إنسان لا ينام ما دام تحت رأسه . (دماغه) ينفع من ظلمة العين اكتحالاً ، ولو خلط بدهن ورد ودهن به الإنسان رأسه لا يتولد فيه القمل : (عينه) تشد في خرقه وتعلق في سرير كل من نام عليه سهر . (قلبه) يجفف ويسحق ويسقى في شئ من الأنبذة يعين على الجماع معاونة عظيمة : (لحمه) يحد البصر جداً . (دمه) يسقى المرأة تذهب شهوتها بحيث لا تريد الرجال البتة . (زرقه) ينضج الدمامل إذا ضمدت به : (خفاش) طائر مشهور ، بصره ضعيف يسوؤه شعاع الشمس لا يخرج إلا بين الضياء والظلام يشبه الفأر . (جناحه) جلدة رقيقة وله أسنان وللأنثى ثدى كما للفأر يرضع ولده ، وإنما طالب بنو إسرائيل عيسى صلوات الله عليه بخلق الخفاش لأنه أم الطير خلقه لأن له أذنين وأسناناً وندياً فاتخذ من الطين كما أخبر الله تعالى - وإذا تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني - يقصد الذباب والبق والبعوض وأمثالها ، وربما تأخذ ولدها في فمها وتطير وترضع ولدها ، وتأكل الرمان على الشجرة وتتركه قشراً مجوفاً وتهرب من ورق الدلب إذا ترك في مكانها ، وإذا عاقت خفاشة في شجرة من قرية جاوز الجراد عنها .

(فصل : في خواص أجزائه)

(رأسه) يترك في برج الحمام يألف إليها ، وإذا ترك تحت وسادة إنسان لا ينام . (دماغه) قال ابن سينا : ينفع من نزول الماء اكتحالاً . (قلبه) يعلق على من هاجت به شهوة الوقاع يسكن . (دمه) يزيل الغشاء اكتحالاً ويطلى به الإبط والعانة بعد التنف فإنه لا يرجع ينبت الشعر بعد ذلك . (زرقه) يزيل الظفرة وبياض العين اكتحالاً وبلقي في جحر النمل تهرب

كلها ، وبطل العضم الذى أريد إزالة شعره بماء الزرنينخ والنورة وزرق الخفاش فإنه لا ينبت إلا بعد مدة طويلة وإذا فعل ذلك مرارا لا ينبت البتة .

(دراج) طير مبارك كثير النتائج محذب الظهر مبشر بالربيع ، ويؤكل لحمها وتحسى مرقها فإنها تزيد في الباه وتقوى الشهوة ، والمداومة على أكل لحمه يزيد في الدماغ والفهم قاله ابن سينا ، وهو القائل : بالشكر تدوم النعم . وصوته على وزن هذه الكلمات ، وتطيب نفسه في الهواء الصافي وهبوب الشمال ويسوء حاله بهبوب الجنوب حتى لا يقدر على الطيران ، وذكر الجاحظ أن الدراج من الطيور التي لاتسافد في البيوت إنما تسافد في البساتين . وذكر بعض البازدارية أنه أرسل بازا على دراج فألقى الدراج نفسه على شوك كان هناك وأخذ من الشوك أصلين في رجليه واستلقى على قفاه وتستر بذلك عن الباز فعجز الباز عنه ، قال ابن سينا : يزيد في مادة المنى .

(ديك) أكثر الطيور شهوة وعجبا بنفسه يبشر بطلوع الفجر ، ومن العجائب معرفته ساعات الليل فإن الليل إذا كان خمس عشرة ساعة يقسط أصواته عليها كما كان يقسطها والليل تسع ساعات وذلك بإلهام من الله تعالى . وزعموا أن من أيقظه الديك فقام لا يبقى معه شيء من ثقل النوم ، والأسد يهرب من الديك الأبيض والمهارش خيرها وعلامة ذلك حمرة العرف وغلظ الرقبة وضيق العين وسوادها وحدة الخالب ورفع الصوت ، والديك يحب الدجاج محبة شديدة يؤثر الدجاج على نفسه وربما يأخذ الحب بمنقاره ويرميه إلى الدجاجة ويهارش عليها وهذا كله في زمن شبابه وكثرة نشاطه ، وأما إذا هرم فتكون همته مقتصرة على نفسه وإذا جاء للدجاج عدو دفعه الديك عن الدجاج ، وبالليل يجتمع الدجاج في موضع حريز ويقف الديك على بابه يحرسها ، والديك يبيض بيضة في عمره صغيرة تسمى بيضة العقدة ، وزعموا أن من ذبح الديك الأبيض الأفرق ينكب في ماله وأهله وأن الشيطان لا يدخل بيتا فيه ديك أبيض أفرق .

(فصل : في خواص أجزائه)

(عرفه) يخفف ويسحق ويسقى من يبول في فراشه يزول عنه ذلك ، وعرف الديك الأبيض أو الأحمر يبخر به الجنون ينفعه نفعا بينا . (مرارته) تنفع من الغشاوة وظلمة البصر اكتحالا . قال . بليناس : مرارة الديك الأبيض تخلط بمرق صاف وتؤكل على الريق تذهب النسيان ويذكر ما كان نسيه . وقال بعضهم : مرارة الديك تجعل في إناء من فضة ويداوم على الاكتحال بها فإنه يزيل بياض العين : (عظم جناحه) يشد على صاحب الحمى الورد تذهب عنه ، ويشده الفارس على وسطه لا يتعب من السوق . (دمه) ينفع من بياض العين اكتحالا ويخلط دمه بالعسل ويعرض على النار فإنه يقوى الباه واللذة طلاء على المقضب .

ودمه الذى يخرج من المهارشة إن جعل فى طعام وأكله قوم يقع بينهم الخصومة : (لحمه) يأكله العقاب على جوعه يسقط ، ويؤخذ من لحم الديك ويجفف ويسحق مع العنقص والسباق بالسوية ويتخذ حبوبا على مثال الحمص ويسقى المبطون يبرأ فى الحال ، ويوجد فى بطن الديك أحجار منها على لون السماء ومنها على لون البلور فإذا علق منها على الخنون يبرأ ويعلق على غير الخنون تزيد شهوته ، خصية الديك تعلق على الديك المهارش لا يغلبه ديك فى المهارشة . (دجاجة) أعجب ما فيها أنها إذا تشبهت بالديك فى الصباح والمهارشة ينبت لها شوكة كشوكة الديك وربما باضت من لعبها فى التراب ومن الريح الجنوب من غير ركوب الديك لكن لا تفرخ تلك البيضة ويطيب طعمها . وإذا حصل فى ظهرها بيض كثير من هذا السبب وركبها الديك ولو مرة واحدة صلحت كلها ، وإذا حضنت الدجاجة وسمعت صوت الرعد يفسد بيضها وكذلك عند هبوب ريح الجنوب يكون فسادها أقوى ، والدجاجة إذا سمنت لا تبيض : قال الجاحظ : إذا كبرت الدجاجة قل بيضها كما ترى من أمر النخل إذا تراحت لا تحمل .

(فصل : فى خواص أجزائها)

تطبخ الدجاجة البيضاء بعشر بصالات وكف سمسم مقشر حتى تهرى ويؤكل لحمها ويحتسى مرقها فإنه يزيد فى الباه ويقوى الشهوة ، والمداومة على أكل لحم الدجاج يورث البواسير والنقرس . (شحمه) يتخذ طلاء يذهب الكلف الأحمر من الوجه ، وينفع من الشقاق فى القدم العارض من البرد : (ومرارتها) تمنع من نزول الماء كتحاللا . (قانصتها) قال بليناس : تشوى وتطعم من يبول فى الفراش يذهب عنه ذلك . (بيضها) يؤخذ منه ثلاث حبات وينقع فى خل ثلاثة أيام ثم يترك فى الشمس ليجفف ويطلى به البهق يذهب به ، والنيمرشت يعمل فى تكثير مادة المنى وزيادة الشهوة فعلا عجيبا ، والبيض يترك فى وسط الثبن فى الشتاء وفى الصيف فى النخالة يبقى زمانا طويلا لا يفسد . (دهن البيض) يطلى به النقرس فيسكن وجعه : (زرقها) ينفع من القولنج إذا شرب بخل أو نبيذ وكذلك ينفع صاحب الحصاة . قال بليناس : زرق دجاجة سوداء يلصق على باب قوم يقع بينهم شر وخصومة .

(رخمة) طائر يشبه النسر فى خلقته يختار لبيضه أطراف الجبال الشاهقة ليصعب الوصول إليه . يقال : أعز من بيض الأنوق ، فإذا حان أو ان بيضها ذهبت إلى الهند وأتت بحجر يقال له أبو طافيون وهو حجر مدور مثل الخرزة إذا حركته يترقع فى جوفه حجر آخر ويترك ذلك الحجر تحته فتبيض من غير وجع . ويطير خلف العساكر لياكل من جيف القتلى ، ويتبع الحاج أيضا لطمعه فى خرد الدواب ، ويتبع النعم أيضا زمان وضعها أو حملها طمعا فى الجنين الجهنم .

(فصل : في خواص أجزائه)

(مرارته) تنمطر في الأذن مع الزيت يزول طرشها ، ويكتحل بمرارتها وحدها لبياض العين . (دمه) يسقى من به حمى الربيع تذهب عنه ، وإن خلط بدهن زنبق ومسح به الوجه يكون مقبولا عند السلاطين . (عظم جناحها النيني) يحرق ويسقى إنسانا يحب من فعل ذلك حياً شديداً . (وعظم جناحها) اليسرى يفعل مثل ذلك في البغضة : (زرقتها) إن احتملته المرأة ألفت جنينها .

(زاغ) هو الغراب الكبير : قالوا إنه يعيش أكثر من ألف سنة . قال الجاحظ : سائر الطيور تطرد أولادها ولا تعرفها إلا الغراب فإنها لا تبرح تتفقد أولادها ، والغراب نفسه يحرق ويسحق بالزيت وتطلى به الموضع الذي تريد أن ينبت فيه الشعر ينبت :

(فصل : في خواص أجزائه)

(لسانه) يجفف ويأكله العطشان يزول عطشه ولو في وسط تموز . (قلبه) يجفف ويسحق ويذاب بالماء ويشربه الإنسان لا يعطش في سفره ، فإن الغراب لا يشرب الماء في تموز . وقال بعضهم : لو أخذته الإنسان معه زال عطشه . (ومرارته) تخلط بمرارة الديك ويكتحل بها تذهب ظلمة العين ، ويسود الشعر إذا طلى به سوادا عجيبا . (شحمه وحوصلته) تمنع من نزول الماء أكلا عند مباديه . قال بليثاس : إذا أخذت شحم الغراب مع دهن الورد ودهنت به وجهك ودخلت على السلطان قضى حوائجك . (دمه) يجفف ويذر على البواسير يصلحها . (بيضاها) إذا شربه من سقى الزرنبيخ أو النورة يدفع غائلتها ، وإذا أكلها إنسان ثم استعمل الزرنبيخ أو النورة لا يزول شعره ، ولو سقى إنسان في الثدي لا يرجع يشربها : (دمه) يجفف ويذر على البواسير يقلعها وينفعها ويصلحها . (زرقة) تخلط بالخل ويطلى به موضع طحال المطحول ينفعه ، ويضمده به حلق صاحب البحة يزيلها . (زرزور) طائر يقال له بالفارسية «سار» يتبع الربيع وطيب الهواء ويأتينا من بلاد الهند ويقع منها في البحر شيء كثير تذهب الأمواج بها إلى السواحل وسكان السواحل تجمعها وتحرقها مكان الحطب . قال أبقراط : يؤخذ من فراخ الزرزور وتطلى بالزعفران وتترك مكانها فإذا رجعت إليها أمهاتها تحسبها أنها مريضة فتأتي بحصى أصفر اللون لمعالجتها فتسحق تلك الحصى وتعطى صاحب اليرقان يبرأ في الحال . (لحمه) يزيد في ضوء البصر أكلا ، ويجفف ويسحق ويسقى صاحب الخناق على الريق ينفخ في الحال (رماده) يذر على الجراحات يصلحها ، قال ابن سينا: زرق الزرزور المعتلف بالأرز نافع من القوابي .

(زمج) طائر يقال له بالفارسية زمك . (مرارته) تجعل في الأكحال تنفع من غشارة العين وظلمة البصر ، وذكر أنه مجرب والله أعلم .

(سماني) طائر صغير وهو السلوى الذي كان ينزل على بني إسرائيل في التيه، ومن عجيب شأنه أنه يسكت طول الليل زمن الشتاء فإذا أقبل الربيع يصيح مع ابتلاج الصبح، يغتدى بالبيش والبيش سم قاتل .

(سقر) طائر من جوارح الطير في حجم الشاهين إلا أن رجلاه غليظتان جدا ولا يعيش إلا بالبلاد الباردة ويوجد ببلاد الترك، إذا أرسل إلى الصيد أشرف عليها وبطير حولها على شكل دائرة فإذا رجع إلى المكان الذي ابتدأ منه يبقى الطير جميعا في وسط الدائرة لا يخرج منها واحد ولو كانت ألفا . والجراح يقف عليها وينزل يسيرا يسيرا وينزل الطير بنزوله حتى يلتصق بالتراب فيأخذها البازدارية فلا يفلت منها شيء أصلا .

(شاهين) طير من جوارح الطير عدو الحمام إذا رآه الحمام يعتره ما يعترى الشاة من الذئب والفأر من الهرة، والحمام أسرع طيرانا منه إلا أنه إذا رآه يضعف عن الطيران خوفا، وإذا رآته السلحفاة تتنعم وتعطيه ظهرها ولا يعمل منقار الشاهين فيها فيحملها الشاهين ويصعد بها نحو السماء ويرميها على حجر صلد لتتكسر فيأكلها، وإذا مرض الشاهين أكل الدراريج يزول مرضه .

(شغنين) طائر معروف لايزوج إلا أنثاه فإن هلكت لايزوج غيرها وكذلك الأنثى قاله الجاحظ : (شحمه) يذاب بالشيرج ويقطر في الأذن يذهب طرشها، وإذا اتمحل به يذهب الرمذ وجراحات العين والغشا . (زرقة) يسحق ويذاب بدهن الورد وتحتمله المرأة على صوفة ينفعها من أوجاع الرحم .

(شقراق) طائر يقال له بالفارسية كاسكينة أخضر اللون أحر المنقار وقد يكون أصفر عدو النحل يأكل منها ويقتل مالا يأكله، (مرارته) ذكر صاحب المثل أن الذهب إذا كان ناقص العيار يذاب ويفرغ في مرارة الشقراق فإنه يحمر ويزيد عياره كما لو فرغت في مرارة الثعلب ينقص عياره ويظهر نقصانه .

(صاف) طائر لا ينام شيئا من الليل أصلا، فإذا أظلم الليل يتدلى من شجرة ويقبض على شيء من أعوادها برجليه متنكسا ولا يزال يصيح حتى يشرق الصبح، قالوا إنه يخاف من وقوع السماء عليه .

(صقر) هو الجراح المعروف الذي يقال له بالفارسية جزع، وصيده أعجب من جميع الجوارح وهو أنه إذا أرسل الصقران إلى ظبية نزل أحدهما على رأسه ويضرب عينيه بجناحه ثم يعلو وينزل الآخر ويفعل مثل ذلك هكذا يشغلانه عن المشي حتى يدركه من يبطش به، ومن العجب أن الصقر مع صغر جثته يثب على الكركي مع ضخامته ويقبله وذلك لشجاعته التي خلقها الله تعالى فيه فلم يعبأ بعظم جثة الكركي لضعفه عنه مع زيادة قوته وجثته .

(طاوس) أحسن الطيور جمالا وحسناً وأروقها لونا والله تعالى في خلقه حكمة في اختلاف ألوانها فترى في وسط كل ريشة دائرة من الذهب مختلطة بالزرقة والخضرة وغيرهما من الألوان التي يلائم بعضها بعضاً ينشأ من تركيبها زيادة حسن فإن الذهب إذا جعلته على الحمرة أو الصفرة أو البياض لا تجد مثل حسنها على الزرقة والخضرة والكحلجية ، فانظر إلى قدرة الصانع كيف خلق في بيضة تلك النقوش العجيبة والألوان الحسنة : ثم إن الذهب الذي يولدها في الحجر لا يخرج إلا بالحيلة الشديدة ولا يصاح للتزويق إلا بعد أن يعمل عليها صناع كثيرة مختلفو الصناعات ، وكيف خلق الله في البيضة خاصية يتبين منها لون الذهب فسبحانه ما أعظم شأنه وأوضح برهانه . قالوا : عمر الطاوس خمس وعشرون سنة وفي هذه المدة يتلون بألوان كثيرة وفي كل سنة يلقي بريشه وقت الخريف وإذا بدت الأشجار بالأوراق يكتسى الطاوس أيضاً بريشه . قال ابن سينا : من أراد أن يظفر بإبعاد الحوام يقتنى طاوساً في مكانه .

(فصل : في خواص أجزائه)

(مخه) بالسذاب والعسل ينفع من القولنج وأوجاع المعدة . (دمه) من سقى منه يجن . (مرارته) يشرب منها وزن دائق بالسكنجبين نافع للمبطون ويذهب بثقل اللسان . (لحمه) يزيد في الباه وينفع من وجع الركبتين . (شحمه) يطلى به العضو المبرود يصلحه . (عظمه) من أخذ معه يأمن من العين السوء . (مخلبه) يشد على فخذه صاحبة الطلق تضع في الحال وكذلك لو دخن تحت ذيلها .

(طهوج) لحمه يعقد البطن ويزيد في الباه .

(عصفور) قالوا : الطير ضربان : أحدهما بهائم الطيور وهي التي تلتقط الحب الآخر وسباع الطيور وهي التي تتغذى باللحم ، والعصفور يشبههما جميعاً لأنه ليس بذئ مخلب ويلقظ الحب وكذلك يأكل اللحم ويصطاد الجراد والصرصر ، ويتخذ وكره في العمران تحت السقوف خوفاً من الجوارح ولو خلت مدينة عن أهلها ذهب العصافير عنها فإن عاد أهلها عادت ، وبينها وبين الحية عداوة إذا قصدت الحية وكرها اجتمعت العصافير ورفعت شفاشقتها ولا تبقى عصفورة سمعت صاحبها إلا جاءت إليها وصاحت معها وربما تقرض الحية بمنقارها فتجرحها فيجتمع النمل عليها فتكون سبباً لهلاك الحية ، وإذا نهقت الحمير فسد بيض العصافير ، وليس شيء من الحيوان أكثر سفاداً من العصفور فلماذا قالوا عمره قصير .

(فصل : في خواص أجزائه)

(دمه) يخلط بدقيق العدس ويتخذ بنادق ويطلّى به التفضيب ولا يضع قدمه على الأرض

فإنه يرى شيئا عجيبا من إفراط اللذة وكثرة الشهوة : (لحمه) يهيج الباه ويكثر الرياح . (بيضها) من يتحسى به يكثر جماعه ، ويدفن تحت الزبل ثلاثة أيام ثم يخرج به ويضلى به الناصور ينفعه نفعاً بينا : (زرقه) يكتحل به يزيل الغشاوة ، وإن شربه الإنسان في التبيذ يخر كالميت :

(عقاب) من صغار جوارح الطير يصيد الطير وصغار الحيوان كالأرنب والثعلب ويأكل من كل حيوان كبده لأن الكبد ينفعه من أمراضه . قال الجاحظ : فخلب العقاب خاصة في تقطيع الذئب فينقض على الذئب فيقده نصفين ، ويتبع العساكر لطمعه من لحوم القتلى : قال أصحاب القنص : إن العقاب لا يروع الصيد ولا يعانى ذلك بل يكون على المرقب الأعلى فإذا رأى شيئا من الجوارح قنص صيدا انقض عليه فالجرح ينجو بنفسه ويترك الصيد للعقاب ولا يفرخ إلا بيضتين والزيادة يرميها لأنها أكلة لا يتفرغ للأولاد الكثيرة لقساوة قلبها وسوء خلقها ، وإذا هرمت وعجزت عن الطيران تراعيها أفرأخها وإذا أظلم ضوء عينها من الخرم تصعد نحو الهواء إلى أن ينحرق بريشها ، ثم تنزل وتغوص في شيء من عيون الماء فيذهب هرمها وتعود إليها قوتها ، وهو طويل العمر بعيد التسافر يتغذى بالعراق ويتعشى باليمن ، والعرب تقول : فلان أحزم من فرخ العقاب ، لأن العقاب وسائر فراخ الطير تتخذ أوكارها في عروض الجبل وربما كان الجبل أملس بحيث لو تحرك الفرخ من مجشمة هوى من رأس الجبل إلى حضيضه ، والفرخ يعرف ذلك مع صغره وقلة تجربته لا يتحرك أصلا ولو وضع شيء من أفرأخ الأهلية كالذجاج والحجل والقطا في أوكار الوحشيات لتهافت في الحال وسقط عنها ، وأعجب من هذا أن الفرخ لا يطير حتى تستوى قصبه ريشه فسبحان من أحم كل حيوان ومصالح نفسه ومفاسده .

(فصل : في خواص أجزائه)

(مرارته) تنفع من ظلمة العين احتمالا ، ويضلى به ثدى النساء اللاتي انعقد اللبن في ثديين فإن ألمها يسكن في الحال ويفتحها ويكثر لبنها . (دمه) يجفف ويخلط بالإهليلج الأصفر مسحوقا ويكتحل به ينفع من جرب العين ولو طلى به من خارج كان أيضا نافعا . (شحمه) يذاب بالزيت ويضلى به رجل المنقرس يزول ألمها وكذلك وجع المفاصل ، وشحمه أيضا يخلط بالصبر والعسل ويجعل على الناصور مرتين وثلاثا يصلحه .

(عقق) طائر معروف كثير الخيانة يسلب الأشياء النفيسة من الحلى والجواهر وبريها موضعا آخر ولا يتخذ العش إلا في ظلمة أو تحت سقف ، ويأتي بورق الدلب يتركه في عشه كيلا يقصد الخفاش بيضه وكثيرا ماتتسى عشاها وأفرأخها فالها ذكاء كما لغيرها من الطيور .

(فصل في خواص أجزائه)

(دماغه) يخلط بالغالية ويسعط بها صاحب اللقوة والقالج يذهب مابه من الأذى . (دمه) يجفف ويخلط بماء الورد ويسقى إنسانا يبقى ثرثارا مكثارا ، وطريه يطلى به الموضع الذى فيه نصل أو شوكة يخرجها بسهولة . (شحمه) يطعم لصبي بالسكر يكون فصيحاً حافظاً : (ريشه) يحرق ويذر في جحر التل تهرب كلها بحيث لا يبقى منها شيء : (مخ رأسها) يكتحل به بعد الخروج من الحمام مرتين أو ثلاثة يزيل بياض العين بالكلمية .

(عنقاه) أعظم الطيور جثة وأكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر . كان في قديم الزمان يخطف من بيوت الناس فتأذوا منه من جنباياته إلى أن سلب يوماً عروساً مجلوة فدعا عليه حنظلة النبي صلى الله عليه وسلم فذهب الله به إلى بعض جزائر البحر المحيط تحت خط الاستواء وهى جزيرة لا يصل إليها الناس وفيها حيوانات كثيرة كالقيل والكر كند والجاموس والنمر والسباع وجوارح الطير والعنقاء لاتصيد منها لأهم تحت طاعتها ، وإذا أتى بشيء من الصيد يأكل منه والباقي تأكل منه الحيوانات التى تحت طاعتها ولا تصيد إلا فيلا أو سمكا عظيماً أو تنينا فإذا فرغ منه يخلى البقية لها ويصعد إلى موضعه ويتفرج على أكلها ، وعند طيرانه يسمع من ريشه صوت كهجوم السيل أو صوت الأشجار عند هبوب الريح :

(وحكى) عن بعض التجار قال : ضلنا الطريق في البحر المحيط وتبحرنا فإذا نحن بسواد عظيم كغيم مظلم فذكر الملاحون أنه العنقاء فتبعناه حتى دخلنا تحت ذلك السواد ثم فتحنا اللسان بالدعاء له فلا يزال يمشى بنا حتى وجدنا الطريق ثم غاب عنا ، وذكروا أن عمر العنقاء ألف وسبعمائة سنة ويتزوج إذا أتى عليه خمسمائة سنة ، فإذا حان وقت بيضها يظهر بها ألم شديد فيأتى الذكر بماء البحر في منقاره ويحقنها به فتخرج البيضة عنها فيحضن الذكر والأنثى تمشى وتصيد ويفرخ البيض بمائة وخمسة وعشرين سنة ، فإذا كبر الفرخ فإن كان أنثى فالعنقاء الأنثى تجمع حطباً كثيراً والذكر يوقد بمنقاره ناراً ويضرم ذلك الحطب والأنثى تدخل تلك النار وتخرق والفرخ يبقى زوج الذكر ، وإن كان الفرخ ذكراً فالعنقاء الذكر يفعل مثل ذلك ويبقى الفرخ زوج الأنثى ، وقد ذكروا في العنقاء أقوالاً عجيبة أعجب مما ذكرنا ولكنها لم تكن مستندة إلى قائل يعتمد فاعتمدنا على هذا القدر :

(غراب) طائر كثير الأسفار بعيد التطواف أول ما يطير يسرع في الطيران بعد انبلاج الفجر يحب الجوز يجمع منه كثيراً فيدفن للخيرة ويجتمع على كل الحيوانات الكبار بالبادية كالحميل والفرس وكذا آدمى ويقصد قلع عينها ولا يمتنع بالدفع والضرب لشدة جوعه وينقر ظهر السلحفاة فيأكلها والبعير إذا عقر وحدث في ظهره لحم ميت فلا بد من أخذ اللحم الميت من ظهره فيرسلونه إلى الصحراء ليجتمع عليه الغرابان وتقلع اللحم الميت من ظهره ، وإذا

تفرخ بيضها يكون الفرخ أبيض بلا ريش فتفزع الأم منه وتتركه فيبعث الله تعالى إليه ذبابا كثيرا فيأكل الفرخ منها حتى ينبت ريشه ويسود . قال مكحول : من دعاء داود النبي عليه الصلاة والسلام : يرازق الغراب في عشه . والفرخ إذا أسود عادت إليه أمه وحينئذ تغيب عنه الذباب والبق . قال خلف الأحمر : رأيت فرخ الغراب فلم أر صورة أبيض منه ولا أقدر ولا أنتن ، رأيت رأسا كبيرا ومتقارا طويلا وذلك مع صغر البدن وقصر الجناح وهو أمر طرقت الریح ، والغراب إذا مرض يأكل رجيع الإنسان يهدأ ، ومن الغربان من يأتي بألفاظ فصيحة أفصح من البغاء .

(فصل : في خواص أجزائه)

(قال بليناس) الغراب يحفف ويسحق ويسقى الإنسان لا يعطش ولو في تموز . (مرارته) تسقى لإنسان في النبيذ يسكر بالقدح الواحد . (طحاله) إذا علق على إنسان هاج به العشق ، رأس الأبقع ينضج ويأكله من به صداع عتيق يزول عنه . (دمه) يخالط بشئ من النورة ويطرخ في النبيذ ويشربها إنسان يبغضها ولا يرجع إليها . (زرقه) يلف في شئ من العهن ويدفع إلى صاحب السعال ينقطع سعاله .

(غرنيق) طائر من طيور الماء . قال صاحب المنطق : إن الغرنيق من الطيور القواطع وإنما إذا أحست بتغير الزمان عزمت على الرجوع إلى بلادها فعند ذلك تتخذ قائدا أو حارسا ثم تنهض معا فإذا طارت ترتفع في الهواء جدا كيلا يعرض لها شئ من سباع الطير ، وإذا رأت غيا أو غشيها الليل أو سقطت للطعم أمسكت عن الصياح كيلا يحس بها العدو ، وإذا أرادت النوم أدخل كل واحد رأسه تحت جناحه لعلمها أن الجناح أهل للصدمة من الرأس لما فيه من العين التي هي أشرف الأعضاء والدماغ الذي هو ملاك البدن ونام كل واحد منهما قائما على إحدى رجليه حتى لا يكون نومها ثقيلا . وأما قائدها وحارسها فلا ينام شيئا ولا يدخل رأسه تحت جناحه ولا يزال ينظر من جميع الجوانب فإن أحس بأحد صاح بأعلى صوته وأخبر أصحابه بالعدو ، وأما زرقه فيسحق بالماء ويقتل فتائل ويجعل فتلة في الأنف ينفع من كل قرحة تكون في الخيشوم .

(غواص) طائر يقال له بالفارسية ماهي خوار يوجد بالبصرة على طرف الأنهار يغوص في الماء معكوسا بقوة شديدة ويلبث تحت الماء إلى أن يرى شيئا من السمك فيأخذه ويصعد به والعجب للبته تحت الماء والماء لا يغلبه مع خفة بدنه .

(وحكى) بعضهم قال : رأيت غواصا غاص وطلع بسمكة فغلبه الغراب وأخذ الغراب السمكة منه فغاص مرة أخرى وطلع بسمكة وقربها من الغراب فأخذ الغراب السمكة واشتغل بها فوثب الغواص وأخذ برجل الغراب وغاص به ووقف به تحت الماء حتى أغرق الغراب

وخرج سالما ، قالوا : دمه يجفف ويسحق مع شعر الإنسان فإنه لا يصبر عن مطلوبه ، وكذلك عظمه يفعل به مثل هذا .

(فاخته) طائر معروف يتبرك به الناس ، زعموا أن الحيات تهرب من صوته .
(وحكى) أن الحيات استولت على أرض فكثرت حياتها فشكروا إلى بعض الحكماء فأمرهم بنقل الفواخت إليهم ففعلوا ذلك فانقطعت الحيات عنهم . (دمه) مع دم الحمام والزفت والقطران أجزاء سواء يتخذ دخنة لا ينام من شمه البتة .

(قبيج) طائر يقال له بالفارسية كيك يسكن الجبال إذا قصده الصياد ينحى رأسه تحت الثلج ويحسب أن الصياد لا يراه كما أنه لا يرى الصياد ، ذكورها شديدة الغيرة على إناثها فإذا اجتمع ذكران على أنثى تهارشا فإذا انهزم أحدهما يتبع الأنثى الآخر الغالب ، ومن أعجب أمرها أن الذكر إذا صاح وحل الهواء صوته إلى الأنثى يتولد البيض منه كما أن النحلة إذا حملت الريح إليها رائحة الذكر تحمل من رائحة كافور الفحل إذا كانت تحت الريح ، وتبيض خمس عشرة بيضة وتجعلها في موضعين أحدهما للذكر والآخر للأنثى وكلاهما يحضنان ، وإذا قصده الصياد يريه كأنه ضعيف عن الطيران فالصياد يعدو خلفه ويشغل به عن فراخه فإذا طارت الفراخ يطير القبيج أيضا ويرجع الصياد خائبا منه ، والقبيج من الطيور التي لا تسافد إلا في الجبال ويترك في عشه رؤوس القصب لدفع الأعداء ، ويحب الغناء والأصوات الطيبة وربما وقعت حتما عند سماعها ذلك شوقا فيأخذها الصياد .

(فصل : في خواص أجزائه)

(مرارته) من يسعط بها في كل هلال يجود ذهنه ويحد بصره وإذا اكتحل بها تنفع من ابتداء نزول الماء : (كبده) يشوى ويطعم للصبى بأمن من النصرع . (دمه) يكتحل به بأمن من جراحات العين والغشى . (لحمه) ينفع من الاستسقاء ويزيد في الباه .

(قنبرة) طائر معروف يقال له بالفارسية جلودا ، ويحب الأصوات المطربة والنغمات اللذيذة على رأسه قنزعة شبيهة بما للطاوس وهو شديد الاحتياط إذا وقع على شيء لا يزال ينظر يمينا وشمالا ووراء ومع ذلك هي كثيرة الوقوع في الفخ ، تتخذ عشا عجيبا يعمد إلى ثلاثة أحواد على شجرة على شكل سفنجة معكوسة ويأتي بنوع من الحشيش في غاية اللطافة وينسج من تلك الأعواد سليلة لطيفة عجيبة التأليف لا يقدر البشر أن يأتي بمثلها ثم تضع بيضها فيها والسليلة تكون مسترة بأوراق الشجر حتى لا يراها الجوارح . (لحمها) يؤكل مشويا ينفع من القولنج نفعا بينا .

(قطا) طائر معروف يتيمن بصوته : يقال : فلان أصدق من القطا تبيض في البرارى وتغيب عنها أياما وتعود إليها . يقال : فلان أهدى من القطا ولا ينام الليل ويأتي الجادة ليكون

عنده من المارين خبر ، ولها أفحوصة عجيبة في وسط الحشيش مثل بها النبي صلى الله عليه وسلم في وهنبا حيث قال « من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة » :

(فصل : في خواص أجزائه)

(دمه) يطلى به البدن ينفع من داء الثعلب . (لحمه) ينفع من الاستسقاء وسدة الكبد . (عظمه) يحرق ويخلط بالزيت ويطلى به الموضع الذي أريد نبات الشعر عليه ينبت شعرا كثيرا (أحشاؤه) يطلى به العظم المنخلع يرجع إلى مكانه . (ومرارته) يكتحل بها تنفع من جراحات العين والغشاء .

(قمرى) طائر مشهور يتغنى بصوته : ذكروا أن إناث القمارى إذا مات زوجها لاتزواج غيره وتنوح عليه إلى أن تموت ، ومن العجب أن بيض القمارى يجعل تحت الفواخت وبيض الفواخت تحت القمارى كلاهما يفتسان قمارى كافورية مطوقة ، وذكروا أن الحوام تهرب من صوت القمارى ، والله الموفق .

(فوقيس) طائر بأرض الهند قال صاحب [تحفة الغرائب] عند التزواج يجمع حطبا كثيرا للعش ولا يزال الذكر ينك منقار الأنثى حتى تتأجج النار من حكمهما في ذلك الحطب وتشتعل ويحرقان منها فإذا سقط المطر على رمادها يتولد منه الدود ثم ينبت جناحها ويصيرا طيرا كالأصل وتعمل فعل الأصل .

(كركى) طائر معروف يقال له بالفارسية كركى له اجتماع في الطيران لا يفارق بعضها بعضا ، وله مقدم تتبعه الجماعة وذلك بالنوبة ، ولها حراس بالليل تدور حول الكركى فإذا أحس بعدو زعق ونبه أصحابه ، والحراسة أيضا بالنوبة فإذا انتهت نوبته يقيم غيره مكانه ، والحارس يقوم على إحدى رجليه حتى لا يغلبه النوم . قال الجاحظ : لا يضع رجليه مخافة أن تحسف به الأرض ، وإذا مشى على وجه الأرض يمشى رويدا خائفا .

(فصل : في خاصية أجزائه)

(عينه) تسحق ويكتحل بها الإنسان لا ينام . (مرارته) تنفع اكتحالا من نزول الماء : (لحمه مع شحمه) يطبخان جميعا ويقطر فرقهما في أذن من به طرش ينفعه . (مخه) يذاب بخل العنصل ويسقى به وجع الطحال في الحمام ينفعه . (قاضته) تجفف وتسحق ويسقى درهمان منها لمن به وجع الكليتين والمثانة بماء الحمص ينفعه . (كروان) شحمه ولحمه يحرك شهوة الباه تحريكا شديدا .

(اللقلق) طائر معروف يأكل الحيات لا يزال يتبع الربيع ، وله وكران أحدهما بالحروم والآخر بالصرود ويتحول من أحدهما إلى الآخر ، ولا يأخذ الوكر إلا في مكان عال كمنارة أو شجرة فيأتي بالأعواد والحشيش ويركب بعضها في بعض تركيبا عجيبا كالبناء فإذا أراد

الإنسان أن يخربها بالمعول يصعب عليه . قال ابن سينا : من ذكاه هذا الطير أنه إذا أحس بتغير الهواء وقت حدوث الوباء تترك عشها في أوائل التغيير وتهرب من تلك الديار وربما تركت بيضها أيضا ، وقال أيضا : بيض القلق خضاب جيد .

(مالك الحزين) طائر طويل الرقبة والرجلين يقال له بالفارسية لوهماز . وقال الجاحظ من عجائب الدنيا أمر مالك الحزين فإنه لا يزال يقعد بسوق المياه وإذا انحرقت يحزن عليها ولا يشرب خوفا أن تقل فيعطش فيموت عطشا .

(مكاء) طائر من طيور البادية يتخذ أفحوصه عجيلة من العوسج ويبض فيها ، ورأى بعض الأعراب مكاء بالشام سائرا فحن إلى وطنه وقال : فدى لك يا مكاء مالك هاهنا عمارة أفحوص فكيف تبيض مكاء ، وبينها وبين الحية معاداة لأن الحية تأكل بيضها وفرانها . وحدث هشام بن سالم أن حية أكلت بيض مكاء فجعل المكاء يشرشر على رأسها ويدنو منها حتى إذا فتحت فاما وهمت تريده رخمة ألقت في فيها حسكة فأخذت بلحلق الحية وماتت .

(نسر) هو سيد الطيور وله قوة على الطيران حتى قيل إنه يقطع من المشرق إلى المغرب في يوم واحد ، وجثته عظيمة حتى قيل إنه يحمل أولاد الأفيلة ، وله قوة حارة حتى قيل إنه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمئة فرسخ فإذا سقط تباعد الطير هيبة له حتى يفرغ من الأكل . قيل إنه لا يأكل حتى يضعف في الحركة ، حتى لو أن أضعف الناس إذا أراد مسكه في هذه الحالة مسكه ، وإذا باض أتى بورق الدلب كما في الأصل ، وهو لا يحضن البيض وإنما يبيض في الأماكن العالية ويلقيه في الشمس فتكون حرارتها بمنزلة الحضن ، ومن طبعه أنه لو شم رائحة الطيب مات لوقته ، وعنده الحزن على فراق إلفه حتى قيل إنه ليموت أسفا وكندا : ويقال للأنثى منه أم قشعم ، وفي الحديث « أتاني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن أسكل شيء سيدا وآدم سيد البشر وسيد ولده أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبشة بلال وسيد الطير النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الأيام الجمعة وسيد الكلام العربي القرآن وسيد القرآن سورة البقرة » والنسر : طائر يقال له بالفارسية كركس يأكل الجيف حتى لا يقدر على الطيران . قالوا : يعيش ألف سنة وأكثر ما يأتي بورق الدلب يتركه في عشه لثلاث يأكل الخفاش بيضها . قال جالينوس : قولوا لنا من علم النسر إذا خاف على بيضها من الخفاش يفرش عشه بورق الدلب حتى لا يتقربه الخفاش ؟ وهذا شيء يعرفه أكثر الأطباء ، وإذا حان أو ان يبيضها فالنسر الذكر يمشي إلى بلا الهند ويأتي بحجر يوجد في بعض جبال في الهند ويتركه تحت الأنثى ليخف عليها الألم ، وإذا مرض يأكل من لحم الناس ، وإذا أظلم ضوء عينيه يمسحهما بمرارة الناس ، ولا طاقة له على شيء من الطيب وحياتها من الثمن ، والنسر يتبع العساكر لطعمه من لحم القتلى .

(فصل : في خواص أجزائه)

(مرارته) تقطر في الأذن يذهب الطرش العتيق ، ويكتحل بها سبعا ينفع من ظلمة العين والغشاء ويمنع من نزول الماء . (شحمه) يخلط بالعسل ويكتحل به للرمد يبرأ . (لحمه) يطبخ ويخلط بالورس والملح والكمون والعسل ويسقى للسع الهوام . (شحمه) يذاب ويقطر في الأذن أياما متوالية وليالي يزيل الطرش .

(نعامة) حيوان مركب من خلقة الطير والحمل يقال له بالفارسية استرموع أخذ من البعير العنق والوظيف والمنسم ومن الطير المنقار والجناح والريش ، وهو صحيح حاسة الشم والسمع يأكل الحصى وتدوب في قانصته حتى يصير كالماء لخاصية خلقها الله تعالى فيه كما أنا نرى جوف الكلب يذيب العظام دون النوى ، وأيضا تبلع الحمر ولا يضرها وتحمي صنجة مائة درهم من الحديد حتى تحمر وترمي إلى النعامة فتبلعها وتستمرئها . وإذا باضت تدفن البيضة تحت التراب لثلاثا يقع عليها الذباب والبق والنمل وغيرها وإذا عدت النعامة أرخت جناحها إلى رجلها فلا يسبقها شيء من الحيوانات . ومن العجب أنها إذا استقبلت الريح كان عدوها أشد مما إذا استدبرتها . وسئل أبو عبيدة عن ذلك فقال إذا عدا كان بين الوثب والحفز والطيران كالريح إذا عصفت من خلفه وإذا استقبلها وضع عنقه على ظهره ثم خرق الريح لا يخاف أن يكبه على وجهه ، وإذا دخل الصيف وابتدأ البسر بالحمرة ابتداء لون النعامة بالحمرة أيضا ولا يزالان يزدادان حمرة إلى أن تنفهي حمرة البسر ولا مخ لعظمها فإذا أصاب إحدى رجلها آفة وقفت لانقوم على الأخرى ، وإذا باضت تبيض عشرين بيضة أو أكثر فتجعلها ثلاثة أقسام تدفن ثلثها في التراب وتترك ثلثها في الشمس وتحضن ثلثها فإذا خرجت أفرأخها كسرت ما كان في الشمس وغذتها بما فيها من الرطوبات التي ذوبتها الشمس ورققتها فإذا اشتدت فرأريجها وقويت أخرجت المدفون وفتحت لها ثقباً فيجتمع عليها الذباب والبق والنمل وغيرها من الهوام فتأكلها فرأريجها إلى أن تقوى فغدت ورعت فانظر إلى هذه التربية العجيبة من غير تعليم من أستاذ ولا آباء ، فسبحانه من حكيم ما أعظم شأنه .

(فصل : في خواص أجزائه)

(مرارته) تنفع من ظلمة العين اكتحالا (لحمه) يزيل الرياح السكرية إذا داوم على أكله ويدفع التآليل والحكة . (شحمه) يطلى به الأورام يردعها . (قشر بيضه) يلقى في القدر ينضج سريعا .

(هدهد) طير تن الرائحة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تقتلوا الهدهد فإنه كان دليل سليمان عليه السلام على قرب الماء وبعده ، وأحب أن يعبد الله ولا يشرك به شيئا في أقطار الأرض » . وحكى أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام : أريد أن تكون

في ضيافتى قال أنا وحدى ؟ قال لابل العسكر كله في جزيرة كذا وكذا في يوم كذا ، فحضر سليمان عليه السلام بجنوده هناك فصاد الهدهد جرادة وخنقها ورماها في البحر وقال : كلوا يا بني الله من فاته اللحم نال من المرق . فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا ، والهدهد يلطخ عشه برجيع الإنسان فيحتمل أن يكون ننته من ذلك ، وتراه في الربيع فاتحا فاه يخرج الذباب من حلقة ويطير وكل مكان به الهدهد لا يوجد به الأرضة ، وإذا مرض الهدهد يأكل العقارب الجبلية يزول مرضه :

(فصل : في خواص أجزائه)

(قزعتة) تعلق على من به وجع الرأس يبرأ . قال بليناس : إذا أخذت (عينه) وجففتها وجعلتها في دهن ودهنت به وجهك لم يرك أحد إلا أحبك ، وتجعل عينه تحت رأس إنسان يغلب عليه السهر ما دامت رأسه ، وإذا شدتها على أحد يذكر جمع مانسيه ، ويعلق في رقبة صاحب الجذام ينفعه نفعا بينا . (لسانه) يأخذه الإنسان معه لا يظفر به عدو ألبتة مادام اللسان معه ، ولو علق على إنسان مع عينيه يدفع عنه غلبة النسيان ، وإذا سقى إنسانا زاد في علمه وفهمه وذكائه . (قلبه) يعلق على إنسان يزيد في قوة الباه ، ولوشوى ودق مع السكر وجعل فوق رغيف وأطعمه شخصين يتحابان بحيث لا يبصر أحدهما عن الآخر . (مرارته) يسعط بها صاحب اللقوة ثلاثة أيام ويقعد في مكان مظلم ينفعه نفعا بينا . (جناحه اليمنى) يجعل تحت رأس النائم ينقل نومه ، ولو ضممت إليه سنا قلعت من الألم يطول نومه ، ولو دخن بجناح الهدهد في برج ينفر عنه الحمام ، ولو وضع على أذنه ريشة من الهدهد وخصم تكون الغلبة له . (لحمه) يقدد في الظل ويسحق ويخلط بالدقيق ويتخذ منه خبيصا ويطعم لمن أراد فإنه يحبه محبة عظيمة . (عظمه) يدخن به البيت يموت من دخانه الأرضة والنمل والعقرب وأشباهها ولا ترى الحوام في ذلك الموضع إلى مدة مديدة . (أظافيره) تحرق وتدق وتسقى للمرأة فإنها تحبل إذا باشرها زوجها بإذن الله تعالى .

(وطواط) طائر يقال له بالفارسية بالواوية . قال بليناس : إن غرق الوطواط في ماء ومات وشرب من ذلك الماء إنسان لم ينم البتة ، وإن أخذ وطواط وعلق في عنقه شعر إنسان وأرسل حتى يطير لا ينم ذلك الإنسان حتى يموت ذلك الوطواط أو يؤخذ الشعر من عنقه ،

(فصل : في خواص أجزائه)

(رأسه) تجعل في حشو مخدة فمن وضع رأسه عليها نام . (دماغه) يكتحل به مع العسل ينفع من نزول الماء ، ويطبخ بدهن ورد يدهن به النساء يسكن وجعه . (يراعة) طائر صغير إن طار في النهار كان كبعض الطيور وإن كان في الليل فكانه شهاب ثاقب أو مصباح طائر .

(التنوع السابع من الحيوانات : الهوام والحشرات)

هذا النوع لا يمكن ضبط أصنافه لكثرتة . قال بعض المفسرين : من أراد أن يعرف تحقيق قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - فليوقد ناراً في وسط غيضة بالليل وينظر ما يغشى تلك النار من الحشرات فإنه يرى صوراً عجيبة وأشكالاً غريبة لم يكن يظن أن الله تعالى خلق شيئاً من ذلك ، على أن الخلق الذي يغشى ناره مختلف باختلاف مواضع الغياض والجبال والسهول والبراري فإن في كل بقعة من هذه البقاع ألواناً من المخلوقات مخالفة لما في البقعة الأخرى . ومن الناس من يقول أى فائدة في هذه الهوام مع كثرة ضررها ؟ ولم يدر أن الله تعالى يرعى المصالح الكلية كإرسال المطر فإن فيه مصالح البلاد والعباد وإن كان فيه خراب بيت العجوز فهكذا خلق هذه الحشرات من المواد الفاسدة والعفونات الكامنة لتصفو لحومها ولا يعرض لها الفساد الذي هو سبب الوباء وهلاك الحيوان والنبات وإن كان يتضمن لسع الذباب والبق . والذي يحقق ذلك أنا نرى الذباب والديدان والخنافس في دكان القصاب والدياس أكثر ما يرى في دكان البزار والحداد فاقضت الحكمة الإلهية صرف العفونات إليها ليصفو الهواء منها وتسلم من الوباء ثم جعل صغارها ما كولا لكبارها وإلا امتلأ وجه الأرض منها فليس في ملكوته ذرة إلا وفيها من الحكمة ما لا يحصى . وأعجب من هذا أن كل ما جعل سبباً لهلاك حيوان جعل لحمه سبباً لدفع ذلك السم فإن الأطباء الأقدمين جعلوا في لحم الحية قوة تقاوم سمها فأدخلوا لحمها في الترياق . والتجربة تشهد أن من لدغته العترب يلبطخ الموضع برطوبة العقرب يسكن ألمها في الحال . ثم إن هذا النوع من الحيوانات يختلف حالها عند الشتاء فمنها ما يموت من برد الهواء كالديدان والبق والبراغيث ومنها ما يمكن في الشتاء ولا يأكل شيئاً كالحيات والعقارب ومنها ما يدخر ما يكفيه لشتائها كالنحل والنمل فإنها لا تعيش بلا طعم .

ولنذكر بعضها مرتباً على حروف المعجم إن شاء الله ، والله الموفق للصواب :

(حرف الألف)

(أرصة) دودة بيضاء صغيرة تبنى على نفسها أزجاً شبه دهليز خوفاً من عدوها كالنمل وغيره ، وإذا أنت عليها سنة يثبت لها جناحان طويلان تطير بهما وهي التي دلت الشياطين على موت سليمان عليه السلام وإذا خرب أزجها اجتمعت كلها على إعادته ولها مشفران حادان تثقب بهما الحجارة والآجر والنمل عدوها وهي أصغر من الأرصة جثة فيأتي من خلفها ويحملها ويمشي بها إلى جحره وإذا أتاها مستقبلاً لها لا يغلبها لأنها تقاومه . قال صاحب المنطق : أفسدت الأرصة على كثير من أهل القرى منازلهم وأكلت كل ما لهم إلى أن سلط الله تعالى عليها النمل فأنت على آخرها :

(أفعى) حية قصيرة الذنب من أخصب الحيات عيناها طولانية مخالفة لصور سائر
الحيوانات وحدقتها بارزة كالجراد إذا فقت عيناها تعوض ولا تغمض عينا البتة : قالوا :
تختفي في التراب أربعة أشهر البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها تطلب شيئا من الرازبانج وتحك
عيناها به يرجع إليها ضوءها ، ولو قطعت ذنبها يرجع إليها كما نبت ، ولو قلع نابها رجع إليها
أيضا بعد ثلاثة أيام ، ولو ذبحت تبقى تتحرك ثلاثة أيام ، وهي أعدى عدو للإنسان والبقر الوحشي
يأكلها أكلا ذريعا :

(وحكى) أنها نهشت ناقة في مشفرها ولها فصيل فرضعها فمات الفصيل في الحال قبل
موت أمه ، وإذا مرضت أكلت ورق الزيتون .

(فصل : في خواص أجزائها)

(دمها) يكتحل به يحد البصر ويمنع الغشا . (شحمها) يذاب يمنع من نزول الماء
اكتحالا ، وينشف شعر الإبطن ويطلق بشحم الأفعى لا يرجع ينبت . (قلبا) يجفف ويشد
على إنسان لا يؤثر فيه السحر ويذهب حمى الربيع . (لحمها) قال أبقراط : من أكله أمن
من الأمراض الصعبة ويقوى الأعصاب ويبطئ الشيب . حكى عمر بن يحيى العلوي قال :
كنا في طريق مكة فأصاب رجلا منا الاستسقاء والعياذ بالله فسلب العرب قطارا فيه ذلك
الرجل العليل ورجعنا بعد الحج إلى الكوفة فإذا هو بالكوفة معاني ، فسألته عن حاله فقال :
إن الأعراب لما سلبوا القطار ساقوه إلى مسكنهم وكان على فراسخ فطرحوني في أواخر
بيوتهم وكنت أتمنى الموت إلى أن رأيتهم يوما قد أخرجوا أفعى صادوها فقطعوا رأسها وذنبها
وشووها وكانوا يأكلون منها ، فقلت في نفسي : هؤلاء قد اعتادوا أكل هذا فلا يضرهم
فلعلي أنا إن أكلت منه مت فاسترحمت ، فاستطعمتهم فرمى إلى بعضهم واحدة وزنها أرتال
فألسكتها فأخذني نوم ثقيل فأنهت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتي فمتمت في يوم
وليلتي أكثر من مائة مرة ، فتمتعت قوتي وقالت هذا طريق الموت وأقبلت أتشهد وأدعو الله
المغفرة إلى أن أصبحت فوجدت بطني قد ضمرت وانقطع الألم فطلبت منهم ما كولا فأطعموني
وأتمت عندهم إلى أن وثقت من نفسي ثم أخذت الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة ، ولحمها
أيضا ينفع من الجذام والله الشافي .

(وحكى) بعضهم قال : فتحت بستوقة خضراء فيها شراب وهي مطينة الرأس فلما
فتحت رأسها رأيت فيها أفعى قد تهرى لحمها وكان ثم مجذوم يتمنى الموت لشدة ما به فحملت
تلك البستوقة إليه ليتخلص من الألم ، فلما شربها انتفخ انتفاخا عظيما ، وبقي على ذلك أياما
ثم انسلخ من جلده الخارج وظهر الجلد الداخلى الأحمر وصلب وعاش بعد ذلك زمانا طويلا :
(طبيخ الأفعى) قال يلىناس : نافع من الجذام ومن ظلمة البصر وهيجان شهوة الجماع ، فإن

طبخ بالزيت وطلّى به موضع من البدن لا ينبت الشعر فيه وهو أنفع شيء للسع الأفاعى والحيات . (جلدها) مع رأسها يعلق على الحبلى تأمن من إسقاط الجنين : قال ابن سينا : جلدها محرقة دواء جيد لداء الثعالب. وقال : تشق الأفعى وتوضع على نهش نفسه يسكن وبعجه. وذكروا أن من أخذ خيطا أنجوانيا أو أرعوانيا وشد به حلق أفعى لتختنق ثم شد ذلك الخيط على صاحب الخناق يفتتح في الحال بإذن الله تعالى .

(برغوث) هو أسود أحذب ضامر إذا وقع نظر الإنسان عليه أو أحس به فيشب تارة إلى اليمين وتارة إلى الشمال حتى يغيب عن نظر الإنسان : قال الجاحظ : إنها تبيض وتفرخ قالوا عمره خمسة أيام : وزعموا أن البراغيت من الخلق الذى يعرض له الطيران فيصير بقا كما يعرض للدعاميص الطيران فتصير فراشا . وذكروا أن البراغيت تأكل القمل الذى يكون في الثياب ويموت من رائحة ورق الدفلى ، والله أعلم .

(بعوض) حيوان فى غاية الصغر على صورة الفيل فكل عضو خلق للفيل فلبعض مثله مع زيادة جناحين ، فسبحان من قسم له الأعضاء الظاهرة والباطنة والقوى كذلك كما للحيوان الكبير فانظر إلى صغر جسمه فإن الطرف يدركها بالشدة لصغره ، ثم إلى رأسه لأن رأسه لم تكن من جسمه وفيه القوة الباصرة والسماعة ثم إلى دماغه ، وانظر كم يكون دماغه من رأسه فإن فيها القوى الباطنة الخمسة لأن فيها الحس المشترك لأنها ترى الحيوانات فتمشى إليها ، وفيها الخيال لأنها إذا وقعت على الحيوان تغمس خرطومها وإذا وقعت على الحائط لا تفعل ذلك ، وفيها الوهم لأنه يفرق بين من يقصدها قهرّب وبين من لا يقصدها فتبقى ، وفيها الحافظة لأنها تجذب الدم وتهرب في الحال لعلمها بأنها أوجعت فيأتيها صدمة المتألم ، وفيها المفكرة لأنها إذا أحست بحركة يد الإنسان تهرب لعلمها أنها مهلكة وإذا سكنت يده عادت إلى مكانها لعلمها أن المنافى ذهب وأن محل الغذاء قد خلا ، ولها خرطوم أدق شيء يمكن أن يقال ومع دقته مجوف حتى يجرى فيه الدم الرقيق ، وخلق في رأس ذلك الخرطوم قوة يضرب بها جلد الفيل والجاموس ينفذ فيهما والفيل والجاموس يهربان من البعوض في الماء ، فسبحان من لا يعرف دقائق حكمه إلا هو . يؤخذ من البعوض ثلاث أشياء من الصمغ ويحجب ويجعل في كل حبة منه واحدة ويباعها صاحب حتى الربيع يوم النوبة ولا يضع قدمه على الأرض فإنها تزول بإذن الله تعالى .

(ثعبان) حيوان عظيم الهيئة ذو شكل هائل ومنظر مهاب. قال ابن سينا : أصغر أصنافها على ما ذكر خمسة أذرع ، وأما الكبار فمن ثلاثين ذراعا إلى مافوق ذلك ويكون له عينان كبيرتان وتحت الفك الأسفل شعر كالذقن وله أنياب كثيرة . وقال قوم : إنها تكثر بناحية النوبة والهند والهندية كبيرة جدا ولها وجوه صفر وسود وأفواه شديدة اللسعة وحواجب تغطي عيونها وأعناقها مفلسة .

قال ابن سينا: قد رأينا من هذا التنبيل ما على حاجبها ورقبتها شعر غليظ وذكورها أخبث من إناثها تبتلع ما تجده من الحيوانات فر بما كان في الشئ* الذي ابتلعه عظم فيأتي جرم شجرة أو حجارا شاهقا فينطوى عليه انطواء شديدا فيتكسر ذلك العظم ، وإذا صار إلى الماء يعيش فيه ويصير مائيا، وإذا صار إلى البر صار بريا بعد أن طال مكثه في الماء ، ويأوى إلى الجبال الشاخنة ليستروح ببرد الهواء من شدة وهيج حرارة السم :

(فصل : في خواص أجزائه)

(قلبه) إذا أكل يورث الشجاعة ، وفي بلاد الهند يأكلونه لذلك . قيل من أكل قلبه تسخر له الحيوانات . (جلده) يشد على العاشق يزول عشقه ، ومن استصحب منه شيئا تسخر له الحيوانات . (رأسه) تدفن في موضع تتوجه إليه الخيرات :

(جراد) هو صنفان : أحد الصنفين يطير في الهواء ويقال له الفارص والآخر ينزو تزوانا ويقال له الراجل ، فإذا رعت أيام الربيع طلبت أرضا طيبة التربة رخوة ونزلت هناك وحفرت بأذنانها حفرا وباضت فيها كل واحدة مائة بيضة لإبيضة وطارت، وآفتها الطيور والبرد ثم إذا أتت أيام الربيع واعتدل الزمان يفتقس ذلك البيض المدفون ويظهر مثل الذباب الصغار على وجه الأرض وأكلت زرعها حتى قويت ثم تنهض إلى أرض أخرى وباضت كما فعلت في عامها الأول وهكذا دأبها - ذلك تقدير العزيز العليم - قال صاحب الفلاحة : إذا رأيت الجرادة مقبلة نحو القرية فليتوار أهلها عنها بحيث لا يظهر أحد منهم فإذا لم ير الناس جاوزت القرية ولم يقع بها شئ* منها، وإذا أحرقت شيئا منها فإن القيمة تعدل عن القرية إذا شئت قيادها أو تسقط وتموت . والجراد الطوال (الأرجل) تشد على رقبة صاحب الحمى الربيع تزول حماه ، ويدخن بها صاحب البواسير ينفعه وكذلك صاحب عسر البول . (رماده) ينفع من الناصور . قال ابن سينا (أرجلها) تقلع الثآليل فيما يقال .

(حرباء) هو حيوان أعظم من العظاية يقال له بالفارسية أقباب برشت ، يدور مع الشمس ووجهه لها كيفها دارت حتى تغرب ويكون رمادي اللون ثم يصفر : وإذا أثرت فيه حرارة الشمس احمر ، وقيل يختلف لونه باختلاف ساعات النهار كل ساعة لون ، وإذا رأى من يقصده كبر نفسه وليس فيه شئ* من الضرر . قال الجاحظ : سمعنا ذلك في الورل ولم نسمعه في الحرباء ، وتجعل الحرباء في وسط الطين وترك تحت النار ثلاثة أيام بلياليها ثم تشد على رقبة المصروع يزول صرعه :

(فصل : في خاصية أجزائها)

(جلدها) يطاف به خارج القرية والمزرعة ثم يعلق على وسط القرية أو المزرعة فإنها تأمن من آفة البرد والجراد : (أحشاؤها) يجمع في كوز جديد ويعرض على النار حتى يجف

ثم يشد في خرقة ويعلق على المسحور أو على من ظن أنه مسحور فإنه ينحل بإذن الله تعالى ؛
 (حلزون) دودة في جوف أنبوبة حجرية تذب على الصخرة التي في سواحل البحار
 وشطوط الأنهار وتلك الدودة تخرج نصف بدنها من جوف تلك الأنبوبة الصدفية وتمشي
 يمنا ويسرة تطلب مادة تغذى بها ، فإذا أحست برطوبة ولين انبسطت إليها وإذا أحست بجشونة
 أو صلابة انقبضت وغاصت في جوف تلك الأنبوبة حذرا من المؤذى لجسمها وإذا انسابت
 جرت بيتها أيضا معها. قال ابن سينا : تطفى الجبهة بالحلزون تمنع انصباب المواد إلى العين :
 (حية) من أعظم الحيوانات خلقة وأشدّها بأسا وأقلها عددا وأطولها عمرا. قالوا : ليس
 من حيوانات البر شيء أعظم من التنين ولا شيء يقتل نهشه أسرع من الحية ولهذا أمر النبي
 صلى الله عليه وسلم بقتلها في الحل والحرم ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من قتل حية
 فله عشر حسنات » ولما حرمت الحية آلة الحرب أعطاه الله تعالى سلاحا تدفع عن نفسها
 فلاجل ذلك إذا سمع الإنسان بوجودها في بقعة هرب عنها ولا يقربها ولولا نابها لاتخذها
 الناس حبلا ولعبت بها الصبيان : وذكروا أن الحية تتولد من شعر الإنسان إذا وقع في الماء
 وأثرت الشمس فيه وأنها يكثر اختلاف أصنافها في الكبير والصغير والتعرض للإنسان والهرب
 منه ؛ فمنها مالا يؤذى إلا إذا وطئها واطى ، ومنها مالا يؤذى إلا إذا وطئها ، ومنها
 مالا يؤذى إلا على بيضها وفرخها ، ومنها مالا يؤذى إلا إذا آذاه الناس مرة ، ومنها الأسود
 الذي يحفر ويكمن حتى يدرك الفرصة ، ومنها الحفاف وهي دابة تشبه الحية ولها نفخ ورعيد
 وتقريب وهي أشد ديثة من الأفعى والثعابين وإنما لا تضر ولا تنفع والحيات تقتلها ، ومنها
 حية ويقال لها الملكية طولها شبر وأكثر وعلى رأسها خطوط بيض تشبه التاج فإذا انسابت
 على الأرض أحرقت كل شيء مرت عليه ، وإن طار طائر فوقها يستقط عليها وإذا بدت تنساب
 هرب من بين يديها جميع الدواب ، وإذا صفرت يموت من صغرها كل حيوان سمع ذلك
 بعد ما ينتفخ ويسيل منه الصديد وإن أكل من تلك الجيفة شيء من السباع يموت . قال
 جالينوس : إنها حية شقراء على رأسها ثلاث قبازع مثل التاج وهي قليلة الظهور للناس .
 وزعموا أن الحية تعيش ألف سنة وأكثر وكل سنة تسليخ جلدتها وكلما انسلخ يظهر على قفاها
 نقطة ، فنقط قفاها عدد سنينها ، وإذا دخل بعضها في الحجر وبقي بعضها خارجا لا يمكن جذبها
 إلى خارج البتة حتى لو شد البقر في ذنبه ينقطع ولا تنجذب وتبيض ثلاثين بيضة على عدد
 أضلاعها فيجتمع عليها النمل والبقر فيفسدها ولا يصلح منها إلا القليل ، وإن لدغتها العقرب
 ماتت إن لم تجد ملحاً تنام عليه وإن وجدت سلمت . وتالوا : من الحيات حية إذا ضربت
 بعضا مات الضارب . ومن عجائب الحية أنها إذا علمت أنها مقتولة احترزت على رأسها
 وانطوت أشد الانطواء على الرأس وجعلت بدننها وقاية للرأس ولا تزال تفعل ذلك حتى

تصيب الضربة رأسها : وذكروا أن في تربة الأهواز حية حمراء دقيقة إذا رأت الإنسان وثبت عليه كالطير ولسعته فيموت في الحال . وذكروا أيضا أن الحية عند انتصاف النهار واشتداد الحر وامتناع الحافي من الأرض والمتعل يغور ذنبها في الرمل وتنتصب كأنها عود مركز أو ثابت ، فإذا رأى الطائر عودا مركزا كره الوقوع إلى الأرض من شدة الحر ووقع على رأس الحية على أنها عود فتقبض عليه :

(فصل : في خواص أجزائها)

(نابها) يقلع حال حياتها ويشد على صاحب حمى الربيع تزول عنه الحمى ، قال ابن سينا : يقوى القوة ويحفظ الحواس والشباب وينفع من الجذام وداء الثعلب ، وقال محمد بن زكريا : ذكر الأوائل أن المستسقي إذا أكل من لحم حية عتيقة لها مثنون من السنين يبرأ . وقال أبقراط : (لحم الحية) أمان من الأمراض الصعبة : (شحمها) يذاب ويطلّى به البواسير مع الملح ينفعه نفعا بينا (وسلخها) يطبخ بالخل ويتمضمض به ينفع من وجع السن وإذا أحرق في إناء نحاس وسحق نفع من أوجاع العين كلها ويسود العين الزرقاء ، وقد اشتهر بين الناس أن من أكل منها فلسا لا يرمد سنة ومن أكل فلسين لا يرمد سنتين وهكذا ، وإن علق على صاحبة الطلق وضعت في الحال . (وجلدها) يحرق ويكتحل برماده ينفع من السيل وتقاطر الماء في العين ويذهب الظلمة . وقال جالينوس : مرق الحية يقوى البصر . (وبيض الحية) يسحق في الهاون ويطلّى به المرض يزول .

(خراطين) دودة طويلة حمراء تسمى شحمة الأرض ، توجد في المواضع الندية تشوى وتؤكل بالخبز تفتت الحصاة من المثانة ، وتجفف وتعطى صاحب اليرقان تذهب صفوته ، وتجفف وتسقى باللبن التي تعسرت ولادتها تضع في الحال بإذن الله : (ورمادها) يخلط بدهن الورد ويطلّى به رأس الأقرع ينبت شعره ، ويحنك به مع العسل ينفع من الخناق . وإذا أخذت هذه الدودة وشددتها في مقنعة امرأة حملت وهاجت بها شهوة الجماع :

(خنفساء) هي الدويبة السوداء التي تتولد في الأرواث ذات الرائحة النتنة تغلى بالزيت ويطلّى به محل البواسير يذهب ، وإذا كسرت خنفساء نصفين وغمست ميلا في رطوبتها وكتحللت به ينفع من الرمذ ويبرأ سريعا ويطبخ بشئ من الأدهان ويقطر في الأذن يزيل الطرش ، والبعير إذا أكل خنفساء في علفه يموت ، وتوجد الخنفساء في بطن حية ، ومنها صنف يقال له الجعل يدور على السرجين ، إن ألقيت في الورد سكنت كأنها ميتة ، وإن ألقيتها في الروث عادت إلى حالها :

(وحكي) أن رجلا رأى خنفساء فقال ماذا يريد الله من خلق هذه حسن شكلها أو طيب رائحتها ؟ فابتلاه الله بقرحه حتى عجز الأطباء عنها فترك العلاج ، فسمع ذات يوم صوت

طبيب من الطرفين ينادى في الدرب فقال : هاتوه حتى ينظر في أمرى ، فقالوا له ماذا تصنع برجل طرقي وقد عجز عنك حذاق الأطباء ؟ فقال : هاتوه ونسمع قوله وليس فيه ضرر ، فلما رأى الطبيب القرحة وسأل عنها قال على بالخنفساء ، فضحك الحاضرون من قوله فتذكر العليل القول الذى سبق منه فقال : هاتوا ما طلب فإن الرجل على بصيرة فأحرقها وذر رمادها على القرحة فبرأت بإذن الله تعالى فقال للحاضرين : إن الله أراد أن يعرفنى أن أحسن الأشياء أعز الأدوية .

(دودة القز) دويبة إذا شبت من الرعى طلبت مواضعها من الأشجار والشوك ومدت من لعابها خيوطا رقاقا ونسجت على نفسها كناما مثل الكيس ليسكون حرزاتها من الحر والبرد والرياح والأمطار ونامت إلى وقت معلوم كل ذلك بإلهام من الله تعالى . وأما كيفية اقتنائها فمن عجائب الدنيا وهى أنهم أول الربيع يأخذون البزر ويشدونها فى خرقة وتجعل تحت ثدى امرأة ليصل إليها حرارة البدن إلى أسبوع ثم ينثر على شئ من ورق التوت المقصوص بالمقراض فتتحرك الدودة وتأكل من ذلك الورق ثم لا تأكل ثلاثة أيام ، ويقال إنها فى النوبة الأولى ثم ترجع إلى الأكل فتأكل أسبوعا ثم تترك الأكل ثلاثة أيام ، ويقال إنها فى النوبة الثانية وهكذا فى المرة الأخرى ، ويقال إنها فى النوبة الثالثة وبعد النوبات يطلق لها العلف لتأكل أكلا كثيرا وتسرع فى عمل الفيلجة فيظهر عند ذلك على جسمها مثل نسج العنكبوت ويزداد شيئا فشيئا فإذا مطر فى هذا الوقت مطر تلين الفيلجة من رطوبة النداءة ويثقبها الدود ويخرج منها وقد نبت لها جناحان فتطير ولا يحصل شئ من الإبريسم ، وإذا فرغت الدودة من عمل الفيلجة عرضت على الشمس لتعوت الدودة فيها ويحصل من الفيلجة الإبريسم ويترك بعض الفيلجة ليثقبها الدود ويخرج وبييض وبيضا يحفظ للسنة الآتية فى ظرف تقي من الخرقه أو الزجاج ، والثياب الإبريسمية تنفع من الحكمة والجرب ولا يتولد القمل لمن يلبسها ، والله الموفق .

(ديك الجن) دويبة توجد فى البساتين . قال بليناس : يلقى فى خر عتيق حتى يموت ويترك فى فخارة ويشد رأسها ويدفن فى وسط الدار فإنه لا يرى فيها شئ من الأرضه أصلا ، والله الموفق للصواب .

(ذباب) هى أصناف كثيرة تتولد من العفونة لم يخلق لها أجفان لصغر حدقتها ومن شأن الأجفان تصقيل الحدقة من الغبار فخلق لها يدان يقومان مقام الأجفان ، فلهذا ترى الذباب على الدوام يمسح بيديه حدقتيه ، وله خرطوم يخرجها إذا أراد مص الدم ويدخلها إذا روى ، ولها بطن وفيها يجرى الصوت كما يجرى فى العصب من النخ ، ولا يتقدر على المشى إذ ليس له مفصل ، وخلق رعوس أرجلها خشنة لئلا تنزلق إذا وقعت على الأشياء الملسة ، والذباب

يصيد البق فلذلك لا يرى البق إلا في الليل عند سكون الذباب . قال الجاحظ : لولا أن الذباب يأكل البق ويطلبها في زوايا البيت لما كان لأهلها فيها قرار ، وإذا أصاب الحيوان جراحة وسقط عليها الذباب فيمضى إلى هلاكها إن لم يكن في موضع يصل إليه فم الحيوان لأن الذباب إذا وقع على الجراحة ونم عليها يتولد من ونيمها الدود ، والجراحة إذا تولد فيها الدود أهلكت وونيم الذباب على الأبيض أسود وعلى الأسود أبيض ، وونيمه ذو لونين كزرق العصفور فيظهر على كل لون ما يخالفه . قالوا : تؤخذ ذبابة ويفصل رأسها عن بدنها ويدلك بها لسع الزنبور يسكن وجعه ، ويحرق الذباب ويسحق ويخلط بعسل وبطي به داء الثعلب ينبت الشعر ، ويخفف الذباب ويسحق مع الكحل ويكتحل به ينفع من وجع العين ويزيد في الضوء وينبت شعر الأهداب ، والذباب يشوى ويؤكل يفقت حصاة المثانة . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء » ويدق للذباب في اللبن وبطي به لدغ العقرب يزول وجعه . ومنها صنف يقال له ذباب الحمر كبير جداً لا يقع إلا على الحمير وصنف آخر يقال له ذباب الكلاب لا يقع إلا على الكلاب ، وصنف آخر يقال له ذباب الأسد لا يقع إلا على الأسد ، وإذا رأت بالأسد دماً أو خدشاً لا تنقطع عنه حتى تهلكه كما ذكرنا في النذر مع الحية فإنه يهلكها . (الدر حرج) هي دويبة مبرقشة بحمرة وسواد يقال إنها سم ، فمن أكلها تفرحت مثانته ويسد بوله ويظلم بصره ويتورم القضيب والعاانة ويعرض مع ذلك اختلاط في العقل . قال ابن سينا : من سقى منها يجد في فمه رائحة القطران والزفت . والدراريج تموت من الرائحة الطيبة والتي هي شديدة الحمرة تشد على صاحب حمى الربيع ثلاث مرات يوم النبوة تزول حماه والتي يوجد منها في المقبرة يطلى بها الكلف تزيله ، والتي توجد في وسط الورد تلتقي في زيت وتترك حتى تتلاشى ويطلى بها المناجل التي يقطع بها الكروم فلئنها لا يصيبها دودة ولا دابة مضرة . قال ابن سينا : الدراريج دواء للجرب والقوابي ويقلع الثآليل ويزيل البهق والبرص طلاء بالخل ويطلى بالخردل ينبت الشعر ويطلى به على السرطان يحلله .

(رتيلاء) قال ابن سينا : هي دويبة تشبه العنكبوت التي يسمى الفهد وهو صياد الذباب وأصنافها كثيرة وشرها المصرية وهي ذات رأس وبطن كبيرين ، وقالوا : يعرض لمن لسعته وجع شديد وصفرة لون وربما يعرض للملوسوع وتوتر القضيب والتعوط وقذف المني من غير إرادة ، وأما المصرية فإنه يعرض للملوسوعها صداع شديد وسبات ويعقبها الموت الوحى . وذكر الأطباء أن دواء لسعتها رجيع الإنسان . وقد لسعت الرتيلاء الجلال الرميحاني وكان طبيباً عظيم المنظر وكان طبيب أذربك بن محمد صاحب أذربيجان فخافوا عليه الخلاك فأمر أذربك أن يسقى رجيع الإنسان ، فقال الجلال : إن كان ولا بد فها توار رجيع أيبك الأنابيلي وكان مماو كما مثل القمر فسقى منه وعوى وعاش بعد ذلك مدة طويلة .

(زنبور) يشبه النحل في أكثر حالاته ، وإذا جاء الشتاء يدخل بيته ولا يخرج حتى يعتدل الهواء ويصيد الذباب ، وإذا تعرض أحد لبيتها تقوم كلها عليه وتلسهه ولا تسكاد تتعرض لمن لا يقصدها ، فإذا ألقى في الدهن يبقى كالميت فإذا رش عليه انحل يتحرك : قالوا : الشيء الذي يتخذ الزناير منه بيوتها كالسكاغد لم تعرف أى شئ هو ومن أى شئ أخذته فإذا أحست بمجىء الشتاء ذهبت إلى المواضع الدفنة وتنام فيها طول الشتاء كالميت ، ولا تجمع القوت للشتاء بخلاف النحل فإذا جاء الربيع وقد صارت من مقاساة البرد وعدم الغذاء كالخشب اليابس نفخ الله في تلك الجثث الحياة فعاثت وخرجت وبنت البيوت وباضت وأخرجت أفراخها مثل العام الأول وذلك دأبها أبدأ بتقدير العزيز العليم :

(سام أبرص) هو الوزغ الصغير الرأس الطويل الذنب ، قال يحيى بن يعمر : لأن أقتل مائة وزغة أحب إلى من أن أعتق مائة رقبة ، وإنما قال ذلك لأنها دابة سوء ، زعموا أنها تشرب من المياه وتمج في الإناء فينال الإنسان من ذلك مكروه عظيم . قالوا : إنها تشد على من به حمى الربيع يبرأ ، وإن شددت على امرأة لا تحبل ، ويقتل سام أبرص ويلقى في جحر الحيات تهرب جميعها ، وسام أبرص إذا تمسكن من الملح تمرغ فيه فيصير مادة لتولد البرص ، ولا يدخل بيتا فيه الزعفران ، ويسحق ويجعل على موضع النصل والشوك يخرجهما ، ويدق ويضمده به التأليل المسماة يقلعها ، ويجفف ويسحق ويخلط بالزيت ينبت الشعر على القرع .

(فصل : في خاصية أجزائه)

(دمه) عجيب في فتق الصبيان : ويطلق لداء الثعلب والقرع ينبت الشعر : (كبده) يسكن وجع الرأس : (شحمه) يوضع على لسع العقرب ينفع نفعا بينا . (جلده) يوضع على موضع الفتق يذهب .

(سلحفاة) يقال لها بالفارسية كشف وهو حيوان برى بحرى : قالوا : إذا خيف على زرع أو بستان من البرد تؤخذ سلحفاة وتلقى على ظهرها بحيث تبقى رجلاها سائلة نحو السماء فإن البرد لا يضر ذلك الموضع ، وتؤخذ سلحفاة كبيرة برية ويخرج حشوها ويجعل الصبر في جوفها مكان الحشو وتعلق على المصروع يزول صرعه .

(فصل : في خاصية أجزائه)

زعموا أن كل عضو يتألم من الإنسان يشد عليه مثل ذلك العضو من السلحفاة يسكن ألمه : (مرارته) يسعط بها صاحب الصرع ينفعه ويستعمل لطوخا للخناق ، ومنها ما ينفع من الصرع نشوقا وهو جيد لنهش الهوام ، وإذا جعلت غطاء للقدر لا يغلى ولو أوقدت تحتها حطبيا كثيرا : (رجلاها) تشد على صاحب النقرس يزول وجعه ، اليمين على اليمين واليسرى على اليسرى : (بيضها) نافع لسعال الصبيان والصرع أيضا .

(صرصر) هو بنت وردان ، قال ابن سينا : إنه مع القرد مانا نافع من البواسير والنافض .
وسموم الهوام ، يحرق ويسحق ويضاف إلى الإثمد ويكتحل به يحد البصر ومع مرارة البقر ينفع
من ظلمة العين اكتحالا .

(صناجة) حيوان لا يقبل ، وصفه كثير مالم يره الإنسان . قالوا : ليس شيء من حيوانات
الأرض أكبر من صناجة . قالوا : يوجد بأرض التبت يتخذ بيتا لنفسه قرب فرسخ . ومن خواصه
أن نظره إذا وقع على حيوان مات ذلك الحيوان ، وإذا وقع نظر شيء من الحيوان عليه تموت
الصناجة أيضا ، ثم إن الحيوانات عرفت ذلك في تلك البلاد فتعرض نفسها على الصناجة
غامضة عنها ليقع نظر الصناجة عليها فتموت فتبقى طعمة للحيوانات زمانا طويلا ،
والله أعلم :

(ضب) يقال له بالفارسية سوسمار ، وهو حيوان كيس إلا أنه كثير النسيان . ومن كيسه
أنه لا يتخذ البيت إلا في موضع صلب لثلا ينهال عليه من حوافر الدواب ، ولما علم أنه
ينسى لم يتخذ البيت إلا عند أكمة أو صخرة عظيمة أو شجرة يستدل بها على بيته . إذا غاب
وتباعده عنه ، وإذا أرادت الأنثى أن تبيض حفرت في الأرض حفرة وترى فيها ثمانين بيضة
وتدفنها في التراب ويضعها مثل بيض الحمام وتدعها أربعين يوما ثم يأتي والحسول قد خرجت
منها يتعادون فيأكل منها ما قدر عليه ، وإذا لسعتها العقرب أكلت من حشيشة تسمى آذان
الفأريزول عنها اللسع ، وإذا جاعت تتعرض للنسيم وتعيش به ويكون ذلك غذاءها .
قالوا : إذا خرج ضب من بين رجلى الإنسان لا يقدر على مباشرة النساء ، وقيل ينتفخ
ذلك الإنسان .

(فصل : في خاصية أجزائه)

إذا سقى إنسان عينه بماء السذاب يقطع عنه مادة المنى وينقصه . (قلبه) من أكله يذهب
عنه الحزن والخفقان . (طحاله) من أكله يمنع عنه وجع الطحال ويأمن منه أبدا . (دمه)
يطفى به الكلف مع البورق يزيله ويصفي لون الوجه . (لحمه) ينفع من الأمراض المزمنة مقلبا
ويزيد في ضوء البصر ويقوى البدن ويعين على الباه : (شحمه) يذاب ويطفى به القضيبي
يقوى شهوة الباه ، ومن أكل منه لا يعطش زمانا طويلا ؛ (خصيته) من استصحبها تحبه
الخدم محبة شديدة . (كعبه) يشد على وجه الفرس لا يسبقه شيء من الخيل عند المسابقة ؛
(جلده) يتخذ على نصال سيف يشجع صاحبه ، ويتخذ ظرفا للعسل من لعق منه تهيج
شهوته ويورث إنعاظا شديدا . (بعره) ينفع من البرص والكلف والحزازة طلاء ومن يياض
العين اكتحالا ومن نزول الماء أيضا ، والأعراب يداوون به وجع الظهر :
(ظربان) دويبة كاهرة منتنة الريح ليس في الدنيا نتن أشد من نتنها ، لو شممت الإبل

رائحتها في منامها شردت وتفرقت بحيث يصعب جمعها ، ولو فست على ثوب لا تزول عنه الرائحة إلى أن يبلى ولو غسل خمسين مرة وهو عدو الضب . قال الجاحظ : إذا أراد الظربان أكل الضب وحسولها يدخل جحر الضب مستديرا ويلتمس أضييق موضع فيه حتى يحول بينها وبين النسيم ثم يفسو عليه فلا يتجاوز ثلاث فسوات حتى يغشى على الضب فيأكلها بحسولها .

(عقرب) أخبث الهوام العتارب يلدغ كل شيء يلقاه ، عينها على بطنها وولدها يخرج من ظهرها فإذا ولدت ماتت وإذا لسعت هربت ولا تقف ، والعقرب إذا خرجت من بيتها أول الليل ولها نشاط أول شيء لقيته ضربته : قال بعضهم : لقيت العقرب فقما فضرته ببرتها فسال منه الماء . والعقرب إذا لقيت الحية لدغتها والحية تسعى في طلبها فإذا وجدتها أكلتها تبرأ وإن لم تجدتها تموت الحية . والعقرب إذا لدغت يمسح مكان لدغها برطوبتها يسكن ألمها في الحال ، وتجعل العقرب في فخارة مسدودة الرأس وتترك في تنور مسجور حتى تصير رمادا ويسقى من ذلك من به حصاة المثانة تفتتها . والعقرب إذا لسعت صاحب الحمى العتيقة تقلع عنه الحمى وإذا لدغت المفلوج يزول عنه الفالج ، وإذا حرقت عقرب ودخن بها البيت لم يبق في البيت عقرب إلا هلك أو هرب ويشق بطنها ويوضع على موضع اللسعة فإنه ينفع في الحال ، وإذا أخذت عقربا كبيرا أسود وجففتها وعجنتها بالخل وطلى به البرص أزاله ورماده يذاب بدهن ويطلى به ينبت الشعر .

(عنكبوت) فائدة : نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع : على غار النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى غار عبد الله لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لخالد الحمداني فقتله وحمل رأسه ودخل في غار خوفا من أهله ، ونسج على زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم أجمعين لما صلب عربانا . وقيل إنها نسجت مرتين على نبيين على داود حين كان يطلبه جالوت ، وعلى النبي صلى الله عليه وسلم في الغار . والعنكبوت أصنافه كثيرة لكل صنف فعل عجيب منها الطويلة الأرجل ؛ فإنها لما عرفت ضعف قوائمها وأنها تعجز عن الصيد أعدت للصيد مصايد وحبالا من الخيوط فعمدت إلى فرجة بين حائطين متقاربين وتلقى لعابها الذي هو خيطها ليلصق به ثم يعدو إلى الجانب الآخر ويحكم الخيط في الطرف الآخر وهكذا ثانيا وثالثا وهذا هو السدى ثم يحكم لحمته حتى يتم النسج وكل ذلك على تناسب هندسى حتى يصح النسج ثم يقعد في زاوية مترصدا وقوع الصيد فيها فإذا وقع فيها شيء من الذباب أو البق بادر إلى أخذه ، ومنها صنف آخر قصار الأرجل يسمى الفهد فإنه يصيد الذباب على شبه صيد الفهد ؛ وذلك أنه يكمن في زاوية فإذا طارت ذبابة بقربه وثب إليها وربما مد خيطا من السقف وعلق نفسه فيه منكسا فإذا طار ذباب بقربه رمى بنفسه إليه وأخذه .

ومنها صنف آخر يقال له الليث وله ست عيون فإذا رأى الذبابة لطي* بالأرض ثم وثب ولم تحطى* وثبته وهو آفة الذباب ، ومنها صنف يقال له الرتيلا إذا مشى على الإنسان يموت الإنسان من لعابه وقد مر ذكره ويسمى عقرب الثعبان لأنه يقتل الثعبان ، ومنها صنف دقيق الصنعة يهي* نسجه ويصعد بيته فإذا وقعت في مصيدته ذبابة يضرب فيها فتمشى إليها وتمص رطوبتها والذباب يطن من الألم إلى أن يموت ويحملها إلى خزانته للذخيرة وأكثر ما يقع في مصيدته في غيبوبة الشمس . وزعم بعضهم أن العناكب الإناث هي العوامل والذكور لا تعمل شيئا . ومنهم من قال إن السدى من الإناث واللحمة من الذكور لأن اللحمة أقوى من السدى وهما كالشريكين في العمل أو هما كالأستاذ مع تلميذه . قالوا : وإذا شددت عنكبوتا في خرقة سوداء وعلقتها على صاحب الحمى تزول عنه ، وزعموا أنه مجرب : قال بليناس : يسحق العنكبوت ويسقى في شيء من الأشربة لصاحب الحمى البلغمية تزول من ساعتها مجرب : (رجل العنكبوت) تشد على من يحم بالليل تذهب عنه . (نسجه) يوضع على الموضع الذي يسيل منه الدم يقطعه ، وإن نجر به طرد البق من البيت .

(فأر) حيوان كثير الفساد كثير الخيلة من الفواسق الخمس أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلها في الحل والحرم ، وربما يجذب الفتيلة من السراج ويحرق بذلك الدور بما فيها من الحيوان والأموال ، ويقرض دفاتر الحساب والعلوم والوثائق والصكاك فتفوت حقوق الناس ، وتقرض الثياب النفيسة والجراب والزق فيسيل ما فيها ، ويأكل المائعات ويرى فيها بعره حتى يفسدها على الناس ، وربما وقعت في بئر فماتت فيها فتحوج الناس إلى مشقة عظيمة ، وإذا خدش الإنسان نمر أو سبع يطلب الفأر ، فإن كان من النمر يذر عليه التراب وإن كان من الكلب يبول عليه فإن ذلك الإنسان يموت عاجلا . وذهب بعضهم إلى أن الفأرة عدمت قوة الحافظة لأنها تخرج من بيتها ترى السنور فترجع ثم تخرج عقبها ولم يبق معها علم أن السنور على باب بيتها . وقال بعضهم : كيف يصح أن يقال لاحافظة لها مع لطائف حبا وشدة اهتمامها بأمر المعيشة وادخارها ليوم الحاجة وعلمها بأن الغلال لا تترك في الآبار فتأخذ منها ما تقدر عليه لوقت عجزها عن الكسب . ومن لطائف حينها أن الدهن إذا كان في قارورة ضيقة الرأس تجعل ذنبا فيها وتلطخه بالدهن حتى تلتحم جميع ما فيها . ومنها أن الدهن إذا كان في القارورة إلى نصفها ترمي فيها الحصى حتى يخرج إلى رأسها وتشربه . ومنها إذا أرادت أخذ البيضة تحضن البيضة وتمسكها بأربعتها وتأخذ فأرة أخرى بذنها تجذبها إلى البيت ومنها إذا أرادت أخذ الجوز تأخذها فأرة وتجعلها على ظهر أخرى وتلف عليها ذنبا وتحفظها بالذنب وتمشى بها إلى بيتها . ومنها أن إحداها إذا وقعت في ظرف فيه ماء لا تقدر على الخروج منه فتأني الأخرى وتمسك بيدها طرف الإناء وترسل ذنبا إليها حتى تتعلق بها وتخرج ،

ولم نر قتالا بين بهيمتين ولا سبعين أشد مما يجري بين جرذين إذا ربط أحدهما في طرف خيط والآخر في الطرف الآخر فعند ذلك يظهر لها الخدش واللغظ فإذا انحل الخيط ولى كل واحد منهما عن صاحبه ، ومنها صنف يقال له العربي يحب الدراهم والدنانير ويلعب بها وكثيرا ما يخرجها واحدا واحدا ويتمرغ عليها ويعيدها واحدا واحدا .

(وحكى) بعضهم أنه كان في بيته فأرة لقي منه التباريح . قال : فنصبت لها مصيدة فوقعت فيها فانتظرت سنورا يصطادها فاستبطأ زوجها رجوعها فخرج خلفها في طلبها فرآها في المصيدة فعاد وأتى بدينار وتركه عند المصيدة ثم تأخر وانتظر ساعة ثم ذهب وأتى بآخر وتأخر وهكذا كلما أتى بدينار لبث زمانا يطمع أنى آخذ الدنانير وأخلصها له فلما رأى لم أخلصها أتى بآخر حتى أتى في المرة الأخيرة بخزقة فعلمت أنه أخرج جميع ما كان عنده من الدنانير فخلصتها وأخذت الدنانير : ومنها نوع يقال له اليربوع وهو الفأر البرى صاحب النافقاء والقاصعاء يحفر جحرا ذاعطافات كثيرة يمينا وشمالا وصعودا ونزولا تخفى مكانها ، فإن دخل عليها ابن عرس أو صب أو ظربان لا يظفر بها لكثرة عطفتها واعوجاجها ويحجرها أبواب كثيرة ، وللبرايع رئيس يخرج من البيت أولا ويرى الفضاء فإن لم يكن عدو صاح حتى يخرج الفأر كلها وإن رأى عدوا عاد وأخبر الباقيين حتى لا يخرج شيء منها وإن لم يكن عدو خرج الرئيس وصعد موضعا عاليا كالديوان والفأر تخرج بعده تذهب يمينا وشمالا تطلب القوت فاحصل لها تأتي منه بنصيب للرئيس ، وإذا رأى الرئيس عدوا صاح برفع صوته حتى يرجع الفأر إلى بيوتها فإن غفل الرئيس حتى أتى العدو وأخذ منها شيئا بغتة اجتمعت الفأر كلها على الرئيس وأكلته . ومنها صنف يقال له الخلد خلقه الله تعالى أكمه يكون في البرارى حاسة سمعها شديدة إذا أحست بشيء عادت إلى بيتها : وذكروا أن الخلد الأنثى إذا حبات يموت الذكر ، وإذا أرادوا صيدها تركوا على باب بيتها شيئا من البصل فإنها تخرج لرائحته فيأخذها الصياد . ومنها صنف يقال له فأرة المسك توجد في أرض تبت في موضع يقال له الدفر : سره هذه الفأرة مسك كما للغزلان فالصياد إذا صادها يشد صرتها حتى يجتمع فيها الدم وذلك خير من مسك الغزال حتى قالوا يسوى عشرة من أمثالها لما فيها من طيب الرائحة وحدتها : ومنها صنف يقال له ذات النطاق وهي فأرة مشهورة منطقة ببياض أعلاها أسود شهبوها بالمرأة ذات النطاق وهي التي تلبس قمصين ملونين وتشد وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل . ومنها صنف يسمى فأرة البيش . قال بعضهم : إنها دويبة تشبه الفأر وليست تسكن إلا منابت البيش تأكل منه وتتغذى به ، والبيش سم قاتل منه شيء يسير وهو حشيش ينبت بأرض الهند . ومنها صنف يقال له اليربوع وهو الفأر البرى صاحب القاصعاء والنافقاء يحفر جحرا فيه عطافات كثيرة ويحفرها إلى أسفل مستقيمة ثم يذهب يمينا وشمالا وصعودا ونزولا ويخفى

مكانه فيه بسبب اعوجاجه وعظفاته فإذا قصده شيء من أعدائه كابن عرس أو ضب أو ضربان لا يظفر به لأنه متى أحس بالشر من جهة ذهب إلى خلاف تلك الجهة ، ولجحره أبواب ولليرابيع رئيس إذا أرادت اليرابيع الخروج من أجحرتها خرج الرئيس أولاً ونظر فإن لم يرعدوا رفع صوته ليخرج الفأر وإن رأى عدوا رجع إلى جحره ومنعها من الخروج وإذا خرج يصعد موضعاً عاليًا كالديوان ، واليرابيع تسعى يمينا وشمالا تطلب القوت فما وقع بيده من الحب وغيره يأتي بنصيب منها للرئيس ، وإذا رأى الرئيس عدوا رفع صوته حتى يرجع كل واحد إلى بيته فإن غفل الرئيس عن العدو حتى أتاه العدو بغتة وأخذ من اليرابيع شيئاً هربت البقية وعادت إلى أماكنها سالمة ثم اجتمعت على عزل رئيسها وإهلاكه ونصبت رئيساً غيره. ومنها صنم يقال له سمندل يشبه الفأر وليس بفأر يوجد ببلاد غور تدخل النار ولا تحترق ثم تخرج من النار وقد ذهب وسخها وصفا لونها وزاد بريقها ولا يتأذى شعرها ولا جلدها ولا لحمها من النار ، فسبحان من لا يعرف دقائق حكمته ولطائف صنعه إلا هو ، والملوك يتخذون من جلودها مندبل الغمر لأنه في غاية النعومة يمسحون به أيديهم فإذا توسخ يلقونه في النار ليذهب وسخه ويخرج نظيفا. وذكروا أن من أخذ جرذا وقطع ذنبه وخصاه ثم أطلقه يأكل الجرذان والفيران أكلا ذريعا لا يغلبه شيء حتى المرة وابن عرس وتحدث فيه شجاعة وجرأة وإقدام . وأصحاب الأنابيب والبيادر عرفوا ذلك فيأخذونه ويقطعون ذنبه ويسبيونه فلا يترك جرزا ولا فأرا ، ومن شق فأرة وجعلها على موضع المنصل أو الشوك يخرج منه ، وتحرق الفأرة وتسحق وتخلط بالدهن ويطلى به الموضع الصلع ينبت الشعر .

(فصل : في خواص أجزائه)

(رأسه) يشد في خرة كتمان على رأس المتألم يسكن وجعه وينفع من النصرع . (عينه) تشد على قلدسوة إنسان يسهل عليه المشي ، وإذا دخل على أحد يغفل عنه أكثرهم ، وإذا علق على من به حمى الربع أبرأته (مرارة السمندل) تسقى لمن به جزام يزول عنه . (دمه) يطلى به القضب يقوى على الباه تقوية عظيمة (دم الفأر) ينشف الشعر الذي على الأجنان ويطلى بهذا الدم لا يرجع ينبت . (شحمه) يذاب ويخلط بدهن الورد ويطلى به السكلف يزيله . (لحمه) إذا شوى وأطعم لصبي انقطع سيلان اللعاب من فمه . (خصيته) تشد على المرأة لا تنجب مادامت معها . (ذنبه) يشد على المصروع يزيله . (جلد الفأر) يحشى بالتهن ويعلق في البيت يهرب الفأر عنه . (بعره) يخل بالزيت ويطلى به الرأس يذهب بداء الثعلب ويتخذ من بعر الفأر والحنظل والبورق والسكر الأحمر أشياء يحتمله صاحب القولنج ينفتح في الحال ، بعر الفأر مع العسل يطلى به على الطفرة التي في عين الفرس تزول بالسكلية ، ويسقى الصبي الذي في مثانته حصاة يفتتها ، ويسقى صاحب عسر البول بطلق ، وإذا اكتحل ببعر الفأر نفع من بياض

العين. (سور الفأر) يورث النسيان كما قال صلى الله عليه وسلم «خمس تورث النسيان، وعدمها سور الفأر» والله أعلم.

(فراش) هو الحيوان الذي يتهافت على السراج ويحترق. زعموا أنها دعووص في أول أمرها فإذا نبتت أجنحتها صارت فراشا، والدعووص هو العالق الصغير. وقال آخرون: إنها دودة حمراء توجد في البقل يقال لها البرسوع تنسلخ فتصير فراشا، وسبب وقوعها على النار ما ذكر بعضهم أن بصرها ضعيف فإذا رأت السراج تظن أنها في بيت مظلم وأن السراج كوة في البيت المظلم إلى الموضع المضيء فلا تزال تطلب الضوء وترمي نفسها إلى الكوة فإذا جاوزتها ورأت الظلام ظنت أنها لم تصل الكوة فتعود إليها مرة ثانية فتفعل ذلك إلى أن تحترق.

(حدث) خفيف السمق قندي صاحب المعتضد بالله أمير المؤمنين إنه كثّر الفراش على الشمع المسرج بين يدي الخليفة في بعض الليالي فجمعناه فكان مكو كما ثم ميزناه فكان اثنين وسبعين شكلا. (سفاوس) قال الشيخ الرئيس: هو حيوان كالقراد يكون في الأسرة شديد التنن جدا يشبه أن يكون المعروف عندنا بالبق. قال: إذا أشرب بالحل أخرج العلق المتشبث في الحلق وإذا شمّت المرأة منه نفع من اختناق الرحم، وإذا سحمت وجعلت في ثقب الإحليل نفعت من عسر البول، وإذا أخذت منها سبعا وجعلتها في باقلا وابتلعت قبل نوبة حمى الربع نفعت أو إن جعلت من غير باقلا نفعت من لسع جميع الهوام.

(قل) يتولد من العرق والوسخ في بدن الإنسان إذا حلاه ثوب أو شعر لأن العرق يتعفن من دفء الثوب أو الشعر فيتولد منه القمل، ثم القمل يبيض ويبيضه الصنبان فإذا باضت التصقت بيضتها بالموضع الصاقا لا يمكن إزالتها إلا بالشدة، ويتولد في الشعر الأسود قمل أسود وفي الشعر الأبيض قمل أبيض وفي الشعر الأحمر قمل أحمر وفي الأشمط شئ أسود وشئ أبيض، وإذا تولد في شعر رأس الإنسان يصفر لونه. قالوا: من أراد أن يعلم ما في بطن الحامل غلاما أو جارية يحلب شيئا من لبنها على الكف ويأقي فيه قملة فإن لم تقدر على الخروج ففي بطنها غلام وإن قدرت على الخروج ففي بطنها جارية، لأن لبن الغلام غليظ ولبن الجارية رقيق لا يمنع القمل من الخروج.

(قنفذ) الحيوان الذي يقال به بالفارسية خاربشت سلاحه على ظهره وهو الشوك الذي عليه ويتقنع بحيث لا يبين من أطرافه شئ ويستطيب الهواء ويقخذ لمسكنه باين أحدهما مستقبل الشمال والآخر مستقبل الجنوب، ويعادى الحية فإن ظهر بقفاها قنفاها بأسهل طريق وإن ظهر بذنبها عض ذنبها ويتقنع ويعطى الحية ظهره ويمضغ ذنبها والحية تضرب نفسها على شوكة حتى تهلك، ويصعد الكرم ويرمي حبات العناقيد إلى الأرض ثم ينزل ويتمرغ فيها ليدخل شوكة في الحبات فيحملها ويذهب بها إلى أولاده، ومنها صنف يقال له الدلدل هو أكبر

جسماً من الفنفذ وأطول جسماً، نسبه إلى القنفذ كنسبة الحماموس إلى البقر : قالوا : أى موضع أراد أن يرمى إليه شوكة من شوكة يرميه كرمى الشاب ولا يخطئ* شيئاً فتمر الشوكة كمر السهم المشدد وتثبت فيه :

(فصل فى خواص أجزائه)

(عينه اليسرى) تطفى بالزيت وتؤخذ بطرف الميل وتصب فى أذن الأترش يزول طرشه (مرارته) ينتف الشعر ثم يطلى موضعه بها فإن الشعر عليه لا ينبت أبداً وتخلط هذه المرارة بشيء من الكبريت ويطلى به البهق يزيله . (طحاله) يشوى ويطعم المطحول فإنه على قدر ما يطعم منه يخف طحاله . (كليته) تجفف وتسحق ويسقى منها قدر درهم بماء الحمص الأسود المغلى المصفى فإنه ينفع لعسر البول . (دمه) يطلى به عضه الكلب الكلب فإنه يسكن ألمه ويأمن صاحبه من الموت . (لحمه) قال الشيخ الرئيس : المصلح منه ينفع من داء القليل والجذام ، وهو جيد لمن يبول فى الفراش من الصبيان ، وينفع من نهش الهوام كلها ومن البرص والسل والتشنج والرياح كلها . (جلده) يحرق ويخلط بالزفت ينفع من داء الثعلب : (خصيته) إن كانت الدلدل يؤخذ نضيجاً وتخلط بالعسل الشهد وتؤكل فإنها تزيد فى الباد وتعين عليه . (وظفرد) من يده اليمنى يدخن به تحت ذبل صاحب حمى الربع تزول حماه ، ورماد القنفذ إذا أحرق كما هو ويحشى به الناصور فإنه يبرأ .

(نبر) دويبة إذا دبت على البعير تورم جلده وينتفخ وربما يكون ذلك سبب هلاكه ، ولما أراد الشاعر أن يذكر مسمن إبله قال :

حمر تحقنت النجيد كأنما يجلودهن مسدارج الأنبار

(نحل) حيوان ذو هيئة ظريفة وخلقة لطيفة وبنية نحينة وسط بدنه مربع مكعب ومؤخره مخروط ورأسه مدور مبسوط وركب فى وسط بدنه أربعة أرجل ويدان متناسبة المقادير كأضلاع الشكل المسدس فى الدائرة وقد جعل فى هذا النوع الملك المطاع يقال له العسوب بتوارث الملك عن آباءه وأجداده فإن العاسيب لاتلد إلا العاسيب ، ومن العجب أن العسوب لا يخرج من السكور لأنه إن خرج خرج معه جميع النحل فيقف العمل ، وإن هلك العسوب وقفت النحل لاتعمل شيئاً فتهلك عاجلاً ، والعسوب أكبر جثة يكون بقدر نحلتهن وهو يأمرهم بالعمل يرتب على كل أحد ما يليق به ، يأمر بعضها ببناء البيت ، ويأمر بعضها بعمل العسل ، ومن لا يحسن العمل يخرجها من السكور ولا يخلها فى وسط النحل ، وينصب بواباً على باب الخلية لينع دخول ما وقع على شيء من القاذورات :

(وأما) اتخاذ بيوتها مسدسة فن أعجب الأشياء والغرض من المسدسات المتساوية الأضلاع لخاصية يقصر فهم المهندس عن إدراكها ، ولا توجد تلك الخاصية فى المربع ولا فى الخمس

ولا في المستدير ، وهي أن أوسع الأشكال وأجودها المستدير وما يقرب منه ، أما المربع فيخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير فترك المربع حتى لا تضيق الزوايا فتبقى خالية ، ولو بناها مستديرة لبقى خارج البيوت فرج ضائعة ، فإن الأشكال المستديرة إذا جمعت لا تجتمع متراسة ولا شكل من الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم يتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس ، فانظر كيف ألهمها الله تعالى ذلك وجعل لها اتخاذ هذه الأشكال المتساوية الأضلاع بحيث لا يزيد ضلع على ضلع ولا ينقص ، ويعجز عن هذا التساوي المهندس الخاذق بالفرجار والمسطرة فتعمل النحل في فصلين في الربيع والخريف ، فتأخذ بالأيدى والأرجل من ورق الأشجار وزهر الثمار والرطوبات الدهنية التي تبني بيوتها ، ولها شفران حادان تجمع بهما من ثمرة الأشجار رطوبات .

(لطيفة) عجزت عقول الأكرين عن معرفتها على طبائع وخلق في جوفها قوة طابخة تصير تلك الرطوبات عسلا حلوا للذيذا غذاء لها ولأولادها وما فضل عن غذائها نجعله مخزونا في بعض البيوت وتغطي رأسها بغطاء رقيق من الشمع حتى يكون الشمع محيطا به من جميع جوانبه كأنه رأس البرنية مسدودة بالقرطيس وأخر ذلك لوقت الشتاء ، وتبيض في بعض البيوت وتحضن وتمرخ وتأوى إلى بعض بيوتها وتنام فيها أيام الصيف والشتاء ويوم المطر والرياح والبرد ، وتتقوت من ذلك العسل الخزون هي وأولادها يوما فيوما لا إسرافا ولا تقتيرا إلى أن تنقضي أيام الشتاء ثم تأتي أيام الربيع ويطيب الزمان ويخرج النور والزهر فترعى منه وتمنع كما فعلت عام الأول ولم يزل هذا دأبها بإلهام من الله تعالى كما قال -- وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر وبما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس - فسيحان من جعل فضائل غذائها سببا لشفاء الأبدان وجعل وسخ غذائها ضياء في ظلم الليالي ، ومن للعجب أن الخلية إذا دخن عليها لأخذ العسل أحست النحل بذلك وبادرت إلى أكل العسل تأكله أكلا ذريعا . وحكى بعضهم أن خلية من خلايا العسل مرض نحلها فجاء نحل خلية أخرى يقانلها على العسل الذي في بيوتها يريد إخراجها من الخلية ليستولى على عسلها فأقبل قيم الخلايا يعاون النحل الغريب فكان يأسعه النحل الغريب دون المريض كأنها عرفت أنه يدفع عنها أما العسل فإنه رطوية في أعماق الأنوار ولطيف الثمار يرشفتها النحل يتغذى ببعضها ويدخر بعضها لأيام الشتاء وقت لا يجد الغذاء خارجا ، وقالوا : إن العسل الأبيض عمل شبانها والأصفر عمل كهولها والأحمر عمل شبانها ، وهو شفاء للناس على ما قال تعالى ، فاحرور المزاج يتخذه مع غيره لدفع الحرارة كالسكنجبين والمبرود المزاج يتخذه وحده لدفع البرد ، (ومن خواص العسل) أن كل شيء يتسلع الفساد إليه فإذا تركته فيه يبقى بحاله ولا يتعفن ولا يؤثر فيه الفساد ، ويؤخذ العسل الذي لم يصبه ماء ولا دخان ويخلط بشيء

من المسك يمنع من نزول الماء اكتحالاً ، والتلطخ به يقتل القمل والصئبان ، ولعقه علاج لعضة الكلب السكلب والمطبوخ منه نافع للسموم القتالة ، ومن العسل صنف حريف : قالوا إنه سم وشمه يذهب العقل فكيف أكله ، وأما الشمع فإنه حدرات بيوت النحل التي تبيض وتفرخ فيها وتجعلها خزانة للعسل ، وأما الموم فإنه وسخ كور النحل من خاصيته جذب السلاء والشوك ، وزعموا أن من استصحب اللوم بورثه الغم ولا يمحتم .

(نمل) حيوان حريص على جمع الغذاء ولغاية حرصه يحمل ما يكون أثقل منه ويعاون بعضها بعضاً على الجذب ويجمع من الغذاء ما يكفيه سنين لو عاش ، ولكن عمره لا يكون أكثر من سنة . قال النسابة البكري : للنمل جدان فارز وعقفان ففارز جدد السود وعقفان جدد الحمر ، ومن عجائبه اتخاذ القرية تحت الأرض وفيها منازل ودهاليز وغرف طبقات منعطفات يملؤها حبوباً وذخائر للشتاء وتجعل بعض بيوتها منخفضة لينصب إليها الماء وبعضها مرتفعا ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تقتلوا النمل فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقى فإذا هو بنملة قائمة على رجلها باسطة يديها تقول : اللهم إنا خلقنا من خلقك ولا غنى لنا عن فضلك اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين واسقنا مطرا ينبت لنا شجرا وتطعمنا منه ثمرا ، فقال سليمان عليه السلام لقومه : ارجعوا فقد سقيتم بغيركم » ومن عجائبه أنه مع لطافة جسمه وشخصه وخفة وزنه له شم ليس لشيء من الحيوان مثل ذلك فإذا وقع شيء من يد الإنسان في موضع لا يرى فيه شيء من النمل فلا يلبث أن يقبل النمل كالخيط الأسود الممدود إلى ذلك الشيء وإذا وجدت واحدة شيئا لا تقدر على حمله أخذت منه قدر ما تقدر عليه وأخبرت الباقيين ، فتجتمع عليه جماعة يجرونه بجد وعناء ، وإذا جمعت الحب في بيتها خافت أن يثبت فتقطع حبة قطعين لتذهب عنها قوة النبت وتقطع حبة الكزبرة أربع قطع لأن نصفها يثبت ، وإذا كان عدسا أو شعبرا أو باقلا تقشرها ولا تكسرها فإن بالتقشير يذهب عنها قوة النبت ثم تأتي بقطعها وتسطها في الشمس حتى تزول عنها الندوة فلا يتعفن ، وإذا أحست بالغيم ردتها إلى مكانها خوفا من المطر ، وإذا ابتل شيء منها بالمطر تنشرها يوم الصحو لتزول عنه الندوة ، ومن عجائبه أنه لا يتعرض لجعل ولا جرادة ولا صرصر ولا عقرب مالم يكن به عقرب أو قطع يد أو رجل فإن أصابه شيء منها وثبت عليه وهو حي ولا يفارقه حتى يقتله وهكذا تفعل بالحيات والشعابين إذا أصابها خدش أو جراحة ، وإذا أحرق النمل يموت من دخانها الباقي أو تهرب وعند هلاكها يثبت لها جناحان لأن العصافير بصطادها ، ومن سقى من بيض النمل نصف درهم لا يملك أسفله ، ويغلبه الضراط وإذا طلى البدن بمسحوقه مخلوط بالماء لا يثبت الشعر ، وإذا نثر بيض النمل بين قوم تفرقوا شذروا مذر .

(ورل) هو الحيوان العظيم من أشكال الوزغ وسام أبرص الطويل الذنب الصغير الرأس ، وهو سريع السير خفيف الحركة عدو للضب والحية يدخل بيتها ويأكلها ، وليس شيء أقوى على قتل الحيات منه ولا يختفر لنفسه بيتا بل يغتصب من كل حيوان بيته لأنه أى بيت دخله هرب ساكنه ، وبغصب بيت الحية من الحية كما تغتصب الحية بيت سائر الأجناس الأخر .

(فصل : في خواص أجزائه)

(لحمه وشحمه) يسمن طبقات النساء وفيه قوة جذب للسلا والشوك (جلده) يحرق ويخلط رماده بدردى الزيت ويطلى به العضو الخدر يذهب عنه ذلك : (زبله) ينفع من الكلف والنمش ويكتحل به ينفع من بياض العين ويقلع الثآليل ، والله الموفق للصواب بمنه وكرمه .

(خاتمة : في حيوانات عجيبة الأشكال)

وهي حيوانات يخالف أشكالها أشكال الحيوانات المعهودة أذكر بعضها في أقسام ثلاثة :
 (القسم الأول أمم غريبة الأشكال) خلقها الله تعالى في أكناف الأرض وجزائر البحار :
 (منها) بأجوج ومأجوج وهم أمم لا يخصيهم إلا الله تعالى طول أحدهم نصف قامه رجل ولهم أنياب كما للسباع ومخالب مكان الأشفار وعلب عليه شعر . (ومنها) منسك وهم في جهة المشرق بقرب بأجوج ومأجوج لهم آذان مثل آذان الفيلة كل أذن مثل كساء يفترس أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى . (ومنها) أمة في بعض الجبال بقرب سد الإسكندر قصار القدود عراض الوجوه سود الجلود فيها نقط بيض وصقر طول كل واحد خمسة أشبار يتوحشون من الخلائق ويتسلقون الأشجار (ومنها) أمة بجزيرة الزنج على صورة الإنسان يتكلمون بكلام لا يفهم ويأكلون ويشربون كالإنسان ولهم أجنحة يطرون بها وهم بيض وسود وخضر . (ومنها) أمة بجزيرة الرامني عراة لا يفهم كلامهم شبيهة بالصغير طول أحدهم أربعة أشبار ولهم شعور وزغب أحمر . (ومنها) أمة في بعض جزائر الزنج قاماتهم قدر ذراع وأكثرهم عور وعورهم لمحاربة الغرائق تأتيهم وتحاربهم كل سنة فتقتل منهم ماشاء الله . (ومنها) أمة في جزائر البحر وجوههم كوجوه الكلاب وسائر بدنهم كبदन الناس يتقوتون بثمار أشجار تلك الجزيرة ، فإن وجدوا شيئا من الحيوانات أكلوه : (ومنها) أمة في هذد الجزيرة على صورة الناس كأحسن ما يكون ولا عظم في أرجلهم فيزحفون زحفا فإذا وجدوا إنسانا ماشيا قفزوا على رقبته ولوى من الرقبة رجله على ذلك الماشي فإذا عاجله طرحه وخشه في وجهه وسخره كما يسخر أحدنا دابته . (ومنها) أمة في بعض الجزائر لها أجنحة وخرائط دقيقة وشعور يمشى على رجلين وعلى أربعة ويطير أيضا قيل إنهم صنف من الجن

(ومنها) أمة طوال القدود زرق العيون ذوات أجنحة خفاف النهضة رؤوسهم كرؤوس الخيل وأبدانهم كأبدان الناس . (ومنها) أمة لها رأسان وثماني أرجل رأس وأربع نحو الأرض ورأس وأربع نحو الهواء . (ومنها) أمة على صورة النساء لها شعور وثدي لافحل فيهن يلقحن من الريح ويلدن أمثالهن ولهن أصوات مطربة يجتمعن عليهن الحيوانات لطلب أصواتهن : (ومنها) أمة رعوسها رؤوس الناس وأبدانها أبدان الحيات . (ومنها) أمة في بعض جزائر الصين لأرأس لأبدانهم وأفواههم وعيونهم على صدورهم وسمعت أن واحدا من هذه الأمة جاء رسولاً إلى عظيم التتار (ومنها) أمة لها وجوه كوجه الإنسان وظهورهم كظهر السلحفاة وعلى رؤوسها قرون طوال : (ومنها) أمة يقال لها النسناس لأحدهم نصف رأس ونصف بدن ويد ورجل واحدة كأنه إنسان قد نصفين يقفز قفزا شديدا وإنه يوجد في غياض أرض اليمن وهو ناطق ، والله الموفق ، (القسم الثاني : في الحيوانات المركبة) التي تتولد من حيوانين مختلفي النوع ولذا يكون شكلا عجيبا بين هذا وذلك فاعتبر حال البغل فإنه مامن عضو منه إلا وهو دأثر بين عضو الفرس وعضو الحمار فإذا كان الذكر حمارا كان بالفرس أشبه وإن كان الذكر فرسا كان بالحمار أشبه . (ومنها) المتولد بين الضبعان والناقة والبقر الوحشية وهو الزرافة فإنه متولد بين الثلاثة ، وقد جرى ذكرها في ذكر الحيوانات فلانعيده . (ومنها) المتولد من الخيل وبقر الوحش وقدرأيته وكان بغلة في غاية الحسن .

(وحكى) أنه كان لكسرى أزدشير حصان اسمه أجدر توحش ولحق بالغايات وضرب فيها فأتت بنوع من الحمير يقال له الأجدرية . (ومنها) المتولد من الإبل الفاليج والغراب وتسمى البختي وهو أحسن أنواع الإبل صورة والفاليج هو الذي له سنامان . (ومنها) المتولد من الإنسان والدب. حدثني من رآه أن جميع أعضائه كأعضاء الإنسان إلا أنه يكون عليه شعر كما يكون على الدب ويكون ناطقا . (ومنها) المتولد بين الذئب والضبع وهو شكل عجيب جدا إن كان الذكر ضبعا يقال له السمع وإن كان الذكر ذئبا يقال له العسيرة : (ومنها) المتولد بين الكلب والذئب يقال له الديسم ، قيل إن الكلاب يسفدها الذئب بأرض سلوكة باليمن فيتولد منها الكلاب السلوقية . (ومنها) المتولد من الحمام والورشان وهو أيضا شكل عجيب يقال له الراعي ، والله أعلم .

(القسم الثالث : في حيوانات عجيبة الصور) زعم الأطباء أنه إذا تولد من الحيوانات شكل غريب يكون ذلك مقتضى مزاج غريب لا يحدث إلا نادرا ، وزعم المنجمون أنه مقتضى مزاج غريب . (منها) ماروى عن وهب بن منبه في عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم وكان لا يوصف طول له وعظمه ، وعمره الله تعالى عمرا طويلا حتى أدرك زمان موسى عليه الصلاة والسلام ، وكان قد أدرك نوحا عليه الصلاة والسلام أيضا قبل ذلك وسأل نوحا

أن يحمله في السمينة فقال له من يملك؟ اغرب يا عدو الله عنى فكان ماء الطوفان إلى وسطه، وكان جبارا في خلقته وأفعاله يسير في الأرض برا وبحرا ويفسد ماشاء، ولما حصل بنو إسرائيل بأرض التيه اطلع عليهم ووقف مشرفا على عسكرهم حتى عرف طوله وعرضه فضى إلى أعظم جبل بقربهم ونقر منه دومة على قدرهم ثم احتملها على رأسه يريد أن يطبقها على بني إسرائيل ليهلكوا جميعا فبعث الله طيرا في منقاره حجر فوضعه على الحجر الذي على رقبة عوج فنقب وسطه فنزل في عنق عوج، فأخبر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام بذلك فخرج إليه بعصاه وضربه بها فقتله، (ومنها) ما حدثني بعض الفقهاء بالموصل أنه شاهد في الأكراد وهم جيل يسكنون بعض جبال الموصل في زماننا إنسانا طوله تسعة أذرع وهو بعد صبي ما بلغ الحلم، وكان يأخذ بيد الرجل القوى فيرميه خلفه. وأراد صاحب الموصل أن يستخدمه فذكروا له أن في عقله خبلا لا يصلح لذلك. (ومنها) ما ذكره أبو سعيد الشيراجي عن بعض الكتاب أنه قال: دخلت على يحيى بن أكرم القاضي وإلى جانبه قطر فيه طائر على صورة الزاغ برأس كراس الإنسان وعلى صدره وظهره سلعتان، فقلت له ما هذا أصلحك الله؟ فقال لي سله عنه، فقلت ما أنت فانهض وأنشد بلسان فصيح وجعل يقول:

أنا الزاغ أبو عجوه	أنا ابن الليث واللبوه
أحب الراح والريحا	ن والنشوة والقهوه
ولى أشياء تستظ	رف يوم العرس والدعوه
فنها سلعة الظهـ	ر لا تسترها الفروه
وأما السلعة الأخرى	فلو كانت لها عروه
لما شك جميع النا	س فيها أنها ركوه

ثم صاح ومد صوته زاغ زاغ وانطرح في القمطر، فقلت أيها القاضي هو عاشق؟ قال هذا ماترى لأعلم به حمل إلى أمير المؤمنين مع كتاب محتوم فيه ذكر حاله. (ومنها) ما روى عن الشافعي رضي الله تعالى عنه قال: دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت فيها إنسانا من وسطه إلى أسفله بدن امرأة ومن وسطه إلى فوقه بدنان مفترقان بأربع أيد ورأسين ووجهين وهما متقابلان ويأكلان ويشربان ويغضبان ويصطلحان، ثم غبت عنهما ستين ورجعت فقيل لي أحسن الله عزاءك في أحد الجسدين، فتوفى وربط من أسفله بجبل وشد وترك حتى ذبل ثم قطع فعهدى بالجسد الآخر في السوق ذاهبا وجائيا. (ومنها) دجاجة برأسين ودجاجة بأربعة أرجل فسبحان القادر على ما يشاء.

(وليكن) هذا آخر الكلام في عجائب المخلوقات والحيوان والله تعالى أعلم، وأسأله سبحانه أن يجعل عاقبته إلى خير بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الطاهرين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

(ولنذكر) صور الملائكة وملابسهم وألوانهم عما ورد من مؤلف الكتاب يحيى ابن زكريا القزويني رحمه الله تعالى:

(الباب الأول) حملة العرش صلوات الله عليهم أربعة صور: آدمي وبقر ونسر وأسد .
(فالآدمي) ملبوسه جبة خضراء وفوق الجبة الخضراء جبة حمراء قصيرة وبسراويل من الذهب ومشد في وسطه وردى اللون وجناحاه واصله إلى رجليه وذؤابتا شعر أسود إلى جناحيه وجناحيه ثلاثة ألوان كل واحد منها أزرق وأحمر وأصفر، وعمامته بيضاء مرصعة بالذهب وله ذؤابة منها من قفاه إلى رأس جناحه وزيق جبهته الحمراء مرصع بالذهب، وصورته أبيض اللون يميل إلى الحمرة ورجل من رجليه على رقبة الأسد والأخرى على ذنبه، والله أعلم بصحته .
(وأما البقر) فهو كبير الدنيا إلا أنه أزرق اللون تميل زرقة إلى الغبرة شيئا يسيرا، وظهره أسود ومن بين قرنيه إلى إحدى أذنيه نقطة سوداء، ورقبته من بين يديه وهو الزور إلى تحت حنكه أسود من أسفل لا كل رقبته، ويد من يديه مطوية والأخرى مستقيمة كالذي يريد النهوض بعدما اعتدل، وقرناه أخضر في غاية الطول والحسن، وذنبه طويل معكوف ثلاث طيات فوق ظهره ونازل من فوق ظهره إلى طرفه إلى بين فخذيته، ويده المستقيمة فوق رقبة الأسد لكن ماهي واصله إلى رقبته ورجلاه فوق ظهر النسر لكن مرتفعة عنه لاملصقة، والله أعلم بصحته .

(وأما النسر) فهو لا أحمر اللون ولا أسود اللون ولكنه أسود يميل إلى الحمرة شيئا يسيرا ورؤوس أجنحته من الذهب، و صدره أيضا ومنقاره أزرق، والله أعلم بصحته .
(وأما الأسد) فهو أصفر اللون يميل إلى الحمرة شيئا يسيرا وفاه مفتوح وخشمه عند منقار النسر، والله أعلم بصحته، والنسر والأسد وقوفهما على غاية الوقوف وغاية الاعتدال والله أعلم بصحته .

(الباب الثاني) صورة الملك الذي يقوم صفا والملائكة صفا ويسمى الروح عظيم جدا ما يعلم كبر بدنه إلا الذي خلقه وهو أبيض اللون يميل إلى الحمرة وملبوسه أحمر وفوق الأحمر نمتانة وتاج وردى وخارج يديه منها، وسرواله أخضر وليس لرجليه نعل بل حاف، وله جناحان إلى أصل ساقه أطرافهما وكل واحد منهما به من الألوان أحمر وأصفر وأخضر وردى، وعلى رأسه عمامة عظيمة بيضاء مرصعة بالذهب وبوسط العمامة من أعلا كتابة بالسواد ليس يعرفها إلا الذي صورها، وله أيضا غرزة من قفاه، وله قصبيتا شعر أسود كالخبر وفي أطراف أجنحته نقص شيئا يسيرا عنها وزيق نمتانته من الذهب وبرأس كل قصيبة من تحت أذنه كالعين مكتوبة من الذهب، وله عينان وجناحان سود تبارك وتعالى من خلقها وهو أعلم بذلك .

(الباب الثالث إسرائيل) لونه كلون من قباة في الباب الثاني لكنه أطول وجها وعينا كعينه وملبوسه أخضر ، ومن فوق الأخضر نمتانة حمراء ، وله أربعة أجنحة مضى ذكرها قبل فلانعيده لكن الربع منها التمث به من تحت حنكه والصور قابضة بيديه ورأسه بضمه وعمامته كما للملك الذي يقوم صفا لكن غرزته من قبل وجهه وله قصبية واحدة من قفاه واصلة إلى طرف جناحه الذي التمث به ورأس القصبية كالعين مكتوبة بالذهب وهو رافع رأسه بالصور إلى ربه والله أعلم بذلك .

(الباب الرابع جبرائيل) صلوات الله عليه أبيض الوجه يميل إلى الحمرة بشيء يسير ، وله قصبيات إلى أطراف أجنحته من كل جانب واحدة ، وهو ليس له نعال برجليه وملبوسه لا يوصف من كثرة ألوانه وحسن صنعته ، وعلى رأسه عمامة بيضاء كما للملك الذي يقوم صفا وخا من الوجه طرف ومن القفا طرف ، وعينان وجناحان كما للملك الذي يقوم صفا ، تبارك الله أحسن الخالقين وما أحسن خلقته ، والله أعلم بذلك .

(الباب الخامس ميكائيل) صلوات الله عليه ولونه كلون جبرائيل ملبوسه أحمر وفوق الأحمر أزرق ونمتانته منتشة بنقش كالتاج وردى وهو متكى وجهه على كتفه الأيسر وعينا وجناحاه وذوائبه كما للملك الذي يقوم صفا وعمامته كعمامته لكن غرزته من قبل وجهه ، والظاهر من أجنحته أخضر ووردى وأبيض وأحمر والخفي لا يعلمه إلا الله ، وعلى كتفه الأيمن تحت صليفاً أذنه بأصل قصبته دين مكتوبة ومنحدرة على صدره إلى إبطه الأيسر بالذهب ، والله أعلم بذلك .

(الباب السادس عزرائيل) صلوات الله عليه لونه أبيض لكن يضرب إلى السمرة شيئا يسيرا وملبوسه وردى مخطط بأحمر وفوق هذا الملبوس نمتانة خضراء تميل للدكونة شيئا يسيرا وشد وسطه أحمر وعمامته كما للملك الذي يقوم صفا لكن أصفر شيئا يسيرا ، سرواله أزرق وأجنحته جناحان على ما رأينا في الكتاب وألوانها أحمر وأصفر وأزرق وأبيض ، وله قصبيتان شعر أسود النبي نازلة على كتفه الأيمن وخارجة من خارج جناحه إلى طرفه باعرجاج والأخرى على الأيسر من داخل جناحه تقصر شيئا يسيرا عنه ويده رمح برأسه خمس أسنة وهو جالس به كجلوس القواس الذي يرمى النشاب ، وهون الله علينا وعلى أمة سيدنا محمد جميعا غصص الموت ، والله أعلم .

(الباب السابع ملائكة السماء الدنيا) على صورة البقر ألوانها أسود وأبيض وقرونه زرق وطرف ذيله أسود وجميع محاركة سود والباقي أبيض ، والله أعلم .

(الباب الثامن ملائكة السماء الثانية) على صورة العقاب أسود اللون ليس بحالك السواد ورجلاه ومنقاره زرق وصدره ورؤوس أجنحته ذهب ، والله أعلم .

(الباب التاسع ملائكة السماء الثالثة) على صورة النسر وردى اللون أطراف ريشه سود لكن ورديته تميل إلى السواد شيئا يسيرا صدره وصدر أجنحته ذهب منقط ريشها بسواد ومنقاره ورجلاه زرق ، والله أعلم بذلك .

(الباب العاشر ملائكة السماء الرابعة) على صورة الخيل زرق الألوان وصفتها مثل الفرس الذى أراد النهوض فرفع يده ووضع الأخرى فى الأرض ، والله أعلم بذلك .

(الباب الحادى عشر ملائكة السماء الخامسة) على صورة الخور العين ملبوسها جميع الألوان الحسنه ووجوهها بيض وحر ولها عينان وجناحان وقصبيتان كالخبر الأسود ونعاطها سود وأجنحتها كل جناح ثلاثة ألوان أحمر وأزرق وذهبي قصبيتها طوال إلى الرجاين بل أزيد والله أعلم ، وعلى رؤوسها معاصب بيض مرصعة بالذهب سبحانه الخالق على ما خلق وهو الذى خلقهم وهو أعلم بهم .

(الباب الثانى عشر ملائكة السماء السادسة) على صورة الولدان ملبوسهم أحمر وردى اللون وتحت ذلك نوع آخر أزرق وقصيبته واحدة وعمامته بيضاء ، وله جناحان لونهما أخضر ورؤوسهما ذهب ومحازم ونعال فالمنشد وردى اللون ويميل إلى السواد شيئا يسيرا والنعل أسود ، والله أعلم بذلك .

(الباب الثالث عشر ملائكة السماء السابعة) على صورة بنى آدم ملبوسهم أصفر وفوق الأصفر كالتمنانة وردى تميل إلى الحمرة والدكنة وقصائب سود غاية السواد وجناحان كل جناح لونان أحمر وأزرق وعمامة بيضاء والله أعلم بذلك ، وأجنحتها على أكتافها ، سبحانه الذى خلقهم ما أعظم سلطانه وأوضح برهانه وشداد أوساطها أزرق .

(الباب الرابع عشر الحفظة) وهم الكرام الكاتبون كل واحد منهم بيده دفتر أو بالأخرى قلم وهو على كتف الإنسان وجوههم بيض تميل إلى الحمرة ، ولبوسهم أزرق ولشكل واحد منهم قصيبة شعر من ورائه لا غير وعمامة بيضاء ونعلان برجليها سود وأجنحتها كل جناح لونان أعلى الجناح ذهب مخطط بشيء من السواد شيئا يسيرا وباقى الجناح أحمر وخطط بيض فى وسطه ، وكل منهم واضع رأس قلمه بدفتره ينتظر الحسنات والسيئات ، والله أعلم .

(الباب الخامس عشر) هاروت وماروت فى بابل صفر الأجساد عراة كل منهما بنيان إلى ركبته أزرق اللون مشدودان بالحديد من أصول ساقيهما رؤوسهما إلى تحت وأرجلهما إلى فوق ، والله أعلم .

بحمد الله وحسن توفيقه قد تم طبع

كتاب حياة الحيوان الكبرى

لكمال الدين الدميرى

وبليه

كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

لزكريا القزوينى

مصححا بمعرفة لجنة التصحيح بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر

القااهرة في ٣٠ ربيع أول ١٣٩٠ هـ
٤ يونيو ١٩٧٠ م

مدير الشركة

محمد محمود الحايى

ملاحظ المطبعة

رجب علام

فهرس

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للإمام زكريا بن محمد القزويني

صحيفة	صحيفة	صحيفة
٢١ فصل وسماه المنجمون النحس الأكبر :	١٦ خاتمة في الحجرة :	٣ خطبة الكتاب
النظر التاسع في فلك الثوابت :	١٧ النظر الثالث في فلك عطارد .	٥ فصل فيما لا يستحسن الناظر في هذا الكتاب :
٢٢ فصل في الكواكب الثابتة :	فصل في تسمية المنجمين لعطارد .	المقدمة الأولى في شرح العجب :
٢٣ فصل في الصورة الشمالية كواكب الدب الأصغر كواكب الدب الأكبر	النظر الرابع في فلك الزهرة :	٨ المقدمة الثانية في تقسيم المخلوقات :
٢٤ فصل في خواص القطب الشمالي .	فصل في تسمية المنجمين الزهرة .	٩ فصل فيما ذكره أهل السير المقدمة الثالثة في معنى الغريب .
٢٧ فصل في البروج الاثنى عشر .	١٨ النظر الخامس في فلك الشمس .	١٢ المقدمة الرابعة في تقسيم الموجودات .
٢٩ فصل في الصورة الجنوبية فصل في فوائد القطب الجنوبي .	فصل في خواص الشمس المريخ .	المقالة الأولى في العلويات والنظر فيها :
٣٣ فصل في منازل القمر . الشرطين - والبطين -	٢٠ النظر السادس في فلك المريخ .	النظر الأول في حقيقة الأفلاك وأشكالها :
٣٤ الشريا - الدبران - الهقعة - الهنعة :	فصل في تسمية المنجمين للمريخ .	١٣ النظر الثاني في نظرية القمر .
٣٥ الذراع - النثرة - الطرفة - الجبهة - الزبرة الصرفة :	النظر السابع في فلك المشترى .	١٤ فصل في الكلام على القمر فصل في زيادة ضوءه ونقصانه .
	٢١ فصل في تسمية المنجمين للمشترى .	فصل في خسوفه :
	النظر الثامن في فلك زحل	١٥ فصل في خواص القمر وتأثيراته .

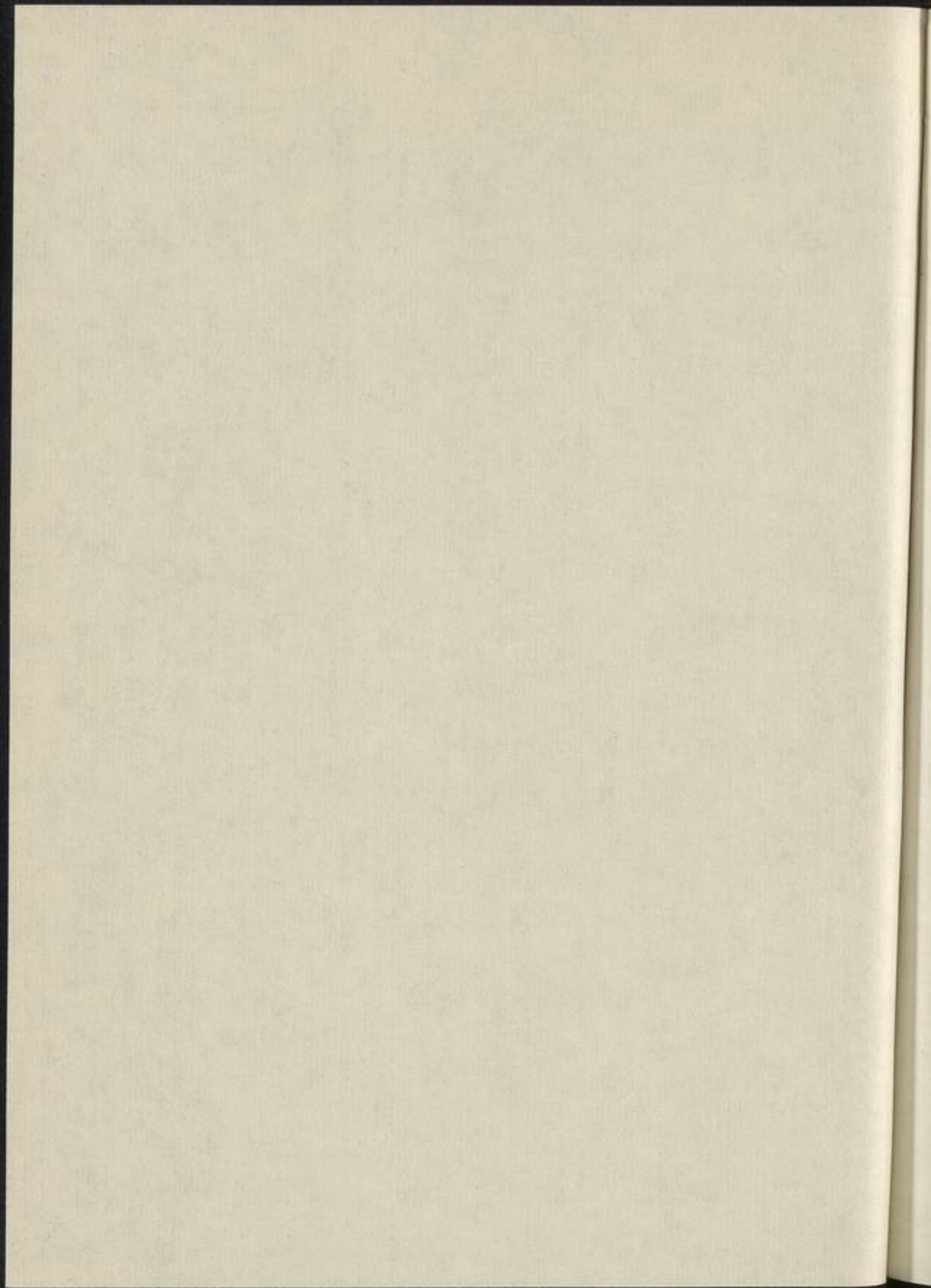
صحيفة	صحيفة	صحيفة
٧٠ فصل في الرياح .	٤٧ الموكلون بالكائنات .	٣٦ العواء - السماء - الغفر
٧١ القول في أصول الرياح .	٤٨ النظر الثالث عشر في الزمان .	- الزبانا - الإكليل :
٧٢ فصل في فوائد عجيبة .	القول في الليالي والأيام	٣٧ القلب - الشولة - النعام
فصل في الرعد والبرق .	٤٩ فصل في فضائل الأيام	- البلدة - سعد الذابح
٧٣ فصل في الهالة وقوس قزح :	وخواصها :	٣٨ الفرع الأول
٧٥ النظر الثالث في كرة الماء .	٥٠ القول في الشهور .	الفرع الثاني
٧٦ فصل في صيرورة البحر من جانب الأرض :	٥١ فصل في شهور العرب .	سعد بلع - سعد السعود
٧٧ فصل في أحوال عجيبة تعرض للبحار .	٥٤ خاتمة في معرفة أوائل هذه الشهور :	- سعد الأخبية :
البحر المحيط .	فصل في شهور الروم :	بطن الحوت .
٧٨ البحر الأبيض .	٥٩ فصل في شهور الفرس .	٣٩ النظر العاشر في فلك البروج .
بحر الصين .	٦٣ القول في السنين .	٤٠ النظر الحادي عشر في فلك الأفلاك .
٧٩ فصل في جزائر بحر الصين	الربيع .	٤١ النظر الثاني عشر في سكان السموات :
٨١ فصل في الحيوانات العجيبة .	الصيف .	٤٢ حملة العرش :
٨٢ بحر الهند .	الخريف .	٤٣ الروح الأمين :
فصل في جزائر هذا البحر .	٦٤ الشتاء :	إسرافيل .
٨٤ بحر فارس .	فصل في بعض العجائب	جبريل الأمين .
٨٥ فصل في حيوانات هذا البحر .	٦٦ المقالة الثانية في السفليات	ميكائيل .
٨٦ فصل في جزائر هذا البحر	فصل في انقلاب هذه العناصر .	عزرائيل :
٨٧ فصل في عجائبه .	٦٧ النظر الأول في كرة النار .	٤٤ الكروبيون :
٨٩ بحر القلزم .	٦٨ فصل في الشهب :	٤٥ ملائكة السبع سموات :
فصل في جزائره .	خاتمة ،	الحفظة .
٩٠ فصل في حيواناته .	٦٩ النظر الثاني في كرة الهواء	المعقبات :
	فصل في السحاب والمطر	٤٦ منكر ونكير .
		السياحون .
		هاروت وماروت :

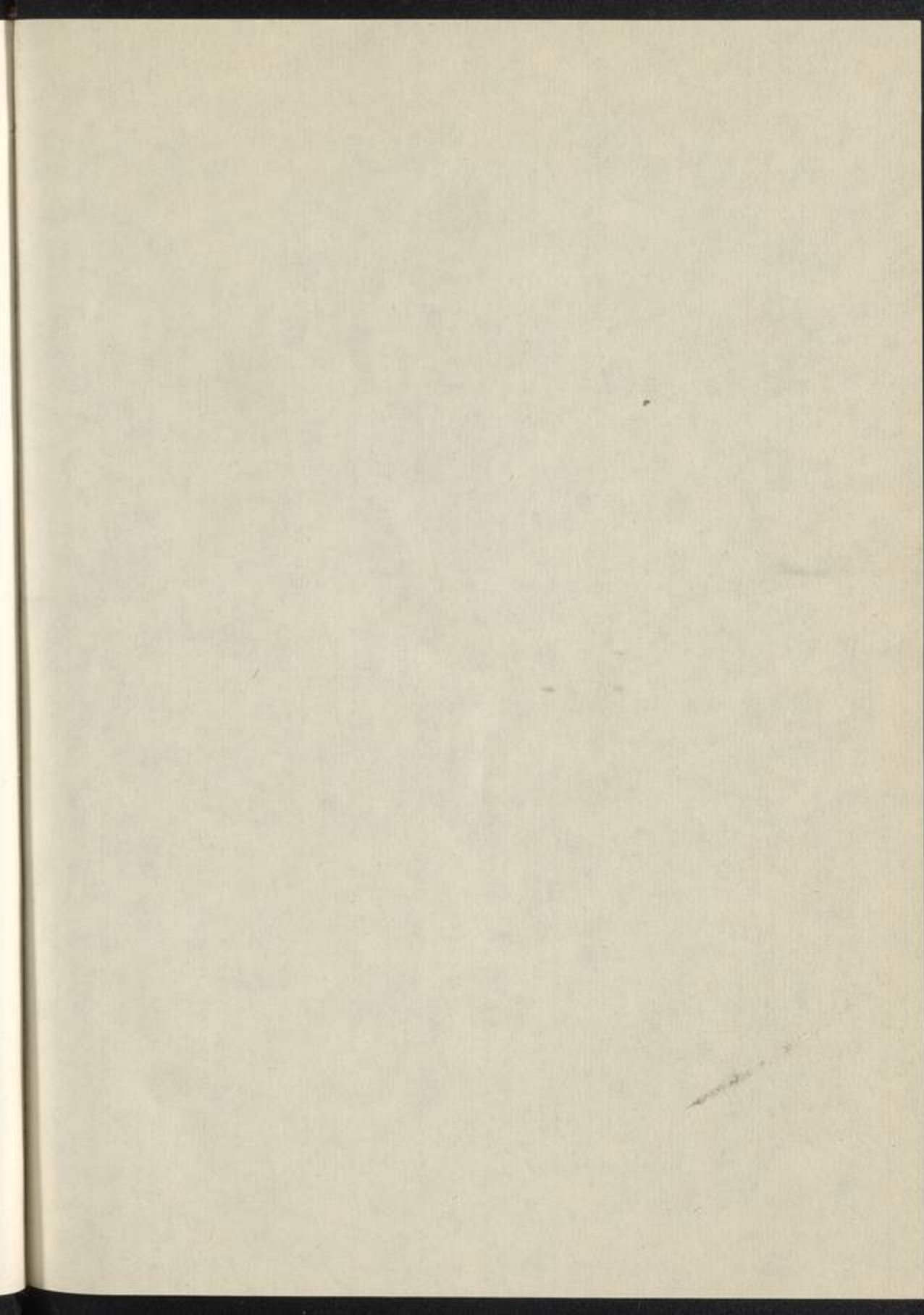
صحيفة	صحيفة	صحيفة
١٧١ عشر ، عقص :	١٢٧ فصل في تولد العيون	٩٠ بحر الزنج .
١٧٢ فندق ، فليزهرج ، قرنفل .	والآبار وعجائبها .	٩٢ فصل في حيوانات هذا البحر .
١٧٣ قصب ، كافور ، كرم	١٢٢ فصل في الآبار :	بحر المغرب .
١٧٤ كثرى :	١٣٥ النظر في الكائنات .	٩٣ فصل في جزائره .
١٧٥ لاعية ، لبان ، لوز ليمون .	١٣٦ النظر الأول في المعدنيات .	٩٤ فصل في حيواناته .
١٧٦ مشمش ، موزه	النوع الأول في الفلزات	٩٥ بحر الحزر .
١٧٧ نارنج ، نارجيل ، نبق ، نخل .	١٣٩ النوع الثاني في الأحجار	٩٦ فصل في حيواناته .
١٧٨ ورد ، ياسمين .	١٥٩ القسم الثالث : في الأجسام الدهنية .	٩٧ القول في حيوان الماء .
القسم الثاني من النجوم	١٦١ النظر الثاني في النبات	٩٩ فصل في خواص أجزائه
١٧٩ آذان الفأر .	١٦٢ القسم الأول في الشجر	١٠٥ النظر الخامس في كرة الأرض .
١٨٠ أفسنتين ، أقحوان :	١٦٣ آبنوس - آس - أرج أجاص أزدرحت - أم غيلان - بان	١٠٦ فصل في اختلاف آراء القدماء في هيئة الأرض
١٨٢ بطيخ ، بنفسج ، بودانش ، بهار ، بيش	١٦٤ بطم - بلسان - بلوط - تفاح - تنوب - توت تين - جميز :	فصل في مقدار جرم الأرض ومغمورها وخرابها .
١٨٣ ترمس ، جاورس ، جرجير .	١٦٦ جوز - خسرو دار - خروع ، خلاف ، خوخ ذار ، سيشعان .	١٠٧ فصل في أرباع الأرض فصل في أقالم الأرض
١٨٤ جزر ، حاج ، حاشا حرف ، حلبة ، حمص :	١٦٧ دردار ، داب ، دشمشت ، رمان .	فصل فيما يعض للأرض من الرزلة واخسف
١٨٥ حنطة ، خبازي ، خربق .	١٦٨ زيتون .	١٠٨ فصل في صبرورة السهل جبال البحر برا وعكسهما
١٨٦ خردل ، خس .	١٦٩ سرو ، سفرجل ، سماق سندروس ، شباب .	١٠٩ فصل في فوائد الجبال
١٨٧ خيار ، جيزي ، دقلى	١٧٠ شاهباوط ، صندل ، صنوبر ، ضرر ، طرفا عرعر .	١٢١ فصل في تولد لاهها وخواصها
١٨٨ رازيانج ، ريباس .		
١٨٩ ساوج ، سذاب ، سلق		

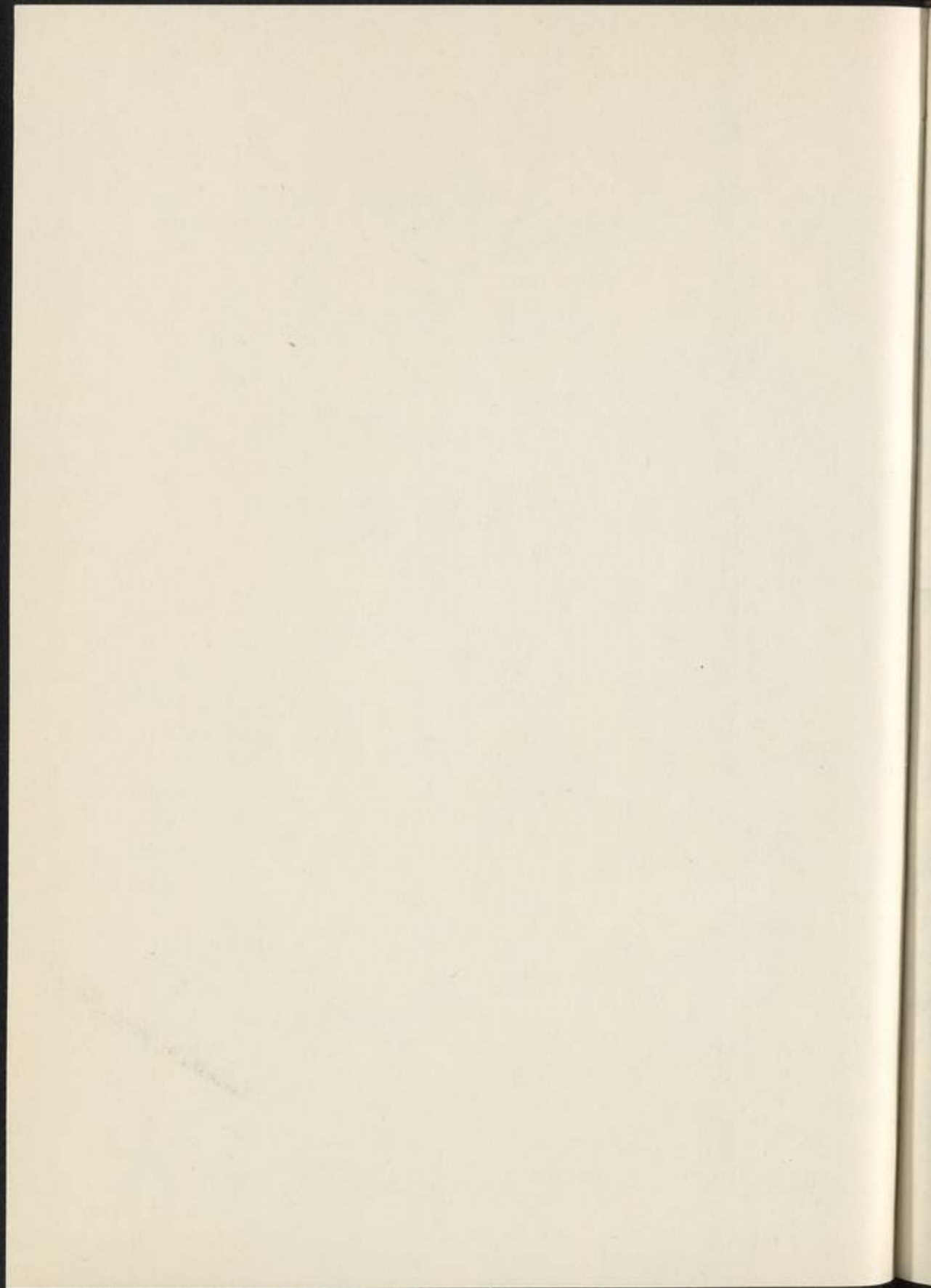
صحيفة	صحيفة	صحيفة
٢١٥ فصل في النحيين :	٢٠٨ النظر الرابع في تشاريخ	١٨٩ سمس ، منبل :
فصل في الشعر .	أعضاء الإنسان .	١٩٠ شجر مريم ، شعير .
النوع الثاني : العق .	٢٠٩ القسم الأول المتشابهة	١٩١ شيخ وشيلم ، صعتر
٢١٦ « الثالث : الصدر	وهي أنواع .	عدهس ، عظم .
» الرابع : اليد .	النوع الأول في العظام	١٩٢ عنب الثعلب ، فجل
٢١٧ فصل في الظفر .	» الثاني : في	عرفج ، فنهكشت .
النوع الخامس البطن	الغضروف :	١٩٣ قت ، قزاء .
» السادس الظهر	» الثالث في العصب	١٩٤ قيصوم ، كاوزوان ،
٢١٨ « السابع الجنب .	» الرابع : الرباط	كتان ، كرفس .
٢١٩ الضرب الثاني من	٢١٠ « الخامس ، اللحم :	١٩٥ كراويا ، كزبرة ،
الأعضاء المركبة :	» السادس : الشحم .	لبلاب .
الأعضاء الباطنة :	» السابع : الشرايين	١٩٦ لقاح ، لوبيا ، لينوفر
وهي أنواع :	» الثامن : الأوردة .	١٩٧ ماهيزهرج .
النوع الأول الدماغ :	» التاسع : الثرب :	١٩٨ نسرين ، ننع :
» الثاني الرئة .	٢١١ « العاشر : الغشاء .	١٩٩ النظر الثالث : في
٢٢٠ « الثالث القلب .	» الحادي عشر :	الحيوان .
» الرابع الكبد .	الجلد :	٢٠٠ النوع الأول في حقيقة
٢٢١ « الخامس المرارة .	» الثاني عشر : المخ	الإنسان .
» السادس الطحال .	القسم الثاني في الأعضاء	النظر الثاني في النفس
» السابع المعدة .	المركبة .	الناطقة .
٢٢٢ « الثامن المعى .	الأول في الرأس .	٢٠٢ فصل في نفوس عجيبة
» التاسع الكلية .	فصل في العين :	التأثيرات :
» العاشر المائة :	٢١٢ الروح الباصرة :	٢٠٣ قيافة الأثر .
» الحادي عشر :	٢١٣ فصل في الآذان :	٢٠٧ النظر الثالث في تولد
آلات التوليد :	في الأنف :	الإنسان .
٢٢٣ خاتمة في تشبيه بدن	٢١٤ في الشفة .	فصل في وضع الجنين
الإنسان بمدينة :	في القدم :	في الرحم .
٢٢٤ النظر الخامس في القوى	اللسان ، الأسنان .	٢٠٨ فصل في وضع الحمل :

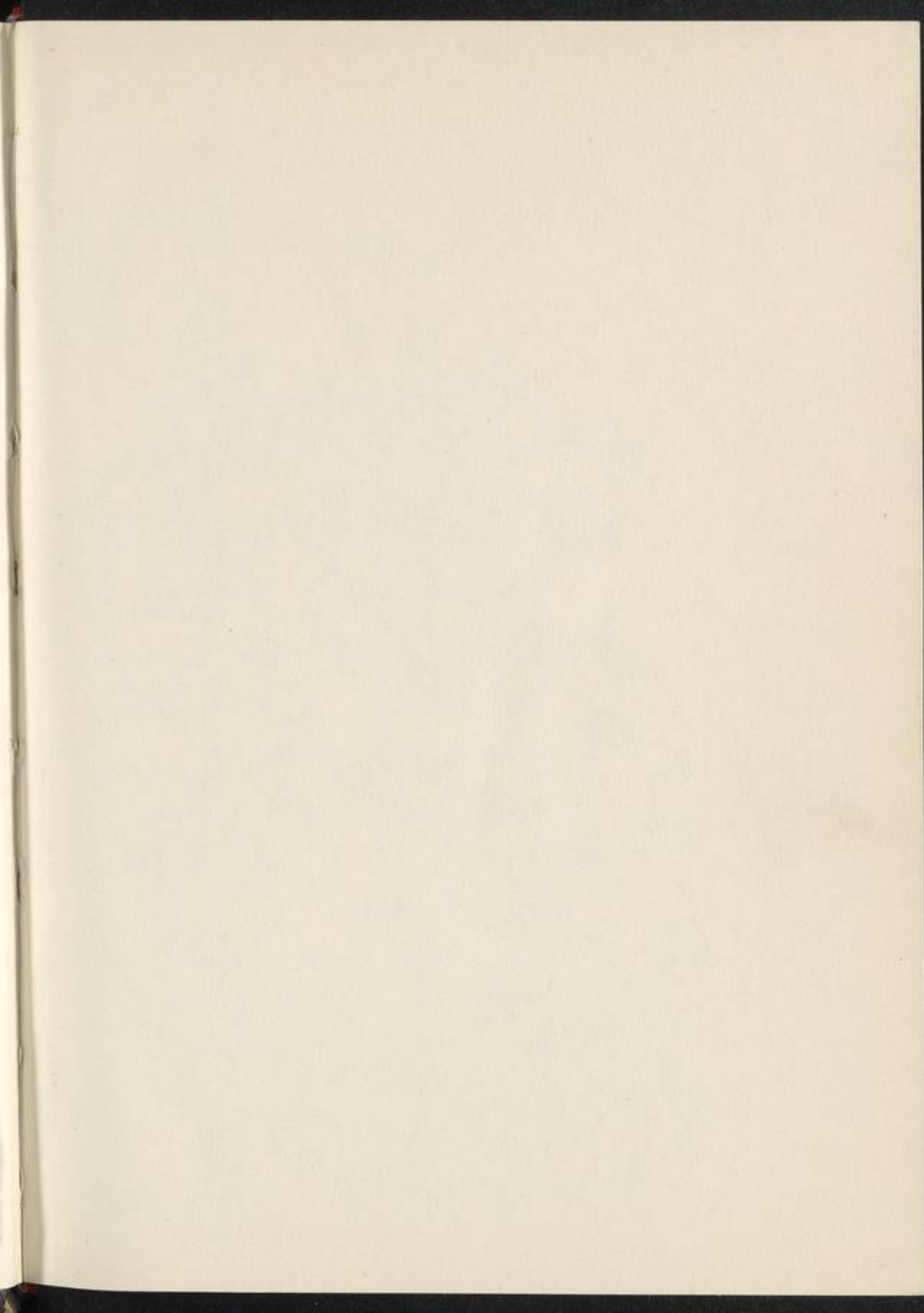
صحيفة	صحيفة	صحيفة
٢٦٨ النوع السادس : من الحيوان الطير .	٢٤٤ النوع الرابع : من الحيوانات النعم :	٢٢٤ النوع الأول : القوى الظاهرة :
٢٦٩ أبو براقش ، أبو هارون إوزة .	٢٤٥ إبل .	٢٢٥ فصل في فوائد هذه القوى .
٢٧٠ بازي ، باشق ، بيغا	٢٤٧ بقرة الوحش ، جاموس زرافة .	النوع الثاني : القوى الباطنية .
٢٧١ بلبل ، بوم ، تدرج	٢٤٨ ضأن .	٢٢٦ فصل في الفوائد العجيبة لهذه القوى في أمر التغذية
٢٧٢ تبوط ، حباري ، حدأة ، حمام .	٢٤٩ معز .	٢٢٧ النوع الثالث : القوى المحركة .
٢٧٣ دراج ، ديك .	٢٥٠ ظبي ،	٢٢٨ النوع الرابع : القوى العقلية :
٢٧٤ خطاف ، خفاش .	٢٥١ إبل .	فصل في تفاوت الناس في العقل .
٢٧٦ دجاجة ، رخمة .	٢٥٢ النوع الخامس : من الحيوان ، السباع ،	٢٣١ النظر السادس : في حواس الإنسان :
٢٧٧ زاغ ، زر زور ، زمج	ابن آوى .	٢٣٣ النوع الثاني : من الحيوان والجن :
٢٧٨ سماني ، سقر ، شاهين ،	ابن عرس .	٢٣٤ فصل في عجائب مكايد الشيطان .
شفنين ، شقراق ،	٢٥٣ أرنب .	٢٣٦ فصل في ذكر بعض المتشيطنة .
صاف ، صقر .	٢٥٤ أسد .	٢٣٧ فصل في حكايات عن الجن وما جرى لهم .
٢٧٩ طاوس ، طهوج ، عصفور .	٢٥٥ ببر ، ثعلب .	٢٤٢ النوع الثالث : من الحيوانات ، الدواب
٢٨٠ عقاب ، عتقى .	٢٥٧ خنزير .	فرس :
٢٨١ عنقاء ، غراب .	٢٥٨ دب ، دلق .	٢٤٤ حمار الوحش :
٢٨٢ غرنيق ، غواص .	٢٥٩ ذئب .	
٢٨٣ فاخمة ، قبيج ، قنبرة ، قطا .	٢٦٠ ساد ، سنجاب ، سنور	
٢٨٤ قرى ، قوقيس ، كركي	٢٦١ سنور البر ، سرباس ،	
كروان ، اللقلق .	سادة ، وار ، ضبيع .	
٢٨٥ مالك الحزين ، مكاء ، نسر .	عناق فالأ ، فهدي .	
٢٨٦ نعامة ، هدهد .	٢٦٣ قبل .	
٢٨٧ وطواط ، يراعة .	٢٦٤ قرد .	
	٢٦٥ كركند .	
	٢٦٦ كلب .	
	٢٦٧ نمر .	

صحيفة	صحيفة	صحيفة
٣٠٦ وول .	٢٩٥ الدر حرج ، رتيلاء ،	٢٨٨ النوع السابع . من
خاتمة : في حيوانات	٢٩٦ زنبور ، سام أبرص ،	الحيوانات : الهوام
عجيبة الأشكال .	سالحفاة :	والحشرات .
القسم الأول : أمم	٢٩٧ صرصر ، صناجة	أرضة .
غريبة الأشكال .	ضب ، ظربان .	٢٨٩ أفعى .
٣٠٧ القسم الثاني في الحيوانات	٢٩٨ عقرب ، عنكبوت .	٢٩٠ برغوث ، بعوض ،
المركبة .	٢٩٩ فأر .	ثعبان هـ
القسم الثالث في حيوانات	٣٠٢ فراش ، فسافس ،	٢٩١ جراد ، حرباء :
عجيبة الصور .	قل ، قنفذ .	٢٩٢ حلزون ، حية :
٣٠٩ صور الملائكة	٣٠٣ نبر ، نحل .	٢٩٣ خراطين ، خنفساء :
وملايسهم وألوانهم .	٣٠٥ نمل .	٢٩٤ دودة القز ، ديك
		الجن ، ذباب :











**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**



